عنوان الكتـاب: شرح مواقع النجوم للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي
المسمى بـ: طوالع منافع العلوم في مطالب مواقع النجوم - الجزء الثالث
تأليف وشـرح: عبد الله صلاح الدين العشاقي الروحي
تحقيـق: محمد أديب الجادر - محمود إيرول قليج
الموضـوع: تصوّف
عدد الصفحات: 618 ص
القيـاس: 17.5 ❖ 25 سم
الطبعة الأولى: 1000 / 2015 م - 1436 هـ
ISBN: 978-9933-536-09-1

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتـف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

شرح كتاب

مواقع النجوم

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

المسمى بـ:

طوالع منافع العلوم في مطالب مواقع النجوم

تأليف وشرح:

عبد الله صلاح الدين العشاقي الروحي

(١١١٧ - ١١٩٧) هـ - (١٧٠٥ - ١٧٨٣) م

تحقيق: محمد أديب الجادر - محمود إيرول قليج

الجزء الثالث

الجزء الثاني
الفلك اليميني

الفلك اليميني: اليمين في اللغة القوّة ومنه: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] ولهذا سُمّيت اليمنى يمينًا؛ لأنها أقوى الجانبين، وهي جهة مبدأ الحركة، ولذلك سمّى جهة المشرق يمين الفلك، لابتداء الحركة العظمى منها، لعلّك تسألُ عن يدك أين جعلها الله؟ وفي بعض نسخ أين حظّها في الوجود، وأين مرتبتها؟ أي مرتبة اليد من حضرات الجود.

فاسمعْ أيّها الابنُ الموفّق أبيّنها نظمًا:

١ـ مَنْ كانَ يبطشُ بالرَّحمنِ فهو فتًى ... كانَ التكرُّمُ هَجِّيرًا له فعلا

البطشةُ: السطوة، والأخذ بالعنف. وقد بطشَ من باب ضرب ونصر، وباطشه مباطشةً. والفتى: السخيُّ الكريم، يقال: هو فتًى أي بيّنُ الفتوّة، والجمع فتيان وفتية وفتوّ كفعول، وفُتيّ كعُصيّ بالضم. والتكرّم تكلّف الكرم. قال:

تكرّم لتعتادَ الجميلَ فلن تَرى ... أخا كرمٍ إلاّ بأن يتكرّما[1]

والهَجر بالفتح والهاجرة والهجير السيرُ نصف النهار عند اشتداد الحرّ، والتهجير والتهجّر السيرُ في الهاجر.

وقال في «الفتوحات»[2]: اعلمْ أن الهجير هو الذي يلازمه العبد من الذكر كان [الذكر] ما كان، ولكلِّ ذكرٍ نتيجةٌ لا تكون لذاكرٍ آخر، وإذا عرض الإنسانُ على نفسه الأذكار الإلهية لا يقبل منها إلاّ ما يُعطيه استعدادُه، فأولُ فتحٍ له في الذكر قبولُه له، ثم لا يزال يواظبُ عليه مع الأنفاس فلا يخرجُ منه نَفَسٌ في يقظةٍ ولا نومٍ إلاّ به لاستهتاره فيه، ومتى لم يكن حالُ الذاكر هذا فليس [٣٤٢/ب] هو صاحب هجير.

يُقال: رجل مستهتر أي لا يُبالي ما قيل له[3].

---

(١) البيت في لسان العرب (كرم) منسوب إلى المتلمس.

(٢) الفتوحات المكية: ٤/ ٨٨.

(٣) كذا في الأصل، واستُهتر بالشيء: فتن به، ولزمه غير مبالٍ بنقد ولا موعظة.

وقوله (فعلا) علا: فعل ماض من العلو.

٢ـ فسَلْه إذ يقبَضُ الدُّنيا ويَبسُطُها يـداكَ تفعـلُ؟ كـلاَّ ربُّكـم فعـلا

سلْ أمرٌ من سأل يسأل، والضمير عائد إلى الفتى. يعني: سله حين يقبضُ الدنيا ويبسُطها، قبضَ الشيءَ أخذه، والقبضُ أيضًا ضدُّ البسط، وبسط الشيء نشره، وبسطُ العذرِ: قبوله، والبسطةُ: السعة، ويدٌ بِسْط بوزن قسط أي مطلقة، وفي قراءة عبد الله: ﴿بل يداه بسطان﴾[1] يعني: حين يقبضُ الدنيا وحين يبسطُها سلْه: هل يداك تفعل ذلك القبض والبسط؟

كلا[2]: حرف الردع والزجر، تقول لشخصٍ: فلانٌ يبغضك؟ فيقول: كلا، أي: ليس الأمرُ كما تقول. وهو المراد ههنا، وليس هذا المعنى مستمرًا فيها، إذ قد يجيء بعد الطلبِ لنفي إجابةِ الطالب، كقولك لمن قال لك افعل كذا: كلا. أي: لا يجاب إلى ذلك، وقد جاء بمعنى حقًّا.

وفي «الإتقان»: (كلا) في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعًا منها سبعٌ للردع اتفاقًا، والباقي منها ما هو بمعنى حقًّا قطعًا، ومنها ما احتمل الأمرين.

يعني: تظنُّ أن يديك تفعلُ هذا القبض والبسط، وليس الأمرُ كما تظنّ؛ بل ربُّكم فعلَ ذلك القبضَ والبسط، فهذه المذكورة في البيتين من بطش بالرحمن، وكون القبض والبسط في الحقيقة فعل الربِّ تعالى وتقدّس لقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦].

يا بُني، درجةٌ شريفة لا تنالها أي لا تنال أنت تلك الدرجة أبدًا **ما لم تلحقْ** أي ما لم تَصلْ **ولا تلحق حتّى تمحق** أي تفنى في عين الحق، لأنَّ المحقَ في اصطلاحهم: فناؤك في عين الحق. وقد مر بيان المحو والطمس والمحق.

ولا تمحق حتى تحقّق. والتحقيق: هو تلخيص ما للحق للحقّ وتلخيص ما للخلق للخلقِ.

ويستعمل في البداية في تحقيق كون الحكم والأمر لله، وفي تحقيق كون الحول

---

(١) المائدة (٦٤) وهي قراءة شاذة، والتلاوة ﴿مبسوطتان﴾.

(٢) المادة من الكليات: ٤/ ٩٥.

والقوة لله، وفي تحقيق كون الخلق لله، وتحقيق كون الحب لله لا له.

وفي «النهاية» أنّ التحقيق والحقيقة لله حالاً، ثم يستقرُّ هذا المعنى فيصير مقامًا، ولا يحتجبُ المتحقّق بالخلق عن الحقّ، ولا بالحقّ عن الخلق، ويقال له: المرتبة الجامعة بين ذي العين وذي العقل. ولا تحقّق حتى تتخلّق بالأسماء الإلهية بأن تقوم بها على ما يليق بك، أي على الوجه اللائق بعبوديتك، ولا تتخلّق حتى تتوفق تصير موفّقًا من الله تعالى، وقد مرّ تفصيله ولا تتوفق حتّى تصحب تكون صاحبًا ذا الخُلق الموفق.

مطلب الخلق

الخُلُق[1]: هو ما يرجع إليه المكلّفُ في نعته، هكذا قال الشيخ أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري، وعنى بذلك أنّ خلقَ كلِّ مخلوقٍ هو ما اشتملتْ عليه نعوتُهُ وصفاته، فكان المُراد بالخُلق صفات النفس، فإنْ كانت محمودةً فهو على خُلق محمود، وإن كانتْ مذمومةً فهو على خُلق مذموم. ولهذا قالوا: الإنسان مستورٌ بخَلقه مشهورٌ بخُلقه.

الخلق الحسن مع الحق: هو ما عرفته من التواضع، أن كلَّ ما يأتي من العبد يُوجب عذرًا، لأنَّ العبدَ لنقصانه لا يبدو منه إلاّ النقصُ، وأن كلَّ ما يأتي من الحقِّ يُوجبُ شكرًا، لأنَّ الجوادَ الكامل لا يصدرُ عنه إلاّ الجود والتفضل.

الخلُقُ الحسن مع الخَلْق: هو المستجمع [٣٤٣] أمورًا ثلاثة وهي: بذلُ المعروفَ واحتمال الأذى، وكفّه. وإنما كان كفُّ الأذى من جملة مكارم الأخلاق [لأنه لمّا كان العبدُ متمكّنًا من فعل الأذى وكفّه] ثم تركها من خشية الله [كان جزاؤه] أن يكتبه له حسنة، كما وردَ في «الصحيح»: أنّ الله يقول: «إنما تركَها في جرّاي»[2]. أي من أجلي.

الخُلق الكامل: هو المستجمع أمور ثلاثة هي: العلم، والجودُ، والصبر.

وهذه الثلاثة الأوصاف هي التي لا يصحُّ لأحدٍ تحسين خلقه مع الحقِّ، ولا مع الخلق إلاّ بالاتصاف بجميعها.

---

(١) المادة من لطائف الإعلام ١/ ٤٥٢.

(٢) حديث رواه البخاري (٧٥٠١) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، ومسلم (١٢٨ـ ١٣٠) في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة. والترمذي (٣٠٧٣). جرّاي: فعلت هذا من جرّاهُ: أي من أجله.

أمّا العلم: فلكونه هو المرشدُ إلى مواقع المعروف وبذله، ولهذا فإنَّ الجاهلَ يفعلُ المنكر ويظنُّه مَعروفًا لجهله، ولهذا لا يصحُّ الاتّصافُ بحسن الخُلق لمن لم تكن أخلاقُه على وفق علم الشريعة، ولا أن يكمل فيها إلاّ بعد المعرفة بعلم الطريقة، لأنّه هو العلم الذي منه يُستفاد كمالها.

وأمّا الجود: فلكون حُسن الخلق مع البخلِ ممّا لا يَجتمعان، ولأنّ حُسنَ الخُلق يحتاجُ فيه إلى البذل الذي لا يتمُّ إلاّ بالجود، ولأنَّ حُسن الخُلق مع الغير راجعٌ إلى الجود على نفسك أيضًا، بحيث وجهته إليها بتحسين أخلاقها، وبهذا يُعلم أنَّ حسن الخُلق مع الحقِّ راجعٌ إلى جود العبد على نفسه.

وأمّا الصبر: فإنما يُحتاج إليه في حسن الخُلق، لأنَّ من علم بمواقع المعروف، وكان جوادًا ببذله، ولم يصبرْ على دوام البذل، لم يتمَّ له حُسن الخلق، فلكون الدوام على بذلِ المعروف مشقًّا احتيج إلى الاستعانة عليه بالصبر. وكذا في جميع الأعمال والأحوال والمقامات، فإنه يُحتاج فيه إلى الصبر عليها، ولهذا عدُّوا الصبر أعمَّ الأخلاق حكمًا، وأشملها أثرًا.

الخلق العظيم: هو أكملُ ما يمكن أن يُتَّصفَ به من مكارم الأخلاق، ولهذا لما جمعها اللهُ في نبيِّنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

قال الشيخ [الجنيد] قدس الله روحه: سمّى خُلُقَهُ ﷺ عظيمًا، لأنّه لم يكن همّتُهُ سوى الله.

وقال الواسطيُّ رحمه الله: إنّما كان خُلُقُهُ عليه السلام عظيمًا لأنّه جادَ بالكونين عوضًا عن الحقّ.

وقيل: لأنّه عليه السلام عاشرَ الخلقَ بخُلُقه وباينهم بقلبه.

ولهذا قالوا: التصوفُ الخُلُق مع الخلق، والصدق مع الحقّ.

وقيل: إن عظم خُلقه ﷺ حيث صغرتِ الأكوان في عينه لمشاهدة الملكوت.

وقال الحسين بنُ منصور: لأنه لم يؤثِّرْ فيه جفاءُ الخلق لمطالعته الحق.

وقيل: لأنّه تخلّق بأخلاق الله، فلم يخرجْ عن اختياره لدخوله تحت الحكم لفناء الرسم.

وقيل: إنما كان خُلُقه عظيمًا لأنّه تخلّق بعظيم، وهو القرآن المجيد، كما قالت عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خُلقه: كان خُلُقُهُ القرآن[١]. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٢] قدس سره.

والحاصل: لا تتوفق حتّى تصحبَ ذا الخلق الموفق فإنْ صاحبته أي الخلق الموفق وفّقت أنت وإن خلّقت حقّقتَ، وإذا حقّقت مُحقتَ، وإذا مُحقتَ أُلحقتَ، وإذا ألحقت نفضت أي ألقيت ما بيدك من الكائنات، وخرجتَ عن مُلك يمينك، وعن هذه الصفات المذكورة وكانت يدُكَ يدَ الطول.

قال في «القاموس»: طال طُولاً بالضم امتدَّ، كاستطال، والطَّول والطائل والطائلة الفَضْلُ، والقُدرة، والغِنى، والسّعة. وتَطَوّل عليهم امتنَّ، كطال عليهم.

تعطي وتمنع بيد حقّ كما سبق في نتيجة قرب الفرائض أنّه قال رسول الله ﷺ [٣٤٣/ب]: «إذا قال ـ يعني الإمام ـ: سمعَ الله لمن حمده، فيقولوا: اللهم، ربّنا لك الحمدُ، يسمعُ اللهُ لكم»[٣]. قال الله تعالى على لسان عبده: «سمعَ الله لمن حمده»[٤]. أو يعطي الحق ويمنع بيدك، لقوله تعالى: «ما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبته، فكنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطش بها. . .»[٥] الحديث.

واعلمْ يا بُني أنّ العبدَ الموفّق المراد بعناية الأزلية إذا تحقّق في مراعاة التكليف المتوجه شرعًا[٦] في يده، فصرفها أي صرف العبد يده فيما أُبيح له للعبد وبسطها أي بسطَ العبدُ يده فيما وجب عليه، أو نُدب أي استحب إليه أي إلى العبد وقبضها أي قبض العبد يده عمّا حُرّم عليه، أو أُكره له، أو أبيح له ورعًا وهمّةً، فـ: «من حُسْنِ إسلام المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه»[٧] أي ما لا يهمه.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٥٦).
(٢) لطائف الإعلام ١/ ٤٥١ـ ٤٥٤.
(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٨٠).
(٤) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٦٤).
(٥) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٦٦).
(٦) في المطبوع من المواقع (١٨١): التكليف الموجّه عليه شرعًا.
(٧) قال العجلوني في كشف الخفا: ٢/ ٢٨٥ (٢٦٥٠)، رواه أحمد، وأبو يعلى، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه أحمد عن الحسين بن علي، والعسكري عن علي، والطبراني عن زيد بن ثابت: أربعتهم رفعوه. .

فالواجب في اليد: كإخراج الزكاة وما أشبهه وقد سبق تفصيله.

والمندوب: أي المستحب في اليد: كصدقة التطوّع. والتطوُّعُ بالشيء التبرُّعُ به أي النفل، وصلاةُ التطوّع النافلة، وكلُّ متنفّلِ خيرٍ متطوّع.

والمحظور: أي الممنوع المحرم في اليد: كالسرقة، ولمس ما لا يحلُّ لمسه، والضرب في غير حقٍّ، وأشباه ذلك أي أمثال ذلك.

والمكروه في اليد: كلمس الذكر باليمين عند البول، والاستنجاء به باليمين وغير ذلك المذكور.

والمباح في اليد: كجليس خياطٍ أو نجّارٍ فيمد يده لبعض ما عونه فيمسكه[1] في يده من غير حاجةٍ أو تقليب ثوبٍ من غير حاجة.

وأنواع هذا المذكور من الواجب، والمندوب، والمحظور، والمكروه، والمباح فإذا وقفَ صاحبُ اليد عند هذه الحدود، ووفّى بالعهود، وفي بعض النسخ: عند الحدود وفّى بالعهد. والعهدُ الأمان واليمين الموثق والذمة والحفاظ والوصية أثمر ذلك الوقوف عند حدود الله تعالى السخاءَ والزهد أي الإعراض عن الدنيا وبذل المال للمحتاجين كما قال ﷺ: «إلا من قالَ هكذا وهكذا»[2] يعني بماله، ولا يفعل هذا ما لم يتحقّق[3] بأسرار أسماء يده وما جاوزها أي اليد وذلك التحقق يؤدي إلى رمي الدنيا وأعراضها أي متاع الدنيا وذلك أي أسرار أسماء اليد وما جاوزها أي يتوجّه عليها بأن يبني[4] صاحب اليد ببنانه. البنانة واحدة البَنان، وهي أطراف الأصابع التّسبيحات ويظفر صاحب اليد بأظفاره جمع ظُفر بالضم

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٨١): فيمد يده لبعض ما حوله ليمسكه.

(٢) روى البخاري (٦٦٣٨) في الأيمان، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ و(١٤٦٠)، ومسلم (٩٩٠) في الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، والترمذي (٦١٧) عن أبي ذر قال: انتهيت إلى النبيِّ ﷺ وهو جالس في ظلِّ الكعبة، فلمّا رآني قال: «هم الأخسرون وربِّ الكعبة» قال: فجئت حتى جلست، فلم أتَقارَّ [أي: لم أقرّ وأثبت] أن قمت، فقلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله وقليل ما هم..».

(٣) في المطبوع من المواقع (١٨٢): ما لم يتخلق بأسرار.

(٤) في المطبوع من المواقع (١٨٢): بأن يثني بنانه.

وبضمتين، وبالكسر شاذ، يكونُ للإنسان وغيره. الظَّفَرُ بفتحتين من باب طرب: الفوز. والفوز: النجاة، والظفر بالخير على ماله فيُوجّهه أي يوجّه صاحب اليد المال في سبيل البِر البِر بالكسر: الصلة، والحسنة، والخير، والاتساع في الإحسان، والحجّ، والصدق، والطاعة ولو أُعطي الكنزين[1] والكنز المال المدفون لا يلتفتُ صاحب اليد إليهما أي الكنزين تعشقًا، ويُخرجهما إن ملكهما ويزهد فيهما زهد فيه كمنع وسمع: رغبَ ضدٌّ زهدًا وزهادة، أو هي في الدنيا، والزهدُ في الدين يعني الزهد ضدّ الرغبة، تقول: زهد فيه، وزهد عنه من باب سلم، وزهد يزهَدُ بالفتح فيهما زُهدًا وزهادة.

كما فعل مَنْ سَلَكَ أثره ﷺ أُسوةً أي قدوة، يعني اقتداءً به ﷺ حتّى تبذلَ له لمعطي الكنزين أسرار الوجود[٣٤٤] بسبب بذل مال في سبيل البِر.

ويكفُّ كفّه أي: يمنع صاحب اليد راحته عن المحارم ويعتصم أي يمتنع صاحب اليد عن المحظورات أي الممنوعات والمكروهات، ويلاحظ أي يُراعي صاحبُ اليد فيها أي في المحارم والمحظورات والمكروهات عصمةً أي حفظ الله تعالى له ابتداءً بالوجود من العدم[2] ويلاحظ فيها تلقيه أي استقباله وتصوره بالعصمة في أطوار وجوده بالإسلام من الكفر ويلاحظ بقلبه في أَطوار وجوده بالعصمة أي بمنع الله تعالى إيّاه بالتوحيد العام وهو التوحيد الآثاري من الشِّرك العام وهو الشرك الجلي وبالتوحيد الخاصّ عن الشرك الخاص.

والمراد من التوحيد الخاصّ التوحيد الأفعالي والصفاتي والذاتي، ومن الشِّرك الخاص الشرك الخفي، وقد مرّ تفصيلهما مرارًا.

ويلاحظ تلقّيه بالعصمة إيّاه بالإيمان من النفاق، وبالإحسان من الحجاب ومعنى الإحسان «أن تعبدَ الله كأنّك تراه، فإن لم تكنْ تراه فإنّه يراك»[3] وهو مقام المشاهدة، ويلاحظ تلقيه بالعصمة في أطوار وجوده إياه بالإحسان من الإحسان يعني بالإحسان الذي تراه أنت من

(١) الكنزان في الحديث: «أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» فالأحمر ملك الشام، والأبيض ملك فارس. وإنما قال لفارس الأبيض لبياض ألوانهم، ولأن الغالب على أموالهم الفضة، كما أن الغالب على ألوان أهل الشام الحمرة، وعلى أموالهم الذهب. جنى الجنتين للمحبي.

(٢) في الأصل: بالوجود من القدم.

(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٠١).

الإحسان الذي يراك سبحانه وتعالى به أي بذلك الإحسان ويلاحظ تلقّيه بالعصمة في أطوار وجوده إيّاه.

مطلب الحياة الخاصة والعامة

بالحياة الخاصة والعامة من الموت الخاصّ والعام.

الحياة ضدُّ الموت. الحياة هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر. الحياة الدنيا وهو ما يشغل العبد عن الآخرة.

وفي «الكليات»[١] الحياة: هي بحسب اللغة عبارةٌ عن قوة مزاجية تقتضي الحسّ والحركة، ولا بدّ في حياة الباري تعالى من المصير إلى المعنى المجازي المناسب له، وهو البقاء، ولا يجوز أن يكون عين الذات، وهي المراد من الحياة العامة.

والحياة الخاصة: هي إحدى المنازل العشرة التي يشتملُ عليها قسمُ الحقائق، ويعنون بها وصولّ السائر إلى المقام الذي هو فوق المعاينة، التي هي فوق المشاهدة، التي هي فوق المكاشفة، وذلك بأن تُجلى الحقائق بأعيانها وأوصافها وخصوصياتها على وجهٍ لا يحجب الوصف عن العين، فيُسمّى ذلك التجلي حياة، لأن صاحبه يأمن من موت الاعتلال في شيءٍ من الأحوال، ومن موت الانفصال [عن العين بهذا الاتصال][٢] ومن موت الغيبة عن أزل الآزال، وعند ذلك يتحقّق بالوصول إلى نهاية الآمال، فيحيا بحياة الكبير المتعال.

مطلب الموت العام والخاص

والموت العام هو صفةٌ وجودية خُلقت ضدًّا للحياة. والموت الخاص[٣].

---

(١) الكليات ٢/ ٢٦٤.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من لطائف الإعلام ١/ ٤٣٥.

(٣) جاء في هامش الأصل: الموت في اصطلاح أهل الحق: قمع هوى النفس، فمن مات عن هواه حيا بهداه.

ـ الموت الأحمر: مخالفة النفس.

ـ الموت الأبيض: الجوع، لأنه ينوّر الباطن ويبيّض وجه القلب، فمن ماتت بطنتُه حييت فطنته.

ـ الموت الأخضر: لبس المرقّع من الخرق الملقاة التي لا قيمة لها لاضطرار عيشه بالقناعة. =

قال الفرغاني[1] قدس سره: الموتُ عند أكثر الطائفة هو عبارةٌ عن انقطاع اللطيفة الروحانية المسمّاة بالروح الإلهي، وبالنفس الناطقة عن الاشتغال بالملاذّ البدنية بإقبالها على حضرات القرب عن الجناب الأقدس.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: الموتُ هو التوبةَ، قال تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] فمن تاب فقد قتل نفسه.

الموت الأبيض: يعنون به الجوعُ، فإذا كان السالكُ ممّن لا يعرف الشّبع، بل لا يزالُ جائعًا، فقد مات بالموت الأبيض.

الموت الأخضر: هو لبس المرقّع، وهو أن يقتصرَ على ما يسترُ العورةَ ممّا لا قيمة له، ولمّا لم يكن كذلك إلاّ الخرق الملقاة على المزابل، اقتصرَ صاحبُ هذا المقام من لباسه على ما يجمعه [٣٤٤/ب] منها ويغسله، لتصحَّ صلاتُه فيه، فمن اقتصرَ في لباسه على هذا القدر فقد ماتَ بالموت الأخضر، وحينئذ يحيا بجماله الذاتي المستغني عن التجمّل العرضي.

الموت الأسود: هو احتمال أذى الخلق، فإذا تحقَّق بالمقام الذي يصير فيه، بحيث لا يجدُ في نفسه حرجًا ممّا يناله من أذى الناس وسبهم وشتمهم وغير ذلك، فقد مات بالموت الأسود، وحينئذ: يحيا بالإمدادِ من حضرة الجواد، لأنه يكون ممّن شاهد النعم الباطنة عن غيره حين صارتْ في حقِّه ظاهرةً، لا يرى صدورَ الكلِّ إلاّ من محبوبه.

الموت الأحمر: هو مخالفةُ الهوى، وهذا هو الموتُ الجامع لباقي الموتات كلها، وإليه الإشارةُ بقوله عليه السلام لما كان رجعَ من قتال الكفار: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: يا رسول الله، وما الجهادُ الأكبر؟ قال: «مخالفةُ النفس»[2] وفي حديث

= ـ الموت الأسود: هو احتمال أذى الخلق، وهو الفناء في الله لشهود الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه. من «التعريفات».

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٤٢ـ٣٤٧.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٤٢٤ (١٣٦٢): قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بنْ علية. انتهى.

وأقول: الحديث في «الإحياء»، قال العراقي: رواه بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر أيضًا بلفظ: قدم رسول الله ﷺ من غزاة، فقال: «قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر...».

آخرَ: «المجاهدُ من جاهد نفسه»(١). قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فمن مات عن هواه فقد حييا بهداه من موت الضلالة، وبمعرفته من موت الجهل.

ويلاحظ تلقّيه بالعصمة في أطوار وجوده إيّاه بالإنسانية من البهيمية.

الإنسان الحقيقي: يعني به الإنسان الكامل بالفعل.

الإنسان الحيواني: يعني به الإنسان الغير الكامل، فإنه لمّا كان الغالبُ عليه أحكامَ الحيوانية من مقتضيات الشهوة والغضب وتوابعهما حين استهلكت روحانيته في جسمانيته، وانطفأ نورُ عقله في ظُلمة حسّه سُمّي بالإنسان الحيواني لأجل ذلك.

والإنسان الكبير: هو العالم في اصطلاح الأكثرين.

الإنسان الصغير: هو العالم عند الشيخ رضي الله عنه، كذا ذكر في «الفتوحات»(٢).

والبهيمة: كلُّ ذات أربع قوائم ولو في الماء، أو كلُّ حيٍّ لا يميّزُ، والجمع بهائم.

ويلاحظ تلقّيه في أطوار وجوده بعصمة الله تعالى إيّاه بالصفات المحمودة من الآفات جمع آفة بمعنى العاهة أو غرض مفسد بمعنى البلاء وبالعلم من الجهل، وبالزهد من الرغبة أي الدنيا ثم بعد هذا إن ارتقى صاحبُ اليد في أطوار وجوده بالتخلّق، أي: إنِ ارتقى إلى التخلق بالأخلاق الحسنة نظرَ ذلك المتخلّق إلى عصمته أي منعه تعالى إيّاه بالصبر من الجزع.

الصبر: حبسُ النفس عن الجزع، وبابه ضرب، وصبره حبسه، قال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ [الكهف: ٢٨] والجزع ضدُّ الصبر ونظر ذلك المتخلّق إلى عصمته تعالى إياه بالرضا من الصبر.

مطلب الرضا

قال الفرغاني(٣) قدس سره: الرضا هو أن ترضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، بحيث يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ الأشياء إليك، وأولاها عندك بالتعظيم، وأحقّها بالطاعة. وهو رضا العامة.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٠ و٢٢، والترمذي (١٦٢١) في فضائل الجهاد، باب فضل من مات مرابطًا. وهو حديث صحيح.

(٢) الفتوحات المكية: لم أجده في المطبوع منه.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٤٩٠ـ ٤٩٢.

ورضا الخاصة: فإنهم كما رضوا بالله ربًا، فكذا قد رضوا به مالكًا ومتصرّفًا في جميع أحوالهم بما قضى وقدّر، بحيث لا يجدُ الإنسان في نفسه حرجًا من قطع يده وموت ولده، وهذا هو معنى الوقوف الصادق. أي مع مراد الحق تعالى وقوفًا بالحقيقة من غير تردّدٍ في ذلك.

وهذا هو مطلوبُ أبي يزيد قدّس اللهُ سرَّه العزيزُ حيث قال له الحقُّ تعالى: ما تريد يا أبا يزيد؟ فقال: أُريد ألاّ أريد. فكان مطلوبُه الوقوفَ الصادق عند مراد الحقِّ تعالى [٣٤٥] من غير أن يمازج ذلك بإرادته، وهذا إنّما يتحقّق به حقيقةً من كان وجد أن نفسَه وروحَه وسرَّه بجميع ما يبدو ويقع في الوجود إنّما هو صادرٌ عن قدرة الله تعالى على وفق إرادته تعالى وحكمته، وحينئذ لا يكره شيئًا أصلاً، اللّهم إلاّ ما كان مُخالفًا للشرع، فهو يكرهه وينكره بلسان الشرع موافقةَ أمر الله له بكراهته وإرادته وإنكاره، فهو إنّما يُنكر المنكرَ لأمرِ الله وإرادته وإنكاره، لا من حيث كونه مراد الوقوع بمقتضى حكمة العليم الحكيم.

رضا المحب: قريب من رضا الخاصة الذي[1] بحيث لا يجدُ العبدُ في نفسه حرجًا من قطع يده وموتِ ولده، إلاّ أنّ هذا المحبَّ هو الذي يكون رضاه بكونه لا يجدُ لنفسه رضًا ولا سخطًا لسقوط مراداته، فإنَّ الرضا فرعٌ عن الإرادة، وقد سقطت في حقِّ هذا العبد بمشاهدته بأن [هذا] الواقع ليس إلاّ وفق إرادة الحكيم في صفة الرحيم بفعله، ومن كان هذا هو بالنسبة إليه أرجح وأَميز من شيءٍ غيره، فقد زالَ عنه التحكّم، وسقط الاختيار، وفقد التمييز، ولو أُدخل النار لا يرى إلاّ أنَّ ذلك عن إرادة الحقِّ الصادر عن الحكمة الرحيمية، وعند ذلك يتحقّق بالرضا عن الله في كلِّ ما يُريده، وفي ذلك تصحيح مقام الرضا المختصّ بأهل المحبة الصادقين فيها.

رضا الحق عن العبد: هو ثمرة رضا الخاصة، وهو ألاّ يفقدَ الحقُّ تعالى عبدَه حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه، وذلك بأن يكون العبد مُطيعًا لربِّه في كلِّ ما أمره به ونهاه، وهذا هو العبد الذي قد أرضى ربَّه.

رضا العبد عن الربِّ: هو رضا المحبِّ كما مرَّ، وهو ألاّ يبقى للعبد تعلّقٌ بغير ما أراده الحق تعالى له، وذلك بألاّ يجدَ في نفسه حرجًا في نفسه ممّا قدَّره الحقُّ تعالى وقضاه، ولو

(١) المثبت في لطائف الإعلام ١/ ٤٩١: رضا الخاصة بحيث.

في قطع يده وموتِ ولده، فإنَّ المحبةَ الحقيقية لا تصحُّ إلاّ مع محبة ما هو مراد للمحبوب. انتهى

ونظر ذلك المتخلّق إلى عصمته تعالى إيّاه بالشكر من الكفران.

الشكر: أحدُ أقسام الأخلاق التي عرفتَ أنّها لطالب الحقّ بمنزلة الأركان للصلاة.

وفي الشكر الاعترافُ بإنعام المنعم، والشكر في اللغة الثناءُ على المنعم بما يدلّ على أن الشاكرَ قد عرفَه، واعترفَ له بها، وبحسن موقعها عنده مع خضوع قلبه له لأجل ذلك.

وقيل: الشكرُ هو ملاحظة المرء لما أنعم الله عليه من إعطائه ما ينبغي، وصرف ما هو من المكروه كذلك، سواء كان الإعطاءُ والمنعُ راجعين إلى ما يتعلّق بالنفس أو البدن أو الدنيا أو الآخرة، مع تحريك الآلة التي هي المعبّرة عن ذلك بذلك.

وقال شيخ الشيوخ أبو إسماعيل الأنصاري قدّس الله روحه: الشكرُ اسمٌ لمعرفة النعمة؛ لأنَّها السبيلُ إلى معرفة المنعم، ولهذا سمّى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكرًا، ومصداقُ ما ذكره الشيخ ما رُوي أنّ داود عليه السلام قال: يا ربِّ كيف أَشكرُكَ، والشكرُ نعمةٌ أخرى منكَ أحتاجُ عليها إلى شكرٍ آخرَ؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود، إذا علمتَ أنَّ ما بكَ من نعمةٍ فهي منّي فقد شكرتني، وإن لم تذكرْ ذلك بلسانك.

وهذا هو الشكر له تعالى على نعمه التي لا تُحصى، فمنها الشكر على نعمة التخليق أولاً، ثم الشُّكر له على نعمةِ الهداية والتوفيق ثانيًا، ثم على التأييد في أداء الحقوق ثالثًا، ثم على [٣٤٥/ب] البلوغِ إلى رتبة التخلق[1] رابعًا.

ويندرجُ في الشكر الصدقُ، والتواضعُ، والحياء، والخُلق، والإيثار، والكرم، والفتوة؛ لأنّ هذه الأوصاف أوصافُ الأشراف الذين اعترفوا بالنعمة، فتخلّقوا بما ذكرناه شكرًا للمنعم بها. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[2] قدس سره.

والكُفر[3] بالضم، والقياسُ الفتح، وهو لغةً: الستر، وشريعةً: عدم الإيمان عمّا من شأنه، والكفرُ ضدُّ الإيمان، يتعدّى بالباء نحو: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٤٢: إلى رتبة التحقق.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٤١ـ ٤٢.

(٣) مادة (الكفر) من الكليات: ٤/ ١١١.

وضد الشكر. يتعدى بنفسه، يقال: كفره كفورًا أي كفرانًا، ويُقال: كفر المنعم والنعمة، ولا يقال كفَر بالنعمة وبالمنعم، والكفران أكثرُ استعمالاً في جحود النعمة، والكفور فيهما أي في جحود الدين والنعمة.

مطلب العدل

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه. **بالعدل من الجور**.

العدالةُ في اللغة: الاستقامة، وفي الشرع: عبارة عن الاستقامة على الطريق الحقّ بالاجتناب عمّا هو محظورٌ دينًا.

والعدلُ عبارةٌ عن الأمر المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط.

وفي اصطلاح الفقهاء: مَنِ اجتنبَ الكبائر، ولم يصرَّ على الصغائر، وغلب صوابُه، واجتنبَ الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق والبول فيه.

وقيل: العدلُ مصدرٌ بمعنى العدالة، وهي الاعتدال، والاستقامة وهو الميل إلى الحق. وقد سبق تفصيلُه.

والجور: الميل من القصد، وهو ضدُّ العدل.

وقيل: الجور هو خلافُ الاستقامة في الحكم.

والظُّلم قيل: هو ضررٌ من حاكم أو غيره.

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه **بالانتباه من النوم**.

الانتباه طورُ مبادي اليقظان بطريق زجر الحق للعبد تفضّلاً وعناية.

النوم هي حالةٌ تعرض للحيوان من استرخاء أعصابِ الدماغ من رطوباتِ الأبخرة المتصاعدة بحيث تقفُ الحواسُ الظاهرةُ عن الإحساس رأسًا. والنُّعاسُ أولُ النوم، والوسنُ ثقلُ النوم، والرُّقادُ النوم الطويل، أو خاص بالليل.

وقيل: السِّنَة ثقلٌ في الرأس، والنُّعاس في العين، والنَّوم في القلب.

والمراد ههنا نومُ القلب، وهو كنايةٌ عن عدم إدراكه من أنوار القرب لاستيلاء ظُلمة الحجب.

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه بالذكر من النسيان.

الذكر الظاهرُ: يعني به ذكر اللسان الذي بمداومته يحصلُ الخلاصُ من الغفلةِ والنسيان.

الذكر الخفي: هو الذكرُ بالجنان مع سكون اللسان.

ذكر السر: هو ما يتجلّى له من الواردات.

الذكر الشامل: يعني به استعمالُ الظاهر والباطن فيما يقرّب من الله عزّ وجل بحيث يكون اللسان مشغولاً بالذكر، والجوارح بالطاعة، والقلب بالواردات.

الذكر الأكبر: يعني به ما وقعت الإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] والمراد به كمالُ المعرفة والطاعة. قال عليه السلام: «أنا أعرفكم بالله وأتقاكم له»[1] فمن كان في معرفته وطاعته على هذا الحدِّ فهو صاحب الذكر الأكبر.

الذكر الأرفع: هو الذكر الأكبر؛ لأنه أَرفعُ الأذكار كما عرفت، ويُسمّى الذكر المرفوع أيضًا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فإنه تعالى رفعَه بذكره وطاعته إلى مرتبةٍ في الذكر لا يعلوها غيرُه من الخلائق.

الذكر المرفوع: هو الأرفع كما عرفت، وقد يعني بالذكر المرفوع ذكر الحق لعبده جزاءً له على ذكره [٣٤٦] لربّه كما جاء في الكلمات القدسية أنه تعالى يقول: «من ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم»[2] وعلى هذا حملوا معنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وذلك من باب الإشارة، لا من طريق التفسير، ثم إن في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارةً إلى رفع ذكره ﷺ بمعنييه، أعني: بمعنى إضافةِ الذكر إلى العبد، وبمعنى إضافته إلى الربّ، فالنبيُّ ﷺ ذكر الله ذكرًا عن حضورٍ وعرفان وإخلاص ومراقبة لا يصحُّ لأحدٍ من العبيد [أن يذكر الله بمثل ذلك الذكر، فذكر الله نبيّه ذكرًا لم يذكر أحدًا من العبيد] بمثل ذلك الذكر، فضلاً عن أن يذكر أحدًا لما هو أرفع منه.

وقيل: الذكر المرفوع: ذكر من فَني عن خلقيته وبقي بحقيقته، بحيث صارَ لسان الحق ذاكرًا للحق به.

---

(١) تقدّم الحديث مع تخريجه صفحة (١/ ١٨٢).

(٢) تقدّم الحديث مع تخريجه صفحة (١/ ١٨٢).

الذكر الحقيقي: يعني به الذكر المنسوب إلى الذاكر بالحقيقة، فإنّه لما كانت الأفعال كلُّها إنّما هي منسوبة إلى تخليق الحقِّ حقيقةً لا إلى العبد، كذلك صار الذكرُ الحقيقي إنما هو الذكر المنسوب إلى الحقِّ لا إلى العبد، لأن الذكرَ المنسوب إلى العبد ليس له هذه النسبة الحقيقية، فإنَّ ذكرَ العبد ليس هو الذكر الحقيقي. وقد عرفتَ أنَّ الأمر كذلك في هذا المعنى وغيره من جميع ما يضاف إلى الحق والخلق في باب التسمية الحقيقية والمجازية. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[١] رحمه الله.

والنسيان: وهو الغفلةُ عن معلومٍ في غير حالة السِّنَة، فلا يُنافي الوجوب، أي: نفس الوجوب، ولا وجوب الأداء.

وقيل: الفرقُ بين السهو والنسيان أنَّ السهوَ غفلةُ القلب عن الشيء، والنسيان غيبة الشيء عن القلب.

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه **باليقظة من الغفلة**.

اليقظةُ الفهمُ عن الله في زجره، واليقظةُ أولُ منازل السائرين التي يشتمل عليها قسم البدايات، الذي هو أولُ المنازل، لكونه لا يصحُّ السلوكُ مع عدمه إذ كان معناها الانتباه من سِنة الغفلة، والنهوض عن ورطة الفترة اعتبارًا بأهل البلاء، وتفرغًا للشكر على النعماء.

وفسّر شيخُ الإسلام[٢] اليقظة بالقومة في كتاب «المنازل» اتباعًا للآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سبا: ٤٦] فقال رحمه الله: القومةُ لله تعالى هي اليقظةُ من سِنة الغفلة، وإنّما كانتِ اليقظةُ هي أول منازل السائرين إلى الحقِّ؛ لأن العبد إذا استيقظَ قام، وإذا قامَ سار، فإذن اليقظةُ هي أولُ العزم على السير، ثم يتلوها القومة إلى السير لمن أراد ذلك.

وبدايةُ اليقظة التفهّم لعلم ما يحتاج العبد إلى معرفته في قضاءِ حقوق عبادته لمولاه، ثم التشميرُ لأدائها، ومعرفة آدابها، ونهايتُها خلعه لأحكام العادة عند قيامه بصور العبادة.

والغفلةُ: متابعة النفس على مشتهياتها.

وقال سهل: الغفلةُ إبطال الوقت بالبطالة.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٦٩ـ ٤٧١.

(٢) هو أبو زكريا الأنصاري الهروي صاحب كتاب «منازل السائرين».

وقيل: الغفلةُ عن الشيء هي ألاّ يخطر ذلك بباله.

ونظر ذلك المتخلّق إلى عصمته تعالى إيّاه بالصحو من السكر.

الصحو[1]: رجوعٌ إلى الإحساس بعد غيبةٍ حصلت عن واردٍ قويٍّ.

وصحو الجمع: ويقال: مقام صحو الجمع، ويعني به الإفاقة من سكر التفرقة والغيرية بالتحقّق بأحدية الجمعِ التي تنفي الأغيارَ والمغايرة، وقد يعبّر بصحو الجمع عن الفرقِ الثاني، وهو [٣٤٦/ب] المسمّى بجمع الجمع، وهو شهود الوحدة في الكثرة، وشهودُ الكثرة في الوحدة.

وصحو المفيق: ويقال: مقامُ صحو المفيق، ويعني بالمفيق من بلغَ إلى أعلى المقامات الذي هو مقام (أو أدنى) وهو مقامُ أحدية الجمع، ولهذا اختصَّ مقام صحو المفيق بأنّه هو مقامُ نبيِّنا محمد ﷺ؛ لأن مقام (أو أدنى) هو مقام الخاصّ به[2] ﷺ.

والسكر غيبةٌ بواردٍ قوي، والمراد بالغيبة عدمُ الإحساس، فمن غاب بواردٍ قوي سُمّي سكرانَ، وذلك أنَّ العبدَ إذا كوشف بنعت الجمال ـ الذي عرفته في باب تجلّي الأفعال ـ حصل له السكرُ، وطربُ الروح، وهامَ القلبُ، فإذا عاد من سكره سُمّي صاحيًا.

والصحو مختصٌّ بأهل السماع، فإن السكران لا يسمعُ ولا يفهم، كما أنَّ السكرَ حالُ صاحب الرؤية عندما ينقهرُ تحت سلطنة الجمال، وما يخفى أن الصحو والسُّكرَ بعد الذوق والشرب.

وقد يعني بالسكر رؤية الغير والغيرية، ويقابله صحو الجمع.

وقد يفسّر السكر بأنه حالةٌ للنفس تردُ عليها من عالم القدس، يؤدّي بها إلى ما هي بصدده من النظام المتعلّق بعالم الأجساد، بحيث يوجب الاختلال في الحركات والسكنات، ويقالُ الصحو، ويُراد به الرجوع عن تلك الحالة بحيث يزولُ ذلك الاختلال الواقع في النظام والعود إلى ما كان عليه بالتمام. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[3] رحمه الله تعالى.

---

(١) تقدم هذا التعريف للصحو صفحة (٣٣٩/أ.ب).

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢٥ـ ٢٦.

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٢٥ـ ٢٦.

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه بالخوف من الرجاء[١].

الخوف ما يحذرُ من المكروه في المستأنف، والخائفون من الله سبحانه منهم من يبلغُ به إلى حدِّ الانخلاع عن طمأنينة الأمن خوفًا من العقوبة، أو من المكروه[٢]، أو من الهيبة.

خوف العامة: من العقوبة تصديقًا للوعيد.

وخوف أرباب المراقبة: من المكر في جريان الأنفاس.

وخوف الخاصة: إجلالٌ وهيبة إذ ليس في مقام الخصوص وحشةُ الخوف، كما قيل:

كأنّما الطيرُ منهم فوق أرؤُسِهِم لا خوفَ حزنٍ ولكن خوفَ إجلالِ[٣]

فالهيبةُ والإجلال هو أقصى درجةٍ يُشار إليها في غاية الخوف، كما قال عليه السلام: «أنا أتقاكم لله وأشدُّكم منه خوفًا»[٤] فإنَّ الخوف من الإعراض إنّما يكون على قدر الإقبال، وحيث ما كان الإقبال أتمَّ كان الخوف من الإعراض أتمَّ وأشدَّ، وحيث لا أتمّ من الإقبال من الله عليه ﷺ، فكذا لا خوفَ أشدُّ من خوفه ﷺ.

الرجاء: الطمعُ في طول الأجل وبلوغ الأمل، ولهذا كان الرجاء حال الضعفاء من أهل السلوك عند هذه الطائفة، وذلك لما فيه من الرعونة التي هي الوقوفُ مع حظِّ النفس الذي يُرجى حصوله، وإنّما كان ذلك رعونةً لأنَّ هذه الطائفة أولُ طريقها الخروجُ عن النفس فضلاً عن شهواتها، لأنَّ مرادهم أن يكونوا بالله لا بأنفسهم.

رجاءَ المجازاة: يعني به الرجاء الذي يبعثُ العامل على الاجتهاد وتلذُّذه عند الخدمة، ويوجبُ له سماحةَ نفسه بترك المناهي، وهو ما يتوقّعه من المجازاة على قيامه بالأمر الذي وعد بالثواب عليه، وترك النَّهي الذي توعَّدَ بالعقاب على فعله، ومثل هذا إنّما ينشطُ في عمل الطاعات وترك الخطيئات لأجل ما يرجوه في الجنان عوضًا عمّا بذلَ من مراد نفسه وحظوظها

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٨٢): بالرجاء من الخوف. وهو الأصوب. وهذا وارد في لطائف الإعلام ١/ ٤٥٧.

(٢) في لطائف الإعلام ١/ ٤٥٧: من المكر.

(٣) البيت ورد في شرح أبيات الحماسة للمرزوقي ١٦٢٤ من غير عزو. وفي لطائف المعارف: لا خوف ظلم.

(٤) تقدّم الحديث مع تخريجه صفحة (١/ ٤٦٥).

[٣٤٧] فهو يترك ما يتركُ من المناهي التي هي مثل: شرب الخمر، والزِّنا، وأشباه ذلك من المحرمات الملذّة عند مقترفها لما يَرجوه من الرحيق المختوم، والحورِ العين، وغير ذلك ممّا وعده الحقُّ تعالى في دار الرضوان، فهو لولا ذلك لما هانَ عليه تركُ مصائد الشيطان، فلهذا صار هذا الرجاء ضعيفًا في نظر هذا الطائفة، إذ كان العامل عليه إنما ينشَطُ في عمله رجاءَ الجزاءِ، كمثل الصبي الذي ينشَطُ إلى حفظِ تلقينه رغبةً فيما وعِدَ عليه من الحلوى.

ورجاء أرباب الرياضات: هو تصفية القلوب لتستعدّ بذلك للقاء المحبوب بما يحملون على أنفسهم من المجاهدة لها على تركِ مألوفاتها وملذّاتها، وإنما كان هذا النوع من الرجاء ضعيفًا أيضًا لأنَّ أهلَ الرياضة مشغولون بتطهير القلوب، فهم بعد لم يبلغوا منازلَ القرب التي لا تحصلُ إلاّ بعد تطهير القلب.

ورجاء أرباب القلوب: هو لقاء المحبوب الحقّ جلّ قدسه، وإنّما يُعدُّ هذا النوع من الرجاء ضعيفًا أيضًا لأن الرجاءَ للشيء إنّما يكونُ في وقت الغيبة، وحيث أن الأمر عند هذه الطائفة إنّما يُبتنى على الحضور والمشاهدة، صار الرجاءُ عندهم من المراتب الواهية لا محالة بالجملة لما في الرجاء من تعلّق الهمّة بما لعلَّ اللهَ أراد غيره، فلهذا لا يعتدُّ بالرجاء من أعرض عن الإعراض، ونفى عنه الأغراض.

وقد يُقال: الرجاءُ هو ابتهاجُ النفس بملائمٍ لها أخطرتْ إمكانَ حصوله لها في المستقبل، والرجاءُ بهذا التفسير يشبهُ أن يكونَ عامًّا لكلِّ ما ذكر في الرجاء على اختلاف أقسامه. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[١] قدس سره.

مطلب البسط والقبض

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه. بالبسط من القبض قال في «الفتوح»[٢]: هو ـ أي البسط ـ عندنا حالُ من يسعُ الأشياء، ولا يسعُه شيءٌ. وقيل: هو حالُ الرجاء. وقيل: هو واردٌ توجبُهُ إشارةٌ إلى قبولٍ ورحمةٍ وأنس. والقبضُ ضد البسط.

وقيل في تفسير البسط: إنه عبارة عن كون النفس فيما هي بسبيله على نشاطٍ وطربٍ

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٨٢ـ ٤٨٤.

(٢) أي الفتوحات المكية ٢/ ١٣٣.

وبهجة يتّسعُ معها لقبول الواردات. والقبضُ ضدُّ ذلك[1].

وبسطُ الزمان: هو جعل ما قصرَ من الزمان طويلاً، وهذا حالٌ من تحقّق بمظهرية باطن الزمان، وأصله الذي هو الآن الدائم. وهذا هو الشخص المسمّى بصاحب الزمان.

والقبضُ يُطلق على معانٍ:

فمنها: أنّهم عنوا بالقبضِ واردًا يردُ على القلب أوجبه إشارةٌ إلى عتابٍ أو تأديب، فيحصل في القلب لا محالةَ قبضٌ لذلك.

وقيل: القبضُ أخذُ وارد القلب مثل أن يكون الواردُ ممّا يُوجب إشارةً إلى تقريبٍ، إو إقبالٍ بنوعِ لطف وترحيب، فإذا حصل للقلب انبساطٌ بسبب ذلك أعقَبه واردٌ بخلافه، فيسلب ذلك الوارد، ويبدّل الإشارة إلى التقريب بضدّه من التبعيد، والإقبال بضدّه من الإدبار، وحينئذ يحصل القبضُ لا محالة، وهذا إنما يقعُ في الأكثر لعدم مراعاة الأدب، ولهذا قالوا: قف على البساط، وإياك والانبساطَ.

وقال بعضهم: فُتِحَ عليَّ بابٌ من البسط، فزالت، فحُجبتُ عن مقامي.

وقد استعاذ بعضُهم من القبض والبسط لكونهما بالإضافة إلى ما فوقهما من الاستهلاك العبد، واندراجه في الحقيقة نفعًا وضرًّا.

وقيل: إن القبضَ حالُ الخوف في الوقت. وقد عرفتَ أنَّ الخوف ما تحذر من المكروه في المستأنف [٣٤٧/ب].

فالفرقُ بين الخوف والقبض هو أنَّ الخوفَ يتعلّقُ بما يتوقّع [وروده] من المكروه في المستأنف، والقبضُ لمكروهٍ حاصلٍ في الوقت.

وكذا الرجاء: هو ما يتوقّعُ من السرور في المستقبل، والبسطُ: بحصوله في الوقت، فصاحبُ الخوف والرجاء هو الذي يتعلّقُ قلبه في حالتيه بآجله، وصاحبُ القبض والبسط أخذ وقته بواردٍ غلب عليه في عاجله.

وقد ذكروا في تفسيرِ القبض وجوهًا قد ذكرنا بعضها.

---

(١) ورد هذا التعريف للبسط في لطائف الإعلام ١/ ٢٨٢.

ومنها: قولهم القبض خوفُ النفس[١] على وجهٍ يكاد يبطل دواعيها فيما هي عليه، ويمنعها عن التوجّهِ إلى شيءٍ من المطالب كأنّه قد قبضها وقيّدها عن أن تنشطَ في أمرٍ أو تبتهج به، وهو ـ أعني القبض ـ تختلفُ أسبابه، فتارةً يكون لانحلال القوى البدنية، وتارةً لقنوطٍ، وتارةً لإلهام، وتارةً لاستشعارها مالها من خُلق مذموم يُحاولُ تنحيته، ولتمكّنه منها يتعسّر عليها ذلك فتنقبض.

واعلم أنَّ القبضَ والبسطَ منزلان من منازل السائرين إلى الله عزّ وجل، ويشتملُ قسم الحقائق، وذلك أنَّ السائر ما دامتْ مكاشفاتُه ومشاهداته ومعايناته مقصورةً عليه فهو في قبضٍ، وإذا انبسطتْ منه حتى يحظى بها غيره بواسطته فهو في بسط.

وكذا فإنّه ما دام مدد السائر في مكاشفاته ومشاهداته ومعايناته في حضرةِ جلالِ الغيب وإطلاقه، فهو في قبضٍ؛ لأن السائر ينطوي حينئذٍ في تجلّيات القبض، فلا يتفرَّغُ للنظر والإدراك أصلاً، وإن كان مددُهُ من حضرةِ جمال الشهود، فإنه ينبسطُ ويظهرُ بصورةِ تمكّنٍ وسؤال، فيصير في بسطٍ، فربّما أسكره قوةُ ذوقه حتى تجاوز طوره، فإذا أمّحى[٢] تابَ وأناب، وذلك هو أعلى مقامات التوبة، وحينئذ يحصل له الاتصال، ثم الانفصال عن رؤيته.

وبهذا البيان يُعلمُ ترتيبُ قسم الحقائق على هذا النسق، وهي: مكاشفةٌ عند زوال الحجاب، ثم مشاهدةٌ لرؤية ما كان محجوبًا، ثم معاينة للتمكّن من شهوده، ثم حياةٌ من موت الفقد للمشهود، ثم قبض لاستهابة جلال الغيب، ثم بسط في مشاهدة الجمال، ثم سكرٌ بذلك الجمال، ثم صحو من ذلك السكر؛ لحصول الإقبال، وحينئذٍ يحصلُ الاتصال، ثم الانفصال عن رؤيتهما ـ أعني الاتصال والانفصال ـ لزوال الاعتدال الذي هو رؤيتهما إذ كانت نوعًا من الانفصال. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٣] قدس سره.

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه بالوجود من الوَجْد.

قال الفرغاني[٤] قدس سره: الوُجُود: هو وجدان الشيء نفسه في نفسه أو غيره في نفسه،

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٢٢٦: القبض حزن النفس.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٢٢٧: فإذا صحا.

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٢٢٥ـ ٢٢٧.

(٤) لطائف الإعلام ٢/ ٣٨٢.

أو في غيره في محلٍّ ومرتبة ونحوهما، فيكون الوجود على مراتب:

الوجود في التعيّن الأول. والمرتبةُ الأولى: وهو وجدان الذات نفسها في نفسها باندراجِ اعتبار الواحدية فيها وجدان مجمل مندرج فيه تفصيلُه محكومٌ عليه بنفي الكثرة والمغايرة والغيرية والتميّز.

الوجود في التعيّن الثاني والمرتبة الثانية: عبارة عن وجدان الذات عينها من حيث ظهورها وظهور صورتها المسمّاة بظاهرِ اسم الرحمن، وظهور صور تعيّناتها المسماة بالأسماء الإلهية مع وحده عينها، وصحة إضافة الكثرة النسبية إليها، فله حينئذٍ وحدةٌ حقيقية وكثرة نسبية.

الوجود الظاهر في المراتب الكونية: هو ظهوره في مرتبة الأرواح، والمثال والحسّ المسمّي كلّ تعيّنٍ منها من الوجود خلقًا وغيرًا [٣٤٨] لا محالة فمعنى الوجود في تلك المراتب صورة كل تعيّن منه نفسها ومثلها موجودًا روحانيًا أو مثاليًا أو حسّيًا.

الوجود الظاهري: هو تجلّي الحق باسمه الظاهر في أعيان المظاهر.

الوجود الباطني: هو وجود باطن كل حقيقة ممكنة.

الوجود العام: هو اسم الوجود باعتبار انبساطه على الممكنات. وبهذا الاعتبار يُسمّى صورةَ جمعية الحقائق، ويُسمّى أيضًا بهذا الاعتبار بالتجلّي الساري.

والوجد: قيل: إنه بمعنى الوجدان للشيء، والوجود له، ويتفاوت معناهما، والمراد بذلك مصادفة الشيء وملاقاته معنىً أو صورة.

وقيل: الوجدُ يُخَصُّ من بينهما بكونه عبارةً عمّا يصادف القلب من الحزن على فوت مطلوبه.

وقيل: الوجد عبارةٌ عن كلِّ ما يردُ على النفس، وتجده في ذاتها.

وخصَّ بعضُهم بما كان من ذلك متعلّقًا بالفضائل فقط.

وهو المنزلُ السادس من المنازل العشرة التي يشتملُ عليها قسمُ الأحوال.

والمرادُ بالوجد لهيبٌ يتأجَّجُ من شهودِ عارضٍ مقلقٍ، وذلك عندما تجد السرائرُ الألم والقهر العارض من العطش والقلق، وقد عرفتهما بحيث لا يكاد أن يغنيه.

ولهذا قالوا: بأن الوجدَ ما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن الشهود.

وقالوا: الوجدُ ثمرةُ الواردات التي هي ثمرات الأوراد، فمن ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه، ومن لا وردَ له بظاهره، فلا وجدَ له في باطنه، فليس له وجدان في سرائره. انتهى[١].

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه بالأنس من الهيبة.

الأنس: يعبّرون به عن روح القرب، وتارةً عن أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال. ويعبّرون أيضًا بالأنس إلى حضرة [حصول] الصحو بالحق، ولهذا قالوا: كلُّ مُستأنسٍ صاح. ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب.

وقالوا: أدنى محلِّ الأُنس أنّه إن طُرِحَ في لظًى لم يتكدَّرْ عليه أنسه.

قال الجُنيد قدس الله روحه: كنتُ أَسمعُ السريَّ يقول: يبلغُ العبدُ في أنسه إلى حدٍّ من الرضا بربه والأُنس بقربه حتّى لو ضُربَ وجهُهُ بالسيف لم يشعرْ به، وكان في قلبي منه شيءٌ حتى بانَ لي الأمر كذلك.

وقالوا: إنّ حالتي الأنس والهيبة وإن جلّتا، فإنّ أهلَ الحقيقة يعدُّونهما نقصًا لتضمُّنهما تغيّر العبد، فإن أهل التمكين سمت أحوالُهم عن التغير، لأنهم محوا في وجود الغير[٢]، فلا هيبةَ لهم ولا أنس ولا علم لهم ولا حسّ.

والأنس أحدُ المنازل العشرة التي يشتمل عليها قسمُ الأصول، والواصلُ إلى هذا المنزل على وفق الحكمة البالغة التي لا أبلغَ ولا أحكم منها، ويتحقّقُ بأنه لا بدَّ من وقوعها كذلك رعايةً لتلك الحكمة، فلهذا لا يهتمُّ صاحبُ هذا المنزل لنازلةٍ، ولا يغتمُّ لحادثةٍ، ولا يؤثّر فيه سماعُ ما يكره، ولا رُؤية ما لا يلائم؛ بل يكونُ دائمَ الأُنس بربّه، وبكلِّ ما يبدو منه، فهو يسمعُ الحكمة البالغة، ويراها في كلِّ ما يلائم طبعه فضلاً عمّا لا يلائمه، فلهذا لا يزالُ فرحًا بسّامًا بشّاشًا هشّاشًا مزّاحًا كما كان عليٌّ كرّم الله وجهه، فإنه لم يلقه أحدٌ في عين تلك النوازل الفظيعة والوقائع العظيمة إلاّ بسّامًا مزاحًا، حتى عابَ عليه مَنْ عاب عليه، فقال له: لولا دعابةٌ فيك. وذلك لكونه على بصيرةٍ ومعرفةٍ بكلِّ ما ينزلُ به من حيث أنَّه يرى [٣٤٨/ب] ذلك ممَّا لا بدَّ مندوحةَ عنه، ولهذا لا يؤثِّرُ شيءٌ من ذلك فيه، بخلاف مَنْ لم يكن متحقِّقًا بما حُتّم

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٨١ـ ٣٨٣.

(٢) في لطائف الإعلام: في وجود العين.

وقُدِّر، فهو يجزع عند وقوع ما قُضي عليه من الأمور التي لا محيصَ عمّا أراده اللهُ منها[١].

والهيبة[٢]: هي أثرُ مشاهدة جلال الله سبحانه في القلب، وقد تكون الهيبةُ عن الجمال الذي هو جمال الجلال.

وحقّ الهيبة الغيبة إذ كلُّ هائبٍ غائب، ثم تتفاوت الغيبة على حسب تفاوت الهيبة.

وقيل: الهيبةُ والأنس حالتان شبيهتان بالقبض والبسط تعرضان للنفس باعتبار ما يعتريها عند ملاحظتها للجنبة العالية، فإن لها حينئذ نسبتين:

أحدهما: نسبتها بحسب قياس اشتغالها بعلوّ تلك الجنبة، فإنه حينئذ لا ترى نفسها أهلاً للحظوة بتلك الجنبة لعلمها بأنَّ العالي لا يستأهله إلاّ من يكون كذلك، وحينئذ تعرضُ لها الحالةُ المسمّاة بالهيبة، فإنَّ من لا يرى نفسه أهلاً للقرب منه، ولا للانتساب إليه، فإنّه يهابُهُ لا محالة.

وثانيهما: حالة النفس بحسب ما يعرضُ لها عند ملاحظتها للإمداد الواصل إليها من حضرة الجواد بصنوف النعم والهبات الموجبة للأنس بالمنعم، كيف وهو المنعمُ بالوجود بعد العدم، وبالعلم بعد الجهل، وبالإيمان بعد الكفر، وبالأمن بعد الخوف.

ولا شكَّ أن ملاحظة الموهوب لصنوف ما أَنعمَ عليه الواهب من هذا الهبات يُوجب له الأنس بالواهب لا محالة. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٣] قدس سره.

مطلب الجمال والجلال

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه.

بالجمال من الجلال قال الشيخ رضي الله عنه في كتابه المسمّى بكتاب «الجلال والجمال»[٤]: واعلم أنّ الجلال والجمال ممّا اعتنى بهما المحقّقون العالمون بالله من أهل التصوف، وكلُّ واحدٍ نطقَ فيهما بما يرجعُ إلى حاله، فإنَّ أكثرَهم جعلوا الأُنس بالجمال

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٢٤٣_ ٢٤٤.
(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٣٧٤.
(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٣٧٤.
(٤) تقدمت رسالة الشيخ كاملة صفحة (٢/ ٢٩٢).

مربَوطًا، والهيبة بالجلال منوطًا، وليس الأمرُ كما قالوه، وهو أيضًا كما قالوه بوجهٍ ما، وذلك أنَّ الجلالَ والجمالَ وصفان لله تعالى، والهيبةُ والأُنس وصفان للإنسان، فإذا شاهدتْ حقائقُ العارفين الجلالَ هابت وانقبضت، وإذا شاهدت الجمال آنست وانبسطت، فجعلوا الجلالَ للقهرِ، والجمال للرحمة، وحكموا في ذلك بما وجدوه في أنفسهم، وأُريدُ إن شاء الله أن أُبيِّنَ عن هاتين الحقيقتين على قدر ما يساعدني اللهُ به في العبارة فأقول:

إن الجلالَ لله معنى يرجعُ منه إليه، وهو الذي منعنا من المعرفة به تعالى، إذ ليس لمخلوقٍ في معرفة الجلال المطلق مدخلٌ ولا شهود، وقد انفردَ الحقُّ به، وهو الحضرة التي يرى الحقُّ فيها نفسه بما هو عليه، فلو كان لنا مدخلٌ فيه لأحطنا علمًا بالله وبما عنده، وذلك محالٌ.

وأمّا الجمال فهو معنىً يرجع منه إلينا، وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا والتنزّلات والمشاهدات والأحوال، وله فينا أمران الهيبة والأنس، وذلك لأن لهذا الجمال علوًّا ودنوًّا، فالعلوُّ نسمّيه جلال الجمال، وفيه يتكلّمُ العارفون، وهو الذي يتجلّى لهم ويتخيّلون أنهم يتكلّمون في الجلال الأول الذي ذكرناه، وهذا جلال الجمال قد اقترن معه منّا الأنس والجمال الذي هو الدُّنوُّ قد اقترن معه منّا الهيبة، فإذا تجلّى لنا جلالُ الجمال آنسنا، ولولا ذلك هَلكنا؛ فإنّ الجلال والهيبة لا يبقى لسلطانها شيء [٣٤٩] فيقابل ذلك الجلال منه بالأنس منّا، لنكون في المشاهدة على اعتدالٍ حتّى نعقلَ ما نرى ولا نذهلُ، وإذا تجلّى لنا الجمال هبنا، فإنَّ الجمال مُباسطةُ الحقِّ لنا، والجلالَ عزّتُه عنّا، فيقابل بسطَه معنا وجماله بهيبةٍ، فإنَّ البسط يؤدّي إلى سوء الأدب، وسوءُ الأدب سببُ الطرد والبعد، ولهذا قال بعضُ المحقّقين: اقعدْ على البساط وإيّاك والانبساطَ، فإنَّ جلاله في انبساطه يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب، كما أنَّ هيبتنا في جماله وبسطه معنا يمنعنا من سوء الأدب، فكشفُ أصحابِنا صحيحٌ، وحكمُهم بأنَّ الجلال يقبضُهم والجمالَ يبسطهم غلطٌ، وإذا كان الكشفُ صحيحًا فلا نُبالي، فهذا هو الجلال والجمال كما تعطيه الحقائق، وما من آيةٍ في كتاب الله، ولا كلمةٍ في الوجود إلاّ ولها ثلاثةُ أوجه: جلال، وجمال، وكمال.

فكمالُها: معرفةُ ذاتها، وعلّةُ وجودها، وغاية مآلها.

وجلالها وجمالها: معرفةُ توجُّهها على مَنْ تتوجّه عليه بالهيبة والأنس، والقبض والبسط، والخوف والرجاء، لكلِّ صنفٍ شربٌ معلوم.

وجلال الجمال: عبارةٌ عن علوّ الجمال وعزّتِهِ عنّا، إذا تجلّى لنا تعالى في جماله فهو. وإن تجلّى لنا جماله، فإنّ عزَّةَ جماله تمنعنا عن إدراكه تعالى، ومعرفتِهِ على ما هو عليه، فسُمّيت تلك العزّة والمعنى التي يقتضيها الجمال جلاله.

فالفرقُ بين هذا الجلال وبين الذي في مقابلة الجمال هو أنَّ الجلال المُطلق معنىً يرجعُ منه إليه تعالى، وهو الذي يمنعنا عن أن نرى ذاتَه تعالى وتقدس، فلانفرادِ الحقّ تعالى به لم يصحَّ لغيره أن يراه فيه.

وأمّا جلال الجمال: فهو جلال الجمال الذي تجلّى لنا فيه بحيث لما تجلّى لنا فيه جمالُهُ كان جلالُ جماله مقترنًا بجماله، فكان تعالى لأجلِ تجلّيه بالجلال المطلق ممّا يستحيل علينا أن نُدركَه، ومن لم يعرف ما اختصّ به أهلُ السنة من بين سائر الطوائف حيث أثبتوا كونه تعالى مرئيًا بالأبصار في دار القرار مع تنزُّهِهِ عن الجهةِ والتحيّز وتوابعهما، بخلاف من نفى رؤيته من الفلاسفة والمعتزلة لأجل تَنزُّهِهِ عن الجهة، أو من أثبت الجهة لأجل رؤيته، فقد انفتحَ مما ذكرنا معنى الجلال والجمال المطلقين ومعنى جلال الجمال.

وأما جمال الجلال: هو حضرة الدنوّ التي منها تجلّى لعباده، وباعتبارها صحّتِ المعرفةُ له، وأهّلَ العبيدَ لعبادته، كما قيل:

جمالُكَ في كلِّ الخلائقِ سافرُ   وليس له إلاّ جلالُكَ ساترُ

وبجماله ظهر لخلقه بخلقه، وبجلاله حجبهم عن معرفته.

فالجمالُ سافرٌ، والجلال ساتر، ولمّا كان الجلال معنىً يُرجعُ منه إليه تعالى بحيث لا يصحُّ لغيره أن يراه فيه لانفراده تعالى بحضرة جلاله، لم يكنِ الجلالُ هو جلال الجمال بعينه. وقد سبق تفصيلُهما[1].

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه بالاعتدال من الجمال.

الاعتدال: هو توسّط حالٍ بين حالين في (كمٍ) أو (كيفٍ) وكلُّ ما تناسب فقد اعتدل.

يعني: الاعتدال كون العبد بين جلالِ الجمال وبين جمال الجلال، وهو الكمالُ لأن الجمالَ يُورث الانبساط.

---

(١) تقدمت الرسالة كاملة صفحة (٢/ ٢٩٢).

والانبساطُ مؤدٍّ إلى سوء الأدب، ولذلك قيل: اقعدْ على البساط وإيّاك والانبساط. والجلالُ يورثُ الهيبةَ، والهيبةُ مانعٌ في الحضرة من سوء الأدب، وهو الكمال.

ونظر ذلك المتخلّق إلى عصمته تعالى إياه بالوصال من الشوق[١].

الوصال: الوصل من باب المفاعلة، والوصل لغةً ضدُّ الهجران، وفي الاصطلاح يعني بالوصل التعيّن الأول تارة كما عرفت ذلك لكونه هو الوحدة الحقيقية، وهي الواصلة [٣٤٩/ب] بين الخفاء والظهور، وقد يعنون بالوصل سبقَ الرحمة المعبّر عنه بالمحبّة[٢] المشار إليه بقوله تعالى: «فأحببتُ أن أُعرف»[٣] وقد يعنون بالوصل قيّومية الحقّ تعالى للأشياء، وبالفصل تنزُّهه عن حدوثها.

قال جعفرُ الصادق رضي الله عنه: من عرفَ الفصلَ من الوصل، والحركةَ من السكون فقد بلغَ القرار في التوحيد. ويُروى: (في المعرفة). فعنى بالحركةِ التوجّه والسلوك، وبالسكونِ القرار في عين أحدية الذات.

وقد يعنون بالوصل فناءَ العبد عن أوصافه، وظهوره بأوصاف ربّه على الوجه اللائق بالإنسان، وهو المُشار إليه بإحصاء الأسماء الإلهية في قوله عليه السلام: «من أحصاها دخل الجنة»[٤] وقد عرفتَ كيفية الإحصاء تعلقًا وتخلّقًا وتحققًا.

وصل الفصل: هو شعب الصدع، وجمعُ الفرق كما عرفتَ من كونهم يعنون بذلك ظهور الوحدة في الكثرة، فإنّ الوحدةَ وصلتْ بين المتكثّرات من جهة كونها صارت قدرًا مشتركًا بينها، فوصلتْ بين المكثّرات المتميزة بالذات بعضها عن بعض، فوصلت فصولها حيث جمعتْ بوحدتها كثرتها، كما عرفت[٥] المتكثرات الواحد من حيث التعينات التي هي سبب تنوّعات الواحد.

والحاصل أن أحكامَ الوحدة لمّا ظهرت بالكثرة وحدتها، فوصلت فصولها، وجمعت بين

---

(١) ورد بعد هذه العبارة في المطبوع من المواقع (١٨٢): وبالرضا من الضيق، وبالرجوع. . . .
(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٠: المعبر عنه بالمحبية.
(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).
(٤) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).
(٥) في لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٠: كما عددت.

أشتاتها، ولمّا ظهرتِ الكثرةُ في الوحدة فصلت وَصلها، فصارت معددةً للواحد من جهة التعينات التي هي سبب التنوعات لظهور الواحد بمقتضى اختلاف الاستعدادات المتكثرات القابلة للتجلّي الواحد الواصل للفصول[١]، فلهذا كان فصل الوصل كما عرفتَ في باب اعتبار ظهور الواحد بمقتضى التكثرات القابلة للتجلّي، فكذا فافهم ههنا بأنّ وصل الفصل اعتبار ظهور الوحدة في الكثرة، بحيث وصلت فصولها.

وصل الوصل: هو العود بعد الذهاب، والصعودُ بعد النزول، فإنّ كلَّ أحدٍ من البشر لا بدَّ وأن ينزل من أعلى الرتب التي عرفتها أنها حضرةُ أحدية الجمع إلى أقصى درجات الكثرة الذي هو ظهوره لعالم العناصر، فمن [ثمَّ] ليس من أهل السلوك إلى الله [من لا يعود من الصعود بعد النزول] فإنه يقفُ في أقصى درجات الكثرة والانفعال، فلا يعودُ إلى الارتقاء عنها عندما يبلغ في النزول إليها، بخلاف أهلِ الكمال والعروجِ بعد النزول الذين خلوا عن جميع آثار الكثرة والإمكان بزوال التقييدات الخلقية وكمال الاتصاف بالصفات الحقية من الوحدة والعدالة الخلقية حتى أثبت له محو تشتت الغير، والغيرية صحو التحقق بمقام جمع الأحدية، فوصل وصله الذي نزل عنه إلى الفصل الحادث الذي لم يكن، وذلك بعوده إلى الوصل القديم الذي لم يزل.

الوصول إلى كمال القبول: يعني به الحصول في مقام المرآتية الكاملة، وهو أن يكونَ العبدُ مرآةً للذّات والألوهة كما عرفته في باب الاتحاد. انتهى[٢].

والشوق يعنون به قواصف قهر المحبة لشدّة ميلها إلى إلحاق المشتاق بمشوقه والعاشق بمعشوقه.

وعبّر شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري قدّس الله روحه بأنه: هبوب القلب إلى غائب. قال: وهو في مذهب هذه الطائفة علّةٌ عظيمة، لأنَّ الشوقَ إنّما يكون إلى الغائب، والحقُّ تعالى حاضرٌ لا يغيب، ولهذا كان مذهب هذه الطائفة إنّما قام على المشاهدة [٣٥٠].

انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٣] رحمه الله.

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٣٩١: الواصل المفصول.
(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٣٨٩ـ ٣٩٢.
(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٤٥.

ونظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه بالرجوع من الوقف.

الرجع: هو حركةٌ ثانية في سمتٍ واحد، لكن لا على المسافة الأولى بعينها بخلاف الانعطاف.

والرجوعُ: العودُ إلى ما كان عليه مكانًا أو صفة أو حالاً يقال: رجع إلى مكانه، وإلى حالة الفقر والغنى، ورجع إلى الصحة، أو إلى المرض، أو غير ذلك من الصفات.

والوقفةُ: هي الحبسُ بين المقامين لتصحيح ما بقي من بقايا ذلك المقام الذي وقع الارتفاع عنه، والتأدّب بالآداب التي يحتاج إليها للدخول إلى المقام الذي يقع الارتقاء إليه.

وقال القاشاني قدس سره: الوقفةُ هي التوقّفُ بين المقامين لقضاء ما بقي من حقوق الأول والتهيُّؤ لما يرتقي إليه بآداب الثاني.

الوقوفُ الصادق: هو الوقوف مع مُراد الحقِّ. انتهى[1].

والمراد بالرجوع من الوقف ههنا عصمتُهُ تعالى بعوده إلى وصل الوصل الذي هو الوصل القديم الذي لم يزل بعد نزوله منه إلى أقصى الدرجات السافلة.

والمراد من الوقف الوقوف عند أقصى درجات الكثرة الذي هو ظهوره في عالم العناصر الذي هو أنزلُ الدرجات كما مرّ آنفًا.

وهكذا نظر ذلك المتخلق إلى عصمته تعالى إياه في جميع الأحوال والمقامات كما ذكرنا في الأخلاق المتقابلة وأن يذرّعَ صاحب اليد بذراعه ذاته مع التكليفات لإقامة الوزن وإظهار العدل الذِّراع بالكسر من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى، وذرعَ الثوبَ كمنع: قاسَه بها **وأن يرتفق صاحب اليد بالاعتبار مرفقه بمولاه** الرفقُ ضدّ العنف، وقد رفقَ يرفُق بالضم رفقًا، ورفقَ به، وأرفقه، وترفّق به كلُّه بمعنًى، وأرفقه أيضًا: نفعه، والرُّفقة الجماعة التي ترافقهم في سفرك بضم الراء وكسرها، والجمعُ رفاق، والرفيقُ: المرافق، والجمع الرفقاء، فإذا تفرّقوا ذهبَ اسم الرفقة لا يذهب اسم الرفيق، والمِرفق والمَرفق موصلُ الذِّراع في العضد.

وفي «القاموس»: الرِّفق بالكسر ما استُعين به، واللُّطف، والمِرْفَق كمِنْبر ومَجلس

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٦-٣٩٧.

مَوْصِلُ[1] الذراع في العضد، وارْتَفَقَ اتّكأَ على مِرْفق يده، أو على المِخَدَّة، والمُرْتَفِقُ الثابت الدائم. انتهى

يعني أن يتكئَ صاحبُ اليد أي أن يعتمد ويثبت بالاعتبار مرفقه بمولاه **وأن يعتضدَ صاحبُ اليد به تعالى بعضدِه.** العضدُ الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف، وفيه أربعةُ لغات: بضم الضاد، وكسرها، وسكونها، وعضد بوزن قفل، وعضده من باب نصر: أعانه، والمعاضدةُ المعاونة، واعتضدَ به أي استعان.

وأن يساعد صاحب اليد الأوامر الإلهية بساعده السعد اليُمن ضدُّ النحس، وأسعده الله فهو مسعودٌ، ولا يقال مُسعد، والإسعادُ الإعانة، والمساعدة المعاونة، ومساعدة العبد ربَّه متابعتهُ أمره ورضاه.

وأن يكتفي صاحبُ اليد بمعرفته تعالى ومشاهدته تعالى بكتفه الكتفُ مثل كَبْد وكَبِد، والجمع الأكتاف، وهو نهايةُ الساعد، وكفاه مؤنته يكفيه كفايةً، وكفاكَ الشيءَ، واكتفيت به [٣٥٠/ب] واستكفيته الشيءَ فكفانيه، ورجل كاف وكف، **وأن يتأيَّدَ صاحب اليد أي يتقوّى في الأسباب الموصلة إلى سعادته بيده** والأسبابُ الموصلة إلى السعادة هي العبادات والطاعات.

وأن يتيامنَ صاحبُ اليد في ذلك الأسباب الموصلة إلى السعادة التي هي الأعمال الصالحة كلّه بيمينه اليُمْنُ بالضم: البركة والقوة، وتيامن: ذهب ذاتَ اليمين، وأَيمنَ الرجل ويمّن تيمّنًا ويامن: إذا أَتى اليمن، وكذا إذا أخذ في سيره يمينًا، واليمين: يمين الإنسان وغيره، وتيمّن به: تبرّك، يعني أن يتبرّكَ في الأسباب الموصلة إلى سعادته بمعنى يمينه.

وأن يوسر صاحبُ اليد على إخوانه بيساره.

اليسار خلاف اليمين، واليسار واليسارة الغِنى، يُقال: أيسرَ الرجلُ يوسر أي استغنى، صارتِ الياء في مضارعه واوًا لسكونها وضمة ما قبلها.

وفي «القاموس»: اليُسر بالضم وبضمتين، واليَسار واليَسارة والمَيْسَرةُ مثلّثة السين: السُّهولة والغِنى، وأُيسَر إيسارًا ويُسرًا صار ذا غنىً، فهو مُوسر، والجمع مياسير أو اليَسْر ضدُّ العسر. انتهى

---

(١) في الأصل (مفصل الذراع) والمثبت من القاموس.

يعني أن يُعطي على إخوانه بمعنى يساره وأن يشمل أي يعمَّ صاحب اليد جميع الخيرات والمحامد في نفسه بشماله، يقال: شِملهم الأمرُ بالكسر شمولاً عمَّهم، واليد الشمال: خلافُ اليمين.

وهكذا أي كما ذكر آنفًا بفعل صاحب اليد حتى يبلغ إلى [جميع] أسرار ما يتعلّق بأسماء يده وهي: البنان، والأظفار، والكف، والذراع، والمِرفق، والعضد، والساعد، والكتف، واليد، واليمين، واليسار، والشمال، وقد عرفت ما يتعلّق بها من الحكم والاعتبارات الموصلة إلى السعادة الأبدية صاحبها المتّصف بها أي بتلك الأوصاف المذكورة آنفًا فإن الله تعالى ما وضع شيئًا باطلاً في الوجود لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧] ولقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨] فما في الوجود شيءٌ إلاّ لحكمةٍ علمها أي تلك الحكمة الموضوعة في الأشياء مَنْ علمها، وجهلها مَنْ جهلها أي تلك الحكمة الموضوعة في الأشياء.

فالوجودُ كلّه ما انتظم منه أي من الوجود شيء بشيء، ولا انضافَ منه أي من الوجود شيءٌ إلى شيء إلاّ لمناسبةٍ بينهما ظاهرةٍ أو باطنة أي لمناسبةٍ ظاهرة أو لمناسبةٍ باطنة بينهما إذا طلبها أي تلك المناسبة الحكيم المراقب وجدها أي تلك المناسبة.

والمراقبُ صاحبُ المراقبة، أي المحافظ على الدوام بالملاحظة لما هو المقصود، وقد سبق تفصيلُ المراقبة.

كما حُكي عن الإمام أبي حامد الغزالي قدس الله سرّه العالي وهو من رؤساء جمع رئيس هذه الطريقة العلية وساداتهم جمع سادة وهي جمع السيد وكان أبو حامد قُدّس سره يرى المناسبةَ ويقولُ بها أي بالمناسبة فرأى يومًا بالقُدس حمامةً وغرابًا قد لصق اللَّصقُ واللسق واللزق بمعنىً، يُقال: فلانٌ لزقي ولسقي ولصقي ويلزقي [٣٥١] ويلسقي وبلصقي أي بجنبي أحدهما أي الحمامة والغراب بالآخر وأنس به، ولم يستوحش منه، فقال الإمام أبو حامد: اجتماعهما أي الحمامة مع الغراب لا يكون إلاّ لمناسبةٍ بينهما، فأشار الإمام إليهما بيده، فدرجا درجَ دروجًا ودرجانًا مشى، وإذا بكلٍّ واحدٍ منهما أي من الغراب والحمامة عَرَجٌ من باب طرب، فهو أَعرج، يُقال: عرجَ أي ارتقى وأصابه شيء في رجله، فَخَمَعَ أي ظلع، يعني

غمزَ في مشيه، وليس بخلقةٍ، وإذا كان خلقةً فعَرَجَ كفرح.

وكذلك اتفق لشيخ الشيوخ بمغربنا أبي النجا المعروف بأبي مدين قَدّس الله سره العزيز اتّفق له يومًا من الأيام أن علقَ خاطره بالغير أي بغير الحقِّ تعالى فماشاه أي مشى معه شخص، وهو أي الشيخ على ذلك الخاطر، فاستوحش منه أي من ذلك الخاطر الشيخ فسأله أي ذلك الشخص فإذا به أي ذلك الشخص مشركٌ بالله تعالى، فعلم الشيخ المناسبةَ الباطنة التي حصلت منها خاطرةُ الغير وفارقه أي الشخص المشرك.

فالمناسبة في سائر أي جميع الأشياء صحيحة، ومعرفتها أي معرفة المناسبة بين الشيئين من مقامات خواصِّ أهلِ الطريقة رضوانُ الله تعالى عليهم أجمعين. وهي أي معرفة المناسبة غامضةٌ جدًّا أي نهاية ومبالغة، والجدُّ في الأمر الاجتهادُ، وهو مصدر، والاسم بالكسر، ومنه فلان مُحسنٌ جدًّا أي نهاية ومبالغة، وضدُّ الهِزل بالكسر أيضًا، والغامضُ من الكلام خلافُ الواضح، فالمناسبةُ الظاهرة والباطنة موجودةٌ في كلٍّ أي جميع الأشياء حتى بين الاسم والمسمى كما أشرناها في أسماء اليد.

ولقد أشار أبو زيد السُّهيلي[1]، وإن كان أجنبيًا عن أهل هذه الطريقة الصوفية العلية ولكنّه قد أشارَ إلى هذا المقام في كتاب «المعارف والأعلام» له في اسم النبيِّ ﷺ محمد أو أحمد، وتكلّمَ على المناسبة التي هي بين أفعال رسول الله ﷺ وبين أخلاقه وبين معاني اسميه: محمد وأحمد، فالقائلون بالمناسبة الظاهرة والباطنة من طريقتنا وهم عظماءُ جمع عظيم أهلُ مراقبة قد مرّ بيانها وأهلُ أدبٍ وأهل اشتغالٍ بنفوسهم وبأحوالهم، ولا تكونُ معرفة المناسبة الظاهرة والباطنة بين الشيئين إلاّ [بعدَ] كشفٍ علمي أي العلم الذوقي ومشهد أي بعد مقام شهود ملكوتي.

[مطلب لا سيما]

ولا سيّما هي كلمةُ تنبيهٍ على أولوية المذكور بعدها بالحكم، وليس باستثناء.

وقيل: يستعمل لإفادة زيادة، تعلّق الفعلِ بما يذكر بعده.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي أبو زيد صاحب كتاب «الروض الأنف» (٥٠٨ـ ٥٨١هـ) حافظ عالم باللغة والسير ضرير توفي في مراكش.

والسيُّ بمعنى المثل، واحدُ سيّان، أي مثلان، و(لا) لنفي الجنس، و(ما) زائدة أو موصولة أو موصوفة، وقد تحذف (لا) في اللفظ، لكنه مراد.

وفي «شرح تلخيص الجامع الكبير» للبلباني: أنَّ استعمال سيما بلا (لا) لا نظر له في كلام العرب، ويجوز مجيءُ الواو قبل لا سيما، وعدم مجيئها إذا جعلته بمعنى المصدر، إلاّ أن المجيءَ أكثرُ.

وعدّه النحاة من كلمات الاستثناء، وتحقيقُه أنه للاستثناء عن الحكم المتقدّم للحكم عليه على وجهٍ أتمّ من جنس الحكم السابق، ولا يستثنى بلا سيما إلاّ فيما قُصد تعظيمه.

وفيما بعده ثلاثةُ أوجهٍ: [٣٥١/ب] الرفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوف، والجملة صلة (ما). والنصب على الاستثناء، والجر على الإضافة وكلمة (ما) على الأخيرين زائدة. فإذا قلت مثلاً: قام القومُ لا سيما زيد، فالجرُّ بأنّ يجعل (ما) زائدة، وتجر زيدًا بإضافة (سيّ) إليها، وخبر (لا) محذوف، كأنك قلت: لا سيّ زيد قائم، أو بأن يكون (ما) اسمًا مجرورًا بإضافة (سي) إليه، وزيد مجرور على البدل من (ما) فإنّ (ما) قد جاءت لذوي العقول، وأمّا الرفعُ فعلى أنّ (ما) بمعنى الذي، وزيد خبرُ مبتدأ محذوف، وذلك المبتدأ والخبر صلةُ (ما) فكأنّه قال: لا مثلَ الذي هو زيد.

وقد يحذف ما بعد (لا سيما) على جعله بمعنى خصوصًا، فإذا قلتَ: أُحبُّ زيدًا ولا سيما راكبًا، فهو بمعنى: وخصوصًا راكبًا، فراكبًا حالٌ من مفعول الفعل المقدّر، أي: وأَخصُّه بزيادة المحبة خصوصًا راكبًا، وبمعنى (لا سيما) لا ترما، ولم ترما، وأو ترما انتهى من «الكليات»[(١)].

للملامِيين مرّ تفصيله من أهلِ طريقتنا كشيبان الرّاعي، وأبي يزيد البِسطامي، ومن لقينا من المشايخ كالعُريبي، وأحمد المُرسي، وعبد الله البرّجاني، وجماعة منهم.

فإذا تخلّقتَ يا بني وفّقك الله ما نصفناه لك[(٢)] **في أسماء يدك** النصُّ أَصله الرفع البالغ، ومنه منصّة العروس، ثم نقل في الاصطلاح إلى الكتاب والسنة، وإلى ما لا يحتمل إلاّ معنىً واحدًا، ومعنى الرفع في الأول ظاهر، وفي الثاني أَخْذُ لازم النص، وهو الظهور، ويتعدّى

---

(١) الكليات ٥/ ٩٥-٩٦.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٨٥): ما قصصناه لك.

بنفسه، ثم عُدّي بعلى وبالباء وباللام فرقًا بينه وبين المنقول عنه، والتعديةُ بالباء لتضمين معنى الإعلام، وبعلى لتضمين معنى الإطلاق، وباللام لتضمين معنى الاختصاص.

وقيل: نصّ عليه كذا، إذ عيّنه، وعرَّضَ: إذا لم يذكرْه مَنصوصًا عليه، بل يُفهم الغرضُ بقرينة الحال.

وقد يُطلق النصُّ على كلامٍ مفهوم المعنى سواء كان ظاهرًا أو نصًا أو مفسرًا اعتبارًا منه للغالب، لأنّ عامةَ ما ورد من صاحب الشريعة نصوصٌ، وإذا لم يدرك مناط النص لزم الانحصار على المورد. والتنصيصُ مبالغةُ النص. انتهى من «الكليات»[1].

وأشرنا إليه[2] آنفًا من التخلّق فيجبُ عليك التحقّق بأمهات العطاء وقد مرّ مرارًا تفاصيلُ التعلّق والتخلّق والتحقّق، وأمُّ الشيء: أصلُه، والعطاء.

الذي هو أصل الوجود[3] **الظاهر والباطن وهو التحقّق بأمهات العطاء سبب كشف الغطاء** أي الحجاب عن عين العبد **في هذه الدار** أي الديار **وهو** أي أصل العطاء **الجود والكرم والسخاء والإيثار، فالجودُ عطاؤكَ** [ابتداءً] **قبل السؤال، والكرمُ عطاؤكَ بعدَ السؤال عن طيبِ نفسٍ لا عن حياءٍ** إلاّ عن طيب نفس لا عن حياء إلا عن **تخلقٍ إلهي، وطلبِ مقامٍ رباني، والسخاءُ عطاؤكَ قدر الحاجة للمُعطى إليه لا غير، والإيثار عطاؤكَ ما أنت محتاج إليه.**

واعلم يا بُنيّ أن بالعطاء صحّت الخلّة على ما قيل لإبراهيم ﷺ وبيان ذلك أنَّ الله تعالى أرسل إليه جبريل عليه السلام على صورة شخصٍ، فقال جبريل عليه السلام له أي لإبراهيم عليه السلام: **يا إبراهيم، أراكَ تُعطي الأودَّاء.** الوُدُّ بضم الواو وفتحها وكسرها المودّة، والود بالكسر الوديد، والجمع أودّ بضم الواو، وهما يتوادَّان، وهم أودّاء، والودود المحبُّ يعني بالأوداء المحبين **والأعداء** جمع العدو **فقال إبراهيم عليه** [٣٥٢] **السلام: تعلّمتُ الكرمَ من ربّي، رأيته لا يضيّعُهم** أي الأوداء والأعداء، ويعطهم **فأنا لا أُضيّعُهم** أي لا أهملهم. ضاع يضيع ضيعًا ويكسر وضيعةً وضياعًا: هَلَكَ وتلف، والشيءُ صار مُهملاً **فأوحى الله تعالى له لإبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم، أنت خليلي حقًا.**

---

(١) الكليات ٤/ ٣٦٦ـ ٣٦٧.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٨٥): وما أشرنا إليه.

(٣) في المطبوع من المواقع (١٨٥): هو أصل الجود.

مطلب تفسير الخلة

قال القاضي أبو الفضل[١] رحمه الله: اختُلف في تفسير الخُلّة، وأصلِ اشتقاقها.

فقيل: الخليلُ المنقطعُ إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبَّتِهِ له اختلالٌ.

وقيل: الخليلُ المختصُّ. واختارَ هذا القول غيرُ واحد.

وقال بعضُهم: أصلُ الخُلّة الاستصفاء، وسُمّي إبراهيمُ خليلَ الله لأنّه يُوالي فيه ويُعادي فيه، وخُلّةُ الله له: نصرُهُ وجَعْلُه إمامًا لمن بعده.

وقيل: الخليلُ أَصله الفقيرُ المحتاج المنقطع، مأخوذٌ من الخَلّة، وهي الحاجةُ، فسُمّي بها إبراهيم، لأنّه قَصَرَ حاجته على ربّه عزّ وجل، وانقطعَ إليه بهمّهِ، ولم يجعلْه قبلَ غيره. إذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المَنْجَنِيق ليُرْمى في النار، فقال: ألك حاجةٌ؟ قال: أمّا إليك فلا.

وقال أبو بكر بنُ فُوْرَك[٢]: الخلّةُ صفاءُ المودّة التي توجبَ الاختصاص بتخلّل الأسرار.

وقال بعضُهم: أَصلُ الخُلّة المحبة، ومعناها الإسعافُ والإلطاف والترفيع والتشفيع، وقد بيّنَ ذلك عزّ وجل في كتابه بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] فأوجبَ للمحبوب ألاّ يؤاخذَه بذنوبه.

قال: هذا، والخُلّة أَقوى من البُنُوة، لأن البُنُوّةَ. قد يكون فيها العداوة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] ولا يصحُّ أن تكونَ عداوةٌ مع خلّةٍ، فإذن تسميةُ إبراهيم ومحمد ﷺ بالخُلّة إمّا بانقطاعهما إلى الله تعالى، ووَقْفِ حوائجهما عليه، والانقطاع عمّن دونه، والإضرابِ عن الوسائط والأسباب، أو لزيادة الاختصاص منه لهما، وخفي أَلطافه عندهما، أو ما خالل بواطنَهما من الأسرار الإلهية، ومكنون غيوبه ومعرفته، أو لاستِصْفائه لهما، واستصفاء قلوبهما عمّن سواه حتى لم يخالِلْهما حبٌّ لغيره، ولهذا قال بعضُهم: الخليلُ من لا يتّسعُ قلبه لسواه. وهو معنى قوله عليه السلام: «ولو كنتُ

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٦٥ (٥٤٧) للقاضي عياض.

(٢) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبو بكر: عالم بالأصول الكلام، من فقهاء الشافعية. توفي بنيسابور سنة ٤٠٦. له كتب كثيرة. انظر الأعلام.

متّخذًا خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً، لكن أخوّةُ الإسلام»[١].

واختلف العلماء وأرباب القلوب: أيُّهما أرفعُ درجةً: الخُلّة أو درجة المحبة؟ فجعلهما بعضُهم سواءً، فلا يكون الحبيبُ إلاّ خليلاً، ولا الخليلُ إلاّ حبيبًا، لكنّه خصَّ إبراهيمَ عليه السلام بالخُلَّة ومحمدًا عليه السلام بالمحبّة.

وبعضهم قال: درجةُ الخُلّة أرفعُ، واحتجَّ بقوله عليه السلام: «لو كنت متّخذًا خليلاً غيرَ ربّي» فلم يَتَّخِذه.

وقد أطلقَ المحبّة لفاطمة وابنيها وأُسامة[٢] وغيرهم.

وأكثرهم جعلَ المحبةَ أرفعَ من الخُلّة، لأن درجةَ الحبيب نبيِّنا ﷺ أرفعُ من درجة الخليل إبراهيم عليه السلام.

وأصلُ المحبّة: الميلُ إلى ما يوافق المحبّ، ولكنْ هذا في حقِّ من يَصِحُّ الميل إليه منه والانتفاع بالوَفق، وهي درجةُ المخلوق، وأما الخالق جلّ جلاله المنزّهُ عن الأعراض فمحبَّتُهُ لعبده تمكينُه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئةُ أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه، وقصواها كشفُ الحُجُبِ عن قلبه حتى يراه بقلبه، وينظر إليه ببصيرته.

فيكون كما قال تعالى في الحديث القدسي: «فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرةَ الذي يُبصر به، ولسانَه الذي ينطق به»[٣].

ولا ينبغي أن يُفهم من هذا سوى التجرُّد لله تعالى والانقطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاءِ القلب لله، وإخلاص الحركات لله.

كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقُه القرآن[٤]، برضاه يَرضى، وبسَخَطِهِ يسخطُ. ومن هذا عبّر بعضُهم عن الخُلّة بقوله[٥]:

قـد تَخلَّلْـتَ مسلـكَ الـرُّوحِ منّـي ... وبـذا سُمّـي الخليـلُ خليـلا

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٤٨).
(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ.
(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٤٢٤).
(٤) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٥٦).
(٥) البيتان لبشار بن برد، الديوان...

فإذا ما نطقتُ كنتَ حديثي ... وإذا ما سَكَتُّ كنتَ الغليلا

فإذًا مرتبة الخُلّة وخُصوصية المحبّة حاصلةٌ لنبيّنا ﷺ بما دلّت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقّاةُ بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ . . . ﴾ الآية [آل عمران: ٣١].

حَكَى أهلُ التفسير أنَّ هذه الآية لما نزلتْ قال الكفار: إنّما يريدُ محمدٌ أن نتخذه حنانًا كما اتّخذتِ النَّصارى عيسى، فأنزل اللهُ عزّ وجل غيظًا لهم ورَغْمًا على مقالتهم هذه الآية: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] فزاده شرفًا بأمرهم بطاعته عليه السلام، وقرَنَها بطاعته عزّ وجل، ثم توعَّدهم على التولّي بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقد نقلَ الإمام أبو بكر بنُ فُوْرَك عن بعض المتكلّمين كلامًا في الفرق بين المحبّة والخُلّة يطول، جملةُ إشاراته إلى تفضيل مقامِ المحبّة على الخُلّة، ونحن نذكر منه طَرَفًا يهدي إلى ما بعده.

فمن ذلك قولهم: الخليلُ يصلُ بالواسطة من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥] والحبيبُ يصلُ لحبيبه به من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

وقيل: الخليل الذي تكون مغفرته في حدِّ الطمع من قوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢] والحبيبُ الذي مغفرتُهُ في حدِّ اليقين من قوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ . . . ﴾ الآية [الفتح: ٢] فابتداء بالبشارة قبل السؤال.

والخليلُ قال في المحنة: حسبي الله.

والحبيبُ قيل له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤].

والخليل قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

والحبيب قيل له: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح: ٤] أُعطي بلا سؤال.

والخليل قال: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

والحبيب قيل له: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفيما ذكرناه تنبيهٌ على مقتصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال انتهى من «الشفا»[١].

فإذا صحَّ منك يا بُنيَّ الزهد. زهد العامة التنزُّهُ عن الشبهات بعد ترك الحرام.

وزهد أهل الإرادة: النزاهة عن الفضول بتركِ ما زاد عمّا يحصل به المسكة وبقاء الرمق لقدرِ البلاغِ من القوت اغتنامًا للفراغ إلى عمارة الوقت والتحلّي بحلية الأنبياء والصدّيقين.

زهد خاصة الخاصة: هو إعراضُهم عن كلِّ ما سوى الله من الأغراض والأعواض الظاهرة أولاً والباطنة ثانيًا، وعن كلِّ ما هو غير ثالثًا.

والزهدُ في الزهد: معناه استحقارُك لما زهدتَ فيه، ولهذا كان الزهدُ في الدنيا سيئةً في نظر الخواصّ، فإنَّ ما سوى الحقِّ تعالى أي شيءٍ هو حتّى يُزهد فيه أو عنه؟ وقد مرّ تفصيله.

وكان الله الملك الملك وأنت العبد حصلت تحت الملك لا تملك أنت لأحدٍ غيره تعالى. والملك بالفتح وكسر اللام أدلُّ على التعظيم بالنسبة إلى الملك، وورود لفظ [٣٥٣] الملك في القرآن أكثر من ورود لفظ المالك إذ هو أعلى شأنًا من المالك.

وقيل: المالك اسمُ فاعل من الملك بالكسر، واسمُ الفاعل ما اشتقَّ ممّا حدث منه الفعل في الحال، والملك من له السلطنة والتصرّف بالأمر، والنهي في جماعةِ العقلاء، فهو صفةٌ مشبّهة من المُلك بالضم بمعنى الأمارة.

وتيقّنت عطف على (حصلت) **أنّك واسطةٌ فيما صرفتَ** أي أَعطيت بيدك، وإذا تيقّنتَ أنّك بواسطة فيما أعطيت بيدك، والمُعطي هو الله، لأنَّ العبدَ وما يملكه كان لمولاه **تبيّن فيك سقوطُ الدّعوى وتعيّن لك الافتقارُ إلى الملك الجبّار.**

[مطلب المقربين والأبرار]

ويرقى ذلك التيقّن أو التبيين **بك إلى منازلِ المقرّبين والأبرار، فشاهدتَ من الأسرار على قدر ما وهبَ لك الواهبُ.**

والقربُ: عبارةٌ عن الإقامة على الموافقة لأوامرِ الله وطاعته، والاتّصافُ في دوام

(١) الشفا ٢٦٥-٢٦٩.

الأوقات بعبادته، إلاّ أنّه لا يُعدُّ من أهل القرب مَنْ وقفَ مع رؤية قربه، لأنّ رؤية القربِ حجابٌ عن القرب، فمن شاهدَ لنفسه محلاً فهو ممكورٌ به.

وقد يُطلق القربُ على حقيقة (قاب قوسين) والمقرّب هو من أهل القرب.

والبِرُّ بالكسر: الصلةُ والجنةُ والخير والاتّساع في الإحسان والحجّ والصدقة والطاعة، وضدُّ العقوقِ وكلّ فعلٍ مرضي، فهو بِرٌّ بالكسر، وبالفتح هو من الأسماء الحُسنى والصادق وضدُّ البحر، والبارّ حيث وردَ في القرآن مجموعًا في صفة الآدميين قيل أبرار، وفي صفة الملائكة قيل بررة.

قال الله تعالى ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه: ٦٩] **فمن ألقى إرادةَ نفسه في بحر إرادة مولاه وميدانها** أي ميدان إرادته أي في الظاهر والباطن.

تولاّها مولاه، يعني: تولّى الحقُّ نفس ملقي الإرادة في إرادة مولاه، تولّى العمل: تقلّد، وتولّى عنه أعرض، والوليُّ: ضدُّ العدو، ويقال منه تولاه أي تحبّبه وتقرّبه.

بلطيف حكمته وأجرى مولاه عليها أي على تلك النفس سابقَ عنايته وهي مشيئتُهُ الأزلية، وهي إرادة الحق سبحانه، وهي صفةٌ قديمة اتّصفت بها ذاتُهُ كعلمه وقدرته وكلامه وسائر صفاته، ويُسمّى متعلّقها المراد، فمن تعلّقت بهدايته إرادةُ الحق أزلاً يسّرت أسبابه، وطُوي له الطريق، وحُمِلَ على الجادة والمحجّة البيضاء، ووُهِبَ سرَّ تدبير نفسه، وحبب إليه كل شيء، ونُعِّمَ به، ولا يمقت إلاّ ما مقته الله تعالى أدبًا شرعيًا، فهذه حالة المراد، وهو المعبّر عنها بالعناية.

فأحياها أي أحيى الحقُّ تعالى النفسَ الملقاة في الإرادة حياةَ السعادة والتمليك ملّكه الشيءَ تمليكًا جعله ملكًا له، والحياة هي بحسب اللغة عبارةٌ عن قوةٍ مزاجية تقتضي الحسَّ والحركة، ولا بدّ في حياة الباري تعالى من المصيرِ إلى المعنى المجازي المناسب له، وهو البقاءُ، ولا يجوز أن يكون عين الذات وقد سبق بيانه.

فامتحق أي بطل وانمحى **كلُّ باطلٍ وزور** لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] والزُّور بالضم الكذب والشِّرك بالله تعالى.

وخنسَ من دلاّه بغرور أي تأخّر عنه الغرور، أي: الشيطان ودلاّه بغرور: أوقعه فيما أراد

من تغريره، وهو من أدلاءِ الدلو، والغَرور بالفتح الشيطان، وبالضّم ما اغتُرَّ به [٣٥٣/ب] من متاع الدنيا.

ورُدّت الإرادة إليه أي إلى من ألقى إرادة نفسه في إدارة مولاه **بعدما ألقاها** أي الإرادة **وحصلَ لها** أي لنفس صاحب الإرادة **الشرفُ الكامل على أبناء جنسها، فتلك النفسُ المُطمئنةُ الرّاضية المرضية الداخلة في عبادِ الاختصاص وفي الفراديس العلية جوار الرحمن**، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۞ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۞ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ـ٣٠].

النفس الأمّارة هي التي تأمر بعمل السيئات بحيث ترى أن الصواب في فعلها دون تركها.

النفس اللوامة: هي التي إذا اقترفتْ خطيئةً أو ظُلمًا عرفتْ أن الصوابَ في ترك ذلك، فهي تلومُ نفسها عليه، لكن تجد من نفسها منازعةً عن الإقلاع.

النفس المطمئنة: هي التي صارت مطمئنةً على المداومةِ على الطاعات، بحيث لا ترى ميلاً إلى تركها، ولا طلبًا لشيءٍ من المعاصي، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۞ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۞ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.

فدخولها في العباد المضافين إلى الحضرة هو دخولها في زمرة الأرواح المقرّبين المكرمين الذين ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وذلك لاتّصاف هذه النفس المطمئنة بأوصاف المعتكفين على حظيرة القدس، وتخلّقها بأخلاقهم من النزاهة عن التلذّذِ بالجسمانية الدنية، وعن التلبيسات بأحكام الانحرافات الخلقية والنقائص الطبيعية بتنزُّهِها عن العادات المردية، وقيامها بأنواع العبادات المنجية، فصحَّ لها حينئذ الدخول في باطن الجنة، الذي هو سترُ غيب الذات بستور صُور الصفات، وذلك لخلعها ملابس الخلقية، وتحقّقها بصفة الوحدة الحقّية[1].

وكانت يداها أي النفس المطمئنة الراضية المرضية **مبسوطتين تُنفقُ كيف تشاء** من الأنوار والأسرار **لأنّها** أي النفس المطمئنة الراضية المرضية عند ذلك **كائنة في محلِّ الكشف**.
الكشف في اللغة رفعُ الحجاب، وفي الاصطلاح هو الاطّلاعُ، على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا.

---

(١) ورد تعريف النفس وفروعها في لطائف الإعلام ٢/ ٣٥٩ـ ٣٦٠.

لا تتحرّكُ أي النفس المطمئنة أو يداها **إلاّ عن الأذن** أي أذن الله تعالى، والأُذُن في اللغة الإعلام، وفي الشرع فكُّ الحجر وإطلاقُ التصرف لمن كان ممنوعًا شرعًا، **ومن كرامات صاحب هذا المقام** الذي يبطش بالرحمن كما مرّ تفصيله آنفًا **فبعضُ** كراماته **إدخال يده في جيبه**. جيبُ القميص ونحوه بالفتح: طوقُه، وهو ناصحُ الجيب أي القلب والصدر، وجيبُ الأرض مدخلها **فتخرج بيضاءَ من غيرِ سُوءٍ، كان هذا** أي إدخال اليد في الجيب وإخراجها بيضاء **معجزة لموسى** ﷺ **وبعض** كراماته **نبع** أي خروج **الماء من بين الأصابع، كان هذا معجزة لمحمد** ﷺ **وبعض** كراماته **رمي التراب في وجوه الأعداء، فانهزموا وكان هذا معجزة** لنبينا **محمد** ﷺ **وبعض** كراماته **قبض** من شاء الله من **الأولياء** [٣٠٤] **في الهواء، فيفتح عن فضة وذهب إلى أمثال هذا** من كرامات اليد، **ولصاحب اليمين المنزل الأعلى** ما عدا الكرامات المذكورة، يعني به.

ثم يرتقي العبدُ أي صاحب اليمين **بعد تخلّقه بما وصفناه آنفًا** من نظره إلى عصمته تعالى إياه بالصبر من الجزع، وبالرضا من الصبر، وبالشكر من الكفران، وبالعدل من الجور، وبالانتباه من النوم، وبالذكر من النسيان، وباليقظة من الغفلة، وبالصحو من السكر، وبالخوف من الرجاء، وبالبسط من القبض، وبالوجود من الوجد، وبالأنس من الهيبة، وبالجمال من الجلال، وبالاعتدال من الجمال، وبالوصال من الشوق، وبالرجوع من الوقف، وهكذا في جميع الأحوال والمقامات، يعني بعد التخلّق بتلك الصفات يرتقي العبد.

إلى عالم الغيب عالمُ الغيب يُطلق ويُراد بذلك ما ليس بمحسوسٍ كعالم الأرواح وعالم المعاني **فيشاهد** صاحبُ اليد **اليمينَ ماسكةً قلمها، وهي** أي اليمين التي هي القدرة الإلهية، وقد عرفتَ أن المرادَ من القلم هو روح نبينا ﷺ، ومن اللوح المحفوظ النَّفس الكلية **تخطّط** أي تكتب **العالمَ في لوح الوجود المحفوظ حرفًا حرفًا مشكولاً** بشكلة الحركات **منقوطًا لتمييز الحقائق بين المتماثلات والأشكال**.

المِثل بالكسر: أعمُّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، والنظيرُ أخصُّ منه، وكذا النِدُّ، فإنه يُقال لما يشاركه في الجوهر فقط كذا الشبه والمساوي والشكل، وقد يُطلق المثل ويُراد به الذات، تقول العربُ: مثلي لا يقال له هذا. أي: أنا لا يُقال لي هذا.

والشَّكلُ: بالفتح المثل، والجمعُ أشكال، يقال: هذا أَشكلُ بكذا. أي أشبه، والشكال

العقال، وأَشكلَ الأمر التبس، وكذا شكّلَ الكتابَ إذا قيّده بالإعراب، ويُقال أيضًا: أَشكلَ الكتاب، كأنّه أزال إشكاله والتباسه، والمُشاكلة الموافقة، والتشاكل مثله.

كالأنواع مثل الصنف أي النوع الإنساني مثلاً النوع اسم دالٌّ على أشياء كثيرة مختلفين بالأشخاص والنوع الحقيقي كلّي مقول على واحدٍ وعلى كثيرين متّفقين بالحقائق في جواب ما هو، فالكلّي جنسٌ، والمقول على واحد إشارةٌ إلى النوعِ المُنحصر في الشخص، وقوله: (وعلى كثيرين) ليدخل النوع المتعدد الأشخاص. وقوله: (متفقين بالحقائق) ليخرج الجنسَ، فإنه مقولٌ على كثيرين مختلفين بالحقائق، وقوله: (في جواب ما هو) لتخرج الثلاثة الباقية، أعني الفصل والخاصة والعرض العام، لأنها لا يُقال في جواب ما هو.

والنوع الإضافي: هي ماهية، يقال عليها وعلى غيرها الجنس قولاً أوّليًا أي بلا واسطة كالإنسان بالقياس إلى الحيوان، فإنه ماهية يُقال عليها وعلى غيرها كالفرس الجنس وهو الحيوان، حتى إذا قيل: ما الإنسان والفرس فالجوابُ أنّه حيوان، وهذا المعنى يُسمّى نوعًا إضافيًا، لأن نوعيته بالإضافة إلى ما فوقه وهو الحيوان والجسم النامي والجسم والجوهر احترز بقوله أوّليًا من الصنف، فإنه كلّي يقال عليه وعلى غيره الجنس في جواب ما هو، حتى إذا سُئل عن التركي والفرس بما هما، كان الجوابُ الحيوات [٣٥٤/ب] لكن قول الجنس على الصنف ليسَ بأوّلي، بل بواسطة حمل النوع عليه، فباعتبار الأولية في القول يخرجُ الصنفُ عن الحدّ، لأنه لا يُسمّى نوعًا إضافيًا **والنوع ذوات الأربع كالبهائم وذوات الجناح كالطيور وكذلك أصناف** أي أنواع **الجمادات** ما لا نماء لها كالأحجار **مع الحيوانات** ما لها حسٌّ وحركة **والحيوانات ما بين الناميات** ما لها نماء كالنبات **وغير الناميات** كالجمادات **فأمثال** متفرّقة متبيّنة بعضها عن بعض بذواتها **لم يحتجْ إلى نقطة، وما اشترك في النوع احتاجَ إلى فصلٍ في الأشخاص بأمرٍ عرضي** كالزاهد، والعابد، والصوفي، والفاسق، والكافر، والمؤمن.

مطلب الرباني والرحماني والإلهي

وفي طريقتنا كالرباني والرحماني والإلهي والرباني بمعنى المنسوبُ إلى الربّ، والربُّ اسمُ الحقِّ عزّ وجلّ باعتبار الانتشاء نسب الحقائق عنه تعالى وتقدس، فإنَّ كلَّ حقيقة كونية إنما ينسب انتشاؤها وتعينها عن حقيقة إلهية، فكلُّ ما تعيّن في وجوده العيني وظهر في

المراتب روحًا ومثالاً وحسًّا فإنّما ذلك عن اسم إلهي متعيّنٍ بتلك الحقيقة الإلهية بحيث تميزها ووضعها، فكان ذلك الاسم ربّها، فلا تأخذ إلاّ منه، ولا تُعطي إلاّ به، ولا تركعُ إلاّ إليه في توجهها ودعواتها بالحال أو القال في جميع المواطن، ولا ترى إلاّ إياه.

ورب الأرباب: هو التعيّن الأول لما عرفت أنه نهايةُ النهايات، وغايةُ الغايات، ومنتهى جميع الرغبات، والحاوي على جميع التعيّنات، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] إذ كان ﷺ هو مظهرُ التجلّي الأول[١].

والرحماني: بمعنى المنسوب إلى الرحمن، والرحمن اسمٌ لصورة الوجود الإلهي التي هي عبارةٌ عن الجمعية الحاصلة للأسماء الذاتية عند ظهورها بنفسها من بطون وحدة الذات.

الرحمة الأصلية: يعني بها الوجود، فإنّها أصلُ كلِّ رحمةٍ، ومنشأُ كلِّ نعمة لتبعية كلِّ النعم والهبات له، إذِ المعدومُ لا يوصف بشيءٍ من ذلك، وقد يعبّرون عن الوجود أيضًا بالرحمة الواسعة، وبالسابغة، وبالسابقة، والامتنانية لثبوت هذه المعاني له[٢]. وقد مرّ تفصيلُها.

والإلهية: وهي أحديةُ جمع جميع الحقائق الوجودية كما أنَّ آدمَ عليه السلام أحديةٌ [الجميع] جميع الصور البشرية. [إذ] للأحدية الجمعية الكمالية مرتبتان: أحدهما قبل التفصيل: لكون كلِّ كثرةٍ مسبوقةً بواحد هي فيه بالقوة هو، وتذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فإنّه لسانٌ من ألسنة شهود المفصل في المجمل، مجملاً مفصلاً ليس كشهودِ العالم من الخلق في النواة الواحدة النخيل الكامنة فيه بالقوة، فإنه شهود المفصل المجمل مجملاً لا مفصلاً، وهي شهودُ المفصّل في المجمل مفصلاً يختصُّ بالحقِّ وبمن جاء بالحقِّ أن يشهده من الكُمّل، وهو خاتمُ الأنبياء، وخاتم الأولياء. انتهى من «التعريفات»[٣].

والحاصل ما اشترك في النوع احتاج إلى فصلٍ في الأشخاص بأمرٍ عرضي كالزاهد والعابد والصوفي والفاسق والكافر والمؤمن، وفي طريقتنا كالرباني والرحماني والإلهي وفي

---

(١) تعريف الرب من لطائف الإعلام ١/ ٤٧٨.
(٢) تعريف الرحمن من لطائف الإعلام ١/ ٤٨٤ ومرت صفحة (. . .).
(٣) تعريفات الجرجاني: ٥٢.

المقامات كالملكوتي [٢٥٥] والجبروتي والملكي.

الملكوت: عالم الغيب: ويقال له: عالم الباطن، وعالم الأرواح، وعالم المعنى، وعالم الأمر أيضًا، ولكلِّ فردٍ من أفراد عالم الملك حيثيات تدخل بها في عالم الملكوت والجبروت عند أبي طالب المكي عالم العظمة، يُريد به عالمَ الأسماء والصفات الإلهية، وعند الأكثرين عالم الأوسط، وهو البرزخُ المحيط بالأمريات الجمة، والملك.

عالمُ الشهادة: ويقال له: عالم الظاهر، وعالم الأشباح، وعالم الصورة، وعالم الخلق أيضًا مثلاً زيد الزاهد والعابد أو غير ذلك، وفي مسلك الطريقة الرباني أو الرحماني أو الإلهي، وفي المقامات الملكوتي أو الجبروتي أو الملكي.

فلا يزال صاحبُ هذا المقام وهو من يشاهد اليمينَ ماسكةً قلمَها وهي تخطط العالم ينظر في ذلك التخطيطِ الشريف وينظر في إيجاد تلك الحروف المذكورة.

[مطلب الإبداع والإنشاء والاختراع والخلق والفطر والبرء والإيجاد والإحداث والفعل والتكوين والجعل]

على أبدع نظامٍ، بأحسنِ رقم، في أحسن لوح.

الإبداعُ: لغةً عبارة عن عدمِ النظير، واصطلاحًا هو إخراجُ ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود.

وقيل: أعمُّ من الخَلْقِ بدليل: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] و﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: ١٩] ولم يقل: بديعُ الإنسان.

وقيل: الإبداع إيجاد الأيس من الليس، والوجودُ عن كتم العدم.

والإيجادُ والاختراع: إفاضةُ الصور على المواد القابلة، ومنه جعلُ الموجود الذهني خارجًا.

وقال بعضُهم: الإبداعُ إيجادُ شيءٍ غير مسبوق بمادة ولا زمان كالعقول، فيقابل التكوين لكونه مسبوقًا بالمادة، والإحداث أيضًا لكونه مسبوقًا بالزمان.

والإبداعُ يناسب الحكمة، والاختراعُ يناسب القدرة.

والإنشاءُ: إخراجُ ما في الشيء بالقوّة إلى الفعل، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ [الأنعام: ٩٨] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

والفَطْر يُشبه أن يكون معناه الإحداث دفعةً كالإبداع.

في «الجوهري»: هو الشق، يقال فطرتُهُ فانفطرَ، والفطر: الابتداء والاختراع.

والبَرْءُ هو إحداث الشيءِ على الوجهِ الموافق للمصلحة.

وقال بعضهم: الإبداعُ، والاختراع، والصنع، والخلق، والإيجاد، والإحداث، والفعل، والتكوين، والجعل، كلُّها ألفاظٌ متقاربة.

أما الإبداع: فهو اختراعُ الشيءِ دفعةً.

والاختراعُ: إحداث الشيءِ لا عن شيءٍ.

والصنعُ: إيجاد الصورة في المادة.

والخلقُ: تقدير وإيجاد، وقد يُقال للتقدير من غير إيجاد.

والإيجادُ: إعطاء الوجود مطلقًا.

والإحداثُ: إيجاد الشيءِ بعد العدم، والفعل أعمُّ من سائر أخواته مطلقًا والإحداث إيجاد الشيء بعد العدم.

والفعلُ: أعمُّ من سائر أخواته.

والتكوين: ما يكون بتغييرٍ وتدريج غالبًا.

والجَعْل: إذا تعدّى إلى المفعولين يكون بمعنى التصيير، وإذا تعدّى إلى الواحدِ يكون بمعنى الخلق والإيجاد، ولا فرقَ على عرف أهل الحكمة بين الجعل الإبداعي والجعل الاختراعي في اقتضاء المجعول [إليه] وهو الماهية من حيث هي، والمجعولُ إليه وهو الوجود، وإن كان بينهما فرقٌ من حيث أنَّ الأول إيجاد الأيسِ عن مطلقِ اللَّيْس أي أعمُّ من أن يكون مقيّدًا بما ذكر أو غير مقيد به.

واعلم أنّ الحقائقَ من حيث معلوميّتها وعدميّتها وتعيُّنِ صورها في العلم الإلهي الذاتي الأزلي يستحيلُ أن تكون مجعولةً؛ لكونه قادحًا في صرافة وحدة ذاته تعالى أزلاً، غير أنَّ فيه

تحصيلاً للحاصل، فالتأثيرُ إنّما يتصوّر في اتّصافها [٣٥٥/ب] بالوجود، وهذا ما عليه المحقّقون من أهل الكشف والنظر.

والإبداعُ: من محسّنات البديع، هو أن يشتملَ على عدّةِ ضروبٍ من البديع كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ. . .﴾ إلى آخره [هود: ٤٤] فإنها تشتملُ على عشرين ضربًا من البديع، وهو سبعة عشر لفظة كذا في «الإتقان». انتهى من «الكليات»(١).

فإذا طال عليه أي على صاحب هذا المقام النظرُ في تخطيط جزئيات الكون وإيجاد تلك الحروف على أبدعِ نظامٍ بأحسن رقمٍ في أحسن لوحٍ وهي أي الجزئيات كثيرةٌ، والعمرُ أي الحياة قصيرٌ أي قليل والوقتُ عزيزٌ أي قليل والعبدُ مشغولٌ بتحصيله أي تحصيل الوقت له، بثَّ الله جوابَ إذا أي نشر الحق تعالى في نفسه أي نفس صاحب هذا المقام التضرّعَ والابتهالَ والرغبة إلى الله تعالى.

وضرع إليه ويثلَّثُ ضرعًا محرّكةً، وضراعةً خضعَ وذلّ واستكان، وتضرَّعَ إلى الله: ابتهلَ وتذلّل، أو تعرّضَ يطلبُ الحاجةَ. والابتهالُ التضرّع. وقيل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾ [آل عمران: ٦١] أي نُخلص في الدعاء.

وفي «القاموس» الابتهالُ: الاجتهادُ في الدُّعاء وإخلاصُهُ. ورغب فيه كَسَمِعَ رَغْبًا، ويضمُّ، ورَغْبَةً: أراده. وعنه لم يُرِدْه وإليه رَغَبًا محرّكة ورَغْبى ويُضمُّ ورَغْباء كصحراء ورَغَبوتًا ورَغَبُوتى: ابتهل.

أو هو الضراعةُ والمسألة إلى أن ينقله أي ينقلُ الحقُّ تعالى ذلك العبدَ المتضرّع الذي هو صاحب هذا المقام المفصّل إلى مقامٍ مختصرٍ ينحصرُ له أي لذلك فيه في ذلك المقام المختصر جميع الموجودات كلها، ليأخذ العبد المشاهد الحكمُ دفعةً واحدةً، فيعيش بها أي بتلك المشاهدة، أي مشاهدة اليُمني ماسكةً قلمَها، وهي تخطُّطُ العالم في أوقاته أي أوقات العبد المشاهد فإذا صدقتْ هذه الهمة منه أي إذا استحكمتْ وشدّت الهمّةُ من ذلك العبد المشاهد وتعلّقت الهمّة بالحقِّ لذلك أي لنقله الحق تعالى إلى مقام ينحصر له فيه جميع الموجودات وقالت الهمّة.

وقد عرفتَ بأنَّ الهمةَ تبعث السرَّ على السير في منازل المحبة ورتبها، وقد يُطلقُ بإزاء

---

(١) الكليات ١/ ٢١ـ٢٣.

تجريد القلب، وتطلق بإزاء جمع الهمم لصفاء الإلهام، وتطلق بإزاء تعلّق القلب بطلب الحقّ تعلّقًا صرفًا أي خالصًا من رغبةٍ في ثوابٍ، أو رهبةٍ في عقاب.

ولهذا قالوا: الهمَّةُ ما تثيرُ شدَّةَ الانتهاض إلى معالي الأمور.

ويقال: الهمَّةُ طلبُ الحقّ بأعراض عمّا سواه من غير فتورٍ ولا توانٍ، ويعبَّرُ بالهمّة عن نهاية شدّةِ الطلب. وقد مرّ تفصيلُها.

يعني: قالت الهمة: **يا مولاي، لو اختصرتَ لي معاينةً على الكمال في شيءٍ محصورٍ تُحيطُ به العين في لحظةٍ واحدةٍ على الدوام لا أفقده** أي ذلك الشيء المحصور الذي تُحيطُ به العين في لحظةٍ واحدةٍ. والمعاينةُ ظهور عين العين، وهو أعلى من المشاهدة والمكاشفة، كما مرّ بيانُها.

فإنّك قد تردّني إلى عالم الشهادة، فأغيب عن هذه المنازل العلية وهي مشاهدةُ اليمين ماسكةً قلمَها وهي تخطّط العالم، قال الله تعالى عند ذلك التمني لها أي للهمة: **يا أيتها الهمة، لك ذلك** التمني **فيفتح [٣٥٦] الله تعالى له** لصاحب تلك الهمة **باب**[1] **إلى مشاهدة نفسه** أي نفس صاحب الهمة **فيشاهد** صاحبُ الهمة **اليمينَ** أي القدرة المطلقة القديمة **تصقلُ** تلك اليمين **نفسَه الزكية، ومرآة قلبه الكريم** والضميران عائدان إلى صاحب الهمّة.

صقلَهُ جلاه، فهو مَصقول وصَقيل، والاسم ككتاب، وهو صاقلٌ، والجمع صَقَلة **فما زال يشهدها** أي يشهد صاحب الهمة، والمشاهدةُ اليمين التي تصقل نفسه ومرآة قلبه **حتّى إذا صقلتِ النفس ومرآة القلب وزالت عن النفس والقلب صدأها**.

والصدأُ: يُعبّر به عمّا يحصلُ من رسوخ صور الأكوان في القلب، ويحولُ بينه وبين تجلّي الحقائق فيه، وبين شهود الحقّ عزّ وجل؛ لكن عن غير أن يكون ذلك الحصول على وجهِ الاستيعاب لجميعِ وجه القلب، لأنّ حصولَه على وجه الاستيعاب يُسمّى رينًا وحجابًا.

يعني: حتى إذا زالت عن النفس والقلبِ صدأها **ورانها**. والرَّان هو الحجابُ الحائل بين القلب وبين تجليّ الحقائق فيه، عندما يستوعبُ صورَ الأكوان وجه القلب، فينطبعُ فيه ويرسخُ، وعند زوال الصدأ والران عن النفس والقلب **امتدَّتْ يدُ البسطِ إلى باب المشيئة** أي

---

(١) الأصل من كتاب مواقع النجوم: لصاحب باب إلى والجملة قبل الشرح.

إرادة الله تعالى **ففتحتْ** المشيئة أو يدُ البسط له أي للمشاهد **بابين**، **بابٌ جزئي وبابٌ كلّي**، **وجعلت** أي وضعت **المرآة الكريم الصقيلة تجاه** أي تلقاء وجه **الباب الكلّي**، **فانطبعت** أي انتقشت **فيه** أي في مرآة قلب المشاهد الصقيلة **الصورُ الكائنة خلف ذلك الباب الكلّي**، **وهي** أي الصور الكائنة خلفَ ذلك الباب الكلّي **منازل العالم الكبير بأسره** أي بجميعه **وحقائقه فتقعد**[1] **عند ذلك التجلّي عينُ البصيرة** يعني: عين القلب، لأن البصيرةَ قوةٌ باطنة للقلب كعين الرأس، ويقال هي عين القلب عندما ينكشفُ حجابُه، ويُشاهد بها بواطن الأمور، كما يُشاهدُ بعين الرأس ظواهرها، ولهذا قالوا: البصيرةُ ما يخلص من الحيرة **تنفرجُ** أي تنكشف عين البصيرة، **وتشاهد صور الكائنة خلف الباب في شيءٍ واحد وهو النفس** أو **القلب لا يتحيّر**.

الحيرةُ: هي حالةٌ تردُ على القلب بعد الغموض في التأمل، ويحجبُهُ عن التفكّر والتأمّل، وقد تردُ بعد تواصلِ الفيوضُ في التوجّه إلى الفائضات من الحقائق والمعارف.

فالحيرة على ضربين: محمودة ومذمومة، فالمحمودةُ من الطالبين والواصلين، وإن لم تكنْ بالوصل طلب. والتحيّر هو:

للعوام: عدم التمييز بين المطلوبِ وغيره، إمّا لعدمِ الاستعداد أو لتضييعه، وهذا هو التحيُّر المذموم.

وللخواص: حالةٌ تغلبُ قلب السالك، فتجعله مضطربًا بين اليأس والطمع.

ولأخصّ الخواص: تنشأُ من كمال المعرفة، وهذا هو المحمود، وهي مبنى الطالبين والعارفين، فهي حالةٌ مُذيبة لهم يطلبونُها إلى الفناء، وقد وردَ في الأدعية المأثورة: «ربِّ زني فيك تحيّرًا»[2]. انتهى

ولا يردُ صاحب المشاهدة رأسَه يمينًا ولا شمالاً، ولا إلى جهةٍ من الجهات [٣٥٦/ب] **ويتوجَّهُ إلى مشاهداته فإذا قَرَنَ** أي ضمَّ ووصل وشد **ما تجلّى في مرآة القلب مع المتجلَّى**[3]

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٨٧): فتغفل عين البصيرة.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٨١).

(٣) في المطبوع من المواقع (١٨٧): من المتجلى.

بفتح اللام نفسه جاءت أي صارت صورة المرآة أي مرآة قلب المشاهد **ألطفَ وأحسنَ وأحكم** اسم تفضيل من الحكم **وأَبدع** اسم تفضيل من البديع **من ذوات المتجلِّيات** بكسر اللام، وهي حقائقُ الصور الكائنة خلف ذلك الباب الكلِّيّ **وعلى قدر اللطافة لَطُفَ** كنصر دفق ودنا، والله لك أوصل إليك مرادك بلطفٍ، وككرم لطفًا ولطافة صغر ودقّ **والحسن والجمال تعظيم والعِظَم** بكسر العين خلاف الصغر **اللذّة في نفس المشاهد** لتلك الحقائق.

وأما الباب الجزئي الذي مرّ ذكره آنفًا **فهو باب حكم التجلي وحكم أسرار التجلّيات وحكم ما أبدع** أي اخترع **في طيّها** أي طي أسرار التجلّيات، والطَّيُّ ضدُّ النشر **من المعارف القدسية** بيان لما، والقدسيةُ منسوبةٌ إلى القدس، وهي المعارف الإلهية **والمعالم الربانية** والمعالم جمعُ المعلم، ومعلمُ الشيء كمقعد مظنُّه، وما يستدلُّ به كالعلامة، والربانية منسوبةٌ إلى الربِّ عطفٌ على (المعارف القدسية) **المتعلّقة بالحضرة الإلهية** صفةٌ للمعالم الربانية **وهي** أي أسرار التجلّيات والمعارف القدسية والمعالم الربانية المتعلّقة بالحضرة الإلهية التي **لا تتناهى لكونها** تلك الأسرار والمعالم والمعارف غيرَ **حاصلةٍ في الوجود الخارجي لأنَّ ذلك الحكم** للأسرار والمعارف والمعالم **راجعٌ إلى فهمك** وراجع **إلى ما يوجده الحقُّ فيك** أي في فهمك **عند مشاهدتك إيّاها** أي الأسرار والمعارف والمعالم **لا يرجع إلى ذواتها** أي ذوات الأسرار والمعارف والمعالم **فغايتها** أي غاية الأسرار والمعارف والمعالم المشهودة السببية في تحصيل الأسرار **التي تدلُّ عليه** أي على الحكم **عندك، فهي** أي الأسرار **حروفٌ وألفاظ** وقد مرّ تفصيلُ الحروف والألفاظ والآيات والسور في بيان الكتاب المبين، **وتلك الحروفُ والألفاظ جاءتْ لمعانٍ يوجدها** أي تلك المعاني **الحقُّ فيك** أي في فهمك **مقترنةً بشهودها** حال من مفعول يوجد، والضميرُ عائدٌ إلى الحروف والألفاظ.

ولا يكون فتحُ ذلك الباب أي الباب الجزئي الذي هو باب حكم التجلّي وأسرار التجليات والمعارف والمعالم **إلاّ على قدر ما يُريدهُ الواهبُ أن يفتحَ** منها من الأسرار والمعارف والمعالم على من شاء الواهب من عباده؛ **لكنه** أي الفتح **في المزيدِ على الدوام** يعني: يزيدُ الفتح ولا ينقصُ إذا فتح الباب **فمقامات العوالم محصورةٌ** محاط بها **ومعالمها** أي معالم المقامات وأسرارها **غيرُ محصورة** لا يُحاط بها **ثم لا يزالُ المشاهد كذلك** أي كما أشرنا آنفًا **يأخذ ذلك المشاهد من هذه العوالم المواهب الإلهية على مراتبها**.

مطلب العوالم

العالَم[١]: اسمٌ لما سوى الحقِّ عزّ وجل، وحقيقة العالم هو الوجود المقيّد بصفاتِ الممكنات، وهو بالنسبةِ إلى الحقِّ كالظلِّ.

وعالَم المعاني: هو حضرةُ المعاني [٣٥٧] الذي هو التعيّن الثاني كما عرفتَ أنّه سُمّي بذلك لتحقق جميع المعاني الكليّة والجزئية وتميّزها في علمه تعالى لاستحالة خلوِّ شيءٍ عن علمه تعالى.

وعالَم الجبروت: هو عالم الأسماء والصفات الإلهية والحقائق الكونية في العلم الأزلي، ويُسمّى مقام الجمع، وجمع الجمع، والمرتبة [الثانية] للألوهية.

وعالَم الملكوت: هو عالم الأرواح والملائكة.

وعالم الجمع: هو حضرة الجمع التي عرفتها، وقد يعني به عالَم الجبروت، ويعني بعالم الجمع شهود الوحدة في الكثرة بحيث يشاهد الذات من حيث واحديتها المشتملة على جميع الأسماء والحقائق.

وعالم الأمر: هو عالم الملكوت سُمّي عالم الأمر لوجوده عن أمر الحقِّ من غير سبب.

وعالم المُلك: هو عالم الأجسام والجسمانيات.

وعالم الخلق: هو العالم الجسماني، وهو ما وجد عن الحقِّ بواسطة سبب.

وعالم الصور: يُراد به عالم الصور الجسمانية العلوية منها والسفلية وهو عالم الأجسام.

وعالم الغيب: يطلق ويراد بذلك ما ليس بمحسوس كعالم الأرواح وعالم المعاني.

وعالم الشهادة: هو عالم الأجسام.

والعالم الكبير: يراد به جملة الممكنات.

والعالم الصغير: يُراد به الإنسان وهكذا هو عند الأكثرين.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[٢]: إن العالم الكبير هو الإنسان الكامل، وإن

---

(١) ورد تعريف العالم وأقسامه في لطائف الإعلام ٢/ ٩٩ـ ١٠١.

(٢) تقدّم القول صفحة (٤٠٤) و(٩٩٥) ولم أجده في الفتوحات المكية.

الإنسان الصغير هو العالم؛ وذلك لكون الإنسان الكامل قد جمع كلَّ ما في العالم، وليس في العالم عند قطع النظر عن الإنسان الكامل كل ما فيه، وقد مر بيانه.

والحاصل **يأخذ المشاهدُ من هذه العوالم المواهب الإلهية على مراتب العوالم ويدفعها** أي تلك المواهب الإلهية **للفقراء ممن دونه في المراتب والمنازل على مراتبهم ومنازلهم، وحجابُ غفلة الكون دونه مسدول** مرخى، يقال: سدلَ ثوبَه أي أرخاه، وبابه نصر، ودون ضدُّ فوق، وهو تقصيرٌ عن الغاية، وتكون ظرفًا، والدونُ: الحقير، ويقال: هذا دون ذاك أي أقرب منه، ويقال في الإغراءِ بالشيء: دونكه.

يعني حجاب غفلة الكون عند ذلك الشهود مسدول **حتى تمتدَّ له اليدُ المقدسة** أي القدرة القديمة الكاملة المقدّسة عن نقائص الإمكان، والمنزّهة عن الكمالات اللازمة للأكوان **فكلُّ شيء[1] هالك إلا وجهه** يعني عند امتدادِ اليد المقدسة للمشاهد يُكشفُ له سرُّ قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وهو العدمُ الأصلي كما قال أبو حامد الغزاليُّ قدّسنا اللهُ بسره العالي: ليس للأشياء من ذواتها إلاّ العدم المحض. وهي من هذا الوجه معدومة، ووجودُها إنّما هو بالوجه الذي يلي موجدها، فكلُّ شيءٍ هالك بالنظر إلى ذاته، وهو موجودٌ بالنظر إلى إيجاد الحق له، لأن وجوداتِ الممكنات عارضةٌ وعاريةٌ لها من وجود الحقِّ رفيع الدرجات، والوجودُ العارضي لا يستقلّ في حدِّ ذات الممكن الموجود، لأنَّ الممكنَ إذا لم يكن شيئًا موجودًا قبل عروض الوجود له يقتضي أن يكونَ معدومًا، وبعد عروضِ الوجود له يصيرُ موجودًا بالوجود العارضي، فليس له وجودٌ مستقلٌّ في ذاته، فثبتَ أنّه هالكٌ معدوم في حدِّ ذاته عند اتّصافه بالوجود العارضي، كما هو معدومٌ قبل اتّصافه بالوجود، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] [٣٥٧/ب] لأنَّ وجودات الممكنات إنما كانت باستنادها إلى واجب الوجود الذي له الفيضُ والجود، بحيث لو اعتبر انفكاكَ تلك الوجودات عنه لكانتْ هالكةً معدومةً في حدِّ ذاتها، ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[2]: الأعيان ما شمّتْ رائحةَ الوجود، وإنما تلبّست بوجودِ الحقِّ، وانتقلتْ من عالم الأمر إلى عالم الخلق الإيجادي ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٨٨): بكلّ شيء هالك.

(٢) لم أجده في الفتوحات المكية.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[١] في الجواب عن السؤال السابع والتسعين للحكيم الترمذي حيث قال: ما حظُّ المؤمنين[٢] من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أيْ كلُّ ما يُطلق عليه اسم (شيء) فهو هالك، وإن كان مظهرًا، فهو فيه حال كونه في شيئيةِ عينه، وهي هالكةٌ، فهو هالك في حال اتّصافه بالوجود، كما هو هالك في حال اتّصافه بالهلاك الذي هو العدم، فإنَّ العدمَ للمكن ذاتيٌ أي من حقيقة ذاته أن يكونَ معدومًا، والأشياءُ إذا اقتضتْ أمورًا لذواتها، فمن المحال زوالها، ومن المحال زوال حكم العدم عن هذه العين الممكنة سواءً اتَّصفتْ بالوجود أو لم تتَّصف، فلمّا استحقَّ الحقُّ الوجود لذاته استحالَ عليه العدمُ، كذلك إذا استحقَّ الممكنُ العدم لذاته استحال وجوده، ولهذا جعلناها مظهرًا. انتهى.

فيلوح أي يلمع له للمشاهد عند ذلك الكشف من سر قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ **حجابُ الكون وسُدُّ الغفلة أمامه** أي قدّام المشاهد السُّدّ بالضم الجبل الحاجز، وكلُّ مانعٍ سد، والغفلةُ متابعة النفس على مشتهياتها. وقيل: إبطالُ الوقت بالبطالة. وقيل: الغفلةُ عن الشيء هي ألاّ يخطرَ ذلك بباله **فترتفع الهمّةُ لخرق** أي لشقِّ **ذلك** أي سُدّ الغفلة **ورفع الحجاب** أي حجاب الغفلة.

والحجابُ كلُّ ما سترَ مطلوبَك، وهو عند أهل الحقّ: انطباعُ الصُّور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلّي الحق.

وحجابُ العزة: وهو العمى والحيرة، إذ لا تأثيرَ للإدراكات الكشفية في كُنْهِ الذات، فعدمُ نفوذها فيه حجابٌ لا يرتفع في حقِّ الغير أبدًا.

فيُنادى على البناء للمفعول، أي: يُنادي الحقُّ لصاحب الهمّة عند ارتفاع الهمّة لخرقِ ذلك السُّد، ورفع الحجاب: **لا يصلُ إلينا من استمسك** أي قبض **يدَهُ بشيءٍ من غير حضرتنا، فازهدْ** أي أعرض عن الدنيا وما فيها، واتركها لأهلها **تجدِ الغنى** والراحة **الغِنى الحقيقي** هو الله تعالى، فإنَّ اللهَ غنيٌّ عن العالمين. وأمّا من صار غنيًا بالغني لكونه مظهرًا لهذا الاسم فهو من استغنى بالحقِّ عن كلِّ ما سواه.

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ٩٩.

(٢) في الأصل: ما حفظة المؤمن.

واترِكِ العالَمَ وموجِدَهم[١] أي واترك أهل العالم لموجدهم يفعلُ ما يشاء، ويحكمُ ما يريد. أتريدُ أن تكونَ رزَّاقًا ثانيًا فيثوب القلبُ عند سماع ذلك الخطاب من الله تعالى، ويستغفرُ اللهَ، ويتضرَّعُ إليه، ويغمضُ عينه عن ملاحظة نفسِها أي نفس العين، ومشاهدة مرآتها أي مرآة العين، فتُطوى اليمين عند ذلك أي عند انغماضِ العين عن ملاحظة نفسها ومشاهدة مرآتها [٣٥٨] سماء القلب اقتباس من معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وتميط أي تُزيل اليمين عنه أي عن القلب أكوانه أي أكوان القلب.

الكونُ: اسمٌ لما حدث دفعةً كانقلاب الماء هواء، فإنَّ الصورة الهوائية كانت للماء بالقوة، فخرجتْ منها إلى الفعل دفعة، فإذا كان على التدريج فهو الحركة.

وقيل: الكونُ حصولُ الصورةِ في المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها.

وعند أهل الحق، الكون: عبارةٌ عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث أنه حقٌّ.

وقيل: الكونُ يعني به كلَّ أمرٍ وجودي.

وعند ذلك الطَّيِّ والإماطة أي إزالة الأكوان تبدو أي تظهر في القلب العين السليمة عن الظنِّ، وهو عين اليقين التي هي عبارة عن مشاهدةٍ وكشف.

واعلمْ أنّ اليقين في مُطلق العرف ما لا يدخله مريب.

وعلم اليقين: ما كان كذلك، لكن بشرطِ الاستناد إلى الدليل والبرهان.

وعين اليقين: ما حصل عن المشاهدة، فإن كان حصوله على وجهٍ لا يمكن أتمّ منه، فهو حق اليقين.

فإذا بدت أي ظهرت العينُ السليمة شاهدتِ العين السليمة اليمين اليمين أي يمينَ الحقِّ يمينَ صاحب العين، يعني قدرةُ العبد إنّما تكون مفاضةً من قدرة الله تعالى.

وشاهدتِ العين السليمة النعتَ النعتَ أي صفة الحقِّ صفةَ صاحب العين، يعني صفة العبد، إنما تكون مفاضةً من صفة الله تعالى.

---

(١) جاء في هامش الأصل: قوله: (واترك العالم وموجدهم) أي: مع موجدهم، يعني: فوّض أمور العالم لموجدها يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وشاهدت العين السليمة **الاسمَ الاسمَ** أي اسم الحقّ اسم صاحب العين، يعني اسم العبد إنّما يكون مُستفيضًا ومستمدًّا من اسم الله تعالى.

وشاهدتِ العين السليمة **الذات الذات** أي ذاتَ الحقّ ذاتَ صاحب العين، يعني ذات العبد، إنما تكون مفاضةً من ذات الله تعالى:

يعني يكون صاحبُ العينِ مظهرًا تامًّا للقدرة والنعت والاسم والذات.

وعند ذلك المشاهدة اجتمعَ الكلُّ.

الكلُّ في اللغة اسمُ مجموع المعنى، ولفظه واحد، وعند أهل الحقّ الكلُّ اسمٌ للحق باعتبار الحضرة الواحدية الإلهية الجامعة للأسماء كلها، ولهذا يُقال: أحدٌ بالذّاتِ كلٌّ بالأسماء.

وانتظم **الشملُ** أي ما تشتَّت، كما يُقال: جمعَ اللهُ شمله، أي: ما تشتَّتَ من أمره، وفرّقَ اللهُ شمله، أي: ما اجتمعَ من أمره **واطّلعَ** أي عَلِمَ صاحبُ العين السليمة، كما يقال: طلع على الأمر طُلوعًا عَلِمَه، كأطلعه **على عالم الملك بأسره** أي بجميعه **فوجده** أي صاحبُ العين السليمة وجدَ الملك **في قبضته مُرتقمًا** أي منتقشًا **في حقيقة اللُّطف منه سبحانه وتعالى في مرآة قلبه، لأنه** أي المشاهد الذي هو صاحب العين السليمة **شاهده** أي شاهد الملك **في مرآةِ موجده تعالى فارتقم** أي انتقش بطريق الانعكاس **فيه** أي في قلبه **من لُطفٍ إلى لطف** من مرآة الحقّ إلى مرآة قلبه، لطفَ الشيءُ من باب ظرفَ أي صغر، فهو لطيف، واللُّطفُ في العمل: الرفقُ فيه، واللطف من الله تعالى: التوفيق والعصمة، وألطفه بكذا برَّهُ به، والاسم اللَّطَفُ بفتحتين، يقال: جاءتنا لطفةٌ من فلان بفتحتين، أي هدية، والملاطفة المبارّة [٣٥٨/ب] والتلطّف للأمر الترفّق له.

وهذا هو المقام الذي يشاهد المشاهد فيه أي في ذلك المقام **الخلق في الحق، وهذا مقامُ** مشاهدة استهلاك الكثرة في الوحدة، ورؤية المفصّل في المُجمل، وشهود المفصّل في المجمل.

قال الفرغاني[1] قدس سره العزيز: استهلاك الكثرة في الوحدة: عبارةٌ عن استهلاك كثرة

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٢٠٢.

الماهيات في وحدة وجود الحقِّ، وهو تعقّل المفصّل في المجمل، كمشاهدة العاقل بعينِ بصيرته ما في النواة بالقوة من الأغصان والأوراق والثمر الذي [في] كلِّ فردٍ مثل ما في النواة الأولى، وهو رؤية المفصل في المجمل.

وشهود المفصّل في المجمل: يعنون به كمال جلاء الذات الأقدس الواحد الأحد، وهو ظهورُهُ لنفسِهِ بجميع اعتبارات واحديّته ومقتضياتها وخصائصها مفصّلَةً في المراتب إلى الأبد.

وكان الذاتُ الأقدسُ بهذا الظهور له والشهود في مجلى عين البرزخية الأولى في المرتبة الأولى غنيًا عن العالمين بظهورهم التفصّلي في المراتب إلى الأبد لحصول علمه بهم، وشهوده إياهم بجميع أحكامهم ومقتضياتهم عند اندراجهم في شهود المفصل في المجمل وذلك كما يشاهدُ العاقلُ بعين بصيرته ما في النواةِ الواحدة من الأشجار والثمار والأوراق ما لا يُعدّ ولا يُحصى باعتبار تَفنُّناته وتعيّناته، فهذا هو شهود المفصّل في المجمل، والكثير في الواحد. انتهى

يعني: شهود كثرة وجودات الخلق في وحدة وجود الحقِّ، لأنَّ الوجودات المتكثّرة الخلقية ليست منفصلةً من وجود الوحدة الحقية، كما مرّ تفصيلُه في وحدة الوجود.

وإلى هذا المقام أي مقام مشاهدة الخلق في الحق أشرتُ بقولي في قصيدتي التي كتبت بها إلى أبي العباس الرقاشي[1] رضي الله عنه فمنها:

وجودُ [جميع] الخلقِ في الحقِّ فاعتمدْ عليه ولا يَبدو لديكَ نُفورُ

أي بعض ما قررناه من الحكمة والمعرفة والوحدة كون وجود الخلق في وجود الحق، فاعتمد عليه، أي: على ما قلت، ولا يبدو أي لا يظهر لديك أي عندك نفور، اعتمدَ على الشيء اتّكأ واعتمدَ عليه في كذا اتّكل. والنفرُ التفرّق والغلبة، نفرتِ الدابة تنفِر بالكسر نفارًا وتنفرُ بالضم نفورًا، فهي نافرٌ ونفور: جزعت وتباعدت.

وهذه المشاهدة هي الغايةُ القُصوى، والمستوى الأعلى.

---

(١) في المطبوع من المواقع ١٨٨: أبو العباس الرقّاس.

مطلب الغايات

الغايات: يعنون بها ما به يتمُّ ظهور الكمال المختصّ بكلِّ شيءٍ بالنسبة إلى ما كان له من ذلك الكمال في حضرة العلم الأزلي، وحضرة جمع الجمع، كما هو الحال عليه من كون الغاية من السرير أن يُجلسَ عليه، ومن القلم أن يُكتبَ به، ومن اللَّوحِ أن يُكتب فيه، ولكلِّ موجودٍ من الموجودات غاياتٌ إنساناً كان أو غيره من حيث جملته أو تفصيل أعضائه وقواه، وهكذا اعتبار تفصيل العالم وجملته، وقد أشار التنزيلُ إلى ذلك بقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

غايةُ الإيجاد للخلق: هو تكميلُ مرتبة الوجود، ومرتبة المعرفة وتقرير ذلك هو أن تعلمَ أنَّ للحقِّ عزَّ شأنه [٣٥٩] كمالاً ذاتيًا وكمالاً أسمائيًا يتوقَّفُ ظهوره على إيجاد العالم، والكمالات من حيث التعيّن أسمائيات، لأن الحكمَ من كلِّ حاكم على أمرٍ ما مسبوق بتعيّن محكومٍ عليه في تعقّل الحاكم، فلولا تعقّلُ ذات الحق، ولو بوجهٍ ما [قبل] إضافة الأسماء إليه واستناده[١] بغناء في ثبوت وجوده له عمّن سواه لما حكم بأن له ثبوتًا ذاتيًا.

ولا شكَّ أنَّ لكلِّ تعيّن يتعين للحقِّ هو اسمٌ له، فإنَّ الأسماء ليست عند المحققين إلاّ تعينات الحقّ، فإذن كلُّ كمالٍ يُوصف به الحقُّ فإنه يصدقُ عليه أنه كمال أسمائي من هذا الوجه.

وأمّا من حيث انتشاء الأسماء للحقِّ من حيث وحدته الحقيقية، فهو من مقتضى ذاته، فإذن جميع الكمالات التي يُوصف بها هي كمالاتٌ ذاتية، وإذ قد تقرّر هذا عرفت أنَّ من كان له الكمال لذاته من ذاته، فإنه لا ينقصُ بالعوارض واللوازم الخارجية في بعض المراتب، بمعنى أنّها فَقْدٌ حينئذ في كماله[٢]، ولا جائز أن يُتوهّم في كماله نقصٌ أيضًا، بحيث يكملُ بها؛ بل قد يظهر بالعوارض واللوازم في بعض المراتب وصف الجملية[٣]، ومن جملتها معرفة أنّ هذا شأنه.

فالكمال: في الحقيقة راجعٌ إلى الأسماء بظهور آثارها، وغاية تكميل الوجود والمعرفة، أو إلى أعيان الممكنات، وحصوله يتوقّفُ على الوجود الذي استفاد من الحق، ليظهر به سائر

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ١٧٣: واستثاره بغناه.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ١٧٣: بمعنى أنها تقدح في كماله.

(٣) في لطائف الإعلام ٢/ ١٧٤: وصف أكملية.

طبقاتها الكائنة فيها بالفعل، وليتّصف كلُّ فردٍ من أفراد مجموع أحكام الحضرتين بحكم المجموع، فيحصل التماثل بين الجميع في عينٍ واحدة، والأمرُ الجامع لهذه الكمالات التفصيلية هو الكمالُ المقتضي لثبوت حكم المظهرية، والظاهرية بظهور الجمع الأحدي في كلِّ مرتبةٍ على نحو ما تشخص في العلم الأزلي الظاهر حكمه في كل غايةٍ، فخلقَ اللهُ الخلقَ ليكمل مراتب الوجود، وليكمل المعرفةَ في الوجود، أي ليكملَ وجودَ تقاسم المعرفة، فخلق الخلق ليعرفونه، إذ كان كنزًا لا يُعرف، كما ورد في الحديث المشهور[1]، لا ليكمل هو في ذاته سبحانه وتعالى عن ذلك، وعن كل ما لا يليقُ بجلاله علوًّا كبيرًا.

وكان تعالى يعرفُ ذاته بذاته، فبقي من مراتب المعرفة أن يعرفَهُ الكون، فتكمل المعرفة، فأوجدَ اللهُ الخلقَ، وأمرهم بالعلم به، ولذلك الوجود ينقسمُ إلى: قديمٍ أزلي، وإلى ما ليس بأزليٍّ، بل حادثٌ، فلو لم يخلقِ الكونَ ما كملت مراتب الوجود فالأول وجود الحق بصور[2] العلم الثابت، فيُسمّى حدوثًا لأنّه ظهر بعضُه لبعضه، وظهر لنفسه بصور العالم، وكمل الوجود بذلك، وذلك الوجدُ هو غايةُ الإيجاد للخلق، فافهم ما قررناه في ذلك.

الغاية من العالم: هو وجود الإنسان الكامل، فإنه هو العلّةُ الغائية، وإنه هو الحق المخلوق به، وإنه كمال مجلى الجلاء والاستجلاء، وإنه صورة حضرة أحدية الجمع.

الغاية من وجود الإنسان: ما عرفته من كونه هو العينُ المقصودة التي يتمُّ بها كمال الجلاء والاستجلاء على الوجه الذي عرفت.

غاية قوى الإنسان ومداركه: ما به يتمُّ ظهور كمالاتها المختصّة بكلِّ واحدٍ من القوى، ممّا لا يوجد لغيره بحيثُ يصرفُ كلّ قوة وعضوٍ في [الكمال] المختصّ بذلك العضو والقوة، الذي لم يخلق ذلك العضو والقوة بالقصد [٣٥٩/ب] الأول إلاّ لإظهار ذلك الكمال [الذي] متى لم ينصرفْ ذلك العضو والقوة فيه، فقد صُرف في غير ما خُلق له.

غاية اللسـان: أن يكون مُواظبًا على الذِّكر الدائم، والشكر الملازم، والتلاوة ليلاً ونهارًا سرًّا وجهرًا، وأن يكون موصوفًا بالإفصاح لبيان ما ينطوي عليه الكتاب والسُّنة من علوم

---

(١) هو الحديث الذي تقدّم صفحة (١/ ١١٤): «كنت كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أُعرف...».

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ١٧٤: مراتب الوجود، فالأزلي: وجود الحق نفسه. والحادث: بصور العالم الثابت.

الشريعة والطريقة والحقيقة، بما ينطوي عليه من الحكم والأسرار، وأن يكون جميعُ ما يتكلّمُ به حقًّا صادقًا خيرًا نافعًا مشتملاً من الحِكَم والمواعظ على ما يذكّر سامعها بالله ويقرّبه إليه.

غاية البصر: أن يتّصفَ بنظر العبرة من الظاهر إلى الباطن، ومن الخلق إلى الحق.

قال عليه السلام: «أُمرتُ أن يكونَ نطقي ذكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري اعتبارًا»[١].

وأن يُديمَ نظرَه مهما استطاع في خطِّ المصحف، وفي وجه الوالدين، وإلى الكعبة، وفي كتب العلوم النافعة في طرقِ الاقتداء إلى السبيل المُوصلةِ إلى ما فيه كماله في طرق البر والبحر، وغير ذلك من كلِّ ما فيه كمال البصر.

غاية السمع: المداومةُ على الإصغاء إلى الذكر والقرآن والعلوم النافعة، والإصغاء بالكلّية إلى المخاطب النافع، وإلى قولِ الصدق، والمتابعة للأحسن مما يسمعه، والأحقّ مما يشتملُ عليه معنى المسموع، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ١٨] حيث بلغوا الغاية من الاستماع، فهم أصحاب الفهم للبِّ المعاني.

غاية اليد: المواظبةُ على أفعال البر، فلا تقصرُ على تناول ما ينبغي، وإعطاء ما ينبغي، ويمنع ما ينبغي عمّن ينبغي منعه، والأخذ بيد المكفوف، والإعانة للملهوف[٢]، والجهاد بها في سبيل الله، وعمارة المساجد، وخدمتها، والإسراج فيها، والكتابة بها لما ينبغي من القرآن والحديث والعلوم النافعة والصنائع، وغير ذلك.

غاية الرِّجْل: المواظبة على القيام بها في طاعة الله عز وجل على اختلاف أنواع الطاعات لله من صلاة وخدمة للوالدين، ولمن ينبغي خدمته فرضًا أو تطوّعًا، والسعي بها إلى ما يقرّبُ من الله تعالى من حجٍّ وعمرةٍ وغدوٍّ إلى بيوت العبادات، وعيادة المرضى، وغير ذلك ممّا يقرّب من الله تعالى.

وبالجملة فبأنْ يصرفَها في الكمالات اللائقة بها، وكذا غيرها من الأعضاء.

غاية الغايات: ويقال: نهايةُ النهايات: ويعني بذلك باطن العوالم، وهو مقام (أو أدنى)

---

(١) روى الشهاب في المسند ٢/ ١٨٩ (١١٥٩)، قال خطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «إن ربي أمرني أن يكون نطقي ذكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري عبرة» وذكر الحديث الذهبي في ميزان الاعتدال، وابن حجر في لسان الميزان في ترجمة محمد بن زكريا الغلابي.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ١٧٦: والإغاثة للملهوف.

وهو حقيقة الحقائق، والحقيقة المحمدية. كما مرّ بيانُه في حقيقة الحقائق والحقيقة المحمدية. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[١] قدس الله سره.

والقصوى والقصيا: الغايةُ البعيدة، فعلى هذا غايةُ القصوى تكون بمعنى غايةِ الغاية البعيدة. والمستوى الأعلى. والمستوى من الجبل ذروتُهُ، وذروةُ الشيءِ: أعلاه، فعلى هذا المستوى الأعلى يكون بمعنى أَعلى الأعالي. والمستوى من النهار متّسعه، فعلى هذا يكون بمعنى المتّسع الأعلى.

فمن حصل فيه أي وجدَ في ذلك المقام، يعني: من بلغ إلى مقامِ مشاهدة الخلق في الحق **ووقفَ على حقائقه** أي حقائق ذلك المقام **ومعانيه فهو الذي تُشدُّ إليه الرّكائب** أي تقوى إلى صاحب هذا المقام. الركائب جمع ركاب، وهي الإبل [٣٦٠] وواحدتها راحلة، والراحلة: الناقة التي تصلحُ لأنْ تُرحل، وقيل: الراحلة المركبُ من الإبل ذكرًا كان أو أنثى.

والمراد ههنا من الركائب نفس السائر إلى الله تعالى، وجمعها باعتبار كونها أمّارة ولوّامة ومُلهمة ومطمئنةً وراضيةً ومرضية.

وتقطع لديه[٢] أي عند صاحب هذا المقام **السباسب** تسبسبَ الماءُ: جرى وسال، وسبسبه أساله، والسبسبُ المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة، والجمع السباسب يعني من حصلَ في ذلك المقام، ووقف على حقائقه ومعانيه، تقوى إليه الركائب، وتقطع لديه المفاوز البعيدة **وهذا** أي مقام مشاهدة الخلق في الحقّ كما مرّ **هو ميقاتُ المبايعة الإلهية الذي قال الله تعالى فيه**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] والوقت: معروف، والميقات: الوقت المضروب للفعل، والميقات أيضًا الموضع.

مطلب اليدان

اليدان: يُعبّر بهما عن الحضرتين اللتين هما: حضرة الوجوب والإمكان.

فحضرةُ الوجوب: إحدى يديه الباسطة بالرحمة باعتبار اختصاص هذه الرحمة بالذين

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ١٧٣-١٧٧.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٨٨): وتقطع لرؤيته.

يتقوّن ويؤتون الزكاة من قابلياتهم كانت هذه اليد هي اليمني، وكانت حضرةُ المعلومات والإمكان الأخرى.

ومن جهة أنَّ بركة جميع الكمالات الأسمائية المحبوبية لعينها وظهورها متعلّقة بهما جميعًا، كانت كلتا يديه يمينًا مباركة، نظرًا إلى الكمال الحقيقي لا النسبي، وكلّما كان من المظاهر الروحانية والجسمانية حكمُ الوحدة والبساطة واللطافة فيه أظهر، كالسموات والأفلاك وعمّارها من الأرواح والأملاك، كانت نسبته إلى مظهرية الوجوب، وأثر تأثيرها وفعلها أقوى، وإضافته إلى اليمين أشد. وكلما كان حكم الكثرةِ والتركيب والكثافة فيه أَبين كالأرض وما فيها من المولدات كانت نسبته إلى مظهر حضرة المعلومات والإمكان وحكم قبولها وانفعالها أتمَّ وأقوى.

وإضافة مطلق اليد تأدُّبًا إليه أنسب وأولي، انظره إلى قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] أي بإضافة الفعل واليد والوجود مشتملاً[١] إلى غيره.

وبفهم ما ذكرنا تقدر أن تفهم معنى الأصابع بأنها العالمية والمريدية والقادرية والقائلية والجوادية بمعنى الإجادة في الصنع والمقسطية. وأما الحي فهو بمنزلة القبضة واليد.

ويد الله: تُطلق ويُراد بها إحدى الحضرتين كما عرفت، وتارةً يُراد بها عالم الأرواح، وتارة عالم الملك، كلُّ ذلك كما عرفتهَ من انتساب العالمين إلى الحضرتين.

ونُطلق يد الله ويُراد بها مظهر الاسم القدير، ويُسمّى عبد القادر، وهو الذي يُعطيه الله التمكّن من إظهار المعجزات في أيام الدعوة والكرامات في الفترات وغيرها. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٢] قدس الله سره.

وقد أفردنا هذا المقام بما يجب كتابًا كبيرًا سميناه «مبايعة القطب»[٣] لم أذكر فيه أي في الكتاب المسمى بمبايعة القطب سوى هذا المقام خاصةً فيه في ذلك المقام أي مقام مشاهدة الخلق في الحق، وهو مقام ذي العقل والعين.

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٤٠٤: والوجود مستقلاً.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٤٠٣-٤٠٤.

(٣) مبايعة القطب في حضرة القرب. قال ابن عربي: يحتوي على مسائل جمة من مراتب الأملاك والمرسلين والنبيين والعارفين والروحانيين. الشيخ الأكبر: ٤٩٦.

[مطلب ذو العقل]

فذو العقل: يعني به من يرى الخلق ظاهرًا، ويتعقّل وجود الحق سبحانه [٣٦٠/ب] باطنًا، فهو يرى الخلق في مرآة الحق، وإنّما كان الحقُّ في ذوق صاحب هذه الرؤية باطنًا والخلق ظاهرًا، لأن وجه المرآة يخفي لظهور ما يتجلّى فيه، فإنه متى انطبع في المرآة صورةٌ، لا بدّ وأن يظهر في وجهها، فيخفى وجهها لأجل ذلك.

وذو العين: من يرى الحقَّ ظاهرًا ولا يرى الخلق، بل يتعقّل وجودهم، لأنه يرى الحقّ في الخلق، فيكون الخلق مرآة للحق، فيكون الحقُّ في حق صاحب هذا الذوق ظاهرًا والخلق باطنًا، لأجل خفاء وجه المرآة التي هي الخلق بما يتجلّى فيها، فلهذا لا يرى صاحب هذا الذوق إلاّ الحق وحده، كما كان الحالُ في صاحب العقل على العكس بحيث لا يرى إلاّ الخلقَ لا غير.

وذو العقل والعين: هو الذي يرى الخلقَ في الحق والحقَ في الخلق، بحيث لا ينحجبُ بكثرة المجالي عن رؤية المتجلّي فيه، كما انحجب صاحبُ العقل بظُلمة الأكوان وكثرتها عن رؤية نور وجه مكوّنها ووحدته، وكذا لا يُستهلك برؤية نور وجه المتجلّي ووحدته عن رؤية كثرة المجالي، وإذا فهمت هذا عرفتَ ما هو مقصود الشيخ رضي الله عنه بقوله [في «الفتوحات»[1] في منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة، وهو الباب الموفي ستين وثلاثمئة، وهو منزل صور النور]:

ففي الخَلْقِ عينُ الحقِّ إنْ كنتَ ذا عين ... وفي الحقِّ عينُ الخلقِ إنْ كنتَ ذا عقل
وإن كنـتَ ذا عقـلٍ وعيـنٍ فمـا تـرى ... سوى عينِ شيءٍ واحدٍ فيه بالشكل[2]

انتهى من «تعريفات الفرغاني»[3] قدس سره.

---

(١) الفتوحات المكية: ٣/ ٢٩٠. البيتان فيه:
ففي الحقِّ عينُ الخلقِ إن كنت ذا عين ... وفي الخلق عينُ الحقِّ إن كنت ذا عقل
فـإن كنـت ذا عيـنٍ وعقـلٍ معًـا فمـا ... ترى غير شيء واحدٍ فيه بالفعل

(٢) في لطائف الإعلام ١/ ٤٧٤: واحد قيد بالشكل.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٤٧٣ـ ٤٧٤.

وهذا المقام هو مقام: الخليفة الكامل من البشر كأكابر الأولياء، وأولي العزم من الرسل عليهم السلام، الذين من شأنهم الصبرُ والثبات في حاق الوسط من الخلق والحق، ليأخذوا المددَ من الحقِّ بلا واسطةٍ بحقيقتهم، ويعطونَ الخلقَ بخليقتهم، فلا يميلون إلى طرف، فيهملون الطرف الآخر، كما هو عليه الغالب فيمن غلب عليه حقيقته باستهلاكه في نور الحقِّ أو خليقته بانحجابه بظلمة الخلق.

والخليفة غير الكامل: وهو خليفةُ الله بواسطة من هو تبعٌ له من أولي العزم والخلفاء والكمّل، وكلُّ كاملٍ خليفةٌ لكامل. انتهى(١).

والقطب: ويقال له الغوث أيضًا، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم في كلِّ زمانٍ، وهو على قلب إسرافيل.

والقطبيةُ الكبرى هي مرتبةُ قطبِ الأقطاب، فإنَّ لكلِّ مرتبةٍ من مراتب الولاية قطبًا، وهو الحاصلُ في ذروتها.

وقطب الأقطاب من ليس وراء مرتبته إلاّ النبوة العامة، وهو رأسُ الصدّيقين كما مرّ تفصيله.

فيد هذا الإمام المُرتقى به إلى هذه المرتبة أي مرتبة الخلافة والإمامة يدُهُ حَجَرُه الأسود، وقلبُه كعبتُهُ المقصودة، وجسدُهُ حَرَمُهُ المطهّرُ، وسرُّهُ عَرَفَاتُهُ، ونفسه محصبه. الحصباء: الحصى واحدتُها حَصَبَةٌ كقصبة، وأرضٌ حَصِبَةٌ كفرحة ومَحْصَبَة كثيرتُها، وحَصَبَهُ رماه بها، والمُحَصَّب [موضع] الجمار بمنى.

١ـ هــذا المقــامُ وهــذه أســرارُهُ رُفِعَ الحجابُ وأَشرقَتْ أنوارُهُ

يعني: هذا المقام الذي عبارةٌ عن مقام مشاهدة الخلق في الحقِّ، ومقام الخلافة الكمالية، والإمامة الكمالية التي يكون صاحبُهُ الخليفةَ الكامل، وإمام المتّقين يعني به من عصمه الله عن المخالفة فيما أمر ونهى، وعن المنازعة فيما قدّر وقضى، بحيث لا يظهر منه من الأفعال إلاّ ما يوافق [٣٦١] أمر مولاه، ولا يبطنُ من الخواطر إلاّ ما قدّر الله كونه وأمضاه، وهو مع ذلك

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٥٥.

يَرى أنّه إنّما يتّقي به فيه، والإشارة إلى هذا المقام من التقوى بقوله عليه السلام: «اللهم، إنّي أعوذُ بك منك»[1].

وهذه أسراره: أي المذكور آنفًا هو أسرارُ ذلك المقام، وهذا المقام وأسراره رفع الحجاب. الحجاب ويقال الران، والمراد بذلك: انطباعُ الصُّور الكونية في القلب على سبيل الاستيعاب له والرسوخ فيه، بحيث لا يبقى مع ذلك مطمعٌ لتجلّي الحقائق فيه لعدم نوريّتِهِ بتراكم ظُلَم الحُجب المختلفة عليه، فلهذا يُسمّى عموم حصول صور الأكوان في القلب ورسوخها فيه حجابًا له ورينًا عليه.

وقد يُطلق الحجابُ ويُرادُ به رؤيةُ الأغيار بأيِّ صفةٍ كانت من صفات الأغيار. وأشرقت أنواره أي أنوار هذا المقام عند رفع الحجاب.

٢ـ وبدا هلالُ التِمِّ يَسطعُ نورُهُ للناظرين وزالَ عنه سرارُهُ

بدا: أي ظهر. هلال التِّمِّ: والتم بفتح التاء وكسرها وضمها بمعنى التمام، وهو البدرُ. يسطعُ أي يرتفعُ، يقال سطعَ الغبارُ والرائحة والرائح ارتفع، وبابه خضع. نوره أي: نور المقام أو نور صاحب هذا المقام للناظرين. وزالَ عنه أي عن صاحب المقام. سرارُهُ أي ظُلمته؛ لأن سَرَرَ الشهر بفتحتين آخرُ ليلةٍ منه، وكذا سراره بفتح السين وكسرها، وهو مشتق من قولهم: استترَ القوم أي خفي سرارها، فربما كان ليلة، وربما كان ليلتين.

٣ـ فأنارَ روضَ القلبِ في ملكوتِهِ وأَتتْ بكلِّ حقيقةٍ أَشجارُهُ

أنار بمعنى أضاء، وأنارتِ الشجرة: أخرجت نَوْرها، وهنا يتضمَّنُ المعنيين. في ملكوته أي في غيبه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] وأتتْ بكلِّ حقيقةٍ أشجارُه أي أعطى كلّ حقيقة إلهية وكونية أشجار ملكوت روض القلب، كناية عن تجلّي الحقائق الإلهية والكونية في مرآة القلب.

٤ـ عند التنزُّلِ صحَّ ما يختارُهُ قلبٌ أُميطتْ بالرَّدى أستارُهُ

عند التنزل من مقام الجمع إلى مقام الفرق الثاني، وهو مقامُ الفرق بعد الجمع، والبقاء بالله بعد الفناء في الله. صح ما يختاره قلب أميطت: أي أُزيلت. بالرَّدى أي الهلاك أي الفناء

(١) حديث أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ١٤١ (٧١٠٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢٧).

لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] يعني بسبب الفناءِ في الله أُزيلتْ أستارُه، أي: أستار القلب، والأستارُ جمع ستر.

قال في «رصد المعارف»: الستر: هي الوقوفُ مع العادات أو العبادات، أو ما يترتّب عليها من الكشوفات، ويُطلق أيضًا على كلِّ ما يحجبك عمّا يعنيك، وأكثرُ استعمال الستر في مقابلة التجلّي، يقال: استترَ عليه: إذا أُزيل التجلّي عنه، وقد يكونُ ذلك رحمةً وتربيةً للسالك لئلاّ ينحرقَ بنورِ التجلّي، فيتلاشى، فيستر عليه ليستعدَّ للترقّي، ولهذا قيل: السترُ للعوام عقوبةٌ، وللخواص رحمة. فعوامُ هذه الطائفة عيشُهم في التجلّي وبلاؤهم في الستر، وأمّا الخواصُّ فهم بين طيش وعيش، إذا تجلّى لهم طاشوا، وإذا سترَ عليهم رُدُّوا إلى الخط فعاشوا. وأما الستائر فهي في عرفهم تُطلق على جميع صور الأكوان، لأنّها مظاهرُ الأسماء الإلهية وستائرها، والسُّتور تخصّ بالهياكل البدنية الإنسانية لكونها واسطةٌ بين الحقِّ والخلق.

٥ـ وبــدا النسيــمُ مُـلاعبًـا أغصــانَــهُ [٣٦١/ب] فهفتْ بأسرار العُلى أطيارُه

وبدا أي ظهر في روض القلب. النسيمُ: أي نسيم الصَّبا، والصَّبا هو ما يأتي من الريح من جهة المشرق، ويقال لها القَبول، كما يُقال للريح الآتية من جهةِ المغرب الدّبور، وهي في إشاراتِ القوم ما يأتي من الجسمانيات، والصَّبا ما يأتي من جهة الروحانيات، ويُكنى بالصَّبا عن نفحات القربِ المُشار إليها بقوله عليه السلام: «إن لله في أيام دهركم نفحات أَلاَ فتعرّضوا لها»[١]. وقوله عليه السلام: «نُصرت بالصَّبا، وأُهلكت عادٌ بالدبور»[٢] إشارةٌ إلى كون الصَّبا ريحَ القبول، والدَّبور ريح الأدبار. وقال:

أيــا جَبَلَــيْ نعمــان بــالله خلّيــا نسيمَ الصَّبا يخلصْ إليَّ هبوبُها
فـإنّ الصَّبـا ريـحٌ إذا مـا تنسَّمَـتْ على قلبِ مَحرورٍ تجلّت كروبُها[٣]

فعنوا بجبليْ نعمان حِجابِي الشهوة والغضب، فهما الحاجزان بين النفس وبين تعرّضها

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٣/ ١٨٠ (٢٨٥٦) وفي الكبير ١٩/ ٢٣٣ (٥١٩) من حديث محمد بن مسلمة.

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٥) و(٣٣٤٣) و(٤١٠٥)، ومسلم (٩٠٠) في صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا.

(٣) البيتان لمجنون ليلى. الديوان: ١٧٠.

لنفحات القُرب من جانب الربِّ عز شانه. ملاعبًا أي محرّكًا. أغصانه أي أغصانَ روض القلب، يقال: لاعبَها أي لعب معها. فهفتْ أي خفقتْ بأسرار العلى أطيارُه أي أطيارُ أشجار روضِ القلب، يقال هفا هفوًا، وهفوةً وهفوانًا: أسرع، والطائرُ: خفقَ بجناحيه، والرَّجلُ ذلَّ وجاع، والأطيارُ ههنا كنايةٌ عن الهمم العالية.

ونُطلق الهمّة بإزاء توجّه القلب بجميعِ قواه الروحانية إلى جانب الحقِّ لحصول الكمال أو لغيره، وتُطلق بإزاء تجريدِ القلب، وتطلق بإزاء جمع الهمِّ لصفاء الإلهام، وتطلق بإزاء تعلّق القلبِ بطلب الحقِّ تعلّقًا صرفًا أي خالصًا من رغبةٍ في ثوابٍ أو رهبةٍ في عقاب، ويُعبَّرُ بالهمّةِ عن نهاية شدّة الطلب.

وجعلوا الهمَّةَ ثلاثَ درجات: أولها: همّة الإفاقة. وثانيها: همّة الأنفة، وثالثها همّة أرباب المطالب العالية.

والهمم العالية: يعني بها همم القوم الذين لا يَطلبون بعبادتهم من الله سوى مجرّد المعبودية له تعالى؛ لصدقِ محبّتهم فيه لا في ما سواه من رغبةٍ في نعيم أو رهبةٍ عن جحيم، فسمُّوا أهلَ الهمم العالية لسموِّ هممهم حيث تعلّقتْ بأعلى المقاصد الذي هو الحقُّ عزَّ شأنه، وما ذاك إلاّ لكون هممهم عليةً في نفسها، حتى أورثتهم الازدراء بالأعراض، وقلّة المبالاة بالدرجات، بحيث لا يطلبون من قيامهم بما نُدبوا إليه من الأعمال الصالحة الوافية بشروط الإخلاص شيئًا من الأحوال التي يُعبّر بها عن التجليات والواردات؛ بل ولا يرضى صاحبُ هذه الهمة بأنْ يكونَ شهودُه للحقِّ من حضرات أسمائه، بل ولا تقفُ همَّتُهُ أيضًا عند مشاهدة الصفات، بل تتجاوزُ عن مشاهدة النعوت إلى عينِ الذات، لأنّه لا يرتوي عطشُه إلاّ بورود العين التي هي مقدسة عن المتى والأين، وقد مرّ تفصيلها.

٦ـ جادتْ على أهلِ الروائحِ منّةٌ   منه بـريّـا طيبُهـا أزهـارُه

أي جادتْ أطيارُ روض القلب على أهل الروائح أي أهل الستائر، أو أهل السرائر: وهم قومٌ كشف اللهُ عنهم أغطيةَ البصائر، فشاهدوا ما خلف الساتر التي حجبتْ أهلَ الظواهر عن شهود المعارف الحقيقية والعلوم اللدنية بما حصلَ في أوهامهم من الصور الوهمية الناتجة عن ظنونهم [٣٦٢] وخيالاتهم، فلكون تلك الصور المتوهّمة خموشًا في وجه مرايا أبصارهم، حالتْ بينهم وبين انتقاش ما حظي به أهلُ العناية من العلوم الإلهية والمشاهدات القدسية التي

وهبها اللهُ الأعلامَ من حضرات الملك العلاّم، واستبدلَ عنها أهل الحجاب بغلبات الظُّنون والأوهام، وقد ضمَّنتُ هذا المعنى بيتين هما:

السِّترُ مُنسدلٌ والبابُ مُنغلقٌ والحرفُ مُنعجمٌ والأمرُ مَبهومُ
وكلُّ مَنْ قالَ قولاً ليس يشهدُهُ عن الإله فما قَدْ قالَ موهومُ

انتهى[1].

منَّة: مفعول جادت، بمعنى القوة والنعمة، لأنَّ المِنَّةَ بالكسر مصدرٌ مِنْ مَنَّ عليه: إذا أثقلته النعمة، أو من المنِّ بمعنى القطع، لأنَّ المقصودَ بها قطعُ الحاجة، ويجيء بمعنى القوة، والمرادُ ههنا من المِنّة نعمةُ الخاطر الربّاني، والإلهام منه تعالى بريًّا أي منزّهةً عن الخاطر الشيطاني والأوهام، أو ضمير (جادت) عائدٌ إلى نسيم الصبا، والمراد ههنا النفسُ الرحماني، ومن أهل الروائح الأرواح، يعني: جادت أي النفس الرحماني على الأرواح نعمةَ الخاطر الربّاني بطريقِ الإلهام منه تعالى منزّهًا عن الخاطر الشيطاني والأوهام، وطيبها: أي طيب الروائح من أزهاره أي أزهار القلب، وزهر الشجر بعده.

النَّفَس الرحماني: هو حضرة المعاني، وهو التعيّن الثاني، سُمّي بذلك من جهة أنَّ النَّفَسَ أمرٌ وجداني كائن في باطن المتنفِّسين منبعثٌ منه إلى ظاهره، حاملٌ لصور المعاني الحاصلة عن اختلاف صور بروزه، وظهورُه بسبب اختلاف ما يقعُ اعتماده عليه من المراتب التي تُسمّى في الخارج مخارجَ، وهي المنافذ والمقارنات[2] من الصدر والحلق والحَنْجرة واللِّسان والشفة والأسنان وغير ذلك من القوابل التي لها مدخلٌ في تقدير المخارج، بحيثُ يصيرُ النَّفَسُ الواحد متعيّنًا بحروفٍ وكلمات متميزةٍ مختلفة في صورها، فكذا التعيّن الثاني هو أولُ ما يتميّزُ وينبعثُ من الباطن الذي هو التعيّن الأول، فسُمّي بالنَّفَسِ الرّحماني لأجل ذلك، فإنَّ تعدُّدَ الوجود الواحد واختلاف صوره إنّما يحصلُ عن اختلاف القوابل التي هي الأعيان الثابتة، وأحكامها وأحوالها المختلفة، ولأنَّ الأسماءَ إنّما يحصلُ النفس من كربِ بطون الغيب بظهورها في حضرة الارتسام والتفصيل والتميز وما بعد ذلك حتى ظهرَ فعلُ الجواد حينئذٍ، وكذا الكريمُ والمقسط والخالق والرازق وباقي الأسماء، وكان ذلك هو السببُ الذي

(١) لطائف الإعلام ١/ ٢٥٣ (أهل السرائر).
(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٣٥٨: والمقاربات.

لأجله سُمّي هذا التعين الثاني بالنفس الرحماني كما عرفت.

وإنّما يُنسب إلى الرحمن سبحانه دون غيره من باقي الأسماء لأنَّ (الرحمان) اسمٌ لصورة الوجود الإلهي التي هي عبارةٌ عن الجمعية الحاصلة للأسماء الإلهية عند ظهورها بنفسها من بطون وحدة الذات، فلهذا [كان] النَّفَسُ مضافًا إلى الاسم الرحماني تعالى وتقدس. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[١] قدس سره وقد سبق تفصيل الرحمن، والتوجيه الثاني أنسبُ للمقام.

٧ـ هامَ الفؤادُ بحبّه فتقدّستْ أوصافُهُ وتنزّهَتْ أفكارُهُ

يُقال: هام على وجهه [٢٦٢/ب] من باب باع، وهَيَمانًا أيضًا بفتحتين: ذهب من العشق. والفؤاد: القلب، والجمع أفئدة، وقيل: الفؤادُ بين القلب والروح، كما أنَّ الصدرَ بين القلب والنفس.

يعني ذهب الفؤاد بحبّه تعالى فتقدّستْ أوصافُ القلب من الأوصاف الذميمة، وتنزّهت أفكارُ القلب عن الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة. والوصف والصفة مُترادفان عند أهل اللغة، والهاءُ عوضٌ عن الواو كالوعد والعدة، والوصفُ عند المتكلّمين كلامُ الواصف. والصفةُ هي المعنى القائم بالموصوف، وقد مرّ تفصيلُها.

وقال الفرغاني[٢] قدس سره: الوصفُ الذاتي للحقّ: هو صفته الذاتية.

والوصف الذاتي للخلق: هو الفقرُ الذاتي، فإنها هي الصفة الذاتية للخلق.

والوصف الذاتي لكلِّ شيء: هي حقيقة الحقائق، فإنّها هي الحقيقة الذاتية لكل شيء.

والصفة الذاتية للحقّ: يعني بها الصفةَ التي لا تغايرُ ذات الحق، وهي أَحديةُ جمعٍ لا يعقلُ وراءها جمعية ولا نسبة ولا اعتبار، فذلك هو المعنى بالصفة الذاتية، والتحقق بشهود هذه الصفة ومعرفتها تمامًا إنّما يكونُ بمعرفة أنَّ الحقَّ في كل متعيّنٍ قابل للحكم عليه بأنّه متعيّنٌ بحسب الأمرِ المقتضى إدراك الحق فيه متعيّنًا، مع العلم بأنّه غيرُ منحصرٍ في التعين، وأنه من حيث هو غير متعيّن.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٥٨ـ ٣٥٩، وقد تقدّم قبل؟؟.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٣٨٩ تعريف الوصف. وفيه أيضًا ٢/ ٦٢ـ ٦٣ تعريف الصفة.

والصفة الذاتية للخلق: هو الفقرُ الذاتي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] فهو صفةٌ ذاتية لكلِّ ما سوى الحق، لاستحالة انفكاك الفقرِ عن أحدٍ من الخلق.

والصفةُ الذاتية لكلِّ شيءٍ: هو حقيقته، وذلك أنه لمّا كان المرادُ بحقيقة الحقائق باطن الوحدة الذي هو باطنُ كلِّ حقيقة إلهية وكونية، صارت حقيقة الحقائق هي الوصف الذاتي لكلِّ شيءٍ، لاستحالة تعقّل شيءٍ بدونها واحدًا كان أو كثيرًا، موجودًا أو معدومًا، قديمًا أو محدثًا، ولهذا قالوا بأنَّ حقيقة الحقائق لا تقتضي من حيث هي أن تكون موجودةً أو معدومة، ولا قديمةً ولا حادثة، وأنها ظاهرةٌ في كلِّ شيءٍ، وباطنة فيه أيضًا، بحكم ذلك الشيء كان ذلك الشيء ما كان قديمًا أو محدثًا، ولهذا كانتْ هي ـ أي حقيقة الحقائق ـ هيولى الهيولات، وهيولى الكلِّ. كما مر تفصيله في الهيولات. انتهى(١).

والفكر: عبارةٌ عن ترتيب أمورٍ معلومة للتأدّي إلى مجهولٍ.

وحاصلُ البيت: هام الفؤاد بحبِّه تعالى، وتقدّستْ أي تطهَّرتْ أوصافه من الأوصاف الردية، وتنزّهتْ أي تباعدتْ أفكاره عن الأفكار الفاسدة،

٨ ـ وتنـزَّل الـرّوحُ الأميـنُ لقلبِـهِ يومَ العَروبة فانقضَتْ أَوطارُهُ

والمرادُ من الروح الأمين هو روح الإلقاء، يعنون به المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] فلهذا يُطلقون الروحَ في اصطلاحهم بإزاءِ المُلقى إلى القلب من علم الغيب على وجهٍ مخصوص.

ويوم العَروبة هو يوم الجمعة، ويومُ الجمعة في اصطلاحهم يُشار به تارةً إلى ابتداءِ وصول السالك إلى مقامِ المشاهدة المعبّر عنها بلقاء الحق، وتارةً يعني به وقت مطلق اللقاء أيَّ وقتٍ كان من أوقات الابتداء، أو فيما بعد ذلك، كما أشارَ شيخُ العارفين إلى ذلك في قصيدةٍ نظمِ السلوك، أي القصيدة التائية:

وكلُّ الليالي ليلةُ القدرِ إنْ دنتْ كمـا كـلُّ أيـامِ اللقـا يـومُ جمعـةِ

يعني تنزّلُ الملك الملقي الإلهام [٣٦٣] لقلب صاحب مشاهدة الخلق في الحقِّ يوم اللقاء، فانقضتْ أوطارُه أي حاجات صاحب هذه المشاهدة، يُقال: قضى حاجتَه، فانقضت تلك

(١) انظر الحاشية السابقة.

الحاجة، أي انحلّت مشكلاته. فـ[١]:

٩- إنَّ الفـؤاد مـع التنـزّلِ واقـفٌ ما لم يصحَّ إلى النزيلِ مطارُهُ

أي: الفؤاد مع التنزّل عند تنزّل الروح الأمين عليه واقف أي دائمٌ معه، ليس بغافلٍ عنه، ما لم يصحَّ إلى النزيل أي الروح الأمين. مطارُه زمان طيرانه.

والمرادُ من الروح الأمين في البيتين ملك الإلهام وهو عبارة عن عقله المجرد المستمدّ من العقل الأول كجبريل عليه السلام بالنسبة إلى نبيّنا ﷺ، وهذا المذكورُ شأن مَنْ تشغله الوحدةُ عن الكثرة، لا شان من تشغله الكثرةُ عن الوحدة لأنّه:

١٠- مَنْ كانَ يَشغلُهُ التكاثرُ لم يكنْ يُغنيــه يــومَ ورودِهِ إكثـارُهُ

التكاثر: المتكاثر، يقال من باب المغالبة كاثرهم فكثروهم، من باب نصر، أي غلبوهم بالكثرة، وأكثرَ الرَّجلُ: كثرَ مالُه. ووِرد بالكسر ورودًا: حضر، وأوردَه غيرُه.

يعني: من كان يشغلُه التكاثرُ لقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] لم يكن ذلك التكاثرُ يُغنيه أو لم يكن يغنيه إكثارُه يوم حضوره عند قاضي الحاجات وعالمِ الأسرار والخفيات لقوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَّلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩].

١١- مَنْ ينتمي لحقيقةٍ يَصبرْ على بـأسـائهـا حتّـى يُـرى مقـدارُهُ

الانتماء: الانتساب، والبأساء: الشدّة، والبأسُ: العذاب، وهو أيضًا الشدّةُ في الحرب. والحقيقةُ مشاهدةُ الربوبية بمعنى أنّه تعالى هو الفاعلُ في كلِّ شيءٍ والمقيمُ له، لأنَّ هويّته قائمةٌ بنفسها مقيمةٌ لكلِّ شيء سواه.

يعني: مَنْ ينتسبْ إلى حقيقةٍ ثابتةٍ يصبرُ على شدّةٍ صدرتْ عن الحقيقة، لأنّه تعالى هو الفاعلُ بالخلقِ والإيجاد، حتى يُرى على البناء للمفعول. مقدارُهُ نائبُ الفاعل، يعني يرى مقدارَ البأساء والضراء. مجازاة السراء أي المسرّة والرخاء، أو مقدار صبره على البأساء، بقرينة تذكيرِ الضمير.

١٢- لا كالذي أَمسى لذاكَ مُنافِرًا والمنتسبُ مَنْ لا يُخافُ نفارُهُ

يعني المنتسب إلى حقيقة (هو الذي) يصبرُ على شدّتها، ويرضى بحالِهِ لا كالذي أمسى

---

(١) من البيت (٩) حتى البيت (١٢) ومن البيت (١٤) حتى البيت (١٩) ليس في المطبوع من مواقع النجوم.

أي دخل في المساء لذاك البأس. منافرًا المنافرة والنِّفارُ من الشيءِ: التجافي عنه وتباعده، والمتنسبُ إلى الحقيقة مَنْ لا يخافُ أي لا يظنُّ ولا يعلم نفاره، لأنَّ الخوفَ يتضمّن معنى الظن، والعلمُ في حقيقته ومجازه وهو عمّن يلحق لتوقّع المكروه، وكذا الهمُّ، وأمّا الحزنُ فهو عمّن يلحقُ من فواتِ نافعٍ أو حصول ضارٍّ، أي لا يعلمُ نفار المنتسب إلى حقيقةٍ عن الشدّة، لأنّه أنيس لحبيبه، فكيف يُنافر عمّا صدرَ عن حبيبه، إلاّ أن يكون من المدّعي، ولذلك قال:

١٣ـ مَنْ يدّعي أنَّ الحبيبَ أنيسُه   في حالِه فدليلُهُ استبشارُهُ

الادّعاء: هو مصدر ادّعى افتعال من دعى، وادّعى كذا: زعم له حقًّا أو باطلاً، والدَّعوى على وزن فَعْلى اسمٌ، وألفها للتأنيث، فلا ينوّنُ.

والاستبشار والبشارة اسمٌ من التبشير، كالبُشرى، وما يُعطاه المبشّر، وبمعنى إظهار السرور.

يعني: مَنْ يدّعي أن الحبيبَ أنيسُه في حاله فدليلُ ذلك المدّعي على أُنسِ حبيبه استبشار، عند صدورِ البأس في ظاهر الأفعال.

١٤ـ من يدّعي حكمَ الكيانِ فإنّه   قد تيَمّتْهُ بحبّها أغيارُهُ

الكيانُ: في عرف الحكماء [٣٦٣/ب] والصوفية يُطلق على الأصلِ، فيقال: الحقائق الكيانية، يعني الأصلية، وهو جمعُ كي، وهو المُلكُ عند العجم، والكيان يُطلق على الطبيعة.

ويقال: تيّمه الحبُّ أي عبّده، وذلله، فهو متيَّمٌ، يعني: من يدّعي حكمَ الطبيعة، فإنّه قد ذلّلته وعبّدته بسبب حبِّ الطبيعة أغيارُه، أو من يدّعي حكمَ أَصلِ الحقيقة، فإنّه قد ذلّلته وعبّدته أغيارُه، أي أغيارُ أصلِ الحقيقة بسبب حبّ الأغيار.

١٥ـ مَنْ كان يزعمُ أنّه من آلِه   سبحانَه فشهودُهُ أذكارُهُ

الزُّعْم بالضم اعتقادُ الباطل بلا تقوّلٍ، وبالفتح اعتقاد الباطل بتقوُّلٍ. وقيل: بالفتح قولٌ مع الظنّ وبالضّم ظنٌّ بلا قولٍ، ومن عادة العربِ من قال كلامًا، وكان عندهم كاذبًا قالوا: زعمَ فلان، وقال شريح: لكلِّ شيءٍ كنيةٌ، وكنيةُ الكذب زعم.

وفي «الأنوار»: الزَّعم ادّعاء العلم بالشيء، ولهذا يتعدّى إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ [التغابن: ٧] وما جاء في القرآن في كلِّ موضعٍ ذمٌّ للقائلين، وقد يُستعمل بمعنى (قالَ) مجرَّدًا عن الكذب، وفي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٦] هو الظنُّ الخطأ، وقد جاء فيه الكسرُ كالفتح والضم(١).

وأله يأله بالفتح فيهما إلاهة، أي عبدوا الإله بمعنى المألوه، أي المعبود، والتأليه التعبيدُ والتألّه التنسّك والتعبد، وتقول أله أي تحيّر، وبابه طربَ، وأصله: وله يوله ولهًا، يعني مَنْ زعمَ أنّه ممّن عبدَ اللهَ سبحانه وتعالى فشهودُهُ عبادتُهُ وأذكاره لا شهود الحقّ، لأنَّ الشهود هو الحضور مع المشهود، ويُطلق أيضًا بمعنى الإدراك الذي يجتمعُ فيه الحواس الظاهرة والباطنة، وتتجدّد في إدراكها، وقد عرفتَ أنَّ الموجبَ لاتحادها نورٌ من جانب المشهود يمحو ظلمة حجابيّتها، ويقوم مقامها، فيرى الحق بنوره، ويُفني كلَّ ما سواه بظهوره، وشهود العبادة لا شهود المعبود.

١٦ـ شهداءُ مَنْ قالَ الوجودُ شِعارُه ... أمرٌ يُعَرِّفُ شرعُهُ ودثارُهُ

الشِّعار بالكسر: ما ولي الجسد من الثياب، وشِعار القوم في الحرب: علامتُهم ليعرفَ بعضُهم بعضًا.

وفي «القاموس»: شِعار ككتاب جلّ الفرس، والعلامةُ في الحرب والسفر، والدِّثار لكسر: كلُّ ما كان من الثياب فوق الشِّعار، وقد تدثَّرَ أي تلفف في الدثار.

وكذا في «القاموس» الدِّثار بالكسر ما فوق الشِّعار من الثياب.

والشهداءُ: جمع شهيد، بمعنى المشاهد، يعني: من كان شهودُهم الحقّ، قال: الوجود شعارُ الحق، أو وجودُ الحقِّ شعار المشاهد، وهذا أمرٌ يعرفُهُ شرعُهُ، وهو دِثاره، يعني لباس أحكام الشرع هو دِثارٌ أي دثار المشاهد، يعني مع رؤيةِ الحقيقة يتدثَّرُ بثياب الأحكام الشرعية.

١٧ـ وأنينُهُ ممّا يراه وصمتُهُ ... عنه وعبرةُ وجدِهِ وأُوارُهُ

أَنَّ يئنُّ بالكسر أنًّا وأنانًا، وتأنانًا: تأوّه. ورجلُ أنان كغراب، وشدّاد وهمزة: كثيرُ الأنين.

---

(١) مادة (الزعم) من الكليات ٢/ ٤٠٩.

والصمتُ: السكوت. والعِبرةُ بالكسر: العجب، واعتبرَ: تعجّب، والعَبْرةُ بالفتح: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردّد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاءٍ. والوجدُ: الحبُّ والحزن، لكن يكسر ماضيه. والأُوار كغراب: حرُّ النار، والشمس، والعطش، والدخان، واللهب.

يعني: أنين مشاهد الخلق في الحق، وصمته عنه عمّا شاهده، وعبرة وجده وأواره [٣٦٤] إنّما هي ممّا يراه، أي يَرى الخلقَ في الحقِّ، يعني هذه الحالات له إنّما هي من وصله لا من هجره، وأن هذه المشاهدة تُوجب الاستقامةَ لقوله عليه السلام: «شيبّتني هودٌ والواقعة»[1] لأنّه كان في سورة الهود: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

والاستقامة: هي روح تحيا به الأعمال، وتزكو به الأحوال، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [فصلت: ٣٠] فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ هو من جوامع الكلم، فإنه جمع بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الائتمار بجميع الأوامر، والانزجار عن جميع النواهي، وذلك لو أنّه أتى إنسانٌ بجميع الطاعات، واجتنبَ جميع الخطيئات إلاّ أنّه سرقَ حبّةً من برٍ لخرجَ بذلك عن حدِّ الاستقامة.

واستقامة العامة: هي الاجتهادُ في الاقتصاد في الأعمال، وهو التوسّط بين العلوّ والتقصير، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ﴾ [فاطر: ٣٢] وذلك بأنّه لا يتجاوز في العبادة عن مقتضى أحكام الشرع، لكون ذلك هو الغرضُ الذي يُطالب به العبد.

واستقامة الخاصة: هي استقامة الأحوال، بأن يشهدَ الحقيقةَ كشفًا لا كسبًا، لأنَّ الكسبَ من أعمالِ النفس، والحقيقةُ لا تبدو مع بقاءِ النفس، لأنّ النفسَ ظُلمةٌ وغير، والحقيقةُ نورٌ وفردانية، والنورُ يَنفي الظُّلمة، والفردانية تنفي الأغيار.

واستقامة خاصة الخاصة: هي تركُ رؤية الاستقامة، والغيبةُ عن تطلّب الاستقامة بمشاهدة قيام الحقِّ بذاته لا بغيره، وأن ما سواه لا قيام له إلاّ بالحق المقيم لكلِّ ما سواه[2].

والحزن: توجّعُ القلبِ لفائتٍ، أو تأسُّفٌ على ممتنع، وهو في هذا الطريق تأسُّفٌ على ما يفوت العبد من الكمالات وأسبابها، ويتضمن ذلك أمورًا خمسة، هي: الخوف، والحزن، والإشفاق، والخشوع، والإخبات. وقد سبق تفصيلها.

---

(١) حديث رواه الترمذي (٣٢٩٧) في التفسير، باب ومن سورة الواقعة.
(٢) تعريف الاستقامة وأقسامها من لطائف الإعلام ١/ ٢٠٠.

حزن العامة: لأجل تفريطهم في القيام بما يجبُ عليهم من وظائف الخدمة.

وحزن المريدين: ونعني به ههنا المتوسطين بين العوام والخواص، وحزنُهم من جهة ما قد يعرضُ لقلوبهم من التفرقةِ حرصًا على حصول الجمعية على الحقِّ.

وحزن الخاصة: على غيرهم، وإليه الإشارةُ بقوله تعالى حكايةً عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٣] وإنّما لم يكن للخاصة حزنٌ على أنفسهم، لأنَّ الحزنَ تفرقةٌ وفقدان، وهم أهلُ جمعيةٍ ووجدان، ولهذا جاء في الحديث أنَّ كلَّ ما سوى المصطفى يُنادي يوم القيامة: «نفسي نفسي» وهو ﷺ يقول: «أمتي أمتي»[١]. انتهى[٢].

يعني أنينه وبكاؤه وحزنه إنّما يكونُ خوفًا لعدمِ الاستقامة في أحكام الشرع، لأن الحقيقةَ لا تتمُّ إلاّ بأحكام الشرع، ولذا قال:

١٨ـ ما نالَ مَنْ جعلَ الشريعةَ جانبًا   شيئًا ولو بلغَ السَّماءَ منارُهُ

الجنب والجانب والجنبة: الناحية، والمنار: علمُ الطريق، والمنارة: موضعُ النور والأصل منورة كالمنار والمسرجة والمأذنة، والمنار أيضًا: العلم وما يوضع بين الشيئين من المحدود، ومحجّة الطريق والنار.

يعني: من جعلَ الشريعةَ جانبًا أي ترك شيئًا من الشريعة ما نالَ شيئًا من الحقيقة ولو بلغ السماء مناره، أي: علم اشتهاره ورغبته بين الناس، ولا يعرفُ حالَه إلاّ ذو الحال، لأنّه ستدل على حقيقة من حاله.

١٩ـ الحالُ إمّا شاهدٌ أو واردٌ   تجري على حُكمِ الهَوى آثارُهُ

الحال: هو ما يردُ على القلب من غيرِ تأمّلٍ ولا اجتلاب [٣٦٤/ب] ولا اكتساب من طربٍ أو حزنٍ، أو غمٍّ أو فرحٍ، أو بسط أو قبض، أو شوقٍ أو ذوق، أو انزعاجٍ أو هيبة، أو أنس أو غير ذلك، وذلك بخلاف المقام، لأنه عبارةٌ عندهم عن استيفاء حقوق المراسم [الإلهية] فلهذا قيل: الأحوال مواهبُ، والمقاماتُ مكاسبُ، وإن الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصلُ ببذل المجهود. وقد مرّ تفصيلُه[٣].

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٤٦٤).
(٢) تعريف الحزن وأقسامه: من لطائف الإعلام ١/ ٤١٠.
(٣) ٢/ ٥٧٨. وانظر لطائف الإعلام: ١/ ٤٠٣.

والوارد: ما يردُ على القلب من الخواطر المحمودة من غير تَعمّل العبد، ويُطلق أيضًا بإزاء كلِّ ما يردُ على القلب سواءً كان الوارد قبضًا أو بسطًا، أو فرحًا أو حزنًا، أو غير ذلك من المعاني[(١)].

والشاهد[(٢)]: هو ما تعطيه المشاهدةُ من الأثر في قلب المشاهد، وهو على حقيقة ما يضبطه القلبُ من صورة المشهود.

ولمّا كانتِ المشاهدةُ في اصطلاحهم عبارةً عن شهود الحقِّ من غير تهمة اصطلحوا بلفظِ الشاهد على ما يشهده العبد، وهو المراد بقولهم: الشاهد ما تُعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد، فإنَّ من شاهد الحقَّ لا يكونُ حاله كحال من لم يشاهدْه وذلك الأثرُ إمّا حصول علم لدنّيٍّ، فيقال: فلان شاهده على حصول المشاهد كالعلم [الحاصل] له بعد أن لم يكن. وإمّا وجد، فيقال: فلان شاهده الوجد، وإمّا حال أو غير ذلك.

وقالوا: علامةُ من شاهد الحقَّ هو شاهده أي أنّه إذا شاهدَ الحقَّ فإن شاهده ظهور أثر الحقِّ عليه، مثل أنه إذا شاهدَ ظهوره في غاية حسن الهيئة والجمال، أو في غاية الهيبة والجلال حتى لم يؤثّر فيه لا جمال تلك، ولا جلال هذه بوجهٍ، فذلك هو الشاهد له على فناء نفسه وبقائه بربّه، ومن أثّر فيه ذلك فهو شاهدٌ عليه ببقاء نفسه وقيامه بأحكامه بشريته، فهذا هو معنى قولهم: علامةُ من شاهد الحقَّ هو شاهده. أي إما شاهدَ له أو شاهد عليه. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[(٣)] قدس سره.

والهوى: عبارةٌ عن ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، وإعراضها عن أحكام الشرع، وذلك هو الموجب لانحجابها عن بساطتها الكلّية، وطهارتها الحقيقية بأحكام قيودها الجزئية وتعشّقاتها الخلقية[(٤)] وقد عرفتَ من هذا التفصيل ما معنى قوله رضي الله عنه:

الحالُ إمّا شاهدٌ أو وارد — تجري على حكمِ الهَوى آثارُه

٢٠ـ والناسُ إمّا مؤمنٌ أو جاحدٌ — أو مُدّعٍ ثوبُ النِّفاق شِعارُهُ

---

(١) لطائف الإعلام: ٢/ ٣٧٩.

(٢) لطائف الإعلام: ١/ ٣٥، وقد تقدم هذا صفحة ٢٣٣/أ.

(٣) انظر الحواشي التي تقدمت.

(٤) تعريف الهوى من لطائف الإعلام ٢/ ٣٧٢.

المؤمن: من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] والجاحد: من أنكر وهو الكافر. والمنافق: من أظهرَ الإسلامَ وأبطن الكفر، كما مرّ تفصيلُها في تقرير شُعب الإيمان، من مقام الإسلام والإيمان والإحسان.

والمؤمنُ: الكامل من جمعَ مقام الإسلام والإيمان والإحسان، وهو:

٢١ـ المنزلُ العالي المنيفُ بناؤه وإِهٍ متى ما لم يقمْ عمّارهُ

علوُّ الشيء مثلثةً وعُلاوته بالضم وعاليتُه: أرفعُه، وعلا علوًّا فهو عَليٌّ، وعَلِيُّ كرضي وتَعَلّى وعلاه، وعلا به واستعلاه، واعلولاه، وأعلاه، وعلاّه، وعلا به صعده. ورجل عالي الكعب شريفٌ، وأعلاه وعلاّه جعله عاليًا. وأناف [٣٦٥] على الشيء أشرفَ، والمُنيف جبلٌ وحصن في جبل. ووهى السقاية يهي بالكسر وهيًا: تخرّق وانشقَّ، ووهى الحائط: إذا ضعفَ وهمَّ بالسقوط. وأقام بالمكان إقامةً، وأقامَ الشيءَ أدامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] والعمّار مبالغةُ الصيغة للاسم الفاعل من عمرت المحراب من باب كتب، فهو عامر، أي معمور، كماءٍ دافق، وعيشة راضية، يعني مقام الإحسان، لأنّه نتيجةُ الإيمان، والإيمانُ نتيجة الإسلام هو المنزل العالي الشريف؛ لكن إذا لم يقمْ عمّارُه أي عمار المنزل فبناؤه ضعف وقرب بالسقوط، يعني عمارةُ هذا المنزل العالي بإقامةِ وظائف العبودية، وخرابُه بترك الوظائف.

٢٢ـ العقلُ إنْ جاريتَهُ في ذاتِهِ فَلَكٌ على نيلِ المقامِ مدارُهُ

والمراد ههنا من العقل هو العقل الأول، لا العقل الكلّ، ولا عقل المعاش؛ لأن العقلَ الأولَ نورٌ علمي إلهي ظهرَ في أوّل تنزلاته العينية الخلقية، ولهذا قال عليه السلام: «أولُ ما خلق الله العقل»[1] فهو أقربُ الحقائق الخلقية إلى الحقائق الإلهية، ثم إن العقل الكل هو القسطاس المستقيم، فالعقلُ الكلّ هو العاقلةُ أي المدركة النورية التي ظهر بها صور العلوم المودعة في العقل الأول.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٣٧).

ثم إنَّ عقلَ المعاش هو النورُ الموزون بالقانون الفكري، فهو لا يُدركُ إلاّ بآلة الفكر، ثم أدركه بوجهٍ من وجوه العقل الكل فقط لا طريقَ له إلى العقل الأول، لأن العقل الأول منزّه عن القيد بالقياس، وعن الحصر بالقسطاس، وهو محلٌّ صدور الوحي القدسي إلى مركز الروح النفسي، ومتى قيل: إنَّ الله لا يُدركُ بالعقل، يُراد به عقل المعاش، ومتى قيل: إنه يعرف بالعقل، يُراد به العقل الأول. وقد مرّ تفاصيلها[1].

وجاريته بمعنى جريت معه، يعني إن جريت مع العقل الأول، أي مع النور المُنتسب إليك من نور العقل الأول في ذاته تعالى، فهو فَلَكٌ معنويٌّ محيط لقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٤] أو العقل الأول فَلَكٌ محيط بالكائنات، ومدارُ ذلك الفَلَك على الوجهين: كائنٌ على نيل المقام، أي مقام مُشاهدة الخلق في الحقِّ كما سبق تفصيله آنفًا فنشاهد الحقائق على ما هي عليه.

٢٣ـ لو كان تُسعدُهُ النُّفوسُ فإنّما حجبَتْهُ عن نيلِ العُلى أوزارُهُ

أي لو كان العقلُ تُسعده النفوس، فإنّما حجبته أوزاره، أي أوزار العقل التي نشأتْ من النفوس عن نيل المقام العليّ، وهو مقامُ المشاهدة، وجمع النفوس على الإطلاق، أو على اعتبار كونها أمّارة، ولوّامة، ومُلهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية.

والوِزر بالكسر: الإثم والثقل والكأدة الكبيرة، والسلاح، والحمل الثقيل. والجمع أوزار، والعُلى بضم العين وقصر الألف بمعنى الرِّفعة والشرف، أو لو كان تُسعده أي صاحب العقل النفوس بسبب مُجاهدتها في سبيل الله، فإنما حجبَتْه أوزارُه عن نيل المقام العلي.

٢٤ـ فإذا أتتْهُ عنايةٌ من ربِّهِ في الحالِ حفَّ ببابِهِ زوّارُهُ

العناية: السابقة، أي الإرادة، فمن تعلّقت بهدايته إرادةُ الحقِّ أزلاً يسّرت أسبابُه، وطُوي له الطريق، وحُمل على الجادة، والمحجّة البيضاء، ووُهب سرَّ تدبير نفسه، وحُبِّب إليه كلُّ شيء، ونعّم به، ولا يمقتُ إلاّ ما مقته الله تعالى أدبًا وشرعيًا، وهو المعبَّرُ عنها بالعناية الأزلية.

الحنين: الشوق وتوقان النفس، وقد حنَّ إليه يحِنُّ بالكسر حنينًا [٣٦٥/ب] والحنان:

---

(١) انظر صفحة (١/ ١٥٥، ٥٣٦، ٢/ ٤٨).

الرحمةُ، وقد حنَّ عليه يَحِنُّ بالكسر حنانًا. وفي «القاموس»: الحنين: الشوقُ، وشدَّة البكاء، والطرب، أو صوتُ الطرب عن حُزنٍ أو فرحٍ، حنَّ يَحِنُّ حنينًا، فهو حانٌّ. والزوّار جمع الزائر.

يعني: إذا أتته ـ أي صاحب العقل ـ عنايةٌ من ربّه في الحال حنَّ ببابه زوّاره، أي أساق إليه زوّاره، وقصدوا بابَه لزيارته للانتفاعِ منه.

٢٥ـ ورأيتـهُ لمّـا تخلّـص روحُـه ... مـن سجنِـهِ أَسـرى بـه جبّـارُهُ

يعني إذا تخلّص روح صاحب العقل الأوّل من سجن طبيعته، أي: إذا أُطلق من القيودات الطبيعية، والكدورات النفسانية الخلقية أَسري به جبّاره. أسرى أي سار ليلاً لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

مطلب المعراج الروحاني

وهو عبارةٌ عن المعراج، وههنا يُريد به المعراج الروحاني للسائرين إلى الله الذي هو مُنتهى سيرِ المقرَّبين لا المعراج الجسماني المختصّ لنبيِّنا ﷺ؛ لأنّ العروجَ في اصطلاحهم هو من سلوكُ المقرَّبين، وذلك أنَّ كلَّ سالكٍ على طريقٍ كان غايته الحق بشرطِ فوزه منه سبحانه وتعالى لسعادةٍ ما، وذلك السَّالكُ صاحبُ معارج، وسلوكه عروج، وهو العروجُ عمّا سوى الحقّ.

٢٦ـ وقد امتطى رحبَ الدِّيار مدنَّرًا ... يُدعي البُراق فما يُشَقُّ غبارُهُ

امتطاها اتَّخذها مطيةً، مطا أي جدَّ في السير وأسرع، والمطيّة، الدّابةُ تمطو في سيرها، وامتطاها وأَمطاها جعلها مطيّةً. والرُّحب بالضم السعة، يُقال: فلان رحبُ الصدر، والرَّحب بالفتح الواسع، وبابه ظرف، ورحبًا أيضًا بالضم، والدِّيار جمع دار، أي: واسع الديار، يعني: امتطى للسير في الدار الواسعة، وهي عالم الأعلى والأوسع.

والمُدَنَّر بضم الميم وفتح النُّون المشدّدة: فرسٌ فيه نُكَتٌ فرق البَرَشِ[1].

---

(١) المدنر: برذون مُدنّر اللون: أي فيه سواد مستدير يخالطه شبهة. وفي المطبوع من المواقع: مدبّرًا بالباء.

وفي بعض النسخ: رحب اللبان، واللبان: بالفتح الصدر، أو وسطه، أو ما بين الثديين، أو صدر ذي الحافر، وهو أنسبُ للمقام، لأنَّ رحبَ اللبان يكون كنايةً عن المطيّة التي تكون واسعةَ الصدر.

يدعي يعني يُسمّى ذلك الفرس البراق.

والبراقُ كغُراب: دابةٌ ركبها رسولُ الله ﷺ ليلة المعراج، والمراد ههنا نفس السالك، كما قيل: نفسُكَ مطيَّتُكَ فارفق بها، يعني نفسه المطمئنة التي تستأهلُ الدعوة لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧ـ ٣٠] فما يشق من المشقة، غبارُه أي غُبار البراق لشدَّةِ سرعة السير، لأنه كالبرقِ الخاطف، فكيف يشقُّ غبارُه على راكبه، يُستعمل في مبالغة سرعة السير.

٢٧ـ تهوي به الهوجُ الشِّدادُ فيرتمي نحو الطِّباقِ وشبههنَّ شفارُهُ

هوى من باب صدى: أحبَّ، وهوى يهوي كرمى يرمي هَوِيًّا بالفتح: سقط إلى أسفل، وهوتِ الريح: هبّت، وفلانٌ مات، وهويًا بالضم والفتح، وهويانًا سقطَ من علوٍّ إلى سُفْل كانهوى. والرَّجُل هُوَةً بالضم: صَعِدَ وارتفع، أو الهَوِيُّ بالفتح للإصعاد، والهُوِيُّ بالضم للانحدار. كذا في «القاموس».

أي يرتفع به الهوجُ، والهُوجُ بالضم جمعُ الأهوج والهوجاء، والهوجاءُ الريح التي تقلع البيوتَ لشدّتها، والناقةُ المُسرعة حتى كأنَّ [٣٦٦] بها هوج، والهَوَجُ محرَّكةً: طولٌ في حمق وطيش، أي: خفت وتسرع، والشِّداد: جمع شديد صفة الهوج، فيرتمي، يقال: رمَى الشيءَ من يده فارتمى، نحو الطباق السبع: أي السموات، لقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [الملك: ٣] وشبههن أي كأنَّ الطباقَ شفاره في سرعة السير، والشفار والأشفار جمع الشُّفر بالضم: أصل منبتِ الشعر في الجفن، ويُفتح، كأنه خرق الطباق: أي جاءَ بها في طرفةِ عين، يقال: طرف بصره، إذا أطبقَ أحدُ جفنيه على الآخر، والمرَّةُ منه طرفة، يقال: أَسرعُ من طرفة عينٍ.

وحاصل المعنى: أنّ الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٧] فتهوي إليه الرياحُ الشداد، فترميه نحو الطباق السبع في طرفةِ عينٍ، حتى يرتقي إلى أنوار الطباق.

٢٨ـ ما زالَ يتركُ كلَّ نورٍ لائحٍ مِن جانبيه فما يقرُّ قرارُهُ

أي السائر في الطباق السبع، كان يتركُ كلَّ نورٍ لائح أي لامعٍ من الأنوار السبعة هي: الهلال، والقمر، والبدر، والكوكب، والنار، والسراج، والبرق، من الأنوار الثمانية التي تكمّلتْ بالشمس. وقد مرّ تفصيلُ كلِّ واحدٍ منها. من جانبيه متعلّقٌ بلائح، أي كلُّ نورٍ لامعٍ من يمينه ويساره، أو من مشرقه ومغربه كما سبقَ في محلِّه. فما يَقِرُّ قرار السائر مع أحدٍ من تلك الأنوار.

٢٩ـ حتّى بدتْ شمسُ الوجودِ لقلبِه وبدا لعينِ فؤادِه إضمارُهُ

يعني: فما يقِرُّ قرارُه مع أحدِ الأنوار اللامعة حتّى بدتْ شمسُ الوجود أي حتّى تجلّت وظهرت الحقيقةُ المحمدية في قلبه، أي قلب السائر، ويكون مظهرًا لها، وظهر لعينِ قلبه إضمارُهُ أي استقصاؤه؛ لأن الإضمارَ يجيءُ بمعنى الاستقصاء، وهو بلوغ الغايةِ كما يقال: استقصى في المسألة، بمعنى بلغَ الغايةَ؛ لأنَّ تجلّي الحقيقة المحمدية التي هي حقيقةُ الحقائق هو غايةُ المشاهدةِ، وعينُ المعاينة.

٣٠ـ وتلاقتِ الأرواحُ في ملكوته فتواصلتْ ببحارِه أنهارُهُ

يعني عند تجلّي الحقيقة المحمدية تلاقتِ الأرواح، أي لقي بعضُهم بعضًا في ملكوته، أي: في غيبه ﷺ، فتواصلتْ ببحاره عليه السلام أنهاره أي أنهار كلِّ واحدٍ من هذه الأرواح، أو تلاقتِ الأرواحُ بذلك السالك في ملكوته عليه السلام، أو في باطن السالك. فتواصلت ببحاره أي ببحار كلِّ واحدٍ من الأرواح أنهار السالك، أو تواصلت ببحار السالك أنهارُ كلِّ واحدٍ من الأرواح؛ لأنَّ السالك حينئذٍ يكون مظهرًا للحقيقة المحمدية، فهو المراد من قوله: (فتواصلت ببحاره أنهاره) والبحر: ضدُّ البر، قيل: لعمقه واتّساعه، والجمعُ أبحر، وبحار، وبحور، وكلُّ نهرٍ عظيم بحر، والأنهارُ جمع النهر، وهما كنايتان عن المعارف الإلهية والعلوم اللدنية.

٣١ـ مدَّ اليمينَ لبيعةٍ مخصوصةٍ أبدى لها وجهَ الرِّضا مختارُهُ

يعني روح محمد ﷺ مدّ اليمينَ الروحانية، أو ذلك السالك مدَّ اليمينَ الروحانية. لبيعةٍ مخصوصة أي ليبايعَه الأرواح خاصةً، لأنّه حينئذٍ مظهرُ الحقيقة المحمدية، فأبدى لها أي:

ظهرَ للأرواح وجهَ الرضا هو مختاره عليه السلام، أو مختار السالك الذي هو مظهرُ الحقيقة المحمدية. رضي به وعليه وعنه بمعنًى [٣٦٦/ب] والرِّضى والرضاء بالقصر والمدِّ: كمالُ إرادة وجودِ شيءٍ، والمحبةُ إفراطه، والرضا أخصُّ من الإرادة؛ لأنّ رضا الله تعالى تركُ الأغراض إلى الإرادة كما قالت المعتزلة، والرضا قسمان:

قسمٌ يكونُ لكلِّ مكلَّفٍ، وهو ما لا بدَّ منه في الإيمان، وحقيقتُهُ قبولُ ما يردُ من قِبَلِ الله من غيرِ اعتراضٍ على حكمِه وتقديره.

وقسمٌ لا يكونُ إلاّ لأربابِ المقامات، وحقيقتُهُ ابتهاجُ القلب وسرورُهُ بالمقضي. والرضوان كثير الرضا.

٣٢ـ لمّا بدا حسنُ المقامِ لعينه عقدتْ عليه خلافةً أزرارُهُ

يعني: لمّا ظهر حسنُ المقام المخصوص لعينه ﷺ، أي لحقيقته، أو لعين السالك الذي هو مظهرُ الحقيقةِ المحمدية، عقدتِ الأرواح عليه على المظهرِ الحقيقة المحمدية ﷺ؛ لأنَّ الذين يبايعونه إنّما يبايعون الله إذ يد الله فوق أيديهم[١]، لأنَّ المقام هو مقام مشاهدة الخلق في الحقِّ، فعقدتْ أي بايعت عليه خلافة، لأنّه صاحبُ مرتبةِ الخلافة الكبرى، وهي مرتبةُ الإنسان الكامل المستوعبِ لجميع الحقائق والصفات الإلهيةِ المنسوبة إلى الحقِّ، والكونيةِ المنسوبة إلى الخلق بلوازمها وأحكامها المُتّصلة ببرزخ البرازخ، الجامعِ بين الغيبِ الذاتي الإلهي الإطلاقي وأحكام الوحدانية الوجوبية، وبين الحقائقِ والخواصِّ الكونية وأحكامها الإمكانية على سبيل الحيطة، فصاحبُ هذه المرتبة هو صاحبُ الكمال الذي تُسند إليه مرتبةُ الخلافة الكبرى الوحدانية التي لا يثبتُ الشرفُ والرِّفعة والكمال إلاّ بالقرب منها، وكذلك الخسّةُ والإيضاع بالبعد عنها. و(خلافة) تمييز يرفع الإبهام عن نسبة في جملة عقدت. و(أزراره) إمّا فاعل (عقدت) إن لم يقدّر، كون فاعله الأرواح، وإن قُدّرَ فهو بدلٌ من (الأرواح) المقدّر، يعني: أزراره كلّ واحدٍ من الأرواح، وهي جمعُ زر، والزِّرُّ بالكسر الذي يُوضع في القميص، والجمع أزرار، وزُرور. وعظمٌ تحت القلب، وهو قوامُهُ. يعني عقدتْ عليه خلافة قلوب كلِّ واحدٍ من الأرواح، يقال عقدَ الحبل، والبيعَ، والعهد فانعقد.

---

(١) هو من قوله تعالى في سورة الفتح (١٠): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣٣ـ ثم الْتَوَى يَطْوِي الطَّرِيقَ لجسمِهِ ليلاً حذارًا أَنْ يبوحَ نهارُهُ

يعني صاحب المعراج الروحانية بعد هذه البيعة في عالمِ الأرواح التوى: أي انعطفَ، وعادَ إلى عالم الأشباح لجسمه، وهو يطوي أي يقطعُ الطريقَ ليلاً أي سرًّا، حذارًا: محاذرًا بمعنى تيقظًا واحترازًا أن يبوحَ أي أن يُظهرَ سرَّه نهارُهُ أي ظاهره.

يعني: هذا العروجُ والهبوط إنّما كان باطنًا بالروح لا ظاهرًا بالجسد؛ حتى لا يظهر سرُّه المكتوم.

٣٤ـ وأتتْ ركائبُهُ لحضرة مُلْكِهِ بودائعٍ يقتادُها أبرارُهُ

والمرادُ من الركائب قواه النفسانية. يعني: بعد رجوعه عن مقام الروح إلى مقام الجسم عادت ورجعت إلى قواه النفسانية لحضرة ملكه: أي بدنه، بودائع جمع وديعة، يقال: أودعه مالاً، أي دفعه إليه ليكون وديعةً عنده، وأودعه مالاً أيضًا قَبِلَه منه وديعةً، وهو من الأضداد، واستودعه وديعةً: استحفظه إيّاها، يعني: تكونُ القوى فيه ودائعَ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقتادها أي تلك القوى أبرارُه، يُقال: قاد الفرسَ وغيره من باب [٣٦٧] قال: ومَقادة بالفتح، وقيدودة، واقتاده بمعنًى، وقوّده شدّد للكثرة، والانقيادُ: الخضوع، يقال: قادَه فانقادَ. البِرُّ بالكسر الصلةُ، والجنّة، والخيرُ، والاتساع في الإحسان، والحجُّ، والصدقة، وضدُّ العقوق، وكلُّ فعلٍ مرضيٌّ فهو بر، والبَرُّ بالفتح من الأسماء الحسنى، والصادق، وضدُّ البحر، والبارُّ حيثُ وردَ في القرآن مجموعًا في صفة الآدميين قيل أبرار، وفي صفة الملائكة قيل بررة، يعني: تقتادُ أفعالُه المرضيّةُ وصفاتُه المحمودةُ القوى النفسانيةَ المُودعةَ فيه من الله تعالى، ولا تقتادها الأفعال الذميمة.

٣٥ـ وتوجّهتْ سُفراؤه بقضائه في كلِّ قلبٍ لم يزلْ يَختارُهُ

السفير: الرسول المُصلحُ بين القوم، والجمعُ: سفراء كفقيه وفقهاء، وبابه ضرب.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية» في السُّفراء والرُّسل الموجّهين [إلى الثائرين] بمدينة البدن[1]: اعلمْ أيُّها السيدُ الكريم، [أنَّ] الحكمةَ قد أعطتْ عند مَنْ غلبَ [عليه] عقلُه على شهوته من الملوك أنه لا يوجّه رسولاً إلى عدوٍّ من

(١) التدبيرات الإلهية: ١٨٩.

أعدائه إلاّ ذا فطنةٍ وذكاء، وشجاعة ووفاء، وصدقٍ وديانة وأمانة، وعلمٍ بالحجّة ومواقع الكلام؛ فإنَّ الرّسولَ دليلٌ على مرسله [ومنزلته]، فإنْ كان على هذه الأوصاف عُلمَ أنَّ مرسلَه بهذه المثابة وأعلى، فإنّه لولا علمُ من أرسلَه وعقله لمّا ميّزَ هذا الرسول من غيره، وإن كان بضدِّ ما وصفنا كاذبًا خائنًا كثيرَ الهوس سخيفًا، عُلمَ أن الذي أرسلَه أسخفُ منه، فإذا تقرّرَ هذا فلتكن رسلُكَ إلى الهوى [الملك المطاع الثائر بمدينتك] التوفيقَ والهدى، والفكرَ والاعتبار، والتدبّر والثبات، والقصدَ والحزم، والاستبصار والتذكر والخوف، والرجاء والإنصاف، وما شاكل هذه الأوصاف، فهذا ينبغي أن يكونَ رَسُلَكَ، [فأفلح وربح وعظم ملكٌ كانت رسله هؤلاء إلى أعدائه، فإنه يُعلم على الضرورة أنهم يقمعون عدوَّه بالحجة القاطعة، وربّما أسلم، ويرجع الهوى الذي كان يقصد الشرَّ يقصد الخيرَ، وتُكفى مؤونة المقابلة والمقاتلة] فإن تقدّمتْ رسلُ الهوى الذي هو الثائر المداوم عليك، والساعي في فساد ملكك، فلا تُغلظ عليهم، فإنّ إهانةَ الرُّسل من عدم السياسة، ورسُلُه الحرصُ والكذبُ، والخيانة والغدر، والجبن والبخل، والجهلُ والشَّره، والبغي[1] والبلادة، وما شاكل هذا الصنف. انتهى

وقال رضي الله عنه أيضًا في سياسة القوّاد[2] [والأجناد ومراتبهم]: أيُّها السيد الكريم، ينبغي لك أن تنظرَ في هذه الجهات ـ أي اليمين والشمال والخلف والأمام ـ التي يدخل عليك الفساد منها، وتجعلَ على كلِّ جهةٍ منها واحدًا من هؤلاء الأربعة ـ أي: الخوف، والرجاء، والعلم، والتفكر ـ بأتباعهم وأجنادهم يحمون المُلكَ، وتعيش هنيئًا في عافيةٍ آمنًا، [فإنّ عدوَّك ختّارٌ جبان لا يقوى على القتال، وإنما يطمع في الغدر] فإذا جعلتَ المراقبةَ عطايا هؤلاء الأربعة صلحَ أَمرُك، ومهما جاءك العدوُّ ـ أي الشيطان ـ من أيِّ ناحيةٍ وجد من يمنعُه من الوصول إلى مراده فيك، فلتجعلِ الخوفَ عن يمينك، والرجاءَ عن شمالك، والعلمَ من بين يديك، والتفكّر من خلفك.

فإذا جاءَ العدوُّ من جهة يمينك وجدَ الخوفَ بأجناده فلا يستطيع دفاعًا، وكذلك ما بقي، وإنّما رتّبنا هذا الترتيب لأنَّ العدوَّ إنّما يأتي من هذه الجهات، فخصصنا الخوفَ باليمين،

---

(١) المثبت في التدبيرات: والعي. وفي نسخة منه (الغي).
(٢) التدبيرات الإلهية: ١٩٣.

وذلك أنَّ اليمينَ موضعُ الجنة، والشمالَ موضعُ النار، فإذا جاءَ العدوُّ من قِبَلِ اليمين إنّما يأتي بالجنّة العاجلةِ، وهي الشهوات واللذّات، فيزيّنُها له، ويجيء بها إليه، فيُعرضُ له الخوف، فيدرأه عنها، ولولاه لوقعَ فيها [٣٦٧/ب] وبوقوعه يكونُ الهلاك في ملكك، فلا يجبُ أن يكونَ الخوفُ إلاّ في هذا الموضع، ولا يستعمله في غيرها من الجهات، فيقع اليأسُ والقنط، ومن الحكمة وضعُ الأشياء في مواضعها، فالخوف للإنسان كالعُدّة للجندي، فلا يأخذُها إلاّ عند مباشرة العدو، أو لتوقّي نزوله، وإن أخذها في غيرِ هذا الموطن سُخر به، وكان سخيفًا جاهلاً.

وإن أتاكَ العدوُّ من جهة الشمال، فإنّه لا يأتيك إلاّ بالقنوط واليأس، وسوءِ الظن بالله وغاية المقت[1] ليوقعَ بك، فتهلَكَ، فيقوم له الرّجاءُ بحُسن الظنِّ بالله عزّ وجل، فيدفعُه ويقمعُه.

وكذلك إذا أتاك من بين يديك أتاك بظاهر القول[2]، فأدّاك إلى التجسيم والتشبيه، فيقومُ له العلمُ، فيمنعه أن يصلَ إليك بهذا، فتكون من الخاسرين.

وكذلك إذا أتاك من خلفك أتاك بشبهٍ وأمرٍ من جهة الخيالات الفاسدة، فيقوم التفكّر فيدفعُه.

فإذا رتّبتَ هؤلاء كما ذكرتُ لك امتنعَ بلدُك واحتمى، ولم يستطعِ العدوُّ مدافعتهم.

وفي الأربعة يجمعُ العشرة، فإنَّ الأربعةَ حقيقتُها أربعةٌ، وفيها ثلاثة، فكانت سبعةً، وفيها الاثنان فكانت تسعةً، وفيها الواحد فكان العشرة، وبها يحفظُ الحدود العشرة التي هي رأسُ التنزيه، وهي: أمام وخلف، ويمينٌ وشمال، وفوق وتحت، وقبلٌ وبعد، وكلٌّ وبعض، فمن نزّه ربّه عن هذه الحدود التي مدارُ السلامةِ عليها، وبقاءُ المُلك في دار البقاء، فقد نزّه ونالَ السعادةَ الأبدية. انتهى

يعني: توجّهت سفراؤه بقضائه أي بحكمه تعالى في كلِّ قلبٍ طاهر لم يزل دائمًا ما يختارُه تعالى، أو توجَّهتْ سفراؤه تعالى، أي إلهاماتُه تعالى بقضائه في كلِّ قلبٍ طاهر لم يزل ما يريده سبحانه وتعالى وتقدّس.

---

(١) في التدبيرات الإلهية ١٩٤: وغلبة المقت.

(٢) في الأصل: بظاهر القبول. والمثبت من التدبيرات.

٣٦ـ وحمتْ جوانبَهُ سيوفُ عزائم	منه وطاف ببابه سُمّارُهُ

حمى الشيءَ يحميه حَميًا وحِمايةً بالكسر وتحميةً: منعه. عزم على الأمر يعزمُ عزمًا، ويضمُّ، ومَعزم كمقعد ومجلس، وعُزمانًا بالضم، وعزيمًا، وعزيمةً وعزمه، واعتزمه، وعزم عليه أراد فعله وقطع عليه، أو جدَّ في الأمر، وعزم على الرَّجلِ أقسمَ، وعزمُ الرّاقي في العزائم أي الرُّقى، أو هي آياتٌ من القرآن تُقرأُ على ذوي الآفات رجاءَ البرء، وأولو العزمِ من الرُّسل الذين عزموا على أمرِ الله فيما عَهِدَ إليهم. وسمر سمرًا أو سُمورًا لم ينم، وهم السُّمّار، والمسامرةُ في اصطلاحهم خطابُ الحقِّ تعالى للعارفين من عالم الأسرار والغيوب: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ـ ١٩٤] وإنّما كنّوا عن ذلك بالمسامرة لأنّها في العُرف عبارةٌ عن المحادثة ليلاً.

وفي بعض النُّسخ: غرائم بالغين المعجمة والراء المهملة جمع غرام، وهو الشرُّ الدّائم، وهو أَنسبُ بقرينة البيتِ الآتي.

فعلى الأول معنى البيت: حمتْ جوانبَ صاحب المقام سيوفُ عزائم. أي آيات القرآن من مخالفة النفس والهوى.

وعلى الثاني: سيوفٌ قاطعةٌ للشرور، والسيوفُ القاطعة أيضًا كنايةٌ عن آيات القرآن، و(منه) متعلّق بطاف، والضميرُ عائدٌ إلى الحقِّ، يعني: حمتْ جوانبَ صاحب مقام مشاهدة الخلق في الحقِّ سيوفٌ قاطعةٌ للشرور، وطاف ببابه أي باب صاحب المقام، أي بقلبه منه تعالى. سُمّاره: كنايةٌ عن أملاك الإلهام، كما سبق بيانه آنفًا. [٣٦٨].

٣٧ـ أين الذين تحقَّقوا بصفاته	هذي العُداةُ فأين هُمْ أَنصارُهُ

التحقّقُ: معرفةُ معانيها بالنسبة إلى الحقِّ سبحانه، وبالنسبة إلى العبدِ.

وقيل: التحقّقُ بالأسماء والصفات القيامُ بها؛ فإنَّ العبدَ متخلقّ بها، وأمّا إذا زالت المنازعة والمعاوقة بالكليّة، فإنَّ العبدَ حينئذٍ يكون متحقّقًا. وقد مرّ مرارًا.

هذي العداة المشارُ إليها على الوجه الأول مخالفات النفس والهوى على الله تعالى، وعلى الثاني الشرور المتنشأةُ من المخالفات. فأين هم أنصارُه؟: أي أنصار صاحب المقام، والأنصارُ جمع نصير كشريف وأشراف بمعنى المعين.

يعني: إنَّ الذين تحقَّقوا بأسمائه وصفاته تعالى هم أنصارُ صاحبِ المقام على أعدائه، فإن العُداةَ بالضمِّ كالأعداء، جمع العدو، ويحتملُ أن يكونَ المشار إليها أعداءه في الآفاق بقرينة:

٣٨ـ مَنْ يدّعي حُبَّ الإمامِ فإنَّما　　قـذفـتْ بـه نحوَ المنـونِ بحـارُهُ

وقد مرّت تفاصيلُ إمام مبين، وإمام العارفين، وإمام المتقين، وههنا يُرادُ به صاحبُ المقام المذكور آنفًا. قذفت به: أي رمت بمن ادّعى حُبَّ الإمام (نحو) أي جهة. المنون: الدهر والموت، لأنه تقطع المدد، وتنقص العدد، وهي مؤنثة، وتكون واحدة وجمعًا. وريبُ المنون: حوادثُ الدهر، والضميرُ في (بحاره) عائدٌ إلى الإمام، والمراد من الموت الفناء في الله، لأنّها نهايةُ الفناء أوّلُها: الفناءُ عن الشهوة بسقوط الأوصاف المذمومة، ثم الفناءُ في الأفعال، ثم في الصفات، ثم في الذات. وقد مرّ تفاصيلُها.

٣٩ـ وسطا على جيشِ الكيانِ بصارمٍ　　عضبِ المضاربِ لا يفُلُّ غرارُهُ

السطوة: القهر بالبطش. والجيش: الجُند، أو السائرون لحربٍ أو لغيرها. والكيان: الطبيعة. والصارم: السيفُ القاطع. العضبُ: القطعُ، والشتمُ، والتناول، والضرب. وقد عضب ككرم عضوبًا. والمضاربُ: جمع مضربٍ، ومضربُ السيف محلُّ ضربه وقطعه وفله. وفلّله ثلّمه، وسيفٌ فليل ومفلول وتفلّلت مضاربُ السيف: أي تكسّرت.

يعني: مَنْ يَدّعي حبَّ الإمام حملَ على جيشِ الطبيعةِ بسيفٍ قاطع مضاربُهُ، لا يفلّ غراره. والغِرارُ بالكسر: حدُّ السيف، يعني: لا يثلمُ ولا يُكسر حدُّ السيف مع ضربه على رؤوس العدا، والمُراد من ذلك السيف هو سيفُ المجاهدة للنفس والهوى. وفّقنا الله تبارك وتعالى.

٤٠ـ مَنْ يهتدي أَهلُ النُّهى بمنارِهِ　　ذاكَ الخليفــةُ تُقتفــى آثــارُهُ

يعني: من يَهتدي من أهلِ النُّهى بمناره ﷺ ذاك الخليفةُ تُقتفى آثاره. والنُّهية بالضم: واحدةُ النُّهى، وهي العقول، لأنّها تَنهى عن القبيح. والمرادُ من المنار ههنا محلُّ النور الذي هو روحُ سيِّدنا محمدٍ ﷺ. يعني: من يهتدي مِنْ أربابِ العقولِ بمنارِهِ ﷺ ويبايعُه ـ كما مرَّ في بيانِ مبايعة الأرواحِ ـ فهو الخليفةُ الكاملُ الذي من شأنه الصبرُ والثبات في حاقِّ الوسط من الخلق والحق، ليأخذ المددَ من الحقِّ بحقيقةٍ، ويُعطي الخلقَ بخليقته، فلا يميلُ إلى طرفٍ،

فيهمل الطرفَ الآخر. يعني: هو الخليفةُ الكامل الذي تُقتفى ـ على البناء للمفعول ـ آثارُه: نائب الفاعل، والضميرُ عائدٌ إلى الخليفة، واقتفى أثره وتقفّاه: اتّبعه. والأَثَر بفتحتين ما بقي من رسمِ الشيءِ [٣٦٨/ب] وضربة بالسيف، وسُنَن النبي ﷺ، والمرادُ ههنا المعنى الثالث، وجمعه آثار.

٤١ـ إنَّ الذين يُبايعونَكَ إنَّهم ليبايعونَ مِن اعتَلَتْ أَسرارُهُ

فيه التفات واقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] والمبايعةُ عبارةٌ عن قولٍ وقرار لِتبعيَّت ذي قدرٍ كامل واقتدائه. يقال: علا النهار: ارتفعَ، كاعتلى واستعلى. وقوله: من اعتلتْ أسرارُه: كنايةٌ عن الله تعالى بقرينة: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يعني التفَتَ عن الغيبةِ إلى الخطاب، فخاطبَ الخليفةَ الذي تُقتفى آثاره: إنَّ الذين يُبايعونك إنّهم ليبايعون الله.

٤٢ـ فيمينُكَ الحَجَرُ المُكرَّمُ فيهم يا قبضةً خضعتْ لها أخيارُهُ

والمراد من الحَجَر المُكرّم هو الحجر الأسود، الذي هو يمينُ الله في الأرض.

وقال رضي الله عنه في «التدبيرات الإلهية» في الأحجار الإنسانية[١]: الحَجَرُ المُكَرَّمُ آيَةٌ من كتاب الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] يدورُ به فَلَكُ الحياة، يوجد من كلِّ موجود، وفي كلِّ شيءٍ خاصيَّتُه قلبُ الأعيان إذا دُبِّرَ وأُحكم، وألقيتَ منه أدنى شيءٍ على ما شئت قَلَبَ عينَه لما تعطيه حقيقة ذلك الشيء، كالإكسير عند أهلِ الكيمياء، تأخذه فتحمله على القزدير والحديد، فيقلبُهُما فضةً، وعلى النحاس والرصاص فيقلبهما ذهبًا، وهو واحد، واختلف القبولُ لاختلاف الطبائع، كذلك هذه الحقيقةُ[٢] تُلقيها ـ أي تحملها ـ على العاصي فيصير طائعًا، وعلى الكافرِ فيصير مؤمنًا، [وهذا] هو الكبريتُ الأحمر العزيز الوجود، الذي جعله الله من ضنائنه، وأودعَهُ في أرفعِ خزائنه، من وصلَ إليه لا يُرى أثرُهُ عليه، ومن حصلَ عليه فهو ضنينٌ، ولنا في معناه أبيات:

مُدّعي الصَّنعةِ من غيرِ سببْ عشتَ في زُورٍ ودَعْوى وكَذِبْ
فاستمعْ قولَ محبٍّ ناصحٍ صادقِ اللهجةِ محفوظِ الطَّلَبْ

---

(١) التدبيرات الإلهية: ٢١٨.

(٢) في الأصل: الحقيقة يقلبها إن تحملها على العاصي.

نـــزّلِ النيِّـــرَ فـــي أفـــلاكِـــهِ واسْعَ في تحصيلِ تركيبِ النّسَبْ
وخـــدِ الآبـــقَ مـــن مَعْـــدِنِـــهِ وأَمــطْ عنــه الفِــرارَ المُكتســبْ
فــإذا مــا رُضْتَــهُ واحتملَــتْ ذاتُــه التَّــركيــبَ فيهــا ورَسَــبْ
[صعّـدِ الفـاضـلَ وانظـر حـالَـهُ بـامتــزاجِ النَّيِّـراتِ فــي لَهَـبْ]
فــإذا أفنـــاه يبقـــى سَبَـــبٌ يقلـبُ آلانَـك فـي العيـنِ ذهـبْ

انتهى

يعني: إذا كان مبايعتُكَ مبايعةَ الحقِّ، فيمينُك الحَجَرُ المكرّم، الذي هو يمينُ الله في الأرض. (يا قبضةً خضعت لها أخباره)، أي: أخبار عبادِه تعالى، وضميرُ فيهم عائد إلى الذين يبايعونه.

٤٣ـ يا بيعةَ الرِّضوانِ دمتِ سعيدةً حتّى تُعطَّـلَ لـلأنـامِ عشـارُهُ

تفصيل بيعة الرضوان قد مرَّ في قوله[1]:

مــدَّ اليميــنَ لبيعــةٍ مَخصــوصــةٍ أبـدى لهـا وجـهَ الـرِّضـا مختـارُه

والعِشارُ بالكسر: جمع عشراء كفقهاء، وهي الناقة التي أتى عليها من وقتِ الحملِ عشرةُ أشهر، ويجمع على عُشَراوات بضم العين، وفتح الشين، وقد عشَّرتِ الناقة تعشيرًا: أي صارت عشراء. والمرادُ من تعطيلِ العشار: أي النوق الحوامل يومَ الحشر، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] أي عطَّلها أربابُها اشتغالاً بأنفسهم، يعني: بيعةُ الرضوانِ دائمةٌ إلى يومِ القيامة، فيبايع الأخيار لخليفة في كل عصر.

٤٤ـ إنَّ الدِّيارَ بلاقعٌ ما لم يكنْ صَفْـو اللُّجيـنِ نَـزيلهـا ونُضـارُهُ

البُلقع وبهاء: الأرضُ القفر [٣٦٩] والجمع بلاقع، يُقال: اليمينُ الفاجرة تذر الديار بلاقع. والقفر: مفازةٌ لا نباتَ فيها، ولا ماء، والجمعُ: قفار. واللُّجين الفضة جاء مصغَّرًا مثل الثريا والكُميت. والنزيلُ: الضيف. والنُّضار بالضم، والنضير الذهب أو الفضة، والجمع نِضار بالكسر.

يعني: إن الديار قفار ما لم يكن صفو اللجين ونضارة أي صفو النضار نزيلها، أي ضيف

---

(١) البيت (٣١).

الديار. والصفو: نقيضُ الكدر، والمراد من الدِّيار: العالم، ومن صفو اللجين: علماءُ الظاهر، ومن صفو النُّضار: علماء الباطن، يعني: إذا لم يبقَ في العالم الخليفةُ الكامل الذي هو حافظُ الشريعة والحقيقة، تبقى الدِّيارُ قفارًا بلا فيض، فتقومُ القيامة الكبرى، كما ورد في الحديث القدسي: «لولا مَنْ شهدَ أن لا إله إلا الله مُخلصًا لسلّطَ جهنّمَ على أهلِ الدنيا، ولولا مَنْ يَعبدني ما أَمهلتُ من يعصيني طرفَةَ عين»[1].

قال عبد الرحمن الجاميُّ قُدِّس سرُّه السامي في «شرحه»: اعلمْ أن شهادةَ واحدٍ كامل، وعبادةَ كاملٍ واحد من هذا النوع تقومُ مقامَ كلِّ واحدٍ واحد، إذِ الوجود واحدٌ في الكلّ، وتمنع تلك الشهادةُ الوحدانيةُ تسليطَ جهنّم البعد والطرد على أهل الدنيا، لأن نوريةَ الشهادة الوحدانية ساريةٌ بالوجود المطلق، وفي جميع التعيّنات المقيّدة بالوجود نصيبٌ من نورية تلك الشهادة، وكذلك عبادةُ واحدٍ كاملٍ من هذا النوع، وإليه أشارَ النبيُّ ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ وعلى الأرض من يقولُ الله الله»[2] مرتين. وهو القطبُ والغوث القائم بالوجود المُطلق المتعيّن لكلِّ تعيّنٍ، الشاهدُ بكلِّ شهادةٍ، العابدُ لكلِّ عبادة. معنى الحديث: لولا الإنسانُ الكامل المتحقّقُ بالوجود خليفةُ الله في الأرض، وشهادتُهُ الحقيقيةُ من حيث الجمع والإجمال لتجلّتْ لأهل الدُّنيا ـ أي النفس الأمّارة، والهوى المكاره، والقوى البشرية الطبيعية الغدّارة ـ في صورةِ جهنم الغضب والقهر، فأفنتهم وأهلكتهم بالكلّية، وأيضًا لولا الإنسان الكامل القائمُ بالعبودية الحقيقية من حيثُ التفريق والتفصيل ما تركتُ أحدًا على وجه الأرض ممّن يعصيني من النفس والهوى، كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥١] ما تركتُ على وجهِ الأرض من دابّةٍ، لأن خليفة الله في الأرض هو العمدُ المعنويُّ المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] فالإشارة أنّه رفعها بعَمَدٍ، لكن لا يرونه، وهو روحُ العالم، وهذا هو الإنسان الكامل الذي لا يعرفُهُ غيره، بل ولا يعرفُ نفسَه، لقوله عليه السلام: «ما من جماعةٍ اجتمعتْ إلاّ وفيها وليٌّ لا يعرفونه الجماعة، ولا يعرف نفسه»[3] لأنَّ عدمَ معرفة الإنسان بنفسِه أمرٌ تابع في جميع الذوات من

---

(١) حديث رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨٠)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٦١/ ١٥٠، والديلمي في الفردوس ١/ ١٤٢.

(٢) حديث رواه مسلم (١٤٨) في الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، والترمذي (٢٢٠٧).

(٣) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ١٩٤ (٢٢٤٩): قال القاري: لا أصل له، وهو كلام باطل، فإن=

وجهٍ، وفي الكاملين من وجهٍ آخر، وفي الناقصين من وجهٍ غيره، فإنَّ الوليَّ وإن كان عارفًا بنفسه بالمعرفة اللائقة بالكاملين من الخلق، فهو لا يصحُّ أن يعرفَها بالمعرفة التي استأثرَ بها الحقُّ جل شأنه.

٤٥ـ المالُ يُصلحُ كلَّ شيءٍ فاسد وبـه يـَزولُ عـن الجـوادِ عِثـارُه

المال: ما ملكته من كلِّ شيءٍ، والجمع أموال، والفاسدُ ضد [٣٦٩/ب] الصالح، فَسَدَ كنصر وعقد وكرم فسادًا وفُسودًا ضدّ صلح، فهو فاسدٌ وفسيد، والفسادُ أخذ المال ظلمًا، والمفسدةُ ضدُّ المصلحة. والجواد: السخيُّ. والعثرة: الزلّة، وقد عثرَ في ثوبه يَعثُرُ بالضم عِثارًا بالكسر. يقال: عَثَرَ به فرسُه فسقط. فمعنى البيت ظاهر، وفي الإشارة أن المرادَ ههنا من المالِ هو الوجود المتعيّن في التعينات الذي يملكه المتعيّن، والعبد وما يملكه كان لمولاه، يعني: الوجودُ يطلقُ على كلِّ فاسدٍ وصالح، وبه أي: ببذله إلى صاحبه حقيقة يزولُ عن السَّخي الباذلِ زلَّتُهُ أي ذنبه، لأن وجودَكَ ذنبٌ لا يقاس عليه ذنبٌ آخر.

لمّا فرغَ من بيان الفلك اليميني شرعَ في بيان أحكام الفلك البطني فقال:

= الجماعة قد يكونون فجارًا يموتون على الكفر.

الفلك البطني

الفلك البطني من أفلاك الأعضاء الثمانية، التي هي: السمع، والبصر، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرِّجل، والقلب. يعني أحكام الفلك المنسوب إلى البطن:

١ـ في شهوةِ البَطْنِ سرٌّ ليسَ يعلمُهُ إلاّ الذي شاهدَ الرزّاقَ رزّاقا

الشهوةُ: حركةُ النفس طلبًا للملائم، والرزقُ: اسمٌ لما يسوقُه اللهُ تعالى إلى الحيوان، فيأكله، فيكون متناولاً للحلال والحرام. وعند المعتزلة عبارةٌ عن مملوكٍ يأكله المالك، فعلى هذا لا يكونُ الحرامُ رزقًا. والرزقُ الحسن: وهو ما يصلُ إلى صاحبه بلا كدٍّ في طلبه. وقيل: ما وجدَ غير مرتقبٍ ولا محتسبٍ ولا مكتسب. وقد مرّ بيانه.

وهو الرزّاق بما أعطى من الأرزاق لكلِّ متغذٍّ من معدنٍ ونبات وحيوان وإنسان من غيرِ اشتراطِ كُفرٍ ولا إيمان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] والمتانةُ في المعاني كالكثافةِ في الأجسام، فجاء بالاسم المناب للرزق، لأنَّ الرزقَ المحسوس به تتغذى الأجسام وتعبل[١]، وكلّما عبلتْ زادت أجزاؤها فكثفت، فأين السمنُ من الهزال؟ فما أَحسنَ تعليم الله وتأديبه وتبيانه لمن عقلَ عن الله تعالى!

٢ـ لولا الغِذاءُ ولولا سرُّ حكمتِهِ ما لاحَ فرعٌ ولا عاينت أَعراقا

الغذاءُ بالمعجمتين وبالكسر: ما به نماءُ الجسم وقوامه، وبالفتح والمدِّ طعام الغداء، كما أنَّ العشاء كذلك طعام العشاء، وغذاءُ أهل كلِّ بلد ما تعارفوه، ففي البادية اللبن، وفي خرسان وما وراء النهر الخبز، وفي الترك اللحم واللبن، وفي طبرستان الأرز.

وقال الفرغاني[٢] قدس سره: غذاء الأعيان الممكنة: هو الوجود المضاف إليها، والمفاضُ عليها؛ فإنه هو الذي به تصير الأعيان الثابتةُ ظاهرةَ الحكم باقيةَ الأثر، فهو المبقي لها، والممدُّ لها بظهور أحكامها كفعل الغذاء في المغتذي.

---

(١) جاء في هامش الأصل: العَبْل: الضخم من كل شيء، وعَبُل ككرم ونصر: ضَخُمَ، وكفرح: فهو عَبِلَ ككتف، وأعبل: غلظ وابيضّ. من «القاموس».

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ١٧٧. وقد تقدم صفحة (٢/ ٢٨٩).

وغذاء الوجود: هو الأعيان الثابتة، فإنّها غذاءٌ للوجود المضاف إليها، والمفاض عليها، إذْ بها يتعيّن آثارُ الوجود، وهي ـ أعني الأعيان الثابتة ـ هي التي تظهر آثار الأسماء الإلهية، وتبقي عليها أحكامها بالفعل.

والعِرق بالكسر للشجر وللبدن معروف، والجمعُ عروق، وأعراق، وعراق، وأصلُ كلِّ شيءٍ. ولاح الشيء لمحَ أي لمع، وبابه قال.

يعني: لولا الغذاءُ ولولا سرُّ حكمته ما لمع فرعٌ ولا عاينت أصولاً.

٣ـ وكُلْ حلالاً إذا كانَ المُحلِلُ مو جـوداً بقلبـك وهّـابـاً ورزّاقـا

الحلال: هو أعمُّ من المباح، لأنه يُطلق على الفرض دون [٣٧٠] المباح، فإنَّ المباحَ ما لا يكونُ تاركُه آثمًا، ولا فاعله مثابًا بخلاف الحلال. والظاهر من كلام الفقهاء أنَّ المباحَ ما أذن الشارعُ فعله، لا ما استوى فعله وتركه كما في الأصول، والخلافُ لفظي. والحلالُ ما أفتاك المفتي أنّه حلال. والطيّبُ ما أفتاك قلبُك أنْ ليس فيه جناح.

وقيل: الطيّبُ ما يستلذُّ من المباح. وقيل: الحلالُ الصافي القوام. فالحلالُ ما لا يُعصى الله فيه، والصافي ما لا يُنسى الله فيه، والقوامُ ما يمسكُ النفسَ ويحفظُ العقل.

وفي «الزاهدي»: الحلال ما يُفتى به، والطيّبُ ما لا يُعصى الله في كسبه، ولا يتأذى حيوانٌ بفعله، وبين الطيّب والطاهر عموم من وجهٍ لتصادقهما في الزعفران، وتفارقهما في المسك والتراب.

والحلالُ هو المطلقُ بالإذن من جهة الشرع. والحرامُ ما استُحقَّ الذمَّ على فعله.

وقيل: هو ما يُثاب على تركه بنيّةِ التقرّبِ إلى الله تعالى. والمكروهُ ما يكونُ تركهُ أولى من إتيانه وتحصيله. والمنكرُ: ما هو المجهول عقلاً، بمعنى: أنّ العقل لا يعرفُه حسنًا. والمحظور: ما هو الممنوع شرْعًا. والحرامُ: عامٌّ فيما كان ممنوعًا عنه بالقهر والحكم. والبَسْل ما هو الممنوع [عنه] بالقهر. انتهى من «الكليات»[1].

والمحلّل هو الله تعالى، الوهابُ بما أنعم به من العطاء لينعم لا جزاء ولا ليشكر به ويذكر. ومعنى البيت ظاهرٌ.

---

(١) الكليات ٢/ ٢٥٣ـ ٢٥٤.

اعلم يا بني أنَّ الله جلَّ ثناؤه لمّا أراد أن يُرقّي عبده الخصوصي الخصوص أحديةُ كلِّ شيءٍ، يعني: عبده المنسوب إلى الخصوص إلى المقامات العلية متعلّق بيرقّي قرّبَ الله منه أي من العبد أعداءَه أي أعداء العبد حتّى يعظمَ أي يكبر جهادُه أي جهاد العبد لهم أي للأعداء ويشتغلَ العبدُ بمحاربتهم أولاً الجهاد والمجاهدة هي حملُ النفسِ على المشاقِّ البدنية، ومخالفة الهوى على كلِّ حالٍ، والمحاربةُ بمعنى المجاهدة قبل محاربة غيرهم من الأعداء الذين هم منه أي من العبد أبعدُ وهم الكفار، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ أي يقربون منكم ﴿مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ﴾ أي الكفار ﴿فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ [التوبة: ١٢٣] ضدّ الرقة.

وحظُّ الصوفيِّ وكلِّ موفقٍ من هذه الآية أن ينظرَ فيها أي في الآية إلى نفسه الأمّارة بالسوء، التي تحملُهُ على كلِّ محظورٍ ومكروه، وتعدلُ به عن كلِّ واجبٍ ومندوب وذلك الحملُ والعدول به إنّما هو للمخالفةِ التي جبلها أي خلقها الله عليها أي على المخالفة وهي أي النفس الأمّارة بالسوء أقربُ الكفّار والأعداء إليه أي إلى العبد فإذا جاهدها أي النفس الأمارة وقاتلها أو أسرها أي جعلها أسيرًا حينئذٍ يصحُّ له أي للعبد أن ينظرَ في الأغيار من الكفار على حسب ما يقتضيه مقامُهُ أي مقام العبد وما تُعطيه منزلته أي منزلة العبد فالنفسَ الأمارة أشدُّ الأعداءِ شكيمةً.

الشكيمة: الأنفة[1] والانتصار من الظُّلم، وفي اللجام الحديدةُ المعترضةُ في فم الفرس فيها الفأس، وفلانٌ شديد الشكيمة إذا كان شديدَ النفس آنفًا أبيًا لا ينقاد وأقواهم أي أقوى الأعداء عزيمةً، يقال: عزمَ على الأمر عزيمةً، بمعنى أرادَ فعله، وقطع عليه، أو جدَّ في الأمر فجهادُها أي جهاد النفس الأمّارة هو الجهاد الأكبر كما قال ﷺ حين رجعَ عن الجهادِ [٣٧٠/ب]: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فقيل: ما جهاد الأكبر يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «جهاد النفس»[2] فمن ثبت قدمُهُ في ذلك الزحف. زحفَ إليه كمنع: مشى، والزحف للجيش يزحفون للعدو، أي: فمن ثبتتْ قدمُه لمحاربة النفس وتحقق لمعنى ذلك الحرف أي الطرف، أو الكلام الذي سبق انتهض جوابُ الشرط، يعني: من ثبتت قدمُه في

(١) في هامش الأصل: أنف من الشيء من باب طرب، وأَنَفَةً أيضًا بفتحتين: استنكف. أي استكبر.
(٢) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٨٩).

ذلك الزحف وتحقق لمعنى ذلك الحرف انتهى أي قام للمحاربة بهم في الملكوت أي في الغيب حال كونه مليكًا، وكان له المَلَكُ جليسًا المَلَكُ جسمٌ لطيف نوراني يتشكّل بأشكال مختلفة غيرَ أنّ هذه النفس العدوّة الكافرة الأمّارة بالسوء لها على الإنسان قوةٌ كبيرة، وسلطانٌ عظيم السُّلطان الحجّة، وقدرة الملك وتضم لامه بسيفين عظيمين[1] تقطع النفس بهما رقابُ صناديدِ الرجل الرِّقاب جمع رقبة، وهي مؤخرُ أصلِ العنق. والصناديد: جمع صنديد، وهو السَّيدُ الشجاع وعظمائهم، وهما أي السيفين المذكورين أحدُهما سيف شهوة البطن والآخر سيف شهوة الفرج، اللذان قد تعبّدتا جميعَ الخلائق يقال: تعبّده، أي: اتّخذه عبدًا، يعني: شهوةُ البطن وشهوةُ الفرج صيَّرتا الخلائقَ عبادًا لهما وأسرتاهم[2] أي: وجعلتا الخلائق أسراءَ لهما، ومِنْ عظِمِهما أي شهوة البطن والفرج وكبر فعلهما اعتنى أي اهتُمَّ بهما، حتى أفردَ لهما أي لشهوة البطن والفرج الإمامُ حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه كتابًا سمّاه: كسر الشهوتين في «إحياء علوم الدين»[3] له رضي الله عنه وكذلك اعتنى أي اهتم بهما أي بالشهوتين المذكورتين كبارُ العلماءِ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والذي يتوجّه عليك في هذا الباب فكّ[4] غرب الحسام الواحد الذي هو البطن. فكَّ الشيءَ فصلُه وخلّصه، والرَّقبةَ أعتقها، واليدَ فتحها عمّا فيها، وغربُ كلِّ شيء حدُّهُ، يقال: في لسانه غربٌ أي حدّة، وفي السيف غرب أي حدة. والحسامُ السيف القاطع، وهو سيف شهوة البطن ثم يليه أي سيف شهوة البطن سيفُ شهوة الفرج بكراماته ومنازله كما تقدّم في الأعضاء التي ذكرناها، وهي: السمع، والبصر، واللسان، واليد.

فاعلمْ يا بُنَيّ أمدّكَ الله بجنود التأييد أي التقوى ونصرَكَ على إحياء كلمةِ التوحيد أي لا إله إلا الله أنّ الله تعالى قد سلّط على هذا العبدِ الضعيف المسكين أي الفقير المُسمّى بالإنسان شهوتين عظيمتين، وآفتين كبيرتين هلك بهما أي بالشهوتين المذكورتين أكثرُ الناس، هما: شهوةُ البطن، وشهوةُ الفرج، غير أنّ شهوة الفرج، وإن كانت عظيمةً قويةَ السلطان، فهي دونَ ضدّ فوق، وهو تقصيرٌ عن الغاية، والدُّون الحقير شهوة البطن، فإنّها أي شهوة الفرج ليس لها

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٣): بسيفين ماضيين.
(٢) في المطبوع من المواقع (١٩٣): وأسرتهم.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٩ (وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات).
(٤) في المطبوع من المواقع (١٩٣): في هذا الباب فلّ.

تأيدٌ أي تقوية إلاّ من سلطان شهوة البطن، فإذا غُلِبَ على البناء للمفعول هذا العدوُّ البطنيُّ أي شهوة البطن يقلُّ ويسهل التعبُ أي المشقة. تعبَ كفرح ضدُّ استراح مع شهوة الفرج، بل ربّما تذهب شهوة الفرج له [٢٧١] ذهابًا كليًا بسبب ضعف شهوة البطن فهذه الشهوةُ البطنية تجعلُ صاحبَها أولاً يمتلىءُ من الطعام، مع علمه أي: علم صاحب الشهوة البطنية أنّ أصلَ كلِّ داءِ البَرَدَةُ البَرَدة بفتحتين التّخمة، كما في الحديث: «أصلُ كلِّ داءِ البَرَدة»[1] دينيًا كان ذلك الداء أو طبيعيًا كان ذلك الداء فالداء الطبيعي هو الذي تُنتجه هذه البَرَدةُ أي التخمة هو أي الداء الطبيعي فسادُ الأعضاء من أبخرة فاسدة تتولّدُ من امتلاء الطعام يتولّد منها أي من أبخرةٍ فاسدة آلامٌ جمعُ ألمٍ بمعنى الوجع وأمراضٌ جمع مرض أي السقم مؤدّية أي موصلة إلى الهلاك، كما حُكي عن سُليمان بنِ عبد الملك بن مروان وكانَ ذا نهمةٍ أي إفراط الشهوة في الطّعام، فخرجَ يومًا، فوجدَ دابةً عليها زنبيلٌ فيه بيضٌ جمع بيضة طبيخ أي مطبوخة فَدَعا أي طلب بتينٍ، وهو راكبٌ، فما زال يقرنُ التين بالبيض ويأكلُ حتى أتى على آخرِ ما في الزنبيل، فوجد لذلك الأكلِ الكثير ثُقلاً في معدته، أهلكه وأورثه أي أدخله القبر، فانظرْ يا بُني هذه الشهوة البطنية كيف ساقتْ إليه أي إلى سليمان بنِ عبد الملك حتفه أي موته نسألُ اللهَ العافيةَ يُقال: عافاه الله تعالى من المكروه عفاءً ومعافاة وعافيةً: وهب له العافية من العلل والبلاء في الدِّين والدُّنيا والآخرة.

قيل للشِّبليِّ رضي الله عنه: إن ابنَكَ بُشم البارحةَ من كثرة ما أَكَل. البَشَمُ محرّكة التُّخَمَة، والسآمة، يقال: بُشم من الطعام، من باب طرب، وأَبشمَهُ الطعامُ. ويُشم أيضًا من فلان سئم منه. والبارحةُ أقرب لليلة مضت، وهي من برحَ أي زال فقالَ الشبليُّ رضي الله عنه: لو ماتَ ما صلّيتُ عليه صلاة الجنازة كأنّه يقول تعنيفًا له أي لابنه. والتَّعنيفُ التَّعييرُ واللوم فإنّه أي ابنه قاتلُ نفسه بسبب كثرة الأكل فهذا هو الدَّاءُ الطبيعي الذي مرّ ذكره.

وأمّا الدَّاءُ الدِّيني الذي يؤدي من كثرة الأكل يؤدي أي يُوصل آكلها إلى هلاكِ الأبد، فكونه أي الأكل الكثير يؤدّيك أي يوصلك إلى فضول النظر إلى المحرمات وإلى فضول الكلام فيما لا يحتاج، وإلى فضولِ المشي إلى ما لا يقتضي، وإلى فضول الجماع، وغير ذلك من أنواع

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ١٣٢ (٣٨٠): رواه أبو نعيم، والمستغفري، والدارقطني في «العلل» بسند فيه تمام بن نجيح ضعفه الدارقطني ووثقه ابن معين وغيره عن أنس رفعه. قال الدارقطني: الأشبه بالصواب أنه من قول الحسن البصري.

الحركات المردية[١] أي المهلكة، وإذا كان الأمرُ على هذا الحدّ فواجبٌ على كلِّ عاقلٍ ألاّ يملأ بطنَه من طعام ولا شراب أصلاً أي بالكلية فإنْ كان صاحبُ شريعةٍ مطهرة طالبًا سبيل النجاة أي الخلاص من هلاك الأبد فيتوجّه أي يلزم عليه أي على صاحب الشريعة وجوبًا تجنّب الحرام أي تبعّده عن الحرام ويتوجّه عليه الورعُ في الشُّبهات المظنونة.

والورعُ: هو الاحترازُ عن كلِّ ما فيه شوبُ انحرافٍ شرعيٍّ، أو شبهة مضرّة معنوية في كلّ ما تقوم به صورة الإنسان الحسيّة والمعنوية بحكم النشأة الدنيوية، والورعُ يتضمّن القناعةَ التي هي صورة التقوى.

وأما الطائفةُ المحقّقة هم الذين نالوا درجاتِ التحقيق.

والتحقيق هو: تلخيص ما للحقِّ للحقِّ، وتلخيص ما للخلقِ للخلق، ويُستعملُ في البداية في تحقيق كون الحُكم والأمر لله، وفي تحقيق كون الحول والقوّة لله، وفي تحقيق كون الحب لله [٢٧١/ب] وفي النهاية تحقيق أنّ التحقيقَ والحقيقةَ لله حالاً، ثم يستقرُّ هذا المعنى، فيصير مقامًا ولا يحجب المتحقّق بالخلقِ عن الحقِّ، ولا بالحقِّ عن الخلق، ويقال له: المرتبة الجامعة بين ذي العين وذي العقل.

فواجب عليهم أي على المحققين تجنُّبها أي تبعّده عن الشبهات المظنونة كالحرام أي كتجنّبه عن الحرام على كلِّ حالٍ من الأحوال، فإنه أي هلاك الأبد ما أتى على أحدٍ إلاّ من بطنه منه أي من البطن تقعُ الرغبة في الدنيا ومنه تقع قلّة الورع في المكسب. والكسبُ: طلبُ الرزق، وأصلُه الجمع ومنه يقع التعدّي أي التجاوز لحدودِ الله تعالى، فاللهَ اللهَ للتنبيه والتأكيد، أي: فالله الله، وفّقنا وإياك لما يحبُّه ويرضاه.

يا بُنيّ، لزم عليك التقليلُ من الغذاءِ الطيّب في اللباس والطعام، فإنّ اللباس أي ما يلبس أيضًا، مصدر آض: بمعنى عادَ ورجع، فمعنى أيضًا: معاودًا، وهو مفعول مطلق حُذف عاملُه، ومعناه: عاد هذا عودًا، ولمّا لزم لهذا العود مشابهة المذكور لما سبقَ استُعمل في معنى التشبيه، أو حال من ضمير المتكلّم حُذف عاملها وصاحبها، أي: أخبر أيضًا، أو حكى أيضًا أي راجعًا، وهذا الذي يستمرُّ في جميع المواضع.

---

(١) في الأصل: الحركات المؤدية. وانظر إلى شرح الكلمة.

غذاءُ الجسم كالطعام به أي باللباس يتنعّم[1]. التنعيم: حسنُ العيش في النعمة بحفظه من الهواء البارد والحار الذي هو بمنزلةِ الجوعِ والامتلاء، والظمأ والرّي المتفاوت تفاوتَ الشيئان: تباعد ما بينهما تفاوتًا مُثلّثةُ الواو.

فكُلْ يا بُني واشربْ والبسْ لبقاء جسِمك فِي عبادتك لله تعالى لا لنفسك؛ فإنَّ الجسمَ لا يطلبُ منك إلاّ سدَّ أي منع جوعةٍ[2]. الجوع: ضدُّ الشّبع، تقول: جاع يجوع جوعًا، ومَجاعة أيضًا بالفتح، والجَوعةُ بالفتح المرّةُ الواحدة بما كان وقايةً أي حفظ الجسم من الهواءِ البارد والحارِّ بما كان سواءً كان ذلك الطعام خبز سميد[3] والسميدُ: الحُوّاري، وبالذال المعجمة أَفصحُ، والحُوّارى بضم الحاء وشدّ الواو وفتح الراء: الدقيقُ الأبيض، وهو لُباب الدّقيق، وكلُّ ما حوّر أي بيّض من طعامٍ ولحم عطف على سميد أو كان ذلك الطعام قبضةَ بقلٍ والقبضةُ وضمّه أكثر: ما قبضتَ عليه من شيءٍ كلاهما يسدُّ يمنع جوعتَه أي جوعة الجسم، أي البطن وسواءً كان ذلك اللِّباس حُلّةً الحُلَّة: إزارٌ ورداء لا يُسمّى حُلّةً حتى يكونَ ثوبين، أو ثوبٌ له بطانة أو عباءة. العباءة والعباية ضربٌ من الأكسية، والجمع: العباءات ليس عليه أي على الجسم في ذلك اللِّباس شيءٌ، وإنما المرادُ من الجسم أن يصُان أي يُحفظ من البرد والحرّ لا غير.

وأمّا النّفْس فلا تَطلبُ منك إلاّ الطيّبَ يقال: طابَ يطيبُ طيبًا وطيبةً وتطابًا لذَّ وزكا، والطيبُ ضدّ الخبيث من الطعام الحسن الطعم والحسن المنظر، وكذلك الحسن المشرب والحسن المركب والحسن المسكن والحسن الملبس إنّما تُريده النفس من كلِّ شيءٍ أحسنه وأعلاه منزلةً، وأغلاه ثمنًا. غلا في الأمر جاوزَ فيه الحدَّ، وبابه سما، وغلا السعرُ يَغلو غلاءً. والثّمن: الشيءُ مَحرَّكَةً ما استُجيءَ به ذلك الشيء ولو استطاعتِ النفسُ أن تنفردَ بالأحسن من هذا [٣٧٢] المذكور كلّه دون النفوس كلها لم تقتصر أي النفس في ذلك الانفراد والشيء الذي يؤذيها أي يوصل النفس إلى ذلك الانفراد إنما هو طلب التقدم على النفوس والترأس عليها. والترأس تكلف الرياسة وأن يُنظرَ على البناء للمفعول عليها وأن يُشار إليها وألاّ يُلتفت على

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٤): يتنعّم حيث يحفظه.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٩٤): سدّ جوعته.

(٣) في المطبوع من المواقع (١٩٤): خبز بسمن ولحم.

البناء للمفعول إلى غيرها، ولا تبالي أي النفس أي لا تكترث حرامًا كان ذلك المذكور من الطعام والمنظر والمَشْرب والمركب والمسكن والملبس أو كان حلالاً.

والجسمُ ليس كذلك، إنما مرادهُ الوقاية ممّا ذكرناه من طعام ولباسٍ **فصار الجسمُ في هذه المذكورات طالبًا لما يصونه** أي يحفظه خاصّةً من أكلٍ وشرب وملبس ومسكن **وأشباه** أي أمثال **ذلك** المذكور **ممّا يصلحُ به** أي بالجسم **فصارتِ النفسُ أو العقلِ والشريعة الكاسبة والمطعمة له**[1] أي للجسم **فإن كانتِ النفسُ المغذّية له** أي للجسم **والناظرةُ في صونه** أي في حفظ الجسم من البرد والحرّ **خاض** أي دخل واقتحم صاحب النفس **في الشبهات** جمع شُبهة، وهي ما يُشبّه بالثابت وليس بثابت، وهي في الفعل ما ثبت بظنٍّ غير الدليل كظنّ حلّ الوطء أَمَة أبويه وزوجه، وفي المحلّ ما يحصلُ بقيام دليلٍ ناف للحرمة ذاتًا كوطء أَمَة أبيه والمشركة، وفي الفاعل أن يظنَّ الموطوءةَ زوجتَه أو جاريته، وفي الطريق كالوطء ببيع أو نكاح فاسد **وتورّط** صاحب النفس **في المحرّمات** ما ورد على تحريمها النصوص من الكتاب والسُّنة بالإجماع. الورطة: الهلكة، وكلُّ أمرٍ يعسرُ النجاةُ منه، والوحلُ، والردغة، واستورط في الأمر ارتبك، فلم يسهل المخرج منه، وتورّط فيه وقعَ **لأنها** أي النفس **أمارةٌ بالسوء، مطمئنةٌ بالهوى، فهلكت نفسه وأهلكته** صاحبه في الدارين **لأنّها** أي النفس **ربّما لا تبلغ مناها** جمع مُنية أي مقاصدها **وطلبتها** طالبه مطالبةً وطلابًا طلبه بحقّ، والاسم الطَّلَبُ محرّكةً، والطِّلبة بالكسر **لأنّ الأمرَ الإلهي رزقٌ معلوم مقسوم، وأجلٌ مسمّى محدود** لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ولقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢] ولقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢] ولقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وإنْ كان العقلُ الشرعي المغذّي له أي للجسم **تقيّد** أي العقل تكلّف القيد **وأخذ الشيءَ من حِلّه لا من غير حلّه ووضعه** أي وضع العقلُ ذلك الشيء المأخوذ من الحلّ **في حقّه لا في غير حقه وتركَ العقل الشهوة من الطعام، وإن كان الطعام حلالاً كقبضة بقلٍ وكسرة** أي قطعة خبز شعير **رغبةً فيما** أي في الطعام الآخروي الذي **هو خيرٌ منه** أي من الطعام الدنيوي **وآثر** أي اختار **الجوعَ على الشبع، والخشنَ على اللين** أي واختار اللباس الخشن على اللباس اللين

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٥): أو العقل الشرعي الكاسية والمطعمة له.

ففراشُه أي فراش صاحب العقل الشرعي ثوبُهُ لا يحتاج إلى فراشٍ آخر، ووسادته أي وسادة صاحب العقل ساعده لا يحتاجُ إلى وسادة آخر وغذاؤه ما تيسّر من المأكولات والمشروبات من الحلال [٣٧٢/ب] وهمّته فيما في النعيم الذي هو عند مولاه من رؤيته تعالى إلى ما دون ذلك ممّا ينبغي[1] من النعيم المقيم.

والذي ذكرناه في تصرّف العقل بخلاف النفس فإن همّتها أي همة النفس وإن تعلّقت بما هو حسن في الحال أي حال التعلّق فانظر مآل ذلك الحسن في آخر الأمر، ومآل الشيءِ مرجعُهُ ومصيره فإنها أي النفس إن نظرت في الحسن المنكح، نظرت إلى ما[2] أي إلى شيء يكون مآله جيفةً نتنة قذرة. المنكح: المرأة، والمناكح النساء. الجيفة: جثة الميت إذا راح. والنتنُ: الرائحةُ الكريهة، وقد نتنَ الشيءُ من باب سهل وظرف، ونتنًا أيضًا. والقذرُ: ضدّ النظافة، وشيءٌ قذرٌ بيّن القذارة، وقذرتُ الشيءَ من باب طرب، وتقذّرته، واستقذرته أي كرهته، والتاء فيها للوحدة وإن نظرتِ النفس في الغالي من الملبس نظرت إلى خرقةٍ مطروحةٍ في المزبلة إلى هذا مآلها أي لأن مآلها إلى هذا وإنْ نظرتَ النفسُ في مسكنٍ عال مشرفٍ حسن الصنعة والتنميق. التنميق: التحسين والتزيين بالكتابة نظرتْ إلى ما شيء يكون مآله خربةً موحشة يقال: خرِب بالكسر خرابًا، فهو خربٌ، ودارٌ خربةٌ، وأوحشت الدار انفردت، وذهب عنها الناس، فهي موحشةٌ وإن نظرت النفس إلى مطعم لطيف نظرت إلى ما أي شيء يصيرُ عُذرةً نتنةً أي نجاسةً مُنتنة يسدُّ أنفه أي صاحبه حين يطرَحُها أي العذرة المنتنة من شدّة نتنها، وكذلك شربه أي شرب صاحب النفس وأمثالُ هذا.

وليتَ لو وقفتِ الحالُ يا بُني هنا، ولا تبقى عليك تبعات أي مجازات ذلك المذكور في الدار الآخرة حين يُسأل: ممّ كسبت المال؟ وفيم أنفقتَ؟ وليسأل في الفتيل والقطمير. الفتيل: ما يكون في شقِّ النواة، وقيل: هو ما يفتل بين الأصبعين من الوسخ. والقِمطير والقِطمار بكسرهما: شقُّ النواة أو القشرة التي فيها، أو القشرة الرقيقة بين النّواة والتمرة، أو النكتةُ البيضاء في ظهرها لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] أي أدنى شيء بل يُسألُ في مثقال أي

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٥): مما يبقى.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٩٥): فإنها إن كانت في المنكح نظرت إلى ما يكون مآله.

مقدار ذرّة، فيرى مجازاته لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

فانظر يا بُنيّ ما أهجن باطنَ الدُّنيا أي ما أقبحه، وتهجينُ الأمر: تقبيحه، وفي بعض النسخ: ما أهجرَ، والهَجر: بالفتح الهذيان والباطل مساكنُها أي مساكن الدنيا خرابٌ، وملابسُها خرقٌ، ومناكحها ومراكبها جيف، ومطاعمها ومشاربها عذرتان[١]، نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة والحجّة علينا في هذا المذكور من المساكن والملابس والمناكح والمطاعم والمشارب بيّنة أي ظاهرة لأنّه أي المذكور لو كان خبرًا لكان بعضَ عذرٍ، وإنّما هذا المذكور كلُّه معاينةً منّا لتغيّر هذه الأحوال مشاهدةً، فالحجّة أي الدليل والبرهان، وعند النظّار أعمُّ من البرهان لاختصاصِ البرهان عندهم [٣٧٢] بيقين المقدمات وما ثبتَ به الدعوى من حيث إفادته للبيان يُسمّى بيّنة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يُسمّى حجّةً، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديدهن من كلّيات المعلومات العقلية والسمعية إلاّ والقرآنُ ناطقٌ به؛ لكن لا على دقائق طرق المتكلمين؛ بل على عادة العربِ في أَجلى صورةٍ، ليفهم العامّةُ والخاصة قائمة للعاقل على نفسه، إن طلبتِ النفس منه أي من العاقل هذا المذكور آنفًا من المساكن والملابس والمناكح والمطاعم والمشارب وليت مع هذا[٢] المذكور لو تركتِ النفس معه أي مع العقل وإنّما هي المذكورات الداءُ العضال. وداءٌ عُضال: أي شديدٌ أعيى الأطباء والطّامةُ الكُبرى يقال: جاء السيلُ فطمَّ الركيّةَ إليه، أي: دفنها وسواها، وكلُّ شيءٍ كثرَ حتّى علا وغلبَ فقد طمَّ من باب رد، ويقال: فوقَ كلِّ طامةٍ طامةٌ، ومنه سُمّيت القيامةُ طامةً[٣]، لأنّها تغلبُ ما سواها والداهية: وهي الأمرُ العظيم، ودواهي الدهر ما يُصيبُ الناسَ من عظيمِ نوائبه، أي مصائبه، والداهية العظمى تفسيرٌ وتأكيدٌ لما قبله فإنّها أي النفس في أشر[٤] أي في شدّة فرحٍ ونشاط، والأَشَرُ البطرُ، يعني النفس في شدّة فرحٍ ما تكون فيه من هذه الأحوال المذكورة من المساكنِ والملابس والمناكح والمطاعم والمشارب أن قضى لها أي للنفس به أي بذلك الشيء ويُعطيها أي النفس اللهُ تعالى مرادَها المفعول الثاني كما شاءه تسلب أي

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٦): ومشاربها عذر نتن.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٩٦): وليت مع هذا كله.

(٣) هي من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٤].

(٤) في المطبوع من المواقع (١٩٦): في أسر. بالمهملة.

النفس عنه[1] أي عن ذلك الشيء المعطى لها، وتُسلب عن هذه الدار أي الدنيا بالموتِ، وتُنقل النفس من هذه الدار إلى منزلٍ من منازل الآخرة لا تجد النفس فيه أي في ذلك المنزل شيئاً إلاّ ما قدّمته في دار دنياها بعملٍ صالح عملته، وإن لم تفعل ذلك أي العمل الصالح فليس لها أي للنفس مسكنٌ تأوي إليه أي تنزل وتسكن فيه إذْ لم تشتره في حياتها في الدنيا ولا سعتْ أي النفس في كسبِهِ أي كسب المسكن في ذلك المنزل فبقيت النفس مسجونةً محبوسة في البرزخ في مشيئة الله تعالى. والبرزخ: هو الأمرُ الحائل بين الشيئين، فيحجز بينهما، ويجمع بينهما، ثم يُطلق ويُراد به العالم المشهود بين عالم المعاني والصور، وعالم الأرواح والأجسام، وعالم الدنيا والآخرة، ولهذا سُمّي عذاب القبر بعذابِ البرزخ. وقد مرّ تفاصيلُ البرزخ[2].

فإذا تقرّر هذا المذكور يا بُنيّ، فاعلمْ أن أي الشأن ما الذي يجبُ عليك في الطعام من اجتنابِ المحظور أي الممنوع فيه والمتشابه يتوجّه ذلك الوجود عليك في اللباس، والتقليل من هذا أي اللباس كالتقليل من هذا أي الطعام وهذان أي الطعام واللباس المرتبتان يحتاجُ إليهما كلُّ مريد. والمريد: من عزفتْ نفسُه عن طيّبات الدنيا، وأعرض عن لذّاتها لتلذّذه بوظائف العبادات، وقد مرّ تفصيله.

وما زاد على الطعام واللباس من مسكنٍ ومنكح ومركب وغيرِ ذلك المذكور فلا يحتاج [٣٧٣/ب] كل أحد، [إليه] فإن الغيران جمع غار، الغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل. والكهوف جمع كهف، والكهف: كالبيت المنقور في الجبل والمساجد جمع مسجد قد أوجدها اللهُ تعالى لهم أي للمريدين وإنّما الحاجةُ التي تعمُّ كلَّ إنسان إنّما هو اللباس والطعام، ولهذا قال تعالى لآدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨- ١١٩] ولم يزد على الطعام واللباس شيئًا لأن الضروري أي المنسوبَ إلى الضرورة هو ما ذكرناه من الطعام واللباس وما زاد عليهما في المركب والمنكح وغير ذلك فليس بضروريٍّ في جميع الأوقات إلاّ في وقتٍ ما من الأوقات إذا كانتِ الحاجةُ إليه بخلافِ هذا المذكور من الطعام واللباس فسبحان الحكم العدل.

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٦): كما شاءت تسليةً عنه.

(٢) انظر الصفحة (١/ ٢٦٣).

قال إبراهيم بنُ أدهم رضي الله عنه: لَلقمةٌ تتركُها من عشائك مجاهدةً لنفسك خيرٌ لك من قيام ليلةٍ. هذا الذي ذكر من أن ترك اللقمة خيرٌ من قيام الليلة إذا كان الطعام حلالاً، وأمّا الحرامُ فلا كلامَ فيه، إذ لا خيرَ فيه أي في الحرام البتة، فما مُليء وعاءٌ شرّ من بطنٍ مُليء بالحلال، وهذا قوله أي قول إبراهيم بن أدهم قدس سرّه في التقليل للطعام وهو رضي الله عنه من رؤساء المشايخ[1].

وقال قُدّس سرُّه أيضًا في طيب المكسب أي الكسب: أَطِبْ مطعمَكَ ولا تبالِ أي لا تكترث ما فاتكَ من قيامِ الليل، وصيامِ النهار.

فالحلال وفّقك اللهُ طيّبٌ لا ينتجُ إلاّ طيبًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [النور: ٢٦] ففي هذه الآية من الاعتبار الصوفي والنظر الإلهي ما نذكره الآن[2] وبيان ذلك الاعتبار والنظر أنّ من كان عند الله خبيثًا فلا يغذّيه إلاّ بالخبيثات من المطاعم، ولا تصدرُ الأفعال الخبيثات إلاّ من الخبيثين، وكذلك الطيّبات من المطاعم، وهي الحلال، لا يُغذّي بها أي بالطيبات اللهُ تعالى فاعل يغذى إلاّ من كان عنده تعالى من الطيّبين، وكذلك الطيّبون عند الله تعالى، ولا تصدُر منهم أي من الطيبين إلاّ الطيباتُ من الأفعال، أو تلك المطاعم بأعيانها عطف على (أن من كان عند الله خبيثًا) إنما أُهّلتِ الخبائثُ التي هي الحرامُ للخبيثين أي إنّما صلحتِ الخبائثُ للخبيثين، كما يقال: أَهّلَهُ اللهُ للخير تأهيلاً، وأهليةُ الإنسان للشيءِ صلاحيتُهُ بصدور ذلك الشيء وطلبه منه، وهي في لسانِ الشرع عبارة عن صلاحيته لوجوبِ الحقوق المشروعة له وعليه كما أُهّلوا الخبيثون لها للخبيثات وكذلك الطيّبات مع الطيبين، فإنه من أُهّلَ لشيء فقد أُهّل له ذلك الشيءُ، فإذا اغتذى الإنسانُ من الحلالِ وقلّل منه من الحلال كما قال رسول الله ﷺ: «حسب ابن آدم لقيمات» جمع لقيمة تصغير لقمة «يقمن» أي تلك اللقيمات «صلبَهُ»[3] والصُّلب بالضم وبالتحريك عظمٌ من لدن الكاهل إلى العجب، والجمع أَصلبٌ وأصلاب وصُلبة تنشطِ الجوارحُ إلى الطاعة نشط كسمع نشاطًا [٢٧٤] بالفتح فهو ناشط ونشيط: طابت نفسُه للعمل وغيره، كتنشط وتفرّغ القلبُ إلى المناجاة يقال: تفرّغ لكذا، واستفرغ مجهوده في كذا، أي:

---

(١) في المطبوع من المواقع (١٩٧): رؤساء المشايخ في طريق النجاة.

(٢) في المطبوع من المواقع (١٩٧): من الاعتبار للصوفي، وأهل النظر الإلهي بعض ما نذكره.

(٣) حديث رواه الترمذي (٢٣٨٠) من حديث المقدام بن معديكرب بلفظ: «بحسب ابن آدم...».

بذله، وتفرّغ: تخلّى من الشغل وتفرّغَ اللّسانُ للتلاوة والذّكر وتفرّغ العينُ للسهر صدق رسول الله ﷺ. والسهرُ: الأرقُ، يقال: سهر كفرح، لم ينمْ ليلاً فذهب النومُ لقلّة الأبخرة جمع بخار، وهي ما ارتفع من الطعام كالدخان المرطبة الجالبة للنوم لأنَّ النومَ حالةٌ تعرضُ للحيوان من استرخاءِ أعصاب الدماغ من رطوباتِ الأبخرة المُتصاعدة من المعدة إلى الدماغ، بحيث تقفُ الحواسُّ الظاهرةُ عن الإحساس رأسًا فيؤديه أي يوصل ابنَ آدم أكلُ الحلال إلى الطاعة ويؤديه التقليل منه أي من الحلال إلى النشاط في الطاعة، ويذهبُ أي يُزيل التقليل أو النشاط عنه عن ابن آدم الكسلَ والكسل: التثاقلُ عن الأمر وأيةُ فائدة أكبر من هاتين الفائدتين؟ الحاصلتين من أكلِ الحلال والتقليل، وهما الإيصالُ إلى الطاعة وإلى النشاط في الطاعة بإزالة الكسل وكان ينبغي لنا ألاّ نسعى إلاّ في تحصيلهما أي تحصيل الفائدتين المذكورتين ونرغبُ إلى الله في دوامهما أي دوام الفائدتين المذكورتين، يقال: رغبَ فيه: أرادَه بالحرصِ عليه. وعنه: أعرضَ تزهّدًا، ولم يشتهر تعديتُها بإلى إلاّ أن يُضمّن معنى الرجوع، أو تكون الرغبة بمعنى الرجاء والطلب.

فالذي ينبغي لك أيّها الابنُ المسترشدُ ـ نفعني الله وإيّاك ـ ألا تأكلَ إلاّ مما تعرفُ إذا كنتَ موكّلاً لنفسك الوكيل اسم للتوكيل من وكلته لكذا إذا فوّض إليه ذلك، وهو إظهارُ العجزِ والاعتمادِ على الغير، والاسم التكلان، وهو فعيل بمعنى مفعول، لأنه موكول إليه الأمر، أي مفوّض إليه. وفي اصطلاح الفقهاء: عبارةٌ عن إقامة الإنسان غيرَه مقامَ نفسه في تصرّفٍ معلوم. وقولهم: الوكالةُ الحفظ، والوكيلُ الحفيظ مجازٌ بعلاقة السببية فإنّ رأسَ الدِّين الورعُ، والزهدُ قائدُ الفوائد. الورعُ: هو الاحترازُ عن كلِّ ما فيه شوبُ انحرافٍ شرعي، أو شُبهة مضرّة معنوية في كلِّ ما تقوم به صورةُ الإنسان الحسية والمعنوية بحكم النشأةِ الدنيوية. والورع يتضمن القناعة التي هي صورة التقوى. وقد سبق تفصيله[1].

والزهد هو إسقاطُ الرغبة في الشيءِ بالكلّية.

وقيل: الزهدُ إمساكُ النفس عن اشتغالها بملاذِّ البدنِ وقواه إلاّ بحسب ضرورةٍ تامة.

وزهد العامّة: التنزُّهُ عن الشبهات بعد ترك الحرام.

---

(١) انظر الصفحة (٢/ ٥٠٣).

وزهد أهل الإرادة: النزاهة عن الفضول بتركِ ما زاد عَمّا تحصل به المسكة وبقاء الرمق لقدر البلاغ من القوت. وقد مرّ تفصيلُه(١).

والفوائد جمع فائدة، وهي من الفيد بالياء لا بالهمزة.

وهي لغةً: ما استفيد من علمٍ أو مال أو حال.

وعرفًا: ما يكون الشيء به أَحسنَ حالاً منه بغيره.

واصطلاحًا: ما يترتّبُ على الشيء ويحصل منه من حيث أنّها حاصل منه.

وكلّ عملٍ لا يصحبه ورعٌ، فصاحبه مخدوع خدعَهُ كمنعه، خدعًا ويكسر: ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، كاختدعه فانخدع، والاسم الخديعة، والحرب خدعة مثلثة وكهمزة **فاسعَ يا بُني جَهدَكَ** الجَهد بفتح الجيم وضمها: الطاقة [٣٧٤/ب] والوسْع، يعني: فاسعَ وابذلْ وسعك **أن تأكل من عمل يدك، إن كنتَ صانعًا وإلاّ وإن لم تكن صانعًا فاحفظِ البساتين** جمع بُستان بالضم، معرّب بوستان **والفدادين** جمع الفدان كسحاب وشداد الثور أو الثوران يقرن للحرث بينهما، ولا يقال للواحد فدّان، أو هو آلة الثورين، والجمع فدادين **والزم الاستقامة فيما تحاوله** أي تريده على الطريقةِ المشروعة، **والورعِ التامَّ الشافي**. الشفاء: الدواءُ، يقال: شفاه الله من مرضه يشفيه شفاءً، برأه، فهو الشافي. يعني الزمِ الورعَ التام الشافي **الذي لا يُبقي في القلب أثر تهمةٍ**. والتُّهمة كهُمزة: ما يُتّهم عليه، واتّهمه كافتعله. وأوهمه: أدخل عليه التهمة **إن أردتَ أن تكون من المُفلحين**. الفَلَحُ محرَّكةً، والفلاحُ: الفوز والنجاة، والبقاء في الخير، وأفلح بالشيء: عاشَ به **وهذا المذكور لا يصحُّ لك إلاّ بعد تحصيل العلم المشروع بالمكاسب و[معرفة] الحلال والحرام ولا بدَّ لك منه** أي لا فراق منه، أي من تحصيلِ العلم المشروع وهذا المذكور آنفًا **إذا كنتَ موكّلاً لنفسك غيرَ داخلٍ تحت تربيةِ شيخٍ فإذا كنتَ بين يدي شيخٍ محفوظ في عموم أحواله، وَرِعٍ قد شُهِدَ بفضله**، وقيل به، **وحالُه يطابق ما يُشْهَدُ فيه، وتجدُ أنت في نفسك الاحترامَ له** أي لذلك الشيخ **والتعظيمَ لحقِّه** أي لحق الشيخ **الذي هو** أي احترام الشيخ وتعظيمه **أَصلُ منفعتك ونجاتك على يديه** أي يدي الشيخ. والنفع: ضدّ الضر، يُقال: نفعه بكذا فانتفع به، والاسمُ: المنفعة. والنجاةُ: الخلاص.

---

(١) انظر الصفحة (١/ ١٧٥، ٣/ ٤١).

يعني: تعظيم الشيخ واحترامه هو أصلُ منفعتك المعنوية على يديه، وخلاصك من الشدائد الصورية والمعنوية **فإنْ حُرِمتَ** أي منعت احترامه **فاطلبْ غيرَهُ، فإنك لا تنتفع به أصلاً ما لم تصحبْه بالحُرمة.** والحُرمة بالضم وبضمتين وكهُمزة: ما لا يحلُّ انتهاكه، والذمّة والمهابة، والنصيب ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٣٠] أي ما وجبَ القيام به، وحرم التفريط فيه، وانتهاكُ الحرمة: تناولُها بما لا يحلُّ **ولو كان ذلك الشيخ أفضلَ الناس، وأعلمَ الناس وأنت تُسيءُ به الظنَّ، فإنك لا تنتفعُ به أبدًا.** وأساءه أفسده، وإليه: ضدُّ أحسن. والأبد محرّكة: الدهر، وقيل: الأبدُ استمرارُ الوجود في أزمنةٍ مقدّرةٍ غيرِ متناهيةٍ في جانب المستقبل، كما أنّ الأزلَ استمرارُ الوجود في أزمنةٍ مقدّرة غيرِ متناهيةٍ في جانب الماضي. والأبديُّ ما لا يكونُ منعدمًا **فإذا وجدتَ من تحصلُ في نفسك حرمتُهُ، فاخدمْه وكنْ ميتًا** أي كالميت **بين يديه، يصرّفْك كيف يشاء، لا تدبيرَ لك في نفسك معه** أي الشيخ المحترم **تعشْ سعيدًا مبادرًا** أي مسرعًا **لامتثال.** يقال: امتثلَ أمرَه احتذى، واحتذى مثاله: اقتدى به أي أطاعه **ما يأمرك به** الشيخ **وما ينهاك عنه، فإنْ أمرك الشيخُ بالحرفة** أي الصناعة **فاحترِفِ** الحِرفة بالكسر الصناعة، والمُحترف الصانع **عن أمره** أي احترفْ عن أمر الشيخ **لا عن أمرِ هواك** والهوى: عبارةٌ عن ميلِ النفس إلى مُقتضيات الطبع، وإعراضها عن أحكام الشرع، وذلك هو الموجبُ لانحجابها عن بساطتها الكلّية وطهارتها الحقيقية بإحكام قيودها الجزئية وتعشّقاتها الخلقية، **وإن أمرك الشيخُ** المحترم **بالقعود** [٢٧٥] عن الحرفة في الزاوية للتوكّل **فاقعدْ فيها عن أمره** أي أمر الشيخ **لا عن أمر هواك، فهو** أي الشيخ المحترم **أَعرفُ بمصالحك منك.** المصالح: جمع المصلحة، وهي ضدّ المفسدة، كما أنّ الصلاحَ ضد الفساد، والإصلاحُ ضدّ الإفساد، والاستصلاح ضدّ الاستفساد **وأرغبُ الناس إلى الله في صلاحك على يديه منك؛ فإنّك تكونُ من أنواره التي تسعى بين يديه** كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

وأرغب: أفعل تفضيل يتضمّن معنى الرجاء والطلب، لأن تعديته بإلى يعني الشيخ أرغب الناس في صلاحك على يديه؛ لأنك تكون من أنواره التي تسعى بين يديه يوم القيامة، أي: من أجل ذلك يكونُ أرغبَ الناس في صلاحك على يديه **ومن حيث الأخوة الإيمانية بالنُّصح**

المندوب إليه شرعًا، الذي هو الدين والمندوب إليه: هو المدعو إليه على طريق الاستحباب دون الحتم والإيجاب، وحدُّهُ ما يكون إتيانه أَولى من تركه، وقيل: ما يكون في مباشرته ثوابٌ، وليس في تركه عقاب وكذلك أيضًا كما مرّ يكون الشيخُ أرغبَ الناس في صلاحك على يديه من حيث أنه أي الشيخ يجدُكَ في ميزانه.

قال الفرغاني[1] قدس سره: الميزان هو ما به يتوصّلُ الإنسان إلى معرفة صواب الآراء والأقوال، ويميّز النافع منها عن الضار.

ميزان العموم: ما به يتميّز النفس الإنساني عن نفوس الأنعام بظاهر العقل المعيشي المقيّد بأمور دنيوية، وهذا ميزانٌ شارك المسلمين فيها مَنْ ليس من أهل الحقّ من اليهود والنصارى وغيرهم، لأنّه ميزانٌ مقتصرٌ في وزنه على ما يتعلّق بالأمور الدنيوية، غيرُ متعدٍّ عنها إلى شيءٍ من الأمور الأخروية. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

ميزان الخصوص: هو العقل المنوّر بنور الشرع المطهّر الهادي إلى الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر.

ميزان الخصوص الظاهري: هو علمُ الشريعة المبيّنُ غايات الهيئات البدنية من الأفعال والأقوال النافع منها والضارّ فيما يتعلّق بخير العاقبة وشرّها، اللذان هما السعادة والشقاوة الأخرويان.

ميزان الخصوص الباطني: هو علمُ الطريقة المبيّنُ غايات الهيئات النفسانية والروحانية.

ميزان الخصوص السرّي: هو علم الحقيقة المبيّنُ لعلمِ أسرار المحكم ببيان كل شيء، وهو القرآن المجيد، الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] فهذا الكتاب هو المتضمّنُ بيانَ شريعة من أرسل به ﷺ وهي الشريعة العامة الحكم، الشاملة النفع، الجامعة خلاصة جميع الشرائع، المتصدّية لبيان ما يحتاج إليه من تكميل الهيئات البدنية من الأفعال والأقوال، والمتضمّن لبيانِ دقائق علم الطريقة المتعلّقة [٣٧٥/ب] بتكميل الهيئات النفسانية، والصفات الروحانية، والأحوال القلبية من تعديل الأخلاق، ومعرفة آفات النفس ونحو ذلك، والمتضمّن لبيان ما يحتاجُ إلى تحققه من علوم

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٤٧.

الحقيقة المشتملة على أسرار الربوبية، والمعرفة الحقيقة للحقّ عز وجل.

ميزان المراتب: هو عبد المعزِّ المذلّ، هو العبد الذي أعزّه الله بطاعته، ولم يذلّه بمعصيته، فصار ميزاناً للخلائق في إعزازهم وإذلالهم، إذ كان عزُّ كلِّ عزيزٍ وذلُّ كلِّ ذليل إنّما يُوزن بمرتبته كما هو مذكور في عبد المعزّ المذلّ، وذلك لتحققه بالعدالة التي إنّما يصحُّ الوزن بالنسبة إلى حقيتها. انتهى

يعني يجدُك الشيخ في ميزانه تُرجّحُ ما خفَّ منه. رجح الميزان يرجُح بالضم والفتح رجحاناً أي: مالَ، وأرجح له ورجّح ترجيحًا أعطاه راجحًا ومن حيث عطف على من حيث يجدك أنه أي الشيخ مكاثر بك تلامذة الشيوخ، ويكثّر بك أتباعه. الكثرةُ ضد القلّة، وكاثرهم فكثرهم من باب نصر، أي: غلبهم بالكثرة. والتلامذة جمع تِلميذ بكسر التاء، وهو الذي يُسلّم نفسَه لكاملٍ ماهرٍ ليتعلّم منه العلم أو الحرفة، والجمعُ تلامذ، حُذف ياؤه تخفيفًا، والتاء للنسبة كالحنابلة فإنّ العلماء بالله ورثةُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال رسول الله ﷺ: «إني مكاثر بكم الأمم»[1] فإذا رغبَ هذا الشيخ في إصلاحك، وفي إصلاح غيرك حتّى يؤدّي[2] يقضي أن الناسَ كلّهم صلحوا على يديه أي يدي الشيخ، فإنّما يرغب الشيخ في ذلك الإصلاح لتكثيرِ أتباع محمد ﷺ تبعه من باب طرب وسلم: إذا مشى خلفَه، أو مرَّ به فمضى معه، فهو تابعٌ، والأتباع جمع تبع، والتبعُ يكون واحدًا وجمعًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [غافر: ٤٧].

لِما سمعَهُ أي سمع الشيخُ قولَ رسول الله ﷺ حيث يقول: «إني مكاثر بكم الأمم» وهذا مقامٌ رفيعٌ لغنائه أي غناء الشيخ عن حظّه في إرشاده، وإنما غرضه أي غرضُ الشيخ من إرشاد التلاميذ إقامةُ أي إدامة جاه محمد ﷺ وتعظيمه ﷺ. والرشدُ: الاستقامةُ على طريق الحقِّ، مع تصلّبٍ فيه، وغالبُ استعماله للاستقامة بطريق العقل، ويُستعملُ للاستقامة في الشرعيات أيضًا، ويستعملُ استعمالَ الهداية والجاه والقدر والمنزلة وإذا تعلّقت نيةُ الشيخ بهذا المذكور من كون غرضه من إرشاد التلاميذ إقامةَ جاه محمد ﷺ وتعظيمه يجازيه الله تعالى على ذلك التعلّق أو الإرشاد من حيثُ المقام.

---

(١) حديث أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) في النكاح، باب النهي عن التزيج من لم يلد من النساء، والنسائي ٦/ ٦٥ (٣٢٢٧). وابن حبان (٤٠٢٨).

(٢) في المطبوع من المواقع (١٩٨): حتّى يودّ.

وحيث كلمةٌ دالّةٌ على المكان كحين في الزمان ويُثلث آخره.

وقال في «الكليات»[(١)]: وقد يُراد بها الإطلاق، وذلك في مثل قولنا: الإنسان من حيث هو إنسان أي نفس مفهومه الموجود من غير اعتبار أمرٍ آخر معه.

وقد يُراد بها التقييد، وذلك في مثل: الإنسان من حيث إنه يصحُّ وتزول عنه الصحة موضوع الطب.

وقد يُراد به التعليل مثل: النارُ من حيث إنها حارّة تُسخّن الماء، أي حرارة النار علّة تسخّنه. وحيثما كأينما لتعميم الأمكنة وتعمل الجزم.

يعني يجازي اللهُ [٣٧٦] **الشيخَ على نيّته في الإرشاد من حيث** أي: من جهة **المقام**، وقد مرّ[(٢)] تفصيلُ المقام ومقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان، ومقام المتوسطين، ومقام المراد، ومقام الإمامة العرفانية، ومقام الإمامة الكمالية، ومقام الرضا، ومقام الجمع، ومقام البقاء بعد الفناء، ومقام التوحيد الأعلى، ومقام الأعراف، ومقام تعانق الأطراف، ومقام مجمع الأضداد، ومقام نفي التفرقة، ومقام المنهي، ومقام التجلي الجمعي، ومقام رؤية العين في الأين بلا أين، وغير ذلك.

إذا عرفت هذا فكيف يتّهم أي لا يتهم، يعني: لا تدخل التهمة على **الشيخ في قلّة نصح لطالب** يعني: لا يقال إنّ الطالب لم يصل إلى درجة الكمال لقلّة نصح الشيخ له **مع هذي الوجوه التي ذكرناها** من رغبة الشيخ في إصلاحك على يديه، لتكون نورًا بين يديه، وليكونَ مُكاثرًا بك وما ذكر من **المنافع له** أي للشيخ **على حسب** أي قدر **قصده ونيّتِهِ** أي نية الشيخ وقصده، **إنما هو إقامةُ جاه محمد ﷺ وتعظيمه**.

والحال أن السببَ الذي يتّهم به من أجله الشيخ، أما في قلّة نصحه وقد استوفى كما ذكر **وأمّا في تقصيرِ مقامه أن يُشاهدَ الفتح**.

الفتوح: هو ما يفتحُ اللهُ على العبد بعدما كان مُغلقًا عنه. وقد مرّ[(٣)] تفصيلُ فتوح العبارة، وفتوح المكاشفة، وفتح المضيق، وغير ذلك.

---

(١) الكليات ٢/ ٢٥٢.

(٢) انظر الصفحة (١/ ٢٠٤ و٢/ ٥١٥).

(٣) انظر الصفحة (٢/ ٥١٧).

لتلميذه قد تباعدَ أي بعد الفتحِ من التلميذ وهو أي والحال أنّ التلميذ قد خدمه أي الشيخ سنين جمع سَنة وإنّما ذلك أي بعد الفتح من التلميذ لعللٍ يعرفها الشيخ من جانب الطالب، أو من جانب المقام الذي يُريد الشيخ أن يرقّيه إليه أي يُريد الشيخُ أن يصعدَ الطالبُ إلى ذلك المقام وخلق الإنسان عجولاً على طريقِ الاقتباس من قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

فالطالب يبطىء ضدّ يُسرع، يقال: بطُؤ ككرم بُطأً بالضم، وبِطَاءً ككتاب، وأبطأ ضدُّ أسرع، فهو بطيء ومُبْطىء أي الطالبُ العجول لا يسرعُ أي لا يَسعى في مجاهدة نفسه ويحب الإسراع إليه أي إلى مقام الفتح هيهات كلمة تبعيد موضوعةٌ لاستبعاد الشيء واليأس منه، وهو بمنزلة بعد جدًا فأين هو أي الطالب المبطىء العجول من قول الجنيد رضي الله عنه حين قيلِ له: بمَ نلتَ ما نلتَ؟ فقال: بجلوسي تحت تلك الدَّرجةِ ثلاثين سنة. وأشار إلى درجةٍ في دارِه الدرجةُ: المرقاة، والجمع الدرج، والدرجةُ أيضًا المرتبةُ والطبقة، والجمع الدرجات.

وكذلك أبو يزيد رضي الله عنه كان حدَّادَ نفسِه اثنتي عشرة سنة الحدُّ: المنع، ومنه قيل للبواب حدّاد، وللسجّان أيضًا، إما لأنّه يمنعُ عن الخروج، أو لأنّه يُعالج الحديدَ من القيود ثم كان أبو يزيد رضي الله عنه قصَّارَها خمسَ سنين أي قصّار نفسه، يقال قصر الثوب دقّه، وبابه نصر، ومنه القصّار محوّرُ الثياب ثم عمل أبو يزيد رضي الله عنه في قطعِ زنّاره الظاهر ثماني سنين. الزُّنار: وهو ما على وسط النصارى والمجوس كالزنارة [٣٧٩/ب] وهو خيطٌ غليظ بقدر الأصبع من الإبريسم يُشدّ على الوسط، وهو غير الكسيج، وهو خيطٌ غليظ بقدر الأصبع من الصوف يشدّه الذمّي على وسطه ثم عمل أبو يزيد رضي الله عنه في قطعِ زنّاره الباطن كذا كذا سنة. والزُّنار في اصطلاحهم كنايةٌ عن شدّ منطقة العبادة، وعن رؤية الأعمال والعبادة غاية التذلّل لله تعالى على وفقِ ظاهر الشريعة والعبودية لتصحيحِ الصدق بالسلوك إلى الله تعالى على طبق الطريقة، والعبودةُ: مشاهدةُ النفوس قائمةً بالله في عبودتهم، فالعبادةُ للعوام، والعبوديةُ للخواص، والعبودة لأخصِّ الخواص.

كما قال رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: العبودةُ: نسبةُ العبادة إلى الله تعالى لا إلى نفسه، فإذا نسبَ إلى نفسه فتلك العبوديةُ لا العبودة، فالعبودةُ أتمُّ، وقد مر تفصيلها.

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ١٢٨.

وقطع الزنّار: عبارةٌ عن قطعِ النظر عن رؤية الأعمال بترقّيه إلى درجة الإخلاص.

والإخلاصُ: عبارة عن تصفيه كلَّ عملٍ قلبي أو قالبي من كلِّ شوبٍ يُمازجه من الرياء، وطلبِ الرياسة، والتزيّنِ عند الناس لتحصيل الجاه والحرمة. قال عليه السلام: «إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقةً، ولا يبلغُ أَحدٌ حقيقةَ الإخلاص حتى لا يُحبَّ أن يحمدَهُ الناس على ما يفعله من خيرٍ»[١] وهو إخلاصُ العوام.

وإخلاصُ الخواص: هو إخراجُ رؤية العملِ من العمل بحيث لا تفتخرُ في نفسك بالعمل، ولا تعتقدُ أنّك تستحقُّ عليه ثوابًا، لكونك لا ترضا به لله تعالى ولا تراه، لا يُقال بجانبه العزيز تعالى وتقدس؛ بل تراه من عين المنَّةِ عليك، والموهبةِ لك، لا لأنّه منك، وبهذا الإخلاص يحصلُ الخلاصُ من طلب الأعواض، فإنَّ العبدَ وما يملكه كان لسيده.

وإخلاصُ خاصّة الخاصّة: هو الخلاصُ من رؤية الإخلاص، فإنّ رؤية الإخلاص علّةٌ تحتاجُ إلى الخلاص منها، وذلك أن ترى أنَّ الله َتعالى هو الذي استخلصَكَ فجعلك مخلصًا.

ثم بعد هذا المذكور كلِّه بقيتْ له أي لأبي يزيد رضي الله عنه عقباتٌ جاوزها والعقباتُ: جمع عقبة وهي صعبُ المرتقى من الجبال، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: بيّنا له الطريقَيْن، طريقَ الخيرِ والشرّ، ويقال طريق الثديين ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ يقول: هل جاوزَ تلك العقبة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ وهي عقبةٌ بين الجنة والنار يعجبه به ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٠- ١٣] يقول: اقتحامها فكُّ رقبة، ويقال: لا يجاوز تلك العقبة إلاّ من فكَّ رقبةً: أعتق نسمةً إن قرأت بنصب الكاف والفاء. انتهى

ومرادُه ههنا من عقبات جاوزها حريته بإعتاق نفسه.

والحريةُ: في اصطلاحهم يعني بها الخروجُ عن رقِّ الأغيار، وهي على مراتب.

حرية العامة: الخروجُ عن رقِّ اتّباع الشهوات.

وحرية الخاصّة: الخروجُ عن رقِّ المُرادات، لاقتصارهم على ما يريده الحقُّ بهم.

وحريةُ خاصة الخاصة: خروجُهم عن رقِّ الرسوم والآثار، لانمحاق ظلمة كونهم في تجلّي نور الأنوار. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٢] قدس سره.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٤٦).

(٢) لطائف الإعلام ١/ ٤٠٨.

ويحتملَ أن يكونَ المراد من العقبات عقباتِ مراتب التوحيد في فناء الأفعال والصفات [٣٧٧] والذوات، ويُحتمل أن يكونَ المرادُ من العقبات العقباتِ التي تكونُ بين كلِّ منزلتين من منازل السائرين إلى الله تعالى وبين كلِّ مقامَيْنِ من المقامات.

فمالك أيُّها الطالبُ العجول لا تنظر أين حالُك من أحوال هؤلاء السادات مثل: الجُنيد، وأبي يزيد وغيرهما رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وأين اجتهادُك من اجتهادهم.

الاجتهاد: في اللغة بذلُ الوسع، وفي الأُصول: استفراغُ الفقيه الوسعَ ليحصلَ له ظنٌّ بحكمٍ شرعي. والمراد ههنا: مُجاهدةُ النفس، وهي حملُ النفس على المشاقِّ البدنية، ومُخالفة الهوى على كلِّ حالٍ، ولكن لا يمكن له مخالفةُ الهوى إلاّ بعد الرياضة، وهي تهذيب الأخلاق النفسية، يعني: فما بالك لا تنظرُ أين حالُكَ واجتهادُك من حالِهم واجتهادِهم.

فتنظر نفسك بالتقصير، وأنك لستَ أهلاً للفتح، وترجع على نفسك بالمذمّة، وتقول لها أي لنفسك: لو أردتِ مقاماتِهم أي مقامات هؤلاء السادات لنهجتِ مناهجَهم أي لسلكتِ مسالكهم. وتنظر شيخَك بعينِ التعظيم وغايةِ الجدِّ في إصلاحِك على يديه. الجِدُّ بالكسر الاجتهادُ في الأمرِ، وضدُّ الهزل، والعجلة، والتحقيق والمحقق المبالغ فيه وغاية النصح لك، وتقول لها أي لنفسك: لو علمَ الشيخُ خيرًا فيكِ لأسمعَكِ. يُقال: أسمعه الحديث، وأسمعه أي شتمه ولو أَسمعك الشيخُ الحديثَ أو شتمك والحال أنتِ على هذه الحالةِ السيئة، لتولّيتِ أي لأعرضت عن الشيخ وأنتِ معرضة عنه، ولكن ينبغي أي يليق لكِ أن تفرحي بإقبالِهِ أي إقبال الشيخ عليك، وجريِهِ معك أي كونه معك وهذه المذكورة بشرى أي بشارة من الله إليكِ، فإنَّ الشيخَ لو تخيّل فيك أنّك عملٌ غيرُ صالحٍ ما قرّبكَ ولا أدناك، ولكنّه أي الشيخ قد رجا فيكِ أي لم ييئس، وأَمّلَ في إصلاحكِ وتوسّمَ فيكِ المصلحةَ ضدُّ المفسدة، يعني: تفرّس الشيخُ في استعداد إصلاحك المصلحة إذا كان الأمرُ كذا فجدّي أي ابذلي وسعك واجتهدي في المشاقِّ، ومخالفةِ الهوى وأعينيه بمجاهدتك عليكِ وأعيني: أمرٌ من أعان يُعين، والضميرُ عائدٌ إلى الشيخ عسى اللهُ أن يأتي بالفتح، فتكون من المفلحين. وعسى هي لمقاربة الأمرِ على سبيل الرجاء والطمع، أي: لتوقّعِ حصول ما لم يحصل سواءً يُرجى حصوله عن قريبٍ أو بعيدٍ مدّةٍ مديدة. وعسى، ولعلّ من الله تعالى واجبتان، وإن كانتا رجاءً وطمعًا في كلام المخلوقِ، واللهُ منزّه عن ذلك، فورودهما تارةً بلفظ القطعِ بحسب ما هي

عليه عند الله تعالى، وتارةً بلفظ الشكِّ بحسب ما هي عليه عند الخلق وازجرها أي نفسك بمثلِ هذا الزجر المذكور آنفًا. والزجرُ: بمعنى المنع والنهي ولا تقطع نفسَك يأسًا. اليأسُ: القنوطُ ضد الرجاء، وقطعُ الأمل، فـ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] الروحُ: بالفتح من الاستراحة، وكذا الراحة، والرَّوحُ والرَّيحان: الحرمة والرزق.

فإذا رأيتَ يا بُني أنّ الله تعالى قد ألهمك لهذا الزجر المذكور، والتعنيتِ لنفسك [٢٧٧/ب] العَنَتُ: بفتحتين: الإثم، والوقوعُ في أمرٍ شاق. والمتعنّتُ طالبُ الزلّة.

وفي «القاموس» العَنَتُ: محرّكة الفسادُ والإثم، والهلاكُ، ودخول المشقّة على الإنسان، وعنَّته تعنيتًا شدّد عليه، وألزمه ما يصعبُ عليه أداؤه.

وفي بعض النسخ وقعَ التعنيف موقع التعنيت. والعُنْفُ: بالضم: ضدُّ الرّفق. والتعنيفُ التعييرُ واللوم، كلاهما يناسب المقام. فاعلمْ جواب إذا، أي: إذا رأيتَ الإلهامَ لهذا الزجر والتعنيت لنفسك.

فاعلمْ يا بُني، أنّك مُرادٌ لله تعالى وأنّ الله تعالى ما ألهمك لهذا الزجر والتعنيت إلّا وقد قدّر الله سبحانه وتعالى أن يأخذَ بيدك بالعناية الأزلية والتوفيق وإذا رأيتَ أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يوفّقْكَ لهذا الزجر والتعنيف ولا جرتْ أفعالُك عليه أي على ما ذكر فلا تلومنَّ إلّا نفسَك، ولا تقطع[1] ذلك اللوم أو التقصير في شيخك، فيجتمعُ عليك خزي الدُّنيا والآخرة. خِزي بالكسر خِزيًا بكسر الخاء، أي ذُلّ وهان، وقال ابنُ السكّيت: وقع في بليّةٍ.

فتحفّظْ أي احترز يا بُنيّ، ممّا نبّهتُك أي أيقظتُك من نومِ الغفلة وعرّفتك عليه والضمير عائد إلى (ما) واشتغلْ أي كن مشغولاً بما حرّضْتُك عليه. والتحريضُ على الشيء الحثُّ والإحماءِ فما أبقيت لك[2] من النصيحة شيئًا. النصيحة: وهي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنَّهيُ عمّا فيه الفساد، والنُّصحُ: إخلاصُ العمل عن شوبِ الفساد.

فانتظر أيها الطالب فتحَ الله ولو مدة عمرك كله، ولا تيأسْ من روح الله تعالى أي من رحمته تعالى.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٠): ولا تقع في شيخك.
(٢) في المطبوع من المواقع (٢٠٠): وما ألقيت لك في النصيحة.

واعلم يا بني[1] أنَّ الحلالَ عزيزُ المنال أي الحلال من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمكاسب، وغير ذلك، قليلُ الإصابة خصوصًا على جهةِ الورع، قليلٌ جدًا أي نهاية ومبالغة لا يحتمل أي الحلال الإسرافَ والتبذير الإسراف والتبذير مُترادفان، وتبذيرُ المال تفريقه إسرافًا، والإسراف والتبذير أو ما أَنفقَ في غيرِ طاعةٍ إذا تورعت[2] أي تكلّفتَ الورعَ على ما لزمَهُ أهلُ الورع في الورع الذي هو الاحترازُ عن كلِّ ما فيه شوب انحرافٍ شرعيٍّ أو شبهة مضرّة معنوية فبالحريّ. الحري الخليقُ، ومنه بالحري أن يكونَ ذلك، والخليقُ: الجدير أن يسلمَ لك قوتك على التقتير القتر والتقتير: الرمقةُ في العيش، والرَّمَقُ محرَّكةً بقيّةُ الحياة. والقُوتُ بالضم وهو ما يقومُ به بدنُ الإنسان من الطعام كيف أن تصلَ به أي بالقوت إلى نيلِ أي إصابة شهوةٍ من شهوات النفس كالمحاسبيِّ الحارثِ بنِ أَسد من أئمّةِ القوم، الذي مات أبوه، وتركَ كذا كذا ألف درهم وفي بعض النسخ (دينار) فما أخذ منها من الدراهم أو الدنانير شيئًا، وقال: إنَّ أبي يقولُ بالقدر، وقال رسولُ الله ﷺ: «لا يتوارثُ أهل ملّتين»[3].

مطلب الملّة والدين

القدريةُ: وهم يُسمّون أنفسهم أهلَ العدل والتوحيد، وأصلُ دعواهم نفيُ خلقِ الله تعالى أفعال العباد، ونفي قدرةِ الله على ذلك، ونفي صفات الله تعالى، وانشعب منها اثنتا عشرة فرقة: الأصلحية، والواصلية، والعمروية، والهذيلية، والهشامية، والقاسطية، والعوضية، والثنوية، والهاشمية، والروندية، والخياطية، [٣٧٨] والناكثية، والنظامية.

الملة والدين: مترادفان قال في «الكليات»[4] الدِّين بالكسر في اللغة: العادةُ مُطلقًا، وهو أوسعُ مجالاً، يُطلق على الحقِّ والباطل، ويشملُ أُصولَ الشرائع وفروعها، لأنّها عبارةٌ عن وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيًا كان أو قالبيًا، كالاعتقاد، والعلم، والصلاة.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٠): واعلم يا بني أسعدك الله.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٠٠): والتدبير بل إذا تورّعت.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩١١) في الفرائض، وأخرج الترمذي (٢١٠٨) عن جابر بلفظ: «لا توارث بين أهل ملتين».

(٤) الكليات: ٢/ ٣٢٧ـ ٣٢٩.

وقد يتجوّز فيه، فيُطلقُ على الأصول خاصَّة فيكون بمعنى الملّة، وعليه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقد يُتجوّز فيه أيضًا فيُطلق على الفروع خاصّةً وعليه: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] أي الملّةُ القيّمة يعني: فروعُ هذه الأصول.

والدين: منسوبٌ إلى الله تعالى، والملّة: إلى الرسول، والمذهب إلى المجتهد.

والملّة: اسمٌ لمَا شرّعه اللهُ لعباده على لسان نبيّه، ليتوصّلوا به إلى أجلِّ ثوابه، والدِّين مثلها، لكنَّ الملّةَ تُقال باعتبار الدعاء إليه، والدِّين باعتبار الطاعة والانقياد له.

والملّةُ الطريقة أيضًا، ثم نُقلت إلى أُصول الشرائع من حيث إنَّ الأنبياء يعلّمونها ويسلكونها ويسلك من أُمروا بإرشادهم بالنظرِ إلى الأصل، وبهذا الاعتبار لا تُضاف إلاّ إلى النبيِّ الذي تَستندُ إليه، ولا تكادُ توجدُ مضافةً إلى الله تعالى، ولا إلى آحادِ أُمّة النبيِّ عليه السلام، ولا تستعملُ [إلاّ] في جملةِ الشرائع دون آحادها، فلا يُقال ملّة الله، ولا ملّتي، ولا ملّة زيد، كما يقال: دينُ الله، وديني، ودين زيد، ولا يُقال الصلاةُ ملّةَ الله، كما يُقال دينُ الله.

والشريعةُ تُضاف إلى الله والنبيِّ والأمة، وهي من حيث إنها يُطاعُ بها تُسمّى دِينًا، ومن حيث إنها يُجتمع عليها تسمّى ملّةً.

وكثيرًا ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض، ولهذا قيل: إنها مُتّحدةٌ بالذات، ومتغايرةٌ بالاعتبار، وذلك أنّ الطريقةَ المخصوصة الثابتة من النبيِّ عليه السلام تُسمّى بالإيمان من حيث إنه واجبُ الإذعان، وبالإسلام من حيث إنّه واجبُ التسليم، وبالدين من حيث إنه يُجزى به، وبالملّة من حيث إنها ممّا يُملى ويكتب، ويجتمعُ عليه، وبالشريعة من حيث إنّه يَرِدُ على زُلال كماله المتعطِّشون، وبالناموس من حيث إنه أَتى به الملك الذي اسمه الناموس، وهو جبريل عليه السلام.

والدين: الجزاءُ ومن الأول في:

دنّاهم كما دانوا[1]

---

(١) عجز بيت للفند الزِّمّاني: صدره: =

والثاني في: «كما تَدين تُدان»[١]، ودانَ له أطاعه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ [النساء: ١٢٥] ودانه أَجزاه أو ملكه أو أقرضه، ودان دينًا أذلّه واستعبده، وفي الحديث: «الكيِّسُ مَنْ دَان نفسَه، وعملَ لما بعد الموت»[٢].

ويكونُ بمعنى القضاء نحو: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] أي في قضائه وحكمه وشريعته. انتهى

وكبعضهم عطفُ على (كالمحاسبي) أي بعض الصوفية الذي تركَ مال أبيه كذا[٣] وكذا ألف دينار معرّبٌ أصله دنّار، وجمعه دنانير فأبى أي كره ذلك البعض أن يأخذَها أي تلك الدنانير وقال: إن أبي كان تاجرًا، وكان لا يُحسنُ العلمَ، فربّما دخل عليه ربا وهو لا يشعر. والرِّبا: هو في اللغة الزيادة، وفي الشرع هو: فضلٌ خالٍ عن عوض شرطٍ لأحدِ العاقدين وكان هذا المذكور ابن القاسم تلميذ مالك بن أنس[٤] رضي الله عنهما، وهو الذي اكترى واستكرى وتكارى بمعنى أَخذ بالكِراء أي بالأجرة [٢٧٨/ب] دابةً يُسافر عليها، فجاءه إنسان برسالةٍ، وقال له أي لابن القاسم: تحملُ هذا معك لفلان. قال ابن القاسم رضي الله عنه: ما اشترطتُ على صاحب الدابة حمل هذا المكتوب.

وكأبي يزيد رضي الله عنه عطف على (بعضهم) حين ردَّ النملةَ والتمرةَ على كذا كذا فرسخًا النملة التي كانتْ وقعت على تمره من البقال[٥].

وكأبي مَدْين رحمه الله في زماننا هذا الذي ما أكلَ هذه البقلة التي يقال لها القطف ورعًا،

= ولــم يبــق ســوى العــدوا ن دنّــاهــم كمــا دانــوا
من قصيدة في حرب البسوس حماسة البحتري (٢٤٧).

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٨٤ (٩٠٢): «البر لا يبلى، والذنب لا يُنسى، والديان لا يموت، فكن كما شئت، فكما تدين تُدان». رواه أبو نعيم، وابن عدي، والديلمي عن ابن عمر، ورواه عبد الرزاق في الزهد عن أبي قلابة مرسلاً، وأحمد عن أبي الدرداء موقوفًا.

(٢) حديث رواه الترمذي (٢٤٥٩) عن شداد بن أوس.

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٠٠): ترك له أبوه كذا كذا.

(٤) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي المشري أبو عبد الله (١٣٢ـ ١٩١هـ) الفقيه المالكي، جمع بين الزهد والعلم، تفقه بالإمام مالك ونظرائه صحب مالكًا عشرين سنة، مولده ووفاته في مصر، له «المدونة» من أجلّ كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك. وفيات الأعيان ٣/ ١٢٩.

(٥) في المطبوع من المواقع (٢٠٠): التي كانت وقعت من تمر البقال على تمره.

لأنها تُسمّى بقلة الروم. القَطَفُ محرَّكةً وبها الأثر، وبقلة يقال لها: السَرْمَق على وزن جعفر، ويقال لها بالتركية سركن، وبالفارسية سَرِنْك بفتح السين، وكسر الراء، وسكون النون **وهذا المذكور من أكمل ما سمعتُهُ في الورع، وأمثالُ هذا ممّا سلك عليه القوم رضي الله عنهم أجمعين**.

فاللهَ اللهَ يا بُنيّ حافظْ أمرٌ من المحافظة على نفسك **ألاّ تُصاحِبَها في شهواتها لهذه المطاعم الغالية الأثمان، فإنّك إنْ صحبتَها** أي النفس عليها أي على المطاعم الغالية الأثمان **ويقوى في خاطرك أنك لو نلت لعذوبتها**[1] أي لعذوبة تلك المطاعم **وأن تأخذَها** أي تلك المطاعم **على وجهِ الاعتبار، أعمتْ بصيرتك** جوابُ شرطٍ.

يعني: إنْ صَحبتَ النفسَ على المطاعم الغالية الأثمان على وجهِ الاعتبار صيّرتَ بصيرتك عمياءَ، والبصيرةُ: قوّةٌ باطنة للقلب كعين الرأس، ويقال: هي عينُ القلب عندما ينكشفُ حجابُه، فيشاهدُ بها بواطنَ الأمور كما يشاهدُ بعينِ الرأس ظواهرَها.

ودلَّتْكَ بغرور: يعني حبّذتك النفس، وأوقعتك فيما أراد من تغريره، والغرور ما اغتُرَّ به من متاع الدنيا **وأدخلتِ النفسُ عليك ضربًا** أي نوعًا **من التأويلات في مكسبك لتكثّر درهمك بما تلحق به الشهوة حتى تؤدّيك** أي توصلك النفس **إلى التورّطِ في الشبهات** أي إلى الوقوع في ورطةِ الشبهات **والحال هي الشبهات بريد الحرام**. والبريدُ المرتّب والرسول، وأربعة فراسخ، واثني عشر ميلاً أو ما بين المنزلتين **فإنّ الراتع حول الحمى يُوشك أن يقعَ فيه**. الراتع: الآكل والشارب ما شاء، أو هو الآكلُ والشارب رغدًا، وحماه يحميه حمايةً: دفع عنه، وهذا شيء حمًى أي محظور لا يقربُ، وأحميتُ المكانَ: جعلته حمًى وفي الحديث: «لا حمى إلاّ لله ولرسوله»[2] أوشك الرّجلُ: أسرعَ السير **فسُدَّ عليها** أي على النفس **هذا الباب** أي باب الشبهات **ولا تُطعمْها** أي النفس **إلاّ ما تقوى به على أداءِ ما كلّفته وتكلّفته** يعني ما تقوى النفس على أداءِ ما كُلّفته أنت، وما تَكلّفته النفس من العبادات والطاعات **على الشرطِ الذي ذكرتُ لك آنفًا من التقليل في الطعام وهكذا التقليل في اللباس**.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠١): خاطرك أن لو نلتها لعذوبتها.

(٢) حديث رواه البخاري (٣٠١٣) في الجهاد، باب أهل الدار يبيتون، ومسلم (١٧٤٥) في الجهاد، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد، والترمذي (١٥٧٠)، وأبو داود (٢٦٧٢).

وإيّاكَ والإسرافَ أي اتّقِ الإسراف في النفقة أي الرزق وإنْ كان الرزقُ حلالاً صافيًا، فإنه أي الإسراف والتبذير مذمومٌ، وصاحبهُ أي صاحب الإسراف والتبذير مسرفٌ مبذرٌ ملوم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] [٣٧٩] وقال تعالى: ﴿۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وهذا الأمرُ قد عمَّ اللِّباسَ والطعام والشراب صريحًا.

فالبطنُ يا بني، أكبرُ الأعداء بعد الهوى، والفرجُ بعدهما، عَصَمنا أي حفظنا اللهُ تعالى من الشهوات، وحالَ بيننا وبين الآفات. والهوى: عبارةٌ عن ميلِ النفس إلى مقتضيات الطبع، وإعراضها عن أحكام الشرع.

واعلمْ أنّ لهذه الأعمال المتلّعقة بهذا العضو أي البطن كما كان لأخواته من الأعضاء كراماتٌ ومنازلُ يعني أنَّ لهذه الأعمال المتعلّقة بالبطن كرامات ومنازل، كما كان لأخواته من الأعضاء السائرة فمن كراماتِه أي بعض كرامات البطن التي لا يَدخلها أي تلك الكرامة مكرٌ ولا استدراجٌ. المكر: إرداف النِّعم مع المخالفة، وإبقاءُ الحال مع سوءِ الأدب، وإظهارُ الآيات والكرامات.

والاستدراج: هو أن يُعطي اللهُ العبدَ كلَّ ما يُريده في الدُّنيا ليزدادَ غيُّه وضلالُه وجهله وعناؤه، فيزداد كلَّ يومٍ بُعدًا من الله تعالى، يعني: الكرامةُ التي لا يدخلها المكر والاستدراج.

أن يحفظَ عليه أي على الولي طعامَه وشرابَه ولباسَه بعلامةٍ يلقيها أي تلك العلامة اللهُ تعالى فاعل (يلقيها) وإلقاؤه تعالى إمّا في نفسه، أو في نفس الشيء الذي قامتْ به صفةُ الحرام أو صفة الشُّبهة حتّى لا يتناولَ ذلك الولي إلاّ طعامًا طيبًا وشرابًا طيبًا ولباسًا طيبًا وعلاماتُهم أي علامات الحرام والشُّبهة للأولياء متعدّدةٌ متكثرة تكادُ جزئياتُها لا تنضبطُ، وأصولُها أي أصول العلامات ترجعُ لما ذكرنا ههنا.

وكانَ الحارثُ بنُ أَسد المحاسبيُّ رضي الله عنه إذا قُدِّم له طعامٌ فيه شُبهة ضربَ عرقٌ على أصبعه فيكون له علامةً لشبهة الطعام.

وكأمِّ أبي يزيد البِسطامي رضي الله عنه ما دامتْ حاملةً بأبي يزيد لا تمتدُّ يدُها إلى طعامٍ حرام فيكون لها علامةً لحرمة الطعام.

وآخرُ يُنادي له: تورّعْ، فيكون ذلك النداءُ له علامةً.

وآخرُ يأخذه الغثيان فيكون علامةً له.

وآخرُ يصيرُ الطعامُ أمامه دمًا[١] فيكون علامةً له.

وآخرُ يراه أي الطعام خنزيرًا فيكون علامةً له إلى أمثال هذه العلامات التي خصَّ اللهُ بها أولياءَه وأصفياءه.

وهي أي تلك العلامات راجعةٌ إلى ثلاثة أصول: الأصلُ الواحد أن تكونَ العلامةُ في نفسك. والأصلُ الآخر الثاني أن تكونَ العلامةُ في المتورّع فيه. والأصلُ الثالث أن تكونَ العلامةُ داعيًا من خارج أو داخل مُنبّهًا على تلك الشبهة، وهذا الأصلُ الثالث على أنواع في كيفياته، ذكرناها في شرح أحوال أبي يزيد في الكتاب الذي سمّيناه «مفتاح أقفال إلهام التوحيد»[٢].

ومن كراماته أي بعض كرامات البطن أن يُشبعَ القليلُ من الطعام من يد صاحب هذا البطن الرّهطَ الكثيرَ. رهطُ الرجل: قومُه وقبيلته، والرّهط دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ [النمل: ٤٨] فجمع ليس لهم واحد من لفظتهم، والجمع أرهط وأرهاط وأراهط كأنّه جمع أرهط وأراهيط [٣٧٩/ب].

كما حُكي عن بعضهم: جاءه إخوان، وكان عنده ما يقومُ برجلٍ واحد خاصّة، فكسر الخبزَ وغطّاه أي ستر الخبز المكسور بالمنديلِ. المنديل: بالكسر والفتح، وكمنبر الذي يُتمسّح به، وتندّل به وتَمندلَ تمسّح وجعل أي شرع الإخوان يأكلون من تحت المنديل، حتى أكلوا عن آخرِهم وبقي الخبزُ كما كان، ما انتقصَ منه شيءٌ، وهذا ميراثٌ نبويٌ من فعلِ رسولِ الله ﷺ حين بسطَ النّطعَ. النّطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك كعنب بساطٌ من الأديم وجاءه ذو البرِّ ببره، وذو النَّواة بنواه[٣] حتى اجتمعَ من ذلك شيء يسير[٤] أي قليل فدعا

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٢): دمًا، وآخر يرى عليه سوادًا.

(٢) اسم الكتاب: مفتاح أقفال الإلهام الوحيد، وإيضاح أشكال علم المريد في شرح أحوال أبي يزيد. الشيخ الأكبر لمحمد رياض المالح ٥٢٤.

(٣) جاء في الهامش: وفي نسخة: ذو النوى بنواة.

(٤) في المطبوع من المواقع (٢٠٢): اجتمع من ذلك شيء كثير.

رسول الله ﷺ فيه بالبركة، ثم أخذ الناسُ في أوعيتهم حتى ملؤها، كما جاء في الحديث الصحيح في «مسلم»[١]. والنّوى جمع نواة: التمرُ، فهو يُذكّر ويؤنّث، وجمعُه أنواء، والنّواة خمسة دراهم.

وفي «القاموس»: النوى الدار، والتحوّل من مكانٍ إلى آخر، وجمع نواة التمر، وجمع الجمع أنواء. والنّواة من العدد عشرون أو عشرة، والأُوقية من الذهب، أو أربعة دنانير، أو ما زِنَتُهُ خمسةُ دراهم، أو ثلاثةُ دراهم، أو ثلاثةٌ ونصف.

ومثل هذه المذكورة في الطعام من تكثير القليل في اللباس من هذا الباب[٢] من تكثير القليل كما قدمنا، حُكي عن أبي عبد الله التاودي[٣] رحمه الله

أنّه أخذَ الشقة أي القطعة ممّا يُقطعُ منه اللباس، ومسكها أي الشقة تحت غفارته أي ستارته وأخرجَ أبو عبد الله طرفَها أي طرف الشقة للخيّاط، وقال للخياط خذ منها مقدارَ حاجتك، وما زال الخياطُ يفصّلُ منها أي يقطع من الشقة ما شاءَ اللهَ، ما هو خارق للعادة أي مخالفٌ لها حتى قال له الخيّاط: وهذه الشقة ما تمّت أبدًا، فرماها الشيخ من تحته، وقال: قد تمّت الشقة فيا ليته سكتَ، وقيل إنه أبا عبد الله كان الخيّاط بنفسه، وكان المتعجّب من ذلك التكثير صاحب الشقة فرماها وقال له: قد تمت الشقة[٤].

ومن كرامات هذا المقام أي مقام تكثير القليل أيضًا أن ينقلبَ اللّونُ الواحدُ الذي في الصحن أنواعًا من الطعام في حاسّةِ الآكل، إن اشتهاه بعضُ الحاضرين.

أخبرني من أثقُ أي أعتمد به عن سيّدنا شيخِ الشيوخ أبي مدين رحمه الله أنّه شاهدَ هذا أي انقلاب اللونِ أنواعًا من بعض الرجال في سياحته، وذلك أنّه أي أبا مدين رضي الله عنه خرجَ في أحدِ الأوقات على وجه السياحةِ، فلقي رجلاً من أولياء الله تعالى، فمشى معه غير بعيد، فدخلَ عند عجوزٍ في مغارة في حكايةٍ طويلةٍ، ثم عادَ الشيخُ إلى العجوز في آخرِ النهار، فقعد

---

(١) صحيح مسلم (٢٧) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٠٢): ومثل هذه ما حكي في اللباس وهو من هذا.

(٣) أبو عبد الله التاودي من أهل مدينة فاس، ومن أصحاب الشيخ أب يعزى، كان يعلم الصبيان فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء فيرده على أبناء الفقراء، وهذه النسبة إلى قبيلة بقرب فاس.
مات سنة ٥٨٠هـ. الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ٢/ ٢١٠.

(٤) في المطبوع من المواقع (٢٠٢): صاحب الشقة، فربّما سأله قد تمّت. وقال: قد تمّت.

عندها حتى وصلَ ابنٌ لها كان يتعبّدُ الله في بعض الجبال، فدخلَ وسلّم على الشيخ أبي مدين رضي الله عنه، فقدّمتِ العجوزُ سفرةً فيها صحنٌ واحد وخبزةٌ واحدةٌ، فقعد الشيخُ والفتى يأكلان، فقال الشيخُ: تمنّيت لو كان كذا. وكان ذلك التمني في نفسه[1] فقال له الفتى: قل بسم الله يا سيّدنا، وكلْ ما تمنّيت، فسمّيتُ اللهَ، وأكلتُ، فإذا به طعمُ ما تمنّيت، فلم أزلْ أقصدُ التمنّي، وهو يقولُ مثلَ مقالته الأولى، وأنا أجدُ طعمَ ما تمنّيت، وكان الشابُ صغيراً كما عذر أي ما نبت شعرُ عذاره [٣٨٠] ألحقنا الله بأوليائه آمين.

ومن كراماته أي بعض كرامات البطن أيضًا أن يأتي لصاحب هذا المقام الجنُّ أو المَلَكُ بغذائه من طعامه وشرابه ولباسه، أو يعلّق غذاؤه في الهواء كما اتفق لبعضهم لمّا احتاجَ إلى الماء في الصحراء، فسمع على رأسِه صلصلةً. الصَّلصلة كالزلزلة صوتٌ كصوت الحديد والسّلسلة، قال في «القاموس»: صَل يَصِلُّ صليلاً صوّتَ كصَلْصَل صَلْصَلَةً ومُصَلْصَلاً. واللِّجام امتدَّ صوته.

فرفعَ صاحبُ هذا المقام رأسَه، فإذا هو بكأسٍ معلّقةٍ من سلسلةِ ذهبٍ، فشرب منه أي من الكأس وتركه على حاله. والكأسُ الإناءُ يُشرب فيه، أو ما دامَ الشرابُ فيه، مؤنّثة مهموزة، والشرابُ بإرادة الحال، وذكر المحلِّ وتذكير الضميرين للشراب.

ورأى بعضُهم أي بعض أصحاب هذا المقام شخصًا في الهواء يُناوله رغيفًا، فسئل، فقال: هو ملك الأرزاق وهو ميكائيل عليه السلام.

ورئي بعضُهم قد ساقتْ له امرأةٌ طعامًا ما لم يُعرف، فسئل عنها، فقال هي الدُّنيا تخدمني.

ومن كرامات هذا المقام أيضًا شربُ الماء الزُّعاق كغُراب: الماءُ المرّ الغليظ لا يُطاق شربه والأُجاج وماء أُجاج: ملحٌ مرّ عذبًا فراتًا. العذابُ الماء الطيّب، والفرات الماء العذب، والفرات نهر الكوفة.

شربتُه يعني أنا شربتُ الماءَ الزُّعاق أو الأجاج عذبًا فراتًا من يد أبي محمد عبد الله بن الأستاذ الموروري الحاجّ من خواصِّ الشيخ العارف أبي مدين رضي الله عنه، وكان الشيخُ يُسمّيه الحاج المبرور.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٣): تمنيت لو كان كذا، أو خطر ذلك في نفسه.

ومنها: أي من كرامات صاحب هذا المقام أن يأكلَ زيدٌ عن عمرٍو طعامًا، وعمرٌو غائب عن زيد فيَشبع عمرًا الطعامُ الذي أكله عنه أي عن عمرو زيد، ويجدُ عمرٌو طعمَ ذلك الطعام بعينه وكأنه أي عمرو أَكله أي ذلك الطعام ولا يدَري أي لا يعلم عمرٌو الذي أكل عنه ما جرى.

وقد اتّفق هذا الأكل عن غيره أيضًا للحاج المذكور أبي محمد الموروري رضي الله عنه مع أبي العباس بن الحاج أبي مروان بغرناطة موضعٌ بالأندلس.

قال في «القاموس» غَرْناطة بلدة بالأندلس، أو لحنٌ، والصواب: أَغَرْناطة، ومعناها الرُّمّانة بالأندلسية، ولذلك وقع في بعض النسخ بأغرناطة.

وحدثني أبو العباس المذكور الذي أكلَ عنه بدارِ الشيخ الزاهد المجتهد العابد أبي محمد الباغي المعروف بالشكاز على الوجهِ الذي أَخبرني به أبو محمد المذكورُ صاحبُ الكرامة، ومن هذا ما لا يُحصى كثرةً، وتحقيق هذا المذكور من الكرامات أنّ من تحقّق هذا المقام من الغذاء الحلال إمّا بالكسب أو بورع التوحيد الذي قال فيه الشيخُ أبو مدين رضي الله عنه: العارفُ مَنْ لا يُطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه.

فإذا حصلَ الحلالُ فالتقليل منه كما ذكرناه مرّةً بعد أُخرى، فإذا تحقّق هذا المذكور من الحلال وتقليله نشأتْ أي ارتفعت في باطنه أي باطن صاحب هذا المقام همّةٌ فعّالة قاضية أي حاكمة يوجدها أي تلك الهمة اللهُ تعالى في نفس هذا العبد كرامةً به، وتصحيحًا لمقامه.

الهمة: توجُّهُ القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحقِّ لحصولِ الكمال [٣٨٠/ب]، وتُطلق بإزاء تعلّق القلب بطلب الحقّ تعلّقًا صرفًا أي خالصًا من رغبةٍ في ثواب، أو رهبةٍ في عقاب، ولهذا قالوا: الهمّةُ ما تثيرُ شدّةَ الانتهاضِ إلى معالي الأمور.

ويقال: الهمّةُ طلبُ الحقِّ بإعراضٍ عمّا سواه من غير فتورٍ ولا توان. ويعبّرُ بالهمّة عن نهايةِ شدّة الطلبِ، وقد مرّتْ تفاصيلُ الهمم.

وعن تلك الهمّة يصدرُ جميعُ ما ذكرناه آنفًا من انقلابِ اللون الواحد الذي في الصحن أنواعًا من الطعام، وأن يأتي الجنُّ أو المَلَكُ بغذائه، وشرب الماء الزُّعاق عذبًا، وعلامات الحرام والشبهة، وتكثير القليل وأمثاله. وكرامات أُخر أيضًا من هذه الكراماتِ التي ذكرناها

ممّا لم يخطرْ للعبدِ فيها خاطرٌ إلا تحفة بديهية[١] من الله تعالى والحمد لله وحده. والتُّحفة بالضم، وكهُمَزَة البرُّ واللُّطف والطرفة، والجمع: تُحف.

* * *

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٤): لا تُحفّه بديهية.

المنزل الإبراهيمي
منازل هذا المقام

ولا يزال العبدُ يتحقّق في ترتيب هذا الغذاء الجسماني حالاً بعد حال، ومقامًا بعد مقام إلى أن يرتقي العبد إلى الغذاء الروحاني الذي به أي بسببِ ذلك الغذاء الرُّوحاني كامن بقاءُ النفس ويُغني العبدَ ذلك الغذاء عن الغذاء الجسماني، ويُغني ذلك الغذاء الروحاني العبدَ عن ملاحظته الذي هو منزل الحسِّ والمحسوس إلاّ قدر[1] ما يبقى به أي بسبب الغذاء الجسماني ذاته أي ذات العبد خاصّة إذْ ببقائها أي ببقاء ذاته يتمكّن له أي للعبد تحصيلُ الغذاء الروحاني، وأول مقام يطرأ أي يطلع ويظهر عليه على العبد من هذه المنازل المذكورة أن يقفَ العبد على سرِّ الحبِّة وإلقائها أي الحبة في الأرض، ثم أن يقفَ العبدُ على سرِّ المطر في سحابه الذي هو عبارة عن تحليلها يعني سرّه عبارة عن إخراجِ الحبّة على وجه الأرض ثم أن يقفَ العبد على سرِّ الريح السائق للمُعصرات أي السحائب التي تعصرُ بالمطر فتؤدّي أي توصل المعصرات ما عندها أي المطر الذي حاصل عند المعصرات، وما أمنت المعصرات عليه من المطر، والسرّ أي سرّ الحياة المودع في المطر لتلك الأرض التي تلقى الحبّة فيها ثم أن يقفَ العبدُ على السرِّ الذي لأجله تنبسط الشمس فتغذّيها أي الحبّة غذاءً آخر بما أي بسرِّ ما فيها من الحرارة المنمّية وبسرِّ تلك الحرارة المنمّية تُنمى الحبة وفي ذلك الغذاء أي غذاء الشمس يكون كمال وجودها أي وجود الحبة لِما تُرادُ له أي لكمال وجود الحبة.

وهذه المذكور من الأرض والسحاب والمطر والريح والشمس كلّها، وما تركناه من المتصرّفين في خدمة هذه الحبة وإخراجها إلى الوجود، وتقلّبها من حالةٍ إلى حالة في الأدوار والأطوار وأملاك من ملائكة السماء والأرض والرياح والأمطار كلّها متصرّفون تحت قدرة الموجود المطلق تعالى شأنه وتحت قدرة مُبعِثِ هذه الموجودات من خزانة الوجود المطلق ولولاها أي خزانة جود الوجود ما ظهر شيء أصلاً بالكلية في الوجود.

فالصوفي إنْ وقفَ هنا فبها ونعمت نَعِم كعلم، وبكسرتين، وبالكسر والفتح، يقال: إنْ

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٥): إلى قدر ما يبقى.

فعلتَ فيها ونعمت بتاءٍ ساكنة وقفًا ووصلاً، أي: نعمت الخصلة.

والخصلةُ: الخلّة والفضيلة، والجمع خصال وإصابة [٣٨١] القرطاس فإنّ معرفةَ هذا المذكور من سرِّ الأرض والرياح والسحاب والمطر والشمس وأسرار المتصرّفين في خدمة الحبّة من الأملاك علم كثير خبر (أن) وثمرته أي ثمرة ذلك العلم عظيمةٌ. والثمرةُ: أعمُّ من المطعوم، كما أنَّ الرزقَ أعمُّ من المأكول والمشروب وللنفس فيها أي في ثمرةِ العلم، وهي عبارة عن اليقين غذاءٌ روحاني شافٍ يُورثُ شفاءَ الصدر من أمراض الشكِّ والظنِّ.

وإن أرادَ الصوفيُّ أن يرتقي عن ملاحظة هذه الأشياء المذكورة آنفًا لا نفسها ويجعلها أي وأن يجعلَ الصوفيُّ الأشياء المذكورة دلائلَ لما هو في نفسه أي في نفس الصوفي وعالمه أي عالم إنسانيته فيرتقي إلى منزلٍ آخر في نفسه لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] فيشاهد الصوفي نفسَه أرضًا قد طيَّبتها العقائدُ الصحيحة والتوفيق، وحرثُها الخُلُق الحسن والتخلّق.

والخلق: هو ما يرجع إليه المكلف من نعته، فكان المرادُ بالخلق صفاتِ النفس، فإنْ كانت محمودةً فهو على خُلُقٍ محمود، وإن كانت مذمومةً فهو على خُلقٍ مذموم، ولهذا قالوا: الإنسانُ مستورٌ بخُلُقه مشهور بخَلْقه. والتخلّق بالأسماء الإلهية: قيامُ العبد بها على نحو ما يليق بعبوديته، بحيث يُوفّي العبوديةَ حقَّها، وكذا الربوبية هذا الخلق والتخلق على حسب أي قدر ما جُبلت أي خلقت نفس الصوفي فَزَرْع الحكيم أي المرشد الكامل إذْ ذاك أي عند حرثها الخلق والتخلق فيها أي في أرضِ قلب الصوفي حبّة الحكمة الخاصة، وهي كلمةُ التوحيد بالتلقين المحرّكةُ لطلب الحكمة الإلهية الوجودية المطلوبة الغائية التي يقعُ فيها أي في تلك الحكمة الإلهية التوارث بين الأنبياء عليهم السلام والعلماء رضوان الله عليهم أجمعين، لقوله عليها لسلام: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء»[1].

فإذا زرعَ الحكيم حبّةَ الحكمةِ في أرض قلبِ الصوفي كما ذكرنا آنفًا أمطرها بالعملِ في سحاب الورع. يُقال: مطرتِ السماءُ، من باب نصر، وأَمطرها اللهُ، وقيل: مطرتِ السماءُ وأمطرت بمعنىً.

يعني: أُمطر على أرض القلب مطرُ العمل الصالح من سحاب الورع التي تَسوقها أي تلك

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٨).

السحاب رياحُ العناية الأزلية فتثمر حبّة الحكمة إذ ذاك أي عند نزول مطر العمل الصالح من سحاب الورع بسوق رياح العناية بسنبلة إخلاص التوحيد أي تجلي التوحيد الأفعالي، ثم الصفاتي، ثم الذاتي فيتغذّى بها أي بسنبلة إخلاص التوحيد جميع أعمال الجوارح الزكية أي الطاهرة، فتتقوّى الأعمال الزكية على إنتاج الأسرار الإلهية والحِكَم الربانية الفرقانية(١).

والأنوار القرآنية والفرقان يُشيرون به إلى رؤية الفرقِ بينَ الحقِّ والخلق. والقرآنُ: رؤيةُ التفرقة بعين الجمع، فإنّ الأسماءَ التي سمّى بها الحقّ حقائق الذوات أو الصفات أو الأفعال لا يصحُّ عند أهلِ الحقِّ إطلاقُها على مُسمّياتها إطلاقًا مجازيًا أو شبيهيًا، فضلاً أن يتوهّم فيها أنْ يكونَ إطلاقها كاذبة، نعوذُ بالله من اعتقاد ذلك، كما سمّى الإنسانُ ولده [٣٨١/ب] الفاجرَ عفيفًا، والجاهل عالمًا، وصاحب الشين زينًا، والوضيع عليًا، وأمثال ذلك، وهذا الفرق عند أهل الحقِّ بين الأسماء يهبها الحقُّ لمُسمَّياتها التي سمّاها بها، وكلُّ ما جاء من الأسماء التوفيقية قرآنيةً أو نبويةً أو ذوقية تكلّم بها أهلُ الله من الأكابر المحقّقين بالحق، فإنها أسماءٌ على مسمّيات هي لها بالحقيقة مثل قوله تعالى في يحيى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] وفي حقِّ عيسى عليه السلام: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وفي حقِّ إبراهيم: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وأمثال ذلك.

فلهذا فهم أهلُ الحقِّ من تسميته تعالى لنبيّه وحبيبه محمد ﷺ بهذا الاسم ـ أعني محمدًا الذي هو مبالغةٌ في الحمد ـ لكونه ﷺ كذلك، أي محمودًا عند الحقِّ بالمبالغة، ومعلومٌ أنّه لا أبلَغَ في الحمد ممّن وصفه الحقُّ بالمبالغة في حمده. فلهذا كان أحمد الناس وأكملَهم، كما سمّاه محمدًا لأجل ذلك.

وكما فهموا أيضًا من كونه تعالى سمّى كتابه المنزل على هذا الرسول المكرّم ﷺ قرآنًا أنّ هذا الأسماء إنّما سمّاه بها تنبيهًا على أنَّ هذا الكتاب أشرفُ الكتب التي أنزلها، كما أنَّ الرسول الذي أنزل عليه أشرفُ الرسل التي أَرسلها، والإشارة إليه ما ذكرناه من كونهم يكنون بالقرآن عن رؤية التفرقة بعين الجمع، إذ كانت هذه الرؤية أكملَ مقامات المعرفة والعارفين من غيره، إذْ كانت رؤية التفرقة بغير عين الجمع حالَ المحجوبين عن الحق بالخلق، كما هو حالُ العوام، وأما من يرى الجمعَ ولم ير الفرقَ فهو في طرفِ النقص من أهل الحجاب، وهو

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠): الربانية العرفانية.

ممّن استُهلك في عين القرب، فانمحقَ ضياؤه الإمكاني في نور حقيقة الحقائقِ، وهذا وإن كان من أهل القرب فليسَ هو من أهلِ الكمال الذين هم رسلُ الله وأنبياؤه، ومن كان من الأولياء وارثًا لمقاماتهم ومتحققًا بأخلاقهم فإن هؤلاء هم أهل القرآن. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

وفي هذا المنزل أي منزل إنتاجِ الأسرار الإلهية والحِكَم الربّانية الفُرقانية، والأنوار القرآنية **تصحُّ الخلّةُ لمن صحّت والحمد لله على هذه الخلّة الصحيحة.**

الخلّة العامة: تَخَلُّلُ كلِّ شيء من الحقِّ والعبد بصفات الآخر، وهو المشارُ إليه بقول الشيخ رضي الله عنه:

ففي الخلقِ عينُ الحقِّ إن كنتَ ذا عين وفي الحقِّ عينُ الخلقِ إنْ كنتَ ذا عقلِ
وإن كنتَ ذا عقلٍ وعينٍ فما ترى سوى عين شيءٍ واحدٍ فيه بالشَّكلِ[2]

وهذا إنمّا يتحقّق به من شاهد الوحدة في الكثرة، والكثرةَ في الوحدة، فرأى كلَّ شيءٍ في كلِّ شيءٍ.

والخلّة الخاصة: هي ظهورُ العبدِ بصفات الحقِّ تخلّقًا بحيث يكون العبد متعمّدًا في التخلّي عن صفات خلقية، والتحلّي بصفات حقّية رغبةً في التجلّي الحاصل بظهور صفات الحقِّ به.

والخلّة الكاملة: هي المناسبةُ الذاتية التي تقتضي التحقُّق بصفات الحقِّ على وجه يكون المتحقّق بها مرآةً يرتسمُ فيها جميعُ الأسماء والصفات ارتسامًا كائنًا لا على سبيلِ المحاكاة، بل بحيث يتخلّله تخلُّلاً لا يبقى للعبدِ معه فراغٌ ليتّصف بشيءٍ من الصفات غير صفات الحقِّ تعالى، وهو القائل:

قد تَخلّلتَ مَسْلَكَ الرُّوح منّي ولذا سُمّي الخليلُ خليلا

هكذا عبّر الشيخُ رضي الله عنه في «الفصوص» عمّا هو المراد بالخلّة عند أهل الخصوص. وقال [٣٨٢]:

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٢٢٩ـ ٢٣١. وقد تقدّم طرف منها صفحة (١/ ٢٠٧ و٣/ ٦٤).
(٢) تقدم الشعر ومادة الخلة، انظر الصفحة (٣/ ٣٩).

يا ساكنًا قلبيَ المعنّى وليسَ فيه سواه ثانِ
علامَ قلْ لي كسرتَ قلبي وما التقى فيه ساكنان

انتهى من «الفرغاني»[1] قدّس اللهُ سرَّه.

* * *

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٤٦ـ ٤٤٨.

المنزل الميكائلي هو منزل العدل

وهو أي منزل الميكائل الذي هو منزل العدل.

العدلُ: عبارةٌ عن الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.

وفي اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصرَّ على الصغائر، وغلب صوابُهُ.

وقيل: العدل: مصدرٌ بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميلُ إلى الحقِّ.

وفي اصطلاح الصوفية: العدل ويقال الحق المخلوق به، وهو عبارة عن أول مخلوق، وهو روح نبيِّنا ﷺ وقد استُوفي تفصيله[1].

عبارة عن مشاهدته أي مشاهدة صاحب الميزان للمَلَك الموكّل بالأرزاق وهو الميكائيل عليه السلام **فيشهد** عقيب تلك المشاهدة **قسمة الأرزاق على العباد بالوسائط كلٌّ** أي كلُّ واحدٍ من العباد **يرتزق على مرتبته** رزقًا صوريًا ومعنويًا بحسب مرتبته وما قُدِّر له من الرزق **فيحصل له** أي للمشاهد من مشاهدةِ **هذا المنزل** أي الميكائيلي **وضعُ** فاعل (يحصل) **الحكم** جمع حكمة، وهي الاطلاع على أسرار الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، ومعرفة ما ينبغي على ما ينبغي بالشُّروط التي تنبغي، فمن عرف الحكمة، ويُسِّرَ العمل بها، فذلك الحكيمُ الذي آتاه الله الحكمة، فأحكم وضع الأشياء **في مواضعها** قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقد مرّ بيانها.

والحاصلُ يحصلُ للمشاهد من مشاهدةِ هذا المنزل وضع الحِكمَ في مواضعها **وإعطاءُ** عطف على (وضع) **كلِّ ذي حقٍّ حقّه على الميزان العقلي والشرعي، وفي هذا المقام فائدةٌ عظيمة وهي التي نَدَبنا** أي دعانا اللهُ تعالى إليها بقوله تعالى عز وجل: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [النور: ٢] **وفي هذا المنزل** أي منزل العدل **بكى رسولُ الله ﷺ على ابنه إبراهيم، وقال: «تدمع العينُ، ويحزنُ القلب، ولا نقولُ إلاّ ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا بك يا إبراهيمُ لمحزونون»[2].**

---

(١) انظر الصفحة (١/ ٥٥٨، ٢/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٥) في الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال.

ونهايةُ هذا المنزل المبارك أي المنزل الميكائيلي الذي هو منزل العدل مشاهدةُ العبدِ الخصوصي الحقَّ سبحانه وتعالى في حضرة اسمه الرزّاق، العدل، الحكيم، المُقسط ومشاهدة توليه تعالى الرزق باليدين المبسوطتين من غير تكييفٍ ولا تشبيه.

واليدان: يُعبّرُ بهما عن الحضرتين: هما حضرةُ الوجوب، والإمكان.

فحضرة الوجوب: إحدى يديه الباسطية بالرحمة، وباعتبار اختصاص هذه الرحمة بالذين يتّقون، ويُؤتون الزكاة من قابلياتهم كانتْ هذه اليدُ هي اليمين.

وكانتْ حضرةُ المعلومات والإمكان الأُخرى.

ومن جهة أنَّ بركةَ جميع الكمالات الأسمائية المحبوسة لعينها وظهورها متعلّقة بهما جميعًا، كانت كلتا يديه يمنى مباركة نظرًا إلى الكامل الحقيقي لا النسبي، وكلّما كان من المظاهر الروحانية والجسمانية حكمُ الوحدة والبساطة واللطافة فيه أظهر كالسموات والأَفلاك وعمّارها من الأرواح والأملاك كانتْ نسبتُهُ إلى مظهرية حضرة الوجوب وأثر تأثيرها وفعلها أقوى، وإضافته إلى اليمين أشد وكلّما كان حكم الكثرةِ والتركيب والكثافة فيه أبين كالأرض وما فيها من المولّدات كانت نسبتُهُ إلى مظهرية حضرة المعلومات والإمكان وحكم قبولها وانفعالها أَتمَّ وأَقوى.

وإضافةُ مُطلق اليدِ تأدّبًا إليه أنسب وأولى انظر إلى قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] [٣٨٢/ب] أي بإضافة الفعل واليد والوجود مشتملاً إلى غيره.

وبفهم ما ذكرنا يقدرُ أن تفهمَ معنى الأصابع بأنها العالمية والمُريدية والقادرية والقائلية والجوادية ـ بمعنى الإجادة في الصنع ـ والمقسطية، وأما الحيُّ فهو بمنزلة القبضة واليد. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

ومشاهدة قسمة الأشياء والمراتب على أصحابها، فيأخذ الوليُّ ولايته على مراتبها أي مراتب الولاية.

الوليُّ: من توالت طاعته من غير تخلل معصية.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٤٠٣ـ ٤٠٤. وقد تقدّم هذا التعريف قبلُ صفحة (٣/ ١٠، ٦٢).

وقيل: من يلي الحقّ ويليه برفعِ الحُجُب يسمع الحقَّ ويعيه.

وقيل: من تولّى الحقُّ حفظه وحراسته على الدوام والتوالي، فلم يخلقْ فيه الخذلان الذي [هو تمكنه من العصيان، ثم إنه تعالى يديم له توفيقه الذي] هو تَمكينه وإقداره على فنون الطاعات وكرائم الإحسان قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

والولاية: مشتقةٌ في الأصل من الولاء والتوالي وهو أن يحصل شيئان فصاعدًا حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، وحيث كان هذا هو معنى القربِ استعملتْ هذه اللفظة في القرب على اختلاف مفهوماتها النسبي منه والحقيقي، والتوالي وفي توالّي الأمور ونحو ذلك، وفي لسان التحقيق هو بمعنى القرب أيضًا، وذلك كما ذكر في باب النبوة من كون الولاية عبارة عن التحقّق بحقيقة النقطة الاعتدالية المنسوبة إلى كلّيات الأسماء والحقائق الإلهية[1].

ويأخذ العدو عداوته على قسطٍ معلومٍ، وحدٌّ مرسوم القِسط بالكسر العدل، وأيضًا الحصَّةُ والنصيب ويأخذ العالم علمه، ويأخذ الجاهل جهله ويأخذ الظانُّ ظنَّه، ويأخذ الشاكُّ شكَّه ويأخذ الغافل غفلته، ويأخذ المؤمنُ إيمانه، ويأخذ المنافق نفاقه، وتأخذ العينُ نظرها، ويأخذ اللسان نطقه، وتأخذ اليد بطشها، وكلُّ موجودٍ فاغرٌ أي فاتح فاه. الفاه والفُوه بالضم، والفيه بالكسر، والفُوهة والفم سواء، والجمع أفواه وأفمام، لأنَّ أصل فم فوّة حُذفت الهاءُ، وأُبدلت الواو ألفًا لتحرُّكها، وانفتاح ما قبلها فصار فاء، وأُبدلت الألف ميمًا فصار فم.

يعني كلُّ موجودٍ فاتحٌ فمه مهيّأٌ منتظرٌ لقبول ما به بقاؤه وحياته، حتى الجسم مُهيَّأٌ منتظر لقبول تأليفه والجوهر مُهيَّأٌ منتظرٌ لقبول عرضه، والموصوف مهيأٌ منتظرٌ لقبول صفته، والنبيُّ مُهيَّأٌ منتظر لقبول نبوّته، والرسولُ مهيَّأٌ لقبول رسالته:

فمنها أي من هذه المذكورات ما يكون فيه افتقارٌ طبيعي كالجسم والجوهر والعرض.

ومنها ما تعطيه أي تعطي الافتقار له حكمة الوجود كالصفة للموصوف، والنبوة للنبي، والرسالة للرسول.

وكلُّ جنسٍ يتفاضل في مقامه، وعلى حسب، أي قدر ما تعطيه حقيقته، وإنْ كان لكلِّ جنسٍ أو نوعٍ حقيقةٌ تخصُّه، فإنَّ لكلِّ شخصٍ تحتها أي تحت الجنس أو النوع حقيقة

---

(١) تعريف الولي والولاية من لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٧.

ما تقتضي مرتبة ما عرضية لا ذاتيًا، فالنوع مع الشخصِ[١] كالجنس مع النوع، فافهمْ وتحقّق والله المرشد.

الجنس: كلُّ مقولٍ على كثيرِينَ مختلفين بالحقيقة في جواب (ما هو) من حيث هو، كذلك يعني في جواب: (ما هو) بحسب الشركة المحضة كالحيوان [٣٨٣] بالنسبة إلى الإنسان والفَرَس، والنوع اسم دالٌّ على أشياءَ كثيرةٍ مختلفين بالأشخاص. والنوعُ الحقيقي كلّي مقول على واحدٍ وعلى كثيرين متّفقين بالحقائق في جواب (ما هو) يعني في جواب (ما هو) بحسب الشركة والخصوصية معًا كالإنسان بالنسبة إلى زيد وعمرو. وقد مرّ تفصيلُ الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض.

وهذه المشاهدةُ يعني مشاهدة المَلَكُ الموكّل بالأرزاق منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى.

ثم قد ينتقلُ العبد إلى أن يجذبه الحقُّ من هذه المنازل التي تقدّم ذكرها فإنَّ فيها أي في تلك المنازل ملاحظةَ الأغيار، ومباشرةَ الأكوان، وينقله عطف على أن (يجذبه) يعني يجذبُ العبد الحقّ من هذه المنازل وينقله إلى ألطف غذاء من هذه الأغذية المذكورة وهو أي ألطف الغذاء هو غذاء الأغذية، ومعنى هذا أي كون ألطف الغذاء غذاء الأغذية أن الغذاء سببٌ لبقاء كلِّ متغذٍّ عقلاً وشرعًا وعادة، فعقلاً كالعلّة والمعلول، وشرعًا كالثواب للمطيع والعقوبة للعاصي، وعادةً كالشرب مع الري والأكل مع الشبع، كما دلّت عليه الأشعرية رضي الله عنهم ونوّر بصائرهم، فإذا فقد المتغذّي غذاءً فهو عبارة عن عدمه، وسرّ غذاء الأغذية لطيفٌ ومعناه دقيق وسر غذاء الأغذية ومعناه هي النسبة التي علقت النسبة الصفة التي منها أي من تلك الصفة يكونُ الغذاء للمغتذي، والمناسبة عطف على (النسبة) يعني سرّ غذاء الأغذية ومعناه هي المناسبة التي تكون بين الغذاء المخصوص بالمتغذّي المخصوص إذ الأغذية متشعّبة متفرّقة كثيرة مختلفة، والسرُّ الذي يمسك المتغذي بالغذاء واحد وهو الحياة والبقاء كما أنَّ السبب الذي به يضطرّ ويحتاج المتغذّي إلى الغذاء واحدٌ وهو فقدان مدد الغذاء، فالعارفُ العالم نظره كائن في هذا المقام وهو مقام شريف.

تنبيه. التنبيه لغةً الإيقاظ. واصطلاحًا: عنوان البحث الآتي بحيث يعلمُ من البحث السابق

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٧): لكل شخص تحتهما حقيقة إلى ما تقتضي مرتبة ما عرضية لا ذاتية.

ضمنًا، وقيل: التنبيهُ إحضارُ ما سبق وانتظار ما سيأتي.

اعلمْ أن سرَّ كلِّ شيءٍ عبارةٌ عن حقيقته أو عن ثمرته، فإن كان السرُّ عبارةً عن حقيقته فلم يُفدنا أمرًا زائدًا على الشيء، وإذا كان سرُّ الشيء عبارةً عن ثمرة الشيء أعطانا فائدةً لم تكن عندنا، فنقول على هذا أي كون سرّ الشيء عبارة عن ثمرة الشيء إنّ سرَّ الغذاء ابتداءً إنما هو الحياةُ، وسرّه بعد وجود الحياة بقاء الحياة، فالبقاءُ والحياة أمران متولّدان عن الغذاء. فالغذاءُ أعلى في مرتبةِ الوجود من الحياة، وفَلَكُه أي فلك الغذاء أَعظمُ إحاطةً من فلك الحياة، وهو أي فلك الغذاء الساري في جميع الموجودات من جمادٍ وغيره لأنّه كنايةٌ عن الهوية السارية بالحقائق الجارية، وهو الفيضُ الساري بجميع الذراري لكن يظهر ذلك الغذاء والحياة في أشياء عينًا، ويظهرُ في أشياء معنًى، فأكثر ما يظهر[1] الغذاء والحياة وهو الجسم الإنساني والبهيمي منسوب إلى البهيمة، وهي واحدة البهائم وأخفى ما يظهر [٣٨٣/ب] الغذاء والحياة من ذلك أي من الجسم الإنساني والبهيمي وهو في النبات، وأخفى من ذلك أي من النبات وهو في الجماد، وأخفى من ذلك أي من الجماد، وهو في العقول، وإن كانت العقول حيةً لكن الوقوفَ على غذائها أي غذاء العقول صعب من طريق العلم، سهلٌ من طريق العين لأن بقاءَها يقتضي الغذاء والحياة، وكلُّ غذاءٍ أعلى رتبة من حياته المتولّدة عنه أي عن الغذاء فلا يزالُ العبدُ المتغذّي من العالم الأدنى يَرتقي في أطوارِ العالم أغذيةً وحياةً حتى ينتهي العبد المتغذّي إلى الغذاء الأول الذي هو غذاءُ الأغذية، وهي الذات المطلقة.

يعني يرتقي العبد المتغذّي من الغذاء الصُّوري إلى الغذاء المعنوي، فالغذاء الصوري هو المأكولات والمشروبات والملبوسات، والغذاءُ المعنوي، فالنفسُ غذاء الجسم والعقل، والروح غذاء النفسِ، والأعيان الثابتة غذاء الأرواح، والسماءُ الإلهية غذاء الأعيان الثابتة، والذات المطلقة غذاءُ الأسماء والصفات، فتدبّر وتحقّق كيفَ يكونُ الذاتُ المطلقة غذاء الأغذية، لأنَّ الحياةَ والبقاء إنّما يتصوّر بالهوية السارية المطلقة، فافهمْ ترشدْ إن شاء الله تعالى.

الذات: هيئةُ الشيءِ القائم بنفسه، فالذاتُ، والحقيقة، والهوية، والماهية ألفاظٌ متقاربةُ المعنى، متّحدةٌ لما صدق.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٨): فأكثر ما يظهر في الجسم.

وفي «الكليات»[1]: الذات هو ما يصلحُ أن يعلمَ ويخبر عنه، منقولٌ عن مؤنث (ذو) بمعنى الصاحب، لأنّ المعنى القائم بنفسه بالنسبة إلى ما يقوم به ويستحقُّ الصاحبية والمالكية. وقد يُطلق الذات ويُراد به الحقيقة، وقد يُطلق ويُراد به ما قام بذاته، وقد يُطلق ويراد به المستقلّ بالمفهومية، ويقابله الصفة بمعنى أنها غير مستقل بالمفهومية.

قال المناوي: الذاتُ العلية هي الحقيقة العظمى، والعينُ القيّومية المستلزمة لكلِّ سبّوحية قدّوسية في كلِّ جلالٍ وجمال استلزامًا لا يقبلُ الانفكاك البتّة. فسبحان من جلَّ ذاته المقدس عما يحولُ به الوسواس، وعظم عمّا تتكيّفه الحواس، وكَبُرَ عمّا يحكم به القياس، لا يصوره خيال، ولا يُشاكله مثال، ولا ينوبهُ زوال، ولا يشوبه انتقال، ولا يلحقه فكرٌ، ولا يحصره ذكرُ. انتهى.

وإذا علمنا قطعًا بلا شكٍّ أنَّ الغذاءَ سببٌ لوجود شيء في موجود عقلاً أو عينًا فـكن أي أمره تعالى ﴿كُن﴾ غذاء الكائنات إذ قوله تعالى ﴿كُن﴾ لإيجاد التشكيل والتصوير لا إلى الأمهات أمهات الأسماء: وتسمى أُصولُ الأسماء الإلهية: وأئمة الأسماء، والأئمة السبعة، والحقائق السبعة الكلية، والأسماء الكلية الأصلية. وهي سبعة، هي: الحيُّ، والعالم، والمريد، والقائل، والقادر، والجواد، والمقسط.

وقد يعني بأصول الأسماء الأربعة التي هي: السميعُ، والبصير، والقادر، والقائل. وأمهات الشؤون يعبّرون بذلك عن تعقّلات الحقّ للأشياء من حيث كينونتها في وحدته عزّ وجل، وتسمى بالحروف الأصلية، ونظير ذلك التصور النفساني الإنساني قبل تعينات صورها يعلمُه الإنسانُ في ذهنه [٣٨٤] وهي تصوّرات مفردة خاليةٌ عن التركيب المعنوي والذهني والحسي، وهي المفاتيح الأُول المعبّر عنها بمفاتح الغيب، وهي الأسماء الذاتية، وأمهات الشؤون الأصلية التي هي الماهيات مع لوازمها. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[2] قدس سره.

فكن أي قوله تعالى ﴿كُن﴾ والأمهات المذكورة آنفًا تساويا معنىً لا عينًا، وتجمع الأمهات أم واحدة معنىً وهي الماهية المقارنة للأزل لا يتصوّر ارتفاعها أي ارتفاع الماهية

---

(١) الكليات ٢/ ٣٤٧.

(٢) لطائف الإعلام ١/ ٢٠٦ و٤٠٧.

وهي لا موجودة في الخارج ولا معدومة محضة، لأنّها موجودة ثابتة في علم الله تعالى، كما قال في «التعريفات»[١]: ماهية الشيء: ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي هي لا موجودة ولا معدومة، ولا كلّي ولا جزئي، ولا خاصّ ولا عام.

وقال الفرغاني[٢]: الماهية: هي الحقيقة، وهي العين الثابتة أيضًا، سُمّيت ماهيةً لما يسأل عنها (بما هو) زيدت فيها هاء السكت، وشُدّدت ياؤها لتصير علمًا لتلك الهوية. وجميع الماهيات أمور نسبية معدومة لا نفسها[٣] لا وجود لها، لأنّها ـ أعني الماهيات التي هي الأعيان الثابتة ـ ليست سوى تعينات الحقّ بالكلية والتفصيلية، ومعلومٌ أنَّ التعين لا يصحُّ أن يزيد على العين بالعين.

والعين الثابتة[٤]: هي حقيقة العلوم الثابت في المرتبة الثانية المسماة بحضرة العلم، وسُمّيت هذه المعلومات أعيانًا ثابتةً لثبوتها في المرتبة الثانية، لم تبرح منها، ولم يظهر بالوجودِ العيني إلاّ لوازمُها وأحكامُها وعوارضُها المتعلّقة بمراتب الكون، فإن حقيقةَ كلِّ موجودٍ إنّما هو عبارة عن نسبة تعينه في علم ربّه أزلاً، ويسمى باصطلاح المحقّقين من أهل الله عينًا ثابتة، وباصطلاح الحكماء ماهية، وباصطلاح الأُصوليين المعلوم المعدوم، والشيء الثابت، ونحو ذلك. وبالجملة فإنَّ الأعيان الثابتة والماهيات وحقائق الأشياء إنّما هي عبارة عن تعينات الحقّ الكلّية التفصيلية.

والحقائق[٥]: هي أسماء الشؤون الذاتية عندما تتصوّر وتتميز في الرتبة الثانية، فإنَّ جميع الحقائق الإلهية والكونية إنّما تكون شؤونًا وأحوالاً ذاتية من اعتبارات الواحدية مندرجة فيها في الرتبة الأولى على نحو ما بانت وتصوّرت في المرتبة الثانية، فتُسمّى الشؤون في هذه المرتبة بالحقائق، فإنّه لما كان الغالبُ على أحكام هذه المرتبة الثانية إنّما هو حكمُ تميّزات الأبدية مع آثار ظلمة غيب إطلاق الأزلية لكون هذه الرتبة هي حضرةُ العلم الذاتي الذي لا يطّلع عليه غيرُ كُنْهِ الذات الأقدس تعالى وتقدس صار ذلك مُوجبًا، لأن حقت أحكام هذه

---

(١) التعريفات: ٢٥١.
(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢٦٤.
(٣) كذا، وفي لطائف الإعلام: لأنفسها.
(٤) لطائف الإعلام ٢/ ١٦٧.
(٥) لطائف الإعلام ١/ ٤٢٥.

المرتبة الثانية بكلِّ شأنٍ من تلك الشؤون، فكانت تلك الأحكامُ لحقّه لذلك الشأن فصار ذا حق وحقيقة، وتُسمى عينًا ثابتة وماهية كما مرّ، فقد حصل من هذا أن اعتبارات الواحدية في المرتبة الأولى المسمّاة فيها شؤونًا هي الحقائق في هذه المرتبة الثانية. انتهى.

ولا غذاء لشيء يعني تلك الماهية لا تكونُ غذاءً لشيء **فوجودها** أي وجود تلك الماهية الأزلية عينًا **وقفٌ على وجود التصوير** بعد أمر ﴿كُن﴾ يعني إنّما يتصور وجود الماهية [٣٨٤/ب] الأزلية بعد وجود التصوير، يقال: وقفَ يقفُ وقوفًا دام قائمًا، وفي المواقف وفي الجيش أن يقفَ واحدٌ بعد واحدٍ **والعلم بحقائق الصور وقف على معرفتها** أي معرفة حقائق الصور **إذا كان الأمر كذا فصحَ في حقّه** أي في حقّ معنى الماهية **افتقار ما بنسبة ما** وهي وقوفٌ وجودها بعد وجود التصوير وقوف حقائق الصور بعد وقوفِ معرفة حقائق الصور، **حتّى لا يصحَّ**[1] **الغنى مطلقًا** إلاّ لله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] **فإنْ جعلتها** أي الماهية الأزلية **من هنا** من تلك الجهة أي من جهة افتقارها بنسبة ما **غذاء** مفعول ثان **أو متغذية كان** أي جاز **فكلُّ ما دون الحقِّ متغذٍّ، وغذاء** وهو أمر إضافي.

قال في «الكليات»[2]: كلَّ ما لم يكن فيه المضاف إليه جنس المضاف من الإضافة المحضة فالإضافة بمعنى اللام. وكلُّ إضافةٍ كان المضاف إليه جنسَ المضاف فالإضافة بتقدير (من) لا ثالث لهما عند الأكثر.

والإضافةُ: في اللغة نسبةُ الشيءِ إلى الشيءِ مُطلقًا. وفي الاصطلاح: نسبةُ اسمٍ إلى اسم جرّ ذلك الثاني بالأول نيابةً عن حرف الجر أو مشاكلة.

وقيل: الإضافةُ ضمُّ شيءٍ إلى شيء، ومنه الإضافة في اصطلاح النحاة، لأنَّ الأولَ منضمٌّ إلى الثاني، ليكتسب منه التعريف أو التخصيص. انتهى.

وفي «التعريفات»[3]: الإضافةُ حالةٌ نسبية متكرّرة بحيث لا تعقلُ أحدهما إلاّ مع الأُخرى كالأبوة والبنوة.

ووجوده أي وجود المتغذّي والغذاء **حكميٌّ عقلي قدسي، فتحقّق هذا السرَّ، فإنَّ فيه منشأً**

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٠٨): افتقار ما بنسبة ما. أما في حقّه افتقار ما نسبة ما حتى لا يصحُّ.
(٢) الكليات: ١/ ٢٠٦.
(٣) التعريفات: ٤٥.

العالم ومنشأ السِّوى. يعني بهما ظهور كلٍّ ما سوى الحق، وذلك المنشأُ هو النفسُ الرحماني، إذ كان الوجود إنّما ظهوره بالغيرِ والسِّوى فيه لكونه ـ أعني النفس ـ هو حضرة المعاني الذي باعتبارها اختلفتْ صورُ الوجود وسر مبدئه أي في تحقّق هذا السرِّ سرُّ مبدأ العالم.

المبدئيةُ: هي محتدُ[1] الاعتبارات، ومنبعُ النسب والإضافات الظاهرة في الوجود، والباطنة في عرصة التعقلات والأذهان، فهذا المحتدُ هو مبدئية الحق للأشياء، وهو يلي التعيّن الأول.

المبدأ إنّما سُمي به الحق تعالى عند المحقّقين باعتبار كونه تعالى وجودًا محضًا مطلقًا واجبًا لذاته، والحقُّ من حيث هذه النسبة يُسمّى بالمبدأ عند المحققين لا من حيث نسبة غيرها.

مبدأ جميع التعينات: يعني به الأحدية، وذلك لأنّه لمّا لم يمكن أن ينسب إلى الحقّ سبحانه وتعالى من حيث إطلاقه اسمٌ ولا صفة، أو يحكم عليه بحكم سلبيًا كان الحكمُ أو إيجابيًا، علم أنّ الأسماءَ والصفات والأحكام لا تُطلق عليه ولا تنسب إليه إلاّ من حيث التعينات، ولمّا استبانَ أنَّ كلَّ كثرةٍ وجودية عينية أو نسبية عقلية فإنّه يجبُ أن تكونَ مسبوقةً بوحدة، لزم أن تكونَ التعينات التي من حيثها تنضاف إلى ذات الأسماء والأحكام والصفات مسبوقة بتعين هو مبدأ جميع التعينات ومحتدها، بمعنى أنّه ليس وراءه إلاّ الإطلاق الصرف، وأنه أمرٌ سلبي يستلزم سلبَ الأوصاف والأحكام والتعينات [٣٨٥] والاعتبارات عن كنه ذاته سبحانه، وعدم التقييد والحصر في وصفٍ أو اسم أو تعين أو غير ذلك ممّا عدّدنا وأجملنا ذكره، ويُسمّى هذا التعين بالأحدية، وأنه مبدأُ جميع التعينات كما عرفت.

تكمله وإيضاح: لمّا وجب في كلِّ كثرةٍ أن تكونَ مسبوقةً بوحدة حقيقة، لزم ذلك أن يصيرَ للوحدة اعتباران أصليان:

فأحدهما: اعتبارها من حيث سلب جميع الأوصاف والأحكام والتعينات عنها، وذلك الاعتبار هو المُسمّى بالأحدية كما ذكر في تعريف الأحدية.

وثانيهما: اعتبارُها من حيث ثبوت جميع الاعتبارات الغير المتناهية لها، واندراجها فيها

---

(١) في هامش الأصل: حتد بالمكان يحتد أقام، والمحتد الأصل.

وانتشاؤها عنها، وهذا الاعتبار يسمى بالواحدية. فالأحدية هي مبدأ التعينات، والواحدية منشؤها. فافهم ذلك.

واعلم أنّهم لمّا خصّوا الأحدية بالمبدئية، والواحدية بالمنشئية لأن الابتداء والانتهاء لمّا كانا طرفين بحيث لا يصحُّ للمبدأ أن يسبقه شيءٌ، ولا في المنتهى أن يتلوه شيء، ولا أن يكونَ فيهما تركيب، وإلاّ كان أبسطُ الأجزاء هو المبدأ والمنتهى صار نسبتُهما إلى السلب أحقَّ من الإيجاب، فلهذا جعلوا الأحدية اسمًا للمبدئية، والواحدية اسمًا للمنشئية، وذلك لكون نسبة الأحدية إلى السلب أحقّ من نسبتها إلى الإيجاب، والواحدية بالعكس، فالأحدية كما عرفت اعتبارُ سلب التعينات عن الذات بالكلّية، والواحدية اعتبارُ ثبوت التعينات الغير المتناهية، فكانت هي المنشأ لها، والأحدية هي مبدؤها.

مبدأ الفرق: يعنون به الوحدة والكثرة، فإنَّ تفرقةَ جمع الذات إنّما ابتدأت بها، ثم ما سواهما من التفرقة إنما انتشأ عنها.

مبدأ انتشاء الأسماء: هو اعتبارُ واحدية الذات، فإنَّ الأسماء نسبٌ متفرقة عن ذاتٍ واحدة بالحقيقة. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

واعلم يا بني أنّ بعض الأغذية مشروطة حياتها السعادية التي هي نتيجتها أي نتيجة الأغذية بشرط متعلّق بمشروطه كغذاء الجوارح بالمعاملات الظاهرة.

العمل: المهنةُ والفعل، وقد يعمُّ أفعال القلوب والجوارح. وعُملَ: لما كان مع امتدادِ زمان نحو: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبا: ١٣] وفعل: بخلافه نحو: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ [الفيل: ١] لأنّه إهلاكٌ وقع من غير بطءٍ، والعمل لا يُقال إلاّ فيما كان عن فكرٍ وروية، ولهذا قُرن بالعلم، حتى قال بعضهم: قلبُ لفظ العملِ عن لفظ العلم تنبيهًا على أنه مقتضاه. والمعاملاتُ جمع المعاملة لمشاركة بين الاثنين، والمراد هنا الأَعمال الظاهرة، فليس للمتغذّي بها أي بأغذية المعاملات الظاهرة بقاءٌ في الحياة السعادية ما لم يصحَّ لها الإيمان لأنّه تُحبط أعمالُه بعدم الإيمان لكن لها أي لتلك الأغذية البقاءُ الدنياوي بالعصمة في الأموال والدماء كأعمال المنافق، فإذا ماتَ صاحبُ الأعمال بلا إيمان هَلَكَ أي: لا يبقى نتيجة غذائه التي هي الحياة السعادية لعدم الإيمان، ثم غذاء النفوس بالخلقيات بعد غذاء الجوارح

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٢٦٥ـ٢٦٦.

[٣٨٥/ب] بالمعاملات الظاهرة. الخلق هو ما يرجعُ إليه المكلّف في نعته، وعنى بذلك أنَّ خلقَ كلِّ مخلوقٍ هو ما اشتملتْ عليه نعوتُهُ وصفاته، فكان المرادُ بالخلق صفاتِ النفس، فإنْ كانتْ محمودةً، فهو على خُلُقٍ محمود، وإن كانت مذمومةً، فهو على خُلق مذموم. وقد مرّ تفصيلُ خلقيات. والمراد ههنا هي الصفات المحمودة فلا يصحُّ بقاؤها أي بقاء الحياة السعادية، أو بقاء النفوس، وهو أنسبُ لقوله منعّمةً في الحياة السعادية المطلوبة إلاّ بها أي بالخلقيات المحمودة ولكن لا يصحُّ لها أي للنفوس تلك الحياةُ المطلوبةُ على الكمال ما لم يتغذَّ القلبُ بالإخلاص والفكر. الإخلاصُ: يعني به تصفية كلِّ عملٍ قلبي أو قالبي من كلِّ شَوْبٍ يمازجه من الرياء، وطلب الزَّين عند الناس، لتحصيل الجاه والحرمة. وقد مرَّ تفصيله.

ولا يصحُّ بقاؤه أي بقاء القلب على الكمالِ في الحياة المطلوبة بل لا يصحُّ له أي للقلب هذا الغذاء الذي هو الإخلاصُ والفكر ولا يتَّصفُ القلب به أي بالإخلاص ما لم يتغذَّ الروح بالتوحيد في الأفعال والصفات والذات ومع هذا هو أي الروح ناقصٌ ما لم يتغذَّ السرُّ بالتعلّق في التوحيد وتعلّق السرِّ في التوحيد افتقارُهُ إلى الذات المطلقة، وفناؤه فيه، لأنَّ توحيدَ القلبِ وإخلاصَه إنّما يكون في الأفعال، وتوحيد الروح في الصفات، وتوحيد السرِّ في الذات بإسقاط الإضافات.

ومع ذا هو أي السرُّ ناقصٌ ما لم يتغذَّ السرُّ بالأدب أي الأدب على الإطلاق، الذي هو حفظُ الحدِّ بين الإفراط والتفريط، وأدب الشريعة الذي هو الوقوفُ عند مرسومها، وسائر الآداب من الأدب مع الحقِّ، والأدب مع الخلق، وأدب الخدمة، وأدب الصبيان، وأدب الشيوخ، وأدب الحقيقة كما سبق تفصيلها.

وجميع ما ذكرناه من الجوارح والنفس والقلب والروح والسر هو عبارةٌ عن الإنسان الكاملِ المعبرُ عنه بالحيوان الناطق المشارك للملك في هذه الحقيقة المذكورة آنفًا يعني كونه المتغذّي بغذاء الخلقيات، وغذاء الإخلاص القلبي، وغذاء التوحيد الروحي، وغذاء تعلّق التوحيد السرّي المفارق له أي للملك بهذا الهيكل التُّرابي، ولهذا أي لأجل كون الإنسان مُفارقًا للملك بهذا الشكل الترابي كان معلوماته أي معلومات الإنسان الكامل أكثرَ من معلومات الملك فإنَّ له أي للإنسان الحسَّ والمحسوسَ.

الإحساس: هو إدراك الشيء مكتنفًا بالعوارض الغريبة واللواحق المادية مع حضورِ المادة، ونسبة خاصة بينهما وبين المدرك، وهو أَولُ إدراكٍ يتعلّق بالجزئي المادي، ثم تخيّل مع غيبتها والنفس بالقوة الوهمية ينتزع معنىً جزئيًا، ليس من شأنه أن يُدركَ بالحسِّ الظاهر، وبالقوّة المتصرّفة ينتزع أمرًا كليًا يصيرُ معقولاً، والإحساس للحواس الظاهرة كما أن الإدراك للحسِّ المشترك أو العقل والإحساس إن كان للحس الظاهر فهو المشاهدات [٣٨٦] وإن كان للحسِّ الباطن فهو الوجدانيات. وقد مرّ تفصيلُه.

فإذا تغذّى الإنسان الكامل بهذه الأغذية المذكورة آنفًا على الكمالِ صحّتْ له أي للإنسان الكامل السعادةُ الأبدية.

يعني: إنّما صحّت للإنسان السعادةُ الأبدية بحياةِ هذه الأغذية، أي غذاء المعاملات الظاهرة للجوارح، وغذاء الخلقيات للنفس، وغذاء الإخلاص للقلب، وغذاء التوحيد للروح، وغذاء تعلّق التوحيد للسر، وغذاء الأدب.

ومع هذا هو أي ذلك الإنسان الكامل الذي صحّتْ له السعادةُ الأبدية **ناقصٌ ما لم يتغ على الجملة بالإرشاد والهداية، والنصح للأغيار،** وهذا المذكور هو مقامُ الرّسول ﷺ **ومقا الوارث** أي وارث الرسول ﷺ بوراثة الولاية الخاصة، وهو العالمُ بالله الكاملُ المكمّل لقوله عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء»[1].

فإذا صحَّ له أي لذلك الوارث **هذا الغذاء بكمال تلك الأغذية، فذلك المذكورُ هو المشارُ إليه بالهمم، صاحبُ الوقت والزمان.**

الهمم العالية: يعني بها همم القوم الذين لا يطلبون بعبادتهم من الله سوى مجرّد العبادية له سبحانه، لصدق محبّتهم فيه لا فيما سواه من رغبةٍ في نعيم، أو رهبةٍ عن جحيم، فسُمّوا أهل الهمم العالية لسموِّ هممهم، حيث تعلّقت بأعلى المقاصد الذي هو الحقُّ عزّ شأنه، وما ذاك إلاّ لكون هممهم عليةً في نفسها، حتى أورثتهم الازدراء بالأعراض، وقلة المبالاة بالدرجات، بحيث لا يطلبون من قيامهم بما نُدبوا إليه من الأعمال الصالحة الوافية بشروطِ الإخلاص شيئًا من الأحوال التي يُعبّر بها عن التجليات والواردات، بل ولا يرضا صاحبُ هذه الهمة بأن يكونَ شهوده للحقِّ من حضرات أسمائه، بل ولا تقفُ همّتُهُ عند مشاهدة الصفات،

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٨).

بل يتجاوز عن مشاهدة النعوت إلى عين الذات، لأنه لا يرتوي عطشُهُ إلاّ بورود العين التي هي مقدسةٌ عن المتى والأين.

وصاحبُ الوقت: هو صاحب الزمان، وهو من خرج عن حكم الزمان لتحقّقه بجمعية البرزخية الأولى، وعن تصرف ماضيه ومستقبله فيه وفي كلِّ ما يبديه، وصار طرقُ أحواله وأفعاله وظاهره وباطنه وكلُّ ما يظهر منه عينَ الحال الدائم الذي عرفت أنَّ لحظةً منه كالدهور من الزمان المتعارف، وكذا الدهور منه كلمحةٍ من هذا الزمان الظاهر الغالب عليه حكم الماضي والمستقبل، ثم إنَّ صاحبَ الزمان لتحقّقه بما ذكرنا يتمكّن من طيِّ الزمان ونشره، وبسط المكان وجمعه، فإنّك كما تتمكن من ذلك في قوّتك الوهمية، فإن هذا المتحقّق بالحق يتمكّن من ذلك حقيقةً لا وهمًا، فيتلو علومَ العالمين جميعها بلفظةٍ واحدة مشتملةٍ على جميع المعاني والألفاظ الكائنة من المبدأ إلى المنتهى، ويُعرض على عينه جميع العالمين من أعيان الجواهر والأعراض التي كانت من مبدأ الوجود والإيجاد، وتكون إلى منتهاه، كلّ ذلك بلحظةٍ واحدة، وقد عرفتَ أنّها من حيث حقيقتها مشتملةٌ على جميع الأزمنة والأوقات، فلهذا مَنْ تحقّق بمظهريّتها من حيث هي شأنٌ من شؤون الواحدية، صار لا محالةَ مُستعليًا على الزمان والمكان، وحاكمًا عليهما [٣٨٦/ب] ومتصرفًا فيهما.

وأتلو علومَ العالمين بلفظةٍ ... وأجلو عليَّ العالمين بلحظة[١]

فيلحظ بعينيه جميعَ الآثار والصفات والنعوت الأصلية والعارضية، وكذا الكمالات الحاصلة لتلك الآثار والمتعلّقة بها، ويلحظ أيضًا الحال المعنوي الذي يحصل ذلك اللحظ فيه، وهو باطنُ الزمان الذي هو الحقيقة المجتلية في صورها التي إنّما تزيدُ عليها بتعيناتها آنات وساعات، وأيام وشهور، وسنين وأدوار، وأكوار ودهور. والعينُ في الكلِّ واحدة هي الطبيعة الزمانية، فذلك هو المسمى بالآن الدائم، والوقت والحال الدائم، المضاف إلى الحضرة العندية المشار إليها بقوله عليه السلام: «ليس عند ربّك صباحٌ ولا مساء»[٢].

قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباحَ لي ولا مساء، إنّما الصباحُ والمساء لمن يتقيّدُ بالصفة، وأنا لا صفةَ لي.

---

(١) تقدم البيت صفحة: (١/ ٤٥٣) و(٢/ ٥٨٠).

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣١٨).

فصاحبُ الزمان إن شاءَ ظهر في زمانٍ أقلّ من لمحةٍ، فسمع جميع أصوات الداعين كلهم، وفهمها كلها، وعرف مفهومَ سائر اللغات التي كلّها بالنسبة إليه على السوية، لأنه مظهرها من حيث تعيناتها في الحقيقة البرزخية التي عرفتها، وإن شاء طوّل الزمان لأجل ما ذكرنا، فظهر له طويلاً ما كان بالنسبة إلى غيره قصيرًا، هذا كلُّه من خواصِّ صاحب الزمان الحاكم على الحال، والزمان المتصرّف فيه لتحقّقه بمظهرية باطن الزمان وأصله. وهكذا فليفهم أنَّ المتحقّق بباطن الأشياء هو المتصرّف فيها، يعرفُ ذلك من بطنتْ كثرتُهُ، فظهرت وحدته، وإليه الإشارة بقولهم:

مظـــاهـــرُ الحـــقِّ لا تُعَـــدُّ والحـــقُّ فيهـــا فـــلا يُحـــدُّ
إن أَبطـــنَ العبـــدُ فهـــو حـــقٌّ أو ظَهَـــرَ الحـــقُّ فهـــو عبـــدُ

وذلك لأنه باعتبار بطونه هو عين شؤون الحقّ التي لا تزيد عليه بالوجود، وأن الحقَّ باعتبار ظهوره ليس سوى تجلّيه في أعيان الكائنات، فافهم هذا تفزْ بالمعرفة الكمالية. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

وهو متصرّف الأكوان كما مرّ، وهو موضعُ النظر أي نظر الله تعالى في العالم في كلِّ زمانٍ واحدًا بعد واحدٍ، وهو قطبُ الأقطاب والغوث الأعظم وهو محلُّ الأوامر، وسرُّ القدر فتمّت له السعادةُ في الداريْنِ، والتدبيرُ في العالمين.

سر القدر: يُشيرون به إلى أنَّ حكمَ الله في الأشياء وعليها إنّما هو بها، وتقريرُ ذلك هو أنّه لما كان القضاءُ عبارةً عن حكم الله في الأشياء على ما أعطته المعلومات بما هي عليه في نفسها، والقدرُ توقيتُ ما هي عليه الأشياء في عينها من غير مزيد، فما حكمُ القضاء على الأشياء إلاّ بها، وهذا هو عينُ سرِّ القدر. وقد سبق تفصيله.

* * *

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٧١ (الهمم العالية) و٢/ ٤٩ـ ٥١ صاحب الزمان.

الفلك السري وهو فلكُ الفرج

من أفلاك الأَعضاء الثمانية

١ـ الفرجُ يحملُ في الأُنثى وفي الذَّكَرِ على الحقيقةِ لوح العلم والقلمِ

الفَرْجُ بالسكون: الشقُّ بين الشيئين، وقُبُلُ الرجل والمرأة، ولذا قال: في الأنثى وفي الذكر، وعلى الحقيقة فرجُ المرأة لوحٌ، وفرج الرجل قلم، وذلك اللوح قابلٌ لتخطيطِ حروفُ الجسم بقلم الرجل، والجسمُ قابلٌ لتخطيط حروف العلم بالقلم الإلهي، الذي هو عبارةٌ عن النَّفخِ الروحي، كما سيجيء بيانُه بعد هذا [٣٨٧].

٢ـ فذا يخطُّ حروفَ الجسمِ في الظلم وذا يخطُّ حروفَ العلمِ في هممِ

فذا أي قلمُ الرّجل يخطُّ على لوح المرأةِ حروفَ الجسم، وهي النُّطفُ في الظلم أي في الرحم، وذا أي القلم الإلهي الذي كناية عن النفخ الروحي يخطُّ على حروف الجسم. حروف العلم في الهمم جمع همّة، وهي عبارةٌ عن توجّه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانبِ الحقِّ لحصولِ الكمال أو لغيره. وقد مرّ تفصيلها.

٣ـ كلاهما بدلٌ من ذاتِ صاحبه عند الوجود فلا تَنظرْ إلى العدمِ

كلاهما: أي قلمُ الرجل والقلمُ الإلهي بدلٌ من ذات صاحبه، يعني: قلمُ الرجل بدلٌ من ذات الرجل، والقلمُ الإلهي بدلٌ من ذات الحقِّ تعالى عند الوجود أي عند وجودِ المخطوط، لأنّه يظهرُ بصورة الوجود الكوني الذي هو عبارةٌ عن ظهورِ الوجود بالسُّوى على صورة الرجل، وأيضًا يظهرُ بصورةِ الوجود الإلهي المشارِ إليها بقوله عليه السلام: «إنّ الله خلقَ آدمَ على صورتِهِ على صورة الرحمن»[1] فإنّها عبارةٌ عن حقائق الأسماء الإلهية، لأنَّ الإنسانَ الكامل مخلوقٌ على الصورتين، أي صورة العالم وصورة الرحمن، وأمّا الإنسانُ الناقص فهو مخلوقٌ على صورة العالم فقط، والقلمُ الإلهيُّ فيه يخطُّ فيضًا من فيوضات الوجود المطلق، فلا تنظرْ إلى العدمِ أي لا تظنَّ أنه الموجود من العدم، بل هو موجودٌ من القلمين المذكورين.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٠١).

اعلمْ يا بني وفّقك الله إلى فهم أسرار الله أنّ شهوةَ الفرج ضعيفةٌ جدًّا أي نهاية ومبالغة في ذاتها أي ذات الشهوة إذ ليسَ لها أي للشهوة حركة من نفسها، وإنما هو أي المحرك [من] خاطر يقومُ بالقلب للنكاح أي الجماعُ يُنتجُ ذلك الخاطر ويولّده نظرةٌ بعينٍ أو لمسٍ بيد أو سماعٍ بأذن من منازعة حديث وهذا المذكورُ من النظرة الشهوانية واللمس والسماع الشهوانيين كلّه مولّدٌ من الامتلاء بكثرةِ الطعام ومن الشّبع، وهو أي الامتلاء والشبع أصلُ الأشياء المحرّكة لهذه الشهوة.

فمتى ما وقع شيءٌ من هذا أي من الامتلاء والشّبع حينئذٍ ثارتْ أي هاجت وارتفعت وظهرت الشهوةُ وتقوّى سلطانُها أي قوة الشهوة فحرّكَتِ الشهوة العضو أي الفرج ذكرًا كان صاحبُ العضو أو أنثى فطلب صاحبُ العضو وقوعَ ما تحرّك إليه، فإن عُصِمَ أي حُفظ ومنع من الله تعالى وأُقْدِرَ عليه أي على ما تحرّك إليه وقع موقعه حلالاً، وإن خُذلَ صاحبُ العضو من الله تعالى وقع موقعه حرامًا نعوذ بالله من ذلك فإن سُدَّتْ له لصاحب العضو هذه المسالك من النَّظرِ، واللمس، والسماع: المتولّدة من الامتلاء والشّبع لم تتحركْ له هذه الشهوة.

وأصلُ هذا المذكور كلّه كما ذكرنا كائنٌ من الطعام، فإنّه إذا امتلأ البطنُ قامتْ خواطرُ الفضول في النفس، فتحرّكتِ الجوارح بحسب حقائقها بأنواع فضولها أي تحرّكتِ العينُ بفضول النظرة الشهوية، واليد بفضول اللّمس الشهوي، والأذن بفضول السماع الشهوي، وإذا جاعَ البطنُ عُميتِ العين أي لا تنظر بنظرة الشهوة وخرسَ اللّسانُ أي لا ينطقُ بكلامِ الشهوة وصمّت الأذن أي لا تسمعُ كلام الشهوة [٣٨٧/ب] وانقبضتِ اليد أي لا تلمس بلمس الشهوة وانقبضتِ الرِّجل أي لا تمشي إلى جهة الشهوة وانعدمتْ شهوةُ الفرجِ، وفنيت خواطرُ الفضول، ولهذا قال السيد الصادق يعني رسول الله ﷺ: «إنَّ الشيطانَ يَجري من ابن آدم مَجرى الدَّم، فسدوا مجاريه بالجوع والعطش»[1].

أي [أنّ] هذه الأشياء المذكورة من العين واللسان والأذن واليد والرِّجل والفرج معينةٌ له

---

(١) حديث أخرجه دون قوله: «فسددوا مجارية بالجوع والعطش» البخاري (٢٠٣٥) في الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف... و(٢٠٣٨) و(٢٠٣٩) ومسلم (٢١٧٥) في السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليًا بامرأة أن يقول: هذه فلانة، وأبو داود (٢٤٧٠) و(٤٩٩٤). وأما قوله: «فسدوا...» فإنه مدرج من بعض الصوفية.

أي للشيطان على ما يأمر الشيطان به من السُّوء والفحشاء، وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بالباءة» أي الزموا بالنكاح لأنَّ الباءة والباه وهي الجماع «فإنه» أي الجماع الحلال «أغضُّ للبصر» يقال غضَّ طرفَه خفضه «و»أنه أي الجماع الحلال «أحصنُ للفرجِ» يُقال: أحصنَ الرجلُ إذ تزوّج، فهو مُحصَن بفتح الصاد، وهو أَحدُ ما جاء على أفعل فهو مُفْعَل «فمن لم يستطعْ» أي لم يقدرِ النكاح «فعليه» أي فيلزم عليه أن يجاهد «بالصوم، فإنّه» أي الصوم «له» لمن لم يستطعِ النكاح «وِجَاء»[1] الوجاء بالكسر والمدُّ رضّ أي دقَّ عروق البيضتين، حتى تنفضخ، فتكون شبيهًا بالخصاء.

وفي «القاموس» دقَّ عروقَ خصيته بين حجرَيْنِ، ولم يخرجْهما، أو هو رضُّهما حتى يَنفضخا أي ينكسرا.

وقال رسولُ الله ﷺ: «الصوم جُنّة»[2] الجُنة بالضم ما سترت به من سلاح، والجُنّة السترة، والجمع جُنَن.

فنبّه رسولُ الله ﷺ في هذه الأخبار المذكورة كلِّها أنَّ السببَ المولِّد لثوران أي لهيجان هذه الشهوة الخسيسة أي الدَّنية إنمّا هو الطعامُ والشراب، فإنْ كانَ جوعُه جوعَ مُجاهدة، استنارَ القلبُ، وكشف له عن عالمِ الغيب، لأنّه أي ذلك الجوع جوعٌ عن همّةٍ طاليةٍ غاية، فيشاهدُ صاحبُ ذلك الجوع من أسرارِ الله ما شاءَ الله سبحانه أن يُشهده منها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإن كان جوعه جوعَ اضطرار أي احتياجٍ، لأنّ معنى الاضطرار الاحتياج إلى شيءٍ، واضطَرَّهُ إليه أحوجَه وألجأه فليسَ هو أي جوع الاضطرار مقصودًا في هذا الكتاب، إلاّ أن يكونَ المضطرُّ من أهل طريق الله تعالى فجوعه أي جوع أهل الطريق عنايةٌ من الله تعالى به، وهديةٌ منه تعالى إليه أي إلى المضطر من أهلِ الطريق.

---

(١) حديث رواه البخاري (١٩٠٥) في الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه، و(٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، وأبو داود (٢٠٤٦)، والترمذي (١٠٨١).

(٢) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٣٣ (١٦٣٣): رواه أحمد، والنسائي، والقضاعي عن معاذ بن جبل مرفوعًا. واتفق الشيخان على روايته عن أبي هريرة بلفظ: «الصيام جنة».

قال بعضُ الشيوخ: لو بِيعَ الجوعُ في السوق، للزم المريدين ألاّ يشتروا سواه. أي غير الجوع.

فَفائدةُ الجوعِ والفقر أي الفاقة **لا تُدرك لها غاية** يعني لا تُدرك لفائدة الجوع والفقر غايةٌ **ولا تحدّ** تلك الفائدة **ولا يَعرفُها** أي تلك الفائدة ولا يعرفُ قدرها أي قدر تلك الفائدة **إلاّ من ذاقها** أي فائدة الجوع والفقر أو الفاقة **فإذا كانتْ يا بُنيّ شهوةُ الفرجِ بهذا الضعف** كما ذكرنا **فلا يلتفتِ الطالبُ إليها** أي إلى الشهوة **وليشغلْ نفسَه بسدِّ مسالِكها** أي مسالك الشهوة من النظر واللمس والسماع والبطش الشهوية التي ذكرناها آنفًا هذا.

تنبيه وتحقيق في هذا الباب من سرِّ تخطيط حروف الوجود في لوحِ الوجود.

واعلمْ وفّقنا الله وإيّاك لطاعته [٣٨٨] **أنك إذا نظرت عالم الكون والفساد حيوانيةِ كلّه أنسيّةٍ وبهيمية وجدتها حروفًا مخطوطة قد خطَّها** أي تلك الحروف **الحقُّ تعالى وجلّ في لوحِ الوجود، والقلمُ المخطِّطُ لهذا الشخصِ الإنساني والجسم المتغذِّي والحساس قلمان: أحدهما قلمٌ يُسمّى النفخ. والثاني: القلم الذي هو الذَّكَر، وأَولُ من كتبَ به** أي بالقلم الثاني الذي هو الذكر **أبو البشر آدم عليه السلام في لوحِ أمِّ البشرِ حواء ولكن خطّ هذا القلم المحسوس هيولاني**[1] **من غير تشكيلٍ ولا تصوير قابل لجميع الهيئات والتصاوير.**

الهيولى: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. وفي الاصطلاح: هي جوهرٌ في الجسم قابل لا يعرضُ لذلك الجسم من الاتّصال والانفصال محلٌّ للصورتين الجسمية والنوعية.

وقيل: الهيولى اسمٌ للشيءِ باعتبار نسبته إلى ما هو ظاهر فيه بحيث يكون كلُّ باطن هيولى الظاهر الذي هو صورةٌ فيه، ثم إنّه لمّا كانتِ الصورةُ الجسمية هي أظهر الصور للمدارك صارتِ الهيولى إنّما تُطلق في الأكثر، ويُراد بها محل الصورةِ الجسمية. وقد مر بيانها في تعريف السبحة السوداء.

بل هو أي خطُّ القلم المحسوس الذي هو عبارة عن المنيّ هو كما قال تعالى **﴿فَعَدَلَكَ﴾ وهذا هو حدُّه** أي حدُّ ذلك الخطِّ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧-٨] **وذلك التسوية والتركيب من تأثير القلم الإلهي الذي هو المتوسّط بين القلم المحسوس والقلم الإلهي النفخي.**

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢١١): هيولاني.

وقد يُعبرّ عنه أي عن القلم الإلهي المتوسط بالطبعي[١].

أي بالقلم الطبعي ثم من بعد هذا القلم الطبيعي الذي هو لتشكيل ما ألقاه القلمُ المحسوس هيولانيًا، ولتفصيل ما ألقاه القلم، القلم المحسوس مجملاً قلمُ النفخ فامتدّ ذلك الخطُّ المصور المركب كالفتيلة كفتيلة الشمع فخطَّ فيه أي في ذلك الخطِّ المصور القلمُ الإلهي الروحَ المعبرّ عنه بالنفخ لقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ أي عناصر وأغذية وأخلاطًا ونطفًا ومُضغًا مخلّقة وغير مخلقة ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨] بنفخ الروح الحيواني.

ولقوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧-٩].

وهذا أي الروح المعبرّ عنه بالنفخ هو الرُّوحُ الحيواني، ومنها أي الصور المركبة مخلّقة وغير مخلّقة، لتصحَّ المشيئةُ لله تعالى في إيجاد العالم لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج: ٥].

ولقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ بنفخ الروح فيه: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وهذه المذكورة كلُّها أسبابٌ وأغطية جمع غطاء، والغطاءُ ككساء ما يُغطّى به أي يُستتر على عين بصيرة العمى [٣٨٨/ب] جمع الأعمى، لقوله تعالى في حقهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

والعلم هو الذي يُوصلك إلى رفع هذه الأغطية عن عين بصيرتك وتولّى أي تقلد الحق تعالى لتلك الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب يعني يفعل ما يشاءُ عند الأسباب لا بالأسباب ليضلَّ من يشاء ويهدي من يشاء: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢١٢): بالطبيعي.

والقلمُ مطلقًا للرجل، **واللّوحُ** مطلقًا للمرأة، وقد يكون الرَّجلُ لوحًا أي قابلاً للخطّ **كالأب الأول** وهو العقلُ الأول، والقلمُ الأعلى، والروحُ الأعظم المحمّدي ﷺ الذي خلقَ الله من جنبه الأيسر النفسَ الكليّة، وهي اللوحُ المحفوظ، وخلق الله منه الأرواحَ المجرّدة، ولذلك قيل له أبو الأرواح، كما قيل لآدم أبو البشر.

وخاتم دورته أي دورة الأب الأول، وهو آدم عليه السلام، لأنّه خُتمتْ بذرّيته دورةُ العقل الأول، وكان آدم عليه السلام لوحًا أي قابلاً للخطّ، لأنّه خلقَ اللهُ من ضلعه الأيسر حواء، ومن بينهما ذرّياته، فكان آدمُ أبا البشر، وكانت حواءُ أمَّ البشر، كما كان روحُ نبينا ﷺ أبا الأرواح.

وقد تكون المرأة لوحًا بغيرِ القلمِ المحسوس، لكنّها تكونُ لوحًا للقلم الإلهي المعبّر عنه بالنفخ كمريم صلّى الله على جميعهم **فما سلمَ من خطّ هذا القلم المحسوس في اللوح [المحسوس والقلم] المحسوس خاصة إلا ثلاثة: أحدُهم آدمُ عليه السلام**، خلقَه الله تعالى بيده، كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] **وثانيهم حواء، وثالثهم عيسى عليهما السلام من نصف هذا الخطّ** يعني حواء من خطّ آدم، وعيسى عليهم السلام من خطّ مريم **إلاّ أن عيسى عليه السلام حصلَ له درجةُ النفخ الاختصاصي حين أَحصنَ الفرجَ** كما قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم: ١٢] وهذا النفخ هو الروح الاختصاصي بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وفي هذا الكلام ردٌّ على من يقول: لا يوجدُ مولودٌ إلاّ عن أبوين، فلو قال القائل: لا يوجدُ مولودٌ إلاّ عن أمرين، لصدقَ، كما سنذكره، فإنه أي عيسى عليه السلام وجد عن **مريم، ونفخ.**

فهذا المذكور فصلٌ ينبغي أن يتحقّق، وممّن حصل له درجةُ النفخ الطيرُ، فإن إلقاءهم إنّما هو نفخةٌ روحية. وفي بعض النسخ (رُوَيْحة) على صيغة التصغير تنبعثُ أي ترسل تلك النفحة الروحية **يكونُ عنها** عن تلك النفخة الروحية **عصفورٌ أو زرزور.**

العصفور: طائرٌ معروف، والزرزور كالعصفور، والزُرزُر كالهدهد طائرٌ يقال للعصفور بالتركية (سرجه) وللزرزور بالتركية (صفرجق قوشي).

فمنزل الصوفي من تحقق علم هذا المقام أنّه إذا أَحصن فرجَه مَنْ النكاح أَعني مَنْ طَهر لوحه أي المنكوحة ومحاه أي ذلك اللوح بأن لم يخططْ فيه القلم المحسوس خطًا، أو من طهر لوحَ قلبه عن الشغل بالنكاح حتى يدركه[1] ذلك اللوح مُهيئًا لقبول ما يخطّ فيه من القلم الخط الاختصاصي، فإنّ الله سبحانه ينفخُ له فيه روحًا من أمره، وكلمةً من كلمه يهبهُ الله تعالى [٣٨٩] في ذلك النفخِ سرّ إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص الأكمه: الذي يُولد أعمًى من باب طرب، والبَرَصُ محرّكة: بياضٌ يظهر في البدن لفساد المزاج، برص كفرح، فهو أبرص.

وترك كلّ ما يشغل عن الله تعالى مثل عيسى عليه السلام وهذه المذكورة كراماتُ هذا المقام العيسوي، ولا يناله إلاّ من صار في قدمِ عيسى عليه السلام، ولذلك لم يتزوّجْ حتى لا يشغلَهُ عن الله تعالى وعلاماتُ مدّعيه أي مدعي هذا المقام رفضُ الدنيا أي تركُ الدنيا وأهلها، وأيضًا علامتُهُ تأثيرُ كلامِهِ، وتأثيرُ موعظته في نفس أكثرِ السامعين لا في كلِّهم، فإنها لا تؤثّر في بعض المخالفين.

والطلبة جمع طالب، والتلامذةُ جمع تلميذ للشيخ المتحقّق في هذا المقام ألواحٌ منَحوتةٌ منصوبةٌ لرقْمِهِ أي لرقم الشيخ المتحقّق، وكتابته وفتائل جمع فتيلة عطف على (ألواح) مُستعدّة لنفخه أي لنفخِ الشيخ المتحقّق، فلا يزالُ الشيخُ ينفخُ فيهم أي في الطلبة والتلامذة أرَواحَ الأسرار، ويخطُّ الشيخ إذ ذاك أي إذ ينفخ فيهم أرواح الأسرار، ويخطّ فيهم حروفَ المعاني القدسية مُتصفًا[2] باسمه الخلاّق الحكيم، وهذا الاسم لهذا العضو وحضرته يعني هذا الاسم حضرة هذا العضو من الأسماء وما في معناه أي معنى الخلاّق كالبارىء والمصوّر والباعث فتحقق يا بُني ما قلتُه ترشدْ إنْ شاء الله تعالى هذا الذي سأذكره.

تتميم لما قبله وهو ثم إنّي أَقولُ إن الحيوان أجمعَهُ توكيدٌ للحيوان، ومحاله موجودان بين النفخ، وهو القلمُ الإلهي وبين الفرجِ، وهو القلم الطبيعي، فالقلمُ الطبيعي لتخطيطِ أجسام الأرواح بعد تخطيط القلم المحسوس خطًا هيولانيًا والنفخُ وهو القلم الإلهي لتخطيطِ أرواحِ الأجسام بعد تخطيط القلمِ الطبيعي بالتشكيل والتفصيل كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩] لأنَّ النفخَ إنّما كان بعد التسوية بالقلم الطبيعي على الإطلاق

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢١٣): حتى يتركه مهيًا.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢١٣): القدسية، فيكون إذ ذاك متّصفًا.

متعلّق بالقول لا تقيد بالقلم المحسوس، لأنَّ بعضَ الأجسام لا يتعلّق فيه القلمُ المحسوس، وإنّما يوجدُ بالقلم الطبيعي، والقلم الإلهي فقط وهذا الشهود منزلٌ من منازل السائرين لا يعرفه ذلك المنزل أحدٌ أبدًا إلاّ من وقف مشاهدة من نفسه على الحقيقة الآدمية والإسرافيلية.

الحقيقةُ مشاهدةُ الربوبية بمعنى أنّه تعالى هو الفاعلُ في كلِّ شيءٍ، والمقيمُ له، لأنّ هويّته قائمةٌ بنفسها مقيمةٌ لكلِّ شيءٍ سواه.

والحقيقةُ الآدمية: هي حقيقةُ آدم التي هي عبارةٌ عن صورة الرحمن، لقوله عليه السلام: «إنَّ اللهَ خلقَ آدم على صورته» ويُروى: «على صورة الرحمن»[١] يعني صورة حقائق الأسماء الإلهية والحقائق الكونية، فإنّ الإنسان الكامل الحقيقي الذي هو الإنسان الكامل مخلوقٌ على الصورتين أي صورة حقائقِ الأسماء الإلهية، وصورةِ الحقائق الكونية، وأمّا الإنسانُ الناقص فهو مخلوقٌ على صورة العالم فقط، لأنَّ الحقيقة الإنسانية الكمالية هي حضرة الألوهية، المسماة بحضرة المعاني، وبالتعيّن الثاني، والمعنى بكونها الحقيقة الإنسانية الكمالية هو كونُ صورة الإنسان الكامل صورةً لمعنًى ولحقيقةِ ذلك المعنى، وتلك الحقيقةُ هي صورة الألوهية المسماة بالتعيّن الثاني، فكان الإنسانُ الكامل هو مظهر التعيّن الثاني، والإنسانُ الأكمل هو مظهر التعين الأول المسمى بحقيقة [٣٨٩/ب] الحقائق.

والحقيقة المحمدية: كما مرّ مرارًا.

والحقيقة الإسرافيلية: عبارةٌ عن كونه مظهرًا لاسمه تعالى المُحيي والمعيد، والقهار والمميت، وذلك أنَّ الله تعالى لمّا خلقَ جميعَ الخلائق من نورِ سيّدنا محمد ﷺ خلقَ إسرافيلَ عليه السلام من نورِ قلبه ﷺ، ولذلك كان لإسرافيلَ عليه السلام في الملكوتِ قدرةُ قلبِ محمدٍ ﷺ وسعته في مظهرية الجلالية الإلهية، والجمالية بنفخ القلم الإلهي المعبّر عنه بالقلم الأعلى، وهو الروح المحمدي ﷺ، وبنفخة القدرة الإلهية يُميت ويُفني جميعَ الخلائق في النفخة الأولى، لقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] وبنفخةِ تلك القدرة يُحيي ويُعيد جميع الخلائق في النفخة الثانية، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٠١).

فالنفخُ قسمان: أحدهما نفخُ إيقاد النار، كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] والقسم الثاني: نفخ إطفاء السراج، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ أي ماتَ من في السموات ومن في الأرض.

فبمشيئة الله تعالى وقدرته ينفخ في النفخة الأولى بالنفخ الذي هو لاطفاء السراج ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٦٨] وبإرادته تعالى وقدرته ينفخ في النفخة الثانية بالنفخ الذي هو لإيقاد النار ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ولقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] والصُّور بالضَّم: القرنُ ينفخ فيه. وقال الكلبي: لا أدري ما الصُّور. وقيل: جمع صورة كبسر وبسرة، وقرأ الحسن: (يوم ينفخُ في الصُّوَرِ) بفتح الواو. وإطلاقُ الصور لضيق طرف الأشباح وسعة طرف الأرواح.

والحاصلُ: الحقيقة الإسرافيلية كنايةٌ عن تأثير مشيئة القدرة القاهرة الإعدامية الإلهية، وعن تأثير إرادة القدرة الإيجادية الإلهية، كما قال مولانا قدّسنا الله بسره الأعلى:

دوش وقت صبحدم رفتم بسوى ميكد صور إسرافيل رادرخم باقعان يا فتم

فمن شاهدَ هاتين الحقيقتين أي الحقيقة الآدمية والحقيقة الإسرافيلية عرفَ هذين القلمين أي القلم الطبيعي المخطّط لأجسامِ الأرواح، والقلم النفخي المخطّط لأرواح الأجسام، وعرف كيفية صدور الأشياء عنهما أي عن هذين القلمين.

ثم اعلم أن النفخ على قسمين أحدهما نفخ إحصان، والآخر نفخ غير إحصانٌ. يقال: أُحصن الرجل، إذا تزوّج، وأُحصنتِ المرأة عفّت. وأَحصنها زوجُها، فهي مُحصنةٌ، وقرىء ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] على ما لم يُسمّ فاعله أي زُوّجن.

فالنفخُ الذي هو على غير الإحصان، أي على غيرِ النّكاح الشرعي يكونُ ذلك النفخ عن الرُّوح الحيواني، والنفخ الذي هو على الإحصان الروح القدسي يكون عنه، أي: عن النفخ الذي هو على الإحصان مع حصول النّفخ المُطلق الحيواني، فنفخُ الإحصان يُنتج المنازل العلية، والاستشراف أي الاستطلاع على الكائنات الانفعالية، والمقامات الروحانية القدسية. والنفخُ على غير الإحصان يُنتجُ وجود الأرواح الجسمانية خاصة، إلاّ أنّ هنا فرقًا آخر بين النفختين، أي: بين النفخ على الإحصان والنفخِ على غير الإحصان، وهي فترةُ الشغيرة.

الفترةُ: ما بين الرسولين. والشَّغيرة: [٣٩٠] فعيلة من الشّغار بالكسر، وهو نكاحٌ كان في

زمان الجاهلية، وهو أن يقولَ الرجلُ لآخر: زوّجني لابنتك أو أختك على أَنْ أُزوّجك ابنتي أو أختي على أنَّ صداقَ كلٍّ واحدةٍ منهما بضع الأخرى، كأنّهما رفعا المهرَ، وأخليا البضع عنه، وفي الحديث: «لا شِغَارَ في الإسلام»[١] والبُضع بالضم النّكاح.

وفي «القاموس»: شَغَرَ الكلبُ كمَنَع: رفعَ إحدى رِجْليه بال أو لم يَبُلْ أو فبال. والرجلُ [شغَرَ] المرأةَ شُغورًا رفع رجلها للنّكاح، كأشغرها فَشَغَرت، والأرضُ لم يبقَ بها أحدٌ يحميها ويضبطُها، فهي شاغِرَةٌ. والشِّغار بالكسر أنْ تُزوّجَ الرجلَ امرأةً على أن يُزوّجَك أُخرى بغير مهر، صداقُ كلٍّ واحدةٍ بُضْعُ الأخرى. والصَّداقُ بفتح الصاد وكسرها: مهر المرأة، وكذا الصدقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] أي عن طيبِ نفسٍ من غير مطالبة. وقيل النِّحلة التسمية، يعني النّفخُ الذي يكون بين النفخ على الإحصان وغير الإحصان، وهو نفخُ نكاح الشِّغار الذي كان في زمان الجاهلية بغير مهرٍ، ونتيجةُ ذلك النفخ بين النتيجتين المذكورتين من نتيجة نفخ الإحصان ونتيجة نفخِ غيرِ الإحصان، فنفخُ الإحصان ملحقٌ بالملأ الأعلى، والبقاء السرمدي في النعيم الأبدي. السَّرْمد الدَّائم، والسرمديُّ ما لا أوّلَ له ولا آخر له، وبمعنى الأبدي، والأبدي ما لا يكون منعدمًا ونفخ غير الإحصان ملحق بعالم الكون والفساد مطلقًا ونفخُ الشِّغار ملحقٌ بمنزلة بين المنزلتين المذكورتين.

ثم النفخ الإحصاني الاختصاصي على ثلاث مقامات: نفخُ ولاية، وهو على ثلاث شعب: شعبة مُنبئة[٢]، وشعبة مرسلة، وشعبة معلّقة بالمرسلة لا غير، ولها أي لشعبةٍ معلقة بالمرسلة شعبٌ لا نُحصى كثرة، وأعلاها أي أعلى شُعب معلّقة بالمرسلة التي هي منوطةٌ أي معلّقة بالمرسلة من جميع الوجوه، ونائبة منابها أي مناب المرسلة إذا فقدت فتيلتها أي فتيلة المرسلة، وهم أي الذين ينوطون بالمرسلة من جميع الوجوه وينابون منابها إذا فقدتْ جسمها عن العالم هم الصُّوفيةُ الذين هم أهل الورث النبوي لقوله عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء»[٣] وأهل التخلّق الرباني وأهل التحقّق الإلهي.

واعلمْ أنّ للعبد بأسماء الحق عزّ شأنه تعلّقًا وتخلّقًا وتحقّقًا:

---

(١) حديث رواه الترمذي (١١٢٣) والنسائي ٦/ ١١١ (٣٣٣٥ـ ٣٣٣٦)، وعبد الرزاق في المصنف ٣/ ٥٦٠.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢١٤): شعبة منبأة.

(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٨).

فالتعلّق: افتقارُ العبد إليها مُطلقًا من حيث دلالتها على الذات الأقدس.

والتحقّقُ: معرفةُ معانيها بالنسبة إلى الحقّ سبحانه، وبالنسبة إلى العبد.

والتخلّقُ: أن يقومَ العبدُ بها على ما يليقُ بها كما يقومُ هو سبحانه على ما يليق بجناب قدسه، فتكون نسبتُها إلى الحقّ على الوجه اللائق بقدسِ الحقّ، وإلى العبد على الوجهِ اللائق بعبوديته.

الربُّ اسم الحقّ عز وجل باعتبار الانتشاء لنسبِ الحقائق عنه تعالى، فإنَّ كلَّ حقيقةٍ كونية إنّما يُنسب انتشاؤها وتعيّنها عن حقيقة إلهية، فكلُّ ما تعيّن في وجوده العيني، وظهر في المراتب روحًا ومثالاً وحسًّا فإنّما ذلك عن اسمٍ إلهي متعيّن بتلك الحقيقة الإلهية بحيث نميّزها ووصفها، فكان ذلك الاسمُ ربّها، فلا تأخذ إلاّ منه، ولا تُعطي إلاّ به، ولا ترجعُ إلاّ إليه في توجّهها ودعواتها بالحال [٣٩٠/ب] أو القال في جميع المواطن، ولا ترى إلاّ إياه.

وربُّ الأرباب: هو التعيّن الأول لأنّه نهايةُ النهايات، وغايةُ الغايات، ومُنتهى جميع الرغبات، والحاوي على جميع التعينات، وإليه الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢] إذ كان ﷺ هو مظهرُ التجلّي الأول، فلهذا نسب إليه بالربية، ومرتبة الألوهية هي المرتبةُ الثانية التي هي التعيّن الثاني، وعرفت أنّه مرتبةُ الألوهية من أجل أن التجلّي الثاني الظاهرُ به وفيه هو أَصلُ جميع الأسماء الإلهية التي يجمعها الاسم الجامع وهو الاسم (الله) تعالى وتقدس. انتهى وقد مرّ تفصيلُ المراتب.

فتحقق يا بني ما مهّدناه، فلقد كشفنا كنوزًا في هذا الكتاب الموسوم بـ: «مواقع النجوم» ما كشفها أحد[1] من أهل طريقتنا إلا صانوها أي حفظوا تلك الكنوز وغاروا عليها أي على الكنوز.

الغير والغيرة: مصدران بمعنى احتراز عن الخلل في العِرض، يقال: غارَ الرجلُ على أهله، أي احترزَ عن الخلل في عرضه، والعِرضُ بالكسر الجسد، وكلّ موضعٍ يَعْرَقُ منه، ورائحتهُ طيّبةً كانت أو خبيثة، والنفس، وجانبُ الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن يُنتقص، أو سواءٌ كان في نفسه، أو سلفه، أو من يلزمه أمره، أو موضع المدح والذم منه، أو

(١) في الأصل: كشفنا أحد. والمثبت من المطبوع صفحة (٢١٤)، ولعلّها: ما كشفناها لأحد.

ما يفتخر به من حسبٍ وشرف، وقد يُراد به الآباء والأجداد، والخليقة المحمودة، والجلد والجيش. كذا في «القاموس».

يعني أهل طريقتنا صانوا تلك الكنوز التي كشفناها في هذا الكتاب، وغاروا عليها.

ولكنيّ لما رأيتُ أنَّ الطفيليّ ليس له منها أي من تلك الكنوز **نصيب إلاّ الذكر ومعرفة الاسم.** والطُّفيليُّ: الذي يدخلُ وليمةً لم يُدعَ إليها تسمية الوارش أي الداخل على القوم وهم يأكلون، ولم يُدْعَ، مثلُ الواغل في الشراب يعني به تابع الصوفية **لم أبلِ بذكرها** جواب (لما) وقولهم: لا أباليه: أي لا أكترث له، وإذا قالوا: لم أبل حذفوا الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال، كما حذفوا الياءَ من قولهم لا أدر. يعني لم أكترثْ بذكر تلك الكنوز المصوبة، **إذ نيلُها** تعليل لصوب الكنوز والغيرة عليها لأنّ نيل تلك الكنوز **حرامٌ على من ليس بقلب سليم.**

القلبُ: عبارةٌ عند الطائفة عن صورةِ العدالة الحاصلة للروح الروحاني في أخلاقه، بحيث يصيرُ فيها على حافّة الوسط بلا ميلٍ إلى الأطراف.

وقلبُ الجمع: والجود يشيرون به إلى الإنسان الحقيقي لما عرفتَ من كونه صورةَ البرزخية الكبرى.

وقلبُ القلب: ويُقال قلبُ قلب الجمع والوجود، ويعني به البرزخية الجامعة بين الوجوب والإمكان، يعني به الإنسان الكامل الذي به ومن مرتبته يصلُ فيضُ الحقِّ والمدد الذي هو بقاء ما سوى الحقّ إلى العالم كله علوًّا وسفلاً، ولولاه لما قبل شيء من العالم المدد الإلهي الوحداني لعدمِ المناسبة والارتباط بين الحقّ والخلق بدون وسيطة. وقد مرّ تفصيلها.

وهذا القلب يريدُ مولانا قدّسنا الله بسرّه الأعلى بقوله:

نی دل اندر صدهزاران خاص وعام   دربکی باشد کدامست این کدام

والمرادُ من صاحب قلب سليم من سلم [٣٩١] قلبه عن ميل ما سوى الحق لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وكنا نظهر هنا أي في هذا الكتاب الموسوم بـ: «مواقع النجوم» **أمورًا لم يظهرْها غيري ولكن في هذا الإظهار تنبيه وغنية إفشاء ما سُتِرَ** على البناء للمفعول، غناه الله وأغناه، والاسم الغُنية بالضم والكسر. **وغنية فك معمًّى غير** على البناء للمفعول عليه، أي على ذلك المعمّى

فحُجِبَ[١] على البناء للمفعول. يعني الأمورُ التي أَظهرتُ في هذا الكتاب ينبّهك ويُغنيك عن إفشاء ما سُتِر وعن فك معمى غير عليه، فحجب. وفكُّ الشيءِ فصله، وفكُّ المُعمّى فتحه وحلّه، وعمّاه تعميةً صيَّره أعمى، ومعنى البيت أخفاه، والمعمّى وهو تضمين اسم الحبيب أو شيء في بيتِ شعرٍ، إمّا بتصحيفٍ أو بقلبٍ أو بحسابٍ أو غير ذلك، كقول الإمام أسدِ الله الغالبِ علي بنِ أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه في اسم محمد[٢] ﷺ:

أيـأخـذ وعـد مـوسـى مـرتيـن	وضـعْ أصـلَ الطبـائـع تحـت تيـنِ
وسكـة خـان شطـرنـجٍ فخـذْهـا	وأدرجْ بيـنَ ذيـنِ المـدرجيـنِ
فـذلـك اسـمُ مـن يهـواه قلبـي	وقلبُ جميـعِ مَنْ فـي الخـافقيـنِ

وقد ترجمته بالعبارات التركية:

وعد موسى لي ايكي كزاخذ وبسط ايله همان. هم طبائع اصلني تحتنده وضع ايله نهان
نطع شطرنجك دخي برصغني ال أي همام ايكنيك بنينده بردرج ايت اوله مشكل بيان
بوبنم محبوبمك ناميدر اول محبوب كيم واله وحيران جسنيد رآنك خلق جهان

اعلم وفقك الله يا بُني أنك إذا أحصنت فرجك وتعففت نُقْلَك بالفتح والضم: وهو ما يُتنقّلُ به على الشراب، ويقال له بالتركية مزه من افتضاض أي افتراع، يعني: إزالة بكارة أبكار جمع بِكر بالكسر العذراء. الحواس جمع حاسّة التي تُدرِكُ المحسوسات بالحسِّ من السمع والبصر والشم والذق واللمس إلى افتضاض أبكار المعاني.

المعاني: هي الصُّور الذهنية من حيث إنها بإزائها الألفاظ والصورة الحاصلة في العقل من حيث إنها تقصد باللفظ سُمّيت معنىً، ومن حيث إنها تحصلُ من اللفظ سُمّيت مفهومًا، ومن حيث إنها مقولةٌ في جواب (ما هو؟) سُمّيت ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج سُمّيت

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢١٤) فك معمّاه غيرة عليه فحجبه.
(٢) جاء في هامش الأصل: وعد موسى ٤٠. م
صف شطرنج ٠٠٨ ح
وعد موسى ٠٤٠ م
أصل الطبائع ٠٠٤ د
٩٢ محمد.

حقيقةً، ومن حيث امتيازه عن الأغيار سُمّيت هويةً. والمعنويُّ هو الذي لا يكونُ للسان فيه حظٌّ، وإنّما هو معنى يعرف بالقلب.

على سرير المعاملات في جنة أي منزلة التخلّق بالأسماء الإلهية، وقد مرّ آنفًا.

ثم ترتقي أنت من هذه المنزلة إلى نكاحِ الحقيقة الفردية الكلّية على سرير التوحيد في جنةٍ أي منزلة التنزيه.

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»(١): إن التوحيدَ هو التعمّل في حصول العلم في نفس الإنسان بأن الله الذي أوجده واحدٌ لا شريك له في الألوهية، والوحدةُ صفةُ الحقِّ، والاسم منه الأحد والواحد، وأمّا الوحدانية فهي قيامُ الوحدة بالواحد من حيث إنها لا تعقلُ إلاّ بقيامها بالواحد، وإن كانت نسبةُ تنزيه فهذا معنى التوحيد كالتجريد والتفريد، فإذا حصلَ في نفس العالم أنّ الله واحد فهو موحّد، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقد وجد للصلاح، وهو بقاءُ العالم ووجودُهُ، فدلَّ أنَّ الموجدَ له لو لم يكن واحدًا ما صحَّ وجودُ العالم، هذا دليلُ الحقِّ فيه على [٣٩١/ب] أحديّته، وطابق الدليلُ العقلي على ذلك... فمن زاد على الواحد فعليه الدليلُ على ثبوته، ولا يصحُّ له ذلك... فالتوحيدُ على الحقيقة مناله سكوت خاصة ظاهرًا وباطنًا، فمهما تكلّم الموحد أوجد، فإذا أوجد أشرك، والسكوتُ صفةٌ عدمية، فيبقى توحيدُ الوجود له، وما دخلَ الشرك في توحيده إلاّ بإيجاد الخلق، لأن الخلقَ استدعى بحقائقه نسبًا مختلفة تطلبُ الكثرةَ في الحكم، وإن كانتِ العينُ واحدةً فما طرأتِ الآفةُ في التوحيد إلاّ من الإيجاد... وهذا علمُ التوحيد الوهبي الذي لا يُدرك بالنظر الفكري، وكلُّ توحيدٍ يُعطيه النظر الفكري فهو كسبي عند الطائفة.

وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الرابع والستين من أسئلة الترمذي(٢): يقول الله عز وجل للموحّدين على وجه المناقشة: فيما ذا وحّدتموني؟ وبماذا وحّدتموني؟ وما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ فإن [كنتم] وحّدتموني في المظاهرِ فأنتم القائلون بالحلول [والقائلون بالحلول] غيرُ موحدين؛ لأنكم أثبتُّم أمرين: حالّ ومحلّ، وإن كنتمُ وحّدتموني في الذاتِ دون الصفات والأفعال، فما وحّدتموني؛ فإنّ العقولَ لا تبلغُ إليها، والخبر من

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ٢٨٨ـ ٢٩٠.
(٢) الفتوحات المكية: ٢/ ٨٣. والسؤال هنا: ما كلامه للموحّدين؟.

عندي فما جاءكم بها؟ فإن كنتم وحّدتموني في الألوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية من كونها عينًا واحدة مختلفة النسب، فبماذا وحّدتموني؟ هل بعقولكم؟ أو بي؟ فكيف ما كان ما وحّدتموني، لأن وحدانيتي ما هي بتوحيد موحّدٍ لا بعقولكم ولا بي، فإنّ توحيدكم إيّاي بي هو توحيد[ي] لا توحيدكم، وأمّا بعقولكم، فكيف تحكمون علي بأمرٍ من خلقته ونصبته؟ وبعد أنِ ادّعيتم توحيدي بأيِّ وجهٍ كان؟ وفي أيِّ وجهٍ كان؟ فما الذي اقتضى لكم توحيدي إن [كان] اقتضاه وجودكم؟ فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم، فقد خرجتم عنّي، فأين التوحيد؟ وإن كان اقتضاه أمري، فأمري ما هو غيري، فعلى يدي ما أوصلكم[١] إن رأيتموه منّي، فمن الذي رآه منكم؟ وإن لم تروه منّي فأين التوحيد يا أيها الموحّدون؟ كيف يصحُّ لكم هذا المقام؟ وأنتم المظاهر لعيني، وأنا الظاهر، والظاهر يناقض الهوية، فأين التوحيد؟ . . . فيا أيها الموحدون، استدركوا الغلط في هذه الدار، فما ثمَّ إلاّ الله والكثرة [في ثم وما هم سواه] فأين التوحيد؟ فإن قلتم: التوحيدُ المطلوب في عين الكثرة، قلنا: ذلك توحيدُ الجمع، فأين التوحيد؟ [فإنَّ التوحيد] لا يُضاف ولا يُضاف إليه. فاستعدّوا أيّها الموحدون للجواب. انتهى.

وقال الفرغاني[٢] قدس سره: التوحيد: اعتقادُ الوحدانية لله تعالى، وهو على مراتب:

توحيد العامة: وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله.

وتوحيد الخاصة: ألاّ يرى مع الحقِّ سواه.

توحيد خاصة الخاصة: ألاّ يرى سوى ذات واحدة [لا أبسط من وحدتها] قائمة بذاتها التي لا كثرة فيها بوجهٍ مقيمة لتعيناتها التي لا يتناهى حصرها، ولا يُحصى عددها، وألاّ يرى أنَّ تلك التعينات هي عين العين المعينة لها الغير المتعيّنة بها ولا غيرها، فمن كان هذا شهوده فهو المتحقّقُ بالوحدانية الحقيقية، لأنه يشاهدُ الحقَّ والخلقَ، ولا يرى مع الحقِّ غيرًا، وهذا هو الذي لم ينحجب بالغير عن رؤية العين، ورأى يتحقق بنورها[٣]، بل قام بربّه عند فنائه [٢٩٢]بنفسه، وهذا التوحيدُ الذي فهمته [هو التوحيد القائم بالأزل.

---

(١) كذا، وفي الفتوحات: فعلى يدي من وصلكم.

(٢) لطائف الإعلام ١/ ٣٦٦.

(٣) في لطائف الإعلام ١/ ٣٦٧: رؤية العين، ولم ينحجب بنورها.

التوحيد القائم بالأزل:] يعنون به توحيد الحقِّ لنفسه، وهو عبارةٌ عن تعقّل الحقِّ لنفسه، وإدراكه لها من حيث تعيّنه، ومعلومٌ أنّ هذا ممّا لا يصحُّ لأحدٍ غير الله إدراكه، ولهذا كان هو التوحيدُ الذي اختصه الحقُّ لنفسه، لأنَّه لا يصحُّ أن يُوحِّدَه به غيره، فإن [حضرته] حضرة جمعٍ لا تصل تفرقة السِّوى لغنائها[1]، وإليه أشار شيخُ الإسلام أبو إسماعيل:

ما وحدّ الواحدَ من واحدٍ ... إذ كلُّ مَنْ وحّده جاحدُ
توحيدُ مَنْ ينطقُ عن نعتِهِ ... عاريةٌ أبطلَهُ الواحدُ
توحيدُهُ إيَّاه توحيدُهُ ... ونعتُ مَنْ ينعتُهُ لاحِدُ

وقد مرّ تفصيله مرارًا[2]. والتنزيه[3]:

تنزيه الشرع: هو المفهومُ في العموم من تعاليه تعالى عن المشارِكِ في الألوهية.

وتنزيه العقل: هو المفهومُ في الخصوص من تعاليه تعالى أن يُوصفَ بالإمكان.

وتنزيه الكشف: هو المشاهدة لحضرةِ إطلاق الذات المثبت للجمعية للحقِّ، فإنَّ من شاهد إطلاق الذات صار التنزيه في نظره، إنّما هو إثبات جمعيته تعالى لكلِّ شيءٍ، وإنّه لا يصحُّ التنزيهُ حقيقةً إن لم يُشاهدْه تعالى كذلك.

وثمرة التنزيه الشرعي[4]: نفي الاشتراك في مرتبة الألوهية، ونفي المشابهة والمساواة في الصفات الثبوتية مع الاشتراك فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١] و﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] و﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] و﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] و الله أكبر ونحو ذلك.

وثمرة التنزيه العقلي: تنزيهُ الحقِّ عما يُسمّى غيرًا أو سِوًى بالصفات السلبية حذرًا من نقائص مفروضة في الأذهان غير واقعة في الأعيان.

وثمرة التنزيه الكشفي: إثبات الجمعية مع عدمِ الحصرِ، ومع تمييز أحكامِ الأسماء بعضها عن بعض، إذ لا يصحُّ أن يُضافَ كلُّ حكمٍ إلى كلِّ اسم، فإنَّ من الأحكام الثابتة لبعضٍ

---

(١) في لطائف الإعلام ١/ ٣٦٧: جمع لا تقبل تفرقة السوى لتنافيها.
(٢) انظر صفحة (١/ ١٤٤).
(٣) لطائف الإعلام ١/ ٣٥٠.
(٤) لطائف الإعلام: ١/ ٣٨٣.

الأسماء ما يستحيلُ إضافته إلى أسماء أُخر، وهكذا الأمر في الصفات.

ومن ثمرات التنزيه الكشفي أيضًا نفي السّوى مع بقاء حكم العدد، دون فرض نقص بسلبٍ أو تعقل كما يُضاف إلى الحقِّ بإثباتِ مثبتٍ توحيدًا كان ذلك الكمال أو غيره من الصفات، وإلى هذا أشارَ شيخُ الإسلام:

ما وحّدَ الواحدَ من واحدٍ　　إذْ كلُّ من وحّده جاحدُ

إلى آخره

والحاصلُ إذا أحصنتَ فرجَك، وتعفّفت نقلَك من افتضاض أبكار الحواس إلى افتضاض أبكار المعاني على سرير المعاملات في جنة التخلّق بالأسماء ثم ترتقي من هذه المنزلة إلى نكاحِ الحقيقة الكلّية على سرير التوحيد في جنّة التنزيه.

فيُنتِجُ لك أيضًا هذا المنزلُ منزلاً آخر تشاهد أنت فيه في ذلك المنزل الحقيقةَ المجرّدة عن الموجود المطلقِ المختارة ينكحها من يشاءُ الله أي يربطَ تلك الحقيقة من يشاء الله تعالى من عباده يعني **يُنَشِّئُها على سرير الفناء في جنة الأدب** يعني على سرير الفناء المطلق الكلّي، وهو أعلى مراتب الفناء.

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: الفناءُ رؤيةُ العبد فعله بقيام الله على ذلك ثم قال: وهو شبهُ البقاء، فإنَّ البقاءَ رؤيةُ العبد قيامَ الله على كلِّ شيءٍ من عين الفرق. وقد مرّ تفصيله مرارًا.

والأدبُ: هو حفظُ الحدِّ بين الغلو والجفاء، أي: بين الإفراطِ والتفريط، وذلك أن يؤم [٢٩٢/ب] السالك طريقًا متوسّطًا بينهما، وقد مرّ تفصيلُ الأدبِ مع الحقِّ ومع الخلق، وأدب الشريعة والطريقة والحقيقة.

فهذه الحقيقة المجردة المذكورة هي المعبر عنها بالحرفين أي: حرف الكاف والنون، يعني كلمة ﴿كن﴾ **التي هي سببٌ في الموجودات، وعلّةٌ للكائنات** علّة الشيء: ما يتوقّفُ عليه ذلك الشيء. وقد مرّ تفصيلُ العلل.

والسببُ في اللغة: اسمٌ لما يتوصل به إلى المقصود. وفي الشريعة عبارة عمّا يكونُ طريقًا

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٣.

للوصول إلى الحكم غير مؤثِّرة فيه إذا قضى الله سبحانه أمرًا سلّطها أي تلك الكلمة عليه أي على ذلك الأمر وأوجد الشيء عند تسلّطها تلك الكلمة عليه أي على ذلك الأمر وعند تعلّقها أي كلمة ﴿كُن﴾ به بذلك الشيء فكان أي وجد ذلك الشيء، لقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

فإذا حصلَ العالم في هذه المنزلة المذكورة عند المشاهدة، واستوى أي استولى المشاهدُ وظهر على عرش الكائنات أي سريرِ الكائنات أو سقفها أي ذروتها لم يشاهد المشاهد شيئًا في الوجود موصوفًا كان ذلك الشيء الموجود أو صفة حساسًا كان ذلك الموجود كالحيوان أو غير حساس كالجماد إلاّ يشاهد بنتيجة عن مقدمتين.

المقدمة: تُطلق تارةً على ما تتوقّف عليه الأبحاث الآتية، وتارةً يُطلق على قضية جعلت جزء القياس، وتارةً تطلق على ما يتوقّف عليه صحة الدليل.

مقدّمة العلم: ما يتوقّف صحة الشروع.

ومقدّمة الكتاب: ما يتوقّف عليه الشروع على بصيرةٍ، ويحصل الأول بالتصوّرِ بوجهٍ ما، والتصديق بفائدةٍ يعني لم يشاهِدِ المشاهد شيئًا في الوجود إلاّ بنتيجة عن مقدمتين.

تنكحُ إحداهما الأخرى مثلاً إذا قلتَ: كلُّ جسمٍ مؤلفٌ، وكلُّ مؤلّف محدث، وهما مقدمتان، فينتج من هاتين المقدّمتين فكلُّ جسمٍ محدث وهو أي النكاح ههنا عبارةٌ عن الرابط الذي بينهما أي بين المقدّمتين فيتولّد بينهما أي بين المقدمتين أمرٌ زائد عليهما أي على المقدمتين كما عرفتَ من المثال، لأنَّ كلَّ جسمٍ مؤلّف مقدّمة، وكلُّ مؤلّف محدث مقدمة ثانية، فيتولّد من الربط الذي بينهما أمرٌ آخرُ وهو كلُّ جسمٍ محدث زائدٌ على المقدمتين فالمولدات أن تنبعثَ بينهما أي بين المقدّمتين علوًا وسفلاً، فإن ذُكِّرا أي المقدّمتين بكونهما فاعلاً مؤثرًا اعتليا كالعقول وإن أُنِّثا بكونهما منفعلاً متأثرًا انسفلا كالنفوس غير أنَّ العبارات اختلفت بحسب أصناف المولّدات، فقيل: هذا طفل بين رجل وامرأة، وهذه نتيجةٌ عن مقدمتين، وهذا فرعٌ عن أَصلين، وهذه رسالةٌ عن مرسلٍ ورسول، وهذه سنبلةٌ من زرّاع وأرض، وهذا إحراقٌ عن نار وخشب، وهذه بيتٌ عن آلات وصانع، وهذا موجودٌ عن قادر وقدرة، وهكذا جميعُ العالم بأسره نتيجةُ ازدواجٍ ليصحَّ على كلِّ جزءٍ من العالم الفاقة والاضطرار في وجوده إلى من يوجده حتّى يقفَ له الأمر للناظر المشاهد في العالم إلى أول

الموجودات المقيّدة، ويحصل له أي للناظر المشاهد في هذا الطريق المذكور من الفوائد أي بعض الفوائد الكشفية بحسبِ ما مشى عليه من المقامات.

فإذا وقفَ [٣٩٣] المشاهد عند هذا الموجود الأول المقيّد وهو الحقيقة المحمدية عرفه أي عرف المشاهد ذلك الموجود الأول بذاته أن وجود[١] أي وجود الموجود الأول المقيّد نتيجة عن قدرةٍ وقادر أي عن الاسم القادر وحقيقته وعرفه بذاته أنّ اختصاصه أي اختصاص ذلك الموجود الأول المقيّد بالأوّلية والقربة عن إرادةٍ ومريد أي عن الاسم المريد وحقيقته وعرفَ أنّ إتقانه أي إحكامه عن علمٍ وعالم أي عن الاسم العالم وحقيقته، فيصحُّ اضطراره أي التجاء ذلك الموجود الأول المقيّدُ وفاقته إلى الحقِّ سبحانه وتعالى، فكيف ما عداه، وهو الله الغنيُّ الحميد الموجودُ المطلق لا عن أَصلَيْنِ، ولا عن مُقدّمتَيْنِ، ولا عن أبوين، بل هو خالقُ الأُصول والمقدّمات، والآباء والأمهات، المقدّسُ المنزّهُ عن غير جواز ما تنزّه عنه عليه، بل هو تنزّهٌ عن التنزيه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] قوله تنزّه عن التنزيه تقدّس الحقُّ عنِ العلوَيْنِ، معناه: تنزّه الحقُّ عن العلوِّ المكاني والرُّتبي جميعًا، أمّا تقدّسه عن العلوِّ المكاني فظاهرٌ لاستحالة تحيّزه تعالى وتقدّسه عن علوِّ المكانة، وذلك بمعنى أنّه مهما تُوهّم علوٌّ، ثم أُضيفَ إلى الحقِّ، كان الحقُّ أَعلى من ذلك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الاعلى: ١] أي عن كلِّ علوٍّ، والسرُّ فيه أنَّ الحقَّ تعالى في كلِّ متعيّن غيرُ متعين به، ومع كلِّ شيءٍ غيرُ مشاركٍ له في مرتبته، فلهذا كما أنَّ الإشارةَ الحسية مَنفيةٌ عنه، فكذا العقلية، لاستحالة تخصيصه بمكانةٍ مخصوصة لبعيد علوّه من حيثها، ويقتصر عليها ويلزم من ذلك أن يكونَ تعالى مقدّسًا عن مفهوم الجمهور من العلوينِ، بل علوّه حيازتُه تعالى للكمال المستوعب لكلِّ كمالٍ، والمتّصف بكلِّ وصفٍ، وعدم تنزهه عمّا تقتضيه ذاته من حيث إحاطتِها واتّسام كلِّ وصفٍ بسمة الكمال من حيث إضافةِ ذلك الوصف إليه، ومن ذاق هذا فهو المطّلعُ على سرِّ التقديس، وسرِّ العلوّ الحقيقي اللائق إضافته إلى الحقِّ وتنزهه وتقدّسه عن العلوين المكاني والرُّتبي.

والتقديس عن التقديس: هذا يجري في إشارات القوم على وجوهٍ.

منها: تقديسه تعالى عن ما يقدّسه غيره ليصيرَ متوقّفًا في تقديسه على غير ذاته تعالى،

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢١٥): إذ وجوده.

وإنما هو الذي قدّس نفسَه بنفسه، وعلى لسان عبده، قال عليه السلام: «قال اللهُ تعالى على لسان عبده: سمع الله لمن حمده»[1].

ومنها: أنه تعالى مقدّس عن الحصرِ في صفات التقديس لما عرفته من إثباتِ الجمعية له، واتّسام كلّ وصفٍ بصفة الكمال من حيث إضافته إليه.

ومنها: أنّه تعالى وتقدس عن أن يكونَ معه غيرُه [ليتقدّس عنه.

ومنها: أنه تعالى عن تقديسٍ لا حقٍ له من غيره] ليصيّره مقدّسًا به، وعن تكميلٍ له من غيره ليصير كاملاً بذلك الغير. انتهى من الفرغاني[2].

١ـ الـزوجُ أَصـلٌ لكـلِّ خلـق بحجّـةِ العـالـمِ الحكيـمِ

وحجّة الله العالم الحكيم هو قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] كما مرّ.

٢ـ لـولا الـذي فيـه مِـنْ حُـدوثٍ مـا دلَّ خلـقٌ علـى القـديـمِ

لولا الذي فيه أي في الزوج من حدوثٍ لما دلَّ خلقٌ على القديم أي لو لم يكنْ في نكاحِ الزوجِ من حدوثٍ يتولّدُ الولد منهما، وكان الخلقُ من غير ازدواجٍ لما دلَّ الخلقُ على القديم، وإنّما دلَّ الخلقُ على قدمه تعالى بسبب ظهوره وحدوثه من الزوج.

٣ـ إتقـانُـهُ إنْ نظـرتَ فيـه فـرعٌ عـن العلـمِ والعليـمِ

أي إحكام الخلق [٣٩٣/ب] إن نظرتَ في الزوجِ أي إن اعتبرت الزوجية فيه فحاصل، وهو فرعٌ عن الاسم العليم، وحقيقته التي هي العلم متفرّعٌ عن الأصلين.

٤ـ وانظـرْ إلـى عـالـم بَـراه وانظـرْ إلـى المَنْهَـجِ القـويـمِ

أي وانظر إلى عالم برى ذلك الزوج، وانظر إلى الطريق الواضح المستقيم الذي لا يتخلّفُ منه شيءٌ حتى تعلمَ أنّ الزوج.

٥ـ ينتـجُ نـارَ الجحيـمِ فيهـم أو جنّـةَ الخُلْـد والنعيـمِ

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٦٤ و٢/ ١١٥).
(٢) لطائف الإعلام ١/ ٣٤١ـ٣٤٢.

يعني ينتجُ من مقدّمة الأعمال السيئة ومقدمة عمالها نار الجحيم في الخلق، وكذلك ينتجُ من مقدّمة الأعمال الحسنة وعمّالها الخلّد والنعيم، فإذا حصلَ وفّقك الله هذا المقام لمشاهد وشاهد المشاهد الحق غاب المشاهد عن جميع الخلق وغاب عن مشاهدته وعن طلبته. والطلبة بكسر اللام الشيءُ المطلوب وعن كلِّ كونٍ لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فمحقَ الرسومَ ودكّها، وأصعقَ الهممَ فملكها، فبين المحقِ والصعق ما بين الحقِّ والخلق.

المحق: فناءُ وجود العبد في ذات الحق.

والرسوم: جمع رسمٍ، والرسمُ في اصطلاحهم: نعتٌ يجري في الأبد بما جرى في الأزل، وقد يُطلقون الرسمَ ويُريدون به كلَّ ما سوى الله تعالى، لأنَّ كلَّ ما سواه آثارٌ عنه، فإنَّ الرسم في الديار هي الآثار التي تحصلُ عن ساكنيها، فاصطلحَ أهلُ الطريق على تسمية كلِّ ما سوى الله تعالى من الأغيار وعالم الخلق بالرسوم، إذِ الكلُّ آثارُ قدرته تعالى، فإذا أطلقتِ الطائفةُ الرسوم أرادوا بها صورةَ الخلقية.

والصعقُ: هو في اصطلاحهم عبارةٌ عن الفناءِ عند التجلّي الرباني، كما خرَّ موسى عليه السلام صعقًا لمّا تجلّى على الجبل.

وفي «الفتوحات»[1] الصعق لأهلِ الرجاء لا لأهلِ الخوف.

عطس رجلٌ بحضرة الجُنيد رضي الله عنه فقال الرجلُ: الحمدُ لله. فقال له الجنيد: أتمَّها أي الكلام كما قال الله تعالى، وقلْ: ربِّ العالمين. فقال الرجل: يا سيدنا، ومَنِ العالَمُ حتّى يُذكرَ مع الله؟ فقال الجنيد رضي الله عنه: الآن قله. أي ربِّ العالمين يا أخي، فإنَّ المُحدثَ إذا قُرِنَ بالقديم فنيَ، ولم يبق له أي للمحدث أثرٌ وأنت الآن لست بفانٍ، لأنَّ الفناءَ إنّما يتحقّق بالحال لا بالعلم والقال.

فهذا المذكور يا أخي قد تبيّن لك أنّه لم يظهرْ في العالم موجودٌ ومحدث إلاّ عن مقدّمتين هما أصلا وجوده أي وجود المحدث كما ذكرناه ومثّلناه مفصّلاً فتفهّم أي افهم ما كشفناه لك من الأسرار المحجوبة أي المستورة المخزونة في خزائن الغيرة عن الأغيار، وأزلْ رمدَ التقليد

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٠.

من جفنك أي عينك واكتحلْ عينك بكحلِ الاجتهاد الاجتهادُ في اللغة: بذلُ الوسع. وفي الاصطلاح: استفراغُ الفقيه الوسعَ ليحصلَ له ظنٌّ بحكمٍ شرعي في المعاملات وفي التخلّق بالأخلاق السماوية الإلهية، كما وردَ في الأثر: «تخلّقوا بأخلاق الله»[1] وقد مرّ بيانُ التخلّق والأخلاق مرارًا.

فطهِّرْ يا بني ثوبك ظاهرًا وباطنًا لقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] يقال ثاب ثوبًا وثؤوبًا: رجعَ، يعني أصل الثوب الرجوع إلى الحالة الأولى أو المقدرة ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قبل قلبك، والميتُ يُبعث في ثيابه أي أعماله.

يعني: طهّر قلبك [٣٩٤] بالإخلاص والفكر، وطهّر أعمالَك من الرياء ظاهرًا وباطنًا حتى ينجلي بصرُك فيكون حديدًا، فإذا انجلى البصرُ من غبار رمد التقليد بكحل الاجتهاد في المعاملات والتخلّق تقوّى النظرُ، فأبصرتَ الأشياء على ما هي عليه أي على الحقيقة التي هي عليها في الحقيقة، ووقفت عينًا على ما قلناه إنه لا يظهرُ في العالم موجودٌ مُحدثٌ إلاّ عن مقدّمتَيْنِ هما أصلا وجوده، كما فصّلناه آنفًا ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] نسألُ اللهَ التوفيقَ والرشاد، وهو الموفّقُ والمرشد.

* * *

---

[1] تقدّم الأثر وتخريجه صفحة (١/ ٣٣٠).

الفَلَك القدمي

١ـ الرَّجلُ أن جاريتَهُ في علمه أربى على حدِّ السَّوى والمستوى

جاراه مجاراة وجراه جرى معه.

يعني: إن سعيتَ بالرِّجلِ في تحصيل علمه تعالى، فهو أَربى أي أزيد تجارة على حد الصراط، السَّوى أي العدل المستقيم، والمستوى المعتدل.

يعني: إن سعيتَ بقدميك على الصراط المستقيم المعتدل كما حدَّه اللهُ تعالى لتحصيل علمه تعالى فهو أزيد لك تجارة. وفي بعض النسخ: على حد السَّواد المستوى، والسواد ههنا عبارةٌ عن سوادِ القلب، وهو الحبَّةُ السوداء فيه المعبر عنه بالسويداء التي هي محلُّ التجلّي الإلهي والمشاهدة وهو مستوى الله، كما هو العرش مستوى الرحمان، كما ورد في الحديث القدسي: «ما وسعني أَرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن التقي النقي»[1] ولذلك قيل: قلبُ المؤمن عرشُ الله، أي محلُّ التجلّي الإلهي، أو السواد ههنا كنايةٌ عن ظُلمة الجهل الذاتي المعبّر عنه بحجاب العزة، وهو العمى والحيرة، إذ لا تأثيرَ للإدراكات الكشفية في كُنْه الذات، فعدمُ نفوذها فيه حجابٌ لا يرتفع في حق الغير أبدًا، ولذلك قال في البيت الثاني

٢ـ فاقبضْ عِنانَ الطِّرفِ عن إسرائه فالعجزُ علمُ محقّقٍ أخذ اللوى

العِنان بالكسر للفرس، وهو سير اللجام الذي تُمسك به الدابة، والجمع أعنّة، والطِّرف بالكسر الكريمُ من الخيل، والإسراء: السير بالليل، كما يقال: أسرى، أي سار ليلاً، والمرادُ من الطرف النفس الزكية، لأنَّها مطية الروح، ومن الإسراء المعراجُ الروحاني.

يعني: اقبضْ عِنان نفسك عن إسرائه تعالى، لأنّك لا تبلغُ إلى كُنْه ذاته، فالعجزُ علمٌ محقق. أخذ اللوى، أي لواء المعرفة، كما قال عليه السلام: «ما عرفناك حقَّ معرفتك يا معروف»[2].

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٣).

(٢) قال المناوي في فيض القدير ٢/ ٥٢٠ تحت قوله: «إن أتقاكم...»: وفي الخبر... دون قوله «يا معروف».

وقال أبو بكر الصديق، وعليٌّ المرتضى رضي الله تعالى عنهما:

العجـــــز عـــــن دِرَكِ الإدراكِ إدراكُ والبحـــثُ عـــن ســـرِّ ذاتِ الله إشـــراكُ

٣ـ من عندَهُ في موقفٍ تاهتْ به ظُلَمُ الغيوبِ مُوجِّهًا ثم النوى

الموقف[١]: هو منتهى كلِّ مقام، وهو المطلع والأعراف، والموقفُ أيضًا: مقامُ الوقفة التي هي الحبسُ بين كلِّ مقامين، لتصحيح ما يقعُ على السالك في مقاماتٍ من تصحيح المقام الذي وقعَ له الترقِّي عنه، وللتأدب أيضًا بما يحتاجُ إليه عند دخوله إلى المقامِ الذي وقع له الترقِّي إليه.

والمواقف: جمع موقف، وهو موضعُ الوقفة، وهذه المواقف قد اشتملَ عليها الكتاب المُسمّى بـ«المواقف» المنسوبةِ إلى الشيخ محمد بن عبد الجبار [النفري] قدس سره متضمِّنًا لتصحيح بقايا المقامات بالوقوف بين كلِّ مقامين، ولهذا عنونَ فصوله بقوله قدّس سره: أوقفني، وقال لي.

وموقف شموس[٢] الأسماء: يعنون بذلك [٣٩٤/ب] أول رتبِ ظهورها، وتلك الرتبةُ هي عالمُ الجبروت عند بعضهم، وعند بعضهم هي عالم اللاهوت.

وتاهتْ بمعنى تحيّرت، والظُّلم جمع ظلمة، أو اسم جنس الظلمة، قد تُطلق على العلم بالذات، فإنها لا تنكشفُ لغيرها، وتطلق على كلِّ نقصٍ بالنسبة إلى ما يعلوه ممّا هو كمال بالنسبة إليه، فالظُّلمةُ الحقيقية على هذا إنما هي الكفر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والغيوب: جمع غيب، الغيب كلُّ ما ستره الحق عن الخلق.

غيب الهوية: عبارةٌ عن إطلاقِ الحقِّ باعتبار اللا تعيين.

الغيب المطلق: هو غيبُ الهوية.

الغيب المكنون: يُشيرون به إلى كُنه الذات الأقدس، ويُعبّر به أيضًا عن كُنْه الذات بالسر

---

(١) لطائف الأعلام: ٢/ ٣٤.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٣٤١: موقع شموس.

المصون الذي هو أَبطنُ البطون، لأنّها كما علمتَ لا تشهد ولا تعلم ولا تفهم ولا تدرك، وإنما يُدركُ منها بأنها لا تَدركُ.

الغيب المصون: هو كُنه الذات الأقدس. انتهى من الفرغاني[١].

والتوى بمعنى انعطف، يعني: من كان عند مقامِ قُدسه تعالى في موقفٍ من المواقف تحيّرتْ به ظُلمُ الغيوب حال كونه موجّهًا للإدراك، فلم يبلغ إلى كُنْه الذات، ثم انعطفَ أي انصرفَ إلى مقام العجز عن درك الإدراك، لعلّك ترجيت وتشتهي يا بني، أن تقفَ على حقيقة قدمك والحال أَنت ترجّحُ الأشياء بعقلك وأنت عابدُ هواك. الهوى عبارةٌ عن ميلِ النفس إلى مُقتضيات الطبع، وإعراضها عن أحكام الشرع، وأنت معتكف[٢] على صنم لذنك أي مُقبل على صنم لذّتك مواظبًا، يقال عكفَ عليه عكوفًا، أقبلَ عليه مُواظبًا، وبابه دخل وجلس. قال الله تعالى: ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وأنت تتبعُ خطواتِ الشيطان، وتمشي في ظُلم المخالفة لأمر الله تعالى وظلم العصيان، وتسعى على قدمِ غرورِ الغَرور بالفتح: الشيطان، وبالضم ما يُغترُّ به وذهلتَ أي نسيت وغفلت عن المصير أي الرجوع إلى من إليه تَصيرُ أي ترجع الأُمور وهو الكريم الرحيم الغفور هيهات: اسم فعلٍ موضوعة لاستبعاد الشيء واليأس منه، فكان بمنزلة بَعُدَ جدًّا لا بدَّ أي لا فراق، لأنَّ بدَّ فعلٌ من التبديد، وهو التفريق، يعني يقتضي لك من مقدمات مجاهدات أي حمل النفس على المشاقِّ البدنية، ومخالفة الهوى على كلِّ حال ومن مراعاة أي محافظات ما توجّه عليك في رجليك من التكليفات الشرعية كسائر الأعضاء المتقدّمة بيانها من قبضٍ بيان من التكليفات المتوجّهة في الرجل بتقيّدٍ عن السعي في المحرمات والمحظورات، وبسط عطف على (قبض) بتكثيرِ الخُطا. الخُطوة بالضم ما بين القدمين، وجمع القلة خُطُوات بضم الطاء وفتحها وسكونها، والكثير خُطىً، والخَطوة بالفتح المرة الواحدة، والجمع خطوات بفتح الطاء، وخِطا بالكسر والمد أي المساجد، ولزوم الجماعات للصلوات المفروضة وكن من المشائين في الظُّلم إلى المساجد، تُبشَّر بالنور التام[٣] في القيامتين أي القيامة الصُّورية والمعنوية، وهي الانبعاثُ بعد الموت الطبيعية والإرادية إلى حياةٍ حقيقيةٍ أو نسبية.

---

(١) لطائف الإعلام: ٢/ ١٨١.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢١٧): منعكف.

(٣) انظر الحديث الذي تقدم صفحة (٢/ ٨٥): «بشّر المشائين في الظُّلم...».

قال في «رصد المعارف»: القيامة [٣٩٥] في عرفهم هي الانبعاثُ بعد الموت الطبيعية أو الإرادية إلى حياة حقيقيةٍ أو نسبية، والقيامة في اصطلاحهم ثلاثةٌ: القيامة الصغرى، والقيامة الوسطى، والقيامة الكبرى.

فالقيامة الصغرى: المشارُ إليها بقوله عليه السلام: «من ماتَ فقد قامت قيامته»[١] وهي الانبعاثُ بعد الموت الطبيعي إلى حياةٍ أبدية نعمية أو نقمية.

والقيامة الوسطى: هي الانبعاثُ عن الموت الإرادي المشار إليه بقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»[٢] إلى الحياة القدسية.

والقيامة الكبرى: هي الانبعاثُ إلى الحياة التي هي البقاءُ بالله عن الموت الذي هو الفناء في الله.

وأكثرُ المشايخ على هذا التقسيم إلاّ أنّ بعضهم اعتبروا القيامةَ الثانية أولى، والثالثةَ ثانية، والأولى ثالثة. انتهى

وقال داود القيصري قدس سره في مقدمة «شرح الفصوص»[٣] في الفصل التاسع: لا بدَّ أن تعلمَ أن للجنّة والنار مظاهرَ في جميعِ العوالم، إذ لا شكَّ أنَّ لهما أعيانًا في الحضرة العلمية، وقد أخبر الحقُّ تعالى عن إخراجِ آدم وحواء عليهما السلام من الجنة، فلها وجودٌ في العالم الروحاني قبل وجودها في العالم الجسماني، وكذلك للنَّارِ أيضًا وجودٌ فيه، لأنه مثالٌ لما في الحضرة العلمية.

وفي الأحاديث الصحيحة ما يدلُّ على وجودهما [فيه] أكثر من أن يُحصى، وأثبتَ رسولُ الله ﷺ وجودهما في دار الدنيا بقوله: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنّة الكافر»[٤] كما أثبتَ في عالم البرزخ بقوله عليه السلام: «القبرُ روضةٌ من رياض الجنة أو حفرةٌ من حفر النار»[٥] وأمثال ذلك.

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في الإحياء ٤/ ٦٣، قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف.

(٢) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٧٢).

(٣) شرح فصوص الحكم: ١٢٩.

(٤) الحديث رواه مسلم (٢٩٥٦) في الزهد والرقائق، والترمذي (٢٣٢٤)، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٣ (٨٠٩٠).

(٥) حديث رواه الترمذي (٢٤٦٠) في صفة القيامة، باب (٢٧) وإسناده ضعيف.

وفي العالم الإنساني لهما أيضًا وجودٌ إذ مقامُ القلب والروح وكمالاتُهما عينُ النعيم، ومقام النفس والهوى، ومقتضياتُهما نفسُ الجحيم، لذلك من دخلَ مقامَ القلب والروح واتَّصفَ بالأخلاق الحميدة، والصفاتِ المرضية يتنعَّمُ بأنواع النعم. ومن وقفَ مع النفس ولذَّاتها، والهوى وشهواتها يتعذَّبُ بأنواع البلايا والنقم. وآخرُ مراتب مظاهرهما في الدار الآخرة، ولكلٍّ من هذه المظاهر لوازمُ يليقُ بعالمه.

وكذلك للساعة أنواعٌ خمسة بعدد الحضراتِ الخمس، منها ما هو في كلِّ آنٍ وساعة، إذ عند كلِّ آنٍ يظهرُ من الغيبِ إلى الشهادة، ويدخل منها إلى الغيبِ من المعاني والتجليات والكائنات والفاسدات وغيرها ما لا يحيطُ به إلاّ الله، لذلك سُمّيت باسمها، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

منها: الموتُ الطبيعي كما قال عليه السلام: «من ماتَ فقد قامت قيامته»[١] وبإزائه الموت الإرادي الذي يحصلُ للسالكين المتوجّهين إلى الحقّ قبل وقوع الموت الطبيعي، قال عليه السلام: «من أرادَ أن ينظرَ إلى ميتٍ يمشي على وجه الأرض فلينظرْ إلى أبي بكر»[٢]. وقال: «موتوا قبل أن تموتوا»[٣] فجعل عليه السلام الإعراضَ عن متاع الدنيا وطيِّباتها، والامتناعَ عن مقتضيات النفس ولذّاتها، وعدمَ اتّباع الهوى موتًا، لذلك ينكشفُ للسالك ما ينكشفُ للميت، ويُسمّى بالقيامة الصغرى، وجعلَ بعضُهم الموت الإرادي مُسمّى بالقيامة الوسطى لزعمه أنّه يقعُ بين القيامة الصغرى التي هي الموت الطبيعي الحاصل له في النشأة السابقة، والقيامة الكبرى التي هي الفناء في الذات، وفيه نظرٌ لا يخفى للفَطِنِ.

ومنها: ما هو موعودٌ مُنتظر للكلِّ [٣٩٥/ب] كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] وغيرَ ذلك من الآيات الدالّة عليها، وذلك بطلوعِ شمس الذات الأحدية من مغربِ المظاهر الخلقية، وانكشاف الحقيقةِ الكلّية، وظهور الوحدة التامة، وانقهار الكثرة كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وأمثاله، وبإزائه ما يحصلُ للعارفين الموحّدين من الفناء في الله، والبقاء به قبل وقوع حكم

---

(١) تقدّم قبل صفحة.
(٢) لم أجد الحديث في مظانه، وقد ذكره المقري في نفح الطيب ٥/ ١٦٤.
(٣) تقدّم قبل وتخريجه صفحة (١/ ١٧٢).

ذلك التجلّي على جميع الخلائق، ويُسمّى بالقيامة الكبرى، ولكلٍّ من هذه الأنواع لوازمُ ونتائج يشملُ على بيان بعضها الكلام المجيد والأحاديث الصحيحة صريحًا وإشارةً، ويحرمُ كشفُ بعضها، والله أعلم بالحقائق. انتهى.

وامشِ في قضاء حوائج جمع حاجة على غير القياس، وقيل مُولّد **إخوانك** جمع الأخ، وأصله أَخو مثل خرب وخِربان **من المسلمين والمسلمات، واسعَ على عيالك.**

السعي: الإسراع في المشي إذا انصرف عنك وذهب مسرعًا، وسعى كرعى: قصدَ وعملَ ومشى وعدا ونمَّ. والسعيُ إذا كان بمعنى المضيّ والجري يتعدّى بإلى نحو: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] وإذا كان بمعنى العمل يتعدّى باللام نحو: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩] وسعى سعاية: إذا أخذ الصدقاتِ، وهو عاملها. وساعى الرجلُ الأَمَةَ فَجَرَ بها، ولا يُقال ذلك في الحرّة ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] أي ما نوى، وهذا أحد التوجيهات الدافعة لتعارضِ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور: ٢١] أو هي منسوخة بها، أو خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليها السلام، أو ليس له إلاّ سعيه، غير أنَّ الأسباب مختلفة، فتارةً تكون بسعيه في تحصيل الشيء بنفسه، وتارةً يكون بسعيه في تحصيل سببه. ولفظُ السعاية لا يختصُّ بالعبيد، بل يستعملُ في الحرّ أيضًا إذا لم يكن له مال في الحال. انتهى من «الكليات»[1].

وعيال الرجل هو الذي سكن معه، وتجبُ نفقتُه عليه، كغلامه وامرأته وولده الصغير، جمع عيّل كنيّر وهو من يعوله ويمونه، وينفق عليه كالزوجة.

واثبتْ يوم الزحف. الزحف بمعنى المشي، والزحفُ للجيش مشيُ الجيش إلى جانب العدو، يعني: ثبات القدم يومَ المشي إلى العدو للمقاتلة،

ولا تزلْ أي لا تزلق **قدمك.** يقال: زلَّ في طينٍ أو منطق، يزِلّ بالكسر زليلاً. وقال الفراء: زلَّ يزلُّ بالفتح زللاً، والاسم الزلّة، واستزلّه غيرُه، وأزلّه.

ولا تزال أي: لا تنفكّ. الزوالُ: الذهاب والاستحالة، يقال: زالَ يزول ويزال قليلة. عن أبي علي زوالاً وزولاً وزويلاً وزولانًا وازولالاً.

في ذلك الجهاد إن استطعت، واسلكْ بها بقدمك على الصراطِ المستقيم، ولا تتبع السُّبل

---

(١) الكليات ٣/ ٣٠.

لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الصِّراط بالكسر: الطريقُ، وجسرٌ ممدود على متن جهنم.

والطريق: وهو ما يمكنُ التوصّلُ بصحيح النظر إلى المطلوب، وعند اصطلاح أهل الحقيقة: عبارةٌ عن مراسم الله، وأحكام التكليفية المشروعية التي لا رخصةَ فيها.

والطريقةُ في عرفهم هي الخصالُ والسير المستنبطُ من أسرار الشريعة [٣٩٦] المختصة بالسائرين إلى الله تعالى، وفي الله وبالله. ويقال الحكمةُ المنطوق بها أيضًا.

وفي «الفتوحات»[1]: الطريقُ عندهم عبارةٌ عن مراسم الحق المشروعة التي لا رخصةَ فيها عزائم، ورخص في أماكنهم، فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلاّ ذو عزيمةٍ، فإن كثيرًا من أهل الطريق لا يقولُ بالرُّخص، وهو غلط. انتهى.

ولا تمشِ في الأرض مرحًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] والمرحُ شدّةُ الفرح والنشاط، وبابه طرب، فهو مَرِحٌ بكسر الراء، ومُريح كسكّيت، وأمرحه غيرُه، والاسم المراح.

واعلم يا بني أنك إذا أحكمتَ يقال: أحكمَهُ أتقنه فاستحكم، ومنعه عن الفساد. يعني: إذا أتقنت القدم واستحكم المشي على هذه المقامات المذكورة من قبضِ القدم عن السعي في المحرّمات وبسطها بتكثيرِ الخطا إلى المساجد، ولزوم الجماعات للصلوات الخمس، والمشي في الظُّلم إلى المساجد، والمشي في قضاء حوائج الإخوان، والسعي على العيال، وثبات القدم في يوم الزحف، والسلوك بالقدم على الصراط المستقيم، وعدم المشي بالمرح وما أشبهها أي تلك المقامات فقد أحكمت جواب الشرط المشي على صراط مستقيم أَحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر، بل أدقُّ وأخفى من ذلك وإن الله تعالى - إذا سلكتَ على ما ذكرتُهُ لك آنفًا - يكرمك الله إن شاء بكراماتٍ مناسبة للقدم ويطلعك على منازل متعلّقة بالقدم كما كان في سائر الأعضاء المقدمة من الكرامات والمنازل تكرمةً من الله بك، وعنايةً ليثبّتَ به فؤادك.

* * *

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٣ - ١٣٤.

[منازل الفَلَكِ القدمي]:

فمن الكرامات المختصّة بهذا المقام أي مقام صاحب القدم في ظاهر الكون ثلاث أولها المشيُ على الماء والثاني طيُّ الأرض والثالث المشيُ على الهواءِ والحكايات في هذه المقامات الثلاث عن الأولياء أَشهرُ من أن تُذكر، فلم نحتج إلى ذكرها ههنا لشهرتها عند الناس، ولأنَّ الدواوين والدفاتر مُلئتْ منها أي من تلك المقامات والكرامات فإنَّ لله تعالى أولياءَ يفعلُ معهم هذا المذكور كله، وغرضنا الاختصار، فلنذكر منازلها أي منازل القدم العلية التي هي منازله أي منازل صاحب القدم.

اعلم يا بنُي، أنّه لا يزال الموفّق السعيدُ في هذه الكرامات سابحًا. السِّباحة بالكسر: الغوط، والسبح الفراغ، والسبح أيضًا التصرّف في المعاش.

وفي «الكليات»[1] السبحُ: المرُّ السريع في الماء والهواء. يُقال: سبح سَبحًا بالفتح، وسِباحة بالكسر، ويُستعارُ لمرّ النجوم نحو: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ولجري الفرس نحو: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣] ولسرعة الذهاب في العمل نحو: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧].

وعلى أسرارها أي أسرارِ الكرامات غاديًا ورائحًا الغداءُ طعام الغدوة، أي البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوعِ الفجر، والرواح: العشيُّ، أو من الزوال إلى الليل، والعشي بالكسر، والعشاء كسماء: طعام العشي، وهو آخر النهار، يعني: يكون ذلك السعيدُ غاديًا بطعام الغدوة وطعام العشي، يعني يكون [٣٩٦/ب] متغذيًا بغذاءِ أسرار الكرامات بالغدوِّ والعشي، ويكون بهذه الخلقيات المذكورة آنفًا من خلق قبضِ القَدَم عن السعي في المحرمات، وبسطها بتكثير الخطا إلى المساجد، والمشي في الظُّلم في المساجد، والمشي في قضاء حوائج الإخوان، والسعي على العيال، وثبات القَدَم في الزحف، والسلوك على الصراط المستقيم، وعدم المشي في الأرض مرحًا.

متصفًا بهذه الصفات المحمودة المذكورة حتّى يُفتحَ له أي لذلك الموفّق السعيد المتّصفِ بهذه الصفات بابٌ إلى عالم الملكوت أي عالم الغيب الإضافي القريب من عالم الشهادة

---

(١) الكليات ٣/ ٤١.

المطلقة فيكون سعيُهُ أي سعي ذلك السعيد فيه أي في عالم الملكوت على قدرِ ما كان سعيُهُ في عالم الشهادة في المسارعةِ إلى الخيرات، فعلى قدرِ سرعتِهِ هنا أي في عالم الشهادة يكون كشفُهُ هناك أي في عالم الملكوت فمن طُويت له الأرضُ في عالم الشهادة زُويت أي جمعتُ وقبضت، وفي الحديث: «زُويت لي الأرض، فأُريتُ مشارقها ومغاربها»[1] له أي لمن طُويت له الأرض في ذلك العالم الروحاني أي عالم الملكوت أرض الأجسام، فعلم حقائقها، ووقفَ على طبقاتها ظاهرًا وباطنًا، وعرف سرائرها، وعرف كلَّ ما أودعَ اللهُ فيها أي في سرائرِ طبقاتِ حقائق الأجسام من حكمةٍ لطيفة، وسرٍّ شريف عضوًا عضوًا، ومفصلاً مفصلاً، حتّى يحيطَ بها أي بالودائع الإلهية فيها علمًا، ومن سَعى هنا أي في عالم الشهادة في فضيلةٍ وخُلقٍ أورثَه المشيُ على الماء فتحَ بابٍ في الملكوت عن سرّ الحياة، والعلم المودع في الماء لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال رضي الله عنه في «الفتوحات»[2]: علم المياه: وهو علم غريب، وما حدُّ الرّي منها في المرتوي من المياه التي تروي؟ فإن من المياه ما لا يروي [ومنه ما يروي]، وما صفةُ الماء الذي جعل الله منه كلَّ شيء حيٍّ، هل هو ماء؟ أو له خصوصُ وصفٍ من بين المياه أم لا؟ ووصفُ الماء الذي خلق الإنسان [منه] بالمهانة.

وماء القدس: في اصطلاحهم يعنون به الشهود الذي ينفي الحادثَ، ويبقى القديمُ جلّ شأنه، لأن صفةَ الحدث بحسٍّ، والتجلي الذي يظهر ذلك النجس يُسمّى ماء القدس الذي هو الطهور، وقد يعني بماء القدس العلوم التي يحتاجُ إليها في تطهيرِ النفس من رذيلة الجهل بالعلوم الإلهية والتدبيرات الخلقية.

فعرف المشاهدُ سرَّ الحياة، والعلمَ المودعَ في الماء الحياةَ اللطيفة الموسومة بالعلم لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالجهل ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالعلم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وعرف أيضًا الحياةَ الحيوانية الموقوفةَ على الجسم لإحساس الآلام واللذّات لأن الحياة

---

(١) حديث رواه ابن ماجه (٣٩٥٢) ٢/ ١٣٠٤، والطبراني في الأوسط ٨/ ٢٠٠ (٨٣٩٧) ومسند الشاميين ٤/ ٤٥ (٢٦٩٠).

(٢) الفتوحات المكية: ٣/ ٣٣٩.

الموقوفةَ على الروح الروحاني لا مدخل لها في الآلام واللذّات ومعرفة الأشياء ثم جمع ذلك المشاهد بينهما أي بين الحياة اللطيفة الموسومة بالعلم والحياة الموقوفة على الجسم بأمرٍ لطيفٍ يعرفُهُ أي ذلك الأمر صاحبُ ذلك المقام أي مقام مشاهدة سرِّ الحياة والعلم المودع في الماء ويعرف أيضًا في هذه الحضرة مرتبةَ كلِّ علمٍ ويعرف أيضًا [٣٩٧] أين حظُّه أي نصيب كلِّ علم في الوجود ويعرف أيضًا بمن يتعلَّق ذلك العلم وعلى من يتوجّه ويعرف أيضًا كيفية صدوره صدور ذلك العلم في الوجود وبوقوفه أي بسبب وقوف المشاهد على هذه العلوم، وتحصيله إيّاها أي العلوم تحصلُ له أي للمشاهد المعلومات، ويحصل له من زُويت له أرضُ الجسوم تحت قبضته، والحال هو خارجٌ عنه يعني المشاهد خارج عمّن زُويت له أرضُ الجسوم بمرتبته، فكلّ ولي أعطاه الله المشيَ على الماء، وطيّ الأرض تحت حكمة عادةٍ أجراها أي العادة الله تعالى لهم للأولياء الذين أَعطاهم الله المشيَ على الماء، وطيَّ الأرض ومنْ طريقِ عالم الملكوت لا يكونُ إلاّ هذا الذي ذُكر من سرِّ الحياة، والعلم المودع في الماء، ومعرفة الحياة اللطيفة الموسومة بالعلم، والحياة الموقوفة على الجسم، ومعرفة مرتبةِ كلِّ علمٍ، وأين حظُّه في الوجود، وبمن يتعلّق، وعلى مَنْ يتوجّه، ومعرفة كيفية صدوره، ومعرفة المعلومات، ومعرفة من زُويت له أرضُ الجسوم.

ولا بدَّ له ذلك المذكور إذا تحقّق في ذلك المقام أي مقام مشاهدة سرِّ الحياة، والعلم المودع في الماء.

التحققُ[١]: هو عند الطائفة عبارةٌ عن رؤية الحقّ تعالى في أسمائه، فإنّ من لم يرَ اللهَ كذلك فهو [إمّا] محجوبٌ برؤية الكون عن العين، وبرؤية الخلقِ عن الحقّ، أو مُستهلكٌ في العين عن الكون، وفي الحقّ عن الخلق، وهذا الشخص يفوته من الحقّ بقدرِ ما جهلَ من الخلق، إذ لا يمكنُ أن تعلمَ أنه تعالى خالقٌ ورازق حالة فنائك عن رؤية المخلوق والمرزوق، فمن لم يشاهدِ الاسمَ الخالق والرازق عند رؤية كلّ مخلوق ومرزوق، فهو محجوبٌ عن العين بالكون، فلا يرى اللهَ، ومن لم يرَ اللهَ فقد فاته المعرفةُ الحقيقية، لكونه لا يشاهده خالقًا ورازقًا ونافعًا وضارًّا وغير ذلك من الأسماء التي لا تُعرف إلاّ بشواهدها التي هي أعيانُ الكائنات الدالّةِ على مكوّنها، فلهذا كان التحقّق هو رؤية الحقّ بما يجبُ له من

---

(١) لطائف الإعلام: ١/ ٣٥: التحقيق.

الأسماء الحسنى والصفات العُلى، قائمًا بنفسه، مُقيمًا لكلِّ ما سواه، وإن الوجود بكمالات الوجود، وإنّما هو له تعالى بالحقيقة والأصالة، ولكلّ ما سواه بالمجاز والتبعية، بل تسميته غيرًا وسِوًى مجازٌ أيضًا، إذ ليس معه غيرُهُ، بل ما يُسمّى غيرًا فإنما هو فعله، والفعلُ لا قيامَ له إلاّ بفاعله، فليس هو بنفسه ليُقال فيه غير أو سوى، فكان مرجعُ التحقيق أنّه ليس في الوجودِ سوى عينٌ واحدة قائمةٌ بذاتها، مقيمةٌ لتعيّناتها التي لا يتعيّن الحقُّ إلاّ بها لاستحالة الانحصارِ عليه والتقييد، فهو تعالى الظاهرُ في كلِّ مفهوم، الباطنُ عن كلِّ فهمٍ إلاّ عن فهم من قال: إنّ العالم صورته [وهو] هويته، فلهذا صارَ صاحبُ التحقيق لا يثبتُ العالمَ ولا ينفيه، أي لا يثبت العالم إثباتَ أهلِ الحجاب، ولا ينفيه، نفي المستهلكين فافهم. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1].

وتحقّقُ ذلك المقام هو رؤيةُ المقام بما يجبُ عليه رؤيته من العلوم المذكورة.

فإن نَقَصَه أي المشاهد **علمٌ** ما من تلك العلوم المذكورة **فليس المشاهد هناك** أي في عامل الملكوت **فليرجع إلى سَعيه** في عالم الشهادة على الماء، **وينحدر** أي ينهبط وينزل من الماء **إلى الصِّفةِ التي أوجبت له** للمشاهد [٣٩٧/ب] **ذلك المشي على الماء**، والعلوم المذكورة، والصفة التي أوجبت له ذلك هي قبضُ القَدَم عن السعي في المحرمات، وبسطها بتكثير الخطا إلى المساجد، ولزوم الجماعات للصلوات الخمس، والمشي في الظُّلم إلى المساجد، والمشي في قضاء حوائج الإخوان، والسعي على العيال، وثبات القَدَم في يوم الزحف، والسلوك على الصراط المستقيم، وعدم المشي بالمرح.

فيجد المشاهد نفسَه لم يُحكم التخلّقَ بها أي بتلك الصفة. يقال: أحكمَهُ فاستحكمَ أي صارَ مُحكمًا، ويقال: أحكمَهُ أتقنه، فاستحكم ومنعه عن الفساد **ولا يُحكم التحققَ بسرائرها** أي سرائر الصفة **فيسعى المشاهدُ إذ ذاك في إحكامها** أي تلك الصفة **حتّى يتخلّق المشاهد بها** بتلك الصفة **على أتمِّ وجوهها** أي وجوه الصفة.

التخلّق بالأسماء الإلهية قيام العبد بها على نحو ما يليقُ بعبوديته، بحيث يوفّي العبودية حقّها **وليلتفت إلى آفاتها** أي آفات الصفة التي أوجبت ذلك المشي على الماء. الآفةُ العاهةُ، أو عرض مفسدٌ لما أصابه **حتى تخلص** تلك الصفة من الآفات **له** أي للمشاهد **ثم يرجعُ التخلّق**

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣١٥ـ٣١٦.

فيكمل له للمشاهد في عالم الملكوت، **ويصحُّ له** للمشاهد المتخلّق إعلامه أي إعلام ما شاهد في عالم الملكوت ومَن سعى في عالم الشهادة **في فضيلة** الفضيلة بمعنى الفضل.

والفضلُ: ابتداءُ إحسانٍ بلا علّةٍ، والعرب تؤتي بالفضيلة إذا قُصدَ به صفات الكمال من العلم ونحوه للإشعار، بأنّها لازمةٌ دائمة، وتؤتي أيضًا بالفضل إذا قُصدَ به النوافل باعتبار تجددِ الآثار. وقد مرّ بيانُهما.

وخلق حسن يُوجب له أي للساعي **المشيَ في الهواء، فإنه يُفتحُ له بابٌ إلى عالم الأرواح المجرّدة في الملكوت الأعلى** وقيد عالم الأرواح، وتوصيفُ الملكوت بالأعلى ليتميّزَ من مطلق عالم الملكوت الذي هو محلُّ النفوس المجرّدة، ولذلك قال: ومن سعى هنا في فضيلةٍ وخلقٍ أورثه المشيَ على الماء فُتح له بابٌ في الملكوت مُطلقًا، وهو عالم المثال المطلق، الذي هو محلُّ النفوس المجرّدة، وقال ههنا: ومن سعى في فضيلةٍ وخلقٍ يُوجب له المشيَ في الهواء فإنه يُفتح له بابٌ إلى عالم الأرواح في الملكوت الأعلى **فيعرف** السعي المشاهد **عند ذلك الفتح حقائقَ الأسرار** جمع سرٍّ.

والسرُّ: يعني به حصّة كلِّ وجودٍ من الحقِّ بالتوجّه الإيجادي المنبّه عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] [يس: ٨٢] فيكون قولهم: لا يحبُّ الحقَّ إلاّ الحق، ولا يطلبُ الحقَّ إلاّ الحق، إنما أشاروا بذلك إلى السرِّ المصاحب من الحقِّ إلى الخلق على الوجه الذي عرفت، فإنه هو الطالبُ للحقِّ والمحبُّ له، والعالم به، قال ﷺ: «عرفت ربي بربي»[2].

سرّ العلم: يطلق بإزاء حقيقة العالم به.

وسرُّ الحال: يُطلق بإزاء الحال، وهو ما تقعُ به الإشارة من الأشياء التي تكون مصونةً مكنونة بين العبد وبين الحق.

سرّ السر: ما انفرد به الحقُّ عن العبد بحيث لا يكون لغير الله اطلاعٌ عليه.

سر التقديس: هو سر العلو الحقيقي الذي عرفته في باب التنزيه وتقديس الحق عن العلوّيْنِ.

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ١٤: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠].

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٩٧).

والسرّ المصون: يعبّرون به عن غيبِ هوية الذات القدس وإطلاقها [٣٩٨] فإنّ كُنْه الذاتِ تعالى وتقدس يجلُّ عن أن يدخلَ تحت علمٍ، أو يُحاط به، أو أن يدركَ من حيث ذاته أصلاً، فهو السرُّ المصون عن الإدراك والإحاطة. وقد تقدّم بيان الأسرار المذكورة.

وسر العبادات، وسرُّ القدر، وسرُّ الكمال والأكملية، وسرُّ الربوبية، وسرُّ سرّ الربوبية مفصّلاً.

والحقائقُ جمع حقيقة، والحقيقة: مشاهدةُ الربوبية بمعنى أنّه تعالى هو الفاعلُ في كلِّ شيءٍ، والمقيم له، لأن هويّته تعالى قائمةٌ بنفسها، مقيمةٌ لكلِّ شيءٍ سواه.

والحقائق: هي أسماء الشؤون الذاتية عندما تصوّر وتتميّز في الرتبة الثانية، فإنّ جميع الحقائق الإلهية والكونية إنّما تكونُ شؤونًا وأحوالاً ذاتيةً من اعتبارات الواحدية مندرجة فيها في المرتبة الأولى على نحو ما بانت وتصوّرت في المرتبة الثانية، فتُسمى الشؤون في هذه المرتبة بالحقائق.

وحقيقة الحقائق: يعنون به باطن الوحدة، وهو التعيّن الأول الذي هو أولُ رتبِ الذات الأقدس. وقد مرّ تفصيلُ الحقائق[١].

يعني: يعرف الساعي المشاهد عند فتح بابٍ له إلى عالم الأرواح في الملكوت الأعلى حقائقَ الأسرار ويعرفُ أيضًا كيفيةَ الصعود والنزول.

يعني: يَعرفُ كيفية الصعود من عالم الشهادة إلى عالم الملكوت، والنزول من الملكوت إلى الناسوت، والصعود بمعنى العروج، والعروجُ هو من سلوك المقرّبين، وذلك أنَّ كلَّ سالكٍ على طريقٍ غايتُهُ الحق بشرط فوزه منه سبحانه وتعالى لسعادةٍ ما، وأنّ ذلك السالكَ صاحبُ معراجٍ، وسلوكه عروج، والمعراجُ هو منتهى سيرِ المقرّبين الذين سيرُهم عروجُهم.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[٢]: وأمّا الأولياء فلهم إسراءاتٌ روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدةً في صورٍ محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمّنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسراء في الأرض، وفي الهواء، غير أنّهم ليستْ لهم قدمٌ محسوسةٌ في السماء، وبهذا زاد على الجماعة رسولُ الله ﷺ بإسراءِ الجسم، واختراقِ

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٢٤ـ ٤٢٥.

(٢) الفتوحات المكية: ٣/ ٣٤٢ـ ٣٤٤.

السموات والأفلاك حسًّا، وقطع مسافاتٍ حقيقيةً، وذلك كلُّه لورثته معنًى لا حسًّا من السموات فما فوقها. . . فإذا أسرى الحقُّ بالوليِّ في أسمائه الحسنى فبالرؤوف الرحيم يكون رؤوفًا رحيمًا، وبالمؤمن يكون مؤمنًا، وبالمهيمن يكون مهيمنًا ـ أي يشهدُ ولو على نفسه ـ وبالصبور يكون صبورًا، وهكذا. . . ثم لا يزالُ يمرّ على حضرات الأسماء، فإذا فرغَ منها نزل من طورٍ إلى طور حتى يصلَ إلى الأرضِ، فيصبح في أهله، ولا يعرفُ أحدٌ ما طرأ عليه في سرِّه حتّى يتكلمَ هو، فإذا سمعوا منه لسانًا غير اللسان الذي كانوا يعرفونه فيقولون له: من أين لك هذا؟ فيقول: إن الله أَسرى بي، فأراني من آياته ما شاء. فيقول السامعون: ما فقدناك الليلة، فأنت تكذب فيما ادّعيت! ويقول الفقيه فيه: هذا رجلٌ يدّعي النبوة، وقد دخله خللٌ في عقله، فهو إما زنديقٌ، فيجب قتله، وإمّا معتوهٌ فلا خطاب لنا معه. فيسخرُ به قومٌ، ويعتبر فيه آخرون، ويؤمنُ به آخرون، وترجعُ مسألة خلاف في العالم، وغاب عن هؤلاء المنكرين قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣] ولم يخصَّ طائفة.

وقال رضي الله عنه [٣٩٨/ب]: لما أراد اللهُ إسرائي ليريني من آياته في حضرات أسمائه، وهو حظُّ ميراثنا من الإسراء ـ رأيتُ فيما يرى النائم اليقظُ الخفيفُ النوم أنَّ الحقَّ تعالى ـ إزالتي عن مكاني، وعرجَ بي على براقِ إمكاني، فزجَّ بي في أركاني، فلم أر أرضي تصحبني، فقيل لي: أخذه الوالد الأصلي، الذي [خلقه الله] من ترابٍ.

فلمّا فارقتُ ركنَ الماء، فقدتُ بعضي، فقيل لي: إنّك مخلوقٌ من ماءٍ مهين، وإهانتُهُ ذلّته، فلصق بالتراب، فلهذا فارقته، فنقص منّي جزءان.

فلما جئت ركنَ الهواء، تغيّرتْ عليَّ الأهواء، وقال لي الهواء: ما كان فيك منّي فلا يزول عنّي، فلا ينبغي له أن يعدوَ قدره، ولا يمدَّ رجله في غير بساطه، ولي عليك مطالبه بما غيّره منّي تعفينك، فإنّه لولاه ما كنتَ مسنونًا، فإنّي طيّبٌ بذاتي، خبيثٌ بصحبة من جاورني، فلما خبّثتني صحبتُهُ ومجاورته قيل فيه حمأٌ مسنون، فعاد خبثُهُ عليه، فإنّه هو المنعوتُ، وهو الذي غيّرني في مشامِّ أهل الشمِّ من أهل الروائح. فقلت له: ولماذا أتركه عندك؟ قال: حتّى يزولَ عنه هذا الخبث الذي اكتسبَه من عفونتك ومجاورة طينتك ومائك. فتركتُه عنده.

فلمّا وصلتُ إلى ركن النار، قيل لي: قد جاءَ الفخّار. قيل: وقد بعث إليه؟ فقيل: نعم. قيل: ومن معه؟ قيل: جبريل الجبر، فهو مضطرٌ في رحلته ومفارقة بنيّته. فقال: لي عنده

جزءٌ منّي في نشأته، لا أتركُهُ معه، إذ قد وصلَ إلى الحضرةِ التي فيها مُلكي واقتداري ونفوذ تصرّفي.

فنفذتُ إلى سماء الدنيا[1]، وما بقي معي من نشأتي البدنية شيءٌ أُعوّلُ عليه، ولا أنظر إليه، فسلّمتُ على والدي آدم عليه السلام، وسألني عن تُربتي، فقلت له: إنَّ الأرضَ أخذتْ منّي جزءَ، وحينئذٍ خرجتُ عنها، وعن الماء بطينتي. فقال لي: يا ولدي، هكذا جرى لها مع أبيك، فمن طلبَ حقَّه فما تعدّى، ولا سيما وأنت لها مفارق، ولا تعرفُ هل ترجعُ إليها أم لا، فإنّه تعالى يقول: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] ولا يعلمُ أحدٌ ما في مشيئته تعالى إلاّ أن يعلمَه الحقُّ بذلك. فالتفتُّ، فإذا أنا بين يديه، وعن يمينه، فقلت له: هذا أنا. فضحكَ، فقلت له: فأنا بين يديك وعن يمينك؟ قال: نعم، هكذا رأيتُ نفسي بين يدي الحقِّ حين بسطَ يده، فرأيتني [وبنيَّ] في اليد، ورأيتني بين يديه. فقلت له: فما كان في اليد الأخرى المقبوضة؟ قال: العالم.

ثم رحلتُ عن آدم عليه السلام بعدما دعا لي، فنزلتُ بعيسى عليه السلام في السماء الثانية، فوجدتُ عنده ابنَ خالته يحيى عليه السلام، فكانتِ الحياةُ الحيوانية، ولو كان يحيى ابن خالة لكان روحًا، ولمّا كانتِ الحياة [الحيوانية] ملازمةً للروح، وجدتُ يحيى عند روحِ الله عيسى، لأنَّ الروحَ حيٌّ بلا شكٍّ، وما كلُّ حيٍّ روح، فسلّمت عليه، فقلت له: بما زدتَ علينا حتّى سمّاك الله بالروح [المضاف إلى الله]؟ فقال: ألم تر إلى من وهبني لأمّي. ففهمت ما قال، فقال لي: لولا هذا ما أَحييتُ الموتى. فقلت له: فقد رأينا من إحياء الموتى ممّن لم تكنْ نشأته كنشأتك. فقال: ما أحيى الموتى مَنْ أحياهم إلاّ بقدرِ ما ورثه منّي، فلم يقمْ في ذلك مقامي، كما لم أقمْ أنا في مقامِ من وهبني في إحياء الموتى، فإنَّ [الذي وهبني ـ يعني] جبريل ـ ما يطأُ موطئًا إلا حيّي ذلك الموضع بوطأته، وأنا ليس كذلك، بل حظّي أقيم الصورة بالوطْءِ خاصّةً، والروح الكلّ يتولّى أرواح تلك الصور، وما يطؤه الروحُ الذي وهبني هو يعطي الحياةَ في صورةٍ ما أظهر الوطْءُ، ثم رددتُ وجهي إلى يحيى [٣٩٩] وقلتُ له: أُخبرتُ أنّك تذبحُ الموتَ إذا أتى [الله به] يوم القيامة، فيوضع بين الجنة والنار ليراه هؤلاء وهؤلاء، ويعرفون أنّه الموت في صورة كبشٍ أملح؟ قال: نعم، ولا ينبغي ذلك إلاّ لي، فإني

---

(١) في الفتوحات المكية ٢/ ٣٤٥: السماء الأولى.

يحيى وضدي لا يبقى معي، وهي دار الحيوان، فلا بدّ من إزالةِ الموت، فلا مُزيل له سواي، وأطال في ذلك.

ثم قال: ثم عُرج بي إلى يوسفَ عليه السلام، فقلتُ له بعد أن سلّمتُ عليه، وردَّ ورحّب بي وسهّل: يا يوسف، لِمَ لم تُجبْ الداعي حين دعاك، ورسولُ الله ﷺ يقول عن نفسه: «لو ابتُلي بمثل ما ابتُليت به، ودعا لأجاب الداعي، ولم يبق في السجن حتى يأتيه الجواب من الملك بما تقول النسوة»[١]. فقال: بين الذوقِ والفرض ما بين السماء والأرض، كثيرٌ بين أن تفرضَ الأمر أو تذوقه من نفسك، لو نُسب إليه ﷺ ما نسب إليَّ لطلبَ صحّة البراءةَ بغيبته، وأطال في ذلك.

ثم قال[٢]: وانصرفتُ إلى إدريس عليه السلام، فسلّمت عليه، وردّ وسهّل ورحّب، وقال: أهلاً بالوراث المحمدي. فقلت: كيف أُبهمَ الأمرُ عليك كما وصلَ إلينا، فما علمتَ علم الطوفان[٣] لا نشكُّ فيه، والنبيُّ واقفٌ مع ما يُوحى إليه؟ فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] فهذا ممّا أُوحي به إليَّ. قلت له: بلغني عنك أنّك تقولُ بالحرف؟ قال: ولولا الحرف[٤] ما رُفعتُ مكاناً عليًا. فقلت: فأين مكانتُك في مكانك؟ فقال: الظاهرُ عنوانُ الباطن. قلت له: بلغني عنك أنّك ما طلبتَ من قومك إلاّ التوحيد. قال: وما فعلوا، فإنّي كنت نبيًا أدعو إلى كلمة التوحيد، لا إلى التوحيد، فإنَّ التوحيدَ ما أنكره أحدٌ. قلت: هذا غريب، وأطال في ذلك.

ثم قال[٥]: وانصرفتُ، فنزلت بهارون عليه السلام، فوجدتُ يحيى سبقني إليه، فقلت له: ما رأيتُك في طريقي. فقال: لكلِّ شخصٍ طريقٌ لا يسلك عليها إلاّ هو. قلت: فأين [هي هذه] الطرق؟ فقال تحدّث بحدوث السلوك. فسلّمتُ على هارون عليه السلام، فردَّ وسهّل ورحّب، وقال: مرحبًا بالوارث المكمل. قلت له: أنتَ خليفةُ الخليفة مع كونك رسولاً نبيًا.

---

(١) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.
(٢) الفتوحات المكية ٣/ ٣٤٨.
(٣) في الأصل: الطرفين.
(٤) في الفتوحات: بالخرق. فقال: فلولا الخرق.
(٥) الفتوحات: ٣/ ٣٤٩.

فقال: أمّا أنا فنبيٌّ بحكمِ الأصل، وما أخذتُ الرسالة إلاّ بسؤال أخي موسى، فكان يُوحى إليَّ بما كنتُ عليه، وأطال.

ثم قال: ودّعتُه ونزلتُ بموسى عليه السلام، وسلّمت عليه، فردَّ وسهَّل ورحّب، فشكرته على ما صنع في حقّنا مما اتّفق بينه وبين نبيّنا محمدٍ ﷺ في المراجعةِ في حديثِ فرض الصلاة، فقال لي: هذه فائدة علمِ الذوق، فللمباشرة حالٌ لا يُدركُ إلاّ بها، وأطال في ذلك.

ثم قال[1]: ودّعته وانصرفتُ، ونزلتُ بإبراهيم الخليل عليه السلام، فسلّمتُ عليه، فردَّ وسهّل ورحّب، فقلت: يا أبتِ، لم قلتَ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الانبياء: ٦٣] قال: لأنّهم قائلون بكبرياء الحقّ على آلهتهم التي اتّخذوها. قلت: فإشارتُك بقولك: ﴿هَٰذَا﴾ قال: أنت تعلمها؟ قلتُ: إنّي أعلمُ أنّها إشارةُ ابتداء، وخبرُه محذوفٌ يدلُّ عليه قولك: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ إقامةَ الحجّة عليهم منهم. فقال: ما زدتَ على ما كان عليه الأمر. قلتُ: فما قولُك في الأنوار الثلاثة أكان عن اعتقادٍ؟ قال: لا، بل عن تعريفٍ لإقامة الحجّة على القوم، ألا ترى ما قال الحقُّ في ذلك: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الانعام: ٨٣] وما كان اعتقادُ القوم في الإله إلاّ أنّه نمروذ بنُ كنعان [٣٩٩/ب] لم تكنْ تلك الأنوارُ آلهتهم، ولا كان نمروذُ إلهًا لهم عندهم، وإنّما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهةً لا إليه، ولذلك لمّا قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ لم يتجرّأ نمروذُ أن ينسبَ الإحياءَ والإماتة لآلهتهم التي وضعها لهم؛ لئلا يفتضحَ، فقال: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فعدلَ إلى نفسه تنزيهًا لآلهتهم عندهم، حتى لا يتزلزلَ الحاضرون.

ولمّا علمَ إبراهيمُ قصور أفهام الحاضرين عمّا جاء به لو نقله، فطال المجلس، وعدلَ إلى الأقربِ في أفهامهم بذكرِ حديث إتيان الله بالشمس من المشرق، وطلبه أنْ يأتيَ بها من المغرب، فبهتُ الذي كفر، فقلت له: هذا إعجازٌ من الله كونه بُهت فيما له فيه مقال، وإن كان فاسدًا. فقال: وما المقال؟ قلت: يقول ما نفعل الأمر بحكمك ولا نبطل الحكمة لأجلك. فقال: صدقت.

ثم قال رضي الله عنه: رأيتُ البيتُ المعمور، فإذا به قلبي، وإذا بالملائكة التي تدخله كلَّ يومٍ تجلّي الحق تعالى له الذي وسعه في سبعين ألف حجاب من نورٍ وظلمة، فهو يتجلّى فيها

(١) الفتوحات: ٣/ ٣٤٩.

لقلبِ عبده، لو أنّه تعالى كشفَها لأحرقتْ سُبحاتُ وجهه عالمَ الخلق من ذلك العبد.

فلمّا فارقتُه جئتُ سدرةَ المنتهى، فوقفتُ بين فروعها الدُّنيا وفروعها القصوى، وقد غشيها أنوار الأعمال، وصدحتْ في ذرى أفنانها طيورُ أرواح العاملين، وهي على نشأة الإنسان، وعاينتُ هناك متّكأت ورفارف للعارفين، فغشيتني الأنوارُ، حتى صرتُ كلّي نورًا، وخُلع عليَّ خلعة ما رأيتُ مثلَها، فقلت: إلهي، الآياتُ شتات، فأنزلَ عليَّ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] فأعطاني في هذه الآية كلَّ الآيات، وقرّبَ عليَّ الأمرَ، وجعلها لي مفتاحَ كلِّ علمٍ، فعلمتُ أنّي مجموعٌ بمن ذكرَ لي [وكانت لي] بذلك البشرى، بأني محمديُّ المقام، من ورثة جمعية محمد ﷺ، فإنه آخرُ مرسلٍ، وآخرُ من تنزّل إليه، آتاه اللهُ جوامعَ الكلم، وخُصَّ بستٍّ لم يخصَّ بها رسولُ أمة من الأمم، فعمَّ برسالته لعمومِ ستِّ جهاتٍ، فمن أيِّ جهةٍ [جئت] لم تجد إلاّ نور محمد ينفهق عليك، فما أخذ أحدٌ إلاّ منه، ولا خبّر رسولٌ إلاّ عنه، فعندما حصل لي ذلك قلتُ: حسبي حسبي، قد ملأ أركاني، فما وسعني مكاني، وحصّلتُ في هذا الإسراء معاني الأسماء كلّها، ورأيتُها ترجعُ إلى مسمًّى واحدٍ، وعين واحدة، فكان ذلك المُسمّى مشهودي [وتلك العين وجودي]، فما كانت رحلتي إلاّ فيَّ، وما كانت دلالتي إلاّ عليَّ، ومن هنا علمتُ أنّي عبدٌ محضٌ، ما فيَّ من الرُّبوبيةِ شيءٌ أصلاً.

ثم قال[١]: وفتحتُ هذا المنزل وخزائنه، فرأيتُ فيها علمَ أحدية [عبودة] التشريف، ولم أكنْ رأيتُهُ قبلَ ذلك، وإنما كنتُ رأيتُ جمعية العبودية، ورأيتُ علمَ الغيب بعينِ الشهادة، ورأيتُ علمَ القربِ والبعد ممّن وعمّن، ورأيتُ خزائنَ مزيد العلوم وتنزّلها على قلوب العارفين، ورأيت حصره الآيات في السمع والبصر، فإمّا شهودٌ، وإمّا خبر، ورأيت التوريةَ، وعلمتُ [٤٠٠] وجه اختصاصها بكتابة الله لها بيده، ورأيتُ فيها علم من اتَّاد على الله، فقد اعتمد، وهذا هو التوكّل الخامس، وهو قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [٩] ورأيتُ فيها علم تنوّع الأحكام لتنوّع الزمان، ورأيتُ فيها علم الجبرَ، ورأيت فيها علم التلبيس، وأنّ أصله العجلة من الإنسان، ورأيت فيها علمَ منزلة القرآن من العالم، ولمن

---

(١) الفتوحات المكية: ٣/ ٣٥٠.

جاء، وبما جاء، وإلى أين يعود، ورأيتُ فيها علمَ تقابلِ النسختين، ورأيتُ فيها علمَ سبب وجوب العذاب في الآخرة وهو جليٌّ، والعلمُ الخفي إنّما هو في [وجود سبب] عذاب الدنيا، ولا سيما في حقِّ الطفل الرضيع، ورأيتُ فيها علمَ كون الحقِّ مع إرادة عبدهِ لا يخالفه، وهذه الصفة بالعبد أولى، فكما أمرَ اللهُ عبدَه فعصاه، كذلك دعاه عبدُه فلم يُجبه فيما سأل فيه كما أمره، فلم يُعطه، ورأيت فيها علمَ المشيئة، وأنَّ حكمها أقوى من حكم الأمر، ورأيت فيها أنَّ الله هو المعبوُد في كلِّ معبود من خلف حجاب الصُّورة كرهًا على العابدين، ورأيت فيها علمَ نتاج المقدّمتين الفاسدتين علمًا صحيحًا مثل كلِّ إنسانٍ حجر، وكلُّ حجرٍ حيوان، فكلُّ إنسان حيوان، فلم يلزم من فساد المقدّمتين ألاّ تكون النتيجةُ صحيحة، ورأيت فيها علمَ العبث، ورأيت فيها علم سلطنة الأحدية، ورأيتُ فيها علمَ أحوال الناس في البرزخ، وغير ذلك. انتهى[1]

* * *

والحاصلُ يعرف الساعي المشاهد عند فتحِ بابٍ له إلى عالم الأرواح حقائقَ الأسرار، وكيفية الصعود والنزول والاستواء وسر الاستمداد. يعني: ويعرفُ كيفية الاستواء، وسرَّ الاستمداد، والمرادُ من الاستواء وهو ما كان في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٥-٦].

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[2]: إن شيخنا أبا العباس العُريبي كان يقفُ في هذه الآية على ﴿ٱلْعَرْشِ﴾، ثم ابتدأ ﴿ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ أي ثبتَ له، وكلُّ ما سوى الله عرشٌ له علوُّ قدرٍ ومكان في قلوب العارفين، فعلوّه تعالى بهذا التفسير مُطلق، وبقي علوُّ المكان الذي أثبته الإيمان بالخبر الصدق، ودلَّ عليه العلماء بالله من طريق التجلّي الصوري، فهو بكلِّ شيءٍ محيط لاستوائه، ولمّا وصف نفسَه بالنزول كما قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ويقول: هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من داعٍ فأجيب له؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له»[3] كان هذا النزول عينَ الدليل على نسبةِ العلم، لأنه لو وقف مع قوله ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] واكتفى، ولم يصفْ

---

(١) الفتوحات المكية ٣/ ٣٥٣.

(٢) الفتوحات المكية: ٤/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) رواه البخاري (٧٤٩٤) و(١١٤٥) و(٦٣٢١) ومسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء، والموطأ ١/ ٢١٤ (٤٩٦) والترمذي (٣٤٩٨) وأبو داود (١٣١٥).

بنزوله إلى السماء مثلاً ما تحقّق علوٌّ في الاستواء ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] وبالنزولِ ظهرَ الحدُّ والمقدار، فعلمنا بالنزول في أيِّ صورةٍ تجلّى، ولمن نزل وتدلّى، فعمَّ علوُّه وتحقّق دنوّه، فطوبى للداعين والسائلين والمستغفرين. انتهى

والرحمنُ في اصطلاحهم اسم لصورةِ الوجود الإلهي التي هي عبارةٌ عن الجمعية الحاصلة للأسماء الذاتية عند ظهورها بنفسها من بطون وحدة الذات.

والرحمة الأصلية: يعني بها الوجود، فإنّها أصلُ كلِّ رحمةٍ ومنشأُ كلِّ نعمةٍ [٤٠٠/ب] لتبعية كلِّ النعم والهبات له، إذِ المعدومُ لا يُوصف بشيءٍ من ذلك، وقد يعبّرون عن الوجود أيضًا بالرحمة الواسعة وبالسابقة وبالسابغة والامتنانية. وقد مرّ تفصيلُها.

والنفس الرحماني: هو حضرة المعاني، وهو التعيّن الثاني، سُمّي بذلك من جهة أنَّ النفس أمرٌ وجداني كائنٌ في باطن المتنفس منبعث منه إلى ظاهره، حامل لصورِ المعاني الحاصلة عن اختلاف صور بروزه وظهوره بسببِ اختلاف ما يقعُ اعتماده عليه من المراتب التي تُسمّى في الخارج مخارج، وهي المنافذُ والمقارنات من الصدرِ والحلقِ والحَنْجرة واللِّسان والشَّفة والأسنان وغير ذلك من القوابل التي لها مدخلٌ في تقدير المخارج، بحيث يصيرُ النَّفَسُ الواحد متعيّنًا بحروفٍ وكلمات متميّزة مختلفة في صورها، فكذا التعيّن الثاني هو أوّل ما يتميّز وينبعث من الباطن الذي هو التعيّن الأول، فيُسمّى بالنَّفَس الرحماني من أجل ذلك، فإن تعدّدَ الوجود الواحد، واختلافَ صوره إنّما تحصلُ عن اختلاف القوابلِ التي هي الأعيانُ الثابتة، وأحكامها وأحوالها المختلفة، ولأنَّ الأسماء إنّما يحصلُ لها النَّفَسُ من كربِ بطون الغيب بظهورها في حضرة الارتسام والتفصيل والتميز، وما بعد ذلك حتى ظهرَ فعلُ الجواد حينئذٍ، وكذا الكريم والمقسط، والخالق والرازق، وباقي الأسماء، وكان ذلك هو السببُ الذي سُمّي هذا التعين بالنفَس الرحماني كما عرفت، وإنّما يُنسب إلى الرحمن دون غيرِه من باقي أسماء الإله تعالى لما عرفتَ من كون الرحمن اسمًا لصورةِ الوجود الإلهي التي هي عبارة عن الجمعيةِ الحاصلة للأسماء الإلهية عند ظهورها بنفَسِها من بطونِ وحدةِ الذات، فلهذا نُسب النفَسُ الرحمن تعالى وتقدس. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٨٤ وقد تقدم تعريف (الرحمن) ١/ ٥٣، ٦٥.

وقد ظهر من هذا التفصيل أنَّ كيفية استواء الرحمن بلا كيفٍ على العرشِ إنّما هي بكونه مظهرًا لآثار الأسماء الإلهية والحقائق الكونية، يعني: عند فتح الباب إلى عالم الأرواح يعرفُ المشاهدُ حقائقَ الأسرار، وكيفية الصعود والنزول، وكيفية الاستواء كما مرّ، ويعرفُ أيضًا سرَّ الاستمداد.

المدد الوجودي: يعني به وصول ما يحتاج إليه كلّ ما سوى الحقّ عزَّ شأنه من تجدد إمداده تعالى له بالبقاء مع الأنفاس، كما ذكر في باب الخلق الجديد، فكلُّ شخصٍ إنساني أو غير إنساني، روحانيًا كان أو جسمانيًا، فإنه يحتاجُ كلَّ آنٍ جديد إلى تجديدِ المدد الوجودي المرجّح لجانب بقاء ذلك الشخص على فنائه الذي هو مُقتضى عدم ماهيته، فوصول هذا المدد دائمًا مع الأوقاتِ[1] هو الخلقُ الجديد الذي فهمه علماءُ الحقيقة ممّا ورد بلسان الشريعة في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] ومثالُ ذلك في الشاهد ما يشاهدُ من ظهور الترجيح المذكور، والاقتضاء العدمي كصورة تحلل الغذاء مع الأنات، وقيام البدل عمّا يتحلّل مقامه، وكذا في صورة النَّفَسِ عند استنشاق النسيمِ البارد عوضًا عمّا يبرّدُ القلب بالنفَس من دخانية هكذا مع الأنفاس، وكذا في سريان دهنِ السراج في الفتيلة عوضًا عمّا يتحلَّلُ منها، وغير ذلك [٤٠١] من صور الكائنات التي لا تردّد عند العقل في دوام تجديدِ إمدادها، فكما أنَّ الحسَّ يعجزُ هذا عن الإدراك الذي لا يشكّ فيه العقل، فهكذا فإنّ العقل يعجز عن إدراكِ تجدّد وجودِ كلٍّ ما سوى الحقّ ما دام منحجبًا بظُلمة الأكوان عن رؤية نورِ مكوّنها. انتهى من الفرغاني[2].

وقد عرفت أن سرّ الإمداد بالهوية السارية والاستمداد بواسطة الحقيقة المحمدية، ويعرف الساعي المشاهد عند فتحِ الباب إلى عالم الأرواح في الملكوت الأعلى سرَّ **التدبير والتسخير**.

التدبيرُ في الأمر النظرُ إلى ما يؤولُ إليه عاقبتُه، والتدبّرُ التفكّر، وقيل: التدبّرُ عبارةٌ عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريبٌ من التفكر، إلاّ أنَّ التفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّرُ تصرّفه بالنظر في العواقب.

وقال الفرغاني[3] قدس سره: التفكّر: في اصطلاح الطائفة عبارةٌ عن التماس العقلِ

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٢٨٥: مع الأنات. وانظر تتمة الكلام.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢٨٥.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٣٣٦ـ ٣٣٧.

وتفتيشه عمّا يحصلُ به مطلوبه الذي يبغيه، وهو القُربُ من الله عزّ وجل.

وتفكّر العامة: لتحصيلِ ما به يسهلُ عليهم الخلاص من إتيان الشهوات التي زيّنتْ للناس حتّى ملكت رقّهم، فإذا أمكنَ للعبد التجرّد من رقّها بالتحرّرِ عن إتيانها خرجَ من ظُلمة الشهوات إلى أنوارِ المجاهدات، صارَ من أهل القربات لا محالة.

وتفكّر الخاصة: في تحصيل ما يسهّلُ عليهم طريق الحقيقة مثل أنهم لما رأوا أنَّ ما لهم من وجودٍ وحياة وعلمٍ وقدرة وغير ذلك من صفات الكمال إنّما هي حادثةٌ لهم، زائلةٌ عنهم، وأنها لهم في بعض الأوقات أكملُ وأشدّ، وفي بعضها أنقصُ وأضعف، علموا لا محالةَ أنَّ لها مبدأً فياضًا هو منبعُ تلك الكمالات التي لا يصحُّ أن يكونَ لذلك المنبع من غيرِه، لاحتياجِ كماله ذلك من غيره إلى مبدأ فيّاضٍ، والمبدأُ الفياض إنّما يكونُ ذلك من ذاته، فيترقّى صاحبُ هذا التفكّر بمعرفته بنفسه من حيث احتياجها إلى مبدأ يفيضُ عليها وجودها وكمالاتها، إلى معرفةِ بربّه أنه [هو] ذلك المبدأ، فعلموا أنَّ الأمرَ كما ذكر تعالى في قوله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فلهذا كان هذا النوع من التفكّر هو تفكّر الخاصة.

وأما خاصة الخاصة: فقد ارتفعوا عن حضيض التفكر الذي هو طلبُ أمرٍ مقصودٍ إلى أوج التذكّر الذي هو مشاهدةُ الحقّ الموجود. انتهى

وقيل: التذكّر هو في البداية الإيقاظُ بالموعظة، ثم يُستعمل في استحضار ما قد فاتَه من الطاعات في الدنيا، واستقراء ما هو آتٍ من أحوال العقبى، وفي التذكار مبادي خلقته يستحقرُ نفسَه لقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧] وفي الأذكار أنَّ الإمكانَ معدنُ الشر، والوجوبُ مصدرُ الخير، فيجب تبديلُ الرذائل، وفي التذكّر العهد الأول بالعلم والحكم حبًّا للوطن، وفي الشهود الرجوعُ إلى ما كان عليه من الفناء حين كان الله ولم يكن معه شيءٌ، والآن على ما عليه كان[1]، فتدبَّرْ ترشدْ إن شاء الله تعالى.

والتَّسخير: من سخّرها تسخيرًا: كلّفه عملاً بلا أجرة، وكذا السُّخرةُ هو التسخير أيضًا التذليل.

وفي «القاموس» سَخِرَ منه، وبه كفرح سَخْرًا وسَخَرًا وسُخْرةً ومَسْخَرًا وسُخْرًا وسُخُرًا:

---

(١) انظر الحديث صفحة (١/٤٦).

هزىء، كاسْتَسْخَرَ. والاسم السُّخرية والسُّخْري ويكسر وسَخَرَه كمنعه سِخْرِيًّا بالكسر، ويُضمُ كلَّفه ما لا يُريد، وقَهَرَه وسَخَّره تَسْخِيرًا لله وكلّفه عملاً بلا أجر.

وقال الشيخ رضي الله عنه [٤٠١/ب] في كتابه المُسمّى بـ«حوض الحياة»[١] في معرفة تسخير الروحانيات: اعلمْ أنّ في العالم الكبير سبع روحانيات، وتحت يدِ كلِّ روحانية من تلك الروحانيات الستّ سبعُ روحانيات، وتحت يدِ روحانية واحدةٍ عشر روحانيات، مجموعها تسع وخمسون روحانية، وهي رؤساء باقي الروحانيات التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وفي العالم الصغير الإنساني مثلُها، فإذا أجابت لك الروحانيات التي في العالم الصغير، أجابتْ لك الروحانيات التي في العالم الكبير، فحصل لك تسخيرُ روحانيات العالم الكبير.

فالأولى: من تلك الروحانيات موكّلةٌ بتسخير زحل، وعنده غرائبُ العلوم ودقائقها.

والثانية: موكّلة بكرة مريخ لا تطلبُ منه إلاّ قهرَ الأعداء ونصرةَ العساكر.

والثالثة: موكّلة بكرة مشتري، وعنده أدعيات ورقيات مأثورة.

والرابعة: موكّله ببهرام الشمس، واطلب منها ترتيبَ المُلك والجاه، وعلومًا غزيرة.

والخامسة: موكّلة بزهرة، وعنده علومٌ وفضلٌ وأشعار ونغمات.

والسادسة: روحانية كرة عُطارد، وعنده علوم نارنجيات وعلوم كتابة الأشياء.

والسابعة: موكّلة بحيدرة القمر، وهي التي تحتَ يده عشر روحانيات.

وقال رضي الله عنه في الباب السابع في معرفة كيفية الوهم: اعلمْ أنّ في العالمِ الصغير خبرٌ كما في العالم الكبير، وخبرُ العالم الأصغر إثباتُ الرجل في فكره شيئًا، ثم إتيان فعله في الخارج، وذلك الإثبات في كلِّ شيءٍ على العموم حتى مقام وحدانية الباري تعالى وتقدس، وهذا هو مُسمّى الاعتقاد واليقين والظن والوهم والفكر والمخيّلة والخيال، كتسمية شيءٍ واحدٍ بألفاظٍ كثيرة، فالضفدع بالوهم يصير طيرًا، والبيضةُ تصير طائرًا، واستجابة الدعوات وتأثير الرقيات، والطلّسمات، والأسماء، والسحر، والكهانة، والولاية من الوهم، وذلك

---

(١) كتاب حوض الحياة أو مرآة المعاني في إدراك العالم الإنساني، أو بحر الحياة، أو طب الإنسان في نفسه. هو في السحر على طريقة البوغا لأحد السحرة الهنود، ويذهب ما سينيون إلى أنه ألّف بالهندي، وتُرجم إلى العربية مع شرح وإيضاح. وترجمه إلى التركية مؤلف كتابنا هذا. انظر الشيخ الأكبر الرياض المالح ٢٣٨.

الوهمُ هو سرُّ عملِ القلب، فإذا صحَّ لك سرُّ الوهم تجدُ ما تريد. انتهى

والحاصلُ من فُتح له بابٌ إلى عالم الأرواح في الملكوت الأعلى يعرفُ سرَّ التدبير والتسخير.

ويعرف أيضًا من أين صدرتِ التكاليف وما حضرتها أي حضرة التكاليف.

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: قال ﷺ على نفسه على طريق التمدّحِ لكونه جاءَ بحرفِ الغاية، وهو (حتى) فذكر أنّه أُسري به حتّى ظهرَ لمستوى يسمعُ فيه صريفَ الأقلام، وهو قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] والضميرُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعود على محمّدٍ ﷺ، فإنه أُسري به، فرأى الآياتِ، وسمع صريف الأقلام وهي تجري بما يُحدثُ الله في العالم من الأحكام، وهذه الأقلامُ رتبتُها دون رتبة القلم الأعلى، ودون اللوح المحفوظ، فإنَّ الذي كتبه القلمُ الأعلى لا يتبدَّل، ويُسمّى اللوح بالمحفوظ من المحو، فلا يُمحى ما كتبه فيه، وهذه الأقلام تكتبُ دائمًا في ألواح المحو والإثبات، وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] ومن هذه الألواح نزلتِ الشرائعُ، وهي التكاليفُ والصُّحف والكُتب على الرّسل عليهم الصلاة والسلام، ولهذا يدخلُ في الشرائع النسخُ، بل يدخلُ في الشرع الواحد النسخُ في الحكم الذي هو عبارةٌ عن انتهاء مدة الحكم لا على [٤٠٢] البدءِ، فإن ذلك يستحيلُ على الله تعالى.

وإلى هنا كان يتردَّدُ ﷺ في شان الصلوات الخمسين بين موسى وبين ربّه عز وجل إلى هذا الحدِّ كان منتهاه، فيمحو الله عن أُمّة محمدٍ ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح، إلى أن أثبتَ منها هذه الخمسةَ، وأثبت لمصلّيها أجر الخمسين، وأوحى الله إليه ألاّ يبدل القول لديه، فما رجعَ بعد ذلك من موسى في شأن هذا الأمر شيء.

ومن هذه الكتابة ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]، ومن هذه الألواح وصفَ تعالى نفسَه بأنه يتردَّدُ في [نفسه] قبضِهِ نسمةَ المؤمن بالموت، وهو قد قضى عليه، ومن هذه الحقيقة التي كنّى عنها بالتردّد الإلهي يكون سريانُها في التردّد الكوني في الأمور والحيرة فيها، وذلك أنّه إذا وجدَ الإنسانُ نفسَه تتردَّدُ في فعلٍ ما، هل يفعله أم لا، وما تزالُ على تلك الحال حتّى [يكون أحدُ الأمور التي تردّدت فيها فيكون] ويقع في إحدى الأمورِ التي تردَّد فيها

---

(١) الفتوحات المكية: ٣/ ٦١.

وزال التردد، فذلك الأمرُ الواقعُ هو الذي ثبتَ في اللّوح من تلك الأمور المتردّد فيها، وذلك أن القلمَ الكاتب في لوحِ المحو يكتبُ أمرًا ما، وهو زمانُ الخاطر الذي يخطرُ للعبد فيه فعل ذلك الأمر، ثم تمحى تلك الكتابة، فيزول الخاطرُ من ذلك الشخص، لأنّه [ما] ثم رقيقة من هذا اللوح تمتدُّ إلى نفس هذا الشخص في عالم الغيب، فإنَّ الرقائقَ إلى النفوس من هذه الألواح تحدثُ بحُدوث الكتابة، وتنقطعُ بمحوها، فإذا أبصرَ القلمُ موضعَها من اللوح ممحوًّا، كتبَ غيرَها ممّا يتعلّق بذلك الأمر من الفعل أو الترك، فيمتدّ من تلك الكتابة رقيقة إلى نفس ذلك الشخص الذي كتبَ هذا من أجله، فيخطرُ لذلك الشخصِ ذلك الخاطرُ الذي هو نقيضُ الأول، فإن أرادَ الحقُّ إثباته لم يمحُهُ، فإذا ثبتَ بقيتْ رقيقةٌ متعلّقة بقلب هذا الشخص، وثبتت ليفعل ذلك الشخص ذلك الأمر أو يتركه بحسب ما ثبتُ في اللوح... وأطال في ذلك.

ثم قال[1]: وعددُ هذه الأقلام التي تكتبُ في الليل والنهار ثلاثُ مئة قلم وستون قلمًا، على عدد درجِ الفلك، فكلُّ قلمٍ له من الله علمٌ خاص ليس لغيره، ومن ذلك القلمُ ينزلُ العلم إلى درجةٍ معينة من درجات الفلك، فإذا نزلَ من تلك الدرجة، أخذَ ذلك القلمُ من العلم المودوع فيها بقدرِ ما تُعطيه قوّةُ روحانية ذلك الكوكب النازل بالعلم.

ثم قال: وأمّا القلمُ الأعلى، فأثبتَ في لوحه كلَّ شيءٍ، يجري من هذه الأقلام من محوٍ وإثبات، ففي اللوح المحفوظ إثباتُ المحو في هذه الألواح، وإثباتُ الإثبات، ومحوُ الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء أمرٍ آخر، فهو لوحٌ تقدّس عن المحو.

وقال[2] في إسراء النبيِّ ﷺ والرفرفُ يمشي به إلى أن ظهر لمستوًى سمع فيه صريفَ الأقلام. والأقلامُ في الألواح بما يكتبُ اللهُ بها بما يُجريه في خلقه، وما تنسخه الملائكة من أعمال عبادِه، وكلُّ قلمِ ملك، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] ثم زُجَّ به في النور زجَّةً، فأفرده المَلَكُ الذي كان معه، وتأخر عنه، فلم يره، فاستوحش لمّا لم يرَهُ معه، وبقي لا يدري ما يصنعُ، وأخذه هيمانٌ مثلُ السكران في ذلك النور، وأصابَه الوجدُ، فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال، واستفزعَهُ الحالُ، وكان سببُهُ [سماع] إيقاعَ تلك

---

(١) الفتوحات المكية: ٣/ ٣٤٢.

(٢) الفتوحات المكية: ٣/ ٦٢.

الأقلام وصريفها في الألواح، فأعطتْ [٤٠٢/ب] من النغمات المستلذة ما أدَّاهُ إلى ما ذكرناه من سريان الحال فيه، وحكمه عليه، فتقوّى بذلك الحال، وأعطاه اللهُ في نفسه علمًا لم يكنْ يعلمه قبل ذلك عن وحيٍ من حيث لا يدري وجهته. انتهى

وقد عرفتَ من هذا التفصيل من أين صدرتِ الشرائع والتكاليف، وما حضرتها، أي: مرتبتُها. ومرتبة درجات الفلك إنّما هي ما بين البروج الاثني عشر؛ لأنّ ما بين كلِّ برجٍ ثلاثون درجة، فمن ضرب الاثني عشر إلى الثلاثين يحصلُ ثلاثمئة وستون، ومقامُ البروج إنّما هو تحت العرش في فضاء الكرسي الذي هو محلُّ القدمين، أي الأمر والنهي، وهما أصلُ الشرائع والتكاليف، ولذلك قال رضي الله عنه عند فتح الباب إلى عالم الأرواح في الملكوت الأعلى يعرفُ المشاهد عند ذلك حقائق الأسرار، وكيفية الصعود والنزول، والاستواء، وسرّ الاستمداد والتدبير والتسخير، ومن أين صدرتِ التكليفُ وما حضرتها، ويقف المشاهدُ عند ذلك على عين الاستواء من جهة المستوي عليه أي العرش لا من جهة المستوي الذي هو الرحمن، ولا يتجاوزُ صاحبُ هذا المقام الكرسيَّ أصلاً أي بالكلّية والعرشُ لصاحب القلب الآتي بعد هذا في تفصيلِ الفلك القلبي إن شاء اللهُ تعالى. فإن نَقَصَهُ أي صاحب القَدَم الذي مقامُه الكرسي شيء فاعلُ (نقص) من هذه الأسرار التي ذكرناها من كيفية الصعود والنزول والاستواء وأخواتها فليرجع صاحب القدم إلى المبدأ الأول أي إلى سعيه في عالمِ الشهادة على الماء، وينحدر من الماء إلى الصفة التي أوجبتْ له ذلك كمن تقدّم على حدٍّ واحدٍ، فإذا أحكم صفةَ تخلّقه أُحكمَ له مقامٌ في عالم الأرواح في الملكوت الأعلى.

فتبيّن يا بُني هنا سرٌّ نرمزه أي نشيره وهو أي ذلك السر عندنا وعند أصحابنا عسيرُ المنال يعني إصابتُهُ ليس بيسير وذلك بيان عسرته وهو سؤال كيف يتوجّه ألاّ يحكم له لصاحب القدم مقام في العالم العلوي ما لم يحكم هنا أي في العالم الشهادة تخلّقه بالصفة الموصلة إليه أي إلى المقام في العالم العلوي، وهل إذا نظرتَ ينبعث منها أي إذا نظرتَ بعين اليقين لا ينبعث من الصفة الموصلة إلى المقام عامل بعمل ما أو بتخلّق[1] ما إلاّ بمادة الصفة الروحانية التي يرتقي إليها أي إلى تلك الصفة الروحانية بعد التخلّق في عالم الغيب متعلّق بيرتقي فإذا كان لأمرُ هذا المذكور كيف يردّ صاحبُ القدم الناقص إلى عالم الشهادة لإحكام ما لم يحكم،

---

١) في المطبوع من المواقع (٢١٩): بعمل ما، أو تتخلّق بخلقٍ ما.

والحال هو أي صاحب القدم لا يتحرّك إلاّ بحسب تحريك الروح المطلوب له أي لصاحب القدم فنقول في جواب السؤال عند ذلك الفيض أي فيض مادةِ الصفة الروحانية من ذلك العالم أي عالم الغيب ابتداءً ليس بواجبٍ عليه أعني على المفيض أن يمنحَهُ أي يُعطيه أسرارَ التخلّق على التتميم بتلك الصفة التي أفاضها عليه أي على الموصوف وإنّما هو أي ذلك الفيض على قدر ما أراد الواهب أن يهبه[1] [٤٠٣] أي الموصوف عليها على تلك الصفة في عالم الشهادة وما منها أي من الصفات صفة واحدة إلاّ ولها أي لتلك الصفة الواحدة مراتبُ جمع مَرتبةٍ فلو كانتِ المرتبةُ متّحدةً لنالها أي تلك الصفة في أولِ حالٍ، فوقع التفصيل بعد المراتب[2] فرضًا فإن شاء الواهب أن يهبه أسرارَ التخلّق بكلِّ مرتبةٍ تحويها أي تجمع تلك المراتب تلك الصفة الملكية حصل جوابِ شرط هنالك أي في عالم الغيب على الكمال، وإن لم يشأِ الواهبُ أن يهبَه أسرارَ التخلّق بكلِّ مرتبةٍ تحويها تلك الصفة الروحانية فمن الذي يُوجبها أي تلك الصفة مع أسرار التخلّق بكلِّ مرتبةٍ تحويها عليه والضميرُ عائدٌ إلى من.

والحال قد رأينا من أهل هذه الطريقة عالمًا كثيرًا ممّن مشى على الماء والهواء، وطُويت له الأرض خبرًا وعيانًا رأيَ العين ثم ردَّ ذلك الماشي على الماء والهواء إلى إحكام أي إنقاذ ما بقي له في تلك الصفة والحال هنا في ذلك المقام محلّ الآفات أي أعراض مفسدة ذلك المقام فمنهم أي بعض أهل المقام من تممَّ الإحكام أي إحكام ما بقي في تلك الصفة فرجع عن ذلك المقام، ولا يقدر على المشي على الماء ولا على الهواء، ولا طُويت له الأرض ومنهم أي بعض أهل هذا المقام من طالَ عليه الطلَفُ[3] أي العطاء والهبة.

وفي «القاموس». الطَّلْفُ وتحرّك الهدرُ، والطَّلَفُ محرّكةً العطاء والهَيِّنُ من الشيء، والفاضلُ عن الشيء.

وفي «الصحاح»: الطَّلْفُ بسكون اللام وبفتحتين بمعنى الهدر والضائع، وبمعنى العطاء والهبة.

فنبُذَها أي ألقي تلك الهبة والعطية، فنُبِذَ على البناء للمفعول وأُلحقَ بالأخسرين أعمالاً

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢١٩): على قدر ما يريد الواهب أن يهبه من أسرار تلك الصفة.
(٢) في المطبوع من المواقع (٢٢٠): فوقع التفضيل بعدد المراتب.
(٣) في المطبوع من المواقع (٢٢٠): من طال عليه الطريق.

يعني من أهل هذا المقام من طالَ عليه تلك العطاءُ والهبة، ثم تركَ تلك الصفةَ الروحانية المنبعثة تلك العطية، فتُرِك هو وأُلحقَ أي أدخل بالأخسرين أعمالاً فهذا محلُّ الآفات، نسألُ الله تعالى العصمةَ أي الحفظ من الخسران. خسرَ في البيع بالكسر خسرًا وخسرانًا، وخسرَ الشيء نقصَه، وأخسره مثله قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣] قال الأخفش: واحدُهم الأخسر، مثلُ الأكبر، والتخسيرُ الإهلاك، والخسار والخسارة الضلال والهلاك.

فإن قلتَ يا بُنيّ: فهذا الذي ذكرتَه بالخسران هو المُستدرج على البناء للمفعول، والاستدراجُ هو يُعطيَ اللهُ العبدَ كلَّ ما يُريده في الدنيا، ليزدادَ غيُّه وضلالُه وجهلُه وعناؤه، فيزداد كلَّ يومٍ بُعدًا من الله تعالى هل يتّصف المستدرج بهذه المقامات المذكورة في الأعضاء السبعة أم لا؟

فأقول: لا سبيلَ للمُستدرج إلى ذلك المذكور من المقامات لكنه أي المستدرج يمَشي على الماء، والهواء وتُذوى أتجمع وتُطوى له الأرض والحال ذلك المشي على الماء والهواء وطيّ الأرض ليس عند اللهَ تعالى بمكانٍ أي بمقامٍ، لأن المكانَ يُسمّى مقامًا إذا اعتبر بقيامه. وقد مرّ تفصيلُه.

لأنّها أي المشي على الماء والهواء، وطيّ الأرض ليستْ عنده أي عند المُستدرج هذه المرتبة نتائج مقدمات أفاضل [٤٠٣/ب] جمع أفضل، يعني المرتبة الحاصلة للمستدرج من الخوارق للعادات ليست نتائج مقدمات الأعمال الصالحة وإنّما هي المرتبة نتائج مقدمات مذمومة [قامت به] أي الأفعال الذميمة أرادَ الحقُّ سبحانه وتعالى أن يَمكرَ به أي بالمُستدرج. والمكرُ هو إردافُ النِّعمِ مع المخالفةِ، وإبقاءُ الحال مع سوء الأدب، وإظهارُ الآيات والكرامات من غير أمرٍ ولا حد.

وقال في «الفتوحات»[1] وهي عندنا خرقُ عوائدَ لا كرامات، إلاّ أنْ يُقصدَ بها المتحدّث لنعم، ولكن يمنع العارفون عن مثل هذا. انتهى

يعني: أراد الحق سبحانه أن يَمكرَ بالمستدرج في ذلك الفعل الخارق للعادة أي المخالف عادة وجعله أي جعل الحقُّ سبحانه ذلكَ الخارقَ للعادة فتنةً عليه أي على المُستدرج.

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣١.

والفتنة: الاختبار والامتحان، وقيل: الفتنة هي ما يتبيّن بها حال الإنسان من الخير والشر. والفتنة أيضًا الشرك لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. والإضلال ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]. والقتل: ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]. والصدّ: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. والضلالة: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٤١]. والقضاء: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. والإثم: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩]. والمرض: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة: ١٢٦]. والعِبرة: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [يونس: ٨٥]. والعفو: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]. والاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣]. والعذاب: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. والإحراق: ﴿هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]. والجنون: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]. وقيل في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]: إن المراد النفي عن البلد. انتهى من «الكليات»[1].

وتخيل له للمستدرج **إنّما أوصله إليها** أي إلى ذلك المرتبة من الخارق للعادة **ذلك الفعل الذي هو معصيةٌ شرعًا، وأنه** أي المستدرج **لولا ما وقف على حقيقة ما اتفق له** أي المستدرج **هذا** أي الخارقِ للعادة، يعني: لعلّه وقف على حقيقة ما اتّفق له هذا الخارق للعادة، **وهي الفتنةُ عليه لا الكرامة.**

والحال **قد غفل** المستدرج المسكين **عن موازنته لنفسه بالشريعة** ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] نسأل الله ألاّ يجعلّنا ممّن زُين له سوء عمله، فرآه ذلك العمل السوء **حسنًا، فيستمر على ذلك الفعل السوء.** والسَّوء بالفتح غلبَ في أن يُضاف إليه ما يُرادُ ذمّه، وبالضّم جرى مَجرى الشَّرّ.

وأما أن يتّصفَ المستدرج **بالصفة التي أَوجبت له ذلك** الخارق للعادة **ويصل إلى المقاماتِ الإلهية التي أشَرنا إليها آنفًا** من معرفة حقائق الأسرار، وكيفية الصعود والنزول، والاستواء، وسر الاستمداد والتدبير والتسخير، وغير ذلك **فلا سبيلَ** للمُستدرج **لأنّها** أي تلك المقامات الإلهية **حقائقُ الوراثة النبوية.**

وفي بعض النسخ: (رقائق الوراثة النبوية) جمع رقيقة، يعنون بها الواسطة اللطيفة الرابطة بين شيئين، والرقائق هي علوم السُّلوك، وتُسمّى أيضًا بالطريقة، وبعلوم الطريقة، سُمّيت

(١) الكليات: ٣/٣٤٧_٣٤٨.

بالرقائق من جهة أنّها تُرقّق كثافةَ العبد، فيرتقي بذلك إلى رتبة أهل الصفاء، ولهذا، فإنَّ [٤٠٤] من لم يبقَ فيه شيءٌ من كدورات النفس وكثافةِ الحسِّ، اتّصفتْ جسمانيته بأوصاف روحانيته، كما ذُكر في ثمرة الفناء، بحيث إنّه يتمكّن من الطيران في الهواء، والمشي على الماء، والمكث في النار، بلا سقوطٍ ولا غرقٍ ولا احتراقٍ، لكونه قد ترقّى من حضيض الانفعال إلى أوجِ الفعل الذي من شأنِهِ ذلك. من الفرغاني(١).

فلا تثمرُ تلك المقاماتُ أو الرقائق إلاّ الاستقامةَ أصلاً بالكلّية.

الاستقامةُ هي روح تحيا به الأعمالُ، وتزكو به الأحوال، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [فصلت: ٣٠] فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ هو من جوامع الكلم، فإنه جمعَ الائتمار بجميعِ الأوامر، والانزجار عن جميع النواهي. وقد مرّ تفصيلُ استقامة العامة، والخاصة، وخاصة الخاصة(٢).

فإنه ضرورة أن من وقف على وجه الدليل أن المدلول حاصل عنده يعني من وقف على وجه الدليل فالمدلول حاصل عنده ضرورة.

والضرورةُ: مشتقّة من الضرر، وهو النازل ممّا لا مدفَع له.

والضرورية المطلقة: هي التي يحكمُ فيها بضرورة ثبوت المحمول للموضوع، أو بضرورة سلبه عنه ما دام ذات الموضوع موجودًا.

أمّا التي حكم فيها بضرورة الثبوت فضروريةٌ موجبةٌ كقولنا: كلُّ إنسانٍ حيوان بالضرورة، فإنّ الحكمَ فيها بضرورة ثبوت الحيوان للإنسان في جميع أوقات وجوده.

وأمّا التي حُكم فيها بضرورة السلب، فضرورية سالبةٌ كقولنا: لا شيءَ من الإنسان بحجرٍ بالضرورة، فالحكمُ فيها بضرورةِ سلب الحجر عن الإنسان في جميع أوقات وجوده، يعني جود الاستقامة دليلٌ على حصول المقامات له، وعدمُ الاستقامةِ دليلٌ على عدم حصول قامات الإلهية له.

ألا ترى أن أبا سُليمان الدّارانيَّ قدّس اللهُ روحَه يقول: لو وصلوا ما رجعوا. يعني لو

---

(١) لطائف الإعلام: ١/ ٤٩٥.

(٢) انظر الصفحة (١/ ١٢٦ و٢/ ٣٧٢).

وَصلوا إلى المقاماتِ الإلهية ما رجعوا عنها بعدم الاستقامة، بل وقفوا على الاستقامةِ، ومن لم يستقمْ ما وصلَ إلى المقامات الإلهية وهو أي قوله صحيحٌ، وهو أي أبو سليمان الداراني من ساداتِ القوم وأئمّتهم المُقتدي بهم.

فإن قلت يا بُني ـ وفّقكَ الله ـ: فصفْ لي ما هذه الصفات التي تجعل المتخلّق بها والمتّصف بأحكامها يقفُ المتخلّق والمتّصف على حقائق هذه المقامات الإلهية المذكورة آنفًا؟ فلتعلمْ أي اعلم يا بني أنَّ طيَّ الأرضِ لأصحاب المجاهدات الخارقين سفينة جسومهم بالاجتهاد والكدِّ في المعاملات الكدُّ: الشدّةُ في العلم وطلب الكسب، وبابه ردّ، وكدّه أتعبه، فهو لازمٌ ومتعدٍّ وبيان ذلك المذكور من الصفات التي تجعلُ المتخلّق بها والمتّصف بأحكامها يقفُ على حقائق هذه المقامات أنَّ الله تعالى العليم الحكيم أودعَ الحكمَ في المناسبة وعليها أي على المناسبة قامَ عمادُ هذا الكتاب الموسوم بـ: «مواقع النجوم» فلا يُظهرُ مقامًا من المقامات إلاّ أن تكونَ بينه بين المقام وبين الصفة التي تؤدّيك إليه أي إلى المقام مناسبةٌ كالعين مثلاً، إذا وقفتَ عندما حدَّ لها اللهُ سبحانه، واتّصفت العين بما فرضَ اللهُ عليها وندب إليها وبادرتْ أي أسرعت العين بذلك الفرض والندب كله على أتمِّ وجوهه كما مر تفصيله في الفلك العيني فثوابها[٤٠٤/ب] أي ثواب العين المشاهدة.

والثوابُ هو عبارةٌ عن المنفعة الخالصة المقرونة بالتعظيم، والجزاءُ والثواب يتعلّق بصحّة العزيمة، والجزاء يتعلّق بالرُّكن والشرط والثواب والعقاب على استعمالِ الفعل المخلوقِ لا أصلَ الخلق، ويعاقب عليه بصرف الاستطاعة التي تصلحُ للطاعة إلى المعصية لا على إحداث الطاعة، والثواب الذي يُعطي أجرًا لا يُتصور بدون العمل، بخلاف مُطلق الثواب والإثابة إعطاؤه. والمشاهدةُ تُطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتُطلق بإزاءِ رؤيةِ الحقِّ في الأشياء، وذلك هو الوجهُ الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كلِّ شيءٍ، وتطلقُ بإزاء حقيقةِ اليقين من غير شكٍّ. وقد مرَّ تفصيلها.

فإن أعطيتَ بدلَ المشاهدة المناجاةَ تنعّمتِ النفسُ من جهة السمع لا من جهة البصر، ويبقى البصرُ غيرَ متنعّمٍ بشيءٍ، إذ حقيقته أي حقيقة البصر النظرُ، ولا يعرفُ البصرُ المناجاة و[لا] الكلام على ما هو عليه البصر والثواب عند العالم الحكيم مطابقٌ للمثاب مجانسٌ له، لأنه العليمُ الحكيم يضعُ الأشياء مواضعها، فلا يجعلُ المشاهدةَ ثوابَ السمع، ولا يجعل المناجاةَ ثوابَ البصر، فإن حقائقهما تأبى ذلك أي تمتنعُ.

يعني: حقيقة البصر إنّما هي النظرُ، فيمتنع أن يكون ثوابُه المناجاة، وحقيقة السمع إنما هي المناجاة، فيمتنع أن يكونَ ثوابُه المشاهدة.

وإن جوّزنا عقلاً أن يسمع البصر، فليس هو أي البصر إذْ ذاك أي إذ يسمع على التحقيق بصرًا، وإنما هو عندما يسمع سمع والحال إنّما هو أي البصر بصر من حيث الرؤية والمشاهدة، وإن كانت ذات الإدراك واحدةً فعند سماعه يتّصف بصفة السمع، وعند رؤيته يتّصف بصفة البصر كما قال بعضُهم: يسمعُ بما به يُبصر ويبصر بما به يتكلّم، لكن كما ذكرناه أنَّ النتيجة تتولّد من المقدّمتين فلا بدّ أن تكون المقدمتان تتضمّنُ النتيجة، وحينئذ تصحُّ تلك النتيجة عن تلك المقدمتين، كمن يُريدُ أن يعلمَ مثلاً أن النَّبيذَ حرامٌ، فيقول: كلُّ مُسكرٍ حرام، هذه مقدمةٌ، والنبيذُ مسكر هذه المقدمةُ الأُخرى، وبازدواجهما على الشرط المخصوص، والوجه المخصوص أنتجتا أي تلك المقدمتان أنَّ النبيذَ حرامٌ، والإسكار مذكور في المقدمتين غيرَ أنَّ الحرامَ فيهما ليس بمحمولٍ على النبيذ، وإنما ظهرَ حكمُهُ أي حكم الرامي في النتيجة، وهكذا الأمر في جميع المعلومات عند المحققين، لأنّ العلومَ في نفسها على هذه الحالة أي كلُّ علمٍ ينتجُ من مقدّمتين وإنّما أي الشيء الذي يعسر العلم بها أي بالحالة المذكورة وهو ذلك الشيءُ عزيز أي قليل نادر فعلمُ المناسبة علمٌ شريفٌ عال لا يعلمه إلاّ الراسخون في العلم، والعين أي في علم اليقين، وعين اليقين، فعلم اليقين ما حصل عن الدليل، وعين اليقين ما حصل عن مشاهدةٍ وكشف.

فإذا تقرّرَ هذا المذكور من المناسبة فأيّةُ فائدة تكون للعين إذا لم تلتذَّ العين بالمشاهدة؟ وارجع وتثبّتْ بهذا التقرير كلّه أن طيّ الأرض للعبد في العالم الكبير إنّما هو نتيجةٌ عن طيِّ العبد أرض جسمه بالمجاهدات وأصناف أي أنواع العبادات في إقامته على الطوى الليال ذواتِ العدد. والطّوى الجوع، وبابه صدى، فهو طاوٍ، وطيّان[1] يعني بأنواع العبادات في 'امته [٤٠٥] على الجوع الليالي ذوات العدد ظرف للإقامة وهكذا جربناه ودلّ عليه العلم، تصلت لنا معرفتان ذوقية تمييز أي معرفة ذوقية وهي أي المعرفة الذوقية علومُ الأحوال، ي أي علوم الأحوال مشاهدةُ الطيِّ خاصةٌ ضد عامة، وانتصابُها على المفعول المطلق، جوز أن يكون حالاً بمعنى مخصوصًا نحو اتخذته سمعًا ويشارك فيه أي في الطب كلٌّ من

رجل طيّان: لم يأكل شيئًا. القاموس.

طُويت له الأرض غير أنَّ الفضل إنما يقع بيننا فيما ذكرناه من معرفةِ السبب المولّد له، إذْ لصاحب هذا المقام أعمالٌ كثيرةٌ خلاف هذا، ولكنه لا يدري أيَّ عملٍ منها أنتجَ له طيَّ الأرض، فالحمدُ لله على ما ألهم، وأن علّمنا ما لم نكنْ نعلم، وكان فضلُ الله علينا عظيمًا.

فصل: كما أنَّ المشي على الماء لمن أطعمَ الطعام، وكسا العراة جمع العاري عن اللباس إمّا من ماله، أو بالسعي عليهم، أو عَلّم جاهلاً، أو أرشد طالبًا لأنَّ هاتين الصفتين أحدهما إطعام الطعام وكساء العراة، وثانيهما التعليم وإرشاد سرّ الحياتين الحسّية في الإطعام والكساء والعلمية أي سرّ الحياة العلمية في التعليم والإرشاد وبينهما أي بين هاتين الصفتين وبين الماءِ مناسبةٌ بيّنة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فمن أحكمهما أي أتقن هاتين الصفتين المذكورتين فقد حصل الماءَ تحت حكمه، إن شاءَ مشى عليه، وإن شاء زهدَ فيه أي أعرضَ عن المشي على الماء على حسب الوقت، وكذلك إحياء الموتى بالجهل بالحياة العلمية، ولست أقطعُ بهذه الكرامات، ولا بدَّ وإنما القولُ إن حصلت هذه الكرامات فهذه أسبابها أي أسباب الكرامات ومن ههنا مأخذُها ومنشأها، وإن لم يحصل فليس حظُّ العارف فيها في هذه الكرامات وإنّما حظُّه في منازلها أي المنازل الكرامات وسرائرها السر الذي يُكتم، والجمع أسرار، والسريرة مثلُه، وجمعها سرائر.

فصل: كما أنَّ الذي يمشي في الهواء لم يصحَّ له المشيُ في الهواء حتى تركَ هواه الذي هو عبارةٌ عن ميلِ النفس إلى مقتضيات الطبع، وإعراضها عن أحكام الشرع فيكون إذ ذاك أي عند ترك هواه مرادًا لا مُريدًا، ولهذا قيل لبعضهم وقد رئي أنه يمشي في الهواء ما بين السماء والأرض: بم نلتَ هذه الكرامة؟ فقال رضي الله عنه: تركتُ هواي أي ميلَ النفس إلى مقتضيات الطبع وإعراضها عن أحكام الشرع بهواه تبارك وتعالى يعني بمحبّته تعالى. فسخّر الله لي هواءه أي ما بين السماء والأرض. وفي روايةٍ: فاقعدني هواءه.

والعلم والحكمة إنّما هي معرفةُ المناسبات بين الأشياء قضاءً عقليًا، وقضاء إلهيًا حكميًا، ومن قال: إنّ الله تعالى يفعلُ خلاف هذا المذكور من المناسبات بين الأشياء فليس عنده أي عند ذلك القائل معرفةٌ بمواقع الحكم، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] يعني أيام الصوم، ولم يقل اشهدوا، ولا اسمعوا، وإنّما جوّزوا من حيث عملوا،

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

وقال: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

وقوله سبحانه [٤٠٥/ب]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] ثم قال في الجزاء ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]. ثم تمّمَ بقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] لمّا قال المنافقون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] انظر إلى هذه المناسبات بين الآيات، وتفطّنْ ما قلناه.

ورئي بعضُ المشايخ[1] في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال رضي الله عنه: رحمني، وقال لي: كُلْ يا من لم يأكل، واشربْ يا من لم يشرب. فيا ليت شعري في هذا المخالف لنا[2] لِمَ لمْ يقل له: كلْ يا من قطع الليل تلاوةً، واشربْ يا من ثبتَ يوم الزحف، هذا ما لا تعطيه الحكمة، واللهُ العليم الحكيم مرتّبُ الأشياء مراتبها، وما أتى على أحدٍ إلاّ من قلّة معرفته بالترتيب، فلو صحَّ الترتيبُ ما أُتي عليهُ. يُقال: أتى الأمرَ: فعله، وأتى عليه الدهر: أهلكه، فقوله: ما أتى على أحدٍ، وما أُتيَ عليه على البناء للمفعول، يعني: ما أهلك ذلك الخلافُ أحدًا إلاّ من قلّة معرفته بالترتيب، فلو صحَّ له الترتيبُ ما أهلكه الخلاف وكلُّ ما ذكرناه من الترتيب والمناسبات بين الأشياء من أصحاب المقامات هم سادات أَبرار، أتقياء، أخيار وهم رجالُ الله وأولياؤه تعالى وسراة الوقت وبدلاؤه. السرُّ ويجيء بمعنى السخاء في مروءة، وسراة كلِّ شيء ظهره ووسطه. وفي «القاموس»: السَّراةُ أعلى كلِّ شيء، والسراة جمع سرى.

والبدلاء: هم سبعةُ أشخاص، ومن سافر منهم عن موضعٍ تركَ جسدًا على صورة حتى لا يعرفُ أحدٌ أنّه فُقد. وقد مرّ تفصيلُها.

وأمّا الكبريتُ الأحمر والإكسير الأكبر الإكسير: بالكسر الكيمياء، وهي صنعةُ قَلْبِ صفةِ حاس إلى صفةِ الذهب، والمرادُ ههنا قَلْبُ الكُفر إلى الإيمان، والصفةِ الذميمة إلى حميدة، والصفةِ البشرية الخلقية إلى الصِّفة الإلهية الحقيّة، وهو الفعّال المنزّه أي المبعد عن

---

[1] هو بشر بن الحارث الحافي. انظر حلية الأولياء ٩/ ١٩٠، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٣٧ و١٠/ ٢٢٨.

[2] في هامش الأصل: وفي نسخة: فياليت هذا المخالف لنا.

الالتفات إلى الدنيا وهو المالك لجميع الصفات الملكية والروحانية وهو العريُّ عن جميعِ الآفات السماوية والأرضية فهو العروس المخبوؤ العين أي المستور العين في حجاب الصون أي الحفظ في غيابات الكون والغيابات: جمع غيابة، و﴿ غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] قعرُه وفي ظُلم العوائد المعروفة جمع عائدة، والعائدةُ المعروف والصلة والعطف والمنفعة عند الخلقِ لا يُعرف ذلك العروس المستور ولا يَعرف، بل يُكشفُ وقتًا ما، ولا يُكشفُ وقتًا.

تجدُهُ أي ذلك العروس المستور في الدُّكان مضطجعًا، ينوشُه الكلاب يُقال: ناشَه ينوشه نَوشا: إذا تناول ليأخذَهُ برأسِه ولحيته أو تجدُه بُهلولاً[1]. والبُهْلُول كسُرْ سُور: الضحّاك، والسيدُ الجامع لكلِّ خير يُرمي بالحجارة، لا يَعبأ به ألا يُبالي برمي الحجارة عليه ولا يَنظر إليه أي إلى من يَرمي الحجارة عليه حجبَهُ اللهُ أي منعه غيرةً منه عليه. والغَيْرةُ بالفتح مصدرُ قولك غارَ الرجل على أهله يغارُ غيرًا، وغيرةً، وغارًا. يعني: يمنع ذلك العروسُ رامي الحجارة عليه غيرةً منه تعالى على الرامي أي لئلا يصدر غيرة الله عليه فيُهلكه، لا يمنعُ لنفسه أو لا ينظر العروس إلى رامي الحجارة [٤٠٦] لأنه منعَهُ عن النظر إليه غيرةً منه عليه. وفي صاحب هذا المقام أي مقام العروس المستور عن العين، والمراد من العروس هو:

المحبوب لعينه: والمراد لعينه وعين المقصودة لعينها. والمحبوب المقصود لعينه: وهو الإنسان المستوعبُ بمظهريته لما يشتملُ عليه مقامُ الوجوب والإمكان والصفات والأحكام، وما يُمكن ظهوره بالفعل من ذلك في كلِّ عصرٍ وزمان، مع ثبوت المناسبة بينه وبين الحقِّ باعتبار ضعف تأثيرِ مراتبه في التجلّي المتعيّن لديه فيه بحيث لا يكسبُه وصفًا قادحًا في تقديسه عزّ وجل، كما عرفت أنه الإنسان الكامل، وأنّه هو العينُ المقصودة لعينه، وأنّه هو المراد لله تعالى على التعيّن، فمن جمع بين هذين الأمرين ـ أعني ضعف تأثير مراتبه في التجلّي ثم استيعابه لما يشتمل عليه مقام الوجوب والإمكان ـ فهو محبوب الحقّ، والمقصود لعينه، وهو من حيث حقيقته التي هي برزخُ البرازخ مرآةُ الذات ولوازمها.

والمراد: عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيّيء الأمور له، فجاوز الرسوم كلَّها والمقامات من غيرِ مكابدةٍ، وهذا هو مراد الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري بقوله: إن المراد

---

(١) بهلول بن عمرو الصيرفي أبو وهيب من عقلاء المجانين، كان الأولاد يرمونه بالحجارة فلا يبالي. له أخبار ونوادر وشعر، توفي سنة ١٩٠ للهجرة.

هو المُختطفُ من وادي التفرّق إلى ربوة الجمع. وهذا هو الإنسان الذي اجتباه الحق، واستخلصه لخالصه كما ابتدأ موسى، وقد خرج ليقتبسَ نارًا، فاصطنعه لنفسه، حتى لم يُبقِ منه إلاّ رسمًا معارًا. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره. أقول:

١ـ شُغِلَ المحبُّ عن الهوى أن يُبصرَهُ[2] في حبِّ من خلقَ الهواءَ وسخّرَهْ

أي شُغل المحبوبُ شُغلَ على البناء للمفعول. المحبُّ: نائب فاعله. عن أن يُبصرَ الهوى أي: ميل النفس إلى مُقتضيات الطبع وإعراضها عن أحكام الشرع في حبِّ من خلق الهواءَ ما بين الأرض والسماء، وسخّره له، وهو حبُّ المحبوب الذي شغلَه عن الهوى، سخّر الهواء له كرامةً ومنّةً منه تعالى وتقدس.

٢ـ العَالمون عقولُهم مَعقولةٌ عن كلِّ كونٍ يَرتضيه مُطهّرَهْ

يعني أصحاب هذا المقام هم العالمون العاقلون، لكنَّ عقولَهم معقولةٌ آثارُها لا محسوسة الآثار، بل مطهّره عن كلِّ كونٍ يرتضيه المحبوب فضلاً عمّا لا يرتضيه. والكونُ عند أهلِ الحقِّ عبارةٌ عن وجود العالم من حيث هو عالم، يعني: عقولُهم مطهرة عن التعلق بكون وجودهم ونفوسهم وقلوبهم وأرواحهم؛ بل عقولهم وأفكارُهم مستغرقةٌ في الله بالله من الله إلى الله، لأنّ عقولَهم ليس عن عقلِ المعاش؛ بل مفاضة من العقل الأول.

٣ـ فهمُ لديه مكرّمونَ وفي الوَرَى أحوالُهم مجهولةٌ ومستّرَهْ

يعني أصحاب هذا المقام مكرّمون عند الله بأنواعِ الكرامة، وعند الخلقِ أحوالُهم مجهولةٌ، لأنّها مستورةٌ عن الخلق، وهم عرائسُ الله، وضنائن الله هم الخصائصُ من أهل الله عز وجل الذين يضنُّ بهم لنفاستهم عنده تعالى، وعلوّ شأنهم لديه، كما وردَ في الخبرِ عن سيّد البشرِ: «إنَّ لله ضنائنَ من خلقه، ألبسَهم النورَ الساطع»[3].

وقال عليه السلام: «إنّ لله ضنائنَ من خلقه يُحييهم في عافيةٍ، ويُميتهم في عافية»[4].

فقوله عليه السلام «يحييهم في عافية» أي يعصمُهم من المعاصي من أوّل صباهم من بدْءِ

---

١) لطائف الإعلام ٢/ ٢٧٦ (المحبوب لعينه) و٢٨٧ـ ٢٨٨ (المراد).

٢) في المواقع المطبوع (٢٢٣): عن الهوى بسرّه.

٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٦١، والحكيم الترمذي في النوادر ٤/ ٢٢٣.

٤) رواه الطبراني في الأوسط ٦/ ٢٦٥ (٦٣٦٩) والكبير ١٢/ ٣٨٥ (١٣٤٢٥).

العمر إلى آخره، وهو معنى قوله عليه السلام: «ويميتهم في عافية» أي يُميتهم على ما كانوا عليه من الحفظ والعصمة، وذلك لمحبَّته لهم. قال عليه السلام «سبعةٌ يُظلّهم اللهُ تحت ظلّ عرشه يومَ لا ظلَّ إلاّ ظلّه...»[1] وذكرَ منهم الشابَّ الذي نشأ في عبادة الله. وقال: «ألهمه التوبةَ في صباه، ليعصمَه [٤٠٦/ب] ويجعله من ضنائنه».

وقد ورد في الخبرِ أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «يا أبا ذر، إنّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال. يا أبا ذر، أتدري ما غمّي وفكري، وإلى أيِّ شيءٍ اشتياقي؟» فقال أصحابه: أخبرنا يا رسول الله بغمّك وفكرك. ثم قال: «آه، واشوقاه إلى لقاء إخواني، يكون من بعدي شأنُهم شأنُ الأنبياء، وهم عند الله بمنزلةِ الشهداء، يفرُّون من الآباء والأمهات، والإخوةِ والأخوات ابتغاءً لمرضاة الله تعالى، وهم يتركون المالَ لله، ويذلّون أنفسَهم بالتواضع، لا يرغبون في الشّهوات وفضولِ الدنيا، يجتمعون في بيتٍ من بيوت الله تعالى مغمومين محزونين من حبِّ الله، قلوبُهم إلى الله، وروحُهم من الله، عملُهم إذا مرضَ واحدٌ منهم هو أفضلُ من عبادات سنة، وإن شئتَ أزيدُك يا أبا ذر؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «الواحدُ يموت منهم فهو كمن ماتَ في السماء لكرمِهم على الله، وإن شئتَ أزيدُك يا أبا ذر؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «الواحدُ منهم تؤذيه قملةٌ في ثيابه، فله عند الله أجرُ سبعين حجّة وغزوة، وكان له أجرُ عِتقِ أربعين رقبة من ولد إسماعيل، كلُّ واحدٍ منهم باثني عشر ألف، وإن شئتَ أزيدك يا أبا ذر» قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: «الواحد منهم يُصلّي ركعتين في أصحابه أفضلُ عند الله من رجلٍ يعبد الله في جبل لُبنانَ مثل عمر نوح ألف سنة، وإن شئتَ أزيدك يا أبا ذر؟» قال: قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «الواحد منهم يذكر أهلَه ثم يغتمُّ، يُكتبُ له بكلِّ نَفَسٍ ألفَ ألفَ درجة، وإن شئت أزيدك يا أبا ذر؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله. قال: «الواحد منهم يسبِّحُ تسبيحةً خيرٌ له يوم القيامة من أن يسيرَ معه جبالُ الدنيا ذهبًا، وإن شئت أزيدك يا أبا ذر؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «نظرةٌ تنظرُ إلى أحدِهم أحبُّ إلى الله من نظرةٍ إلى بيت الله، ومن نظرَ إليه فكأنّما ينظرُ إلى الله، ومَنْ سرَّهُ فكأنَّما سرَّ اللهَ، ومَنْ أطعمَه فكأنّما أطعمَ الله تعالى، وإن شئتَ أزيدُك يا أبا ذر؟» قال: قلت:

---

(١) حديث أخرجه البخاري (٦٦٠) في الجماعة الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، و(١٤٢٣) و(٦٤٧٩) و(٦٨٠٦). ومسلم (١٠٣١) في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، والموطأ ٢/ ٩٥٢ (١٧٧٧) والترمذي (٢٣٩١)، والنسائي ٨/ ٢٢٢. دون قوله: «ألهمة التوبة...».

بلى يا رسول الله. قال: «يجلسُ إليهم قوم مضرّين مُثقلين من الذنوب ما يقومون من عندهم حتّى ينظرَ اللهُ إليهم، ويغفرَ لهم ذنوبَهم لكرامتهم على الله، يا أبا ذرّ، ضحكُهم عبادةٌ، ومُزاحهم تسبيح، ونومُهم صدقةٌ، ينظرُ الله إليهم في كلِّ يوم سبعين مرة، يا أبا ذر إنّي إليهم مُشتاق» ثم أطرق رأسَه مليًا، ثم رفعَ رأسه وبكى حتى دمعت عيناه، فقال: «آه، وا شوقاه إلى لقاءِ إخواني». ويقول عليه السلام: «اللهم، احفظْهم وانصرْهم على من خالفهم، وأقرَّ عيني بهم يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] [يونس: ٦٢].

ولا أقول أيضًا كما أقول في صاحب هذا المقام: إن هذا المراد الذي هو صاحبُ هذا المقام كما مرّ تفضيله. **المصطفى** الذي اصطفاه الحق.

والاصطفاء: هو في الأصل تناولُ صفوة الشيء، كما أنّ الاختيار تناولُ الخير. والاجتباءُ تناول جابته أي وسطه، وهو المختار. فاصطفاء آدم عليه السلام على العالم بأنْ رجّحه على جميع الملائكة. واصطفاء نوح عليه السلام على العالم بأن أهلك قومه وحفظ نوحًا وأتباعه. واصطفاء آل إبراهيم عليه السلام على [٤٠٧] العالم بأن جعلَ دينهم شائعًا، وذلّلَ مخالفيهم، واصطفاء موسى وهارون عليهما السلام على العالم بأنْ جعلَ فرعون مع عظمته وغلبة جنوده مَغلوبًا، واصطفاء محمد ﷺ على جميع المكونات بأن جعله حبيبًا ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] انتهى من «الكليات»[2].

والحاصل أنَّ هذا المراد المصطفى الذي هو صاحبُ هذا المقام في أحواله كبريت وقته، وإكسير وجوده، ليست تكون له هذه الكرامة أصلاً بالكلّية.

يعني أقول: إن صاحبَ هذا المقام الذي هو المراد المصطفى في أحواله كبريتُ وقته، وإكسير وجوده، ولا أقول لا تكونُ هذه الكرامة من المشي على الماء والهواء، وطيّ الأرض بالكلّية.

نعم تكونُ له لهذا المراد المصطفى **هذه الكرامة وقتًا، ما لأمرٍ ما، وأمّا أن تستمر له تلك** الكرامة **فلا سبيلَ إلى ذلك لسرٍّ خفيٍّ، يبحثُ عنه صاحبُ الهمّة حتى يجدَه** أي ذلك السرّ الخفي **بحاله** أي بحالِ صاحب الهمّة، لأن ذلك السرَّ الخفي يقتضي عدم استمرار تلك الكرامة

---

١) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.
٢) الكليات ١/ ٢٠٣.

فإنّ الله تعالى مريدٌ في الوجود بموافقة إرادة ذلك العبد المقدّس المراد المصطفى اختصاصًا منه تعالى أن يكونَ الأمرُ كذلك أي بين إرادة الحق وإرادة العبد ومن إرادته تعالى عرفنا اللهَ ألاّ يستمرَ له ذلك السرُّ الذي رويناه لك مقفلاً وهو معنى أنّ الله تعالى يُريد بإرادة ذلك العبد، لأنه أي ذلك العبد المراد المقدّس هو الإكسيرُ الأكبر، لأنّه تخلّق بأخلاق الله، واتّصف بصفاته، وتحقّق بأسمائه، فتبدَّلَتْ صفاتُهُ الخلقية إلى الصفاتِ الحقّية، فكان الإكسيرَ الأكبر.

والحال لا يريدُ ذلك العبدُ [أصلاً] إلاّ بعد العلم بمراد مولاه فيما يُريده لتكونَ الموافقةُ له في إرادة مولاه، فيصحَّ له كونه إكسيرًا، فإذا لم يقع له أي لذلك العبد المراد بطلتْ حقيقةُ هذا المقام، وإذا بطلتْ حقيقةُ المقام ليس هو أي ذلك العبد ذاكَ أي الإكسير، فلا يُريدُ ذلك العبدُ أبدًا أمرًا إلاّ بعد الكشف الصحيح، فإنْ تعلّقتْ إرادةُ مولاه لأمرٍ ما، تعلّقت إرادتُه موافقةً لإرادة مولاه، وإلاّ فلا، فكأنّه أي ذلك العبد قارىءٌ في اللوح المحفوظ جميعَ الكائنات على وجهِ الكلّيات. كما سبق تفصيله في الكتاب المبين.

لكن ليس من شرطِه أن يعرفَ الجزئيات إنما هو أي ذلك العبدُ المراد المقدس ابن وقته ومكانه، أي مشتغلٌ بزمانه ومكانه، فالمكانُ: عبارةٌ عن منزلة في البساط لا تكون إلاّ لأهل الكمال الذين تحقّقوا بقطعِ المقامات والأحوال، وجاوزوها إلى المقام الذي فوق الجلالِ والجمال، فلا صفةَ لهم، ولا نعتَ.

والوقتُ: عبارةٌ عن حالٍ في زمان الحال، لا تعلّق لك فيه بالماضي و [لا] الاستقبال، فيقال [فلان] وقته كذا، أي حالُه كذا، ولهذا قالوا: الوقتُ ما كنتَ فيه إن كنت بالدنيا، فوقتُك الدنيا، وإن كنتَ بالعُقبى، فوقتُكُ العقبى، وإنْ كنتَ بالسرور، فوقتُك السرور، وإن كنتَ بالحزن، فوقتُكُ الحزن. فعنوا بذلك أن وقتَ الإنسان هو حالُه الغالبةُ عليه، ولهذا قالوا: الصوفيُّ [٤٠٧/ب] ابنُ وقته، لا يهمّه ماضي وقته ولا آتيه، بل إنّما يهمّه الوقتُ الذي هو فيه. فهو لذلك إنّما يشتغلُ بما هو أولى به في الحال، ومطالب [به] فيه، فإنّ الاشتغال بفوات وقت ماضٍ تضييع للوقتِ الحاضر والآتي. قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي:

أمسٌ مضى ولن يَعودَ ما مضى ... والغَدُ لا يُعرفُ ما فيه القضا
فزيِّنِ الوقتَ بأسبابِ الرِّضا ... فإنّما وقتُك سيفٌ مُتنضى(١)

---

(١) المثبت في لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٥: سيف مقتضى.

وهذا فيما يتعلّق بكسبِ العبد بما لله عليه، فلله حقٌّ واجب[١]، وشرع لازم، لأنّ تضييعَ العبد لما أُمر به، وإحالةُ الأمر فيه على التقدير، وترك المبالاة بما يحصل منه التقصير هو حقيقةُ التبذير. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وأمّا الأمور التي لا تعلّق لها بكسب [العبد] ممّا يصادف العبد من تصريف الحقّ تعالى له دون ما يختاره العبد لنفسه، فهو المشار إليهم بقولهم: فلان بحكمُ الوقت، أي أنه مُستسلمٌ لما يبدو من الغيب من غير اختيار، فإن من استسلمَ لحكم الحقّ نجا، ومن عارضه بتركِ الرضا انبلسَ[٢] وارتدى.

والأول صاحب الوقت: أعني من استسلم لما يقتضيه وقته.

والثاني صاحب المقت: أي من عارض وقته بترك الرضا.

فالكيِّس من كان بحكم وقته، إن كان وقتُه الصحو فقيامه بالشريعة، وإن كان وقتُه المحوَ فالغالب عليه أحكام الحقيقة.

وقيل: إنّما المرادُ بالوقت ما يردُ على النفس ويستمرُّ أكثرُ من حالٍ، ولا يبلغُ حدَّ المقام. الوقتُ الدائم هو الحالُ الدائم الذي عرفتَ أنّه أصل الزمان وباطنه. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٣] قدس الله سره.

وأكثرُ من ذلك المذكور من القراءة والإرادة **بشيء** أي يسبق العبد في المشيئة **والحال قد شاءَ اللهُ تعالى ذلك** المشيئة المسبوقة قال في «القاموس»: شاءني: سبقني ويَشِيءُ قلب شآني لأن الشأو بمعنى السبق، يقال: شاءهم شاوًا، أي سبقهم.

فإذا أراد ذلك العبدُ أمرًا فعل الله ذلك المرادَ له للعبدِ فيقال: انفعل ذلك الأمر عنه عن ذلك العبد بهمتِهِ أي بسبب همّة ذلك العبد كذا، **فكأنَّ الحقّ تعالى جاراه على إرادته تعالى**، يعني: أجرى إرادةَ ذلك العبد مع إرادته، يقال: جاراه مُجاراة، وجراء جرى معه **ولهذا حُكي عن بعض الجاهلية في حقِّ رسولِ الله ﷺ أنّه قال: إن اللهَ يُحبُّ محمدًا ﷺ ما يريد محمدٌ ﷺ منه**

---

(١) المثبت في لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٥: بكسب العبد من ماله عليه فيه حق واجب.

(٢) المثبت في لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٥: انتكس.

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٣٣٣ (تعريف المكان) و٢/ ٣٩٤ـ٣٩٦ (الوقت).

تعالى أمرًا إلاّ أعطاه أي أعطى الحق ذلك الأمر المراد له إيّاه ﷺ **إشارةً إلى وقوعِ المرادِ له ﷺ وكذلك كل من نطق عن الإذن**.

الإذن في اللغة الإعلام، وفي الشرع: فكُّ الحجرِ وإطلاقُ التصرف لمن كان ممنوعًا شرعًا.

في «الكليات»[1]: أذن بالشيء كسمع علمَ به وفعله بإذني، أي بعلمي، وأذّن تأذينًا أكثرَ في الإعلام[2]، والأذانُ الإعلام مطلقًا، قال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٣] وهو الإكرام، وإفاضةُ الثواب. وهو في الشرع: الإعلامُ على وجهٍ مخصوص ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] أي بإرادته وأمره أو بعلمه، لكنّه أخصُّ من العلم، ولا يكاد [٤٠٨] يستعملُ إلاّ فيما فيه مشيئة ما ضامّه الأمر، أو لم يُضامَّه.

من الورثة المكملين في الميراث النبوي، وهم العلماء بالله تعالى، لقوله عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء»[3].

فمن رسختْ أي ثبتت **قدمُهُ هنا** أي في عالم الشهادة على ما ذكر في هذا الفلك القدمي **وسعى في هذا الوجوه**[4] **على هذا الحدِّ** المذكور **في كلِّ عالمٍ** أي عالم الناسوت، وعالم المثال والملكوت، وعالم الأرواح **بالمشي الذي يخصّه** كل عالمٍ.

يعني: في عالم الشهادة مراعاة ما توجّه عليه في رجليه من قبضٍ عن السعي في المحرمات، وبسطٍ بتكثير الخُطا إلى المساجد، ولزومِ الجماعات، والمشي في الظُّلم إلى المساجد، والمشي في قضاء حوائج الإخوان، والسعي على العيال، والثبوت يومَ الزحف، والسلوك على الصراط المستقيم، فتنتجُ الكرامات المختصة بهذا المقام في ظاهر الكون كالمشي على الماء، وطيِّ الأرض، والمشي في الهواء، حتى يُفتحَ له بابٌ إلى عالم الملكوت، فيكون سعيه فيه على قدرِ ما كان سعيه في عالم الشهادة في المسارعة، إلى الخيرات، فعلى قدرِ سرعته هنا يكونُ كشفُه هناك، فمن طُويت له الأرض زُويت له في ذلك العالم الروحاني أرضُ الأجسام، فعلمَ حقائقَها، ووقف على طباقها ظاهرًا وباطنًا، وعرف

---

(١) الكليات: ١/ ٩٩.

(٢) في الكليات: وأذنه تأذينًا: أكثر من الإعلام.

(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٨).

(٤) جاء في هامش الأصل: وفي بعض النسخ: في هذا الوجود بالدال المهملة.

سرائرها وكلَّ ما أودعَ اللهُ فيها من حكمةٍ لطيفةٍ، وسرٍّ شريف، ومَنْ مشى على الماء فُتح له بابٌ في الملكوت عن سرِّ الحياة والعلم المودع في الماء، فعرفَ الحياة اللطيفة الموسومة بالعلم، وعرف الحياةَ الموقوفة على الجسم، ومَنْ مشى في الهواء، فإنّه يُفتح له بابٌ إلى عالم الأرواح في الملكوت الأعلى، فيعرفُ حقائقَ الأسرار وكيفية الصعود والنزول، والاستواء، وغير ذلك. وقد سبق تفصيلُه في هذا الفلك القدمي.

والسعي الذي يليقُ به يعني سعى في هذا الوجود على الحدِّ المذكور في كلِّ عالم بالمشي الذي يخصُّه، وبالسعي الذي يليقُ به وبالرجل الذي ينبغي أن تطلق عليه صاحب الرجل وصاحب القدم عرفَ جوابَ من رسخت قدمه حقيقة نزول الحق إلى سماءِ الدنيا في الثُّلث الباقي من الليل كما قال رسول الله ﷺ: «ينزلُ اللهُ تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، ويقول: هل من تائب: فأتوب عليه؟ هل من داعٍ فأُجيب له؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟»[1].

وقال الشيخ رضي الله عنه[2]: التجلّي في الليل للربِّ تعالى على ثلاثة أقسام، وكذلك تجلّيه في النهار:

فيتجلّى في الثُّلث الأخير من الليل للأرواح الطبيعية المدبرة للأجسام العنصرية، والثلث الوسط يتجلّى فيه للأرواح المسخّرة، والثلثُ الأول يتجلّى فيه للأرواح المهيمنة.

وأمّا تجلّيه في النهار فهو خاصٌّ بعالم الأجسام من حيث ما هي مسبّحة بحمده دائمًا، ففي الثُّلث الأول يتجلّى للأجسام اللطيفة التي لا تُدركُها الأبصار، وفي الثُّلث الوسط يتجلّى للأجسام الشفافة، وفي الثُّلث الأخير يتجلّى للأجسام الكثيفة، ولولا هذا التجلّي ما صحّت لهم المعرفة لمن يُسبّحه. والمعرفةُ بالله لا يصحُّ أن تكونَ عن فكرٍ، ولا عن خبرٍ، وإنّما يكون عن تجلٍّ إلهيٍّ لكلِّ مُسبّحٍ، فمنهم العالم بذلك، ومنهم من لا يعلمُ ذلك، ولا يعرف أنه تسبيحٌ عن معرفةِ تجلٍّ، وذلك ليس إلاّ لبعض الثقلين، وأما غيرُ الثقلين فهم عارفون بمن تجلّى [٤٠٨/ب] لهم، مسبّحون له على الشهود أجسامًا عمومًا وأرواحًا خصوصًا.

وقد مرّ تفسيرُ الحديث لعبد الرحمن الجامي قدس سره قُبيل هذا يعني من رسخت قدمه هنا، وسعى في هذا الوجود على الحدِّ المذكور في كلِّ عالمٍ بالمشي الذي يخصّه، عرفَ

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ١٥١).

(٢) الفتوحات المكية: ٣/ ٢٠١.

حقيقةُ نزولِ الحقِّ إلى سماء الدنيا في الثُّلث الباقي من الليل.

فأخذ حظَّه أي نصيبه **من هذا النزول** من طريق النتيجة الصغرى كما سيجيء إن شاء الله تعالى في بيان نتائج الأعضاء الثمانية.

وأنه أي النزول **ثلاثةُ أثلاثٍ بالنسبة إلى الليل** كما مرّ آنفًا في تجلّي الحقِّ في الليل، وهو الثُّلث الأخير والوسط والأول.

وسبعة طرائق بالنسبة إلى الأرواح. والطرائق جمع طريقة، وطريقة الرجل مذهبُه، ويقال: هذا رجلُ طريقة قومه، وهؤلاء طريقةُ قومهم، وطرائقُ قومهم للرجال الأشراف، وههنا يحتملُ أن يكونَ المرادُ من السبعة الأفلاك السبعة؛ لأنها طرائقُ النزول، ويحتمل أن يكونَ المراد الأرواحَ السبعة، وهي: الروح المعدني، والروح النباتي، والروح الحيواني، والروح الخيالي، والروح الفكري، والروح العقلي، والروح القدسي.

وأيضًا سبع طباق بالنظر إلى الأجسام، والأجسام العلوية هي السموات والأجسام السفلية هي أيضًا سبعُ طباق [بالنظر إلى الأجسام] وهو: الجلد، واللحم، والشحم، والعروق، والعصب، والفضلات، والعظام.

وأقام الحقّ تعالى عالمَه أي عالم الجسم الكثيف السفلي **على سطح أرضه التي هي أيضًا سبعُ طباق**، وهي: أرضٌ سوداء، وأرضٌ غبراء، وأرضٌ حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء.

فنزل الحقُّ تبارك وتعالى في الثُّلث الباقي أي الأخير **من ليلِ ذاته الذي يليه الفجرُ وطلوع الشمس إلى سمائه الأقربِ إليه** أي إلى طلوع الفجر، يعني: تجلّي الحقّ بالنزول المعنوي النُّوراني الروحاني في الثُّلث الأخير من غيب أحدية ذاته، يعني: تجلٍّ بالنزول المعنوي في الثُّلث الأول من الليل للأرواح المهيّمة، ويتجلّى بالنزول النُّوراني في الثُّلث الأوسط من الليل للأرواح المسخّرة، وتجلٍّ بالنزول الروحاني في الثُّلث الأخير من الليل للأرواح الطبيعة **المدبّرة أرضه** أي المدبرة لأرض الأجسام العنصرية **المزيّنة بكواكب علومها** أي علوم الأرواح أو السماء **فينال العبد به** أي بسبب نزوله إلى تلك السماء أي مقام الأرواح **حظّه** أي نصيبه **من الحق**، **فيناديه** أي الحق: **هل من عينٍ ساهرةٍ أنعمُها بمشاهدتي**. فنداؤه تعالى عبده هي المقدّمة الأولى، وسهرُ عين العبد هي المقدّمة الثانية، ومشاهدة الحقّ هي النتيجة الصغرى

بالنسبة إلى نتيجة القلب التي هي النتيجة الكبرى. كما ستعرفه، وقسْ على هذا سائرَ النتائج.

ويناديه أيضًا: **هل من سمعٍ مصيخ أي مستمعٍ أُسمعه كلامي؟** ويناديه أيضًا: **هل من لسانٍ صامت أُنطقه بذكري؟** ويناديه أيضًا: **هل من يدٍ مقبوضةٍ أبسطها بنعمتي؟** ويناديه أيضًا: **هل من بطنٍ جائع أغذّيه بخلقي، أو عاطشٍ فأرويه بعلمي؟** ويناديه أيضًا: **هل من فرجٍ متعفّفٍ أُنكحه حكمتي؟** ويناديه أيضًا: **هل من رِجْلٍ قائمة أَلُفُّ** [٤٠٩] **ساقَها بساقِ السجود؟** أي سجود القلب، وهو تمكّنه في حضوره مع الحقِّ عز وجل إلى حدٍّ لا يشغله عنه استعماله للجوارح، وذلك أنَّ الإنسانَ كما أنَّه قد يكون مستعملاً لجوارحه في أفعالها التي هي مثل القراءة والكتابة وغير ذلك من الصناعات مع كونِ قلبِه مشغولاً بغير ذلك، فهكذا قد يبلغُ في شغله بربّه وحضوره معه بحيث إنّه إذا كان مستعملاً لجوارحه لا يكون صارفًا له عن حضرة الحق، ولا مُنقصًا لحضوره معه بوجهٍ أصلاً، فمن كان قلبه على هذه الحالة في الحضور سُمّي ذلك سجود القلب. انتهى[١].

ويناديه أيضًا: هل من قلبٍ متنبّه أي متيقظ أَهبه الكلّ؟

الكل: في اللغة اسم مجموع المعنى واللفظ واحد.

وفي الاصطلاح: اسم لجامع الأسماء، ولذا يُقال: أحدٌ بالذاتِ كلٌّ بالأسماء.

وقال الفرغاني[٢] قدس سره: الكلُّ: اسم لحضرةِ أحدية الجمع، فإنّها كلُّ شيءٍ على الوجه الذي عرفت من كونها حضرة الاشتمال والجمعية التي لا تشتُّت فيها ولا تفرقة ولا غيرية، فلا تُبقي ولا تذر شيئًا خارجًا عنها، والمتحقّقُ بمظهريّتها هو المعرب عن شأنها بلسانها في قوله:

أنا للكلِّ في الحقيقة كلُّ

شيءٍ: هو الكلُّ على ما عرفت، وقيل: الكلُّ: اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقد عرفتَ أنَّ الوجهَ فيه اعتبار كونه اسمًا لحضرةِ أحدية الجمع. وجاء في الدعاء: «يا كلُّ»[٣]. قالوا: وهذا

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ١٢.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) روى أبو يعلى، والضياء، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان شعار النبيِّ ﷺ يا كل خير. كنز العمال (١١٣٩٠).

الاسم هو أخصُّ الأسماء به تعالى لدلالته على التوحيد الكشفي الذي هو عبارة عن نفي السِّوى مع بقاء الحكم العددي، إذ كان مفهوم الكلّ يقتضي ذلك، وأمّا بقاء الحكم العددي فلدلالته لفظ الكلِّ على ذلك. وأمّا نفي السِّوى فلكونه تعالى إذا كان هو الكلُّ لزهق معه سواه[1].

وقد يُراد بكلِّ شيء النفس الكلّية باعتبار تضمّنها صنفي الحكم الفعلية والقولية المشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وتارة يُطلق ويُراد به الإنسان الكامل الكلية مظهرية[2] لجميع الأسماء والحقائق حقيها وخلقيّها. انتهى

يعني كل ما أعطى للعين والسمع والبصر واليد والبطن والفرج والرجل، وهذه النتائج هي النتيجةُ الكبرى للقلب.

فمن كان متيقّظًا من نومه من هؤلاء العوالم أي عالم الأرواح المهيمة، وعالم الأرواح المسحرة، وعالم الأرواح الطبيعية المدبرة للأجسام العنصرية حصلَ له ما وعدَهُ تعالى به من المشاهدة للعين الساهرة، وإسماع كلامه للسمع المسمع، وإنطاق ذكره للسان الصامت، وبسط نعمته لليد المقبوضة، وغذاء الخلقي للبطن الجائع، والإرواء بعلمه للعاطش، ونكاح الحكمة للفرج المتعفّف، وإلفاف ساقها بساق السجود للرِجل القائمة، وهبة الكلّ للقلب المتنبّه.

فمن وقفَ على هذه الحقائق المذكورة واخترقَ أي مرَّ بِرِجْلِ همّته هذه الطرائق جمع طريقة وأُسري به إلى الحكيم الرازق، فذلك العبدُ هو صاحبُ الرِّجْلِ والساق والقدم، وهو السّاعي في طريق الحقِّ على الحقيقة، وهو المتخلّق بأسرار الطريقة، وهو المتحقّق في أوصافه تعالى وهو المجهول بين إخوانه وأصحابه ألحقنا الله بمن هذه الصفات أوصافه، ولو أرسلنا القلمَ في نتائج هذا المقام القدمي ونتكلّم على السّاق [٤٠٩/ب] والقدم وخلع النعلين وما فيه من الحِكم لخرجنا عن الاختصار والإيجاز، فلنمسكِ العنانَ مخافةَ أن يغلبنا الحالُ، ونعني عن ملاحظة التقييد حتى نكشفَ ما حرّم علينا كشفه لأكثر العبيد، وعلى الله قصدُ السبيل.

---

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٢٤٦: هو الكل لم يبق معه سواه.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٢٤٦: الكامل لكلية مظهريته.

القصد[١]: هو الإعزام على الطاعة أي ثبوت العزم، وجمع الهمّة على الحركة والشروع في الطاعات وهو الركنُ الأوّل من أركان أصول المقامات، ويُطلق القصدُ بإزاء تفريغ القلب عمّا يشغل عن التوجّه إلى الربِّ، واعلمْ أنّ هذا القصد هو الذي يبعث صاحبه على الارتياض، ويخلّصه عن التردد، ويدعوه إلى مجانبة الأغراض، وترك الأعواض، بحيث لا يطلب العبدُ بعبادته شيئًا من الأعواض الدنيوية كجاهٍ أو سمعةٍ، ولا من الأعواض الأخروية الباقية لتحقّق القصد إلى الحقِّ الذي لا يتّسعُ القاصد إليه لغيره، وقد يُطلق ويُراد تخلية القلب عمّا سوى الحقِّ بدوام المراقبة له سبحانه، واستصحاب الحضور معه بالغيبة عمّا سواه من صُور الأكوان والكائنات. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٢] قدس سره.

وفي «القاموس»: القصد استقامة الطريق، والاعتماد، والأَمُّ. قصده وله وإليه يَقْصِدُه، ضدُّ الإفراط، كالاقتصاد، وقيل: القصد إتيانُ الشيء، وبابُه: ضرب، تقول: قصده، وقصدَ له، وقصد إليه: كلُّه بمعنًى واحد، وقصدَ قصدَه: أي نحا نحوه، والقصدُ بين الإسراف والتقتير، والقصد العدلُ.

وأمّا الساقُ ما بين الكعب والرّكبة، والجمع سُوق، وسيقان، وأسوق، هُمزتِ الواو. و: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] عن شدّةٍ ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] آخرُ شدّة الدنيا، بأوّلِ شدّة الآخرة. يذكرون الساق إذا أرادوا شدَّةَ الأمر والإخبار عن هوله، ولدتْ ثلاثَ بنين على ساقٍ، أي: متتابعة لا جاريةَ بينهم، وساقُ المريض سوقًا وسياقًا: شرع في نزع الروح.

وفي «الكليات»[٣]: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ آخرُ يومٍ من أيام الدنيا، وأولُ يومٍ من أيام الآخرة، فتلتقي الشدَّةُ بالشدَّةِ، و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وهو الأمر الشديد المفظع من الهول، أو يُظهرُ حقائقَ الأشياء وأصولَها، أو ساق العرش، أو ساق جهنم، أو ساق ملك عظيم، وقيل الساقُ: النفسُ، أي: يوم يكشف عن نفسِ الرحمن وذاته. انتهى

والمرادُ ههنا بالساق وما فيها من الحكمة وحظّ العبد هو أنّه إذا قامتْ ساقه بالعبادات على الصِّراط المستقيم، فحظُّه التفافُ ساقه بساق السجود الذي هو عبارةٌ عن فنائه في الحقِّ عند

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٢٣٢، وقد تقدّم التعريف بالقصد (٣٣٨/ب).
(٢) انظر الحاشية السابقة.
(٣) الكليات ٣/ ٤٦ـ٤٧.

المشاهدة، والحكمةُ في قيام الساق للعبادات، وهو مشعرٌ للقيام في مرتبة العدل والعدالة، أمّا القيامُ عبارة عن أوّل العزم على السير إلى الله، لأنّه إذا استيقظَ العبدُ عن نومِ الغفلة قامَ، وإذا قام سار. وأمّا مرتبةُ العدل، وهو مرتبةُ الإنسان الكامل التي هي مرتبةُ الحقيقة المحمدية، وهي حقيقةُ الحقائق، وحضرة أحدية الجمع، وأمّا العدالة المنسوبة إلى هذا العدلِ الأكمل، والمظهر الأطهر إنّما يُرادُ بها الخُلقُ الذي عظّمه الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] هو التحقّق بالقرآن علمًا وعملاً، ولذلك [٤١٠] قالت عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خُلقه ﷺ: خلقُه القرآن[١].

وهي أعني العدالة جماعُ الخيرِ كلِّه كما أنّ الجُورَ المقابلَ لها جماعُ الرذائل، فالعدلُ من استجمع الفضائل كلَّها. وقد مرّ التفصيلُ في بيان العدل والعدالة.

وأمّا حكمةُ السجود على الأرض: قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[٢]: إنّما أُمرنا بالسجود على الأرض تنبيهًا على أن تكونَ أذلَّ من الأرض التي يَطؤها النعال، فلذلك أُمرنا أن نضعَ عليها أشرفَ ما عندنا في ظاهرنا، وهو الوجه، وأن نمرّغَه[٣] في التُّراب، وكان في ذلك أيضًا جبرًا لانكسار الأرض بوطْءِ الذليل عليها، الذي هو العبد، فاجتمع بالسجود وجهُ العبد ووجهُ الأرض، فانجبرَ كسرُها، فإنَّ الله عند المنكسرةِ قلوبهم. فلمّا كان العبدُ في هذا المقام أذلَّ من الأرض، كان السجودُ أقربَ حالاً يكون العبد فيها من ربِّه، لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩]. انتهى

واستواءُ العبدِ في قيام العبادة يُشعر إلى عبادته المستوي العرش لقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وركوعُه وسجودُه مشعرٌ بإحاطة المعبودِ المسجود بكلِّ شيءٍ، لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] ولقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤].

وأمّا القدمُ: يشيرون به إلى ما ثبت للعبد في علم الحق، ويُكنى بها عن آخر صورةٍ من تعيناته سبحانه الكاملة، وتنوعات ظهوراته الكلّية الشاملة بملابسة أنّ القدم آخرُ شيءٍ من

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٥٦) بلفظ: كان خلقه.
(٢) الفتوحات المكية: ١/ ٤١٠.
(٣) جاء في هامش الأصل: مرّغه في التراب تمريغًا، فتمرّغ: أي معكه فتمعّك. مختار.

الصورة، وهو المشار إليه بقوله عليه السلام: «حتّى يضعَ الجبّارُ فيها قدمه»[١] وذلك بحكم تجلّيه. قسم ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

وقال: فضل الله القدم هي السابقة التي حكمَ الحقُّ تعالى بها للعبد أزلاً، ويخصّ بما يكمل، ويتمُّ به الاستعداد من الموهبة الأخيرة بالنسبة إلى العبد بقوله عليه السلام: «لا تزال جهنَّمُ تقول: هل من مزيدٍ؟ حتّى يضعَ الجبّارُ فيها قدمه، فتقول قطني قطني»[٢] وإنّما يُكنى عنها بالقدم؛ لأنَّ القدمَ آخرُ شيءٍ من الصورة، وهي آخر ما يقرّب به الحقّ إلى العبد من اسمه الذي إذا اتّصل به وتحقّق كمل. انتهى

وقدم الصدق: قال الفرغاني[٣] قدس سره: هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] ومعنى هذا القدم هو أنّه لمّا كان جميعُ ما يظهر من الإنسان من أقواله وأفعاله وأوصافه وأخلاقه وأغراضه ومقاصده إلى جميعِ ما سوى ذلك سواء كانت جميلة أو قبيحة، معتدلة أو منحرفة، عالية أو سافلة، حميدة أو ذميمة، فإنّما ذلك من مقتضيات حقيقية ولوازم صورة معلومية في العلم القديم والذكر الحكيم، فكلُّ من كان جميع ما يجري من أفعاله وأقواله سديدًا معتدلاً، وما يظهرُ من أوصافه وأحواله جميلاً، وكما يبدو من همةٍ[٤] عاليًا مستقيمًا فإنَّ هذا الإنسان لم يكن بمقتضى ما كان عليه من الحقيقة في العلم مخالفًا لما تقتضيه علومُ الطريقة، فضلاً عن علوم الشريعة، وهذا هو الإنسانُ الذي له قدمُ صدقٍ عند ربه. رزقنا الله وإيّاكم التحقّق بقدم الصدق. انتهى

وإنّما خلعُ النعلين يعني به ما يُفهم من باب الإشارة من قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢] فتارة [٤١٠/ب] يكنى بخلع النعلين عن خلعِ الوصفين المختصين بالنفس الشهوية والغضبية، وتارة يكنى بالخلع الترقّي عن كدورة الحسّ والخيال، وتارة يعني به خلع التقييد بأحكام الحسّ والعقل، فإنَّ العقل ما دام مقيّدًا بالحسّ فهو مُنحجبٌ عن الحق، ومادام الحسُّ غيرَ مستعدٍّ للاستضاءة بنور العقل، فالنفسُ في حجابٍ عن الحقائق، وبالجملة فكما أنَّ الحسَّ حجابُ العقل عن إدراك الحقائق، فكذا العقلُ حجابُ القلبِ عن

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٤).

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٤).

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٢٢٨.

(٤) في لطائف الإعلام: من همته.

كشف الحقيقة. وتارة يعني بخلع النعلين إطراح الكونين، أعني الدنيا والآخرة. قال الإمام في كتاب «المشكاة»: أولُ منازل الترقّي [إلى عالم القدس] خلع النفس كدورة الخيال والحسّ، ثم إطّراحُ الكونين، أعني الدنيا والآخرة، والتوجّه إلى الواحد الحقّ.

وقد صنَّف الشيخ أبو القاسم بن قَسِيٍّ كتابًا على حدة وسمّاه كتاب «خلع النعلين»[١] ثم شرحه سيدنا الشيخ محيي الدين قدسنا بسره المعين. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٢].

ولما فرغ من بيان الفلَكِ القدمي شرعَ في بيان الفَلَك القلبي، فقال:

---

(١) كتاب خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين لمؤلفه أحمد بن الحسين أبو القاسم بن قَسِي المغربي. قتل بعد الأربعين وخمسمئة.

(٢) لطائف الإعلام ١/ ٤٤٨ـ ٤٤٩.

الفلك القلبي

من أفلاك الأعضاء الثمانية التي هي: الفلك العيني، وفلك الأذني، والفَلَك اللِّساني، والفَلَك اليميني، والفلك البطني، والفلك السرّ الفرجي، والفلك القَدَمي، والثامن وهو هذا الفلك القلبي.

١ـ قلب المحقّقِ مرآةٌ لمن نظرا يرى الذي أوجدَ الأرواحَ والصُّورا

القلبُ: عبارةٌ عند الطائفة عن صورة العدالة الحاصلة للروح الروحاني في أخلاقه، بحيث يصيرُ فيها على حافّةِ الوسط بلا ميلٍ إلى الأطراف.

وقلب الجمع والوجود: يُشيرون به إلى الإنسان الحقيقي لما عرفتَ من كونه هو صورةُ البرزخية الكبرى.

وقلبُ القلب: ويُقال قلبُ قلب الجمع والوجود: ويعني به البرزخية الجامعة بين الوجوب والإمكان، يعني به الإنسان الكامل الذي به ومن مرتبته يصلُ فيض الحقّ والمدد، الذي هو [سبب] بقاء ما سوى الحقِّ إلى العالم كلّه علوًّا وسفلاً، ولولاه من حيث برزخيته التي لا تغاير الطرفين لما قُبِلَ شيءٌ من العالم المددَ الإلهي الوحداني لعدم المناسبةِ والارتباط بين الحقِّ والخلق بدون وسيطة. انتهى من الفرغاني[١] قدس سره.

وعلى الإطلاق القلبُ لطيفةٌ ربّانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلّق، ويُسمّيها الحكيم النفس الناطقة، وقد استُوفي بيانه. يعني قلب المحقّق مرآة الحق الناظر إليه. كما ورد: «إنّ اللهَ ينظرُ إلى قلوبكِم ونيّاتكم»[٢] وفي مرآة قلبهِ يرَى المحقّق الحقَّ الموجدَ الذي أوجد الأرواحَ والصور.

٢ـ إذا أزالَ صَدَى الأكوانِ واتّحدتْ صفـاتُـهُ بصفـاتِ الحقِّ واعتبـرا

إذا ظرفٌ للرؤية المتقدّمة في البيت السابق، والصَّدى يُعبّر به عمّا يحصل من رسوخِ صورِ

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٢٣٥.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ١٩٤) تحت لفظ: «إن الله لا ينظر...».

الأكوان في القلب، فيحول بينه وبين تجلّي الحقائق فيه وبين شهود الحق عزّ وجل؛ لكن من غيرِ أن يكونَ ذلك الحصولُ على وجهِ الاستيعابِ لجميع وجه القلب، لأنَّ حصولَه على وجهِ الاستيعاب يُسمّى رينًا وحجابًا، كما سبق تفصيلها.

يعني: يرى المحقّق الحقَّ تبارك وتعالى في مرآةِ قلبه إذا أزالَ المحقّقُ صدى الأكوان عن قلبه واتّحدت [٤١١] صفاته بصفات الحق.

يعني: إذا فنيتْ صفاتُ المحقّق في صفات الحقِّ، وهو الطّمسُ الذي هو عبارةٌ عن ذهابِ رسوم السيّار بالكلّية في صفاتِ نور الأنوار، فتفنى صفاتُ العبد في صفات الله تعالى.

والاعتبارُ هو النظرُ في حقائقِ الأشياء وجهات دلالتها، ليُعرف بالنظر فيها شيءٌ آخر من جنسها.

وقيل: هو التدبّر، وقياسُ ما غابَ على ما ظهر، ويكون بمعنى الاختيار، وبمعنى الامتداد بالشيءِ في ترتب الحكم، وقد استُوفي تفصيله.

واعتبار الحسن والقبح وعدمهما: يُشيرون بذلك إلى أعيانِ الممكنات إذا نُظرَ فيها من حيث ذاتها من غير نظرٍ إلى كمالٍ أو نقص، أو ملائمةِ طبعٍ، أو منافرته، أو غرضٍ أو وضعٍ، فلا حسنة هي ولا قبيحة، ولا محمودة ولا مذمومة. فإنَّ الحُسنَ والقبح، والحمدَ والذمَّ أوصافٌ وضعية وضعها شرعٌ، واقتضاها طبعٌ بحكمةٍ ملائمة أو منافرة دنيا وآخرة.

ثم هي بالنَّظرِ إلى [فاعلها من] حيث استنادها إليه حسنة كلها أدبًا إلهيًا من حيث هي فعله وعلمه، فإن مدحَ المفعول والمصنوع وذمه، إنما هي ذلك راجع في الحقيقة إلى فاعله وصانعه، فكيف إذا نظرَ إليها من حيث هي أعيانٌ وشؤون له وبه معية ومتعينة؟ فانظر كيف تنظرُ في هذه المسألة، ليزولَ عنك الخلافُ المشهور فيها، فتعرف اعتبار الشريف والوضيع، والمحبوب والمكروه، وما يُرضي الله ويسخطه، وأنَّ ذلك كلَّه راجعٌ إلى مرتبةٍ من مراتبه، [فإنّ] التحسين والتقبيح إمّا عقليين أو شرعيين، فإذا سمعتَه تعالى يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] علمتَ أنَّ الاسم (الله) تعالى وتقدس قد أُطلق عليه تعالى من حيث ظهوره في مرتبةٍ من مراتبه، إما العقل أو الإنسان الكامل، وإلى هذا أشارَ من أشار في قوله: إن الاسم (الله) تعالى يُطلق ويُراد به العقل تارةً، ويطلق ويُراد به الرسولَ أخرى، خلعة خلعها عليه من أرسله تعالى وتقدس، وذلك لأنّه عليه السلام هو اللِّسانُ المُعرب عن الحقِّ بما خفي

عن عقول الخلق من المحاسن أو القبائح عاجلاً أو آجلاً، ومعربٌ عمّا يعودُ من ذلك الفعلِ من الثمرات على ما أضيف إليه أو اتَّصف بمظهريته بحسب ما أُوحي إليه ﷺ.

وعرّفه خالقه عزّ وجل من أسرارِ ذلك التكليف الفعلي التعبّدي بحسب خصوصيات القوابل والأزمنة والأمكنة ذمًا بالنسبة إلى عمومِ القابلين، أو بالنسبة إلى الأكثرين منهم. وعرّفه أيضًا بيان كيفية وجهِ التدارك والتلاقي لذلك الضرر المودع في الفعل الغير المرضي، وعرّفه كيفية الوجه في تمنّيه وتبيينه، بل ولا يعرفُ حقيقةَ وجه إسناد الفعل بالتحسين إلى فاعله أو بالتقبيح [بالنسبة] إلى من لا يكون ملائمًا له إلاّ من أطلعه الله على الحكمة المودعةِ في حقائق أسمائه وصفاته وأفعاله.

ومن فهم ما ذكرنا في هذا الفصل عرفَ أنَّ الأمرَ كما ذكرنا فيما تقدّم مما أشرنا إليه من كون الأفعالِ كلّها حسنةً باعتبار إسنادها إلى الحقِّ، وإنّما تُستقبح باعتبار عدم ملاءَمتها لبعضِ الخلق، وذلك ما ذكرناه في هذين البيتين [٤١١/ب]:

إذا ما رأيتَ اللهَ في الكلِّ فاعلاً ... رأيتَ جميعَ الكائناتِ ملاحا
وان ما ترى إلاّ مظاهرَ فعلِه ... حُجبتَ فصيَّرتَ الحِسان قِباحا

انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره العزيز

٣ـ مَنْ شاهدَ الملأَ الأعلى فغايتُهُ النْـ ... ـنُورُ وهو مقامُ القلبِ إنْ سكرا

الملأ الأعلى في «الكليات»[2]: هم أشرافُ الملائكة، وأرواحُ الرسل.

قال بعضهم: المُسمّى بالملأ الأعلى عند أهلِ الشرع هي الجواهر الغائبة عن حواسِّنا التي هي أجسامٌ لطيفةٌ قابلة للتشكُّل بأشكالٍ مختلفة متعلقةٍ بالسموات بالكون فيها، فالمتّفق بين أهل الشرع والحكماء هو التعلّق بالسموات، وإن كانت جهةُ التعلّق مختلفة.

وقال الفرغاني[3]: السكرُ غيبةٌ بواردٍ قويٍّ، والمُراد بالغيبة عدمُ الإحساس، فمن غابَ بواردٍ قويٍّ يُسمّى سكران، وذلك أنَّ العبدَ إذا كُوشف بنعتِ الجمال الذي عرفته في باب تجلّي الأفعال، حصلَ له السكرُ وطربُ الروح، وهامَ القلبُ، فإذا عادَ من سُكره يُسمّى صاحيًا،

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٢٢٥ـ ٢٢٦. وقد تقدّم هذا التعريف صفحة (٢/ ٩١، ٩٧).
(٢) الكليات ٤/ ٣٠٨.
(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٢٥.

والصحو مختصٌ بأهل السماع، فإنّ السكرانَ لا يسمعُ ولا يفهم كما أن السُّكر حالُ صاحب الرؤية عندما ينقهرُ تحت سلطنة الجمال. وما يخفى أنَّ الصحو والسُّكر بعد الذوق والشرب، وقد يُفسّرُ السكرُ بأنّه حالةٌ للنفس تردُ عليها من عالم القدس، تؤدّي بها إلى ما هي بصدده من النظام المتعلّق بعالم الأجساد، بحيثُ يوجب الاختلال في الحركات والسكنات. ويقال: الصحو، ويُراد به الرُّجوعُ عن تلك الحالة بحيث يزول ذلك الاختلال الواقع في النظام، والعود إلى ما كان عليه بالتمام.

وقد ظهرَ معنى البيت يعني: مشاهدة الملأ الأعلى غايته في مقام القلب التجلّي الأفعالي بالسكر.

٤ـ ومَنْ يُشاهدْ صفاتِ الحقِّ فاعلةً لكلِّ أمرٍ يكنْ في الوقتِ مُفتكرا

يعني: من يُشاهد في مقام الرُّوح بالتجلّي الصفاتي أنَّ صفاتِ الحقِّ فاعلةٌ لكلِّ أمرٍ من الأفعال والصفات يكن ذلك المشاهدُ في الوقت مفتكرًا.

وقد مرَّ أنَّ المُراد من الوقت هي الحال.

والفكرُ: ترتيبُ أمورٍ معلومةٍ للتأدّي إلى المجهول، والتفكّر في اصطلاحهم: عبارةٌ عن التماس العقلِ وتفتيشه عمّا يحصلُ به مطلوبه الذي يَبغيه، وهو القربُ من الله عز وجل.

تفكّر العامة: لتحصيل ما به يسهلُ عليهم الخلاص من إتيان الشهواتِ التي زيّنتْ للناس حتى ملكت رقّهم، فإذا أمكنَ العبدُ التجرد من رقِّها بالتحرّز عن إتيانها حتى خرجَ من ظُلمة الشهوات إلى نورِ المجاهدات[1] صار من أهل القربات لا محالة.

تفكر الخاصة: في تحصيل ما يسهلُ عليهم طريق الحقيقة، مثل أنهم لمّا رأوا أنَّ ما لهم من وجودٍ وحياة، وعلمٍ وقدرة وغيرِ ذلك من صفات الكمال إنّما هي حادثةٌ لهم، زائلةٌ عنهم، وأنّها لهم في بعض الأوقات أكملُ وأشدُّ، وفي بعضها أنقصُ وأضعف، علموا لا محالة أنَّ لها مبدأً فياضًا هو منبع تلك الكمالات التي لا تصحُّ أن تكون لذلك المنبع من غيره، لاحتياج كماله من غيره إلى مبدأ فياض. والمبدأُ الفيّاض إنّما يكونُ ذلك من ذاته، فيترقّى صاحبُ هذا التفكّر بمعرفته بنفسه من حيث احتياجها [٤١٢] إلى مبدأ يفيض عليها

(١) في لطائف الإعلام ١/ ٣٣٦: إلى نور المشاهدات.

وجودها وكمالاتها إلى معرفته بربّه إنه ذلك المبدأ[1] وهو المراد ههنا، وقد صحَّ معنى البيت.

٥ـ ومَنْ يُشاهدْ مقامَ الذَّاتِ يَحظَ بما في الذَّاتِ مِنْ سَلبِ الأوصافِ مُفتقرا

يعني من يشاهدْ في مقام السرِّ بالتجلّي الذاتي مقامَ الذات الأحدية يحظَ أي المشاهدُ يصيرُ ذا حظوةٍ أي ذا مكانة ومنزلة بما في الذات الأحدية من سلب الأوصاف، مفتقرًا حال من فاعل يحظ، أي المشاهد التجلي الذاتي، وهو التجلّي الأول، وهو ظهورُ الذات نفسها لنفسها في عين التعيّن والقابلية الأولى الذي هو الوحدة كما عرفتَ أنّها أولُ تعيّنات الذات ورتبها، فالتجلّي الأول هو عبارةٌ عن ظهور الذات نفسها لنفسها في التعيّن الأول والقابلية الأولى، بحيث تجدُ الذاتُ ذاتَها بما تنطوي عليه من كمالاتها في هذا التعين الذي هو الوحدةُ، وقد سبقت تفاصيلُ التجلّيات.

وهذه الأبيات الثلاث مرتبٌ بترتيب مراتب التوحيد، أعني: توحيد الأفعال، وتوحيد الصفات، وتوحيد الذات.

فتوحيد الأفعال: هو تجريدُ الأفعال الذي عرفته بأن التجلّي الفعلي الذي هو تجريدُ الفعل عمّا سوى الواحد الحقِّ، بحيث لا يَرى في الوجود فعلاً ولا أثرًا إلاّ لله الواحدِ الحقِّ تعالى وتقدس.

وتوحيد الصفات: هو تجريدُ الصفات، وهو ما عرفته من معنى التجلّي الصفاتي من أنّه عبارةٌ عن تجريد القوى والمدارك، وما يُنسب إليها من الصفات عمّا سوى الواحد الحقِّ عزَّ وجل.

وتوحيدُ الذات: هو تجريدُ الذات والتجلّي الذاتي مرّ ذكرُه، وعرفتَ أنّه توحيدُ الذات عمّا سواها، وتجريدُها بحيث لا يَرى في الوجود إلاّ ذاتًا واحدةً بتعيناتها.

٦ـ فكلُّ قلبٍ تَعامى عن أكِنَّتِهِ لم يدرِ في الملأ الأعلى ولا ذكرا

يعني كلُّ قلبٍ أظهر العمى وهو ذهابُ بصرِ القلب عن أكنّته أي أستاره، الكِنُّ بالكسر: السترةُ، والجمع أَكنَّة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ [الأنعام: ٢٥] لم يدر أي ذلك

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣٣٦، وقد تقدّم هذا التعريف (التفكر) صفحة (١/٤٠١).

القلبُ المتعامي لم يشاهدِ النور المذكور في الملأ الأعلى، ولا ذكر، أي: ولم يخطرْ ذلك النورُ به، إنّما هو لمن فتحَ اللهُ بصيرة قلبه.

٧- وكيف يُدركُ قلبٌ باتَ مُحتجبًا عن الوجود فما صلّى ولا اعْتَمَرَا

يقال: بات يفعل كذا، إذا فعلَه ليلاً، يعني: كيف يُدركُ ذلك النورَ قلبٌ بات محتجبًا عن الوجود؟[1] وهو وجدان الشيءِ نفسه في نفسه، أو غيره في نفسه، أو في غيره في محلٍّ ومرتبةٍ ونحوهما.

فيكون الوجودُ على مراتب:

الوجود في التعيّن الأول والمرتبة الأولى: وهو وجدانُ الذات نفسها في نفسها باندراجِ اعتبارِ الواحدية فيها وجدانَ مُجملٍ مُندرجٍ فيه تفصيله، محكوم عليه بنفي الكثرة والمغايرة، والغيرية والتمييز.

الوجود في التعين الثاني والمرتبة الثانية: عبارةٌ عن وجدان الذات عينها من حيث ظهورها وظهور صورتها المُسمّاة بظاهر اسم الرحمن، وظهورُ صور تعيّناتها المَسماة بأسماء إلهية مع وحدة عينها، وصحّةِ إضافة الكثرة النسبية إليها، فله حينئذٍ وحدةٌ حقيقية وكثرة نسبية.

الوجود الظاهر في المراتب الكونية: هو ظهوره في مرتبة [٤١٢/ب] الأرواح والمثال والحسّ المُسمّى كلُّ تعيّن منها من الوجود خلقًا وغيرًا لا محالة، فمعنى [إدراك] الوجود في تلك المراتب صورةُ كلّ تعيّن منه نفسها ومثلها موجود روحانيًا أو مثاليًا أو حسّيًا.

الوجود الظاهري: هو تجلّي الحقّ باسمه الظاهر في أعيان المظاهر.

الوجود الباطني: هو وجود باطن كلّ حقيقةٍ مُمكنة.

الوجود العام: هو اسم الوجود باعتبار انبساطه على الممكنات، وبهذا الاعتبار يُسمّى صورة جمعية الحقائق، ويُسمّى أيضًا بهذا الاعتبار بالتجلّي الساري.

وجود الظفر: يُطلق ويُراد به وجدان الحقّ في الشهود.

وجود السيار: هو منزلٌ من منازل السائرين إلى الله عزّ وجل، وهو بعد المنازل العشرة التي يشتملُ عليها قسم النهايات، وإنّما سُمّي هذا المنزل بالوجود لأنَّ السيَّارَ إذا وصلَ إليه

---

١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٨٢.

وجدَ العينَ المقصودة في كلِّ مشهودٍ. وقد استوفي تفصيلُه.

والصلاة: في اللغة الدُّعاء، وفي الشريعة عبارةٌ عن أركانٍ معلومة، وأفعالٍ مخصوصة، وأذكارٍ معلومة بشرائطَ محصورةٍ في أوقاتٍ مقدَّرة.

والصلاةُ أيضًا: طلبُ التعظيم بجانب رسول الله ﷺ في الدُّنيا والآخرة، وصلاة القلب عبارةٌ عن سجوده أي فنائه في الحقِّ عند شهوده إيّاه.

سُئل بعض الأكابر: هل يَسجدُ القلب؟ فقال: إذا سجدَ لم يرفعْ رأسَه أبدًا، وهو وصلاته الدائمة.

والعمرةُ في الحجِّ، وأصلُها من الزيارة، واعتمره: زاره، يعني: القلبُ المتحجب عن الوجود ليسَ له صلاةٌ، أي سجود، ولا عمرة أي زيارة، لأنه لم يكن بيت الله حتى يزور صاحبه.

٨ ـ ما يعرفُ العينَ إلاّ العينُ فاستمعوا　　　ما قلبُ عينٍ كقلبٍ قلّدَ الخبرا

العين: هو ما له قيامٌ بذاته، والباصرة وقد يُراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقوم مقام العيان، ومن هنا لم تردْ في الشريعة عبارةٌ عن نفس الباري تعالى، لأنّ نفسَه غيرُ مدركٍ في حقنا اليوم.

وتُستعار العين لمعانٍ هي موجودةٌ في الجارحة بنظرات مختلفة: وأنت على عيني أي في الإكرام والحفظ جميعًا، وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] أي على أمنٍ، لا تحت خوف، وذكرَ العين لتضمّنها معنى الرعاية، وقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] أي برعايةٍ منّا وحفظ. انتهى من «الكليات»[1].

يعني ما يعرفُ حقيقةَ الشيء المدركِ إلاّ عينُ القلب، وهو قريبٌ من قولهم: لا يعرفُ الحقَّ إلاّ الحقُّ. فاستمعوا أيها السالكون وتحقّقوا ما قلتُ في هذا الأمر يعني لا يرى الحقَّ إلاّ مَنْ تنوَّر بصيرةُ قلبه بنورِ القدس، كما قال القاضي في «تفسيره»[2] قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]: أرْشدنا إلى طريقِ السير فيك، لتمحوَ عنها ظلمات

---

(١) الكليات ٣/ ٢٥٧ـ ٢٥٨.

(٢) تفسير البيضاوي ١/ ٦٩.

أحوالنا، وتُميط غواشي أبداننا لنستضيء بنورِ قدسك، فنراكَ بنورِك، لأنَّ القلبَ الذي فتحَ اللهُ بصيرة عينه بنورِ قدسه ليسِ كقلبِ مقلّد الخبر، وأنت تعلمُ أنه ليس الخبرُ كالمعاينة.

اعلم يا بُنَي - وفّقنا الله وإيّاك - أنَّ القلبَ بين أُصبعين من أصابع الرحمن، وهو [٤١٣] المشارُ إليه بقوله ﷺ: «قلبُ المؤمن بين أُصبعين من أصابع الرحمن، يُقلّبه كيف يشاء»[١].

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: بين لمة الملك ولمة الشيطان.

والأصبعين كنايةٌ عن العالمية، والقادرية. والأصابع كنايةٌ عن العالمية، والمريدية، والقادرية، والقائلية، والجوادية. بمعنى الإجادة في الصنع، والمُقسطية، وأمّا الحيُّ فهو بمنزلة القبضة واليد. وقد سبق تفصيلُه في بيان اليدين.

وهي أئمةُ الأسماء **إن شاء الرحمن أقامَه** على الاستقامة، وهي الاقتصادُ في الأعمال والأحوال **وإن شاء الرحمن أزاغه** أي القلب، والزيغُ: الميلُ عن الصواب في الفهم، والحاد هو الميلُ عن الحق: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨] **فإنْ أزاغَه** أي إنْ أزاغَ الرحمن القلبَ **كان القلبُ بيتًا للشيطان، ومحلاً للخسران** أي كان القلب محلاً للضلالة والزيان[٢].

وكان القلب موضعَ نظرِ المطرود من رحمة الله وهو الشيطان **وكان القلب حينئذٍ معدنَ وسواسه** أي وسواس الشيطان، الوسوسة: القولُ الخفيّ لقصدِ الإضلال، وهو حديثُ النفس الشيطان بما لا ينفعُ فيه كالوِسواس بالكسر، والاسمُ بالفتح، وقد مرّ تفصيله.

وكان القلب حضرة أمانيه أي أماني الشيطان، وهي جمعُ الأمنية، والأمنيةُ تمنّي الشيء، مني الأماني الباطلة؛ كطول الحياة، وألاّ بعث ولا عقاب.

وكان القلب مهبط مردته أي مردة الشيطان، وهي جمعُ مارد، وهو العاتي، أي المجاوز حدٌ في الاستكبار. وقيل: العاتي الجبّار، وقيل: هو المبالغُ في ركوب المعاصي، المتمرّدُ ذي لا ينفعُ منه الوعظ والتنبيه **وكان القلب إذًا خزانة غروره** أي غرور الشيطان، والغُرور لضم ما اغترَّ به من متاع الدنيا.

وإنْ أقامه أي إنْ أقام الرحمن القلبَ على الاستقامة **فذلك القلبُ هو قلبُ المؤمن التقيِّ**

---

(١) تقدّم الحديث مع تخريجه صفحة (١/ ٥٥١).

(٢) الزيان: كل ما يتزين به.

الورع، الذي قال تعالى فيه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن التقي النقي الورع»[(١)] وسعة القلب الذي وسعَ الربَّ عبارةٌ عن سعةِ البرزخية الجامعة بين الوجوب والإمكان، الخصيصة بحقيقة الإنسان الحقيقي، الذي عرفته، وهو الكامل بالفعل الذي هو قلبُ الجمع والوجود، الذي به ومن مرتبته يصلُ فيضُ الحقِّ والمدد، الذي هو بقاء ما سوى الحقِّ إلى العالم كله علوًّا وسفلاً، ولولاه من حيث برزخيته التي لا تُغاير الطرفين لما قيل شيءٌ من العالم المدد الإلهي الوحداني، لعدم المناسبة والارتباط بين الحقِّ والخلق بدون وسيطة.

فقلبٌ يسعُ القديمَ كيف يحسُّ بالمحدث موجودًا فيه؟ كما قال الجُنيد البغدادي قدّسنا اللهُ بسرِّه الهادي: المحدثُ إذا قرن بالقديم لم يبقَ أثرٌ منه.

وفي هذا المقام تحقّق شيخُ الشيوخ أبو يزيد البِسطامي رضي الله عنه حيث قال: لو أنَّ العرشَ وما حواه مئة ألف ألف مرة في زاويةٍ من زوايا قلب العارف[(٢)] ما أحسَّ به، فقلبُ العبد الخصوصي الذي وسعَ الحقَّ سبحانه وتعالى هو بيتُ الله، وبيتُ الحكمة، وبيت المحرم، وبيت المقدس، وبيت العزّة كما مرّ. وهو موضع نظره [٤١٣/ب] تعالى وهو معدن علومه تعالى وهو حضرة أسراره تعالى وهو مهبطُ ملائكته، وهو خزانةُ أنواره تعالى، وهو كعبته المقصودة، وهو عرفاتُهُ المشهودة، وهو أي ذلك القلب رئيسُ الجسم ومليكُه أي مالك الجسم إذا قضى ذلك القلبُ أمرًا من الأمور فإنّما يقول له أي لذلك الأمر: كن، فيكون ذلك الأمر مع السلامة من الآفات، وزوال الموانع بصلاحه أي بسبب صلاح القلب صلاحُ الجسد، وبفساده أي فساد القلب فسادُهُ أي فساد الجسد ليس لعضوٍ ولا جارحةٍ حركةٌ ولا سكون، ولا ظهورٌ ولا كمون، ولا حكمٌ ولا تأثير إلاّ عن أمره أي عن أمر القلب.

وهو أي القلب محلُّ القبض والبسط، والرجاءِ والخوف.

القبضُ[(٣)]: يُطلق على معانٍ، فمنها: أنّهم عنوا بالقبضِ واردًا يردُ على القلب أوجبه إشارةٌ إلى عتابٍ، أو تأديبٍ، فيحصل في القلب قبضٌ لذلك.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٣).

(٢) في الأصل: زوايا قلب والعارف. وأثبت ما يناسب المعنى.

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٢٢٥ وقد تقدّم (٣/ ٢٣).

وقيل: القبضُ أخذُ واردِ القلب مثل أن يكونَ الواردُ ممّا يُوجب إشارةً إلى تقريبٍ أو إقبالٍ بنوعِ لطفٍ وترحيب، فإذا حصلَ للقلب انبساطٌ بسبب ذلك أعقبه واردٌ بخلافه، فيسلب ذلك الوارد، ويبدّل الإشارة إلى التقريبِ بضدّه من التبعيد، والإقبال بضدّه من الإدبار، وحينئذٍ يحصلُ القبضُ لا محالة، وهذا إنّما يقعُ في الأكثر لعدم مراعاة الأدب، ولهذا قالوا: قفْ على البساطِ وإيّاك والانبساطَ.

والبسطُ قال في «الفتوح»[1]: هو عندنا حالُ من يسعُ الأشياءَ ولا يسعه شيء. وقيل: حالُ الرجاءِ. وقيل: هو واردٌ تُوجِبُهُ إشارةٌ إلى قبولٍ ورحمة وأنس. والقبضُ ضدُّ البسط. وقيل: إن البسطَ عبارةٌ عن كون النفس فيما هي بسبيله على نشاطٍ وطرب بهجةٍ يتّسعُ معها لقبولِ الواردات، وأنَّ القبضَ ضدُّ ذلك. وقد مر تفصيلها.

والرجاء[2]: الطمع في طول الأجل وبلوغ الأمل، ولهذا كان الرجاءُ حالَ الضعفاء من أهل السلوك. وقد مرّ تفصيلُه.

ورجاء المجازات، ورجاءُ أرباب الرياضات، ورجاء أرباب القلوب. هو لقاء المحبوب الحق.

والخوفُ[3]: ما يحذر من المكروه في المستأنف، والخائفون من الله سبحانه منهم من يبلغُ به الخوفُ إلى حدِّ الانخلاع عن طمأنينة الأمن خوفًا من العقوبة أو من المكروه أو من الهيبة.

خوف العامة: من العقوبة تصديقًا للوعيد.

وخوف أرباب المراقبة: من المكر في جريان الأنفاس.

خوف الخاصة: إجلالٌ وهيبة، إذ ليس في مقام الخصوص وحشة الخوف. وقد مرّ.

وهو أي القلب محلُّ الشكر ومحل الصبر

والشكر[4]: أحدُ أقسام الأخلاق التي عرفتَ أنّها لطالبِ الحقِّ بمنزلة الأركان للصلاة،

---

(1) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٣.
(2) لطائف الإعلام ١/ ٤٨٢ وقد تقدّم (٣/ ٢١).
(3) لطائف الإعلام ١/ ٤٥٦ وقد تقدّم (٣/ ٢١).
(4) لطائف الإعلام ٢/ ٤١.

وفي الشكرِ الاعترافُ بإنعام المنعم. وقد سبق تفصيلُه في الحمد.

والصبر[(١)] عند الطائفة عبارةٌ عن حبسِ النفْس على الطاعات، ولزوم الأمر والنهي، ثم على تركِ رؤية الأعمال، وترك الدَّعوى مع مطالبة الباطن بذلك، وعلى الإعراض عن إظهار العلوم والأحوال، وكلِّ ما يبدو [٤١٤] للروح من المواجيد والأسرار، ثم حبسُ السرِّ والروح عن الأطراف[(٢)] في كلِّ ما يبدو من الإلهامات والواردات والتجليات، والثبات على ذلك كلِّه، وعلى مقامات البليّات كلها لرؤيتها رافعةً للحُجُب النورانية الرفيعة، حتى يصيرَ كلُّ بلاءٍ ومحنة بتلك الرؤية عطاءً ومنحة، وتصيرَ وظيفةُ السالك ومقامُه شكرًا بعد أن كان صبرًا، فالصبرُ يشملُ جميعَ المقامات والأخلاق، والأعمال والأحوال.

وهو أي القلب محلّ الإيمان ومحلُّ التوحيد.

الإيمانُ: في اللغة التصديقُ بالقلب. وفي الشرع: هو الاعتقاد بالقلبِ والإقرارُ باللِّسان، وقد مرّ تفصيلُه في تقرير شعب الإيمان.

والتوحيدُ: في اللغة الحكمُ بأنَّ الشيءَ واحدٌ، والعلمُ بأنّه واحدٌ. وفي اصطلاح الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كلِّ ما يتصوّر في الأفهام ويُتخيّلُ في الأوهام والأذهان. وقد مرّ تفصيله. وتوحيدُ الأفعال، وتوحيد الصفات، وتوحيد الذات.

وهو أي القلب محلُّ التنزيه ومحلُّ التجريد.

التنزيه[(٣)]: هو تعالي الحقِّ عمّا لا يليق بجلال قدسه.

[وهو على ثلاثة أقسام]:

تنزيهُ الشرع: هو المفهوم في العموم من تعاليه تعالى عن المشاركِ في الألوهية.

وتنزيه العقل: هو المفهوم في الخصوص من تعاليه تعالى أن يوصفَ بالإمكان.

وتنزيه الكشف: هو المشاهدةُ لحضرة إطلاق الذات المثبت للجمعية للحق، فإن من شاهدَ إطلاق الذات صار تنزيهُهُ[(٤)] في نظره إنّما هو إثبات جمعيَّتِهِ تعالى لكلِّ شيءٍ، وأنّه

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٥٣.

(٢) في لطائف الأعلام ٢/ ٥٤: عن الاضطراب.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٣٥٠، وقد تقدّم قبل (٢٨٩/ب) و(٣/ ١٦٠).

(٤) في الأصل: صارت تنزيهه. والمثبت من اللطائف.

لا يصحُّ التنزيه حقيقةً إن لم يشاهدْه تعالى كذلك.

والتجريدُ[١]: يعنون به إماطةَ السِّوى والكون عن السرِّ والقلب.

تجريد الفعل: هو أدنى مراتبِ التجريد كما عرفتَ في التجلّي الفعلي الذي معناه تجريدُ الأفعال عمّا سوى الحقّ، بحيث لا ترَى في الكونِ فعلاً ولا تأثيرًا إلاّ لله وحده.

وتجريدُ الفضل: هو أن تشهدَ توحيدَ الأفعال، فلا ترى إحسانًا إلاّ من فضلِ الله لا من سواه، فصاحبُ هذا المشهد يشهدُ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فهو يرى أنَّ ما حصلَ له من خيرٍ هو من الله لا بعملٍ ولا باستحقاقٍ ولا غير ذلك من أحوال النفس.

وتجريدُ القصد: يعنون به الخروج عن قيود التعلقات[٢] وحظوظ النفس، وذلك على أقسام:

تجريد العباد: عن طلب العوض.

وتجريد أرباب الأحوال: عن التجلّي بها لما يعرض من الشطح لأجل ذلك.

وتجريد أهل الوصول: عن السكون إلى غير الله. فلهذا لا يظهرُ عليهم فرحٌ ولا طرب يوجبُ لهم شطحًا، بل هم دائمو الوجل إلى الأجل، وذلك حالُ مَنْ تحقّق بدوام شهوده لفقره وذلّه، وغنى مولاه وعزّه، فصاحبُ هذا المقام لا يَستغني برتبةٍ شريفة، وإن كبرَ موقعُها في الأنفس، فاستعظمها العارفون لكونه إنّما يشهدُها لغيرِه لا له، لأنّ فقرَه يمنعه عن رؤية ملكٍ لغير مالك يوم الدين، وصاحبُ هذا المقام هو الموصوفُ بأنّ قلبَه لا يقفُ عند مرتبةٍ، ولا يقفُ فيه شيء، فهو بيتُ الله الذي فيه يتكلّم بحكمه، ومنه يتعرّفُ إلى خلقه.

والتجريد الفعلي: هو تجريدُ الفعل الذي عرفتَه، وقد عرفتَ بأنّه هو التجلّي الفعلي، وأنه دنى التجليات.

والتجريد الصفاتي: هو التجلّي الصفاتي [٤١٤/ب] كما عرفتَ ذلك، وعرفتَ أنّه أوسطُ تجليات.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣١١-٣١٣.
(٢) في لطائف الإعلام ١/ ٣١٢: عن قيود التلفتات.

والتجريد الذاتي: هو التجلّي الذاتي كما عرفت ذلك وعرفت أنه أعلى التجليات. انتهى من «الفرغاني»[١] قدس الله روحه.

هو أي القلب الموصوف بالسكر والصحو وقد مرّ آنفًا أن السُّكر عبارةٌ عن غيبةٍ بواردٍ قويٍّ، فمن غابَ بواردٍ قوي يُسمّى سكران، وإذا عادَ من سُكره يُسمّى صاحيًا. والصحوُ مختصٌ بأهل السماع.

وهو أي القلب الموصوف بالإثبات والمحو. الإثبات[٢] يعني به إقامة أحكام العبادة.

وإثبات المعاملات: يعني به الإثبات الذي في مقابلة الزلاّت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فهذه الحسنات تحقّق إثبات المعاملات.

وإثبات المواصلات[٣]: يعني به الإثبات الذي في مقابلة تطهير السرائر من الآفات، فإنّ إثبات المعاملات كما أنّه نتيجةٌ لتطهير الظواهر من الزلاّت، فكذا إثباتُ المواصلات نتيجة لتطهير السرائر من الآفات.

وإثبات الخصوص: يعني به إثبات الحقِّ ونفي ما سواه.

وإثبات الحقيقية: وهو إثبات خلاصة أهل الخصوص، ومعنى هذا الإثبات إثباتُ الحقِّ عينًا، وإثباتُ الخلق تعيّنًا، بحيث لا يُفردُ الحقُّ عن الخلق، ولا الخلق عن الحق، لأنَّ من شهد أن الموجود حقٌّ بلا خلق، فقد قيّد الحقّ وحدّه، ووصفه بصفة الممكنات، ومن شهدَ الخلقَ بلا حقٍّ فقد جعل مع الحقِّ موجودًا قائمًا بذاته، ومن شهد حقًّا بخلقٍ فهو صاحبُ المشاهدة المشار إليه بإثبات الحقيقة. كما قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[٤]:

العبدُ عينُ الحقِّ ليس سِواه ... والحقُّ عينُ العبدِ لستَ تراه

فانظرْ إليه به على مجموعِهِ ... لا تُفْرِدَنْهُ فتَستبيحَ حِماه

أي الإضافة إلى الحقِّ ما هو للعبد، أو إلى العبدِ ما هو للحقِّ، فذلك هو المعنى باستباحة حماه عزّ وجل.

---

(١) انظر الحاشيتين السابقتين.

(٢) لطائف الإعلام ١/ ١٦٨ـ ١٦٩، وقد تقدّم صفحة (٢/ ٥٧٨).

(٣) في لطائف الإعلام ١/ ١٦٨: إثبات الموصَّلات.

(٤) الفتوحات المكية: ٤/ ١٤١. وانظر الحاشية صفحة (٢/ ٥٧٨).

والمحو: رفع أوصاف العادة، ويقابلُه الإثبات الذي هو إقامة أحكام العبادة.

ومحو أرباب الظواهر: هو أن تمحو عن نفسك ما قد اعتدتَهُ من الخصالِ الذميمة، ثم تستعوض عنها الخصالَ الحميدة، فإن فعلتَ ذلك فأنت صاحب المحو والإثبات الذي يقتصرُ عليه نظرُ أهل الظواهر. وقد مرّ تفصيل محو أرباب السرائر، ومحو الجمع، ومحو الحقيقي، ومحو وجود عين العبد، ومحو أهل الخصوص، ومحو التشتّت، ومحو المحو.

وهو أي القلب الموصوف بالإسراء والنزول وقد مرّ أنّ للأولياء إسراءات روحانية برزخية، يُشاهدون فيها معانيَ متجسِّدةً في صورٍ محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمّنه تلك الصورُ من المعاني، ولهم الأسراءُ في الأرض، وفي الهواء، غير أنّهم ليستْ لهم قدمٌ محسوسة في السماء، وبهذا زادَ على الجماعة رسولُ الله ﷺ بإسراءِ الجسمِ واختراق السموات حسًّا، وقطع مساحات حقيقةً، وذلك كلُّه لورثته معنًى لا حسًّا، فإذا أَسرى الحقُّ بالوليِّ في أسمائه الحسنى فبالرؤوف الرحيم يكون رحيمًا رؤوفًا، وبالمؤمن مؤمنًا، وبالمهيمن مهيمنًا، وبالصبور صبورًا، وهكذا ثم لا يزال يمرُّ على حضراتِ الأسماء، فإذا فرغَ منها نزلَ من طورٍ إلى طور، حتى يصلَ إلى الأرض، يعني الموصوف بالإسراء والنزول هو القلب.

وهو أي القلب ذو الجلال والجمال [٤١٥].

الجلال: من الصفات ما يتعلّقُ بالقهر والغضب.

والجمال: من الصفات ما يتعلّق بالرضا واللطف. وقد استُوفي تفصيلُهما[١] وجلال لجمال وجمال الجلال.

وهو أي القلب ذو الأنس والهيبة. الأنس: يعنون به روح القلب، وتارةً أثرَ مشاهدة جمال حضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال، وتارةً يُطلق على حضرة الصحو بالحقّ. وقد ر تفصيلُه.

والهيبة: هي أثرُ مشاهدة جلال الله تعالى في القلب، وقد تكونُ الهيبةُ عن الجمال الذي ـمال الجلال، وحقّ الهيبة الغيبة إذ كل هائبٍ غائب. وقد سبق تفصيلُه.

---

[١]) انظر الصفحة (٢/ ٢٩٢ و٣/ ٢٧).

وهو أي القلب ذو التجلّي والمحق بالحاء المهملة: هو الاتصافُ بالأخلاق الإلهية المعبّر عنها في الطريقة بالأسماء، وهي التصوف حقيقة.

والمحق: عبارة عن فناءِ وجود العبد في ذات الحقّ. وقد مرّ آنفًا تفصيلُ المحق والطمس والمحو.

هو أي القلب صاحب الهمة والمكر. الهمّةُ توجّه القلبِ وقصدُه بجميع قواه الروحانية إلى جانبِ الحقّ لحصول الكمال أو لغيره. مرّ تفصيلُه.

والمكرُ: من جانب الحقّ تعالى هو إردافُ النِّعمِ مع المخالفة، وبقاءُ الحال مع سوءِ الأدب، وإظهار الكرامات من غير قصدٍ. ومن جانب العبد إيصالُ المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.

وهو أي القلب صاحبُ الحرية والوجود. الحرية: هي الإطلاقُ عن رقّ الأغيار، وهي على مراتب:

حرية العامة: عن رقّ الشهوات.

وحريةُ الخاصّة: عن رقّ المرادات بفناء إرادتهم في إرادة الحق.

وحرية خاصّة الخاصّة: عن رقّ الرسوم والآثار، لانمحاقهم في تجلّي الأنوار.

والوجود: وجدان الشيء نفسه في نفسه، أو غيره في نفسه، أو في غيره في محلٍّ ومرتبة. وقد مضى تفصيلُ الوجود في التعيّن الأول والثاني. والوجود الظاهر في المراتب الكونية، والوجود الظاهري والباطني، والوجود العام.

وهو أي القلب صاحبُ عين التحكيم والانزعاج. التحكيم: المنعُ. تقول: حكّمتُ الرجل تحكيمًا، إذا منعتَه ممّا أراده، وأيضًا حكمه في الأمر تحكيمًا أمرَه أن يحكمَ فاحتكم، تقول: حكّمتُ الرجلَ في مالي، إذا جعلتَ إليه الحكمَ فيه، فاحتكمَ عليك في ذلك.

والانزعاج: تحرّكُ القلب إلى الله بتأثيرِ الوعظِ والسماع فيه.

وهو أي القلب صاحب العلة والاصطلام. العلة: في اصطلاح هذه الطائفة عبارةٌ عن تنبيه الحقّ لعبد بسببٍ وبغير سبب، ويطلقُ عندهم على بقاء حظّ العبد في عملٍ، أو حالٍ، أو مقالٍ. والعللُ عبارةٌ عن ملاحظة الأغيار، وطاعة القلب السوي، وإجابته دواعي الهوى.

وعلل الخدمة: يعنون به طلبَ العِوض عليها، ورؤية حظِّ النفس فيها، واعتقاد استحقاقِ الثواب عليها، لأنّها من مواهب الله، وإنّما كان حظُّ النفس علّةً، لأنّه لما كانتِ المنّةُ لله على العبد حيث أقامه في صورِ الطاعات ووفّقه لها، كيف يحسنُ منه بعد ذلك أن يرى لنفسِه حقًّا على ربّه؟ ولهذا جرتْ سُنّةُ الله مع أهلِ السلوكِ بأنهم لا يلوحُ لهم بارقٌ من أنوارِ المعرفة حتى يفنوا عن رؤية العمل، ويتحقّقوا بالاضطرار إلى الله تعالى.

والاصطلامُ: هو نعتُ وَلَهٍ يردُ [٤١٥/ب] على القلب، فيسكن تحت سلطانه، فإن دامَ ذلك بالعبدِ حتّى سلبه عن نفسه، وأخذه عن حسِّه، بحيث لم يبقَ منه اسمًا ولا أثرًا، ولا عينًا ولا ظلاًّ، حتى صار مسلوبًا عن المكوّنات بأسرها، فما دام العبدُ كذلك ممحوَ الآثار، فلهذا لا تجري عليه أحكامُ التكليف، ولا يوصف بتحسينٍ، ولا يُخصُّ بتشريفٍ، اللهم إلاّ أن يردَ عليه بما يجري عليه من غير شيءٍ منه، فيكون في ظنون الخلق متصرّفًا، وفي التحقيق مصرفًا. قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨] وأنشد:

ترى المحبّين صَرْعى في ديارِهم كفتيةِ الكهفِ لا يَدْرون ما لبثوا[1]

وهو أي القلب صاحب التداني والترقي. التداني يُكنى به معراج المقرّبين، وذلك عندهم سيرُ العبدِ إلى العالم العلوي، إمّا بالروح، أو بالجسم المكتسب، كمعراج المقرّبين من الأولياء، أو بنفسِ البدن كمعراج نبينا ﷺ على حسب الاستعداد.

والترقي: عبارةٌ عن قطعِ المقامات والعبور على العقبات والأحوال، وإخراج الاستعداد من القوّة إلى الفعل، وذلك قد يكون بالجذبةِ، وقد يكون بالسلوك، وقد يكون بهما.

وهو أي القلب صاحب التدلّي والتلقّي. التدلّي نزول المقرّبين بوجود الصحو المفيق بعد ارتقائهم إلى منتهى مناهجهم، ويُطلقُ بإزاء نزول الحقّ من قدس ذاته الذي لا يطؤه قدم استعداد السوى حسبما تقتضي سعةُ استعداداتهم وضيقها عند التداني، والتلقي هو يقتضي استقبالَ الكلام وتصوّره، والتلقن يقتضي الحذقَ في تناوله.

وهو أي القلب صاحب الأدب والسرور. الأدب: هو حفظُ الحدِّ بين الغلو والجفاء، أي

---

(١) البيت للحلاج، الديوان: ٣٥. وفيه: كم لبثوا.

بين الإفراط والتفريط، وذلك أن يؤمَّ السالكُ طريقًا متوسّطًا بينهما، وقد مضى الأدبُ مع الحقِّ ومع الخلق، وأدبُ الشريعة والخدمة، وأدبُ الصبيان، وأدب الشيوخ، وأدب الحقيقة.

والسرور: اسمٌ لاستبشارٍ جامع أي شاملٍ للعبد في ظاهره وباطنه، وسرِّه وعلانيته، وتفصيله وجملته. وهو على قسمين:

سرور الأعمال: ويعني به سرور الناشيء عن صالح الأعمال، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ـ٩].

وسرور النظارة: ويقال سرور النضارة، ويراد به السرور الحاصل لأهلِ النظر إلى وجه الله الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

والسرورُ الأول ـ أعني سرور الأعمال ـ يحصلُ أيضًا في هذه الحياة الدنيا لمن كُوشف بثمرات صالحِ أعماله. وأمّا السرورُ الثاني فيحصل في هذه الدنيا لمن فاز بقرب الحقِّ، وصار سرورُ النظارة هو سرور النضارة، سُمّي بذلك لما يحصل لوجوه النظارة من النضارة عند نظرهم إلى وجه ربّهم الكريم في دار النعيم، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ـ٢٣].

وهو أي القلب صاحب الوصل والفصل. الوصل[1]: يعني به التعيّن الأول تارةً لكونه هو الوحدةُ الحقيقية، وهي الواصلةُ بين الخفاء والظهور، وقد يعنون بالوصل سبق [٤١٦] الرحمة المعبّر عنه بالمحبة، المشار إليه «فأحببت أن أعرف»[2]، وقد يعنون بالوصل قيّومية الحق تعالى للأشياء، وبالفصلِ تنزُّهه عن حدثها، وقد يعنون بالوصل فناء العبد عن أوصافه، وظهوره بأوصاف ربّه على الوجه اللائق بالإنسان، وهو المُشار إليه بإحصاء الأسماء الإلهية في قوله عليه السلام: «من أحصاها دخل الجنة»[3] وقد عرفتَ كيفية الإحصاء تعلّقًا وتخلقًا وتحققًا. وقد مضى تفصيل وصل الفصل.

وصل الوصل والفصل: يُقال على معانٍ، فتارةً يُشار به في اصطلاح القوم إلى البُعد

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٨٩. وقد عُرّف قبل (٣٤٩/أ).
(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).
(٣) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).

الحقيقي المشارِ به إلى أحكام ما يقع به المباينة والامتياز، وقد يعني بالفصل فوت ما يرجى من المحبوب.

قال الشيخ رضي الله عنه[١]: و هو عندنا تميُّزُك عنه بعد حالِ الإيجاد.

وتارةً يعنون بالفصل الأزلية؛ فإنّها هي المفاصلة الحقيقية لبطون الذات وإطلاقها، وأزليّتها، وسقوط الاعتبارات عنها بالكلّية.

وتارةً يعنون انفصال العبد عن حظوظِ نفسه، واتّصاله بربّه. وقد مضى تفصيل فصل الوصل، يعني صدع الشعب، وفرق الجمع.

وهو أي القلب صاحب الغيرة والحيرة. الغيرة[٢] مشتقّة من الغير، ولهذا لا يُوصفُ بها إلاّ من يراه ـ أعني الغير ـ فهي لأجلِ ذلك من مراتبِ أحد رجلين: رجلٍ فيه بقايا رسوم الخلقية، بحيث لم يتحقّق بعدُ بالوصول إلى حضرة الحقيقة. ورجلٍ وصلَ، ثم رجعَ بربّه إلى خلقه ولم يستهلك هناك. فهي ـ أعني الغيرة ـ وصفُ من لا يصل، ووصفُ من وصلَ ثم رجع بالتكميل. قال عليه السلام: «إنّ سعدًا لغيور، وإن محمَّدًا لأغيرُ منه، وإنَّ ربَّ محمدٍ لأغيرُ من محمد»[٣].

وقال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري: الغيرةُ حالٌ يُعبّر به عن سقوط الاحتمالات لمقاساة ما يشغل عن المحبوب الحقّ أو يحجب عنه، بحيث لا يسامحُ المحبُّ أحدًا لمحبوبه. وهذا الشحُّ[٤] هو عين السماحِ، والبخل به عين الكرم. وقد مضى تفصيلُها.

والحيرة: هي حالةٌ تردُ على قلبِ العبد بعد الغموض في التأمّل، فتحجبه عن التفكر والتأمل. وقد تردُ بعد تواصل الفيوض في التوجّه إلى الفائضات من الحقائق والمعارف. فالحيرةُ على ضربين: حيرةٌ محمودة، وحيرةٌ مذمومة. فالحيرة المحمودة: من الطالبين والواصلين، وهي ما وردَ في الأدعية المأثورة: «ربِّ، زدني فيك تحيّرًا»[٥]. وقد سبق تفصيل الحيرة والتحير.

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ١٣٢.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ١٨٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ١٦٠ (٢٧٩٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٦٠١: رجاله رجال الصحيح.

(٤) في الأصل: وهذا الشيخ. وأثبت المناسب.

(٥) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٨١).

وهو أي القلب حامل المعاني ومدير المغاني. المعاني: هي الصور الذهنية من حيث إنها بإزائها الألفاظ والصورة الحاصلة في العقلِ من حيث إنها تقصدُ باللفظ سُمّيت معنى، ومن حيث إنها تحصلُ من اللفظ سُمّيت مفهومًا، ومن حيث إنها مقولة في جواب (ما هو) سُمّيت ماهية. ومن حيث ثبوتها في الخارج سُمّيت حقيقةً، ومن حيث امتيازها عن الأغيار سُمّيت هويةً. والمعنوي هو الذي لا يكون للِّسانِ فيه حظ، وإنّما هو معنًى يُعرفُ بالقلب.

والمغاني: جمع المغني، وهو المنزلُ الذي غنى به أهله ثم ظعنوا. وكذا المغناة بفتح الميم فيهما، وبضمها.

وكما أنّه أي القلب أيضًا صاحب الجهلِ والغفلة. الجهلُ: وهو اعتقادُ الشيءِ على خلافِ ما هو عليه، واعترضوا عليه بأنّ الجهل قد يكونُ بالمعدوم، وليس بشيء، والجوابُ عنه أنّه [٤١٦/ب] شيءٌ في الذهن.

والجهلُ البسيط: وهو عدمُ العلم عمّا من شأنه أن يكون عالمًا.

والجهلُ المركب: وهو عبارة عن اعتقادٍ جازم غير مطابق للواقع.

والغفلةُ: عبارةٌ عن متابعة النفس على مُشتهياتها.

وقال سهل رضي الله عنه: الغفلةُ إبطالُ الوقت بالبطالة.

وقيل: الغفلةُ عن الشيءِ هي ألاّ يخطرَ ذلك بباله.

والقلب أيضًا صاحب الظنّ والشكّ. الظنُّ: هو الاعتقادُ الراجح مع احتمالِ النقيض، ويستعملُ في اليقين.

والشك: وهو التردُّد بين النقيضين لا ترجيحَ لأحدِهما على الآخر عند الشاكّ.

والقلبُ أيضًا صاحب الكبر والكفر. الكِبر: بالكسر العظمةُ، وكذا الكِبرياء مكسورًا ممدودًا، وكبرُ الشيء معظمُه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١].

والكُفر بالضم، والقياسُ الفتح، وهو لغةً: الستر. وشريعةً: عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يؤمنَ. والكفر ضدُّ الإيمان، يتعدّى بالباء، وضدُّ الشكر يتعدّى بنفسه. والكفرُ قد يحصل بالقولِ تارةً، وبالفعل أُخرى. والقولُ الموجب للكفر إنكارُ مجمعٍ عليه فيه نصٌّ، ولا فرق بين أن يصدرَ عن اعتقادٍ أو عنادٍ أو استهزاءٍ. والفعل الموجب للكفر هو الذي يصدرُ عن

تعمّدٍ، ويكون الاستهزاءُ صريحًا بالدّين، كالسجود للصنم، وإلقاء المصحف في القاذورات. والكفرُ تكذيبُ محمّدٍ ﷺ في شيءٍ مما جاء به من الدين ضرورة، كما أن الإيمان هو تصديق محمد ﷺ في جميع ما جاء به من الدّين ضرورة. وقد سبق تفصيلُه[١].

والقلب أيضًا صاحب النفاق والرياء. النفاقُ: إظهار الإيمان باللسان، وكتمانُ الكفر بالقلب.

والرياء: تركُ الإخلاص في العمل بملاحظةِ غيرِ الله فيه.

والقلب أيضًا صاحب العُجب والحسد. العُجب بالضم: رؤيةُ الرَّجُلِ نفسَه. يعني عبارةٌ عن استحسان نفسه ورأيه، كما يقال: أُعجب بنفسه وبرأيه على ما لم يُسمّ فاعله، فهو معجَب بفتح الجيم، والاسم العجب، وقولهم: ما أعجبه برأيه! شاذٌّ، لا يُقاس عليه، لأنّ فعلَ التعجّب لا يُبنى إلاّ مما يُبنى منه اسم التفضيل. واسم التفضيل لا يُبنى من الرباعي، ولا ممّا فيه معنى العيب.

والحسد: أن يتمنّى زوالَ نعمة المحسود.

وفي «القاموس»: حَسَدَهُ الشيءَ، وعليه، يَحْسِدُه حَسَدًا، وحُسودًا، وحَسادةً: تمنّي أن تتحوَّلَ إليه نعمته وفضيلته، أو يُسْلَبَهما، وهو حاسد.

والقلب أيضًا صاحب الشوب والهلع. الشوب: الخلط، والشوبةُ الخديعةُ، والشّوائب الأقذار والأدناس.

والهلع مُحَرَّكَةً: أفحشُ الجزع، وكصُرَدٍ: الحريص، والهلوع من يجزعُ ويفزع من الشرِّ، ويحرصُ ويشحُّ على المال، أو الضجورُ لا يصبرُ على المصائب.

والقلب محلُّ الأوصاف المذمومة كلِّها يعني كون القلب صاحبَ الجهل والغفلة والظنِّ والشكِّ والكِبر والكفر والنِّفاق والرِّياء والعُجب والحسد والشّوب والهلع، ومحلُّ الأوصافَ المذمومة كلِّها، **إنما هو إذا لم ينظرِ اللهُ إليه** أي إذا لم ينظرِ اللهُ تعالى إلى القلبِ بنظرِ العناية والتوفيق **ولا أدناه** أي ولا قرّب القلب منه تعالى **وأحرمه التوفيق** أي صيَّر [٤١٧] القلب محرومًا عن التوفيق والهداية **وخيبته في الأزل العناية** يعني العناية الأزلية صيّرتِ القلب خائبًا خاسرًا.

---

(١) انظر الصفحة (١/ ١٦٦ و٢/ ٢٥١).

هو أي القلب مُطلقًا رسولُ الحقِّ سبحانه وتعالى إلى الجسم، فإمّا هو صادقٌ. الصدق: يقال على معنيين:

أحدهما صدق الخبر: وهو أن يكونَ نطقُ اللسان مُوافقًا لما في الجَنان.

وثانيهما تمامُ قوة الشيء، كما يُقال: رمحٌ صدق، أي صلبٌ قوي، فلهذا كان الحافظُ للسانه يحتاجُ إلى قوةٍ كاملة سُمّي صادقًا لكمال قوته التي بكمالها صحَّ منه أن يكونَ حافظًا للسانه.

وعند الطائفة: الصدقُ هو الموافقةُ للحقِّ في الأقوال والأفعال والأحوال، ولا شكَّ أنَّ ذلك لا يتمُّ إلاّ ممَّن كملَ قوةُ ضبطه لنفسه في جانبي العلم والعمل، وقد سبق تفصيلُ صدقِ الأقوال والأفعال والأحوال، وصدقِ الهمّة، وصدق النور، والصديق والصديقية.

وأما هو أي القلب دجال أي كذّاب.

وفي «القاموس»: الدَّجّال المسيح لأنّه يعمُّ الأرضَ، أو من دَجَلَ كَذَب، وأَحْرَق، وجامَعَ، وقطعَ نواحي الأرض سيرًا، أو من دَجَّل تدجيلاً غَطّى وطَلَى بالذهب لتمويهه بالباطل، أو من الدُّجال للذهب أو مائهِ لأنَّ الكنوزَ تتبعُه، أو من الدَّجّال لفِرِنْدِ السيف، أو من الدَّجَّالة للرُّفقة العظيمة، أو من الدَّجّال كسحاب للسِرجين؛ لأنّه يُنجّسُ وجهَ الأرض، أو من دُجَّلِ الناس للُقّاطِهم، لأنهم يَتبعونه.

أمّا هو أي القلب مضلٌّ إن كان دجّالاً وأما هو أي القلب هادٍ إنْ كان صادقًا، فإن كان القلبُ الذي هو رسولُ الحقِّ إلى الجسم كريمًا صادقًا هاديًا أكرم القلب الرسول وإنْ كان القلبُ المرسلُ من الحقِّ إلى الجسم لئيمًا دجّالاً مضلاً أسلمَ أي أصلحه فإن كان القلبُ المرسلُ رسولَ خيرٍ، وإمامَ هدًى حرّك أجنادهَ بالطاعة.

قال الشيخ رضي الله عنه في «التدبيرات الإلهية»[1]: اعلم أيُّها السيّدُ الكريم أنَّ الأجنادَ هم الأعمدةُ التي يقومُ عليها فُسطاط الملك، والأوتادُ الذين يمسكونه. واعلمْ أن المُلكَ بيتٌ، فلا بدَّ له من أربعةِ أركان تُمسكه، وهي: أوصافُك المحمودة، وأخلاقُك الرفيعة، فلتصطفِ منهم أربعةَ خواصًا منهم تدورُ عليهم أفلاكُ مملكتك، وما بقي من الأجنادِ فتحتَ

(١) التدبيرات الإلهية: ١٩٢ (الباب ١٣).

أمرِ هؤلاء الأربعة، فينحصرُ لك النظرُ فيهم، وهم يديرون مُلكك، كلٌّ واحدٍ لطائفةٍ معلومة، وهي: الخوفُ والرجاءُ، والعلم، والتفكّر واجعلِ الخوفَ عن يمينك، والرجاءَ عن شمالك، والعلمَ من بين يديك، والتفكّر من خلفك. فإذا جاء العدوُّ من قِبَلِ اليمين إنَّما يأتي بالجنَّة العاجلة، وهي الشهوات، فيزيّنُها له، ويجيءُ بها إليه، فيعرض له الخوف، فيدرؤه عنها، وإن أتاك العدوُّ من جهة الشمال فإنّه لا يأتيك إلاّ بالقنوط، واليأس، وسوءِ الظنِّ بالله، وغايةِ المقت. فيقومُ له الرجاءُ بحسن الظنِّ بالله عز وجل فيدفعه ويقمعه، وكذلك إذا أتاكَ من بين يديك أتاك بظاهر القبول، فأدّاكَ إلى التشبيه والتجسيم، فيقوم له العلم، فيمنعه أن يصلَ إليك، وكذلك إذا أتاكَ من خلفك أتاك بشبهٍ وأمرٍ من جهة الخيالات الفاسدة، فيقوم له التفكّرُ، فيدفعه، ولا سبيل للعدوِّ في قتال هذه المدينة إلاّ من هذه الجهات الأربع، لقوله تعالى حكايةً عن إبليس: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧] [١٧/٤١ب] ولم يذكرْ أكثرَ، ولا يصحُّ فإنه ما بقي إلاّ اثنان الفوقُ والتحتُ، فأمّا التَّحتُ فإليه يدعوك، وأمّا الفوقُ فهو محلُّ طريق التنزّل الإلهي.

وتوجّهت سفراؤه أي رسلُ القلب: جمع السفير، والسفيرُ الرسولُ المُصلحُ بين القوم.

قال الشيخُ رضي الله عنه في «التّدبيرات الإلهية»[١] في السفراء والرسل الموجّهين إلى التائرين[٢] بمدينة البدن: فلتكنْ رسلُك أيُّها السيّدُ إلى الهوى المطاع الثائر[٣] بمدينتك التوفيق والهدى، والفكر والاعتبار، والتدبير والثبات، والقصد والحزم، والاستبصار والتذكّر، والخوف والرجاء، والإنصاف وما شاكل هذه الأوصاف، وهي سفراءُ رسولِ خير، وإمامِ هدىً، وأمّا رُسُل الهوى فهي: الحرصُ والكذب، والخيانةُ والغدر، والجبنُ والبخل، والجهلُ والشر، والبغيُ والبلادة، وما شاكل هذا الصنف. انتهى

يعني: إن كان القلبُ رسولَ خيرٍ، وإمامَ هدًى حرّك أجنادَه المذكورة بالطاعة، **وتوجّهت سفراؤه إلى أُمرائه العشرة من عالم الغيب التي هي حضرته** أي حضرة القلب **ومن عالم الشهادة التي هي باديته** أي بادية القلب يكتبُ القلب لأُمرائه الاستقامةَ على السُّنة والجماعة لكلِّ أميرٍ

---

(١) التدبيرات الإلهية: ١٩٠ (الباب ١٢).

(٢) جاء في هامش الأصل: التور: الجريان، والرسول بين القوم، وإناء يُشرب فيه.

(٣) جاء في هامش الأصل: ثار الغبار سطع، وأثاره غيره، وثوره الشيءُ تثويرًا: هيّجه وأظهره. وفي «القاموس»: الثور: الهيجان والوثب.

ما يليقُ به من التكليف، وما تقتضيه حقيقتُهُ أي حقيقة ذلك الأمير، وهم أي أمراء القلب عشرة؛ خمسة منها ملكية، وخمسةٌ منها ملكوتية، فالأمراءُ الملكوتيون يُسمّونَ أرواحًا، والأمراءُ الملكيون يُسمّون حواسًّا كحاسةِ السمع، وحاسة البصر، وحاسّة الشمّ، وحاسّة الذوق، وحاسّة اللمس. والأمراءُ الروحانيون كالرُّوح الحيواني، والروح الخيالي، والروح الفكري، والروح العقلي، والروح القُدسي، فإذا نفذ الأمرُ الإلهيُّ إلى أحدِ هؤلاء الأمراء من القلب، بادرَ لامتثالِ ما وردَ عليه على حسب حقيقته، وهؤلاء السفراء التي مرّتْ تفاصيلُها هم الخواطر المشهورة يعني: التوفيق، والهدى، والفكر، والاستبصار، وغير ذلك هم الخواطر المشهورة التي خطرتْ من القلب إلى الأرواح والخواصّ الظاهرة.

* * *

فصل في كرامة الأعضاء ومنازلها

فصل: اعلمْ يا بُني ـ وفقَكَ الله، ونورَّ قلبك، وطهّر ثوبك أي صفتك من الصفات الذميمة ونزّه سرّك عمّا سوى الله تعالى وتقدس ـ أنّ كلَّ كرامةٍ ومنزلٍ ذكرناه فيما تقدّم للأعضاء السبعة فإنّما ذلك كلُّه راجعٌ إلى القلب، وعائدٌ عليه، ولولاه أي لولا القلب لم يكنْ من ذلك الكرامة، والمنزل شيءٌ لتلك الأعضاء السبعة فإنَّ كلَّ عملٍ صدرَ عنها أي الأعضاء السبعة، وهي: السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرِّجل. يعني كلّ عملٍ صدرَ عن تلك الأعضاء إن لم يؤيّده الإخلاص الذي هو عمل القلب فذاك العمل بلا إخلاص هباء منثور أي غبار متفرّق. وقد مرّ تفصيلُ الهباء في السُّبحة السوداء.

فلا تصحُّ له أي لعملٍ بلا إخلاص نتيجةٌ أصلاً بالكلّية، ولا يورثُ العملُ بلا إخلاص سعادةً أبدية، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وقال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنّما لكلِّ امرىء ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت [٤١٨] هجرتُه إلى دنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١] صدق رسولُ الله.

فتبيّن بهذا السند أنّ الأعمال الظاهرةَ والباطنة كلَّها يزكّيها أي يطهّرها عملُ القلب الذي هو الإخلاص أو يُخرجها أي يظهر القلب الأعمال الظاهرة إلى الظاهر فليسَ للأعضاء إذاً حركةٌ ولا سكون في طاعةٍ شرعية ولا معصية إلاّ عن أمرِ القلب وإرادته فأول[٢] ما ينبعثُ الخاطر في القلب، فإذا تحقق الخاطر وعزم القلبُ على إمضائه أي إنفاذ ذلك الخاطر نظر القلبُ إلى الجارحة أي الأعضاء المختصّة بعملِ ذلك الخاطر الذي قامَ به أي خطرَ في القلب فيحرِّكُها أي يحرّكُ القلب تلك الجارحة بعملِ ذلك الخاطر، إمّا طاعةً أو معصيةً، وعليها يقع الثوابُ والعقاب يعني على الطاعة يقعُ الثوابُ، وعلى المعصيةِ يقعُ العقاب.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ٢٠١).

(٢) ي المطبوع من المواقع (٢٢٩): وإرادته، فإنه أول.

ألا ترى أنَّ الله تعالى كيف جعل النظرَةَ الأولى التي هي من غير قصدٍ، ولا للقلبِ فيها أي في النظرة الأولى نيةٌ بوجهٍ معفوًا عنها المفعول الثاني لجعل والعبدُ غيرُ مؤاخذٍ بها أي بتلك النظرة الأولى وكذلك في النسيان إذا عملَ العبدُ عملاً من الأعمال ناسيًا غيرَ قاصدٍ لذلك العمل، فاللهُ تعالى قد عفا عنه، كما أنه أيضًا إن إراد العملَ القلبُ وهمَّ أي قصد القلب بمعصيةٍ ما لم يكن إصرارًا أي ما لم يكنِ القلبُ مصرًا في ذلك القصد لمْ يكتبْ عليه، ولا يُحاسب به أي بذلك القصد ما لم يعملْ به، أو يتكلّم به هذا المذكور يعني كونه معفوًا عنه في المعاصي وأما نيّة الطاعات[1] وهمتها فمأجورٌ بنيتِّه أي بنيّةِ العبد الطاعات وهمّته بها وإنْ لم يعملِ العبدُ الطاعات وكذلك إن لم يعملِ العبدُ المعصيةَ التي همَّ بها كُتبتْ له حسنةٌ، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تجاوزَ عن أمّتي الخطأَ والنِّسيان وما حدّثت به أنفسَها»[2]. وقال ﷺ: «إذا همَّ العبدُ بحسنةٍ فلم يعملْها كتبتْ له حسنةٌ، فإن عملَها أي الحسنة كُتبتْ له عشرًا أي عشرَ أمثالها وإن همَّ العبدُ بسيّئةٍ فعملها أي السيئة كتبتْ له سيئةٌ واحدة، فإن لم يعملْها لم تُكتبْ السيئة شيئًا. وقال تعالى للملائكة: اكتبوا حسنة[3] فإنه أي العبد إنّما تركها أي السيئة من جرائي»[4] يعني من أجلي وكذلك[5] أيضًا ما استكره عليه الإنسان، ففعله مخافةَ الموت، فإنه غيرُ مؤاخذٍ به عند الله تعالى، وذلك لأنّه لم يقصدْ ذلك الفعل بقلبه، وإنّما أُكره عليه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقوله ﷺ: «وما استكرهوا عليه»[6].

فإذا تقرّر هذا ثبتَ أنَّ القلبَ رئيسُ البدن، وهو المخاطبُ في الإنسان، وهو العقلُ الذي يعقلُ عن الله تعالى، هو الملكُ المطاع الذي قالَ فيه رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجسد لمضغة إذا

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٢٩): وأما في الطاعات.

(٢) حديث ذكره محمد بن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ ١/ ٥٧٤ (٩٣٤).

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٣٠): اكتبوها له حسنة.

(٤) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٧).

(٥) في المطبوع من المواقع (٢٣٠): أجلي يقول الله وكذلك.

(٦) حديث المصطفى ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» أخرجه ابن ماجه ١/٦٥٩ (٢٠٤٣) عن أبي ذر، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٩٩، وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٢٠٢ (٧٢١٩) والطبراني في الصغير (٧٦٥).

صلحتْ صلحَ الجسدُ كلّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كله ألا وهي القلب»[١] فإذا كان هذا كما ذكرناه فقد ثبتَ وصحَّ أنَّ جميعَ الكرامات والمنازل التي جعلناها للأعضاء السبعة المتقدّمة إنّما هي راجعةٌ إلى القلب، ومتعلّقة به، وعائدة عليه؛ ولكن مع هذا كله فله [٤١٨/ب] أي للقلب كراماتٌ ومنازلُ يختصُّ القلب بها في نفسه، لا يصلُ إليها أي إلى تلك الكرامات والمنازل المختصة بالقلب أَحدٌ من عمّاله أي عمال القلب من: السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرِّجل أبدًا، كما أنَّ كلَّ نعمةٍ تظهرُ في مُلك مَلِكٍ على رجاله وخدمة وحاشيته. والحاشيةُ: جانبُ الثَّوبِ وغيره، وأهلُ الرّجلِ وخاصّتُه وناحيته ومقامٌ رفيع، ومنزلة عليّة، راجعةٌ إلى الملك، ومع هذا فله أي للملك أيضًا نعمٌ ومنازلُ ومقاماتٌ يختصُّ بها ذاته أي ذات الملك لا ينالُها تلك النعم والمنازل والمقامات أحدٌ في مملكته، سواه أي غير الملك.

وقد ذكرنا هذا الفصل شافيًا مُستوفياً في كتابنا الموسوم بـ: «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية» قال رضي الله عنه في الباب العاشر في المسدّدين والعاملين أصحاب الجبايات والخَرَاج[٢]: اعلمْ أيُّها السيّدُ الكريمُ ـ حفظَ اللهُ عليك سلطانك ـ أنّ الله تعالى قد رفعَ الموجوداتِ بعضَها على بعض، وجعلها رئيسةً ومرؤوسةً، ومالكةً ومملوكة[٣]، وأنّ الله تعالى يُطالبك يومَ القيامة بالعدلِ في رعيّتك باديتها وحاضرتها، وأنَّ الله سيسألُهم عنك، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] يعني: بها. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

وأمثال هذا، فالعين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرِّجل من عمّالِك وأمنائك من أهل باديتك، وكلُّ واحدٍ منهم رئيسٌ وخازنٌ على صنفٍ من أصناف المال الذي يجبيه، ورئيسُهم وإمامهم الحسُّ الذي ترجع إليه هذه الحواس كلُّها بأعمالها [إليه]، وإنّ الحسَّ برئاسته ومملكته مرؤوسٌ تحت سلطان الخيال، والخيالُ بما فيه من صحّةٍ وفساد

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ٢١٥).

(٢) التدبيرات الإلهية صفحة: ١٨٥.

(٣) في التدبيرات الإلهية: رئيسة مرؤوسة، ومالكة مملوكة.

مرؤوسٌ تحت سلطان الذِّكر، والذِّكرُ مرؤوسٌ تحت سلطان الفكر، والفكرُ مرؤوسٌ تحت سلطان العقل، والعقلُ وزيرُك، وأنت الرئيس الإمامُ المعبَّرُ عنه بالروح القدسي، والذي ينبغي لك أيُّها الإمامُ الكريم [إذ لا تتمكّن] أن تباشرَ الأشياءَ بنفسك، أن تجعل الأمرَ مُتَّحدًا[١]، فتنظر في أمينٍ ثقةٍ، [قوي الجأش] ينظرُ في استخراج هذه الجبايات من أيدي الرعية على طريق العدل والسياسة، فإنّكَ لا بقاءَ لك دونَ بيت مالٍ، ولا غنىً عنه البتَّة، وأنتَ مُطالبٌ بجميعها، نطالبُك الرّعية بالرفق وحسنِ المعاشرة، ويَطلبُك من استخلفَك بامتثال أمرِهِ وتمشية العدل، فاحذرْ هذين المقامين، ولا تولِّ مُسدّدًا، ولا عاملاً إلاّ عارفًا بقدر ماله، وعليه شحيحًا، وليكن واحدًا، فإنَّ الكثرةَ تؤدّي إلى الفساد في الأمر الواحد. وقالَ من استخلفك: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، فصمْ وأفطر، وقمْ ونم، وقد اخترتَ لك مسدّدًا لن تعدمَ خيرًا ما دام معك، وقد نظرت له في وزعةٍ يمشون معه، فابعثْه على هذه الجباية بوزعتِهِ، فإنّك تَحْمَدُ سريرته، وتشكرُ بصيرته ألاَ وهو [٤١٩] العلم، ووزعتُهُ الثباتُ والاقتصاد، والحزمِ والرفق، فإنّه إذا دخلَ إلى عمالتك مع وزعته أقامَ ميزانَ العدل، وحسن السياسة، فإنّه نافذ البصيرة، يعرفُ خبثَ الرعية ومكائدها، فيأخذ ما يجبُ له، ويكلّف على قدرِ المصلحة والوسع، ولا يتجاوزُ، فاعتمدْ عليه، وأمِّرْه على من ذكرناه من الرؤساء من أصحاب الخَراج، فإنكَ تحمدُ عاقبته إن شاء الله تعالى.

وقال في الباب الحادي عشر في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية، ووقوف الإمام القدسي عليها، ورفعها إلى الملك الحقّ سبحانه[٢]: اعلمْ أيُّها السيّدُ الكريم ـ إعلامَ تنبيهٍ لا إعلامَ تعليمٍ ـ أن اللهَ تعالى هو ملكُ الأملاك، وربُّ الأرباب، وسيّد السادات، والكلُّ عدمٌ بوجوده، إذ هو الموجودُ على الإطلاق الذي لا بدايةَ لوجوده، ولا نهايةَ لبقائه، ولا ظاهر ولا باطن في علمه في حقّه، بل الأشياءُ كلُّها قديمُها وحديثها، أوّلُها وآخرها، أسفلها وأعلاها إنّما ظهرتْ به، ورجعتْ إليه منه، لا يخرجُ شيءٌ منه إلاّ إليه، فجميع أعمالك كلِّها خفيّها وجليّها هو سبحانه مطلعٌ عليها، فلا يطلعُ لك على ما يكرهه منك، ولا يجدُكَ حيثُ نهاك، ولا يفقدُكَ حيث أمرك، وأنتَ سميعٌ مُطيعٌ أيّها السيد الكريم، تعينُ علينا التنبيه على كيفية وصولِ جباياتك إليك من الحضرةِ القلبية والحسّية، ومنك إلى الله تعالى، وأمّا الحضرة

---

(١) في الأصل: الأمر متخذًا، والمثبت من التدبيرات الإلهية.

(٢) التدبيرات الإلهية: ١٨٧.

الحسّية فإنها تجبي المحسوسات التي ذكرناها، والخيالُ أميرُها، وصاحبُ خراجه الحسُّ، فتأخذ الحواسُ جميع المحسوسات على اختلاف أصنافها، ويؤدّيها إلى الحسِّ صاحبِ الخراج، فيرفعها في خزانة الخيال، فتكسب هنالك اسمًا من جنس ما رفعت إليه، وزال عنها اسمُ المحسوسات، وانطلق عليها اسم المتخيّلات، ثم يكونُ الخيالُ أيضًا صاحبَ خَراج تحت سلطان الذكر، فيحفظُها وينتقلُ هنالك اسمُ المتخيلات عنها إلى المذكورات أو المحفوظات، ثم يرجعُ الذِّكرُ صاحبَ خراج تحت سلطان الفكر، فيعرضُها عليه، فيسيّرها ويخلصها[1]، ويسألُ الرعية عنها، ويفرّقُ بين الحقِّ والباطل في ذلك، فإنَّ الحسَّ له أغاليطُ كثيرةٌ، وينتقلُ اسمُ المذكورات عنها إلى المتفكّرات، فإذا سيّرها[2] وردَّ منها إلى الحسِّ ما غلط فيه، وأخذ منها ما صحَّ، ورحلَ به إلى حضرة العقل [صار الفكرُ صاحبَ الخراج تحت سلطان العقل، فلمّا وصل إلى حضرة العقل]، دخل إليه وعرضَ عليه ما جاء به من العلوم والأعمال مفصّلةً: هذا عملُ السمع، هذا عملُ البصر، هذا عملُ اللسان حتى يستوفي جميعَ ذلك، وينتقلُ اسمُها إلى المعقولات، فيأخذها العقلُ الذي هو الوزيرُ، ويأتي به إلى الرُّوح الكلّي القدسيّ، فتستأذن له النفسُ الناطقة، فيدخل فيضع جميعَ المعقولات بين يديه، ويقول له: السلام على السيّدِ الكريم والخليفةِ، هذا وصل إليكَ من بادية حضرتك على يدي عمّالك، فيأخذها الروح، فينطلقُ إلى حضرة القدس، فيخرُّ ساجدًا، وتلك السجدةُ سجدةُ قربٍ وقرعٍ لباب الحقِّ حضرةِ القبول، فيفتح، فيرفع رأسَه، فتقعُ الأعمال من يده للدهش الذي يحصل له في ذلك التجلّي، فينادي: ما جاء بك؟ فيقول: أعمالُ فلان بنِ فلان الذي جعلني سُلطانك خليفةً عليه، قد رفعَ إليَّ جميعَ الخَراج الذي أَمرتني بقبضه من بادية الحضرة. فيقول الحقّ: قابلوه بالإمام المبين الذي [٤١٩/ب] كتبتُهُ قبل أن أخلقَه، فلا يغادرُ حرفًا واحدًا، فيقول: ارفعوا زمامه في علّيين. فيرفع، وهذا في سِدرةِ المُنتهى.

وأمّا إن كان في تلك الأعمال مظالمُ، وما لا يليقُ فلا تُفتح لها أبواب السماء، ومحلّ وصولها الفلك الأثير، وهنالك يقعُ الخطاب كما وقع في الأول، ثم يُؤمر بها فتُودع في سجّين قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧] وقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: ١٨] ويقول الحقُّ للروح القدسي في سدرة المنتهى: يا عبدي، هذه الأعمالُ رَفَعَتْكَ

---

(١) في التدبيرات الإلهية: ويسبرها ويخلصها.

(٢) في التدبيرات الإلهية: فإذا سبرها.

إلينا، وأحلّتك هذا المحلَّ الأسنى، انظر أخاك وصاحبَك دون السماء، فينظر إليه، فيعرف منَّةَ الله عليه، فيشتغلُ بالمنّةِ عن المشاهدة، فيقول الحقُّ: قد شغله فضلي عنّي. فيُحتجب، ولولا هذا ما صحَّ أن يزولَ من تلك الحضرة؛ ولكن قد جعلَ اللهُ لكل شيء سببًا ليتمَّ الكلمة، قال تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١] وقال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠] وانتقلَ اسم الأعمال عندما وصلتْ إلى الروح من المعقولات، فأُطلق [عليها] الأرواح فكساها سبحانه لما نظر إليها حلة البهاء، وأقعدها على منبرِ الجلال، ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار. فهذا معنى قول القائل: تزكوا الأعمال أي ينظروا العلو وتنمو[1]، فينتقلُ عليها الأسماء بانتقالها، وهي واحدةٌ في حدِّ ذاتها، فانظر ما أشرف حركة العبد في الطاعة! وهناك يجتمعُ الظاهرُ والباطن، والشريعةُ والحقيقة، وعملُ الجوارح وعمل القلوب. أعني في حضرة العقل.

وأمّا أعمالُك السيئات فإنّها تفترقُ من الصالحات في خزانة الخيال، ومن العالم العلويِّ في الفلك الأثير. فعليك أيُّها السيدُ بهذه الأعمال التي تخرقُ السموات العلا، وأمّا العلومُ فليستْ من الأعمال التي ذكرناها، فإنّ العلومَ بحيث معلوماتها، فإذا صعدتِ المعارفُ، وقفت كل معرفةٍ بمعروفها، فاجعلْ علمَكَ بالله يكُن عملك[2] مقدّسًا منزّهًا عن النقائص، ولله الحمد. انتهى.

* * *

وهو الذي ذكره فيه بيد أي غير أنَّ لمنازِلِ هذا القلب شروطًا ليست لغيره من الأعضاء السبعة وذلك أنَّ منازلَ الأعضاء السبعة المذكورة مرارًا قد تحصلُ لها من غير أن تحصل [لها] الكرامات المختصّة بها أي بالأعضاء والقلبُ بخلافِ ذلك فإنّه لا يصحُّ له أي للقلب منزلٌ ما لم يصحَّ له للقلب بعضُ الكرامات المختصّة به أي بالقلب فمنازلُه أي منازل القلب موقوفةٌ على بعض كراماته، ونحن نذكرُ إن شاء الله تعالى كراماتِ هذا القلب ومنازلَه ممتزجةً على حسب ما يُعطيه المقام، فأذكرُ الكرامةَ والكرامتين، والمنزلَ والمنزلتين والثلاثة، ثم أرجعُ إلى ذكر الكرامات بخلاف ما تقدّم في الأعضاء السبعة وأنّ هذا المزجَ يُعطي مقامَ القلب، إذ بعض

---

(١) في التدبيرات الإلهية ١٨٩: الأعمال، أي تعلو وتنمو.

(٢) في التدبيرات الإلهية ١٨٩: يكن علمك.

كراماته أي كرامات القلب **منازلُ لغيره من الأعضاء السبعة فلعُلُوِّها** أي لعلوِّ كرامات القلب **وامتزاجِها** أي كرامات القلب **بالمنازِلِ** التي هي للأعضاء **ولطافتها** أي لطافة كرامات القلب **صارتْ كأنّها هيئةٌ**. الهيئة: لغةً: حالةُ الشيء وكيفيَّتُهُ، وهي والعرضُ متقاربا المفهوم، إلاّ أن العرض يطلقُ على جميع مقولات الأعراض باعتبار عروضه لها، والهيئةُ تُطلق عليها من حيث إنها حاصلةٌ في موضوعاتها، وكثر لفظ الهيئة في الخارج، ولفظ الوصف في الأمور الذهنية **فلهذا** أي [٤٢٠] لأجل بعض كرامات القلب كان بعضُ منازلَ لغيره من الأعضاء **بعسرُ فصلُها عن المنازِلِ** أي يعسرُ.



كرامات القلب

فصل كرامات القلب عن المنازل.

فشرع في بيان كرامات القلب، فقال: كراماتُ القلب فمن ذلك أي بعض الكرامات المختصّة بالقلب معرفتُهُ أي معرفةُ القلب بالكونِ قبل أن يكونَ ذلك الكون، وهذا العرفانُ هو العلمُ الخفيُّ الذي هو كائنٌ فوق العلمِ السّري. السرُّ لطيفةٌ مودعةٌ في القلب كالروح في البدن، وهو محلُّ المشاهدة، كما أنَّ الروحَ محلُّ المحبة، والقلبُ محلُّ المعرفة.

وسرّ السرّ: ما تفرّد به الحقُّ عن العبد كالعلمِ بتفصيلِ الحقائق في إجمالِ الأحدية وجمعها واشتمالها على ما هي عليه ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

والخفيُّ في اصطلاح أهل الله: هو لطيفةٌ ربانيةٌ مودعةٌ في الروح بالقوة، فلا يحصلُ بالفعل إلاّ بعد غلباتِ الواردات الربانية، ليكونَ واسطةً بين الحضرة والروح في قبول تجلّي الصفات الرُّبوبية، وإفاضة الفيض الإلهي على الروح. ومرادُ الشيخ رضي الله عنه من العلم الخفيِّ ههنا هو علمُ سرِّ السرِّ الذي هو فوق العلم السري كما سيجيء.

وفوقه أي فوقَ العلم الخفيِّ المعبَّر عنه بعلم سرِّ السرِّ علم أخفى وفوق الأخفى أخفى إلى الأخفى الذي استأثر الله به دون خلقه يعني العلم السرّي هو الذي يتعلّقُ بالأعيان الثابتة، والعلمُ الخفيُّ هو الذي يتعلّق بالأسماء والصفات، وعلم الأخفى هو الذي يتعلّق بذاته تعالى، ولذلك قال: (الأخفى الذي استأثرَ اللهُ به) أي استبدّ أي تفرَّدَ به دون خلقه فالأخفى الأوّلُ الذي عبارة عن سرِّ السر هو الذي عمي عنه أي عن علم الأخفى الأول كلُّ مخلوقٍ ما عدا هذا الشخص صاحب القلب الذي أَطلعه اللهُ أي أظهره الله تعالى عليه أي على علم الأخفى الأول كرامةً منه تعالى به بذلك الشخص فهو أي علم الأخفى الأول بالنظر إلى العالم أخفى من السرّ، وبالنظر إلى الحقِّ فهو من علوم السر، لوقوع الاشتراك في علمه أي علم الأخفى الأول فهو ذلك العلم للحقِّ سبحانه من حضرة ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ [طه: ٧] وهو أي ذلك العلم للعالمِ من حضرة أخفى، إلاّ أنَّ أصحابَنا رضي الله عنهم أطلقوا على هذا العلم أي العلم الخفي الذي هو فوق العلم السرّي سرَّ السرِّ أدبًا مع الحقِّ تعالى، إذ لم يسمّ له أخفى إلاّ

ما انفردَ به سبحانه وتعالى وأنا جارٍ على هذا الأدب، وإنّما ذكرتُ الأخفى الأول هنا لهذا السرّ تبيينًا للمعنى في حقّ السامع يعني يُطلق السرُّ للعلم الذي يتعلّق بالأعيان الثابتة، وسرّ السرّ والخفي للعِلم الذي يتعلّق بالأسماء الإلهية، والأخفى بالعلمِ الذي انفردَ به الحقُّ المتعلّق بذاته وهذه المراتبُ عند أكثرِ الطائفةِ العلية ثلاث: السرّ، والخفيّ، والأخفى. وسرُّ السر عندهم عبارةٌ عن الأخفى، وعند الشيخ رضي الله عنه أربعٌ: السر، والخفيُّ، ثم الأخفى الأول الذي هو سرُّ السرّ، ثم الأخفى الذي استأثرَ الله به دون خلقه فسرُّ السرّ هو هذا العلم الذي سمّاه الشيخ رضي الله عنه بالأخفى الأول، وسمّاه غيره بالخفي وما هو أَخفى من الأخفى الأول الذي استأثرَ اللهُ به دون [٤٢٠/ب] خلقه ما فوقه أي فوق الأخفى الأول.

ولا يُلتفَتُ على البناء للمفعول لمن يقولُ إنَّ كلَّ إنسانٍ له سرٌّ يخصُّه لا يعلمه أحدٌ معه إلاّ الله، هيهات أي بَعُدَ جدًا، جوابٌ عن السؤال المقدّر وهو أنَّك قلتَ: إنَّ بعضَ كراماتِ القلب معرفته بالكون قبل أن يكونَ ـ أي يوجد ـ ذلك الكون في الخارج، فكيفَ يعرفُ سرَّ غيره؟ وقد قيل: إنّ كلَّ إنسانٍ له سرٌّ يخصُّه لا يعلمه أحدٌ معه إلاّ الله. فقال رضي الله: عنه هذا القول بعيد جدًا أين علم اللوح وعلم القلم اللذان يتعلّقان بجميع سرائر الأكوان؟ وأين لمة الملك ولمةُ الشيطانِ؟ اللّمة بالفتح أي المسُّ، يقال فلان أصابته من الجنِّ لمةٌ: يعني أثرٌ منه، يعني إلهام المَلَكِ وإلقاء الشيطان نعم يعني نسلّم أنَّ لكلِّ إنسانٍ سرٌّ مسلّم ذوقًا لا يعلمه أحدٌ من جنسه، ولا أكثر من غير جنسه، ويعلمه أي يعلمُ ذلك السر هذا الشخص صاحبُ القلب الذي أكرمَهُ الله تعالى به بذلك الشخص، بإظهار سرِّ الغير إليه وما يكون فيه أي والسرّ الذي سيكونُ في ذلك الشخص من بعدُ، ممّا لم يوجدْه اللهُ تعالى في نفسه أي في نفس ذلك الشخص الآن وهذا كرامةٌ من الله تعالى لبعض العبيد، وتحقق ميراث إلهيٍّ، فأربابُ القلوب يعلمون السرائرَ بإعلامِ الله تعالى لهم، وما انطوت أي التوت عليه النفوس والضمائر، وهي المكاشفاتُ التي ذكرناها في عضو البصر، ويعلم واحدٌ من أرباب القلوب ما لا تعرفه الضمائر و[لا] الخواطر ممّا ستعرفه، فبهذا العلم استأثر أي استبدّ وتفرَّدَ صاحبُ القلب الإلهي، وهذا أي معرفة صاحب القلب بسرِّ غيره جائز عقلاً لأن يُعْلِمَ اللهُ سبحانه وتعالى عبدًا من عباده ما في نفسِ عبدٍ آخرَ، وممَّا سيكون ممّا ليس هو الآن كائن، وما بقيت الدَّعوى إلاّ في أن هذا الأمرَ قد وقع، ولا برهانَ على أنّه أي ذلك الأمر الذي هو عبارةٌ عن معرفة صاحب القلب سرّ غيره وقع [عقلاً] إلاّ أنّ المدّعي في هذا المقام إذا ادعاه أي ادّعى معرفةَ سر غيره ويقول: أنا ذلك

الرجلُ الذي يعلمُ سرَّ غيره، يقال له أي للمدعي: هات أي أعط أَخبرنا بما في نفوسِنا، وما يكون من بعدُ ممّا ليس فيها أي في أنفسنا الآن، فإن كان ذلك المدّعي صادقًا في دعواه أخبرَ بذلك السر، وإلاّ أي إنْ لم يُخبِر بذلك السر فدعواه كاذبةٌ، وهذا هو السرُّ الأخفى الأول الذي هو سرُّ السر، فهو أخفى بالنظرِ إليك مع العالم ومن جهة أن الحقَّ قد أطلعك أي أوقفَكَ عليه أي علم الأخفى فهو سرٌّ بينك وبين الحقِّ وللحق علم أخفى منه من ذلك الأخفى الذي علّمك وصاحبُ هذا المقام يعلمُ ما في نفسك، وأنت لا تعلمُ ما في نفسه أي نفس صاحب هذا المقام، ولمّا كان هذا الأمرُ أي معرفة ما في نفس غيره يحصلُ لبعض الناس ولا يحصلُ للآخرين من أهلِ ذلك المقام الذي منه أي من ذلك المقام يحصلُ هذا الأمر لمن حصلَ، جعلناه أي ذلك الأمر الذي هو عبارةٌ عن معرفة ما في نفس غيره كرامةً، ولم نجعله منزلاً، لأن أصحاب المقامات ليستِ الكرامة شرطًا في تصحيح مقاماتهم، وأمّا المنازلُ فشرطٌ في صحّ المقامات، ومن ادّعى مقامًا ولم يقف على منزلٍ من منازله أي [٤٢١] منازل المقام فدعو كاذبةٌ، وقولُه زور أي كذب وبهتان. بهتَهُ كمنعه بهتًا وبهتانًا. قال عليه السلام: «ما لم يفعل» وآلهته الباطل الذي يتحيّر من بطلانه والكذب.

* * *

منازل الإمامين

الإمامان هما شخصان أحدُهما عن يمينِ الغوث يعني القطب، ونظره في الملكوت. والآخرُ عن يساره، ونظره في الملك، وهو أَعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف القطب.

واعلمْ أنَّ السببَ الذي منه تحصلُ هذه الكرامات هو أنَّ القلبَ له بابان، بابٌ إلى عالم الملكوت، وبابٌ إلى عالم الشهادة، وعلى كلِّ بابٍ إمامٌ، فالإمامُ الذي على باب عالم الملكوت قارعٌ لذلك الباب، حتّى يفُتحَ له، ولا بدّ أي لا فراق أن يفُتحَ، فإذا فُتح ذلك الباب أي باب عالم الملكوت ظهرَ عند فتحه طريقان واضحان أحدُهما طريقٌ إلى الأرواح الملكوتيات والرحموتيات يعني عالم نفوس المجردة والأرواح المجردة والآخر طريقٌ إلى اللوح المحفوظ والمراد من الإمامين في الأنفس هما مقام الصدر ومقام الفؤاد، يعني صاحب الصدر الذي هو الرّوحُ الحيوان، وصاحب الفؤاد الذي هو الروح الإضافي، لأنَّ القلبَ الذي مظهرُ الروح القدسي متوسّطٌ بينهما، والبابُ الذي يُفتحُ إلى عالم الشهادة هو الصدر، والبابُ الذي يُفتحُ إلى عالم الملكوت هو الفؤاد، وهو قارعٌ لباب الملكوت، فإذا انفتحَ ظهرَ طريقان، أحدُهما طريقُ النفوس المجرّدة والأرواح المجردة، والآخرُ طريقٌ إلى اللوح، وهي النفس الكلّية.

فإذا سلك هذا الإمام أي صاحب الفؤاد الذي هو الرُّوح الإضافي المعبّر عنه بالخميرة المحمدية على طريقِ الأرواح والأملاك وقف عند ذلك على أسرارِ الملائكة، ويصير ذلك الإمام صاحبًا لهم أي للأملاك والأرواح وسميرًا أي مُسامرًا. والمُسامرةُ: الحديثُ بالليل، يعني يصيرُ ذلك الإمامُ، مصاحبًا ومسامرًا لهم ومن ثم أي من أجلِ كونه صاحبًا وسميرًا لهم يكثرُ تسبيحه أي تسبيح ذلك الإمام ويكثرُ تهليلُه ومعاملاتهُ ويكثر اجتهادُه في العبادات على حسبِ الصنف أي النوع الروحاني الذي يكونُ معهم، فثمَّ هنالك صنفٌ غلبَ عليهم التسبيح وصنفٌ آخرُ غلبَ عليهم التحميد، وصنفٌ آخرُ غلبَ عليهم السجود، وصنفٌ آخر غلب عليهم القيام، وما منهم إلاّ له مقامٌ معلوم لا يتجاوزُ مقامه كما أخبرَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات: ١٦٤] وله حدٌّ مرسوم لا يجاوزُ حدَّه وأنّهم الصّافُّون المسبّحون الليلَ

والنهار لا يفترون أي لا يصلُ إليهم في تسبيح الليل والنهار الفتورُ، وهو الضعف والانكسار فهذا الإمامُ النزيلُ أي الضيف بهم أي بالصنف الروحاني يغلبُ عليه أي على الإمام حالتُهم أي حالة الروحانيين ضرورةً. الضرورةُ: مشتقّةٌ من الضرر، وهو النازلُ ممّا لا مدفعَ له فتكونُ عبادتُه أي عبادة الإمام على نوعِ عبادةِ الصنف الذي يكونُ عندهم، وهي الدلائل على كشفه وهي البراهينُ على دعواه أي دعوى الإمام النزيل بهم في مشاهدتهم أي الروحانيين.

ومؤانستهم [٤٢١/ب] ومحادثته لهم أي محادثةُ الإمامِ للرُّوحانيين وأمّا الطريق الذي يُفتح له أي للإمام إلى اللَّوح منه أي من ذلك الطريق يعرف الإمام ما ذكرتهُ لك من معرفةِ ما في نفس الغير لأنّه قد ارتقمَ فيه أي انتقش في لوح مرآة الإمام [علم] ما كان إلى الآن وما يكون بعدُ ويرتقمُ فيه ما لو كان ـ أن لو شاء الحقُّ تعالى أن يكونَ ـ كيف يكون، فيقابله أي يقابل الأم[1] ذلك الارتقام بذات قلبه، فيرتقم فيه أي ينقش في مرآة القلب على حسبِ أي قدر كشفه أي كشف الإمام كما ذكرناه في فلك اليد، فانظره هناك في الباب الجزئي.

كما قال رضي الله عنه الباب الجزئي: فهو باب حكم التجلّي وأسرار المتجلّيات، وما أبدع في طيّها من المعارف القدسية، والمعالم الربّانية المتعلّقة بالحضرة الإلهية، وهي التي لا تتناهى لكونها غيرَ حاصلةٍ في الوجود، لأنَّ ذلك راجعٌ إلى فهمك، وإلى ما يوجده الحقُّ فيك عند مشاهدتك إيّاها، لا إلى ذواتها، فغايتها السببية في تحصيل الأسرار التي تدلُّ عليه عندك، فهي حروفٌ وألفاظ جاءت لمعانٍ يُوجدها الحقُّ فيك مقترنةً بشهودها، ولا يكون فتحُ ذلك الباب إلاّ على قدرِ ما يُريد الوهّاب أن يفتحَ منها على من شاء من عباده؛ لكنّه في المزيد على الدوام، فمقاماتُ العوالم محصورةٌ، ومعالمها وأسرارها غيرُ محصورة، ثم لا يزال كذلك يأخذُ من هذا العالم المواهب الإلهية على مراتبها، ويدفعُها للفقراء ممّن دونه على مراتبهم ومنازلهم، وحجابُ غفلة الكون دونه مسدولٌ حتى تمتدَّ له اليد المقدسة بـ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فيلوح له عند ذلك حجابُ الكونِ، وسدُّ الغفلة أمامه، فترتفعُ الهمّةُ لخرقِ ذلك السدّ ورفع الحجاب، فينادي من خلف الحجاب: لا يصلُ إلينا من استمسك يدهُ بشيءٍ من غير حضرتنا، فازهدْ تجدِ الغنى والراحة، واتركِ العالمَ وموجدهم[2]، تريدُ أن تكون رزّاقًا ثانيًا؟ فيتوب

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: الإمام.

(٢) جاء في هامش الأصل: قوله: واتركِ العلم وموجدهم: أي مع موجدهم. يعني فوّض أمور العالم إلى موجدها.

القلبُ عند سماع ذلك الخطاب، ويستغفر، ويتضرّع، ويغمضُ عينه عن ملاحظة نفسها ومشاهدة مرآتها، فتطوي اليمين عند ذلك سماء القلب، وتميط عنه أكوانه، وتبدو العينُ السليمة، فإذا بدتْ شاهدتِ اليمين اليمين، والنعت النعت، والاسم الاسم والذات الذات، واجتمع الكلُّ، وانتظمَ الشملُ، واطّلع على المُلك بأسره، فوجده في قبضته مُرتقمًا في حقيقةِ اللطف منه في مرآة قبله، لأنه شاهدَهُ في مرآةِ مُوجده، فارتقم فيه من لطفِ إلى لطفٍ، وهذا هو المقامُ الذي يشاهدُ فيه الخلقَ في الحقّ. انتهى. وقد سبق شرحُه هناك.

واعلمْ أن المشاهدَ لهذا المقام ساكنُ الجوارحِ، لا يتحرّكُ له عضوٌ أصلاً بالكلّية إلاّ عيناه، تُحرّكُهما عينُ البصيرة بقوّتها لغلبةِ المقام عليه، وههنا يقعُ التفاضلُ بين أهل هذه الطريقة، فمنهم من لا يزالُ عاكفًا أي مقبلاً مواظبًا على اللوح أبدًا لا ينقطع به[1]، ومنهم من يشهدُهُ أي اللوح تارةً وتارة أي مرّةً بعد مرّةٍ ومنهم من يكونُ له فيه أي في اللوح نظرةٌ واحدةٌ ويرجعُ، ثم لا يعود، ومنهم من يتركُ [٤٢٢] النظر فيما سطر، ويرتقي إلى النظر فيما يسطر، وههنا مرتبتان: منهم من ينظرُ فيما يسطرُ ـ أعني ماذا يسطر ـ ومنهم: من ينظرُ في كيفية تخطيط القلم، وكيف تقع العلوم[2] من الدواة التي هي النون مجملة. القلمُ: هو علمُ التفصيل، وهو العقل الأول، والروحُ الأعظم.

والقلمُ الأعلى: هو العقلُ الأول، ويسمى بالحكم الأعلى[3] من جهة أنّه واسطةٌ بين الحقّ وإيصال العلوم والمعارف إلى جميع الخلق المُشار إلى ذلك بقوله: «اكتبْ علمي في خلقي»[4] وبقوله: «اكتبْ ما هو كائن»[5] وهو أحدُ أسماء روح نبينا محمد ﷺ.

والنون: عبارةٌ عن علم الإجمال المشار إليه بقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١] فنون هو حضرةُ الإجمال.

والقلم: هو حضرة التفصيل على ما فهمتَه وعرفتَ أنّ حضرة الإجمال هي اعتباراتُ الواحدية التي لا تميز ولا مغايرة فيها لمنافاة الوحدة لذلك؛ بل ذلك إنّما يكونُ في حضرة

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٤): أبداً لا ينتفع به.
(٢) في المطبوع من المواقع (٢٣٤): وكيف يقلع العلوم.
(٣) في لطائف الإعلام ٢/ ٢٣٥: بالقلم الأعلى.
(٤) ذكره الذهبي في كتاب العلو ١/ ٨٦، وقال: إسناده لولا ابن لهيعة جيد.
(٥) رواه الطبراني في مسند الشاميين ٢/ ٣٩٧ (١٥٧٢) عن عبد الله بن عمر.

التفصيل لاستدعائه المغايرة والغيرة، لكون التفصيل لا يتمُّ إلا بها.

واللوحُ: محلُّ التدوين والتسطير المؤجلّ إلى حدٍّ معلوم، وهو الكتابُ المبين، والنفسُ الكلّية.

وفي «التعريفات»[1]: اللوح: هو الكتابُ المبين، والنفسُ الكلّية، فالألواحُ أربعةٌ:

لوحُ القضاء السابق على المحو والإثبات: وهو لوحُ العقل الأول.

ولوح القدر: أي لوح النفس الناطقة الكلّية التي يفصل فيها كلّيات اللوح الأول، ويتعلّقُ بأسبابها، وهو المسمّى باللوح المحفوظ.

ولوح النفس الجزئية السماوية: التي ينتقشُ فيها كلُّ ما في هذا العالم بشكله وهيئته ومقداره، وهو المُسمّى بالسماء الدنيا، وهو بمثابة خيال العالم. كما أنّ الأول بمثابة روحه، والثاني بمثابة قلبه.

ولوح الهيولى: القابل للصور في عالم الشهادة. انتهى. وقد مرّ تفصيلُ الألواح.

وينشرها أي ينشرُ القلمُ العلوم **على سطح اللوح** المذكور **مفصّلةً** كما مر **فإنْ تكلّمَ صاحبُ هذا المقام الذي ينظر** في كيفية تخطيط القلم، وكيف تقعُ العلوم من الدواة التي هي النون مجملةً وينشرُها على سطح اللوح مفصّلة **لم يُفْهَمْ** على البناء للمفعول **عنه كلامٌ أصلاً لإجماله**.

ومنهم: من ينظرُ إلى تحريك اليمين إلى القدرة للقلم. ومنهم: من ينظر اليمين لا من جهة أنها كاتبة.

ومنهم من ينظرُ صاحبَ اليمينين أي اليدين، يعني الحضرتين اللتين هما حضرةُ الوجوب، والإمكان، وقد سبقَ تفصيلُهما.

ومنهم: من ينظرُ في صفات الجلال السلبية.

ومنهم: من ينظر الذات من حيث اليمين.

ومنهم: من ينظرُها أي الذات **من حيث هي، وهذه المرتبةُ أسنى المراتب والمقامات، وأعلاها، وليس وراءها** أي وراء هذه المرتبة **مقامٌ ولا منزل يتعالى.**

---

(١) التعريفات: ٢٤٨.

ولكنْ في هذه المقامات المذكورة مرتبًا يقع التفاضل بين أصحابها أي أصحاب المقامات فللرَّسول منها أي من تلك المقامات شربٌ، وللنبيِّ منها شرب، وللصوفيِّ المحقّق الوارث منها من تلك المقامات شرب، ولكلٍّ مقامٍ من هذه المقامات أدبٌ يخصُّه أي ذلك المقام [٤٢٢/ب] وشاهد حال يشهدُ له لذلك المقامِ أضربنا أي أعرضنا عن ذكره أي عن ذكر الأدب والشاهد حذرًا من المدّعي أن يلزمَهُ أي ذلك الأدب والشاهد ويدّعي المقامَ، فيشهد له اللزوم لأدبه في ذلك الحين أي الوقت لكنّي أَسوقُ من الشروط لتحصيل هذه المقامات ما يفتضحُ به المدّعي. فضَحَه فافتضحَ: كشفَ مساويه، والاسم الفَضيحة، والفُضوح والفُضوحة والفَضاحة والفِضاح إذا ادّعى المدّعى مقامًا منها أي من تلك المقامات ولا أقول عطف على (أسوق) متى يكونُ ذلك الشرب ولا أقول كيف يكون ذلك الشرب ونتركه مبهمًا [حتى] لا يعرف المدعي متى يدّعيه، وأما الذائق له أي للشرب فصحيحُ الدعوى فيعرفُ ما كتمناه وسترناه، والله يُصلح الجميع.

وقد قال رضي الله عنه في الفلك العيني: وأمّا كيفية حصولُ خواطر الأغيار في الحكيم الإلهي صاحبِ هذا المقام، فإنَّ عين القلب إذا ارتفعت عنه الحُجُبُ التي ذكرناها، وانكشفَ الغطاء، أدركت بجسمها كلَّ قلبٍ يكون مقابلاً لها، ولتعلم أنَّ كلَّ قلبٍ كتابٌ مسطور لكلِّ ما فيه من الخواطر والعلوم، وله طبقات نظير أوراق المصحف، وكلُّ قلبٍ لا يخلو من قراءةِ مصحفه أو كتابه ساعةً، إمّا مارًّا عليه، أو متردّدًا، أعني لا بدَّ أن يكونَ متردّدًا في خاطرٍ واحد، وتمرُّ عليه خواطر شتّى، فيتطلّع الحكيم المكاشف إلى مصحفه الداخل أو كتابه، وينظرُ في أي صفحٍ هو، وفي أيِّ آيةٍ هو منها، وذلك لا يشعر إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وكيفيةٌ أخرى، وبعضهم يرتقمُ في مرآة قلبه انطباعًا الذي في نفس الغير على وجهِ المقابلة لصفائها، وذلك أن يكون منزَّهًا عن الخواطر العرضية، عارفًا بخواطر المقامات، محققًا لمواردِ خواطر مقامه، وإذا وجد مَنْ هذه صفتهُ خاطرًا لا يقتضيه مقامُه، يعلمُ على القطع أنّه خاطرُ بعض الحاضرين، وغير ذلك من الكيفيات.

وقال رضي الله عنه قبيل هذا: إذا زالَ الغِطاء أو الصدأ، وانحلَّ القفل وانهدم الكنُّ، وطلعتْ شمسُ الحقيقة على مرتبةٍ ما على تفاصيلها، فاجتمع نورُ الشمس مع نورِ العين أو صقالة المرآة تنتجب بينهما رؤيا وإدراك وانطباع، وجاءتِ العناية العلمية، فأزالت القفلَ عن

باب الحضرة الإلهية، فدخلَ الحكيمُ، فوجد الأسرارَ قد خرجت من أكنَّتِها، والأنوارَ قد تقشَّعت عنها سحائبُها، وبرزتْ مُستبشرةً بقدوم الحكيم عليها، فلا يزال يلتذُّ بها على قدرِ كشفه ونظره، وذلك أنَّ البصرَ إذا استدَّ بالسدِّ عن المحرمات، والوقوف عند الحدود، وانفتحَ باطنُ إدراكه إلى خزانة الخيال الصحيح الذي حصّلته القوةُ المفكّرة، فصفتْ مرآةُ تلك الخزانة، أو كحلت عينها وجليت، وفُتحت لها طاقاتٌ لخزانة المعاني السرارية الراسخة في القلب، المحجوبة بالريون، فترفعُ هذه الحجب، وهي عبارةٌ عن فتح الخزائن، فتبرز المعاني الإلهية والأسرار العلوية، فيتجلّى في مرآةِ الخيال، فيراها باطنُ إدراكِ البصر، وهو المعبّرُ عنه بعين البصيرة، فيكشف له ما في غيابات الوجود. انتهى. وقد سبق شرحُه هناك.

فأمّا من شاهد اللوح المحفوظ [٤٢٣] فعلامته أي شرط شهود اللوح المحفوظ، أو شرط مَنْ شاهدَ اللوحَ أن ينطقَ ذلك المشاهدُ عن سرِّك، وأنت ساكتٌ؛ لأنَّ في اللوح مندرجة أسرار ما كان وما يكون، والشرط العلامة، ومنه أَشراطُ الساعة، والشروط للصكوك لأنَّها علاماتٌ دالّةٌ على التوثق، وسُمّى ما علقَ به الجزاء شرطًا لأنّه علامةٌ لنزوله.

وفي «القاموس»: هو إلزامُ الشيء، والتِزَامُهُ في البيع ونحوه، كالشَّريطة.

وفي «معراج الدراية»[1]: الشروطُ جمع شَرْط بالسكون، والأشراط جمع شَرَط بفتح الراء، وهما العلامةُ، والمستعمل على لسان الفقهاء الشروط لا الأشراط.

وقال بعضهم: والذي بمعنى العلامة هو الشَّرَطُ بالحركة دون الشرْط بالسكون. والشرط على ما اصطلحه المتكلّمون ما يتوقّف عليه الشيء فلا يكونُ داخلاً فيه، ولا مؤثّرًا.

قال الغزالي: هو ما لا يوجدُ الشيءُ بدونه، ولا يلزم أن يوجد عنده.

وقال الرازيُّ: هو ما يتوقّف تأثير المؤثّر عليه لا وجوده.

والمختار أنه ما يستلزم نفيه نفي أمرٍ لا على جهة السببية، كما في «الكرماني».

وقال بعضُهم الشرط: على معنيين: أَحدهما: ما يتوقّف عليه وجود الشيء، فيمتنع بدونه. والثاني: ما يترتّبُ وجوده عليه، وحصل عقيبه، ولا يمتنعُ وجوده بدونه، وهو الذي يدخلُ عليه حرفُ الشرط.

---

(١) معراج الدراية إلى شرح الهداية لقوام الدين محمد البخاري. وكتاب الهداية في الفروع (حنفي).

قال بعضُ المحققين: ما يُسمّيه النحاة شرطًا هو في المعنى سببٌ لوجود الجزاء، وهو الذي يُسمّيه الفقهاء علّةً ومقتضيًا وموجبًا ونحو ذلك.

فالشرطُ اللفظي سببٌ معنوي، والشَّرطُ عندنا ما يقتضي وجودُه وجود المشروط، ولا يقتضي عدمُهُ عدمه، وهذا مقتضى الشرط الجعلي النحوي. وأمّا المشهورُ وهو ما يتوقّف عليه وجود المشروط، ولا يلزمُ من وجوده وجوده فهو الشرطُ الحقيقي، وذلك يقتضي عدمه عدمه، ولا يقتضي وجود وجوده.

والشرطُ عند المناطقة جزءُ الكلام، فإنَّ الكلامَ عندهم مجموعُ الشرط والجزاء.

وعند أهل العربية: الجزاءُ كلامٌ تام، والشرطُ قيدٌ له.

فأبو حنيفة رضي الله عنه أخذَ كلامَ القوم، والشافعيُّ رضي الله عنه أخذ كلامَ أهل العربية، فالمعلّق بالشرط عندنا هو الإيقاعُ، فلا يتصوّر قبل وجود الشرط المعلّق به، فلا يعقدُ اللفظُ علّة.

وعند الشافعي رضي الله عنه المعلّق هو الوقوعُ، فلا مانعَ من انعقاد اللفظ علّة.

والحقُّ معنا؛ فإنَّ من حلفَ ألاّ يعتقَ يحنث بالتعليق قبل وجود الشرط اتفاقًا.

وإجماعُ أهل العربية وغيرِهم على أنّ الجزاء وحده لا يفيد الحكم، وإنّما الحكمُ بين مجموعِ الشرط والجزاء، والفرق بين الشرط والعلّة، لأنَّ العلّةَ لا بدَّ وأن تكون مطردة ومنعكسة بخلاف الشرط، والعلّة لا بدَّ وأن تكونَ ثبوتية بخلاف الشرط، فإنه قد يكون وجوديًا كالحياة مع العلم [للعلّة] والعلّة لا تكونُ إلاّ واحدة، بخلاف الشرط، فإنه لا مانعَ من تعدّده، والعلّة الواحدة لا تكون علّةً لحكمين، والشرطُ الواحد قد يكون شرطًا لأمورٍ كالحياة، والعلّة لا بدّ وأن تكون صفةً قائمة بمحلّ الحكم بخلاف الشرط، فإنه قد لا يكون صفةً، وذلك كمحلّ الصفة بالنسبة إلى [٤٢٣/ب] الصفة، فإنه شرطٌ لها، وليس صفةً لمحلّها، والعلّة موجبة للمعلول أو مؤثّرة فيه كالعلم مع العالمية بخلاف الشرط مع المشروط كالحياة مع العلم، والعلّة ملازمةٌ للحكم ابتداءً ودوامًا بخلاف الشرط، فإنه يتوقّف عليه ابتداءً لا دوامًا، والعلّة مصحّحة للمعلول بالاتفاق، وأمّا الشرطُ فقد اختُلفَ في كونه مصحّحًا للمشروط، وعلّة في تصحيحه إلى غير ذلك.

والشرطُ العقليُّ: كالحياء للعلم. والشرعيُّ: كالوضوء للصلاة. والعادي: كالنُّطفة في

الرحم للولادة. واللغويّ: هو الذي دخلَ عليه حرفُ الشرط كالتعليقات. والنحوي: هو ما دخل عليه شيء من الأدوات المخصوصة الدالّة على سببية الأول للثاني. والعُرفي: هو ما يتوقّف عليه وجود الشيء سواءً داخلاً أو خارجًا.

ومعنى الشرط في متعارف اللغة: هو الحكم بالاتّصال بين الشرط والجزاء، فإن طابقَ الواقع فالشرطيّةُ صادقة، وإلاّ فكاذبة والاعتبار في صدقها وكذبها بوقوع شيءٍ [من] مضموني طرفها. انتهى من «الكليات»[1].

فهذا أي نطقُ مشاهد اللوح عن سرِّك، وأنت ساكتٌ هو الذي قال الجنيد سيدُ الطائفة العلية رضي الله عنهم حيث قيل له: من العارف؟ قال: مَنْ ينطقُ عن سرِّك، وأنت ساكت أي صامت، ذلك المذكور علامةُ مَنْ شاهدَ اللوح وعلامةُ مَنْ شاهد القلم من حيث يكتبُ أن يعرف مشاهد القلم ذلك السرَّ الذي تتكلّم عليه أي على ذلك السرِّ في نفسك من أي حضرة من الحضرات صدر ذلك السر وما السببُ الذي لأجله أي لأجل ذلك السبب وجد ذلك السرُّ، ومن شاهد اليمين أي القدرة كاتبةً فعلامته أي علامة مشاهد اليمين كاتبة الفعل أي صدور الفعل عنه بالهمّة، وهو ساكتٌ أي صامت ومن شاهد اليمين غير كاتبة علامتهُ الأُنسُ في بساطِ الجمال من غيرِ انبساط؛ بل بأدبٍ كما قالتِ المشيخة. جمع شيخ، لأنَّ جمع الشيخ يجيء على وزن شُيُوخ وشِيوخ وأَشْياخ وشِيَخَة وشِيْخَة وشِيْخان ومَشْيَخَة ومَشِيْخَة ومَشْيوخاء ومَشْيُخاء ومشايخ، وتَصغيره شُيَيْخ وشِيَيْخ وشُوَيْخ:

اقعدْ على البساط، وإيَّاكَ والانبساطَ، ودليلُ أُنسه أي أُنس المشاهد استبشارُهُ أي إظهار بشارته عند الموافقة بين أفعال المكلّفين والشرع. يعني عند موافقةِ أَفعال المكلّفين مع أحكام الشرع وهذا المذكورُ من الأُنس في بساطِ الجمال من غيرِ انبساط هو مقام الغيرة الذي قيل للشبلي رضي الله عنه: متى تستريح؟ قال: إذا لم أر له تعالى ذاكرًا، لأنّي كلّما أَرى له ذاكرًا لا أستريح من الغيرة.

ومَنْ شاهد اليمينَيْنِ أي صفتي الجلال والجمال؛ لأنّ اليدَيْنِ عبارةٌ عن أسماء المقابلة كالفاعلية والقابلية، ولهذا وَبَّخَ إبليس بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ولمّا كانت الحضرة الأسمائية مجمعَ الحضرتَيْنِ الوجوب والإمكان، والحقُّ أنّ التقابلَ أعمُّ

---

(١) الكليات ٣/ ٦٤ـ ٦٧.

من ذلك، فإن الفاعليةَ قد يتقابل كالجميل والجليل، واللطيف والقهّار، والنافع والضار، وكذا القابلةُ كالأنيس والهائب، والراجي والخائف، والمنتفع والمتضرر علامته أي [٤٢٤] علامة مشاهد اليمينَيْنِ التسليمُ لأمرِ الله تعالى، والرضا بموارد القضا، وكلّ ما يجري عليه أي على مشاهد اليمينَيْنِ من البلاء والمحن والنعم سواء عنده، لا يفرّقُ بينهما أي بين المحنِ والنعم حالة تميز وعلامةُ هذا المذكور ما لم يكن الابتلاء في الدين، فإن كان في الدين لزمَهُ الأدبُ والاحترام. والابتلاءُ: الاختيار.

ومن شاهده في الصفات السَّلبية. السلب: رفعُ النسبةِ الإيجابية المتصوّرة بين بين، فحيث لا يتصوّر ثمة نسبة، لا يتصوّر هناك إيجاب ولا سلب. والسلب: لا يقابل النسبة الحكمية، وإنّما يقابل الإيجاب بمعنى الإيقاع، والسالب أعمُّ من السلبي، ودلالة السلبية على السلب مطابقة، ودلالة السالب عليه التزام، كدلالة القِدَمِ على انتفاء العدم السَّابق، ودلالة البقاء على انتفاء العدم اللاحق، ودلالة الوحدانية على انتفاء التعدد، فالدَّلالة في الجميع مطابقة.

ودلالة السلب عليه التزام، كدلالة القدرةِ على نفي العجز. وأمّا دلالتها على المعنى القائم بالذات فإنها مطابقة.

وسلب العموم: هو نفيُ الشيءِ عن جملة الأفراد، لا عن كلِّ فردٍ، وعموم السّلب بالعكس.

والسلوب العائدة إلى الذات، كقولنا: الله تعالى ليس كذا وكذا.

والسلوب العائدة إلى الصفات تنزيه الصفات عن النقائص.

والسلوب العائدة إلى الأفعال كقولنا: الله تعالى لا يفعلُ كذا وكذا. وبحسب هذه السلوب الغير المتناهية يحصلُ الأسماء الغير المتناهية. انتهى من «الكليات»[١].

يعني من شاهد الحقَّ في الصفات السلبية كالأزل والأبد والقِدم والبقاء والأول والآخر فلا تصدرُ منه أي من ذلك المشاهد نقيصةٌ أي الوقيعة في الناس، والخصلة الدنية أو الضعيفة أصلاً بالكلّية هذا المذكور علامتُهُ أي علامةُ من شاهد الحقَّ في الصفات السلبية؛ بل يكونُ كلُّ ما صدر منه خيراً كلَّه.

---

(١) الكليات ٣/ ٣٥ـ ٣٦.

ومن شاهد الذات من حيث اليمينَيْنِ اللتين سبق ذكرهما آنفًا علامتُهُ أي علامة ذلك المشاهد أن يتحدّى تقول: تحدّيتُ فلانًا: إذا باريته في فعلٍ، ونازعْتَهُ الغلبة، يعني يتحدّى ذلك المشاهد بالمعجزات إن كان نبيًا وأن يتحدّى ذلك المشاهد بالكراماتِ إنْ كان ذلك المشاهد وليًا، ومن لا يتحدّى بذلك أي بالكرامات ويدّعي هذا المقام أي مقام مشاهدة الذات من حيث اليمينَيْنِ فدعواه باطلة.

ومن شاهدَ الذاتَ من حيث الذَّاتِ علامتُهُ ألاّ يتفق أمرٌ في الوجود أي في العالم إلاّ ويكون ذلك الأمر مُرادًا له [وبإرادته] أي لذلك المشاهد ولا يجري شيءٌ على غيرِ غرضه، فإن بَطَلَ له أي لذلك المشاهد هذا الشاهدُ بطلتْ دعواه أي دعوى مشاهدة الذّاتِ من حيث الذات فإن قلتَ: وهذا مقام [٤٢٤/ب] يدّعيه الإنسانُ، ولا يُدرى على البناء للمفعول أي لا يُعلم هل يَصدقُ الإنسان المدّعي في دعواه، أو يكذب في دعواه.

فاعلمْ أنَّ الإنسان صاحبُ غفلات، فإنِ ادّعى لك هذا المقام من ادّعاه، فاغفلْ عن دعواه فيه؛ بل سلّمه أي ادعاءه له أي لذلك المدّعي فإذا غفلَ عن دعواه، اقصد نكايته أي بغمّه وسوء حاله وانكساره وتجريحه وانظرْ إلى حاله في ذلك الكآبة والجرح فإنْ كان المدّعي كاذبًا تغيّر حالُه ولا بدَّ أن يتغيّرَ وإنّما يقعُ التغيّر من جهة المخالفة، فلو وافق نكايتُك له إرادته فيها لما تغيّر حالُه كيف يتغيّرُ والحال قد وقعَ مراده.

فهذه العلامات وفَّقَكَ اللهُ شواهدُ لا ينفكُّ صاحبُ هذه المقامات عنها عن تلك العلامات التي هي شواهد تلك المقامات، ومن ادّعاها أي تلك المقامات دونَ هذه الشواهد، فدعواه كاذبةٌ، وبعد هذا المذكور من الشواهد كلّه، وتصحيحه، فلا شاهدَ للإنسان في نفسه على تصحيح هذه المقامات له أي للإنسان أصحُّ خبر (لا) نفي الجنس، يعني لا شاهدَ أصحُّ من الاستقامة(1) ظاهرًا وباطنًا، لأنَّ الاستقامةَ روحٌ تحيا به الأعمال، وتزكو به الأحوال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ من جوامع الكلم، فإنّه جمعُ الائتمار بجميع الأوامر، والانزجار عن جميع النواهي. وقد مرّ مرارًا استقامةُ العامة والخاصة، وخاصة الخاصة(2).

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٦): أصح من الاستقامة والتوفيق ظاهرًا.

(٢) انظر الصفحة (١/ ٣٩٥ و٢/ ٤٤٤).

ومن الوقوف عند ما جاء به سيدُنا محمد ﷺ جعلنا اللهُ ممّن اتبعَ سبيلَه الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] السبيل: هو أغلب وقوعًا في الخير، ولا يكادُ اسمُ الطريق يُرادُ به الخير إلاّ مقترنًا بوصفٍ أو إضافة تخلصه لذلك، والسبيلُ من الطرق ما هو معتاد السلوك، والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج؛ بل يكونُ على سبيلِ القصد، فهو أخصُّ منها، والسبيل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] اسم جنس، لقوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩] ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أي الجهاد وكلّ ما أَمَر اللهُ به من الخير، واستعماله في الجهاد أكثر. والسبيلُ أيضًا الحجّة: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] والمحجّةُ الطريقة الواضحة، وهي الجادة لكونها غالبة على السابلة، ولهذا سُمّي صراطًا ولقمًا فإنها تسترطُ أي تبتلع السابلةَ وتلتقمها. والسابلة أبناء السبيل المختلفة في الطرقات. انتهى من «الكليات»[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في «تفسيره» ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ يعني الإسلام ﴿صِرَٰطِى﴾ ديني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ قائمًا أرضاه ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ عن دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم به في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] لكي تتقوا السبل، ثم قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ فجعلها أي الآية وصيةَ أوصاه ووصّاه [٤٢٥] توصية عهد إليه، والاسم الوصاة والوصاية والوصية، وهو الموصى به: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١] أي يفرضُ عليكم **والصوفيُّ أحقُّ** أي أليق وأولى **بسماعِ الوصية الإلهية من كلِّ أحدٍ إذ هو** أي الصوفي المدّعي فيه أي في سماع الوصية الإلهية **وهو صاحب مناجاته تعالى ومشاهداته.**

* * *

(١) الكليات ٣/٣٦.

صلة وتتميم

يعني هذا الذي سأذكره بعدُ هو وصلٌ وتتميم لما قبله، وهو ثم لتعلمْ أنّ تعدادَ الأسرار عندنا إنما هو لتعدّد هذه المقامات الإلهية الغيبية التي ذكرناها من مقام مشاهدة اللوح، ومشاهدة القلم، ومشاهدة اليمين كاتبةً، ومشاهدة اليمين غيرَ كاتبة، ومشاهدة اليمينَيْنِ، ومشاهدة الذّات في الصفات السلبية، ومشاهدة الذات من حيث اليمينَيْنِ، ومشاهدة الذّات من حيث الذات، ولكلّ مقامٍ من هذه المقامات سرٌّ يخصُّه فلهذا تعدّدتِ الأسرار، وكثرتْ إضافاتها فقالوا: السر، وسرُّ السر، وسرُّ سرِّ السر، وسرُّ سرِّ سرِّ السرّ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى ما ذكرتُ لك من المقامات فيقال أيضًا: سرُّ سرِّ سر سر السر، وسرُّ سرِّ سر سر سر السر، وسرُّ سرِّ سر سر سر سر السر، وسرُّ سرِّ سر سر سر سر سر السر فإذا سمعتَ إضافاتِ هذه الأسرار وتكرارها، فلا تتخيّلْ أنّها أي الأسرار المتعدّدة المتكرّرة راجعةً إلى معنًى واحد مع تفريقي لك[1] أنّها متعدّدةٌ بالمقامات، وإنّما كانتْ إضافات بعضها إلى بعض، لأنَّ بعضَ هذه الأسرار المذكورة نتائجُ عن بعضِ الأسرار، ومتوقّفٌ وجودُ بعضها أي وجود بعضِ الأسرار على بعضِ الأسرار فالثاني أي السرُّ الثاني لا يحصلُ لك[2] أبدًا ما لم يحصل السرُّ الأول، ولا يكون السرُّ الثالث ما لم يكنِ السرُّ الثاني، فإنه أي الثاني المنتجُ له أي للثالث هذا على التالي والتابع[3] وهذا الكشفُ الذي ذكرناه من مشاهدةِ اللوح والقلم، واليمين كاتبةً وغير كاتبة، واليمينين، والذات في الصفات السلبية والذات من حيث اليمينَيْنِ، والذات من حيث الذات وأسرارها كلّه لا يحصلُ إلاّ للإمامين اللذين هما وزيران للقطب صاحب الوقت، ما عدا الكشف الذاتي المُطلق استثناءً من الكشف كلّه فإنه أي الكشف الذاتي المُطلق ممّا ينفردُ به قطبُ الزمان ومرآة المؤمن أي مرآة الحقّ، والمراد بذلك الإنسان الحقيقي الكامل، لأنّه مع ظهوره بصفة الكثرة، هو مظهرُ الوحدة والعدالة أيضًا، ومرآة الذات والألوهية معًا هو الإنسانُ الكامل، كما عرفتَ عند الكلام على المحبوب المقصود لعينه كما ينفردُ أيضًا الإمام الذي

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٧): مع تعريفي لك.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٣٧): لا يحصل له أبدًا.

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٣٧): للثالث، هكذا على التالي والتابع.

على يسارِ القطب[بباب عالم الشهادة] **الذي لا سبيل للإمام الثاني الذي على يمينه إليه ما لم يكن صاحب اليسار**، وهو فتح باب عالم الشهادة كما سيجيء **فإذا حصلَ للإمامين ما ذكرناه من المقامات والأسرار على التتميم فُتح للإمام الذي على يسار القطب بابُ عالم الشهادة، فوقف الإمامُ على أسرارِ العالم الترابي**[1] **والجبروتي الترابي من العبّاد والزهاد ووقف على الروحاني الترابي كالأبدال والأوتاد** والنقباء الأوتاد [٤٢٥/ب] هم أربعة رجال، منازلُهم على منازلِ الأربعة الأركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب والأبدال.

قال الفرغاني[2] قدس سره: البدلاءُ هم سبعة أشخاص، ومن سافر منهم عن موضعه ترك جسدًا على صورته حتّى لا يعرف أحدٌ أنه فُقد، وذلك هو البدل لا غير.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[3]: إنّهم اثنا عشر نفسًا، وهم البدلاء، ما هم الأبدال، سُمّوا بدلاء لأنَّ الواحد منهم لو لم يوجدِ الباقون نابَ منابهم، وقام بما يقومُ جميعهم، ويلتبس على الناس أمرُهم مع الأبدال من جهة الاسم. والنقباءُ هم الذين تحقّقوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطنِ الناس، فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثةُ أقسام: نفوسٌ علوية وهي الحقائق الآمرية. ونفوسٌ سفلية: وهي الخلقية. ونفوس وسطية: وهي الحقائق الإنسانية. وللحقِّ تعالى في كلِّ نفسٍ منها أمانةٌ منطوية على أسرارِ إلهية وكونية، وهم ثلاثمئة.

وفي هذا الباب أي باب عالم الشهادة **يعطي الإمام** الذي على يسار القطب **سر التدبير وأحكام الرياسة والسياسة** الرأس معروف، وأعلى كلِّ شيءٍ، وسيّدُ القوم كالرئيس، يقال: رأسَ فلانُ القومَ يرأسهم بالفتح، رياسةً، أي صار رئيسًا لهم. والسياسة: استصلاحُ الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل والآجل، وقد سبق تفصيلُه.

وصار كلُّ روحٍ مدبرًا لجسده تحت مُلكه أي تحت ملك الإمام الذي على يسار القطب **وتحت قهرِه، ويتصرّفُ** الإمام **في الأرواح المدبّرة للأجساد عن إذنه** يقال: أَذِنَ بالشيء كسمع: علم به، وفعله بإذني أي بعلمي، وأذنَ له في الشيء أذنًا وأذينًا إباحَه له، وأذنه الأمر

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٧): الترابي من البشر والجبروتي.
(٢) لطائف الإعلام ١/ ٢٧٤.
(٣) الفتوحات المكية: ٢/ ١٥.

وبه: أعلمه. فهم أي الأرواح المدبّرة للأجساد مع كونهم يتصرّفون في الأرض والماء والهواء كيف شاؤوا، وهم راغبونَ في نيلِ مقامِ هذا الإمام الذي قائم على يسار القطب.

ولقد بلغني عن ثقةٍ أنَّ الشيخَ أبا النجا المعروف بأبي مَدْين بِبجاية بالكسر بلدٌ بالمغرب كان الشيخُ رحمه الله وجّه إليه بعضَ الأبدال في مسألةٍ، وهي أي المسألة لأيِّ شيءٍ لا يَعتاصُ أي لا يشتدُّ علينا شيءٌ، والحال أنت الذي تعتاصُ أي تشتدُّ عليك الأشياء، والحال نحن راغبون في مقامكَ، وأنت غيرُ راغبٍ في مقامنا، وقد كان له أي للشيخ أبي مدين رضي الله عنه منهم من الأبدال أشخاصٌ يُصرّفهم الشيخ على حكمِ إرادته، وكان الشيخ أبو مدين أحدَ الإمامَيْنِ اللذين ذكرناهما آنفًا، وهو الإمامُ الذي على يسارِ القطب وكان الشيخ يقول هذا أي كونه أحد الإمامين عن نفسه، ويشهدُ له حاله الذي بصدق دعواه، وكان الشيخ أبو مَدْيَن رضي الله عنه يقول: سورتي من سور القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] وليس بعد هذا المقام أي مقام الإمام الذي على يسارِ القطب إلاّ مقام القطب[٤٢٦].

وأما المقام[١] الربوبية المقيّدة بالناس في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] فهي حضرة الإمام الثاني الذي على يمين القطب، وهو قائمٌ على باب عالم الملكوت كما مرّ.

وفيها أي في الملكوت يشهدُ، وهي أي الملكوت موضعُ نظره أي نظر الإمام الثاني الذي هو صاحب اليمين فإنّها أي الحضرات ثلاث حضرات، اختصّت بثلاثة [أسماء] نالها أي تلك الحضرات الثلاث ثلاثة رجال وهم القطبُ والإمامان، وهي أي الحضرات الثلاث حضرة الربّ، وحضرة الملك، وحضرة الإله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ـ٣] ورجالها أي رجال تلك الحضرات الثلاث الإمامان والقطب يعني حضرة الإله مقام القطب، وحضرة الملك مقام الإمام الذي على يسار القطب الذي هو قائمٌ على باب عالم الشهادة أي الملك، وحضرة الربّ مقام الإمام الذي على يمين القطب الذي هو قائم على باب عالم الملكوت.

وإنما أُضيفَ مقامُ الرُّبوبية[٢] للناس إلى الإمام الثاني والحال هو أي ذلك الإمام كائنٌ مع الملكوتيات، لأنه لا بدَّ له أي للإمام الثاني رتبة، لأنّ رتبةً دون رتبة الإمام الذي هو صاحب

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٨): وأما مقام.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٣٨): وإنما أضيف إمام الربوبية.

اليسار عند موت الإمام الثاني حقيقة، والإمام الأول رتبة لا زمانًا، ولذلك سُمّي صاحب اليمين الإمام الثاني في قوله رضي الله عنه كما ينفردُ الإمامُ الذي على يسار القطب الذي لا سبيلَ للإمام الثاني الذي على يمينه إليه، وسُمّي ههنا صاحب اليسار الإمام الثاني فقال: لا بدَّ له عند موت الإمام الثاني المُسمّى بالملك وهو صاحب اليسار كما مرَّ أنْ يرثَ صاحب اليمين مقامَه مقام صاحب اليسار بخلافِ غيره أي غير الإمام صاحب اليمين فإنّ ثمَّ هنا أشخاصًا يحصلُ لهم من مقام الرُّبوبية طرفُ ما بخلق ما من الأطراف والأخلاق ولكنّهم أي الأشخاص الذين يحصلُ لهم من مقامِ الربوبية طرف ما بخلق ما لا يرثون هذا الإمام الذي على يسار القطب؛ بل يرثُهُ الإمامُ الذي على يمين القطب فلهذا أي لأجل ما ذكرنا عرّى عنهم أي عن الأشخاص الذين يحصلُ لهم من مقام الربوبية طرف ما بخلق ما الحقُّ فاعل عرّى الإضافةَ مفعوله، إلى الناس متعلّقٌ بالإضافة إذ ليس لهم أي لهؤلاء الأشخاص فيه في ذلك المقام تدبيرٌ، ولا لهم لهؤلاء الأشخاص عليهم على الأرواح المدبّرة للأجساد تقدّم رتبةٍ.

وبلّغ إليَّ بعضُ الروحانيين عند اجتماعي به أنَّ شيخنا أبا النجا ـ أعني أبا مَدْين ـ ما ماتَ حتى كان رضي الله عنه قطبًا قبل موته بساعةٍ أو ساعتين، ولقد أنبأني أي أخبرني بذلك أبو يَزيد البِسطامي رضي الله عنه في رؤيا رأيتُها، والحال أنّي لأعلم وارثَهُ أي وارث أبي مَدْيَن رضي الله عنهما الآن في ذلك المقام الإمامي الذي مرّ ذكره، وأنا أعرفُهُ أي ذلك الإمام ومقامه غايةَ المعرفةِ، لله الحمدُ على ذلك النعم نعم يا سيدي، مضى هذا المقام بسبيله، فلنرجعْ.

وهذا المقام الذي يحصلُ للإمام الذي لعالم الشهادة الأئمة فيه في هذا المقام على نوعيْن، منهم: إمامٌ يصرّف الأبدال[1] على اختياره كأبي النجا أي أبي مَدْين [٤٢٦/ب] ومَنْ أشبهَهُ، ويعرفُ الأوتادَ عينًا واسمًا [ومشاهدة] ويجتمعون معه أي الأوتاد مع ذلك الإمام وهذا المقامُ هم أي الأئمة فيه في ذلك المقام على أقسامٍ:

منهم: من يستمرُّ له ذلك المعرفة والاجتماع.

ومنهم: من يجتمعون معه في وقتٍ دون وقت.

ومنهم: من يجتمعون معه في وقتٍ، ثم لا يراهم أكثرَ إلاّ عندما يقعد أحد[2] منهم،

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٨): إمام يعرّف الأبدال.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٣٨): عندما يفقد.

ويخلفه غيره، ويعلم المفقود، ويعلم من خلفه.

ومنهم: من لا يشاهدُهم أي الأبدال والأوتاد أصلاً بالكلّية ولا يراهم ولا يعلمُ مثلاً هل في الوجود أبدالٌ أم لا، إلاّ أنَّ الأبدالَ يخدمونه بظهر الغيب، ويحضرون ميعادَهُ الميعاد المواعدة والوقت والموضع، وكذا الموعد وينتفعون به أي الأبدال بالإمام على غير علم منه من الإمام يعني لا يعلمُ الإمامُ انتفاعَ الأبدال منه، والحال أنّهم ينتفعون به وذلك لحكمةٍ أخفيناها تلك الحكمة ووكّلناك فيها في تلك الحكمة لنفسك، وهذه الحكمة يعلمُها هذا الإمام أن أعرف[1] أنّ ثمّ أبدالاً، فيعرفُ الإمام ما المانع لرؤيته أي لرؤية الإمام إيّاهم أي الأبدال، وما المانع تصريفه أي لتصريفِ الإمام إيّاهم وإن لم يعلمِ الإمامُ أن ثمَّ أبدالاً لا يعلم تلك الحكمةَ، ولكنه قد أهّلَهُ اللهُ تعالى للتقديم.

وأَهليةُ الإنسان للشيءِ صلاحيتُهُ بصدور ذلك الشيء وطلبه منه، وهي في لسان الشرع عبارةٌ عن صلاحيته لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه، وأهّله الله تعالى للتقديم أي جعله أهلاً لذلك ورشّحه الله تعالى أي ربّاه كما يُقال: فلان يرشَّح للوزارة بفتح الشين ترشيحًا، أي يُربّى ويُؤهّل لها، يعني ربّاه الله تعالى وأهّله لإرشاد الأمة المحمدية لتهتدي به أي بالإمام المذكور عباده. وفي بعض النسخ: ليهدي به عباده.

وهذه المذكورات من مشاهدة اللوح والقلم، واليمين كاتبةً، وغيرَ كاتبةٍ، واليمينَيْنِ، والذات في الصفات السلبية، والذات من حيث اليمينَيْنِ، والذات من حيث الذات مقاماتٌ إنّما تحصلُ بالحال إيّاك أن تتخيّلَ يا بُنيّ في نفسك أنّها تلك المشاهدات تحصلُ لك علمًا دون ذوقٍ أي تجلٍّ أبدًا، هيهات أي بَعُدَ جدًّا حصولها فازوا أي أصحاب المقامات نالوا النجاة والظفر بالخير وخسر البطّالون خسرانًا. خَسِرَ كفرح وضرب، خَسْرًا وخَسَرًا وخُسرًا وخُسُرًا وخُسْرانًا وخَسارةً وخسارًا: ضلَّ. والخسرُ النقصُ وإيّاك أن تتخيّل يا بُني أنّي قد خرجتُ عن المقصود بذكري لهذه الأشياء المذكورة آنفًا المتعلّقةِ بمنزل الإمامَيْنِ إنّما سقتُها أي تلك الأشياء تنبيهًا على أنّهُ لا يكونُ صاحبُ هذا المقام إلاّ من فتح له باب عالم الشهادة من قلبه، كما قدّمناه في أوّل المنزل وهو أنَّ القلبَ له بابان: بابٌ إلى عالم الملكوت، وبابٌ إلى عالم الشهادة، وعلى كلِّ بابٍ إمامٌ، وقد سبق شرحُهُ مفصّلاً.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٣٩): أن عرّف أن ثمّ.

فإن فتح له أي لصاحب القلب بابُ عالم الشهادة فهذه حالتُهُ أي حالةُ الإمام الذي على يسارِ القطب في الشهادة واللهُ يرشدُ الجميعَ في الحقيقة لا ربَّ غيره تعالى، ولا مرشدَ سواه.

ومن كراماتِ هذا القلب المختصّة به أي بالقلب [٤٢٧] اطلاعُ الحقِّ له أي لصاحب القلب على ما أودع الحقُّ في العالم الأكبر يعني إعلام الحقّ له ما أودع في العالم الأكبر من الأسرار الإلهية ثم اطّلاع الحقّ له أين حظُّه أي نصيب صاحب القلب في نفسه من ذلك السرِّ المُودَع في العالم الأكبر حتّى يعرفَ صاحبُ القلب أين البحرُ فيه أي في نفسه وأين البر، وأين الشجر وأين السماءُ، وأين الكواكبُ فيه، وأَين الأقاليمُ السبعة، وأين مكّةُ والقُدس ويثرب فيه، وأين آدمُ وموسى وهارون فيه كما يعرفُ صاحب القلب أيضًا في ذاته الدجَّالَ، ويأجوج ومأجوج، والدابة أي دابّة الأرض المكلِّمَةَ لخلقه، هكذا حتّى لا يشذَّ لا ينفردَ عنه شيءٌ من الموجودات سيجيء تفاصيلُها في منزلِ المضاهاة إن شاء الله تعالى ولا أُريدُ حصرَها حصر المذكورات من البحر، والبر، والشجر، والسماء، وغير ذلك وإنّما أُريد أنَّ كلَّ ما عرفه صاحبُ القلب من العالم الأكبر عرف أين حظُّه من نفسه وذاته، فهو أي صاحب القلب في هذه الكرامة المذكورة يقابلُ كتابَ ذاته بكتابِ العالم الكبير، لتصحيح كتابه الخاصِّ به أي بصاحب القلب.

ومنها أي بعض كرامات هذا القلب: أن يُطلعَه اللهُ تعالى على هذه الأسرار المذكورة في الكرامة المتقدمة فبعكس المرتبة الأولى، فيكون في هذه الكرامة يقابلُ العالمَ مع ذاته كما يقابل في الكرامة المتقدّمةِ كتابَ ذاته بكتاب العالم الكبير، فيعرفُ صاحب القلب حينئذ الشيءَ في نفسه أولاً، ثم بعد ذلك ينظرُ ما يقابلُهُ في العالم الكبير من خارجٍ، فالأول أي الشهود الأول طالبٌ في نفسه ما وجد خارجًا عنه، والثاني طالبٌ في الخارج عنه ما وجدَ في ذاته، وهذه الكرامة أشرفُ من المتقدّمة وأَسبقُ في الرحموتيات.

ومنها: أي بعض كرامات هذا القلب أن يُطلعَه اللهُ تعالى على هذه الأشياء المذكورة من البحر والبر والشجر والسماء وغير ذلك وفي الكتابيْنِ أي كتاب ذاته وكتاب العالم معًا من غير تقديم ولا تأخيرٍ، كالصورة في المرآة مع الناظر.

وهنا مقامان: الأول: أن يكونَ العالمُ مرآةً، والثاني أن يكونَ للعالم مرآة يعني مقام الأول أن يكونَ العالمُ مرآةً للقلب، والثاني أن يكونَ القلبُ مرآةً للعالم وهو أي المقام الثاني هو المقامُ الأعلى من الأول فإنّ العالم يرى فيه أي في القلب نفسَه، ولا يراه أي لا يرى العالم

القلب أصلاً بالكلّية، فيكشف القلب العالم ولا يكشفه أي القلب العالم، **فهذا القلبُ لو تسألُ الأيامَ عنه** أي عن القلب **ما عرفته** أي ما عرفتِ الأيام القلب **ولو طُلب له** أي لذلك القلب **مكانٌ لم يعقل مكانه**، وهذا أي صاحب هذا القلب **هو وارثُ الحقِّ** الذي يكشفُ على البناء للفاعل **ولا يُكشَفُ** على البناء للمفعول وصاحبُ هذه الكرامة **هو المحمّديُّ** أي الوارث المحمدي المكمَّلُ **الذي ليس له مقامٌ** مخصوص **فيُدرَك** على البناء للمفعول **والتنبيه عليه** أي على ما ذكرناه من الكتاب العزيز: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [الأحزاب: ١٣] [٤٢٧/ب] **فهذا تنبيهٌ على أمرين**: أحدهما: **على أنَّ لا نهايةَ أصلاً، والآخر على المقامِ الذي ذكرناه الساعةَ** أي الآن.

وله أي لصاحب هذا المقام **تأثيرٌ عجيبٌ في العالم من غير تعيينٍ إلاّ كما ذكرناه في الفلك القدمي**، كما قال في بيان الكبريت الأحمر، والإكسير الأكبر: إن الله تعالى يريدُ بإرادةِ ذلك العبدِ، لأنّه الإكسير الأكبر، ولا يريدُ ذلك العبد أصلاً إلاّ بعد العلمِ بمراد مولاه فيما يُريده، لتكون الموافقةُ له، فيصحُّ له كونه إكسيرًا، فإذا لم يقعْ له المراد بطلتْ حقيقةُ المقام، وليس هو ذاك، فلا يُريدُ ـ أي العبد الذي هو الإكسير أبدًا ـ أمرًا إلاّ بعد الكشفِ، فكأنّه قارىءٌ في اللوح المحفوظ جميعَ الكائنات، فإذا أراد ذلك العبدُ أمرًا فعلَ الله ذلك المُرادَ له، فيقال: أنفعلَ عنه بهمّته كذا، فكأنَّ الحقَّ تعالى جاراه على إرادته. انتهى

ومن لم يوفّقْه الله تعالى على هذه الكرامات القلبية المذكورة آنفًا فليس عنده علمٌ بموضع الحكم الوجودية ولا حقيقة يعني وليس عنده حقيقة منزل هذه الكرامات المذكورة.

ومن المنازل أن يُطلعَه اللهُ تعالى على العلِّةِ والسبب الذي لأجله لأَجل ذلك السبب **وجِدَ أمرٌما أو عُدم ذلك الأمر**.

والعلّة لغةً: عبارة عن معنىً يحلُّ بالمحلِّ فيتغيّر به حالُ المحلّ، ومنه سُمّي المرضُ علّةً.

وشريعةً عند الأصولي: عبارةٌ عمّا يجبُ به الحكم والوجوبُ بإيجاب الله تعالى، لكنّ اللهَ أوجبَ الحكم لأجل هذا المعنى، والشارعُ جلَّ ذكرهُ قد أثبتَ الحكمَ بسببٍ، وقد أثبتَ أيضًا بلا سببٍ، فيضاف الحكمُ إلى الله إيجابًا، وإلى العلّة تسببًا، كما يُضاف الشِّبع إلى الله تخليقًا وإلى الطعام تسببًا، وكلٌّ من العلّة والسبب قد يفسّر بما يحتاجُ إليه الشيء، فلا يتغايران.

وقد يُرادُ بالعلّة المؤثّر وبالسبب ما يُفضي إلى الشيءِ في الجملة، أو ما يكون باعثًا عليه فيفترقان.

وقال بعضُهم: السببُ ما يتوصّل به إلى الحكم من غير أن يثبت به. والعلّةُ ما يثبتُ الحكم [بها].

والسببُ لغةً: الحبلُ، وما يتوصّل به إلى غيره، وقيل: هو ما يكون طريقًا ومُفضيًا إلى الشيء مُطلقًا. وهذا المعنى يشمل العلة والسبب.

وفي الشريعة: عبارةٌ عمّا يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثرٍ فيه.

وقيل: ما يكونُ طريقًا إلى الشيءِ من غير أن يُضاف إليه وجودٌ ولا وجوب.

ثم ما يطلقُ عليه اسم السبب سواءً كان بطريق الحقيقةِ أو المجاز أربعةُ أقسام:

١ـ سببٌ حقيقي، ويُسمّى سببًا مهيّئًا نحو ما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم من غيرِ أن يُضاف إليه وجوب الحكم أو وجوده، أي لا يكون ثبوتُهُ به ولا وجوه عنده؛ بل يتخلل بينه وبين الحكم علةٌ لاتّصافِ وجودها إلى ذلك الطريق، كحلِّ قيدِ عبدِ الغير فأبق.

٢ـ وسبب هو في معنى العلة: كقطع حبل القنديل المعلّق.

٣ـ وسببٌ له شبهة العلّة: كحفر البئر في الطريق.

٤ـ وسببٌ مجازيٌّ: كاليمين بالله، فإنّها سُمّيت سببًا للكفّارة.

والسببُ ما يكون وجود الشيء موقوفًا عليه كالوقت [للصلاة] والشرطُ ما يتوقّف وجود الشيء عليه كالوضوء للصلاة.

وقيل: السببُ ما لا يلزم من عدمه العدمُ، ومن وجوده وجودٌ، ولا عدم لذاته، مثاله تمامُ الحول بالنسبة إلى وجوبِ [٤٢٨] الزكاة في العين والماشية.

والسبب التامُّ: هو الذي يوجد السببُ بوجوده، والنحويون لا يفرّقون بين السببِ والشرط، وكذا بين السببِ والعلّة[١]. وقد سبق تفصيلُهما. يعني بعض المنازل من منازل هذه الكرامة المذكورة أن يُعلمَ اللهُ صاحبَ القلب العلةَ والسببَ الذي لأجلِ ذلك السببِ وُجِدَ أمرٌ ما، أو عُدِمَ أي كون كان ذلك الأمر من الأكوان في العالم الكبير روحانيًا كان ذلك الأمر أو غير روحاني على الجملة. والجُملة بالضم: جماعةُ الشيء فإذا عرفَ صاحبُ القلب

---

(١) الكليات ٣/ ٢٢٠ (العلة) و٣/ ٢٠ (السبب).

بتعريفِ الله تعالى له ذلك السببَ الذي لأجله وجد أمرٌ ما أو عدم نظر صاحب القلب هل له أي لذلك السبب أو الأمر تأثيرٌ إلهيٌّ أو غيرُ تأثير، فإن كان له لذلك الأمر تأثير استعداد لقبوله أي لقبول تأثير الإلهي. والاستعدادُ هو كون الشيء بالقوة القريبة أو البعيدة إلى الفعل وأنذرَ أي أبلغَ بالتخويف ذلك الناظر إخوتَهُ من المؤمنين إنْ كان له أي لذلك الأمر تأثيرُ هلاك، وإن كان لذلك الأمر تأثير رحمة بشّر ذلك الناظر تبشيرًا يعني أعلمَ بالبشارة الخاصة من إخوانه، واستعدّوا أي تهيّؤوا لذلك أي تأثير الرحمة بالشكر والثناء، كما وجب عليهم في الأول أي في الإنذار بتأثير الهلاك التضرّع والابتهال والحذر من الحوادث الطارئة أي العارضة الطارئة أي النازلة ليلاً كطوفان أي المطر الغالب، والماء الغالب يغشى كلَّ شيءٍ قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] قال الأخفش: واحدها في القياس: طوفانة أو رياح جمع ريح، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] أو زلازل جمع زلزلة بمعنى حركة الأرض، زلزلَ اللهُ الأرضَ زلزلةً وزِلزالاً بالكسر فتزلزلت هي أو ملحمة أي وقعة عظيمة في الفتنة كما فعل أي بين ابن برّجان رضي الله عنه في كتاب «إيضاح الحكمة» له حيث بشّر بفتح بيت المقدس بتعيين العام أي المنزل الذي يكونُ رضي الله عنه فيه أو ظهور نبيٍّ في الزمان الذي كان ذلك الزمان قبل نبيِّنا محمدٍ ﷺ كقس بن ساعدة[1]، وغيره حين بشّر به أي بظهوره عليه السلام وبأوانه أي وقتِ ظهوره ورسول الله ﷺ يسمعُ وهو ﷺ أو قس بن ساعدة كائن بسوق عكاظ اسمُ سوقٍ للعرب بناحية مكّة، يجتمعون بها في كلِّ سنةٍ، فيقيمون شهرًا، ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون، فلّما جاءَ الإسلام هدمَ ذلك وأشباه هذا المذكور من هذا المقام أي المقام الذي أطلعه اللهُ تعالى على العلّة والسبب الذي لأجله وُجدَ ما وجد، وعُدِمَ ما عدم وهذا منزلٌ عالٍ لا يناله كلُّ أحدٍ إلاّ من اختصَّه الله تعالى من عباده، ومع أنّه منزلٌ عالٍ ينبغي أي يقتضي لمن حصل ذلك المنزل له ألاّ يأمنَه المنزل عن المكر الإلهي، فإنّ في طيّه ذلك [٤٢٨/ب] المنزل مكرًا خفيًّا واستدراجًا لطيفًا لا يشعر به كلُّ أحدٍ. والمكرُ من جانب

---

(١) قس بن ساعدة الإيادي أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، من المعمَّرين، مات سنة ٢٣ قبل هجرة المصطفى ﷺ.

الحقِّ تعالى وهو: إردافُ النِّعمِ مع المخالفة، وبقاءُ الحالِ مع سوءِ الأدب، وإظهارُ الكرامات من غيرِ قصدٍ، والاستدراجُ هو أن يُعطي اللهُ العبدَ كلَّ ما يريده في الدنيا، ليزدادَ غيُّه وضلالُه وجهله وعناده، فيزداد كلَّ يومٍ بُعْدًا من الله تعالى ومعرفةُ ذلك المكرِ موقوفةٌ على من حصل أي بقي وثبت في المنزل الثاني الذي بعد هذاالمنزل إن شاء الله تعالى وهو.

* * *

منزل الاختصاص

وهذا المنزل أعلى من المنزل الأول وأثبتُ وأنفعُ منه للسعادة الأبدية، وليس في طيّه مكرٌ ولا استدراج، وهو أي منزل الاختصاص أن يعرفَه الحقّ سبحانه وتعالى بعلل أكوان نفسه، وما يوجده تعالى فيه ويعرفه من أي حضرةٍ هو أي الموجود من حضرات الوجود وأيّ اسمٍ من الأسماء الإلهية خاصّ له لذلك الموجود وإلى أين يكون مآله يعني ويعرفه إلى أين يكونُ مآل ذلك الموجود أي مرجعه.

وهذا المنزلُ لا ينالُه إلاّ الخاصّةُ المقطوعُ بسعاداتهم كالأنبياء والأولياء الخاصة هم علماء الطريقة وخاصّة الخاصة هم علماء الحقيقة وهذا منزل التخصيص صاحبُه مأمونٌ من المكر والخديعة. يُقال: خدعَه أي ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والاسم الخديعة محفوظ عليه حركته وسكونه وخاطره وبيان ذلك أنَّ الله تعالى إذا وجدَ فيه أي في صاحب هذا المنزل كونًا[ما] من الأكوان الروحانية.

الكون: اسمٌ لما حدث دفعةً كانقلاب الماء هواءً، فإنَّ الصورةَ الهوائية كانت للماء بالقوة، فخرجتْ منها إلى الفعلِ دفعةً، فإذا كان على التدريج فهو الحركة.

وقيل: الكونُ: حصولُ الصورة في المادة بعد أن لم تكنْ حاصلة فيها.

وعلم صاحب هذا المنزل علّته أي علّة ذلك الكون الروحاني وعلم سببه ومآله أي ما يؤول إليه ذلك الكون فإنْ كان ذلك الكون أو المآل يؤدّي أي يوصل إلى خسران أي تضييع وقت [أو عاقبة] له أي لصاحب هذا المنزل رجع صاحبُ المنزلِ عنه عن ذلك الكون قبل تأثيره في عالم شهادته، وهو أي صاحب المنزل معفوٌّ عنه أي عن ذلك الكون الروحاني الذي هو من قبيل الخواطر والهواجس شرعًا لقوله عليه السلام: «إنّ الله تجاوزَ عن أمتي الخطأَ والنِّسيان وما حدّثت به أنفسَها»[1] ولقوله عليه السلام: «إذا همَّ العبد بحسنةٍ فلم يعملْها كُتبت له حسنةٌ، فإن عملها كُتبت له عشرًا، وإن همَّ بسيئةٍ فعملها، كُتبت له سيئةٌ، فإن لم يعملْها لم

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٢٤١).

تُكتبْ شيئًا. وقال تعالى للملائكة: اكتبوها حسنةً، فإنّه إنّما تركها من جرّاي»[١] يعني من أجلي.

وإن كان ذلك الكون أو مآلُه يؤدّي أي يوصل إلى سعادةٍ أبدية شكرًا تعالى[٢] وأمضاه أي أنفذ ذلك الكون في حضرة ملكه أي وجود بالفعل لمعرفته بمآلِه فيه من المنفعة والمصلحة ضدّ المفسدة. وإن كان هذا المنزل كما ذكرناه [٤٢٩] منزلاً عاليًا، فثمَّ هنا منزلٌ آخرُ أعلى منه من المنزل المتقدّم من طريق الكشف والمقام ومساوٍ له لذلك المنزل المتقدّم في السعادة والنجاة من أسرار النفس[٣] متعلّق بالنجاة غير أنّ سعادةَ هذا المنزل الذي سأذكره أتمُّ من المتقدّم وهذا هو المنزل الذي نذكره الآن إنْ شاء الله تعالى وهو.

* * *

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٧، ٢٤١).

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٢): شكر لله تعالى.

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٤٢): والنجاة من أسر النفس.

منزل المضاهاة[1] الإلهية والكونية

اعلم ـ وفَّقك الله وأسعدك ـ يا بُني بنيلِ هذه المنازل العلية التي ذكرناها والتي سأذكرها أنَّ صاحبَ هذه المنزلة أي منزلة المضاهاة يُطلعه اللهُ تعالى على ما فيه في منزل المضاهاة من الأسرار من جهةِ الحق، ومن جهة العالم على طريقةٍ ما، وذلك السرُّ الذي يُطلعه الله تعالى عليه وهو أن يعرّفه الحقّ سبحانه إذا أوجد أمرًا ما من الأمور في العالم هل قَبْل ذلك العالم وجدَ ذلك الأمر فيه في الحقِّ حقيقة وعلمًا أو بعده أي بعد كون العالم أو معًا، أو هل مضاهاة العالم له[2] أي لصاحب هذا المنزل في نفسه على الكمال، ومضاهاة الحضرة الإلهية الذاتية، أو هل هو أي صاحب منزل المضاهاة قابلٌ لهما أي لمضاهاة العالم ومضاهاة الحضرة الإلهية على حدٍّ معلوم، فيكون فيه في صاحب هذا المنزل منهما من مضاهاة العالم ومضاهاة الإلهية بعض منهما ويبقى له لصاحب المنزل بعضٌ منهما سيدركها صاحب المنزل إن تمم له المقام، ثم إذا أدركها أي المضاهاة هل يُدركها حتّى لا يبقى له شيءٌ في العالم ولا في الوجه الآخر أي في الحضرة الإلهية، أو يبقى له لصاحب المنزل شيءٌ منهما وإنما هو أي صاحب المنزل مستعدٌ لقبول كلِّ شيءٍ على الدوام والاستمرار.

الاستمرار: ما لا ينقطعُ ولا يفوت ولا ينتهي، كزمان المستقبلِ، لأنّ أوّلَه هو الحالُ، ولا يُعلم آخرُه لكونه مستمرًا دائمًا إلى يوم القيامة بخلاف الماضي.

والاستمرار على نوعين: الاستمرار الدوامي، والاستمرار التجدّدي.

بيدَ أي غير أنَّ الحقائقَ تعطي ألا تكونَ فيه أي في صاحب المنزل المضاهاة المطلقة على الاستيفاء كما فيها أي في المضاهاة المطلقة من الأضداد.

وهذا أي منزل المضاهاة مقامٌ سكتَ عنه شيوخُنا رأسًا أي أصلاً يعني بالكلّية غير أنَّ لهم للشيوخ تلويحاتٍ تلميعات وإشارات كالإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه في كيميائه أي في كتابه المسمّى بـ«كيمياء السعادة» وفي بعض كتبه وغيره رضي الله عنه فإنّه أي الإمام

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٣): منزل سر المضاهات.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٣): مضاهاة العلم.

الغزالي رضي الله عنه صرّح من هذا المنزل[١] بجزئيّاتٍ منه من منزل المضاهاة ولم يقضِ لم يحكم فيه في ذلك المنزل بأمرٍ كلّي يُعتمدُ عليه، ونحن إن شاء الله تعالى نُعطي فيه أي في منزل المضاهاة أمرًا كليًّا ونضرب أي نُعرض عن ذكرِ الجزئيات مخافةَ التطويل، إذ لا حاجةَ لنا بها أي بالجزئيات هنا.

فنقول ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]: إن كلَّ باطل [فهو] عدمٌ محضٌ، وكلُّ وجودٍ[٢] فهو حقٌّ فليس في الوجود باطلٌ [أصلاً] فإن قلتَ: [٤٢٩/ب] إن الكفرَ باطلٌ والكذبَ كذلك وهو في الوجود، فمسلّمٌ أنَّ الحروفَ التي نطقَ بها الكافرُ والكاذبُ في الوجود، وهي حقٌّ فإنها أي تلك الحروف التي نطق بها الكافر والكاذب قد وجدَتْ، وأمّا المعاني التي تحت هذه الحروف فعدمٌ، وهي تلك الحروف مثلاً: إن لله شريكًا سبحانه، أو إنه في جهةٍ، أو إن محمدًا ﷺ ليس نبيًّا عنده أي عند الكافر، ومعلوم قطعًا أن الشريك معدومٌ لله تعالى، ومعنى أنَّ محمدًا ﷺ ليس بنبيٍّ فمعدوم، بل هو ﷺ نبيٌّ وأنَّ الله تعالى لا شريكَ له، وكذلك زيدٌ قائم، أو زيد في الدار، وهو ليسَ كذلك، فالقيامُ عدمٌ والاستقرارُ في الدار عدمٌ، فإنه أخبر بما لم يكن ولم يحصل في الوجود، فثبتَ بهذا أنَّ الباطلَ عدمٌ محضٌ، وإنّما الناسُ حُجبوا بألفاظِ الدالة على العدم، فتخيّلوا بجهلهم أنَّ الألفاظَ هي نفس المعدوم، وهذا كما تراه فتدبرّ هذا الفصل تر عجبًا.

وإنما سقتُ هذا المثالُ لما فيه من المنفعة في هذا الموضع، فإذا تقرَّرَ هذا فاعلمْ أنّ المضاهاة الإلهية على قسمين: أحدهما: مضاهاة ظاهرة، والآخر مضاهاةٌ باطنة. فالمضاهاة الظاهرة [هي] في الإنسان بما هو إنسان والمضاهاة الباطنة إنّما هي في الإنسان، لا بما هو إنسان فقط، بل بما هو نبيٌّ أو وليٌّ.

وكما أنّهم أي الأنبياء والأولياء من الإنسان على مقاماتٍ يفضلُ بعضُهم على بعض كذلك بعضُ أصحابِ هذه المضاهاة الباطنة يفضل بعضُهم على بعض على حسب أي قدر ما يُعطيه مقامُ ذلك النبيِّ أو الولي، فافهمْ ما رمزنا لك، وقد أشبعنا القولَ في هذه المضاهاة في كتاب «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية»[٣] في الباب السابع عشر، في خواصِّ

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٣): من هذا المقام.
(٢) في المطبوع من المواقع (٤٢٣): وكل موجود.
(٣) التدبيرات الإلهية: ٢٠٧.

الأسرار المودعة في الإنسان، وكيف ينبغي أن يكونَ السالكُ في أحواله، وفي هذا الباب أودعت المضاهاة، وهي على خمسةِ أبواب:

اعلموا يا أصحابَ القلوب المتعطِّشة إلى أسرار الغيوب، أنّه ما أُضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ بأي وجهٍ كان من وجوهِ الإضافات؛ من إضافةِ تشريفٍ، أو اختصاصٍ، أو ملكٍ، أو استحقاقٍ، ولا دلَّ دليلٌ على مدلولٍ، ولا رأى راءٍ لمرئيٍّ، ولا سمعَ سامعٌ لمسموعٍ إلاّ لمناسبةٍ، غير أنّه قد تظهرُ فتُعرفُ لقربها، وقد تَختفي فتُجهل لبعدها، وهي على قسمين: ظاهرةٌ، وباطنة. فالظاهرة: يعرفُها أهلُ الظاهر إذا نظروا وحققوا. والباطنة لا تُعرف أبدًا بالنظر، وإنّ معرفتها موقوفةٌ على الوهب الإلهي، وهذا هو طورُ النبوة والولاية، والفصل بينهما لا خفاءَ به، فإنَّ النبيَّ ﷺ متبوعٌ تابعُهُ الولي، ومقتبسٌ من مشكاته، وبظاهرِ من ضرب المناسبة الظاهرة، ووقع الخطاب، وتثبت العقائد التي تعبد بها[1]، فقالوا: اللهُ موجودٌ، ونحن موجودون، فلولا معرفتُنا بوجودنا ما عرفنا معنى الوجود، حتى نقول إنّ الباري موجودٌ، وكذلك لمّا خلقَ فينا صفةَ العلم أثبتنا له العلمَ، وأنه عالمٌ، وهكذا الحياة بحياتنا، والسمع والبصر [٤٣٠] والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا وحروفنا، والقدرة والإرادة، وكذلك سائر الأسماء كلّها من الغِنى والكرم والجود، والعفو والرحمة، كلها موجودة عندنا، فلمّا سمّى لنا نفسَه بها عقلناها، فما عقلنا منها غيرَ ما أوجدهَ فينا، وما عدا ذلك فعلمنا به من جهةِ السلب، وهو ليس كذلك كالقِدِم ليس بصفةِ إثبات، وإنّما معناه لا أوّلَ له في وجوده، فتعلّقَ العلمُ بنفي الأوّلية عنه، وعلمناها أيضًا، فإن الأوّلية موجودةٌ عندنا حقيقةً، والنفيُ عندنا مقاومٌ منّا بفقد أشياء منّا بعد وجودها فينا أوضحها انتقالُها من حالٍ إلى حال، ومن مكانٍ إلى مكان، ومن نظرٍ إلى نظر، فقد عرّفنا حقيقةَ النفي وحقيقةَ الأولية، ثم حملنا النفي على الأولية، ووصفنا الحقَّ بها، وهي صفةُ سلبٍ، وقد يُعلمُ الشيءُ بنظيره وبضدّه.

وقال عليه السلام: «من عرف نفسه عرفَ ربّه»[2] فأثبتُّ له من الصفات ما خلقَ في نفسِنا لا غير، فهذه معرفةٌ ونفيتُ معرفةَ السلب التي بها امتازَ عنّا، فأخذنا الصفات التي ثبت بها حدوثُنا وعبوديّتُنا، وأخرجنا من العدم إلى الوجود، ونفينا عنه، ولم نجدْ له صفةَ إثباتٍ معيّنة

(١) في التدبيرات الإلهية: ووقوع الخطاب تثبت العقائد التي تعمّد الخلقُ بها.
(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٦).

عندنا[١] نعرفه بها؛ لكن نعرف أنّه على حكمٍ ليس نحن عليه ثابتٍ له؛ فلولا هذه المناسبةُ ما صحّت لنا عقيدةٌ، ولا عرفناه أصلاً، ثم بعد هذا وإن عرفناه بما وصفنا، فإنّ هذه الصفاتِ في حقّنا تعقبها الآفات والأضدادُ، وهي له باقيةٌ لا يعقبها ضدٌّ ولا آفة، وعرفنا هذا ببقائنا عليها زمانين فصاعدًا، فقد عرفنا صفة البقاء، فأصحبناه لتلك الصفة النزيهة المقدسة، وهذا الباب يطولُ، وقد أوضحناه في كتاب «إنشاء الجداول» وهو كتابٌ شريف بيّنتُ فيه المعارفَ بالأشكال، ليقربَ إلى الأفهام، فهذا ضربٌ من المناسبة الظاهرة والمضاهاة في الحضرة الإلهية، فأمّا المناسبةُ الباطنة فوكّلناكَ فيها إلى نفسك، فإنّها تُدركُ بالمجاهدات في المشاهدات، وبقيتْ لنا المضاهاةُ الثانيةُ التي بين الإنسان والعالم، وقد بسطنا القولَ في أكثر كتبنا، ولنذكرْ منه فصلاً قريبًا جامعًا يحوي على كلّياته وأجناسه وأمرائه الذين لهم التأثيرُ في غيرهم، ولولا ما قصدنا في كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبيه لضربنا له دوائرَ على صورةِ الأفلاك وترتيبها، ونجعل لكلّ [فلكٍ] في العالم ما يقابله من الإنسان بخاصّيّةِ ذلك الفلك.

ويدورُ الخلقُ كلُّه على أربع عوالم: عالم الأعلى، وعالم الاستحالة، وعالم عمارة الأمكنة، وعالم النسب.

ولكلِّ واحدٍ من هؤلاء العوالم غايةٌ، فجميعُ ما يحتوي عليه العالم [الأعلى من العالم] الكبير عشرون حقيقة، وعالمُ الاستحالة خمسَ عشرَ حقيقة، وعالم عمارة الأمكنة أربعُ حقائق، وعالم النسب عشرُ حقائق، وهي كلُّها في الإنسان موجودة، وهذه هي الأمهاتُ، وهي تسعٌ وأربعون حقيقة، وكذلك في الإنسان، فالعالمُ محصورٌ في ثمانٍ[٢] وتسعين حقيقة بما يقتضيه خلقه، ثم زاد الإنسان على العالم بالسرِّ الإلهي المبثوث فيه الذي صحَّ له [١٣٠/ب] به الاستخلافُ وتسخيرُ ما في السموات وما في الأرض، فجاءَ الأمرُ كلُّه تسعًا وتسعين، من أحصاها دخل الجنة. والموفي مئةً: المهيمن على كل شيء، وهو الحقُّ، فالوجود كلُّه مئةٌ الموفّى مئةً منها الاسم الأعظم، وكذلك الجنّةُ مئةُ درجة الموفّي منها مئةً جنةُ الكثيب الذي ليس فيه نعيمٌ إلاّ الرؤية، وليس لمخلوقٍ فيه دخولٌ إلاّ وقت النظر، هو حضرةُ الحقّ. وهذه أسرارٌ عجيبة نبّهناك عليها لتعرفَ منزلتَكَ من الموجودات.

---

(١) في التدبيرات الإلهية ٢٠٩: معينة ليست عندنا.

(٢) في الأصل: وهي تسعة وأربعون.. في ثمانية.

وأنَّ النارَ مئةُ دركٍ، الموفي مئةً منها دركُ الحجاب، وهو مقابلُ محلِّ المشاهدة، إذا ارتدَّ ورجعَ فإنّه يهوي في جهنَّمَ، وينزل في دركاتها على مقابلةِ الدَّرجِ الذي سقطَ منه، فأعلى علّيين يُقابلُ أسفلَ سافلين، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] فما بعده أحسن منه. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] فما بعده أسفل منه.

ثم نرجعُ ونقول:

١ـ فأمّا العالمُ الأعلى فأَعلاه لطيفة الاستواء، وهي الحقيقةُ الكلّية المحمدية، وفلكُها الحياةُ، ينظر إليهما من الإنسان لطيفته والروح القدسي.

ثم في العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم.

ثم في العالم الكرسي [بنجومه] ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها، ولمّا كان موضعُ القدمين فكذلك النفس محلُّ الأمرِ والنهي، والمدح والذم، ثم في عالم البيت المعمور ينظرُ إليه من الإنسان القلبُ.

ثم في العالم الملائكة ينظرُ إليها من الإنسان أَرواحُهُ والمراتبُ كالمراتب.

ثم في عالم زُحل وفلكه ينظرُ إليهما من الإنسان القوةُ العلمية ومقدّمُ الدماغ[1].

ثم في عالم المُشتري وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوةُ الذَّاكرةُ ومؤخّرُ الدماغ.

ثم في عالم المريخ وفلكه ينظرُ إليهما من الإنسان القوةُ المفكّرة ووسطُ الدماغ.

ثم في عالم الشمس وفلكها ينظرُ إليهما من الإنسان العقلُ والدماغ.

ثم في عالم الزُّهرة وفلكها ينظرُ إليهما من الإنسان القوّةُ الوهمية والروحُ الحيواني.

ثم في عالم عُطارد وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوةُ الخياليةُ ومقدّمُ الدماغ.

ثم في عالم القمر وفلكه ينظرُ إليهما من الإنسان القوة الحسّيةُ والحواسُّ.

---

(١) في التدبيرات الإلهية٢١١: ثم في العالم زحل وفلكه، يَنظرُ إليهما من الإنسان القوّة الذاكرة، ومؤخّر الدماغ. ثم في العالم المشتري وفلكه، ينظر إليهما من الإنسان القوة العاقلة واليافوخ. ثم في العالم الأحمر [المريخ] وفلكه، ينظر إليهما من الإنسان القوة الغضبية والكبد. ثم في العالم الشمس وفلكها، ينظر إليهما من الإنسان القوة المفكرة ووسط الدماغ. ثم في العالم الزهرة وفلكها، ينظر إليهما من الإنسان القوة الوهمية والروح الحيواني. ثم في العالم عطارد وفلكه، ينظر إليهما من الإنسان القوة الخيالية ومقدّم الدماغ. ثم في العالم القمر وفلكه، ينظر إليهما من الإنسان القوة الحسّية والحواس.

فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائرُه من الإنسان النار.

٢ـ وأمّا عالمُ الاستحالة فمنه الفلك الأثير وروحُهُ الحرارةُ واليبوسة، ينظر إليهما من الإنسان الصفراء وروحُها القوة الهاضمة.

ثم في عالم فلك الهواء وروحُهُ الحرارةُ والرُّطوبة، ينظر إليهما من الإنسان الدَّمُ وروحه القوة الجاذبة.

ثم في عالم فلك الماء، وروحه البرودة والرطوبة ينظرُ إليهما من الإنسان البلغمُ وروحُهُ القوّةُ الدافعة.

ثم في عالم فلك التراب وروحُهُ البرودة واليبوسة ينظرُ إليهما من الإنسان السوداءُ وروحُه القوة الماسكة.

وأمّا الأرضُ فسبعُ طباق: أرضٌ سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء. ينظرُ إليها من الإنسان طبقاتُ الجسمِ: الجلدُ، واللحم، والشحم، والعروق، والعصب، والعضلات، والعظام.

٣ـ وأما عالم [٤٣١] عمارة الأمكنة، فمنه الروحانيون ينظرُ إليها من الإنسان القوى التي فيه.

ثم في عالم الحيوان ينظرُ إليه ما يُحِسُّ من الإنسان.

ثم في عالم النبات ينظر إليه ما ينمو من الإنسان.

ثم في عالم الجماد ينظرُ إليه ما لا يحسُّ من الإنسان.

٤ـ وأمّا عالم النسب فمنه العَرَضُ ينظرُ إليه من الإنسان أسودُ وأبيضُ وما أشبه ذلك.

ثم في عالم الكيف ينظر إليه من الإنسان صحيحٌ وسقيم.

ثم في عالم الكم ينظرُ إليه من الإنسان سنُّه عشرة أعوام، وطوله خمسةُ أذرع.

ثم في عالم الأين ينظرُ إليه من الإنسان الأصبع موضعها من الكفِّ، الذِّراع موضع لليد.

ثم في عالم الزمانُ ينظر إليه من الإنسان تحرّكُ وجهي وقتَ تحريك رأسي.

ثم في عالم الإضافةِ ينظرُ إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله.

ثم في عالم الوضع ينظر إليه من الإنسان لغته ودينه.

ثم في عالم أن يُفعل، ينظرُ إليه من الإنسان كلّه[١].

ثم في عالم أن ينفعل ينظرُ إليه من الإنسان ذُبح فمات، وشرب فروي، وأكل فشبع.

ثم في عالم الاختلاف الصور في الأمهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر ينظرُ إليه من الإنسان القوة التي تقبلُ الصور المعينة من مذمومٍ ومحمود، هذا فَطِنٌ فهو فيل، هذا بليدٌ فهو حمار، هذا شجاعٌ فهو أسد، هذا جبانٌ فهو صرصر.

فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبير مستوفىً مُختصرًا. انتهى

* * *

وأما المضاهاة الكونية فلا تصحُّ على الإطلاق أصلاً في الإنسان، وإنّما يصحُّ فيه بعضُها على حسب قدر مقامه، وإن استوفاها أي المضاهاة كلها، فلا يكون ذلك في زمانٍ واحد؛ بل يتحصّلها شيئًا بعد شيء، ولكنْ لا بدَّ أن يتقدّم في حقّه في حق الإنسان الذي هو صاحب المضاهاة الكونية أَشياءُ لحصولِ أشياءَ أُخر، هكذا هو سر[٢] الحقائق ومعناها أي معنى الحقائق وهي أي الحقائق في العالم موجودةٌ كلُّها، فإن سمعتَ أن الصوفيَّ يقول: أنا نسخةٌ من العالم، فليس معناه أي معنى ذلك القول أنَّ كلَّ ما في العالم كان فيه أي في الصوفي في زمانٍ واحد، بل معناه هو أي الصوفي مستعدٌّ لقبولِ كلِّ ما في العالم بخلافِ غيرِه من الموجودات، ولكنْ فيه في الإنسان كائن أكثر العالم، فثمَّ في العالم أشياءُ هي في الإنسان بما هو إنسانٌ كالنبات والبهائم والجمادات كما سبق تفصيلُه آنفًا.

ومنها: أي من الأشياء التي في العالم ما هي أي تلك الأشياء فيه في الإنسان من حيث هو عبدٌ مختصٌّ بالله تعالى كالملائكة وما أشبه ذلك، وهكذا هي مضاهاة الكون في الإنسان.

وفائدة هذا المنزل إذا تحقَّقَ به المتحقِّقُ يكونُ قطبَ وقته، ولو كان في غير هذا الزمان لكانَ مُشارًا إليه يعني نبيًا فتحقّق ما أَشرتُ لك يا بُني عسى أن تلحقَ بهذه المنزلة التي بيَّنْتُها مفصَّلاً.

* * *

---

(١) في التدبيرات الإلهية ٢١٢: من الإنسان أكله.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٤): هكذا في سرّ الحقائق.

منزل التجلّي الصمداني الوتري

وما يتضمَّنُهُ من الحضرات الإلهية والتجليات والمقامات والأنوار وغير ذلك.

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[1] في الكلام على [٤٣١/ب] اسمه تعالى الصمد: اعلمْ أنّ هذه الحضرةَ هي حضرةُ الالتجاء والاستناد التي لجأ إليها واستندَ كلُّ فقيرٍ إلى أمرٍ ما لعلمه أنَّ ذلك الأمر الذي افتقرَ إليه من هذه الحضرة فغناها [إنما هو بهذه الأمور الذي افتقر إليها بسببها، وهل لها الغنى النفسي الذي لقوله]: ﴿ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وأطال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [الحجر: ٢١].

ثم قال: وإذا علمَت أنّ الخزائنَ عنده تعالى، وأنت الخزائن، فأنت عنده، وقد وسعه قلبُك، فهو عندك وأنت عنده، فأنت عندك فلك من الصمدية قسطٌ - أي حصة ونصيب - لأنه لا تكونُ المعرفةُ [بالله] الحادثة إلاّ بك، [فيصمد إليك فيها، إذ لا تظهر إلاّ بك] فأنت الصمدُ فيما لا يظهرُ إلاّ بك من هذه الحضرة، ولكن قفْ عند نهي ربِّك، وتدبَّرْ فيما قال على لسان رسوله في الشيءِ الذي يستترُ به عند الصلاة في قبلتك، أن تميلَ به نحو اليمين أو الشمال قليلاً، ولا تصمدُ إليه صمدًا، فهذا من الغيرةِ الإلهية أن تصمدَ إلى غيره صمدًا، وفيه إثباتُ للصمدية في الكون بوجهٍ ما، فذلك القدر الذي أشارَ إليه الشارعُ يكون حظَّ المؤمن من الصمدية، والجاهلُ يصمدُ إلى الأسباب صمدًا، أو يجعلُ حكمَ الميلِ إلى اليمين أو الشمال لصمدية الحقّ عكس القضية، والشارعُ إنّما شرعَ في السترة الميل إلى اليمين أو الشمال لينبّهَ على السببِ القوي باليمين، وعلى السببِ الضعيف بالشمال - فمن لاحَ له بارقةٌ من الحقِّ ضعفَ اعتمادُهُ على السبب، فجعله من الجانبِ الأضعف - إذْ لا بدَّ من إثبات السبب، فهو لا يصمدُ إلاّ إلى الله تعالى صمدًا. انتهى

والوتر لغةً: الفرد، أو ما لم يشفعْ من العددِ، ويوم عرفة.

وقال الفرغاني[2] قدس سره: الشفع: مرتبة الخلق، أقسمَ الحقُّ تعالى بالشفع والوتر إذ

---

(١) الفتوحات المكية: ٤/ ٢٩٥.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٤٠.

كانت الحقيقة والخلقية إنّما يتحقّق بهما، فبالوترِ علمنا وجود الذات، وبالشفع الذي هو وجود الخلق ظهرتْ حقائق الأسماء التي هي الخالق الباريء المصوّر. . وغير ذلك. والوتر هو الفرد.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفصوص»(١) في: فصٌّ حكمةٍ فردية في كلمةٍ محمّدية، وفي بعض النسخ حكمة كلّية:

إنّما كانتْ حكمتُهُ فرديةً لانفرادِهِ بمقامِ الجمعية الإلهية الذي ما فوقه إلاّ مرتبة الذات الأحدية، لأنّه مظهرُ الاسم (الله) وهو الاسم الأعظم الجامع للأسماء والنعوت كلّها، ويؤيّدُهُ تسميةُ الشيخ هذه الحكمة بالحكمة الإلهية(٢)، لأنّه جامعٌ لجميع الكليّات والجزئيات لا كمالَ للأسماءِ إلاّ وذلك تحت كماله، ولا مظهرَ إلاّ وهو ظاهرٌ بكلمته.

وأيضًا أوّلُ ما حصل به الفردية إنّما هو بعينه الثابتة، لأن أول ما فاض بالفيضِ الأقدس من الأعيان هو عينُه الثابتة، وأوّلُ ما وجدَ بالفيض المقدس في الخارج من الأكوان هو روحُهُ المقدّس، كما قال: «أولُ ما خلقَ اللهُ نوري»(٣).

فحصل بالذّات الأحدية والمرتبةِ الإلهية وعينه الثابتة الفردية الأولى، ولذلك قال رضي الله عنه: (إنّما كانت حكمتُهُ فرديةً، لأنّه أكملُ موجودٍ في هذا النوع الإنساني، ولهذا بُدئ به الأمر وخُتم، وكان نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين، ثم كان بنشأته العنصرية خاتمَ النبيين)، وإنّما كان أكملَ موجودٍ في هذا النوع [الإنساني] لأنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم أكملُ هذا النوع، وكلٌّ منهم مظهرٌ لاسمٍ كلّي، وجميعُ الكلّيات داخل تحت الاسم (الله)(٤) الذي [٤٣٢] هو مظهره، فهو أكملُ أفراد هذا النوع، ولكونه أكملَ الأفراد بُدئ به أمرُ الوجود بإيجاد روحه أولاً، وخُتم به أمرُ الرسالة آخرًا؛ بل هو الذي ظهرَ بالصورة الآدمية في المبدئية، وهو الذي يظهرُ بالصورة الخاتمية للنوع، ويَفهمُ هذا السرَّ مَنْ يفهمُ سرَّ الختمية، (وأوّلُ الأفرادِ ثلاثةٌ(٥)، وما زاد على هذه الأولية) أي على هذه الفردية الأولية التي هي الثلاثة

---

(١) شرح فصوص الحكم: ١١٥٣. وقد تقدّم صفحة (٢/ ١١٢).
(٢) في شرح الفصوص: بالحكمة الكلية.
(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٣٧).
(٤) في شرح الفصوص: الاسم الإلهي.
(٥) في شرح الفصوص: الأفراد الثلاثة.

(من الأفراد فإنّه عنها)، وهذه الثلاثةُ المُشارُ إليها في الوجود هي: الذات الأحدية، والمرتبة الإلهية، والحقيقة الروحانية المحمدية المسمّاة بالعقل الأول. وما زادَ عليها فهو صادرٌ منها، كما تقرَّر أيضًا عند أصحاب النظر أنَّ أوّلَ ما وُجِدَ هو العقل الأول. (فكان عليه السلام أوّلَ دليلٍ[١] على ربّه، فإنه أُوتي جوامعَ الكلم التي هي مُسمّياتُ أسماء آدم) أي وإذا كانَ الرُّوحُ المحمَّديُّ أكملَ هذا النوع، كان أولَ[٢] دليلٍ دلَّ على ربّه، لأنَّ الربَّ لا يظهر إلاّ بمربوبه، ومظْهره وكمالات الذات أجمعها إنّما يظهرُ بوجوده، لأنّه أُوتي جوامعَ الكلم التي هي أمّهات الحقائق الإلهية والكونية الجامعة لجزئياتها، وهي المراد بمُسمّيات أسماء آدم، فهو أولُ دليلٍ[٣] على الاسم الأعظم الإلهي، (فأشبه الدليلَ في تثليثه) أي صار مشابهًا للدَّليل في كونه مُشتملاً على التثليث الأصغر، والأكبر، والحدّ الأوسط. والدليلُ دليلٌ لنفسه. اللام للعهد، أي: هذا الدليلُ الذي هو الروحُ المحمّدي هو دليلٌ على نفسه في الحقيقة، ليس بينه وبين ربّه الامتيازُ إلاّ بالاعتبار والتعيّن، فلا غير ليكون الدليل دليلاً. انتهى من «شرح داود القيصري» قدس سره.

وقال رضي الله عنه في «الفتوحات»[٤]: اعلمْ أنَّ الله لمّا خلق الأرواح الملكية المهيمة[٥] في جلال الله، فلا يعلمون سوى الله، ولا يَدرون أنَّ اللهَ خلقَ [شيئًا] سواهم، وهم الكروبيون المقرّبون المعتكفون المفردون المأخوذون عنْ أنفسهم بما اختصّهم به من مشاهدة جماله، اختصَّ منهم العقل الأول، والأفراد منّا على مقامهم، لأننا كنّا خارجين عن حكم القطب الذي هو الإمامُ، وهو واحدٌ منهم، ولكنه [يكون] مادّته من العقل الأول.

وقال رضي الله عنه في بيان الرجال[٦]: ومنهم الأفرادُ، وهم المقرّبون بلسان الشرع، ولا يدخلون تحتَ دائرةِ القطب، ومقامُهم بين الصدّيقية والنبوة الشرعية، ونظيرُهم من الملائكة الأَرواحُ المهيّمة في جلال الله، وهم الكروبيون لا يعرفون سوى الحقّ،

---

(١) في شرح الفصوص: أدلَّ دليل.
(٢) في شرح الفصوص: أدلَّ دليل.
(٣) في شرح الفصوص: أدلَّ دليل.
(٤) الفتوحات المكية: ٢/ ٦٧٥.
(٥) في الأصل: الأرواح الملائكة المهيمين.
(٦) الفتوحات المكية ٢/ ١٩.

ولا يشهدون سوى ما عرفوا منه، وليس لهم علمٌ بذواتهم عند نفوسهم، وقد جهلَهُم أكثرُ الناس من أهل طريقنا، لأنَّ ذوقَ مقامهم عزيزٌ.

والحاصلُ منزلُ التجلّي الصمداني الوتري أي الفردي وما يتضمّنه هو الذي شرع في بيانه وقال: اعلمْ أيُّها المسترشدُ أي طالب الإرشاد الموفّقُ والسالكُ المتخلّق أنَّ هذا التجلي الصمداني الوتري هو المجهولُ العين، المستورُ برداءِ الصَّون أي الحفظ هو نتيجةُ عُمرِ المحقّقين من أهل طريق الله الأنزه على صيغة اسم التفضيل من النزاهة وهو المقامُ الأنوه أي الأرفع الأنبه أي الأشرف وقليلٌ من أهل الطريق مَنْ ناله أي نال مقامَ التجلّي الصمداني الوتري، ولهذا ما تجدُ أحدًا من المحقّقين فعله يعني ما صدر من أحدٍ من [٤٣٢/ب] المحققين فعله أي فعل ذلك المقام ولا قاله أي ولا قوله فإنَّ الطريقَ إليه أي إلى ذلك المقام عسيرٌ ضدُّ اليسير والمشهدَ أي محلّ شهود هذا المقام كبيرٌ ضد الصغير وهو ذلك التجلّي أو المقام أعلى[1] الأسرار العلوية وأسناها أي أرفع الأسرار وموردَهُ محلُّ ورود هذا التجلي أعذبُ أحلى الموارد جمع مورد الإلهية صفة الموارد وأعلاها[2] أي أعلى الموارد الإلهية وكشفَه أي كشف ذلك التجلي أوضحُ الكشوفات الأقدسية وأجلاها أي أظهرها.

فمن أرادَ من المحقّقين الصدّيقين نيله أي نيل ذلك المقام فليصمْ نهارَه وليحي ليله[3] وخلوته عشرين صباحًا بأسمائها على ترتيب الحكمة في إجرائها، فإذا كان بعد العشرين فارقب أي انتظر الواردَ الأقدس، ونفس الرحمن الأنفس[4] هو التجلّي من حضرة المعاني، وهو التعيّن الثاني. سُمّي بذلك من جهة أنَّ النفسَ أمرٌ وحداني كائنٌ في باطن المتنفّس، مُنبعثًا منه إلى ظاهره، حاملٌ لصور المعاني الحاصلة عن اختلاف صور بروزه وظهوره بسبب اختلافِ ما يقعُ اعتماده عليه من المراتب التي تُسمّى في الخارج مخارج، بحيث يَصيرُ النَّفَسُ الواحد متعيّنًا بحروفٍ وكلماتٍ متميزةٍ في صورها، فكذا التعيّن الثاني هو أولُ ما يتميّزُ وينبعثُ من الباطن الذي هو التعيّن الأول، فيُسمّى بالنفس الرحماني، لأجل ذلك فإنَّ تعدّد

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٥): من أعلى الأسرار.
(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٥): الموارد وأحلاها.
(٣) في المطبوع من المواقع (٢٤٥): وليحي بالذكر ليله.
(٤) في المطبوع من المواقع (٢٤٥): ونفس الرحمة الأنفس.

الوجودِ الواحد واختلافَ صوره إنما يحصلُ عن اختلافِ القوابل التي هي الأعيان الثابتة، وأحكامها وأحوالها المختلفة، وقد سبقَ تفصيلُه.

يعني فانتظر إلى الوارد الأقدس ونَفَسَ الرحمن الأنفس إلى أن يَنقضي أي إلى أن يتمَّ ثلاثون يومًا ولا تكحل مقلتك فيها أي في تلك الأيام والليالي نومًا يعني لا تجعلْ في عينك كحلَ النَّوم أي لا تنمْ في تلك الأيام ولياليها فإنِ ادَّعيتَهُ أي زعمت أنك لا يحصل في روعك أي قلبك وعقلك نفثُهُ أي نفخه. النفثُ شبيه بالنفخ، وهو أقلُّ من التفل وقد نفث الراقي من بابِ نصر وضرب ولا أقام الحقّ بفؤادك بقلبك بعثه بعثه بمعنى أرسله فانبعث، وبعث من منامه، وبعثَ الموتى نشرَهم، وبابه قطع فاعلمْ أن الآفة أي العرض المفسد طرأتْ أي عرضت عليك في المراقبة والمراقبة عبارةٌ عن دوامِ الملاحظة لما هو المقصود بالتوجّه إلى الحق ظاهرًا وباطنًا. وقد سبق تفصيله.

وقال رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: مراقبةُ العبد فهي على ثلاثة أقسام: الواحد منها لا يصحُّ، والاثنان يصحُّ وجودهما من العبد.

أمّا المراقبةُ التي لا تصحُّ فهي مراقبة العبد ربّه، ولا يعلم ذاته ولا نسبته إلى العالم، فلا يتصوّرُ وجودُ هذه المراقبة، لأنها موقوفةٌ على العلم بذات المراقَب بفتح القاف.

والمراقبة الثانية: مراقبةُ الحياء من قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] فهو يراقبُ رؤيتَه، وهو يراقبه، فهو يراقب مراقبة الحقّ إيّاه، فهذه مراقبة المراقبة، وهي مشروعةٌ.

المراقبة الثالث: هي أن يراقبَ قلبَه ونفسه الظاهرة والباطنة، ليرى آثارَ ربّه فيها، فيعمل بحسب ما يراه من آثار ربّه، وكذلك في الموجودات [٤٣٣] الخارجة عنه [يرقبُها ليرى آثار ربّه فيها منها]، وهو قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣].

فارجع على نفسك بالمعاتبة أي الملامة واستأنفِ الخلوة من أوّلها فإنه[2] لا بدَّ من حصول مآلها إما كلّيًا[3] أو جزئيًا، فإن تمّم لك التجلّي والمقام فستبدو أي ستظهرُ لك جميع معاينته

(١) الفتوحات المكية: ٢/٢٠٨ـ٢٠٩.
(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٥): من أول حالها، فإنه.
(٣) جاء في الهامش: يعني لا بدّ من أن يكون حصولٌ ما لتلك الخلوة من التجلّيات كلّها.

على التمام[١] المعاينة هي في البداية اعتقاد معاينة الحق في الآخرة بالبصر، كما جاء في الخبر حيث قال عليه السلام «سترون ربّكم كما ترون القمرَ ليلةَ البدر لا تضامّون في رؤيته»[٢]. وفي النهاية معاينةُ الحقّ في ذاته بذاته في عينِ الجمع عند محقِ الرسوم في عين الأزلية بالكلّية.

وأنا أنبّهُكَ إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب على جميعِ ما يحويه أي يشتمله ويجمعه ذلك المقام فإنْ نقصَ لك منه أيِ مما سأنبّهك شيءٌ فارغبْ رغب كسمع رغبًا ويُضم، ورغبه: أراده إلى الله سبحانه وتعالى عسى تستوفيه. وعسى هي لمقاربةِ الأمر على سبيل الرجاء والطمع، أي: لتوقّع حصول ما لم يحصل، سواء يُرجى حصوله عن قريبٍ أو بُعَيْدَ مدةٍ مديدة، وعسى زيدٌ أن يخرج فهو بمعنى لعلّة يخرج.

فاعلمْ أنَّ لهذا التجلّي الصمداني الوتري ثلاثةٌ وثمانون مقامًا وثُلث مقام، فأمّا قولي ثُلث مقام أي أنه لا ينال منه من ذلك المقام إلاّ هذا القدر أي مقدار الثُّلث، يعني في التجلّي الأفعالي ثمانية وعشرون مقامًا بعددِ منازل القمر، بمحو الأفعال في أفعال الله تعالى، وفي التجلّي الصفاتي كذلك بطمسِ الصفاتِ في صفات الله تعالى، وفي التجلّي الذاتي سبعة وعشرون وثُلث مقامٍ بمحقِ الذوات في ذات الحقّ، لأنَّ الصمدَ يدلُّ على الذات والأفعال والصفات، وتجلّي الذات عبارةٌ عن إسقاط الإضافات والأسماء والصفات أول النسب والإضافات، فإذا خرجَ الثُّلثان للأفعال والصفات فمجموعُ المقامات يصيرُ ثلاثةَ وثمانين مقامًا وثُلثَ مقام، ولذلك قال: لا ينالُ أحدٌ منه إلاّ هذا القدر، وذلك ليتحقّق المضاهاة الباطنة، لأنَّ القلبَ في مقابلة البيت المعمور التي في جوفِ فلك الكرسيِّ، والكرسيُّ هو فلكُ العروج والدرجُ والمنازل، لأجل ذلك ضربَ التجلّي الأفعالي والصفاتي والذاتي في عددِ منازل القمر، فصارتْ مقاماتُ التجلّي الصمداني الوتري ثلاثةَ وثمانين مقامًا وثُلث مقام، لأنَّ الحقائقَ الكونية هي مظاهرُ الحقائق الإلهية، وبهذا التجلّي تتحقّق المضاهاةُ الإلهية والكونية.

وله أي لهذا التجلّي الصمداني الوتري من المنازل ألفُ منزلٍ بضرب ثلاثة وثمانين مقامًا وثُلث مقامٍ في اثني عشر، وهي عددُ بروجِ الفلك، فمجموعه ألف منزلٍ، فيصيرُ لكلِّ مقامٍ اثنا عشر منزلاً.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٥): جميع معانيه على التمام.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٦٦).

ولهذا التجلّي الصمداني الوتري من الحضرات أي حضرات الوجود أربعةُ آلاف حضرة بضرب المنازل في الطبائع الأربع، فيصير لكلِّ منزلٍ أربعةُ[١] حضرات.

ولهذا التجلّي الصمداني الوتري من التجلّيات ثلاثمئة ألف تجلٍّ وستون ألفًا بضرب المنازل في ستين وثلاثمئة، وهي عدد درجات الفلك، وعددُ أقلام المحو والإثبات **النُّوريات منها من هذه التجليات مئةُ ألف وثمانون ألفًا** وهي نصفُ التجلّيات المذكورة، والنورُ حقيقةُ الشيءِ الكاشف للمستور، ويُطلقونه بمعنى كلِّ واردٍ إلهيٍّ يطردُ الكونَ عن القلب. والنُّور الوجودي الظاهري هو تجلّي [٤٤٣/ب] الحقّ باسمه الظاهر في أعيان الكائنات، وصور حقائق الموجودات، والنور الوجودي الباطني هو باطنُ كلِّ حقيقةٍ ممكنةٍ، وهو العين الثابتة، ونورُ محمّدٍ ﷺ هو أحدُ وجوه الروح الأعظم، والنورُ الأحمدي هو التجلّي الواحد الأحد، وهو التجلّي الذي هو عبارةٌ عن ظهور الذات لذاتها في عين واحديتها، فلكونه أوّلَ التعينات، قال عليه السلام: «أولُ ما خلقَ الله نوري»[٢] أي أولُ ما قدر على أصل الوضع اللغوي، وهو ـ أعني هذا التجلي الأول ـ لما كان هو أصل جميع الأسماء الإلهية، كان عليه السلام أبا الأرواح، ونورَ الأنوار هو محمد ﷺ كما عرفتَ من كون نوره الذي هو التجلّي الأول هو أصلُ جميعِ الأنوار **والضيائيات من هذه التجلّيات مثل ذلك** يعني مئة ألف وثمانون ألفًا، وهي نصفُ التجلّيات المذكورة، والضياءُ عبارةٌ عن رؤية الأغيارَ بعينِ الحق، فإنَّ الحقَّ بذاته نورٌ لا يُدرك، ويُدرك به، ومن حيث أسمائه نورٌ يُدرك ويُدرك به، فإذا تجلّى للقلب من حيث كونه يُدرك به شاهدتِ البصيرةُ المنوّرةُ الأغيارَ بنوره، فإنَّ الأنوارَ الأسمائية من حيث تعلّقها بالكون مخالطة بسواده، وبذلك استترتْ أنوارُها، فأُدركت وأَدركت به الأغيار، كما أنَّ قرصَ الشمس إذا سُتر بغيمٍ رقيق يدرك.

والحاصلُ النوريات من هذه التجلّيات إنّما هي من التجليات الذاتية إلى الروح، والضيائيات منها إنّما هي من التجلّيات الأسمائية إلى القلب.

وله أي لهذا التجلي الصمداني الوتري **من اللمحات تسعةُ آلاف ألف لمحة، وستمئةُ ألف لمحة، وأربعون ألف لمحة** بضرب عدد التجلّيات الذي ثلاثمئة ألف تجلٍّ، وستون ألفًا في

---

(١) كذا.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٣٧).

عدد البروج، الذي هو اثنا عشر، فمجموعُها تصيرُ أربعةَ آلاف ألف وثلاثمئة ألف وعشرين ألفًا، وبالتَّضعيف يصيرُ المجموعُ ثمانيةَ آلاف ألف، وستمئة ألف، وأربعين ألفًا، وتضرب عددُ المنازل الذي هو ألف في نفسه يَصيرُ ألف ألف، فضممناها إلى ما قبلها، فيصير المجموع تسعةَ آلاف ألف لمحة، وستمئة ألف لمحة، وأربعين ألف لمحة، فعلى هذا يصيرُ بين كلِّ منزلٍ ألفُ لمحة، وبين كلِّ تجلٍّ أربعةٌ وعشرون لمحة بعدد ساعات اليوم، ويقتضي التضعيفُ لأنَّ اللوامح دون التجلّي، واللمحةُ تجيء بمعنى اللمعة، يقال: لمح إليه كمنع: اختلسَ النظرَ، ولمحَ البرق والنجمُ لمعا.

وقال في «رصد المعارف» قال القُشيري[1] رحمه الله: اللوامعُ واللوائح والطوالع ألفاظ متقاربة المعنى، وهي من صفاتِ أصحابِ البدايات في الترقّي بالقلب، فلم تدمْ لهم بعدَ ضياء شموس المعارف، لكنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى يُوفي رزقَ قلبهم كلَّ حينٍ.

ثم قال: فيكون أولاً لوائح، ثم لوامع، ثم طوالع. فاللوائحُ كالبروق ما ظهرتْ حتّى استقرّت، واللوامعُ أظهرُ من اللوائح، وليس زوالها بتلك السرعة، فقد تبقى وقتين وثلاثة؛ ولكن كما قالوا:

والعين باكيةٌ لم تشبعِ النظرَ

فهؤلاء بين روحٍ ونوحٍ، لأنهم بين كشفٍ وسترٍ. والطوالع أَبقى وأَقوى سلطانًا، وأدومُ مكثًا، وأذهبُ للظلمة؛ لكنّها ليست بدائم المكث.

وقال القاشاني: اللائحةُ ما يلوحُ من النورِ التجلّي ثم يروحُ. ومن سابقة بارقة وخطرة. واللوائح جمع لائحة، وقد تُطلق [٤٣٤] على ما يلوح للحسِّ من عالم المثال كحال ساريةَ لعمرَ رضي الله عنه، وهو من الكشفِ الصُّوري، وبالمعنى الأول من الكشف المعنوي الحاصل من الجناب الأقدس. واللوامعُ أنوارٌ ساطعة تلمعُ لأهل البدايات من أرباب النفوس الضعيفة الطاهرة، فتنعكس من الخيال إلى الحسِّ المشترك، فتصيرُ مشاهدةً بالحواس الظاهرة، فيتراءى لهم أنوارٌ كأنوار الشهب والقمر والشمس، فتضيءُ حولهم، وهي إمّا من غلبة القهر والوعيد على النفس فيضربُ إلى الحُمرة، وإمّا من غلبة أنوار اللُّطفِ والوعد فيضرب إلى الخضرة.

---

(١) الرسالة القشيرية: ١٥١.

وفي «الفتوحات»[(١)]: اللوامع ما ثبتَ من أنوار التجلّي وقتين أو قريبًا من ذلك بعد المطالع. والطوالعُ أنوار التوحيد تطلعُ على قلوب أهل المعرفة، فتطمس سائرَ الأنوار عندما تحكم على الأسرار اللوائح. واللوائحُ ما يلوحُ للأسرار الظاهرة من السموّ من حالٍ إلى حال، هذا عند القوم، وعندنا هي ما يلوحُ للبصر إذا لم يتقيَّدْ بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة السلب. وعند جامعِ هذه المباحث التحقيق الذي يشهدُ به الوجدان باللوائح واللوامع. والطوالع مختلفٌ باختلاف المشارب والاستعداد وقتًا وبقاءً وتقدّمًا وترتّبًا وكمّا وكيفًا، فلا انضباطَ لها على التحقيق، وما ذكروه في ضبطها فإنَّما هو أكثريٌ أو مبنيٌ على وجدان القابل ومنبئٌ عنها. انتهى.

النوريات منها أي من تلك اللمحات **أربعة آلاف ألف لمحة، وثمانُمئة ألف لمحة، وعشرون ألف لمحة، والضيائيات مثلُ ذلك** على وجه التنصيف.

وله أي لهذا التجلّي الصمداني الوتري **من الدرجات** العُلى والزُّلفى **مئتا ألف ألف درجة، وتسعةٌ وثمانون ألف ألف درجة، ومئتا ألف درجة** بضرب الثلاثين التي هي عشرُ أمثال مراتب التوحيد الأفعالي والصفاتي والذاتي في عدد اللمحات التي هي تسعةُ آلاف ألف لمحة وستُمئة ألف لمحة، وأربعون ألف لمحة، فيصيرُ المجموعُ مئتي ألف ألف درجة وثمانين ألف ألف درجة، ومئتي ألف درجة.

الدرجةُ هي نحو المنزلة إلاّ أنها يقال إذا اعتبرت بالصعود كما في الجنان دون الامتداد البسيط، والدركُ للسافل كما في النيران وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢] فمن باب التغليب، أو المرادُ الرُّتب المتزايدة إلاّ أنَّ زيادةَ أهل الجنة في الخيرات والطاعات، وزيادةَ أهلِ الشرّ في المعاصي والسيئات.

النوريات منها من تلك الدرجات **مئة ألف ألف درجة، وأربعةٌ وأربعون ألف ألف زلفة، وستُمئة ألف زلفة. والضّيائيات مثلُ ذلك** على وجه التنصيف. الزُّلفة والزُّلفى القربة والمنزلة والدرجة.

وله أي لهذا التجلّي الصمداني الوتري **من الأسرار خمسمئة ألف ألف سر، وثمانيةٌ**

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣١ـ١٣٢.

وسبعون[1] ألف ألف سر، وأربعمئة ألف سر على وجه التضعيف على أعداد الدرجات التي مئتا ألف ألف درجة، وثمانون ألف ألف درجة، ومئتا ألف درجة، فبالتضعيفُ يصيرُ المجموعُ خمسَمئة ألف ألف سرّ، وثمانية وسبعين ألف ألف سر وأربعمئة ألف سر.

والسرُّ يعني به حصّة كلِّ موجودٍ من الحقِّ بالتوجه الإيجادي المنبّه عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فقولهم: لا يحبُّ الحقَّ إلاّ الحقُّ ولا يطلب [٤٣٤/ب] الحقَّ إلاّ الحقُّ، ولا يعلم الحق إلاّ الحق، إنّما أشاروا بذلك السرَّ المصاحب من الحقِّ إلى الخلق على الوجه الذي عرفت، فإنّه هو الطالب للمحق، والمحب له، والعالم به، قال ﷺ: «عرفتُ ربّي بربّي»[2].

سر العلم: يطلق بإزاء حقيقةِ العالم به.

وسرّ الحال: يطلق بإزاء الحال، وهو ما تقعُ به الإشارة من الأشياء التي تكون مصونةً مكنونةً بين العبد وبين الحق. وقد سبق مرارًا تفصيلُ الأسرار[3].

النوريات منها من الأسرار مائتا ألف ألف سرّ، وتسعةٌ وثمانون ألف سر، ومئتا ألف سر. والضيائياتُ مثلُ ذلك على وجه التنصيف.

وله أي لهذا التجلّي الصمداني الوتري من اللطائف ألفُ ألف ألف لطيفة مئة ألف ألف[4] لطيفة وستة وخمسون ألف ألف لطيفة وثمانمئة ألف لطيفة على وجه التضعيف على أعداد الأسرار التي هي خمسُمئة ألف ألف سرّ، وثمانيةٌ وسبعون ألف ألف سر، وأربعمئة ألف سر، فبالتضعيف يصيرُ المجموعُ ألفَ ألف ألف لطيفة، ومئةَ ألف ألف لطيفة، وستةٌ وخمسون ألف ألف لطيفة، وثمانمئة ألف لطيفة.

اللطيفةُ عبارةٌ عن كلِّ إشارة دقيقة المعنى تلوحُ في الفهم لا تسعُها العبارةُ، وقد تُطلق بإزاء النفس الناطقة، والمرادُ ههنا الأول.

النوريات منها أي من اللطائف خمسُمئة ألف ألف لطيفة وثمانية وسبعون ألف ألف لطيفة

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٦): وثمانية وتسعون.
(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٩٧).
(٣) انظر الصفحة (١/ ١٤٩، ٣٥٠).
(٤) في المطبوع من المواقع (٢٤٦): لطيفة ومئتا ألف ألف لطيفة، وستة وتسعون ألف ألف.

وأربعمئة ألف لطيفة[١]. والضيائيات مثل ذلك على وجه التنصيف.

وله أي لذلك التجلي الصمداني الوتري من الحقائق ألف ألف ألف حقيقة ومئة ألف ألف حقيقة وستة وخمسون ألف ألف حقيقة وثمانمئة ألف حقيقة[٢] على أعداد اللطائف النوريات. منها أي من الحقائق خمسمئة ألف ألف حقيقة وثمانية وسبعون ألف ألف حقيقة وأربعمئة ألف حقيقة[٣]. والضيائيات مثل ذلك على وجه التنصيف.

حقيقة الحقِّ: عبارةٌ عن صورة علمه بنفسه من حيث تعيّنه في تعلّقه بنفسه باعتبار توحّد العلم والعالم والمعلوم.

وحقيقة الخلق: عبارةٌ عن صورةِ علمه بهم، ويقال أيضًا: حقيقةُ الخلق عبارةٌ عن نسبة تعيّنه في علم ربّه أزلاً وأبدًا.

والحقيقةُ: مشاهدةُ الربوبية بمعنى أنّه تعالى هو الفاعلُ في كلِّ شيءٍ، والمقيمُ له لأنَّ هويَّتَه قائمةٌ بنفسها، مقيمةٌ لكلِّ شيء سواه.

والحقائق: هي أسماءُ الشؤون الذاتية عندما تتصوّر وتتميز في الرتبة الثانية، فإنّ جميعَ الحقائقِ الإلهية والكونية إنّما تكونُ شؤونًا وأحوالاً ذاتية من اعتبارات الواحدية مندرجة فيها في الرُّتبة الأولى على نحو ما بانتْ وتصوّرت في المرتبة الثانية فتُسمّى الشؤون في هذه المرتبة بالحقائق، فإنه لمّا كان الغالبُ على أحكام هذه المرتبة الثانية إنّما هو حكمُ تميّزات الأبدية مع آثار ظلمة غيب إطلاق الأزلية لكون هذه الرتبة هي حضرةُ العلم الذاتي الذي لا يطّلع عليه غيرُ كُنْه الذات الأقدس، صار ذلك مَوجبًا لأنْ حقّت أحكام هذه المرتبة الثانية بكلِّ شأنٍ من تلك الشؤون، فكانت تلك الأحكامُ كحقه لذلك الشأن، فصار ذا حقٍّ وحقيقة، وتُسمّى عينًا ثابتةً لثبوتها [٤٣٥] في هذه الحضرة العلمية، وماهية لأنّه يُسأل عنها بما هي. وقد سبق تفصيل[٤] الحقائق.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٦): ألف لطيفة وثمانمئة وتسعون ألف لطيفة وثمانمئة ألف لطيفة.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٦): وله من الحقائق ألفا ألف ألف حقيقة، وثلاثمئة ألف ألف حقيقة، وثلاثة وتسعون ألف ألف حقيقة، وستمئة ألف ألف حقيقة.

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٤٦): حقيقة وستة وتسعون ألف ألف حقيقة وثمانمئة ألف حقيقة.

(٤) لطائف الإعلام ١/ ٤٢٤.

ثم في كلِّ فصلٍ من هذه الفصول المذكورة في التجلّي الصمداني الوتري من المقامات والمنازلِ والتجلّيات واللمحات والدرجات والأَسرار واللطائف والحقائق لكلِّ فصلٍ سرٌّ أو حقيقةٌ أو لطيفة، أو حضرة، أو منزلٌ، أو تجلّي دقائق ورقائق. الدّقيقُ ضدّ الغليظ، والأمرُ الغامض.

والرقيقة: يعنون بها الواسطة اللطيفة الرابطة بين شيئين.

ورقيقة الإمداد: هي ما يصلُ به المددُ من الحقِّ إلى عبده.

ورقيقة النزول: هي ما ينزلُ به المددُ من الجسوم العالية إلى ما دونها، وهي رقيقة الإمداد بعينها.

ورقيقة العروج: هي ما يتوصَّلُ به العبدُ إلى ما يرومه من المراتب العالية والمطالبِ السنية.

ورقيقة الارتقاء: هي ما يتوصّل به العبدُ إلى الارتقاء إلى حضرة الربِّ ومنازلِ أهل القربِ، وهي رقيقة العروج بعينها.

والرقائق: هي علوم السلوك وتسمّى أيضًا بالطريقةِ، وبعلوم الطريقة، سُمّيت بالرقائق من جهة أنها ترقّقُ كثافة العبد، فيرتقي بذلك إلى رتبةِ أهل الصفاء، ولهذا فإنْ من لم يبقَ فيه شيءٌ من كدورات النفس وكثافة الحسِّ، اتَّصفتْ جسمانيتُهُ بأوصافِ روحانيته بحيث إنه يتمكّن من الطيران في الهواء، والمشي على الماء، والمكثِ في النار بلا سقوطٍ ولا غرق ولا احتراق، لكونه قد ترقّى من حضيض الانفعال إلى أوج الفعل الذي من شأنه ذلك[١].

على عدد ما يحويه بجمعه ويشمله الفصلُ من الأسرار أو اللطائف أو ما كان في ذلك الفصل فتحقّق التحقق: هو عند الطائفة عبارةٌ عن رؤية الحقِّ تعالى في أسمائه، فإن من لم يرَ الله كذلك فهو محجوبٌ برؤية الكون عن العين، وبرؤية الخلق عن الحق، أو مُستهلكٌ في العين عن الكون، وفي الحقِّ عن الخلق، وهذا الشخصُ يفوته من الحقِّ بقدر ما جهلَ من الخلق. وقد مرّ تفصيله. والتحقق بالأسماء الإلهية مرارًا.

يعني **فتحقّقْ** ما ذكرته في الفصل **أيُّها الطالبُ وتخلّق** وقد مرّ أن التعلّقَ بالأسماء هو عبارةٌ

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٩٤.

عن افتقارِ العبد إليها مطلقًا من حيث دلالتها على الذات الأقدس، والتحقّق معرفةُ معانيها بالنسبة إلى الحقِّ سبحانه وبالنسبة إلى العبد، والتخلّق أن يقومَ العبدُ بها على نحو ما يليق به كما يقومُ به هو سبحانه بها على نحو ما يليق بجنابِ قدسه، فتكون نسبتُها إلى الحقِّ اللائق بقدس الحقِّ، وإلى العبد على الوجه اللائق بعبوديته.

عسى أنّك تلحقُ وتستمسكُ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها العروةُ من الدلو والكوز المقبض، ومن الثوبِ أُخت زرة، والوثقى مؤنث الأوثق، أي الأحكم، والعروةُ الوثقى: كنايةٌ عن التوحيدِ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ بأمرِ الشيطان وعبادة الأصنام ﴿وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ﴾ وبما جاء منه ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ فقد أخذ بالثقةِ بلا إله إلا الله ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولا زوال ولا هلاك، ويقال: لا انقطاعَ لصاحبها عن نعيمِ الجنّة، ولا زوالَ عن الجنّة، ولا هلاك بالبقاء في النار.

والله يؤيّدك يقوّيك في سلوكك. السلوكُ في اصطلاح الطائفة: عبارةٌ عن الترقّي في مقامات القرب إلى حضرة [٤٣٥/ب] الربِّ فعلاً وحالاً، وذلك بأن يتّحدَ باطنُ الإنسان وظاهره فيما هو بصدده فما يتكلّفُه من فنون المجاهدات، وما يُقاسيه من مشاقِّ المكابدات بحيث لا يجدُ في نفسِهِ حرجًا من ذلك.

ويجمع الله لك بين ملكك ومليكك آمين بالمدّ والقصر، وقد يُشدَّدُ الممدود، ويُمالُ أيضًا عن الواحدي في «البسيط» اسم من أسماء الله تعالى، أو معناه: اللهم استجبْ، أو كذلك فليكن، أو كذلك فافعل. كذا في «القاموس» ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] أي عدل الطريق واستقامته. انتهى.

وهذه المضاهاة التي سبقت تفصيلها إنّما يتحقّق في مقام الكرسي لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وما فيها من الحقائق الكونية، لأنَّ الكرسيَّ نسخةُ اللوح، والعرشُ نسخةُ العقل، واللوح نسخة القلم، والعقلُ نسخةُ الذات، والإنسان النسخة الجامعةُ لجميع النسخ، كما قال الشيخ رضي الله عنه في تحقيق فاتحة الكتاب التي هي (أم الكتاب): إن العالم عالمان: عالمُ الأمر، وعالم الخلق، ولكلِّ واحدٍ منهما كتابٌ من كتاب الله، ولكلِّ كتابٍ فاتحةٌ، وجميعُ ما في الكتاب مفصّلٌ في فاتحته مجمل، وباعتبار إجمال ما فصّل في الكتاب فيها سمّيت بأمّ الكتاب، وباعتبار تفصيل ما أجملَ فيها فيما يلي مرتبتها تُسمّى مرتبة

التفصيل بالكتاب المبين، وكلُّ موجودٍ في هذا الكتاب العالم حرفٌ باعتبارٍ، وسورةٌ باعتبارٍ، ومركّب باعتبار، لأنّا إذا نظرنا في ذات كلِّ موجودٍ من غير أن ننظرَ في وجهها وخواصّها وعوارضها ولوازمها وجدناها مجرَّدةً عن كلِّ موجود، وباعتبار تجرّدها عن الكلِّ سمّيناها حرفًا، وإذا نظرنا إلى وجهها وخواصّها وعوارضها ولوازمها وأضفناها إليها، فباعتبارِ إضافتنا الكلَّ إليها سمّيناها كلمةً، وباعتبار تجرّدِ كلِّ موجودٍ سُمّيت حروفًا مقطَّعةً مفردة، وباعتبار عدمِ تجرّدها عن المضافات والمنسوبات، وعدمِ تميّز بعضِها عن البعض؛ بل تداخل بعضها في البعض سُمّيت ألفاظًا مركّبةً، وباعتبار تميّز كليّات المراتب بعضها عن البعض، ووقوع كلِّ موجودٍ في مرتبته سُمّيت سُورًا.

فإذا فهمتَ هذا فاعلمْ أنَّ الحقَّ مبدأُ الكلِّ ومعادُه، إليه يرجعُ الأمرُ كلّه، وإلى الله المصير، وإلى الله عاقبة الأمور، ولا بدَّ أن يكونَ الكلُّ فيه قبل كونه، ولا بدّ أن يكونَ الكلُّ فيه هو إذ ثبتَ أنّه «كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهو الآن كما كان»[1] فذاتُ الحقّ سبحانه وتعالى باعتبارِ اندماجِ الكلِّ فيها هي أمُّ الكتاب، وعلمُه هو الكتابُ المبين، وباعتبار تفصيلِ ما اندرجَ في الذات، ولظهورِ ما كمنَ فيها به فعلمُه بذاته مستلزمٌ لعلمه بجميع الأشياء، إذْ جميعُ الأشياء فيها كانت مندرجةً كاندراجِ الشجرة في النواة، فالعلمُ الذي قلنا فيه إنه هو الكتابُ المبين مرآة الذات التي قلنا فيها إنه أم الكتاب، والذاتُ الظاهرة فيه علم، لأنَّ العلمَ هو أوّلُ ما تعيّن به الذات، فالذاتُ هي أمُّ الكتاب من الحقائق الإلهية، والعلمُ هو الكتابُ المبين من الحقائق الإلهية، كما أنَّ العلمَ هو أمُّ الكتاب من الحقائق الكونية، واللوح المحفوظ هو الكتابُ المبين من الحقائق الكونية، فبين الذات والقلم مضاهاةٌ من جهة الإجمال والكلية وكمونِ الأشياء فيها على الوجه الكلّي، وكذلك بين العلم واللوح مشابهةٌ من جهة التفصيل [٤٣٦] ومن جهة ظهور الأشياء، فهما على الوجه الجزئي، فالعلمُ مرآة الذات على الوجه الكلّي والإجمالي، والقلمُ مرآةُ الذات على الوجه الكلّي والإجمالي، ومرآةُ العلم واللوح المحفوظ مرآةٌ للقلم، فما في القلم ظاهرٌ على الوجه الجزئي والتفصيل فهو في اللوح ظاهرٌ على الوجه الجزئي والتفصيل، فكما علمتَ أنّ لعالم الأمر كتابًا مُجملاً ملقّبًا بأمِّ الكتاب، وكتابًا مفصّلاً موسومًا بالكتاب المبين. والمجملُ هو القلمُ، والكتابُ المبين هو اللوحُ.

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٤٦).

واعلم كذلك أنّ لعالم الملك كتابًا مجملاً وهو العرشُ، وكتابًا مفصّلاً وهو الكرسيُّ، فباعتبار اندراج ما يُريد أن يتفصّل في الكرسي ما كان في العرش يُقال له أمُّ الكتاب، وباعتبار تفصيلِ ما كان في العرشِ مُجملاً في الكرسيِّ يُقال له الكتابُ المبين، فبين العرش والقلم مضاهاةٌ من جهة الإجمال والكلية وكمون الأشياء فيها على الوجه الكلّي، وكذلك بين الكرسيِّ واللوحِ المحفوظ مشابهةٌ من جهة مظهر بينهما للتفصيل، ومن جهة تقسم الأمرِ الواحد فيهما بالقسمين، ومن جهة ظهور الأشياء على الوجهِ الجزئي والتفصيل.

فالعرشُ من هذه الجهة في مرتبة الحسّية مرآةٌ للقلم، فما في القلمِ مندرجٌ على الوجه الكلّي والإجمال، فهو في العرشِ مندرجٌ على الوجه الكلّي والإجمال.

والكرسيُّ أيضًا من هذا الوجه في مرتبة الحسّية مرآةٌ للوح، فما في اللوح ظاهرٌ على الوجه الجزئي والتفصيل فهو في الكرسيِّ ظاهرٌ على الوجه الجزئي والتفصيل، فالقلمُ المكنى بالعقل أنموذجُ الذات ومرآتُها ومظهرُها ومنصتها ومجلاها، ولوح المسمّى بالنفس أنموذج العلم ومرآته ومظهره ومنصته ومجلاه، والكرسيُّ أنموذج اللوح ومرآتُه ومظهرُهُ ومنصته ومجلاه، فالعقلُ نسخةُ الذات، واللوحُ نسخة القلم، والعرشُ نسخة العقل، والكرسيُّ نسخةُ اللوح، والإنسانُ الكاملُ فهو النسخة الجامعةُ لجميعِ النسخ. انتهى.

* * *

منزل التنزل الذاتي

يعني نزول الحقِّ إلى سماء الدنيا في الثُّلثِ الباقي من الليل، كما وردَ في الحديث[١]، يعني نزل الحقُّ تبارك وتعالى من ليل ذاته الذي يليه الفجرُ وطلوعُ الشمس إلى سمائه الأقرب إليه، يعني تجلّى الحقُّ بالنزول المعنوي النوراني الروحاني في الثُّلث الأخير من غيب أحدية ذاته للأرواح الطبيعة المدبرة أرض الأجسام العنصرية، فيُناديه: هل من عينٍ ساهرةٍ أنعمها بمشاهدتي؟ هل من سَمْعٍ مُستمعٍ أُسمعه كلامي؟ هل من لسانٍ صامتٍ أنطقه بذكري؟ هل من يدٍ مقبوضةٍ أبسطها بنعمتي؟ هل من بطنٍ جائعٍ أغذّيه بخلقي؟ أو عاطشٍ فأرويه بعلمي؟ هل من فرجٍ متعفّفٍ أنكحه حكمتي؟ هل من رِجْلٍ قائمةٍ أَلفُّ ساقَها بساقِ السجود؟ هل من قلبٍ متنبّهٍ أهبه الكلّ؟ وقد مرّ تفصيلُه في أواخر الفلك القدمي[٢].

اعلم يا بُني، أنّه من أرادَ أن يكونَ قلبُهُ بيتَ الحقِّ جلَّ وعلا وهي المعبّرُ عنها بالبيت المحرم، يعنون به قلب الإنسان الحقيقي، وهي الكامل، لأنه المحرّم على غيرِ الحق أن يتصرّف فيه، قال تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] فمن بابِ الإشارة هو القلبُ الذي وسعَ الحقَّ، كما ورد في الحديث القدسي: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبديَ المؤمن التقيِّ النقي»[٣] واختصَّ بكونه مستوى الحقِّ بذاته وبجميع أسمائه [٤٣٦/ب] وصفاته دون غيره من سائر المخلوقات كما أخبرَ سُبحانه وتعالى على التنزيه ونفي التشبيه فليعتمد المريد[٤] إليه أي ليقصدْ إلى القلب، أو إلى الحقِّ، وهو يميط عنه أي يزيل عن القلب كلَّ أذى وهو المكروه من كبرٍ وعُجْبٍ وما ذكرناه من الأوصاف المذمومة شرعًا وعادةً وهي ما يتعلّقُ بالسمعِ والبصر واللسان والبطن والفرج واليد والرِّجل والقلب. وقد مرّ تفصيلُ كلِّ واحدٍ منها في فلكه.

فإذا أماطَ المريدُ عنه أي أزال عن القلب هذه الأوصاف المذمومة غسَلَه أي القلب بماءِ الإخلاص والمراقبة وقد سبق تفصيلُهما.

---

(١) انظر الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ١٥١).

(٢) الفلك القدمي (٣/ ١٦٧ـ ٢١٦).

(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٣).

(٤) في المطبوع من المواقع (٢٤٧): فليعمد.

وفرشه أي القلب بالذلّ ضدّ العز والافتقار أي الاحتياج وأسرجَ فيه في القلب سُرُجَ جمع سراج الأخلاقِ الإلهية السماوية العلوية، وهي الصبرُ والرضا والشكر والحياء والصدق والإيثار والخُلُق والتَّواضع والفتوة والانبساط حتى غمسه[١] أي مقله يعني أحاطَ بالقلب النور، وأشرقتْ أضاءت زواياه أي زوايا القلب، جمعُ زاوية، لأنَّ الزاويةَ من البيتِ ركنُهُ، والجمعُ زوايا وأقام على بابه بوابَيْنِ أحدهما التوحيد الحقيقي، والآخر الأدب ينتظران نزول الرحمن كما وعد الرحمن لقلب هذه المذكورة صفته، فنفذ أي جاز الأمر المطاع لحضرة القلب عند ذلك الانتظار، وهو يعني الأمرَ المطاع لحضرة القلب هو ألاّ يبقى أميرٌ إلاّ يبرز أي يظهر في صدرِ قومه بحلّته وتاجه، متقلّدًا سيفه بها أي حسنًا للملكة[٢] أي للمملكة الإنسانية وتعظيمًا لورود الملك الحقّ وتجلّيه يعني بروز كلّ أميرٍ في صدر قومه بحلّته وتاجه، حال كونه متقلّدًا سيفه، لأجل حسن المملكة الإنسانية، ولتعظيم ورود الملك الحق وتجلّيه فأخذ أجنادُ الخواطر مصافَّهم محلَّ صفّهم بالتحميد والتقديس والتمجيد.

فتقدّم الأميرُ البصري في صدر قومه أي المبصرات وقعد الأميرُ البصري على مرتبته والحال قد تقلّد سيفَ الاعتبار، وعليه حلّةُ الحياء وتاج المراقبة مرّ تفصيلها مرارًا.

وتقدّم الأميرُ السمعي في صدرِ قومه أي المسموعات وقعد الأميرُ السمعي على مرتبته، وقد تقلّد سيفَ المبادرة للإذن العالي، وعليه حلّةُ الخضوع وتاج المحافظة.

وتقدّم الأميرُ المدركُ للروائح صاحب الشمّ في صدرِ قومه أي المشمومات وقعد على مرتبته، وقد تقلّد سيف الخضوع، وعليه حلّة الذلّة وتاج الخشوع.

وتقدّم الأمير الذائق في صدر قومه أي المطعومات والمشروبات وقعد على مرتبته، وقد تقلّد سيفَ الصدق، وعليه حلّة التلاوة وتاجُ الذكر لأنَّ محلّه اللسان.

وتقدّم الأمير اللامس في صدر قومه أي الملموسات وقعد على مرتبته وقد تقلّدَ سيفَ العفاف، وعليه حلّة الكفافِ، وتاجُ القناعة والزهد. يقالُ عفَّ عن الحرام عِفّةً وعفًّا وعفافًا. والكفافُ من الرزق القوتُ. والقناعة الرضا بالقسمة، وقيل: هي السكونُ عند عدم المأكولات. والزهدُ إسقاطُ الرغبة في الشيءِ بالكلّية.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٧): حتى عمّه.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٧): للملائكة.

فلما أخذَ أمراءُ الحسِّ[1] مراتبهم واعتدلوا، ورجع الأمراءُ الروحانيون [٤٣٧] من ترتيبهم إياهم إلى مراتبهم.

فتقدّم الروحُ الحيواني في صدرِ قومه أي المحسوسات، لأن مقامَه الحسُّ المشترك متقلّدًا سيفَ الاستقامة هي روحٌ تحيا به الأعمال، وتزكو به الأحوال، وهي الائتمارُ بجميع الأوامر، والانزجار عن جميع النواهي وعلية حلّة الإحصاء المشار إليه بقوله عليه السلام: «إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»[2] وقد سبق تفصيلُه وتاج التنزّل والألطاف.

وتقدّم الروحُ الخيالي في صدر قومه أي المتخيلات متقلّدًا سيف الأمانة فهو أمين وعليه حلّةُ الاحتراس أي التحفّظ وتاجُ الانتظار أي التأنّي.

وتقدم الروح العقلي في صدر قومه أي المعقولات متقلّدًا سيف الوجوب[3].

الوجوب[4] هو ضرورةُ اقتضاء الذات عينها وتحقّقها في الخارج.

وعند الفقهاء: عبارةٌ عن شغل الذمّة.

الوجوبُ الشرعي: وهو ما يكون تاركُهُ مستحقًّا للذمِّ والعقاب.

والوجوب العقلي: ما لزم صدورُهُ عن الفاعل بحيث لا يتمكّنُ من التركِ بناء على استلزامه محالاً.

وعليه حلّةُ الجواز. الجائز[5] في الشرع: هو المحسوسُ المعتبر، الذي ظهر نفاذُهُ في حقّ الحكم الموضوع له مع الأمن عن الذمّ والإثم شرعًا.

وقد يُطلق على خمسة معانٍ بالاشتراك: المباح، وما لا يمتنع شرعًا مباحًا كان أو واجبًا، أو مندوبًا أو مكروهًا، وما لا يمتنعُ عقلاً: واجبًا أو راجحًا أو متساوي الطرفين، أو مرجوحًا، وما استوى الأمران فيه شرعًا كالمباحِ، أو عقلاً كفعلِ الصبي، وما يشكُّ فيه شرعًا أو عقلاً، والمشكوكُ إمّا بمعنى استواء الطرفين، أو بمعنى عدم الامتناع.

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٧): أمراء الجيش.

(٢) تقدّم الحديث تخريجه صفحة (١/ ٢٨٣) بلفظ: «من أحصاها دخل الجنة».

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٤٨): سيف الوجود.

(٤) التعريفات: ٣٢٣.

(٥) الكليات: ٢/ ١٥٢.

والجواز الشرعي: من هذه المعاني هو الإباحةُ، ويطلق الجائز أيضًا على الجائز الذي هو أَحدُ أقسام العقلي أعني الممكن، فالممكنُ والجائزُ العقلي في اصطلاح المتكلّمين مترادفان. وقد مرّ تفصيلُه.

وتاج الأصالة[1] لأنَّ العقلَ وكيلُ الروح، والوكيلُ كالأصل.

وتقدّم الروح الفكري في صدر قومه أي المتفكّرات **متقلّدًا سيف النقد**[2] لأنّه هو الناقد من نقد الدراهم فانتقدها: أخرجَ منها الزُّيوف **وعليه حلّةُ التمييز** لأنَّه هو المميّز **وتاج الترجيح** لأنّه هو المرجح، يقال: رجحَ ترجيحًا أي أعطاه راجحًا، والراجحُ المائل.

وتقدّم الروحُ القدسي في صدر قومه أي الأرواح **وعليه حلّةُ الولاية وتاجُ النبوة، متقلّدًا سيفَ الرسالة، على كرسيِّ التنزيه**. التنزيه هو تعالي الحقّ عمّا لا يليقُ بجلال قدسه. وقد مرّ تنزيهُ الشرع، وتنزيهُ العقل، وتنزيه الكشف **بيده** أي يد الروح القدسي **قضيبُ الأدب**. والأدبُ حفظُ الحدِّ بين الغلوّ والجفاء، أي بين الإفراط والتفريط، وذلك أن يؤمَّ السالكُ طريقًا متوسّطًا بينهما، وقد سبقَ الأدبُ مع الحقّ ومع الخلق، وأدب الشريعة، وأدب الخدمة، وأدب الصبيان، وأدب الشيوخ، وأدب الحقيقة والأديب.

فلمّا أخذَ الأمراءُ الروحانيون مراتبَهم[3] **صعدَ الكلمُ الطيّبُ**. الكلمة يعني بها الحقيقة، وإن شئتَ فقلِ الماهية، أو العين الثابتة، أو مهما شئت من تعيّنات [٤٣٧/ب] الحقّ، فإنّه متى اعتبرتَ تلك الحقيقة مقترنةً بالوجود بحكم ما تقتضيه من اللوازم والتوابع حتّى أفادتْ معنَى الخلقية والموجودية، سُمّيت كلمةً، يعني الحقيقة الإنسانية صعد **على بُراقِ العمل الصالح** الذي حصل من أمراء الحسّ، وأمراء الروحانيين، وذلك العملُ صالح الذي هو بمثابة بُراقه ومطيّتِهِ **يرفعُهُ** أي الكلم الطيب **إلى المستوى الأعلى** وهو السّدرة المنتهى، لأنّه إلى هناك تنتهي الأعمال كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٨): وتاج الإحالة.

(٢) في المطبوع من المواقع: سيف التقدم.

(٣) في المطبوع من المواقع (٢٤٨): الروحانيون أيضًا مراتبهم.

فلما وصل البراقُ إلى المستوى الأعلى نزلَ أي الكلم الطيب من على متنه[١] أي من فوق متن البُراق، وخرّ ساجدًا عند باب الحضرة الإلهية، فخرج إليه أي إلى الكلم الطيب السرُّ، ففتحَ السرُّ له للكلم الطيب البابَ، ودخلَ وبايع من الحق وحمد، فقال له الحقُّ: فيم جئتَ؟ فقال الكلم: إنّ قلبَ فلان الذي أمرت الكرام البررة بتطهيره، فقد طُهّر بما نفّذ به الأمر المطاع على لسان الرسول الكريم محمد ﷺ وقد تقدّس المحلُّ الزكي أي القلب الطاهر بالعبودية الاختصاصية.

العبادةُ: غايةُ التذلّلِ لله تعالى على وفق ظاهرِ الشريعة.

والعبوديةُ: لتصحيح الصدق بالسلوك إلى الله تعالى على طبق الطريق.

والعبودةُ: مشاهدةُ النفوس قائمةً بالله في عبوديتهم كما هي مرتبةُ أرباب الحقيقة، والأولى: مرتبةُ العوام، والثانية: مرتبة الخواص، والثالثة: مرتبةُ أخصّ الخواص. وقد سبق تفصيلُها[٢].

وأخذ العبيدُ جمع العبد أي الخدم المُدبّرون من الأمراء والأعضاء غمرتهم أي جماعتهم ملكة مراتبهم حال كونهم مُسبّحين وممجّدين معظّمين ومكبّرين لا يخافون لومةَ لائم، قد غمرتهم أي علتهم وازدحمتهم المننُ الإلهية فاعل (غمرت) جمعُ المنة، بمعنى الامتنان، كما يُقال: مَنَّ عليه: أنعم، ومنَّ عليه أي: امتنَّ، وبابه ردَّ، ومنه أيضًا والنعم القدسية عطفٌ على ما قبله، جمع النِّعمة فإذا للمفاجأة أي يفجأ النداءُ إنْ أنزل يا أيُّها الكلمُ الطيب وارجعْ إلى ذلك المحلِّ الطاهر أي القلب الطاهر عن لوث السواء حال كونك مُبشّرًا بنزولي إليه أي إلى القلبِ الطاهر واحمل معك هديةَ الاحترام أي الحرمة والاحتشام أي الاستحياء.

قال [ابن] الأعرابي: حشمَهُ أخجله، وأحشمه أغضبه، والاسم الحشمة، وهو الاستحياء، وأحشمه واحتشمَ منه بمعنًى، وحشمُ الرجل خدمُهُ. وقل له فجاء ربُّك في ظُلَلٍ من الغمام. الظُّلّة بالضم كهيئة الصفة، وقُرىء: ﴿في ظُلَلٍ على الأرائك مُتَّكِئون﴾[٣] [يس: ٥٦].

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٤٨): عن متنه.

(٢) انظر الصفحة (١/ ٢١٧).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بضم الظاء، وقرأ الباقون ﴿في ظلل﴾ بكسر الظاء.

والظلّ[١]: يعنون به وجود الراحة خلف الحجاب، ويُشيرون به إلى كلِّ ما سوى الله من الأعيان الممكنات[٢]، وذلك من وجهين:

أحدُهما: هو أنّه لمّا لم يكنْ لشيءٍ من الكائنات استقلالٌ بنفسه لاستحالة وجودِ ما سوى الحقّ بذاته، صار الكائنات ظلاً من حيث إنَّ الظل لا تحرُّكَ له إلاّ بحركةِ صاحبه [٤٣٨] ولا حقيقة له ولا صورة ولا ذات إلاّ بحسب ما ينبعثُ عن الشيءِ الذي هو ظلٌّ له، فهكذا من شهد الحقيقة، فإنّه يرى الكائناتِ ظلاً لا تستطيعُ لأنفسها ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا[٣].

والوجه الثاني: هو أنّه لما كانتْ حقيقةُ الظلِّ إنمّا هي عدم النور الشمسي أو غيره في بقعةِ ما لساتر [ما] صارت الكائنات ظلاً بهذا المعنى، لأنَّ حقيقة الظلِّ لا ترجعُ إلى شيءٍ في نفسه؛ بل إنما هي تتعيّنُ بالنور، فكذلك كلُّ ما سوى الله عزّ وجل ليس هو شيئًا بنفسه، إنمّا هو شيءٌ بربِّه، وقد سبق تفصيله اقتباس من قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] ومن قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

والنبيّون فوجًا فوجًا جماعة بعد جماعة **بأيديهم أطباقُ الأسرار، وموائدُ العلوم** جمع مائدة، وهي خِوانٌ عليه طعام، فإن لم يكن عليه طعام فهو خِوانٌ لا مائدة. **فيها** أي في الموائد **صُحُن الأنوار**. الصحن: جوفُ الحافر، والعسُّ العظيم، أي القدح العظيم، ووسط الدار **فأنزلوها** أي أنزل النبيّون ما بأيديهم من الأطباق والموائد **في ذلك المحلِّ الشريف** أي القلب اللطيف **وقد تجلّى الحقُّ في سماء** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي في موطن التنزيه **وبسطَ يدي** ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] ويعبر باليدين عن الحضرتَيْنِ اللتين هما حضرةُ الوجوب، والإمكان. فحضرةُ الوجوب إحدى يديه الباسطة بالرحمة، وكانتْ حضرة المعلومات والإمكان الأُخرى، وقد يُعبَّرُ بهما عن الجلالِ والجمال، وقد سبق تفصيلُهما.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٩٢.

(٢) في اللطائف: أعيان الكائنات.

(٣) هذا من قوله تعالى في سورة الفرقان (٣): ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

واستدعى الحقُّ تعالى أمراءَ الخليفة المذكورين آنفًا واحدًا فواحدًا أي واحدًا عقيب واحد يتناولون من تلك الموائد والأطباق على قدر مراتبهم، وما تعطيه حقائقُهم. يعني: يتناولُ العين بمشاهدته، والسمع بسماع كلامه، واللسان بذكره، واليد بنعمته المعنوية، والبطن بغذاء خلقه وزلال علمه، والفرج بنكاح حكمته، والرِّجل بلف ساقها بساق السجود، والقلب بكلِّ ذلك، لأنَّ السمعَ لا يُطعمُ بطعام البصر، والبصر لا يُطعمُ بطعام السمع، ولا يُطعمُ اللِّسانُ بطعامهما، وقسْ على هذا.

فلمّا طعموا أي الأمراء المذكورين على قدر مراتبهم بما تعطيه حقائقهم تناولوا أكواس المحبة، فلمّا شربوا أُفرغ أي أُلبس عليهم جلّ جلاله حلل البهاء أي الحسن الافتقاري أي الاحتياجي، ثم أمر الحقُّ سبحانه برفعِ حُجُب البعد، فتجلّى الربُّ وفني العبدُ، فخرّوا أي الخليفة والأمراء سجّدًا، فناداهم الحقُّ تبارك وتعالى: يا أوليائي، ارفعوا رؤوسكم، هذا منزلُ تنعيم، يا عبادي، انعموا بمشاهدتي يا عبادي، وهبتُكم الصفات فقدَّستُموها سميتموها، وأحملتكم أمانتي لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فأدّيتموها، ونصبتُ لكم الصراط المستقيم فلم تعوجوا أي لم تميلوا عنه عن الصراط المستقيم وحدَّدْتُ لكم الحدودَ فلم تتعدَّوها أي لم [٤٣٨/ب] تتجاوز الحدود فقالوا أي العباد: ربّنا وحذف حرف النداء في الكلِّ لقُربِ المقام بك قد ثنا[1] من الآثام وبك حملنا الأمانة وأدّيناها، وبك نهجنا أي سلكنا على الصراط المستقيم، وبك وفّقنا أي صرنا موفقًا ولولا تأيدُكَ وعنايتُكَ ما كنّا نقدرُ على ذلك.

فناداهم الحقُّ: عبادي، سقيتكم شرابَ اللذة بالمعاملات، فأنتم تسبّحون الليل والنهار لا تفترون، هذا بشراي لكم في الدنيا، كما أخبرتكم في كتابي العزيز: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] قال تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

فانظر يا بُني، وفّقك الله جعلكَ موفقًا لما يُحبُّه ويرضاه ما أشرفَ هذا المقام فعل تعجّب والحال ما أَوصلك إليه إلى هذا المقام المذكور آنفًا إلاّ اتباعُ محمدٍ ﷺ فإنّ الله تعالى ما ضمن البُشرى إلاّ لمن وصفَهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] قال الله تعالى

---

(١) كذا الأصل، ولعلّها: بك قُدِّسْنا وفي المطبوع من المواقع (٢٤٨): بك قدمنا.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] فماذا عسى أن أصفَ لك، أو يُوصف لك أو تجد ما يهبُهُ اللهُ تعالى لك من الأسرار في هذا التنزيل.

أي التنزيل الذاتي الذي تقدم ذكره آنفًا. جلَّ أي عظم عن الإحصاء والإحاطة الذي أحصيتها في هذا الكتاب.

١- كان لي قلبٌ فلمّا أنْ رَحَلْ بقي الجِسْمُ محلاً للعلَلْ

يعني: كان لي قلبٌ، فلمّا ارتحلَ عن الجسم بقي الجسمُ بلا قلبٍ محلاً للعلل.

العلّةُ في اصطلاح هذه الطائفة: عبارةٌ عن تنبيه الحقِّ لعبده بسببٍ وبغيرِ سببٍ، ويُطلق عندهم على بقاءِ حظِّ العبدِ في عملٍ أو حالٍ أو مقالٍ. والعللُ عبارةٌ عن ملاحظة الأغيار، وطاعةُ القلب السوي، وإجابتُه دواعي الهوى. وقد مرّ تفصيلُ العلل مرارًا.

٢- كان بدرًا طالعًا إذا أتى مغربَ التوحيدِ فيْ ثمّ أفَلْ

يعني كان قلبي بدرًا طالعًا، أي ظاهرًا، وإذا أتى مغرب التوحيد أفلَ في مقام التوحيد، لأنّه ترتفعُ الإثنينيةُ هناك. أفل كضرب ونصر وعلم أفولاً غابَ. فيه تلميحٌ لقوله تعالى حكايةً عن خليله عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٩].

٣- زادهُ شوقًا إلى محبوبِهِ صاحبُ الصعقةِ في يومِ الجبلْ

يعني: عند ذلك زادَ شوقُ قلبي إلى محبوبه تعالى، وخرَّ صعقًا كصاحب الصعقة في يوم دكِّ الجبل. والصعقُ هو في اصطلاح الطائفة: عبارةٌ عن الفناء عند التجلّي الربّاني. وفيه تلميحٌ لقوله تعالى حكايةً عن كليمه عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقد مرّ تفصيلُه.

٤ـ لم يزلْ يَشكو الجَوى مع النوى ليلـةَ الإثنيـن حتّـى اتَّصـل[1]

الجوى: الحرقةُ، وشدّة الوجد من عشقٍ أو حزن، من باب صدى، فهو جو. والنوى ههنا: بمعنى البعدُ.

والاتصال: عند أهل الحقّ هو مقامُ تواردِ الإمداد من حضرة الكريم الجواد.

والاتّصالُ: أحدُ المنازل العشرة التي يشتملُ عليها قسم الحقائق، فإن السائرَ إلى الله تعالى إذا انتهى إلى مقامِ البسطِ الذي يُوجب الشكر، فإنِ ارتقى عنه إلى مقام الصحو نزلَ بعده في منزل الاتصال، ثم ينفصلُ عن رؤية الاتصال المنبيء عن نوعٍ من الانفصال.

واتصال الاعتصام: ويُقال: الاعتصام بالاتصال: وهو اعتصامُ الخاصَّةِ الذين هم أَهلُ الوصول إلى الحضرة، والمُرادُ باتّصال الاعتصام شهود الحقّ تفريدًا ـ أي منفردًا ـ ولا شيءَ معه، وذلك بعد الاستجلال له تعظيمًا.

واتّصالُ الشهود: معناه: سقوطُ الحجاب بالكلّية.

واتّصال الوجود: معناه: وجود الحقّ وجود عين. أي وجود معاينة، وذلك بالانتهاء إلى حضرة الجمع.

واتّصال الانفصال: معناه: رؤيةُ وصلِ الوحدة لفصلِ الكثرة، وذلك حالُ من يشاهدُ الوحدةَ في الأشياء، ويُطلقُ اتّصال الانفصال على زوالِ خصوص العبد الموجب لاتصاله بالحقّ. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[2] قدس سره.

يعني لم يزل قلبي يشكو الجوى والنوى كصاحب ليلة الاثنين، وهو ﷺ لأنه ﷺ ولد في ليلة الاثنين، وهاجرَ في ليلة الاثنين، وعرج في ليلة الاثنين، وارتحل في ليلة الاثنين، حتى اتّصل إلى محبوبه. وفيه تلميحٌ لقوله تعالى حكايةً عن حبيبه ﷺ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٣].

---

(١) كذا الأصل. ولعل الصواب:

لـم يـزل يشكـو الجـوى عنـد النـوى ليلـة الإثنيـن حتـى أن وصـل

(٢) لطائف الإعلام: ١/ ١٦٤ـ ١٦٦.

٥ـ فدنا من حضرة من لم تزلْ ... تهبُ الأرواحَ أسرارَ الأزَلْ

وهذا البيت وما بعده تتميمٌ للبيت المتقدّم. فدنا: أي قربَ قلبي، أو صاحب ليلة الاثنين من حضرةِ من لم تزل تلك الحضرةُ تهبُ الأرواحَ فيها أسرار الأزل، كما قال قبيل النظم[1]: فجاء ربُّك في ظُللٍ من الغمام، والملكُ صفًّا صفًّا، والنبيّون فوجًا فوجًا، بأيديهم أطباق الأسرار، وموائدُ العلوم فيها صُحُنُ الأنوار، فأنزلوها في ذلك المحلِّ الشريف، وقد تجلّى الحقُّ.

٦ـ قرعَ الأبوابَ لمّا أنْ دنا ... قيلَ مَنْ أنتَ تكُنْ قال الخَجَلْ

الخجل: التحيّرُ والدهش، من الاستحياء، ورجل خَجِلٌ، وبه خَجْلةٌ: أي حياءٌ.

يعني: قرعَ قلبي أو صاحبُ ليلة الاثنين الأبوابَ يعني أبواب السموات في ليلة الإسراء، لمّا أن دنا في كلِّ سماءٍ، فقيل عند قرعِ الباب: من أنت؟ فقال: أنا الخجل، يعني صاحب الحياء والأدب، من مقام حضرة الربِّ.

٧ـ قيل أهلاً سَعَةً ومرحبًا ... فُتح البابُ فلمّا أنْ دَخَلْ

قيل: لقارع الأبواب: أهلاً سعةً أي سهلاً ومرحبًا، وقولهم: مرحبًا وأهلاً أي: أتيتَ سعةً، وأتيتَ أهلاً، فاستأنسْ ولا تستوحش، فلمّا أنْ دخلَ قارعُ الباب في حضرة الوهاب.

٨ ـ خرَّ في حضرة ربٍّ ساجدًا[2] ... وانمحى رسمُ البقاءِ وانْسَجَلْ[3]

محاه يمحوه ويمحاه: أذهبَ أثرَه، فانمحى أي: ذهبَ رسمُ البقاء. والرسمُ نعتٌ يجري في الأبد بما جرى في الأزل، وقد يطلقون الرَّسمَ ويُريدون به كلَّ ما سوى الله عز وجل، لأنَّ كلَّ ما سواه آثارٌ، عنه؛ فإن الرسمَ في الديار هي الآثار التي تحصلُ عن سكّانها، فاصطلحَ أهلُ الطريق على تسميةِ كلِّ ما سوى الله تعالى من الأغيار وعالم الخلق بالرسوم، إذِ الكلُّ آثارُ قدرته تعالى وتقدس، فإذا أطلقتِ الطائفةُ الرسومَ أرادوا بها صورَ الخلقية، وسَجَل الماءَ

---

(١) انظر قبيل صفحات.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٩): حضرة ذاك ساجدًا.

(٣) كذا الأصل، والشرح الآتي أيضًا، ولعلّها: وانْسَحَلْ بالمهملة. وسحلَهُ: قشرة ونحته. والرياح تسحل الأرض تكشط ما عليها القاموس.

فانسجل: صبّه فانصبّ، يعني: فلمّا دخلَ قارعُ الباب في حضرةِ ربِّ الأرباب خرَّ ساجدًا، وذهبَ رسمُ البقاء، وانسجل عند السجود.

٩ـ وشكـا العهـد فجـاءه النّـدا[١] يا حبيبي زالَ ذا وقتُ العَمَلْ[٢]

شكاه من باب عدا، وشِكاية بالكسر، وشكيّةً، وشَكاة بالفتح أي أخبر عنه بسوءِ فعله به، والاسم الشَّكوى. والعهد: الموثق، ووضعه لما من شأنِهِ أن يراعى ويتعهد، كالقولِ والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والزمان والأمر والذمة والأمان. والعهد: توحيد الله، ومنه ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٨٧] والعهدُ الإلزام.

يعني: أخبر الساجد عند سُجوده ومحوه عن الزَّمان بسوءِ فعله به، فجاءه النِّداءُ من المسجود: يا حبيبي، زال وقتُ العمل.

١٠ـ رأسَكَ ارفعْ إنّ هذي حضرتي وأنـا الحـقُّ فـلا تبغـي بَـدَلْ

حضرةُ الرجل: قربُهُ وفناؤه، ومحضرُهُ مشهدُه، وقد سبق حضرة الهوية، وحضرة أحدية الجمع، وحضرة الطمس، وحضرة الإجمال، وحضرة الأُلوهية، وحضرة العندية، وغير ذلك من الحضرات. لا تبغِ: بمعنى لا تطلبِ البدل، وبدلُ الشيء: غيرُه.

يعني: يا حبيبي، ارفعْ رأسك عن السجود، فإنَّ هذه الحضرة إنما هي حضرتي، حضرة الشهود، وأنا الحقُّ، فلا تطلبْ غيري في هذه الحضرة.

١١ـ رأسَكَ ارفعْ ثم سَلْ ما تَبْتَغي قُلْـتُ مَـولايَ حُلـولٌ لـلأجَـلْ

الأجل: مدّةُ الشيء. وفي «الكليات»[٣]: الأجلُ: الوقت الذي كتب الله في الأزل انتهاء الحياة فيه بقتلٍ أو غيره، وقيل: يُطلق على مدّة الحياةِ كلِّها، أو على مُنتهاها، يُقال لعمر الإنسان أجل، وللموت الذي ينتهي به أجل، قال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٢] المرادُ بالأجل الأوّل آجالُ الماضين، وبالثاني آجالُ الباقين، أو بالأول أجل الموت، والثاني أجل القيامة والبعث والنشور، أو بين أن يُخلقَ إلى أن يموت. وقد مر تفصيله.

---

(١) كذا الأصل، ولعل الأنسب للوزن: فجاءته الندا.
(٢) في المطبوع من المواقع (٢٤٩): يا عُبيدي زال.
(٣) الكليات ١/ ٥٨.

يعني: يا حبيبي، ارفعْ رأسَك عن السجود، ثم سلْ ما تطلبُ، وفي قوله (قلت) التفاتٌ من الإخبار عن القلبِ إلى الإخبار عن نفسه، كأنه قال: القارعُ والداخلُ والساجد إنّما هو أنا، ولذلك قال: قلتُ يا مولاي مطلبي منك الآن حلولُ الأجل.

١٢ـ طالَ سجني قالَ متْ بي واعلمَنْ أنَّ في السِّجنِ لتبليغ الأمَلْ

[٤٤٠] السِّجن: الحبس، وسجنه من باب نصر حبسه، والسِّجن بالكسر المحبس. والأمل: الرجاء، يعني: قلتُ: مولاي، مطلبي حلولُ الأجل، لأنّه طالَ حبسي في محبس العناصر، فقال عزّ من قائل: «مت بي» كما قال عليه السلام: «موتوا قبل أن تَموتوا»[١] يعني: افنِ أفعالك في أفعالي، وصفاتَك في صفاتي، وذاتَك في ذاتي، تبق بي، أي ببقائي وحياتي يريد به الفناء في الله، والبقاء به. واعلمن ـ والنونُ المخفَّفَة للتأكيد ـ أنَّ في سجن العناصر لتبليغ الأمل، واللامُ للتأكيد أي الإرشاد.

١٣ـ يا فؤادي قد تواصلتَ له قلْ له قولَ حبيبٍ قد أَدَلْ

المحبة: فسّرها شيخ الإسلام بأنّها تعلّق [القلب] بين الهمة والأنس في البذل والمنع، أي بذل النفس للمحبوب، ومنع القلب من التعرّض إلى ما سواه. وقد مر تفصيلها[٢].

والمحبوب لعينه: هو الإنسان المستوعب بمظهريته لما يشتملُ عليه مقام الوجوب والإمكان والصفات والأحكام، وما يمكن ظهوره بالفعل من ذلك في كلِّ عصر وزمان، مع ثبوتِ المناسبة بينه وبين الحقِّ باعتبار ضعف تأثير مراتبه في التجلّي المتعيّن لديه فيه، بحيث لا يكسبه وصفًا قادحًا في تقديسه عزّ وجل. وقد سبق تفصيله[٣].

والإدلال: الانبساط، يُقال أدلّ عليه انبسطَ، كتدلَّل، وأوثق بمحبتّه وأفرطَ عليه وعلى أقرانه فأخذهم من فوق. وقد سبق تفصيله.

وفي التفات إلى القلب، فقال: يا قلبي، قد توصّفتَ بالتكلّف حالاً بعد حال، ومنزلةً بعد منزلة، ودرجةً بعد درجة، ومقامًا بعد مقام له عزَّ وجل، قل له تعالى قول حبيب قد أدلّ أي انبسطَ وأوثق بمحبّته وأفرط عليه وعلى أقرانه، فأخذهم من فوق.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٧٢).
(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢٧٤.
(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٢٧٦.

١٤ـ لولا عرشي[١] لم يصحَّ الاستوا وبنُوري صحَّ ضربٌ للمَثَلْ

مقول القول، والعرشُ ههنا كنايةٌ عن القلب، كما قيل: قلبُ المؤمن عرشُ الله، وقلبُ المؤمن بيتُ الله، وهو البيتُ المحرّم الذي وسعَ الحقَّ، واختصَّ بكونه مستوى الحقِّ بذاته وبجميع أسمائه وصفاته، كما ورد في الحديث القدسي: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن التقيِّ النقي»[٢].

وبنوري صحَّ ضربٌ للمثل تلميحٌ لقوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥] وقد مرّ تفسيرُ الآية مفصّلاً.

* * *

---

(١) كذا الأصل. ولعل الأصوب ـ ضرورة شعرية ـ أن يكون: لولَ عرشي.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٣).

منزل كيفية السماع من الحقّ

والكيفية: اسمٌ لما يجاب به عن السؤال بكيف، أُخذ من كيف بإلحاقِ ياء النسبة، وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية.

والكيفيةُ إن اختصتْ بذوات الأنفس تُسمّى كيفية نفسانية كالعلم والحياة، والصحة، والمرض، وإن كانتْ راسخةً في موضعها تُسمّى مَلَكَةً، وإلاّ حالاً كالكتابة، فإنّها في ابتدائها حال، فإذ استحكمتْ صارت ملكة.

وهو أي منزل كيفية السماع من الحق مقام من مقامات السالكين إلى الله عزّ وجل **وهو** أي منزل كيفية السماع من الحقّ **منزلٌ عظيمُ المنفعة** أي منفعته عظيم **وهو** أي هذا المنزل **من منازل القلب، وله** لهذا المنزل **تعلّق بحضرة السماع، ولكن** [١٤٠/ب] **هذا** أي القلب **موضعه، وهو** هذا المنزل **مزلّة قدمٍ لمن لا تحصيلَ له** منازل القلب ولمن لا شيخَ يرشدُهُ إلى الطريق المستقيم **وكثيرٌ من أهل زمانِنا** خصوصًا من أهل هذا الزمان **زلّتْ به** بذلك المنزل **قدمُ الغرور**. والغُرور بالضم ما اغترَّ به، وبالفتح الشيطان **في مهواة المهواة**. والمهوى: الوادي ما بين الجبلين، يعني ما بين الظاهر والباطن **من التلفِ** صفةٌ لمهواة، أي في مهواة كائنةٍ من التلف **عند دخولهم في هذا المقام** أي: مقام السماع من الحقّ.

وتبيينه[١] أي تبيين ذلك هو **أنَّ في هذا الطريق الشريف مقامًا يخرجُ فيه** في ذلك المقام **المريدُ على أن يسمعَ من الحقِّ، ولا يرى** المريد **أن أحدًا في الوجود يُخاطبه غير الله تعالى، فهو** أي المريد **ممتثلٌ لكلِّ ما يأمرُهُ به، وممّن تحقّق هذا المقام خيرُ النَّسّاج حين خرج بهذا الخاطر** لنيلِ هذا المقام وتحصيله، **فابتُلي من حينه بأنْ لقيه إنسانٌ، فقال له: أنت عبدي، واسمك خير. فسمع** خيرُ النساج **ذلك الخطابَ من الحقِّ، فامتثل واستعمله** ذلك الرجلُ **في النسج أعوامًا، ثم بعد ذلك قال** ذلك الرجل **له** للنساج: **ما أنتَ عبدي، ولا اسمُكَ خير**. نسجَ الثوبَ من باب ضرب ونصر، فهو نسّاج، والصنعةُ نِساجة بالكسر، والموضع كمذهب

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٥١): تنبيه.

ومجلس، وفلانٌ نسيجُ وحده: لا نظيرَ له في علمٍ أو غيره، وأصله في الثوب، لأنّه إذا كان رفيعًا لم يُنسج على منواله غيره.

وأنا إن شاء الله تعالى أُبيّنُ لك كيفية التحقيق في هذا المقام أي مقام السماع من الحقّ حتى لاتزلّ لا تزلق فيه في ذلك المقام قدمُكَ بيمن ببركة الله تعالى وتقدس.

اعلم يا بُني، أنّ هذا المقام(١) أي مقام السماع من الحقّ إذا وفَّقَكَ اللهُ لتحصيله لتحصيل مقام السماع من الحق فإن كنتُ أنا معك فقد كفاكَ الله أي منعَ عنك مكرَهُ أي مكر هذا المقام وإنْ لم أكن أنا معك، فقد يَسَّرَ اللهُ تعالى على لساني تخليصك من مكرِ هذا المنزل، وذلك أنَّ الإنسانَ يريدُ ألاّ يسمعَ شيئًا من نفسه أصلاً بالكلّية ولا يسمع شيئًا ممّا يقومُ في خاطره؛ لكون ذلك الشيء من هواه، وهو غيرُ متحققٍ في الطريق، فيكون أبدًا أسيرًا لهواه، وإن سعى في خيرٍ، ألا ترى ذا النُّون المِصري كيف قالَ: كلُّ فعلٍ لا يكون عن أثرٍ. الأثر: في اصطلاح أهل الشرع: قولُ الصحابي وفعلُه، وهو حجّةٌ في الشرع، والآثار تنظم السنةَ من القوليةِ والفعلية، والتقرير به دون الأخبار، وسنن النبي ﷺ أثرٌ، يعني: كلُّ فعلٍ لا يكونُ عن سننِ النبيِّ ﷺ أي عن طريقته فهو ذلك الفعل هوى النفس الهوى بالقصر ميلُ النفس إلى ما تستلذّه الشهوات من غير داعيةِ الشرع.

نعم حرفُ تصديق ولو حملتَ الجبالَ الراسياتِ أي الثابتات على أكتافِك جمع كتف ولو ارتكبتَ من الشدائد ما لم يركب أحد(٢) ركبَه كسمعه ركوبًا ومركبًا علاه كارتكبه، والاسم الرُّكبة بالكسر، والذنبَ اقترفَه كارتكبه، فلستَ هناك في مجاهدة النفس؛ لأنّك ما تصرَّفْتَ في ذلك الارتكاب كلِّه إلاّ بإرادتك، وعن هوى نفسك، وليس ذلك الارتكاب على الشدائد [٤٤١] على النفس بشديد، وإنّما الذي عظم عليها على النفس ويعسرُ عليها جدًّا قطعًا لا غير انقيادُها أي النفس لغيرها، لكونها أي النفس جُبلتْ أي خلقت على الرِّياسة وعلى طلبِ التقدّم، فإذا تقدّم غيرُها عليها، وصارتِ النفسُ مرؤوسةً تحت قهرِ غيرها، وتحت سُلطانه جاريةً في أمورها أي أمور النفس على إرادتِه أي إرادة الغير واقفةً عند حدِّه حد الغير لها من أمره ونهيه أي أمر الغير ونهيه صَعُبَ أي عسر عليها على النفس ذلك الأمر واشتدَّ، وإن كان ذلك الأمر يسيرًا، وهذا المنزلُ الذي نحن بصدده أي قرب بيانه هو ذلك المنزل للنفس موتٌ عن إرادتها،

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٥١): أن هذا المنزل.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٥٢): ما لم يرتكبه أحد.

ومن شرطِهِ أي شرط هذا المنزل وشرط غيره من المنازل ألاّ يفعلَه ولا يدخلَ فيه في هذا المنزل من ليس له شيخٌ كامل فمن كان له شيخ كامل مكمّل فهو ذلك الشيخُ طبيبه، لما فيه من العلل القائمة بسلاله[1] السُّلال كالغُراب قرحةٌ تحدثُ في الرئة إما تعقب ذات الرئة، أو ذات الجنب، أو زكام ونوازل، أو سعالٌ طويل وقد تحقق في هذا المقام الشيخان الجليلان أبو عبد الله الغزّال الذي كان بالمرية المرية كغنية بلدةٌ بالأندلس، وموضعٌ آخرُ به، وقريةٌ بين واسط والبصرة وأبو مَدْين الذي كان بِبجاية بالكسر بلدةٌ بالمغرب، رحمهما الله ورضي الله تعالى عنه وعنهما.

واعلم يا بني، أنَّ الدخولَ في هذا المقام، وفي أيِّ مقام كان إنما ذلك عقد العهد الإلزام، والعقدُ: إلزامٌ على سبيل الإحكام، والمراد ههنا من العقد والعهد المبايعة والمعاهدة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] ولذلك قال: إنّما ذلك الدخولُ عقدٌ يربطُهُ الإنسانُ مع اللهِ عزّ وجل، ويلزمُهُ ذلك العقد نفسَه، فالزمْ يا بني الوفاءَ به أي بالعهد ولا تنقضْه أي العهد فتكونَ من الخاسرين، ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧] أي عهده وحالُ الداخلين في هذا المقام أي مقام السماع من الحقِّ على نوعين: منهم من يُبتلى فيه، ومنهم من لا يُبتلى فيه. الابتلاءُ: الاختبارُ، يقال ابتلاه إذا اختبره. فمن لم يبتل، فقد عصمَه أي منعه عن الابتلاء حاله، واعتنى اهتمَّ به، ويتخيل من ذوقه من تجلّيه أنّ حقيقة المقام نُعطي ذلك أي عدم الابتلاء ويتخيّلُ أنّه لا يُبتلى فيه أحدٌ أصلاً بالكلية فينكرُ الابتلاء فيه في مقام السماع من الحقِّ وهذا الإنكار قصورٌ منه؛ ولكنه صادقٌ، فإنّه صوفيٌّ.

قال أبو الحسن الصوفي: لا ينزعجُ في انزعاجه، ولا يقرُّ في قراره.

وقال أيضًا: الصوفيُّ هو الوليُّ، لا يوجدُ بعد عدمه، ولا يعدمُ بعد وجوده.

وقال أبو الحسن البُنْدار الصوفي: من اختاره الحقُّ لنفسه وصافاه، وعن نفسه عافاه.

وقال المُرتعشُ: ذهبتُ إلى أبي عبد الله الحضرمي، فسألته عن الصوفيِّ والتصوّفِ، وقد كان ما تكلم [مع] الناس [٤٤١/ب] مذ عشرين سنة، فأجابني بالقرآن، وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا

(١) في المطبوع من المواقع (٢٥٢): القائمة بهلاكه.

عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] قلت: وكيف صفتهم؟ قال: ﴿يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣] قلت: وأين محلُّهم من الأحوال؟ قال: ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥].

وقال بشر بن الحارث الحافي: الصوفيُّ من صفا قلبُه لله تعالى.

وسئل سَهل بن عبد الله التُّسْتَري: من الصوفي؟ فقال: من صفا من الكدر، وامتلأ من الفِكَر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

والمراد ههنا من الصوفي من لم يستوعبِ المقامَ، ولذلك قال: صادق، فإنه صوفي فلا يدّعي إلاّ ما ذاقه من المقام وشاهدَهُ فيه من التجلّي فقط أي فحسب، وهو الاكتفاء كما تقول: رأيتُهُ مرّةً واحدة فقط، بفتح القاف وسكون الطاء ولا ينطقُ ذلك الصوفي إلاّ بحاله، وهذا الذوقُ والشهود يجيبك إنْ سألتَه عن إنكاره، فيُقال له لذلك الصوفي: وجودُك أي وجدانك كذا صحيحٌ، وحكمُك عليه بأنه كذا، ولا بدَّ أن يكون كذا خطأ يعني وجدانُه في هذا المقام من غيرِ ابتلاءٍ صحيح، وحكمُه على المقام أنّه بلا ابتلاءٍ ولا بدَّ أن يكون كذا خطأ فاجتنبه، وارجعْ عنه، وقِفْ عند ذلك[1] واسكتْ عمّا خرجَ عن علمك من الابتلاء وسلّم له كما سلّم لك ولا تُجادل فيه به والذين يبتليهم اللهُ تعالى في مقام السماع من الحقِّ على قسمين:

منهم: من يَبتلي الله تعالى اعتناءً اهتمامًا وتتميمًا وبرًّا وارتقاء [مقام] وزيادة علم.

ومنهم: من يَبتلى الله تعالى ليُرَدَّ أسفلَ سافلين.

وصورةُ الابتلاء في هذا المقام وهو أن تتعرّضَ له مثلاً جاريةٌ، تأمرُهُ بأن يواقعها أن يُجامعها أو تأمرُهُ بشربِ كأسٍ من خمرٍ، أو تأمرُهُ بقتلِ إنسانٍ، أو تأمره بأمرٍ ما مُحرّم عليه شرعًا، فإن فعلَ شيئًا من هذا المذكور فقد عصى صاحبَ المقام وغوى وتردّى في أسفل سافلين، وإن أبى أي امتنع صاحب هذا المقام عن فعلِ ذلك المحرّم عليه شرعًا فقد ناقضَ عهدَه مع الله وهو صاحب هذا المقام عند ذلك كائن بين نارين وهما نقضُ الشرع، ونقضُ العهد.

ونحن إنْ شاء الله تعالى نبيّنُ في هذا المقام كيف يبقى صاحبُ المقام على عهده مع الله تعالى الذي عقده معه، ولا يركب محرّمًا[2]، ولا يأتيه، فيسلم له المقامُ، ولا يتبعّض له حتى

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٥٣): وقف عند ذوقك.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٥٣): ولا يرتكب محرمًا.

يسمعَ من الحقِّ في شيء، ولا يسمع في شيء آخر، وهذا التبعيض لا يُعطيه المنزلَ؛ بل يسمعُ منه تعالى في كلِّ شيء، فإنَّ للقائل هنا أن يقولَ: إنما يخرجُ هذا الطالب ويعقد نيَّةً على امتثال ما يخاطب به[(١)] الحق ما لم يؤمر في ذلك الخطاب بارتكابِ محرّم، فيقال له أي لذلك القائل: ليس العقدُ كما تقول، إنما يعقد نيّته على السماعِ من الحقِّ مطلقًا من غيرِ تقييد بمحرّم أو غير محرم فإن قال ذلك القائل: فكيف يصحُّ هذا؟ أي عقد النية على السماع من الحقِّ مُطلقًا من غير تقييدٍ فنقول له: إن المريدَ إذا أرادَ أن يبقى على عهدِه مع الله تعالى في هذا المقام، ولا يرتكب محرّمًا إن ابتلاه الله به، فيقول القائل له: اشرب هذا الخمر، أو ازنِ بهذه الجارية، وإنْ أنتَ لم تفعلْ [٤٤٢] ما أقولُ مِن شربِ الخمر والزّنا فقد نكثتَ أي نقضت عهدَكَ مع الله تعالى. فيقولُ ذلك المريد له لذلك القائل: هيهات بعد جدًا أنا متحقّقٌ بمقامي في سماعي من الحق من خارجٍ لا من نفسي، وذلك أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قد خاطبني وكلّمني على لسانِ نبيّهِ محمدٍ ﷺ ألّا أفعلَ ما ذكرتَ لي من شرب الخمر والزنا، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] ولقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ . . .﴾ الآية [النور: ٢] والحال قد قلتُ عند سماعي لهذا الخطاب النبويِّ: سمعتُ وأطعت، وعاهدتُ اللهَ على هذا الخطاب، فأنا ما زلتُ في سماعي من الحقِّ متحققًا في مقامي، فإنه القائل هذا القول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] ولكنّي لما تحقّقتُ بهذا المقام أي مقام السماع من الحق في هذا السماع وادَّعيتهُ مقام السماع من الحقِّ أرادَ الحقُّ سبحانه وتعالى أن يبتليني ليقف من ذلك على نفسي بما فيها، فوجدني الحق والحمدُ لله قائمًا بذلك العهد الذي كنتُ قد عاهدتُهُ عليه عندما سمعتُهُ منه، وهذا الخطاب الذي جاء باشربِ الخمرَ، وافعلْ ما حرّمتُ عليك فعله إنما سمعت من الحق سماعَ ابتلاء[(٢)] منه تعالى لي، هل أقفُ عند حدِّه لي أم لا أقف عند حدّه وحدُّه هو الذي أسمعنيه على لسان المعصوم ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] فلا أبرحُ أي لا أزالُ أفعل ذلك من هذا المقام أي مقام السماع من الحقِّ ولا أخرجُ عن عهدي فيهما معًا، أعني في الخطابين المتناقضين، وجمعتُ بينهما أي بين الخطابين المذكورين المتناقضين والحمدُ لله

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٥٣): ما يُخاطبه به الحق.

(٢) في المطبوع من المواقع (٢٥٤): إنما سمعته من الحق، ولكن سماع ابتلاء.

الذي هداني لهذا ونظرتُ خطابَ العصمة من أمِّ الكتاب الذي عنده، ونظرتُ الخطاب الابتلائي من لوح المحو والإثبات لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] وكيف لا أنظرُ إلى خطاب العصمة من أمِّ الكتاب الذي عنده وقد قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] فلمّا قالَ لي هذا القول علمتُ أنَّ كلَّ خطابٍ مخالفٌ لما قاله تعالى على لسان المعصوم ﷺ إنّما هو خطابُ ابتلاء ولو ما أني[1] هذا الخطاب في مقام السماع من الحقِّ لقلتُ للشخصِ الذي خُوطبت على لسانه بهذا المنكر: إنّه شيطانٌ في هذه المقالة لكنَّ حقيقةَ هذا المقام تمنعُ من هذا القول فقد صحَّ لي والحمدُ لله في الخطابَيْن السماع من الحق، والوفاء بالعهدين، وأنّ ما يسمعُ الصوفي في هذا المقام ويمتثل ما سمعَ إنّما ذلك في الأمور المباحات كلِّها، فيكون ذلك خارجًا عن هوى نفسه بامتثاله لذلك عن أمرِ غيره، مثل أن يقولَ له لصاحب هذا المقام رجل: احفرْ لي بئرًا، أو احفظْ لي بستانًا، أو خذ هذه الرسالةَ وسرْ بها إلى فلان إلى مدينة كذا. هذا كلُّه مباحٌ له فعله وتركه شرعًا، فيلزمه هذا المقام أن يفعله على هذا الحدِّ يسمع [٤٤٢/ب] صاحب هذا المقام من الحق فيفعل، ألا ترى خيرَ النساج كيف قال الرجل له: أنت عبدي، واسمُك خير، فاستعمله [في النسج] أعوامًا، ثم سرَّحَهُ أي أطلقه وكان ذلك الاستعمال مباحًا لخير، فلو أرادَ الرجل أن يبيعَهُ أي الخير لم يتركْهُ خيرٌ أي لم يتركِ الخيرُ ذلك الرجل على حاله حتّى يبيعَه لذلك البيع فإنه بيعه يقعُ في محرّم، وهو بيعُ الحرِّ الذي لم يجوّزِ الشرع بيعه، ولكنِ استعمله ثم أطلقه بعد ذلك الاستعمال فهذا المذكورُ هو التخليص العلمي، وهو أسنى من التخليص الحالي وأكمل منه فتحقّق هذا الفصل المذكور في مقام السماع من الحق فإنّه من منازل القلب العلية إذْ لم تر فيه في مقام القلب غيرَ الله تعالى مُناجيًا، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

والنجوُ: السرُّ بين اثنين، يقال: نجوتُهُ نجوًا، أي ساررتُهُ، وكذا ناجيتهُ، وانتجى القومُ وتناجوا أي تسارّوا، وانتجاه خصَّه بمناجاته، والاسم النَّجوى.

* * *

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٥٤): ولولا ما أني في مقام.

منازل الهبات والعطيات منزل الميراث الإنبائي خاصة

لقوله عليه الصلاة والسلام: «العلماء ورثة الأنبياء»[١].

اعلم يا بني، أنَّ القلب إذا تخلّص عن القيودات البشرية الإمكانية وصفا عن الكدوراتِ النفسانية وارتقى من المنازل ما ذكرناه في التجلّي الصمداني الوتري، وارتقى من التجلّيات المذكورة ما تقدّم يعني إذا تخلّصَ القلبُ، وصفا وارتقى من مقامات التجلّي ومنازلها وحضراتها وتجلّياتها كما يوقفُه الحقُّ أي يوقفُ الحقُّ ذلك القلب في غيبةٍ منه ويجذبه أي القلب إليه تعالى فيها في تلك الغيبة جذبًا كليًّا يوقفُهُ أي يوقفُ الحقُّ تعالى القلب في تلك الغيبة منه متعلّق بالغيبة، أي غيبة القلب من نفسه مئةَ ألف موقف، وثلاثةً وعشرين ألف موقف، وستمئة وستةً وعشرين موقفًا مختلفة.

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[٢] في حديث مواقف القيامة باتصال السند عن عليّ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في القيامة لخمسين موقفًا كلُّ موقفٍ منها ألفَ سنة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾»[٣] [المعارج: ٤] فعلى هذا يكونُ بين الموقفيْنِ ألفُ موقف، فالمجموع يصيرُ خمسين ألف موقف للقيامة الظاهرة، ومثل ذلك للقيامة الباطنة، فيصيرُ المجموع مئةَ ألف موقف، وهي أعدادُ حقائق الوجود التي هي مئةٌ. كما مرّ تفصيلُه في المضاهاة[٤]. فبالضربِ في الألف من المنازل المتقدّمة يصيرُ المجموع مئةَ ألف، فاحفظها، ثم الطبائعُ الأربع، والسمواتُ السبع، والعناصرُ الأربع، والمواليد الثلاث، والحضراتُ الخمس، فمجموعها ثلاثةٌ وعشرون، فبالضرب في الألف من المنازل يصيرُ ثلاثةَ وعشرين ألفًا، فالمجموع مئةُ ألف وثلاثةٌ وعشرون ألفًا، فاحفظها، ثمَّ ضممناها أعدادَ الدرجات التي هي

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٨).

(٢) الفتوحات المكية: ١/ ٣٠٩.

(٣) حديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٤٧، وقال: هو حديث طويل بمقدار جزء، عليه آثار الوضع.

(٤) ٣/ ٢٧٣.

ستون وثلاثمئة، فيصير المجموعُ مئةَ ألف موقف، وثلاثةً وعشرين ألفًا، وستين وثلاثمئة، فاحفظها [٤٤٣] ثم أخذنا عددَ منازلِ القمر الذي هو ثمانيةٌ وعشرون، وضربنا في التسعة التي هي أعداد الجنّة الثمانية، وفلكُ الكرسيِّ المحيط بها، فيصير المجموعُ اثنين وخمسين ومئتين، فضممناها عددَ البروج أي اثني عشر واثنين لحضرة الوجوب والإمكان، فيصيرُ المجموع سنةً وستين ومئتين، فضممناها إلى ما قبلها، فصار المجموع مئة ألف موقف وثلاثةً وعشرين ألف موقف، وستمئة وستةً وعشرين موقفًا، أو بعد مئة ألف وثلاثة وعشرين ألفًا يراد حضرات المنزل الآتي التي هي ستمئة وستةٌ وعشرون حضرة كما سيجيء فالمجموع يكونُ مئةَ ألف موقف وثلاثةَ وعشرين ألف موقف، وستمئة وستةً وعشرين موقفًا مختلفة.

يعطيه أي يعطي الحقُّ سبحانه القلبَ في كلِّ موقفٍ من المواقف المذكورة من الأسرار الإلهية حسب ما قدّر الله تعالى له لذلك القلب في سربه أي تجلّيه وهذه الأسرار من خزائن الغيرة فهي مكتَّمة بالتشديد بولغ في كتمانها عند القومِ لا سبيلَ بأن يبوحَ بها [أصلاً] أي يظهرها ولا يَعلمها أي تلك الأسرار أحدٌ سواهم أي غيرهم وقد أُخِذَ عليهم فيها أي على القوم في تلك الأسرار ميثاقٌ أي عهد عظيم، ولكنّه عندما تحصل له للسالك الواقف هذه الأسرار المكتَّمَةُ كما ذكرتُ لك يتحقّقُ السالك بها بتلك الأسرار في باطنه، والتحقّق في الباطن نظير التخلّق في الظاهر، فعملُ الباطن تحققٌ، وعملُ الظاهر تخلّقٌ، والتحقّق تحققان تحققُ كشفٍ يكون عنه التخلق، وتحقّقٌ يحصلُ عن التخلق، ولك ذلك[1] التحقق الثاني إذا حقّقته وجدت ينتجُ تخلّقًا آخرَ لتحقّقٍ، فكلُّ تحقّقٍ مشتركٌ بين تخلّقين بين تخلّق نتيجة[2]، وبين تخلّق يكونُ التحقّق نتيجةً عنه، وهكذا هو السلوك حتى يصلَ إلى تحقّقٍ ليس وراءه أي وراء ذلك التحقق تخلّقٌ فذلك التحقّقُ هو الذاتي يعني ذلك التحقّقُ الذي ليس وراءه تخلّق هو التحقّق الذاتي.

* * *

(١) في المطبوع من المواقع صفحة ٢٥٥ : ولكن ذلك.

(٢) في المطبوع من المواقع صفحة ٢٥٥ : بين تخلق ينتجه.

[منزل لو ظهر السر لبطل]

منزل أن لكذا سرًّا لو ظهر ذلك السرُّ لبطلَ كذا[١].

وهو السرُّ الذي ظهر لسهل بن عبد الله التُّستريِّ رحمه الله تعالى، وهو سرُّ الرُّبوبية الذي هو توقّفها على المربوب، لكونها نسبةً لا بدَّ لها من المنتسبين، وأحدُ المنتسبين هو المربوبُ، وليس إلاّ الأعيان الثابتة في القدم، والموقوفُ على المعدوم معدومٌ، ولهذا قال سهلُ بنُ عبد الله: للرُّبوبية سرٌّ لو ظهرَ لبطلتِ الربْوبية، وذلك لبطلانِ ما يتوقّف عليه.

وسرُّ سرِّ الربوبية هو ظهور الربِّ بصور الأعيان، فهي من حيث مظهريَّتِها للربِّ القائم بذاته الظاهر بتعيّناته قائمة به، موجودة بوجوده، فهي عبيدٌ مربوبون من هذه الحيثية، والحقُّ ربٌّ بها، فما حصلتْ لربوبية في الحقيقة إلاّ بالحقِّ، والأعيان معدومة بحالها في الأزل، فلسرِّ الربوبية سرٌّ به ظهرت ولم تبطل. انتهى من «تعريفات فضل الله» رحمه الله تعالى.

اعلم يا بني، أنَّ القلبَ إذا تحقّق بالأسرار المكتّمة التي حصلتْ له للقلب في منزل الإنباء الذي تقدّمَ ذكرُه آنفًا، أدخله أي القلب اللهُ سبحانه وتعالى من الحضرات الإلهية ستمئة حضرة وستةً وعشرين حضرة، إذا ضربنا أعدادَ منازلِ القمرِ التي هي ثمانمئةٌ وعشرون في التسعة [٤٤٣/ب] التي هي أعداد الجنة الثمانية، وفلكُ الكرسي المحيطُ بها يصيرُ المجموعُ اثنين وخمسين ومئتين، ويضم أعداد درجات الفلك التي هي ستون وثلاثمئة، وأعداد البروج التي هي اثنا عشر، يصيرُ المجموع ستمئة وأربعةً وعشرين، ويضمُّ حضرة الوجوب، وحضرة الإمكان، يصيرُ المجموع ستمئة حضرة وستًا وعشرين حضرة، والمراد من الأعداد المذكورة عشر حضرات للعقول العشرة، وستمئة حضرة لجبريل عليه السلام، فإنَّ له ستَّمئة جناح، وكلُّ جناحٍ حضرة، وبحضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وحضرة ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ يصير المجموع اثني عشر وستمئة حضرة، فالأئمةُ السبعة المسمّاة بالأسماء الكلّية، فبحقائقها تصيرُ السبع المثاني أعني أربعة عشر حضرة، فالمجموعُ يصيرُ ستمئة حضرة، وستًا وعشرين حضرة، وهو أنسب للترتيب.

---

(١) في المطبوع (٢٥٦): منزل أن لكل سرٍّ لو ظهر لبطل. إن لكل سر لو ظهر لبطل كذا، وهذا هو السرّ الذي.

إلاّ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه فإنه تعالى أدخله رضي الله عنه في هذا المقام المذكور ستمئة حضرة، وخمسًا وعشرين حضرة، وأمّا السادسةُ والعشرون فهي له رضي الله عنه حضرة الغيرة خاصة[١].

قال الفرغاني[٢] قدس سره: الغيرةُ: مشتقّة من الغير، ولهذا لا يوصف بها إلاّ من يراه، أعني الغير، فهي لأجلِ ذلك من مراتب [أحد] رجلين؛ رجلٌ فيه بقايا من رسومِ الخلقية، بحيث لم يتحقَّقْ بعدُ بالوصول إلى حضراتِ الحقيقة. ورجلٌ وصلَ، ثم رجعَ بربّه إلى خلقه، ولم يستهلك هناك، فهي ـ أعني الغيرة ـ وصفُ مَنْ لا يصل[٣]، ووصف من وصل ثم رجع بالتكميل قال عليه السلام: «إن سعدًا لغيور، وإن محمّدًا لأغيرُ من سعد، وإنّ ربَّ محمدٍ لأغْيَرُ من محمد»[٤] ومن غيرته حرّمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وغيرة العابد: على تضييع وقتِهِ في غير عبادة.

وغيرة المريد: على تضييع وقته في غير المسامرة لمحبوبة والحظوة بجنابه.

وغيرة العارف: على نفس علقت برجاء والتفتَتْ لعطاء، بل إلى المعطي الحقّ المرجو وحده دون الخلق.

والغيرة في الخلق: هي الغيرةُ التي تكون لتعدّي الحدود، وهي المشارُ إليه في حديث سعد، كما مرّ، وإنْ كان يُفهم منها تنوّعُ الغيرة إليه على اختلاف أقسامها.

وغيرة السرّ: هي الغيرة التي تُطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر.

وغيرة الحقِّ تعالى: يعني بها ضنّته على أوليائه كما عرفت في باب الضنائن.

والغيرةُ أحد مقامات السائرين إلى الله تعالى، وهي أقسامُ الأحوال[٥]، ومعناها إزالةُ الغيرة ونفض غبارة آثار الخلقية عن أذيال الحقية. انتهى.

---

(١) في المطبوع (٢٥٦): حضرة الوزن. وفي نسخة: حشرة العزة.
(٢) لطائف الإعلام ٢/ ١٨٥.
(٣) في لطائف الإعلام ٢/ ١٨٥: وصف من لم يصل.
(٤) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٢٣٤).
(٥) في لطائف الإعلام ٢/ ١٨٧: وهي من أقسام الأحوال.

ونحن لنا حضرة الغيرة[١]، وهي أي الحضرة الغيرية لنا السادسة والعشرون[٢] غير أن هذه **الحضرة الغيرية**[٣] **التي لنا متفاضلةٌ** متفاوتة بيننا، **وما فازَ بها** بالحضرة الغيرية **على الكمال إلاّ الصدّيق الأكبر** رضوان الله عليه.

الفوز: النجاة والظفرُ بالخير، والهلاكُ ضدٌّ فاز مات، وبه ظفر، ومنه نجا، وأفازه الله بكذا: أظفرَهُ ففاز به.

وليس له رضي الله عنه **سابعةٌ وعشرون كما ليسَ لنا وعدمها** أي السادسة والعشرين **كمال في حقِّه** أي في حقِّ الصدّيق رضي الله عنه **ووجودها** أي السادسة [٤٤٤] والعشرين **كمال في حقنا، كما أنّ النبيَّ ﷺ له في هذه الحضرة** أعني المقام **ستمئة حضرة وأربع وعشرون حضرة، ينقصُ عن الصدّيق بدرجة، وهو الكمالُ في حقِّه ﷺ**، والخامسةُ والعشرون له ﷺ **حضرة القرب**[٤] الكلي **وغيره ﷺ** من الأنبياء **ليس له مثله ﷺ في هذا المقام**، لأنَّ حضرةَ القُرب الكلي الذاتي مختصٌّ بنبينا ﷺ وورثته بحسب تقرّبهم، فإنه من نتيجة الولاية الخاصة المحمدية، ونقصانُ درجة الصدّيق رضي الله عنه منّا في تلك الحضرات لا يقتضي نقصانَه في الحضرات، بل لم يظهر، ولم يتكلّم من الحضرة السادسة والعشرين بعدما فاز بها على الكمال، لأنّه أغيرُ منّا، فتكون تلك الحضرةُ له حضرة الغيرة، وكذلك النبيُّ ﷺ أغيرُ من الصدّيق، فلم يظهر، ولم يتكلّم من الحضرة الخامسة والعشرين بعدما فاز بهما جميعًا على الوجوه الأكملية، فإنَّ الصدّيق رضي الله عنه حافظَ الحدودَ الشرعية على الوجوه الكمالية، ونبيُّنا ﷺ حافظها على الوجوه الأكملية، ولذلك كان نقصانُ الصدّيق رضي الله عنه بدرجةٍ منّا كمالاً له علينا، وكذا نقصانُ درجة النبيِّ ﷺ يكون كمالاً له ﷺ على الصدّيق، وعلينا بالأولوية. فافهم.

أعطاه الله تعالى، والضميرُ عائد إلى القلب **في كلِّ حضرةٍ** من تلك الحضرات الإلهية لمذكورة آنفًا **سرًّا لا يجدُهُ** أي لا يجدُ القلب ذلك السرَّ **في حضرةٍ أُخرى، بعضها** أي بعض لأسرار **أرفعُ من بعضٍ، على التفاضلِ الذي بين الحضرات** لأنَّ حضرات جبريل عليه السلام

---

١) في المطبوع (٢٥٦): حضرة الوزن.
٢) في المطبوع (٢٥٦): لنا السابعة والعشرون.
٣) في المطبوع (٢٥٦): الحضرة الوزنية.
٤) في المبطوع (٢٥٦): حضرة الوزن.

أرفعُ وأفضلُ من حضرات العقول العشرة، وحضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وحضرة أو ﴿أَدْنَىٰ﴾ أرفعُ منها، وحضرة الأئمة السبعة أَرفعُ من الكلِّ؛ لأنّه إنّما ترتقي رقائق الحقائق إليها غيرَ أنَّ شطرَ أي نصف هذه الأسرار المتقدّمة في الحضرات المذكورة إن شاءَ صاحبُ القلب باحَ بها أي أظهرها لأهله، وإن شاءَ سترَ عنهم. والشَّطرُ أي النصف الثاني يكتم صاحب القلب ولا بدَّ أن يكتم كالأسرار الإنبائية المتقدّمة، ولا سبيل إلى إظهارها [البتة] أي إظهار الأسرار التي من الشطر الثاني، فإنها أي أسرار الشطر الثاني إن ظهرتْ لم تحتملْها العقولُ المشوبة بالوهم، فالظاهريُّ أي العالم الظاهري المحقّق يكفرُ بها أي بسبب تلك الأسرار والذي فيه رخصةٌ. الرخصة في الأمر: خلافُ التشديد في دينه يضلُّ بها بسبب تلك الأسرار. ضلَّ الشيَ: ضاعَ وهلك، والضَّلالُ: ضد الرّشاد، وقد ضلَّ يضِلُّ بالكسر ضلالاً وضلالة.

إن سمعها تلك الأسرار لقصوره عن إدراكها، وقلّة فهمه في تأويلها. تأويل الأسرار والحال هي أي تلك الأسرار حقٌّ ثابت في نفسها، والعقل السليم يجوزها أي تلك الأسرار وما بقي الوقوف إلاّ في دعوى المدّعي حتّى لو بثَّها يعني لو نشر تلك الأسرار وأظهرها رسولُ الله ﷺ لتلقّينا[1] لأخذنا بالقبول. والتلقّي هو يقتضي [٤٤٤/ب] استقبال الكلام وتصوّره وذلك التلقّي بالقبول لثبوتِ عصمته ﷺ عندنا، فلو ثبتتْ ولايةُ هذا المدّعي لها لتلك الأسرار عند السامعين لها لتلك الأسرار منه من المدّعي لصدّقوه أي لصدق السامعون ذلك المدعي لكونه وليًّا من أولياء الله، فلنحسنِ الظنَّ به بالمدعي ونتخيّلْ فيه أي في المدعي الولايةَ، ونخرج أسراره ومراميه مطالبه على أسدِّ أي أصوب وأقوم الوجوه، وهذا كلُّه مما أعطتنا حالةُ الاستقامة الائتمار بجميع الأوامر، والانزجار عن جميع النواهي كالأسرارِ التي صدرت عن رابعة العدوية، والجُنيد، وأبي يزيد، وفي زماننا كأبي العباس بن العريف، وأبي مدين، وأبي عبد الله المعروف بالغزال رضوان الله عليهم أجمعين.

وأمّا إن كان الناطقُ بها بتلك الأسرار غيرَ محترمٍ للشرع صفعنا ضربنا باليد قفاه مؤخر عنقه، وضربنا وجهه بدعواه، عصمنا الله من الآفات وفضلنا بالعلم الماضي في موقع الدعاء.

* * *

(١) في المطبوع (٢٥٦): لتلقيناها.

منزل المعرفة

اعلمْ يا بُني أنّ قلبَ العبدِ المحقّق الصوفي إذا صفَا عن الكدورات وتحقّق المنازل والأسرار المذكورة صار القلب كعبةً أي بيت الحرام لجميع الأسرار الإلهية يُحجُّ أي يُقصد إليه إلى القلب الذي صار كعبةً من كلِّ حضرة من الحضرات المذكورة ومن كلِّ موقفٍ من المواقف المذكورة، ويردُ عليه على ذلك القلب في كلِّ يومِ جمعةٍ ما دام القلب في ذلك المقام ستمئة ألف سر ملكوتي بضرب ستمئة حضرة في ألف منازل التي تقدّم ذكرها واحدٌ منها من تلك الأسرار إلهي وخمسة منها أسرارٌ ربانية، ليس لها لهذه الستة في حضرة الكون مدخل.

قال في «التعريفات»[1]: المرتبةُ الإلهية: هي ما إذا أخذت حقيقة الوجود بشرطِ شيءٍ، فإما أن يُؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمة لها كلّيتها وجزئيتها المسماة بالأسماء والصفات، فهي المرتبةُ الإلهية المسمّاة عندهم بالواحدية، ومقام الجمع، وهذه المرتبة باعتبارِ الإيصال لمظاهر الأسماء التي هي الأعيان والحقائق إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج سُمّي مرتبة الربوبية.

وقال الفرغاني[2]: الربُّ: اسمُ الحقِّ عز وجل باعتبار الانتشاء لنسب الحقائق عنه تعالى وتقدس، فإنَّ كلَّ حقيقةٍ كونية إنَّما يُنسب انتشاؤها وتعيّنها عن حقيقة إلهية، فكلُّ ما تعيّن في وجوده العيني، وظهر في المراتب روحًا ومثالاً وحسًّا، فإنّما ذلك عن اسمٍ إلهي متعيّن بتلك الحقيقة الإلهية بحيث تميّزها ووصفها، فكان ذلك الاسم ربَّها، فلا تأخذُ إلاّ منه، ولا تُعطي إلاّ به، ولا ترجع إلاّ إليه في توجُّهها ودعواتها بالحال أو القال في جميع المواطن، ولا ترى إلا إياه.

وما بقي من الستة فأسرارُ الكون، ولكنّها متعلّقةٌ بهذه الأسرار الربّانية، وسرّ إلهي.

فأول ما يردُ عليه على القلب من الأسرار المذكورة السرُّ الإلهي، ثم الخمسة الربانية، ثم

---

١) التعريفات: ٢٦٧.

١) لطائف الإعلام ١/ ٤٧٨.

ما بقي من هذه الستة فوجًا فوجًا أي جماعةً بعد جماعة هكذا في كلِّ جمعةٍ يوم الجمعة وقتُ اللقاء والوصل [٤٤٥] إلى عين الجمع.

وقال الفرغاني[1]: يوم الجمعة يُشار به تارةً إلى ابتداء وصول السالك إلى مقام المشاهدة المعبّر عنها بلقاء الحقِّ، وتارةً يعني به وقت مُطلق اللقاء، أيّ وقت كان من أوقاتِ الابتداء أو فيما بعد ذلك. كما قال في قصيدةِ «نظم السلوك»:

وكلُّ الليالي ليلةُ القدرِ إنْ دَنَتْ كمـا كُـلُّ أَيّـامِ اللِّقـا يـومُ جمعـةِ

انتهى.

فافهم ما رمزناه لك، وحلَّ قفلَهُ تسعَدْ إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) لطائف الإعلام: ٢/ ٤٠٧.

منزلة الأيام المقدّرة

اعلم يا بني، أنَّ لكلِّ يوم نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام ينزلُ لقلب المشاهد المحقّق منه من ذلك النبيّ سرٌّ يلتذُّ القلبُ به بذلك السر في أيامه، يُعلمُ القلبُ بذلك بسبب نزول ذلك السرّ أمراً ما من الأمور التي يجبُ معرفتها، ولا تحصل تلك المعرفة إلاّ لأصحاب القلوب.

فيوم الأحد: يوجّهُ له للقلب إدريسُ عليه السلام فيه في يوم الأحد سرًّا يكشف به بسبب ذلك السر على علم الأشياء قبل وجود معلولاتها.

ويوم الاثنين: يوجّه له فيه في يوم الإثنين آدمُ عليه السلام سرًّا يعلمُ القلبُ به بسبب ذلك السرّ ما السببُ الذي لأجله تنقصُ المقامات وتزيد في حقِّ السالكين، ويعلمُ القلب أيضًا به بذلك السرِّ نزولَ الحقِّ كشفًا.

ويوم الثلاثاء: يوجّه له فيه هارونُ أو يحيى عليهما السلام سرًّا يعلمُ به ما يضرُّ وما ينفعُ من الموارد الطارئة أي الواردات الحادثة عليه من عالم الغيب.

ويوم الأربعاء: يوجّه له فيه عيسى عليه السلام سرًّا يعلمُ به تتميم المقامات، وكيفية الختم، ومن يكون الخاتم.

الختم: تارة يريدون بها الشخصَ الذي يختمُ اللهُ به كلَّ مقام، وهو المتحقّق بنهاية كمال تلك المرتبة، كما سُمّي نبيُّنا ﷺ ختمَ الأنبياء لأجل ذلك، وسُمّي خاتمهم لكونه آخرَهم. وتارةً يعني بالختم من ختمَ الله به النبوّة وهو نبيُّنا ﷺ. وتارةً يعنون بالختم من يختمُ اللهُ به الولايةَ، وهو الإنسان الذي بموته تنفطرُ الكرة، وتنتقلُ العمارةُ من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة بانتقاله إليها.

فبالاعتبار الأول الذي هو ختمُ المقامات يكون الختمُ للنبوّة أكثرَ من واحدٍ، وكذا الولاية. وأمّا بالاعتبار الثاني فلا يختم النبوة وكذا الولاية إلاّ واحد، وذلك ظاهرٌ. وقد يطلقون الختمَ ويعنون به علامةَ الحقِّ على قلوب العارفين. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

---

١) لطائف الإعلام ١/ ٤٤١-٤٤٢.

ويوم الخميس: يوجّه له فيه موسى عليه السلام سرًّا يعلم به المؤاخاة الدينية وأسرار المناجاة.

ويوم الجمعة: يوجّه له فيه يوسفُ عليه السلام سرًّا يعلمُ به أسرارَ الترقّي في المقامات، والحكم، وأين تُوضع الحكم.

ويوم السبت: يوجّه له فيه إبراهيمُ عليه السلام سرًّا يعلمُ به مداراةَ الأعداء المداراة: يُهمز ويلين، وهي المداجاة والملاينة، كأنه ساترُ العداوة كيف تكون، وفي أيّ وقتٍ تجب محارباتهم، وهذه حضرات الأبدال، فافهم ترشدْ، واقنعْ بما عندك وتأمّلْ هذه الإشارات تسعدْ.

وقد يوجهون أي الأنبياء المذكورين له للقلب غير هذه الأسرار [٤٤٥/ب] المذكورة فاقتصرنا واختصرنا على هذه المذكورة دون غيرها، إذْ هي الأولُ التي تردُ عليه أي على القلب.

* * *

منزل الشهور المقدّرة

اعلم يا بُني أنَّ للقلب منازلَ عند الحقِّ لا ينزلُها القلبُ إلاّ في وقتٍ ما؛ إمّا من جهة الزمان كمنازل الأيام المقدّرة المذكورة وإمّا من جهة معناه كمنازل الشهور المقدرة الآتية فإنْ كانَ من جهة معناه حصلَ له للقلب ذلك المنزل في أيامٍ يَسيرة أي قليلة فإن وافقتِ المعاني الأزمان فيحصل المنزل بمرورها أي الأزمان شيئاً بعد شيءٍ حتى ينقضي أي يختم العام، وقد يزيدُ على العام أي السنة ويكون في أعوام أي سنين على حسب مجاهدته وطاقته وصفائه[1] في جبلّته.

فاعلم أنّ المحرّم فهو أول السنة محلّ الابتداء[2]، وفي معناه معنى المحرّم يحرمُ على المريدِ ما كان فيه من الاعتداء.

الاعتداء: الظُّلم الصريح.

وفي الصفر يخلّي المريدُ أرضَه أي أرض طبعه من عشبِ المألوفات الطبعية وشجرِ المخالفات الشرعية ويقلبُها بالمجاهدات النفسانية، يعني يبدّلُ المألوفاتِ والمخالفات بالمجاهدات، وهي حملُ النفسِ على المشاقِّ البدنية، ومخالفةُ الهوى في كلِّ حالٍ، لأنَّ الصِّفرَ بالكسر بمعنى الخالي، يقال: بيتٌ صفر من المتاع، ورجلٌ صفر اليدين. وفي الحديث: «إنَّ أصفرَ البيوتِ من الخير البيت الصفر من كتاب الله تعالى»[3].

وفي ربيع الأول يُنبِتُ المريدُ في أرضه ربيعَ المعاملات.

والربيع ربيعان: ربيع الشهور، وربيع الأزمنة. فربيعُ الشهور: شهران بعد صفر، ولا يُقال الأشهر ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر. وأمّا ربيعُ الأزمنة: فربيعان. فربيعُ الأول لذي يأتي فيه النَّوْرُ والكمأة، وربيعُ الثاني الذي يدركُ فيه الثمارُ والعمل المهنة والفعل، وقد

---

١) في المطبوع (٢٦٠): وصفانه.

٢) في المطبوع (٢٦٠): وهو للسنة محل الابتداء.

٣) حديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٣/٣٠٩ (٢٣٥٥) وعبد الرزاق في المصنف ٣/٣٦٨ (٥٩٩٨).

يعمُّ أفعال القلوب، والجوارح، والمعاملات: جمع معاملة مصدرٌ من باب المفاعلة.

وقال الفرغاني[١] قدس سره: المعاملاتُ يُشيرون بها إلى القسم الثالث من الأقسام العشرة، وهي: الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم. وسُمّيت هذه المنازل بالمعاملات لأنَّ العبدَ لا تصحُّ له المعاملات للحقِّ إلاّ بأن يتحقَّقَ بهذه المقامات، فإنَّ المعاملةَ عند الطائفة عبارةٌ عن توجّه النفسِ الإنساني إلى باطنها الذي هو الروح الروحاني والسرُّ الرباني، واستمدادُها منهما ما يزيل به الحُجُبَ عنها، فيحصل لها قبولُ المدد في مقابلة إزالة كلّ حجاب.

وفي ربيع الثاني يُنْبتُ المريدُ فيه أي في أرض قلبه **ربيعَ** أي نَوْر **الملاحظات، وهي أولُ مبادىء التجلّيات، ويعبرُّ عنها** أي عن أول مبادىء التجليات **أصحابُنا بالذوق**. وفي اللغة: لحظه، ولاحَظَه: نظرَ إليه بمؤخّر عينه. واللَّحاظ بالفتح: مؤخّرُ العين، وبالكسر مصدرُ لاحظه، أي راعاه.

ثم في جُمادى الأول جمود[٢] أي جمود المريد **على ما يردُ عليه من الأسرار**. الجَمْد بوزن الفَلس ما جمدَ من الماء، وهو ضدُّ الذوب [٤٤٦] وهو مصدرٌ يُسمّى به، والجَمَد بفتحتين: جمع جامد، وجمد الماء أي قام، وبابه نصر، وجُمادى الأولى وجُمادى الآخرة بفتح الدال فيهما.

وقال في «التعريفات»[٣]: الجمودُ وهو هيئةٌ حاصلةٌ للنفس بها تقتصرُ على استيفاء ما ينبغي وما لا ينبغي.

وفي جمادى الثاني جموده أي جمود المريد **على ما يردُ عليه من الأنوار**. والسرُّ ما يتطرّق إلى تحقيق الإشارة دون العبارة.

وقال القشيري: إنها لطيفة مودعةٌ في القلب كالرُّوح في البدن، وأُصولُهم تقتضي أنها محلُّ المشاهدة، كما أنَّ الروحَ محلُّ المحبة، والقلبُ محلُّ المعارف. وقد مرّ تفصيلُ الأسرار مرارًا.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣١٩. وقد تقدّم هذا التعريف صفحة (٣٢٠/أ).

(٢) في المطبوع في المواقع (٢٦٠): جمادى الأول يكون جموده.

(٣) التعريفات: ١٥٦.

والنورُ حقيقة الشيء الكاشف للمستور، ويطلقونه بمعنى كلِّ واردٍ إلهيٍّ يطردُ الكون عن القلبِ، وقد مضى تفصيلُ الأنوار.

وفي رجب تعظيم الواردات. رجَبَهُ: هابه وعظّمه، وبابه طرب، ومنه سُمّي رجب، لأنّهم كانوا يعظّمونه في الجاهلية بترك القتالِ فيه، ومن الشهور أربعةٌ حُرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب. ثلاثةٌ سرد، وواحدٌ فرد.

الواردُ: هو ما يردُ على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمّل العبد، ويُطلقُ أيضًا بإزاءِ كلِّ ما يردُ على القلب سواءً كان واردَ قبضٍ، أو بسطٍ، أو فرحٍ، أو حزن، أو غير ذلك من المعاني.

من حيث الواهب لا من حيث ذاتها أي الواردات، وهو أي من حيث ذات الواردات مقام الفردانية فلا يكون له للمريد فيه في مقامُ الفردانية، غيرٌ يحجبُهُ فيلزمه أن يطردَه أو يقاتله[1]. وقد مرَّ تفصيلُ الفردانية، لأن في اصطلاحهم الفردُ: هو مظهرُ الإلهي الفرد، وهو الحقيقة المحمّدية التي خلقَ اللهُ تعالى منها كلَّ مخلوقٍ، كما قال ابنُ الكمال في «رسالته» في الروح وهو ﷺ من حيث إنه نبيٌّ مرسل، له رتبة، ومن حيث إنه في مقام الفردية من تجلّي الاسم الفرد، له رتبةٌ أُخرى أعلى من الرتبة الأولى، ثم إنه ﷺ من حيث رتبة الفردية المذكورة يظهرُ في كلِّ وقتٍ إلى يوم القيامة في الصُّور المختلفة التي هي مخلوقة من نوره الأصلي الذي هو أولُ ما خلقَ الله تعالى من غيرِ واسطةٍ، واطلبِ التفصيلَ فيما سبق.

وفي شعبان تشعيبٌ شعبَ الشيء فرّقَهُ، وشعبه أيضًا جمعه، من باب قطع، وهو من الأضدّاد، والتشعيبُ التفريق، والشّعبة واحدة الشعب، وهي الأغصان، يعني يقتضي من معنى شعبان تشعّب **تلك الواردات** التي تقدّمَ ذكرُها في رجب **في البرازخ** جمع البرزخ، وهو الأمرُ الحائل بين الشيئين، فيحجز بينهما، ويجمعُ بينهما، ثم يطلقُ ويُراد به العالم المشهود بين عالَمِ المعاني والصور، وعالمِ الأرواح والأجسام وعالم الدنيا والآخرة، ولهذا سُمّي عذابُ القبر بعذابِ البرزخ.

والبرزخُ: هو الأعراف الذي عرفته، فإنَّ البرزخَ هو الأعراف في ذوقِ أهل الكمال من

---

١) في المطبوع (٢٦٠): أو يقابله.

جهة أنّه بالنسبةِ إلى كلِّ مقامَيْنِ هو البرزخ الجامع بينهما. وقد سبق تفصيلُها، يعني تشعيب الواردات في البرازخ.

لتعلم مقاماتها أي مقامات الواردات وأهلها فهو أي شعبان موضع التفصيل.

وفي [٤٤٦/ب] رمضان خرق العادات[١]. الرمضُ شدّة وقوع الشمس على الرمل وغيره، ومنه شهرُ رمضان، وقيل: إنهم لما نقلوا أسماءَ الشهور من اللغة القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعتْ فيها، فوافقَ شهرُ الشهر أيام رمض الحرِّ، فسُمّي بذلك.

وخرقُ العادات وهي ما يخالف العادات كالمعجزات للنبيِّ، والكرامات للولي، إمّا للنبوة أو للولاية على حسب زمانه[٢] وأمّا في زماننا اليوم فلثبوت الولاية خاصةً، إذ الرسالةُ والنبوّة قد انقطعت وقد مرَّ تفصيلُ خوارق العادات والنبوة والولاية.

وفي شوال شلت بالجر وبالضم، أشولَ بها، فانشالت هي: رفعتُها فارتفعت، وشالَ الميزانُ ارتفعتْ إحدى كفّيه، وشوّال أول أشهر الحجِّ، ولهذا المعنى قال في شوال رفع الحجب له للمريد عند الوصول.

الوصلُ: هو العود بعد الذهاب، والصعودُ بعد النزول، فإنَّ كلَّ أحدٍ ينزلُ من أعلى الرُّتب التي عرفتَ أنّها حضرةُ أحدية الجمع إلى أقصى درجات الكثرة، الذي هو ظهورُه في عالم العناصر ممّن ليس من أهلِ السلوك إلى الله تعالى، فإنّه يقفُ في أقصى درجات الكثرة والانفعال، فلا يعودُ إلى الارتقاء عنها عندما يبلغُ في النزول إليها، بخلافِ أهل الكمال، والعروج بعد النزولِ الذي خلوا عن جميعِ آثار الكثرة والإمكان بزوال التقييدات الخلقية، وكمال الاتّصاف بالصفات الحقّية من الوحدة والعدالة الخلقية حتى أثبتَ له محو تشتُّتِ الغير والغيرية صحو التَّحقق بمقام جمع الأحدية، فوصل وصله الذي نزلَ عنه إلى الفصلِ الحادث الذي لم يكن، وذلك بعوده إلى الوصل القديم الذي لم يزلْ.

والوصول إلى كمال القبول: يعني به الحصول في مقام المرآتية الكاملة، وهو أن يكونَ العبدُ مرآةً للذات والألوهية. انتهى[٣].

---

(١) في المطبوع (٢٦٠): خرق العادات لثبوت الآيات.

(٢) في المطبوع (٢٦٠): على حسب مقامه.

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٣٩١-٣٩٢.

يعني عند الوصولِ رفع الحجب له عن أسرارِ العالم، فيعرفُ الواصلُ كيف يهديهم أي يرشد خلق العالم وكيف يدعوهم إلى الله تعالى.

وفي ذي القعدة قعوده أي قعود الواصل المرشد الهادي **للإرشاد والهداية**. الرُشد: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّبٍ فيه، وغالبُ استعماله للاستقامة بطريقِ العقل، ويستعملُ للاستقامة في الشرعيات أيضًا، ويُستعمل استعمال الهداية.

والهدايةُ: الدلالة على ما يُوصل إلى مطلوب، ويقال هي سلوك طريقٍ يُوصل إلى المطلوب. وقد سبق تفصيلُهما.

وفي ذي الحجة الحجُّ في الأصل القصد، وفي العرف: قصدُ مكّة للنُسك، وبابه رد، والحِجّة بالكسر المرّةُ الواحدة، والقياس الفتح، والحِجة بالكسر شهرُ الحج **حجه بهم** أي قصد وعزيمة بالمسترشدين **من الأفعال إلى الصفات، ومن الصفات إلى الذات**. وقد مرَّ توحيدُ الأفعال والصفات والذات **بما يجب من التخلّق والتحقّق**. وقد مرّ تفصيلُهما.

والفرقُ بين المتخلّق والمتحقّق أنَّ المتخلّقَ هو الذي يكتسبُ فضائلَ الأخلاق، والأوصاف الحميدة تكلّفًا وتعمّلاً، ويجتنبُ الرذائل والزمائم، فله من الأسماء الإلهية آثارُها، والمتحقّق بها هو الذي جعله الله مظهرًا [٤٤٧] لأسمائه وأوصافه وتجلّى فيه، فمحا رسوم أخلاقه وأوصافه.

وهناك تبليغ الغايات. الغايات يعنون بها ما به يتمُّ ظهور الكمال المختصّ بكلِّ شيءٍ بالنسبة إلى ما كان له من ذلك الكمال في حضرة العلم الأزلي وحضرة الجمع، كما هو الحال عليه من كون الغاية من السرير أن يُجلس عليه، ومن القلمِ أن يُكتب به، ومن اللوحِ أن يُكتب فيه، ولكلِّ موجود من الموجودات غاياتٌ إنسانًا كان أو غيره من حيث جملته أو تفصيل أعضائه وقواه، وهكذا اعتبارُ تفصيل العالم وجملته، وقد أشار التنزيلُ إلى ذلك بقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

أو المراد ههنا النهايات، وهي أحدُ أقسام العشرة التي عرفتَ أنّها هي: المعرفة، ثم لفناء، ثم البقاء، ثم التحقيق، ثم التلبيس، ثم الوجود، ثم التجريد، ثم التفريد، ثم الجمع، م التوحيد وإليه ينتهي السائر. وقد سبقت تفاصيلُها مرتّبًا.

وهناك تتّحدُ الشاهدات والغائبات يعني في ذلك المقامِ يشهد المشاهدُ ما غاب عن

الخلق. الشاهد: هو ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد، وهو على حقيقة ما يضبطهُ القلبُ من صورة المشهود، ولمّا كانتِ المشاهدةُ في اصطلاحهم: عبارةٌ عن شهود الحقّ من غير تهمة، اصطلحوا بلفظِ الشاهد على ما يشهدُهُ العبدُ، وهو المرادُ بقولهم: الشاهد ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد؛ فإنَّ من شاهدَ الحقَّ فإن حالَه لا يكون كحالِ من لم يشاهدْه، وذلك الأثر إما حصولُ علم لدنّي، فيقال: فلان شاهده على حصول المشاهد كالعلمِ الحاصل له بعد أن يكن. وإمّا وجد، فيقال: فلان شاهده الوجد، وإمّا حال، أو غير ذلك.

وقالوا: علامةُ من شاهدَ الحقَّ هو شاهد أي أنّه: إذا شاهدَ الحقَّ فإنَّ شاهدَه ظهورُ أثر الحقِّ عليه، مثل أنه إذا شاهدَ ظهورَه في غايةِ حُسْنِ الهيئة والجمال، وفي غاية الهيبةِ والجلال، حتى لم يؤثِّرْ فيه لا جمالُ تلك، ولا جلالُ هذه بوجه، فذلك هو الشاهدُ له على فناء نفسه، وبقائه بربِّه. ومن أثَّرَ فيه ذلك فهو شاهدٌ عليه ببقاء نفسه، وقيامه بأحكام بشريته، فهذا هو معنى قولهم: علامةُ من شاهدَ الحقَّ هو شاهده، أي إمّا شاهدٌ له أو شاهدٌ عليه[1].

وهناك تجتمعُ الهممُ والإراداتُ. الهممُ العالية: يعني بها هممَ القوم الذين لا يطلبون بعبادتهم من الله سوى مجرّدِ العبودية له سبحانه، لصدقِ محبّتِهم فيه، لا في ما سواه من رغبةٍ في نعيمٍ، أو رهبةٍ عن جحيم، فسمُّوا أهلَ الهمم العالية لسموِّ هممهم، حيث تعلّقت بأعلى المقاصد الذي هو الحقُّ عزّ شأنه، وقد سبق تفصيلُها[2].

والإرادة[3]: هي لوعةٌ في القلب، والإرادة في اصطلاح أرباب النظر العقلي: عبارة عن أوّل حركةِ النفس إلى الاستكمال بالفضائل، وليس قبلها حركة، بل التوبة، ويُراد بها في اصطلاح الطائفة عدّةَ معانٍ:

فإنهم يُطلقونها ويُريدون بها إرادةَ التمنّي، وهي من صفات القلب.

وإرادة الطبع: ومتعلّقها الحظّ النفسي.

وإرادة الحقّ: ومتعلّقها الإخلاص، وهذه الإرادةُ عنى الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٥ وقد تقدّم تعريف الشاهد صفحة (١/ ٤٨٣ و٣/ ٧٧).

(٢) لطائف الإعلام: ٢/ ٣٧١ وقد تقدّم قبل.

(٣) لطائف الإعلام: ١/ ١٨٩.

بقوله: الإرادةُ الإجابةُ لدواعي الحقيقة [٤٤٧/ب] طوعًا. يعني انقياد الجاذب بنورِ الكشف، كما يجذبُ المغناطيسُ الحديدَ، فإنَّ الإرادة لا تكونُ إلاَّ مع صحة العقل، والطلب لله، وصدق النية في ذلك، ولمّا كانتِ الإرادة هي الباعثةُ على الجدِّ في السير، صارتْ هي المقوّية للقصد الذي هو أولُ أركان أُصول المقامات.

ومن هنالك أي من هذا المقام ابتداء نشأة أخرى في الحضرات الإلهية. والله الموفق. نشأَ كمنع وكَرُم نَشْءًا، ونُشُوءًا ونَشَاءً ونَشْأةً، ونَشَاءةً: حَيِيَ وربا وشبَّ. والسحابةُ ارتفعتْ. وأولُ ما يحدثُ: يعني من مقام المذكور في ذي الحجّة ابتداءُ حضرة أُخرى في الحضرات الإلهية.

* * *

منزل قلب الذاكر وما يخص به من الأسرار

اعلم يا بني، ذَكَّرَكَ اللهُ فيمن عنده فذكرته كما ورد في الحديثِ القدسي أنّه تعالى يقول: «من ذكرني في نفسهِ ذكرتُهُ في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خيرٍ منهم»[1] ولقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

أن القلب إذا تعمَّرُ أي تُحييه بالإخلاص والتسليم لأمر الله تعالى، والنظرِ في مجاري أحكام الله تعالى، والتفويضِ له سبحانه وتعالى في كلّ حالةٍ تردُ منه تعالى عليه على القلب فهو أي صاحب ذلك القلب عند ذلك الوقت ذاكر، وإن كان بلسانه صامتًا، لا بأن يقولَ الله الله فقط، نعمْ لا بدَّ من ذكر اللسان على حسب أنواع الذكرِ في أول بِداية الدخول إلى نيلِ هذا المقام.

فمنهم أي بعض الذاكرين من يدخل[2] هذا المقام بذكر سهل بنِ عبد الله التُّستري رضي الله عنه وهو أي ذكره: اللهُ معي، اللهُ ناظرٌ إليَّ، الله شاهدٌ عليَّ. وفائدة هذا الذكر أنَّ من كان اللهُ معه وناظرًا إليه، وشاهدًا عليه، كيف يَعصيه؟!

ومنهم من يدخله أي هذا المقام باسم الذات أي الله خاصّةً، وهو مذهبُ الإمام أبي حامد الغزالي قدس سره وجماعة من شيوخي، ولقيتُهم على ذلك، وأَمروني به أي بذكر الله فلا يزالُ الذاكر على هذه الحالة أي حالة الذكر في بدء مقاماتِ الذكر كما سيجيءُ إن شاء الله تعالى حتّى يتعمَّرَ الباطنُ أي الروح والقلب والنفس والخيال والحسّ المشترك كلّه بجوهر الذكر فيه، ولا يبقى فيه في الباطن جوهرٌ فردٌ من الروح والعقل والنفس إلاّ ينطق ذلك الجوهر بذلك الذكر بعينه، حتى يغلبَ عليه على الذاكر حالُ الذِّكر فلا يُبصر الذاكر في الوجود أي الكون شيئًا يقعُ عليه نظرُه نظر الذاكر إلاّ معلنًا أي مظهرًا بما هو أي الذاكر عليه من الذكر، ولو كانَ في ذلك الوقت ألفُ شخصٍ ذاكرٍ بألفِ ذكرٍ مختلفٍ، وغلب عليهم أي على الذاكرين بأذكار مختلفة الحالُ أي حال ذلك الذاكر لأبصر ذلك الذاكر كلَّ واحدٍ من خلق العالم

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١٣٩).

(٢) في المطبوع (٢٦٢): يدخله.

ناطقًا[١] بذلك الذكر الذي هو عليه، فلا يزالُ أي يدوم ويثبت ذلك الذاكر ذاكرًا من أوّل مقامات ذلك الذكر حتى ينتهي[٢] إلى المقام السابع للذكر.

قال الفرغاني[٣] قدس سره: الذكر أعظمُ أركان الرياضة، وأكبرُ قُربة تقرّب بها العبد من ربه، كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والذكرُ: على العموم هو ما يتقرّبُ به [عامة] أهلُ الإيمان من ذكر الله عز وجل، إمّا بكلمة الشهادة، وهي كلمةُ (لا إله إلا الله) وإما غيرها من التسبيحات والأدعية [٤٤٨] والأذكار.

وذكر الخصوص: هو الذكرُ الذي يكونُ من تلقين الشيخِ المرشد لذكرٍ معين، إمّا كلمة (لا إله إلا الله) أو غيرها، وذلك لإزالةِ قيدٍ أو حجابٍ معين يرشد إلى إزالته شيخٌ عارفٌ بأدواء النفوس، لكون تلقينه لذلك الذكر أقوى [أثرًا] في إزالة ظلمةِ الحجب عندما تكون الملازمة لذلك الذكر عن حضورٍ يدفع كلَّ خاطرٍ حتّى خاطر الحقّ أيضًا، ويمنعُ كلّ تفرقةٍ تخطرُ بالبال غير المذكور متوجّهًا إليه بتوجّهٍ ساذجٍ عن العقائد المقيّدة، بل على اعتقادِ ما يعلم الحقّ نفسه بنفسه في نفسه، ويعلم كلّ شيء، وعلى ما تعلمه رسله وتفهمه عنه بحيث لا يدخلُ خلوةَ الذكرِ إلاّ وهو خالٍ عن كلِّ معتقدٍ سوى الإيمان بما جاء من عند الله على مراد الله وبما أخبر به رسولُ الله ﷺ على مُراد رسول الله ﷺ.

والذكر الظاهر: يعني به ذكر اللسان الذي بمداومته يحصلُ الخلاصُ من الغفلة والنسيان، وهو أولُ مقامِ الذكر.

والذكر خفي القلب: هو الذكرُ بالجنان مع سكونِ اللسان، وهو المقامُ الثاني للذكر، فإذا تجوهر الذكر في القلب يكونُ القلبُ محلاً للتجلّي الأفعالي.

وذكر الروح: هو المقامُ الثالثُ للذكر، فإذا تجوهر الذكر في الروح يصير الروح محلاً لمتجلّي الصفاتي.

وذكر السر: هو ما يتجلّى له من الواردات، وهو المقامُ الرابع للذكر، فإذا تجوهر الذكر ي السرِّ يكون السرُّ محلاً للتجلّي الذاتي.

---

١) في المطبوع (٢٦٢): لأبصر كل منهم العالم ناطقًا.
٢) في المطبوع (٢٦٢): ذلك السفر حتى ينتهي.
٣) لطائف الإعلام: ١/ ٤٦٨- ٤٧١.

والذكر الشامل: يعني به استعمال الظاهر والباطن فيما يقرّبُ من الله عزَّ وجلّ، بحيث يكون اللِّسانُ مَشغولاً بالذكر، والجوارحُ بالطاعات، والقلبُ بالواردات، وهو المقامُ الخامس للذكر.

والذكر الأكبر: يعني به ما وقعتِ الإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] والمرادُ به كمال المعرفة والطاعة، قال عليه السلام: «أنا أعرفُكم بالله، وأتقاكم له»[١] فمن كان في معرفته وطاعته على هذا الحدِّ فهو صاحبُ الذكر الأكبر.

والذكر الأرفع: هو الذكر الأكبر لأنه أرفعُ الأذكار كما عرفت، ويُسمّى الذِّكرُ المرفوع أيضًا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فإنّه تعالى رفعه بذكره وطاعته إلى مرتبةٍ في الذكر لا يعلوها غيرُه من الخلائق، وهو الذكر الخفي الذي هو كائنٌ فوق السرِّ وهو المقام السادس للذكر.

والذكر المرفوع: هو الأرفعُ: كما عرفتَ، وقد يعني بالذِّكر المرفوع ذكرَ الحقِّ لعبده جزاءً له على ذكره لربّه، كما جاء في الكلمات القدسية أنَّه تعالى يقول: «مَنْ ذكرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم»[٢] وعلى هذا حملوا معنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وذلك من باب الإشارة لا من طريق التفسير.

ثم إن في قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارةٌ إلى ذكره ﷺ بمعنييه: أعني بمعنى إضافةِ الذكر إلى العبد، وبمعنى إضافته إلى الربِّ عزّ شأنه، فإنه عليه السلام ذكرَ اللهَ ذكرًا عن حضورٍ وعرفان وإخلاص ومراقبة لا يصحُّ لأحدٍ من العبيد [أن يذكر الله بمثل ذلك الذكر، فذكر الله نبيه ذكرًا لم يذكر أحدًا من العبيد] بمثل ذلك الذكر فضلاً عن أن يذكرَ أحدٌ بما هو أرفع منه.

وقيل: الذكرُ المرفوع: ذكرُ مَنْ فنيَ عن خليقته وبقي بحقيقته، بحيث صارَ لسان الحقِّ ذاكرًا للحقِّ به.

والذكر الحقيقي: يعني به الذكر المنسوب إلى الذاكر بالحقيقة [٤٤٨] فإنّه لما كانتِ الأفعال كلُّها إنّما هي منسوبةٌ إلى تخليق الحقِّ حقيقة لا إلى العبد، كذلك صار الذكرُ الحقيقيُّ إنّما هو

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٨٢).

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٨٢).

الذكر المنسوب إلى الحقِّ لا إلى العبد، لأنَّ الذكرَ المنسوب إلى العبد ليس له هذه النسبة الحقيقية، فإذا ذكر العبدُ ليس هو الذكر الحقيقي، وقد عرفتَ أنّ الأمر كذلك في هذا المعنى وغيره من جميعِ ما يضاف إلى الحقِّ والخلقِ في باب التسميةِ الحقيقية والمجازية، لأنَّ تسميةَ الإنسان بالقادرِ مثلاً إنّما هي لأجلِ ظهور آثار القدرة بيده، وأنّ تسميته متكلِّمًا لأجل ظهورِ التكلّم بلسانه، أو بصيرًا لظهور الأبصار بعينه، أو سميعًا لظهور الأسماع بإذنه، إنّما ذلك تسميةٌ مجازية لا حقيقة. انتهى.

وهو الذكر الأخفى الذي هو المقام السابع للذكر وهو أي المقام السابع للذكر نهاية الذكر[1] ليس له وراء ذلك مرمى أي مقام الزيادة على المقام السابع، كما تقولُ: رميت على الخمسين، إذا زدتَ وتجاوزتَ الخمسين سنة.

فاعلم يا بُني أن لله تعالى أسرارًا مخزونة عنده بأيدي سفرة كرام بررة يسمّون الشهداء كما قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ * بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٢ ـ ١٦].

السفرة الكتبة قال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ قال الأخفش: واحدُهم سافر، مثلُ كاتب وكتبة، والسِّفر بالكسر: الكتاب، والجمع أسفار، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

فإذا حصل العبدُ وفي بعض النسخ القلب في مبدأ المقام[2] السابع الذي ذكرناه من الذكر وجّه إليه إلى العبد أو القلب الحقُّ سبحانه وتعالى تحفةً. التحفةُ: ما أتحفتَ به الرجل من البرِّ واللطف، يعني عطيةً منه تعالى سبعين ألف سرّ بدل الكلّ من التحفة في مقابلة سبعين ألف حجاب، كما ورد: «إنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»[3] على ترتيب أيام الأسبوع، كما سبقَ في منزل الأيام المقدّرة لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

---

١) في المطبوع (٢٦٢): فإذا انتهى إلى المقام السابع، وهو نهاية الذكر.
٢) في المطبوع (٢٦٢): في هذا المقام.
٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٩).

قال عبد الرحمن الجامي قدس سره السامي: اعلمْ أنَّ يومَ السبت منسوبٌ إلى القالب، ويوم الأحد منسوبٌ إلى النفس، ويوم الإثنين يسمونه قلبَ الأيام، ويوم الثلاثاء يسمونه سر الأيام، ويوم الأربعاء يسمّونه روح الأيام، ويوم الخميس يسمّونه خفي الأيام، ويوم الجمعة يسمُّونه يوم الله، وهو الأخفى، كما قال الربُّ جلَّ جلاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ... ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالقالبُ والنفسُ مخلوقان في يومين، والأفلاك من القلبِ والروح والسرِّ والخفي في أربعة أيام ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في يوم الجمعة بالصفة الرحمانية، والمراد ههنا من ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ هو قلبُ محمد ﷺ لظهور الدور السابع من زمان دورِ آدم عليه السلام، الذي وقعَ في يوم جمعةِ الأيام، والمرادُ من (الاستواء) [٤٤٩] إنّما هو كمالُ ظهورِ محمد ﷺ بالنبوة والولاية الخاصة المحمدية في غلبة إشراق أنوارِ النبوة والولاية، ولهذا قال عليه السلام: «بُعثتُ في نسيم الساعة»[1] ولكل يومٍ من أيام الأسبوع ظهرَ عشرةُ آلاف حجاب، فيصيرُ المجموعُ سبعين ألف حجاب. انتهى.

أعني بضرب السبعة في العقول العشرة، فصار المجموعُ سبعين، وبضرب السبعين في الألف الذي هو عددُ المنازل، كما تقدّم بيانه، فصار المجموعُ سبعينَ ألف حجاب، وإذا تخلّصَ القلبُ من تلك الحُجب، وجّه إليه الحقُّ سبحانه وتعالى تحفةً من سبعين ألف سرٍّ في مقابلة سبعين ألف حجاب، ولذلك قال ما بين ظاهره أي ظاهر صاحب ذلك القلب وباطنه في كلِّ يوم من أيام الأسبوع ولكن بواسطة تلك الملائكة أي: ﴿سَفَرَةٍ * كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦] وهم شهداءُ الله على قلب العبدِ، فعند ما يمرُّون أي الملائكة الذين هم شهداء الله على قلبه أي قلب العبد يسمعُ العبدُ حينئذٍ تسبيح الملأ الأعلى في نفسه، يدخل الشطرُ أي النصف من هؤلاء الملائكة على باب عالم الملكوت بأسرارِ الظاهر من سبعين ألف سرٍّ، ويمرُّون تلك الملائكة المشطور على ساحة أي باحة القلبِ حتى يخرجوا تلك الملائكة على باب عالم الشهادة، ويدخلُ الشطرُ الآخرُ من تلك الملائكة على باب عالم الشهادة بأسرارِ الباطن من سبعين ألف سرٌ ويخرجُ ذلك الشطرُ على باب عالم الملكوت، ثم لا يعودون أبدًا؛ بل يأتي اللهُ بشهودٍ أُخرَ بأسرارٍ أُخرَ على ذلك المهيع أي الطريق الواسع الواضح ليُري اللهُ تعالى هذا القلبَ من آياته

(١) الحديث أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١٣٢) عن أبي جبيرة، وذكره الفردوس في مأثور الخطاب ١٣/٢ (٢١٠٠)، وقال: النسيم: الضعيف، سمّي العبد والأمة النسمة في ضعفهما، وهو مأخوذ من نسيم البحر.

وعظيم ملكوته ما يزيده به تعظيمًا، وبنفسه معرفةً، فإن رَكَنَ أي مال إليهم إلى تلك الملائكة السَّفرةِ الكرامِ البررة هذا القلبُ فاعل رَكَنَ وتأنّس القلبُ بهم بتلك الملائكة واتَّخذهم جلساءَ جمع جليس بقوامِعِهِ[١]. القوامعُ ما يقمعُ الإنسان عن مقتضيات الطبع والنفس والهوى، ويردعُهُ عنها، وهي الإمدادات الأسمائية والتأييدات الإلهية لأهل العناية في السير إلى الله تعالى والتوجّه بحقٍّ.

وبقي القلب معهم مع تلك الملائكة والحالُ هم الشهودُ عليه على القلب بالوقوفِ معهم إن طمع القلب في نيلِ مقامٍ أعلى من ذلك المقام، فيقال له: لِمَ لا ترفعُ همّتَكَ إلى ذلك المقام؟ وقد تحقّقت أنَّ الهممَ للوصول[٢] إلى مقام الجبروت واللاهوت ولكنّك حجبك التنزُّهُ في عالم الملكوت. التنزيه: هو تعالي الحقّ عمّا لا يليقُ بجلال قدسه.

وتنزيهُ الشّرعِ: هو المفهوم في العموم من تعاليه تعالى عن المشاركِ في الألوهية.

وتنزيه العقل: هو المفهومُ في الخصوص من تعاليه أن يوصفَ بالإمكان.

تنزيه الكشف: هو المشاهدُ لحضرة إطلاق الذات المثبت للجمعية للحق، فإنَّ من شاهدَ إطلاقَ الذات صارت تنزيه في نظره، إنما هو إثباتُ جمعيته تعالى لكلِّ شيءٍ، وأنه لا يصحُّ التنزيهُ حقيقةً إن لم يشاهدْه تعالى كذلك[٣].

فإن أنكرَهُ القلبُ ولا بدّ [له] أن ينكره حجاب [٤٤٩/ب] التنزه شهدت عليه على القلب تلك الملائكةُ النازلةُ بتلك الأسرار التي مرّ بيانها.

وكذلك أي كما تشهد عليه الملائكة تشهدُ عليه على القلب أسرارهُ أي أسرار القلب بتعشُّقِهِ أي بتعشّق القلب بها، وفنائه فيها أي فناء القلب في أسراره.

فشهادةُ الملائكة خزنةُ الأسرار نطقيةٌ منسوبة إلى النُّطق وشهادةُ الأسرار حاليةٌ منسوبة إلى الحال، فهو أي القلب مقهورٌ أي مغلوب بالحجّة، ولله الحجة البالغة[٤] على كلِّ أحدٍ.

فتأمّلْ هذا الفصلَ يا مسكين، وانظرْ أين قلبك من هذه القلوب؟ وأين مشهدُكَ؟ أي محل

---

(١) في المطبوع (٢٦٣): بقوا معه.

(٢) في المطبوع (٢٦٣): أن بالهمم الوصول.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٣٥٠. وقد تقدّم قبل صفحة (٢٨٩/ب و٣٩٢/أ و٤١٤/أ).

(٤) من قوله تعالى في سورة الأنعام (١٤٩): ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾.

شهودك من هذه المشاهد، وأين مشربُك من هذه المشارب المذكورة؟ لقد أحياها صاحبُ القلب المشاهد والمشارب والموارد والمنازل والمقامات فأحيا صاحبُ القلب بها بسبب إحيائها.

والحياةُ: ههنا حظُّ العبدِ من الحياة والحقيقة الإلهية التي هي من نعوت الذاتية، فهي في البدايات حياةُ العلم الشرعي له، ويقال لها: الحياة الطيبة، ويستعملُ أيضًا في حياة الزهد، والقناعة بالتجريد الموجب لحياة القلب، وفي حياة جميع الأحوال والمقامات أن يستقيمَ فيها برعاية آدابها وحقوقها، فحياةُ كلِّ أمرٍ كونه على ما ينبغي، وموتُه تطرُّق الخلل فيه، فإحياءُ الشريعة والطريقة إقامةُ الأحوال والمقامات بهما، وإماتتُهما إخلالُ شيءٍ من آدابهما، وعند هذه الطائفة لكلٍّ ممكن روحٌ وحياة وموت، حتى أنَّ للروحِ أيضًا عندهم حياةً وموتًا، ولعلّهم يعدّون كمالَ كلِّ شيءٍ حياته، ونقصانه مماته جعلنا الله وإيّاكم ممّن طابَ موردُهُ وتعالى مشهده آمين بحرمة سيّدنا محمد سيِّدِ الأنبياء والمرسلين، صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

اعلم يا بُني جرَّدَكَ الله من كلِّ كونٍ.

التجريدُ: يعنون به إماطة السِّوى والكون عن السرِّ والقلب.

تجريدُ الفعل: هو أدنى مراتبِ التجريد، وقد عرفت بأنّه التجلّي الفعلي الذي معناه تجريدُ الأفعال عمّا سوى الحقّ، بحيث لا ترى في الكونِ فعلاً ولا تأثيرًا إلاّ لله وحده.

وتجريدُ الفضل: هو أن تشهدَ توحيدَ الأفعال، فلا ترى إحساناً إلاّ من فضل الله لا من سواه، ويُسمّى ذلك تجريد الفضل أي تخليصُهُ لصاحبِ الفضل تعالى وتقدس. وقد سبق تفصيلُ تجريد القصد، والتجريد الفعلي، والصفاتي، والذاتي[1].

والكون: عبارةٌ عن حصولُ الصورة في المادة بعد أن لم تكنْ حاصلةً فيها.

وعند أهل الحقِّ: الكونُ عبارةٌ عن وجودِ العالم من حيث هو عالم لا من حيث أنه حق.

وَتَكَنَّفَكَ أي أعانك الله وحفظك **بحجاب الغيرة**[2] لا بحجاب الذي يراد به الرين ورؤية الأغيار **وبحجاب الصون** أي الحفظ **أنّ القلب الذي تمرّ عليه هذه الأسرار التي تحفة السنار والشهداء**[3] أي السفرة الكرام البررة **ويعاين** القلب من **الملكوت هذا القدر العظيم إذا عاينها** أي إذا عاين القلبُ تلك الأسرار والشهداء **ويَراها** ويرى القلب تلك الأسرار والشهداء **مسخّرةً** أي مذلّلة **تحت قهرِ مُسخّرها** [٤٥٠٦] لنفسه، **فلا يعرج** القلبُ **عليها** على تلك الأسرار والشهداء **من جهةِ الوقوف معها** أي مع الأسرار والشهداء **ولكنْ يجعلُها** أي يجعل القلبُ تلك الأسرارَ والشهداء **كالمعرفة**. وفي بعض النسخ كالمعونة بمعنى الإعانة **لما** لشيء **عظيم الهمّة متعلّقة به** بذلك الشيء حال كون الهمّة المتعلّقة به **مرتقيةً إليه** إلى ذلك الشيء **فإذا استمرّ** ودامَ عليه على القلب **هذا** المذكور **وطلبته** أي القلب **الملائكةُ معها فلم تجدْه** فلم تجدِ الملائكةُ ذلك القلب

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣١١. وقد تقدّم قبل صفحة (٣/ ٢٢٨).

(٢) في المطبوع (٢٦٤): بجناح الغيرة.

(٣) في المطبوع (٢٦٤): هذه الأسرار أسرار الشهداء.

إلاّ مشغولاً بأعلى من ذلك المذكور من الأسرار وعرفَ الحقُّ عطف على (استمر) صدقَ ذلك الطلب والتوجّه.

التوجه[1]: يُراد به حضورُ القلب مع الحقِّ ومراقبته له بتفريغه عن كلِّ ما سواه من صورِ الأكوان والكائنات.

وتوجه الكُمَل: هو ألا يجعلَ العبدُ لهمّتِهِ في عبوديته لربّه وعبادته له متعلّقًا غيرَ الحقِّ، وأن يكون ذلك تعلّقًا جمليًا كلّيًا غيرَ محصورٍ فيما يعلمه العبد منه تعالى، أو يسمعه عنه؛ بل على نحو ما يعلم سبحانه نفسه في أكمل مراتبِ علمه بنفسه وأعلاها، فمن كان في العبوديةِ والعملِ على هذا النحو من التوجّه فإنّ توجهَهُ أكملُ التوجهات.

اختطفه جوابُ الشرط، يعني: إذا استمرَّ عليه هذا، وطلبته الملائكةُ معها، فلم تجدْه إلاّ مشغولاً بأعلى من ذلك، وعرف الحقُّ صدقَ ذلك الطلب والتوجّه، استلب الحقُّ القلب عن كلِّ كونٍ خارج عنه أي عن القلب، وهو الكون ثم أوقفَهُ أي أوقف الحق القلب مع أكوانه تعالى، فذلك حظُّه أي نصيب القلب في هذا المنزل، ويكونُ القلب برزخيَّ الموقف إن وقفَ في ذلك الموقف فإنْ لم يقف في ذلك الموقف ونظرها أي الأكوان كما نظرَ الآخرين. وفي بعض النسخ نطرها كما نطرَ الآخرين بالطاء المهملة بمعنى حفظها اختطف أي استلب الحقُّ القلب عن أكوان نفسه أي نفس القلب واختطفه عن ملاحظة كلِّ كونٍ أصلاً بالكلّية.

وهذا المقامُ أشارَ إليه صاحبُ «المواقف» والقول حين قال: أوقفني الحقُّ في موقفٍ وراء المواقف.

الموقف: هو منتهى كلِّ مقام، وهو المطلعُ والأعراف.

والموقف أيضًا: مقامُ الوقفة التي هي الحبسُ بين كلِّ مقامين لتصحيح ما يقعُ على السالك في المقامات من تصحيح المقامِ الذي وقوعَ له الترقّي عنه، ولتتأدّبَ أيضًا بما لا يحتاجُ إليه عند دخوله إلى المقام الذي وقعَ له الترقّي إليه.

والمواقف: جمع موقف، وهو موضعُ الوقفة، وهذه المواقفُ قد اشتمل عليها الكتابُ المسمّى بـ: «المواقف النفّرية» المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الجبّار النفَّري قدس سره

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣٦٥.

العزيز، متضمِّنًا لتصحيح بقايا المقامات بالوقوف بين كلِّ مقامين، ولهذا عَنْوَنَ فصولَه بقوله قدس الله سره: أوقفني، وقال لي. انتهى[1].

وقال لي: كلٌّ جزءٍ من الكون حجابٌ عطف على (أوقفني) **فإذا حصلَ القلبُ واختطف** أي استلب الحق القلب بالكلّية، **وفني** القلب **بالمذكور عن الذكرِ، ارتاحتِ الأسرار لطلبه** أي لطلب القلب. والارتياح [٤٥٠/ب] بمعنى النشاط **واشتاق الملأ الأعلى لتسبيحه** أي تسبيح القلب، والشوقُ والاشتياق نزاعُ النفس إلى شيءٍ **فضُرِبَ** على البناء للمفعول **بينه** بين القلب **وبينهم** بين الملائكة المذكورة **سبعون ألف حجاب إلهية** في مقابلة سبعين ألف سرّ، **يقف دونها** أي تحت الحجب المذكورة **المشتاقون إليه** يعني: يقفُ الملأ الأعلى تحت تلك الحُجُب حالَ كونهم مشتاقين إلى القلب **فإن وقف القلب هنا** في ذلك المقام **يكون هذا مقامَه** مقام القلب **لا يبرح منه** أي لا يزال القلب من ذلك المقام منزل الفاني عن المذكور بالمذكور **فإن فني القلب عن المذكور بالمذكور ضُرِبَ بينه وبين صاحب المقام الأول سبعمئة ألف حجاب** بضربِ سبعين ألف حجاب في عشر أمثالها

وأمّا ما يحصلُ له للقلب من هذه المقامات المرتبة **فلا يمكنُ أن يُوصفَ لدقَّتِهِ ولا يمكن أن يُحَدَّ لكثرته إذ ليس ثمَّةَ بما يشبه ولا بما يقاس** حتى يُوصفَ بالتشبيه ويُحدَّ بالقياس.

* * *

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٤١. وقد تقدّم قبل صفحة (١/ ٥٩٥، ٣/ ١٦٨).

منزل الفاني عن المذكور للمذكور

فإن فني القلب عن المذكورِ للمذكور لا بالمذكور، وهو أعلى الفناء، وهنا المُنتهى، وليس وراءَ هذا مرمى محلُّ الرمي ليرُام أي[1]. ليطلب ولكن يقعُ فيه في هذا المنزل التفاضلُ أي الزيادة والنقصان بين الرُسل في نمطهم[2] النَّمَطُ محرّكةً الطريقة، والنوعُ من الشيءِ، وجماعةٌ أمرُهم واحدٌ وبين الأنبياء في نمطهم، وكل[3] واحدٍ من الرسل والأنبياء له شربٌ معلوم أي تجلٍّ مخصوص ينالُ الأعلى منهم ما ينال الأدنى منهم وزيادة، وهكذا في كلِّ منزلٍ تقدّم لهم للرسل والأنبياء منه من ذلك المنزل الحظّ النصيب الأوفر من حظِّ غيرهم، صلى الله تعالى عليهم أجمعين.

فإذا حصلَ في هذا المقام القلب الطاهر الفاني عن الأول والآخر أي الفاني عن الذكر بالمذكور وعن المذكور للمذكور ضربَ الحقُّ بينه بين القلب الفاني عن الأول والآخر وبين أهل المقام الثاني أي الفاني عن المذكور بالمذكور سبعة آلاف ألف حجاب بضرب سبعمئة ألف حجاب في عشر أمثالها.

وهذه الحُجُبُ أي سبعة آلاف ألف حجاب منها أي بعضها حجاب نيرٌ بعضها حجابٌ غيرُ نيرٍ، فالنيراتُ من هذه الحجبِ هي حجبُ الأنوار، وغيرُ النيرِّ هي حُجُبُ الأسرار بخلاف الحجب النازلة عن هذه المقامات أي الحجب المتقدّمة من هذه الحجب فإن النيّرَ أي الحجاب النيّر منها من تلك الحُجُب حجاب ملكوته الخاصُّ به بالقلب وغير الحجاب النيرِّ حُجُبُ الأغيار لا الأسرار، فهذا هو الفرقانُ بينهما بين المنزلين وهذه الأسرار سترها أهلُ طريقتنا وأنا سترتها كما ستروها، وإنّما ذكرتُ هذا القدر منها من هذه الأسرار تنبيهًا للقلبِ المتعطّشِ أن يعرفَ أن ثمّةَ مطلوباتٍ غابَ القلب عنها عن تلك المطلوبات فعندما يقفُ القلب المتعطّش

(١) المثبت من المطبوع (٢٦٤): مرمى لرامٍ.
(٢) في المطبوع (٢٦٤): في عظمتهم.
(٣) في المطبوع (٢٦٥): وبين الأنبياء في نمطهم، والأولياء في نمطهم، وكل ما ينال الأدنون منهم أو زيادة.

عليها على تلك المطلوبات تحملُه الهمّةُ على طلبها، فيأخذ [٤٥١] أي يشرع في الرحلة إليها إلى تلك المطلوبات فربّما يصلُ القلب إليها أيِ إلى المطلوبات المذكورة إن شاء الله تعالى فنجدُه فنجد خيرَ ذلك التنبيه في ميزاني يوم القيامة، إذْ كنتُ المرشدَ له في نيل هذه المقامات، فنبّهتُ عليها أي على الأسرار المذكورة بهذا القدر، وسترتُ حقائقها أي حقائق الأسرار وسترتُ ما في طيِّ كلِّ مقامٍ منها، وما في طيِّ كلِّ سرٍّ منها[1] كما فعلَتْ أي سترت مشيختُنا أي شيوخنا رضي الله عنهم، تأسّيًا أي اقتداءً بهم، ولو لم يكنْ على طريق التأسّي، فإنَّ المقامَ يغطي ذلك بنفسه، والحمد لله ربِّ العالمين.

يا بُني، ـ وفّقَكَ اللهُ ـ يكفيك من بيان القلب هذا القدرُ، فاسعَ في إزالة ما نصصتُه لك على ما حدَّهُ لك الشرعُ، والاتّصاف بتلك الأوصاف المحمودة، حتى يحصلَ لك هذا المقامُ وأضربنا أعرضنا لك عن الكلامِ في أسرار حُجُب القلب من الغين والران، والعَمَى والصدأ، والكنّ والقفل، وغير ذلك.

الغينُ: يُطلق ويُراد به الصدأ بأنه يعلو وجهَ مرآة القلب، فيحولُ بين [سرِّ] عين البصيرة وبين رؤية الأشياء كما هي.

والغين: لغةً هو الغيم الرقيق، فسُمّي [به] الصدأ لكونه في حجابيته أرقَّ من الرين الذي هو حجابٌ عن الحق بالكلّية، فالغينُ حالُ من كان محجوبًا عن الحقِّ والحقيقة؛ لكن مع صحّة اعتقادٍ وإيمانٍ بما غابَ عنه بما أخبره الله ورسوله به.

وأمّا الرين: فهو حالُ من كان محجوبًا عن صحة الاعتقاد للحقِّ والإيمان به، ولهذا لا يُوصف المؤمن بالرين، إنّما يُوصف بالغين ما دام بعدُ لم يصلْ إلى مقامِ شهود الغين، فإذا وصلَ إليه زال عنه حكم الغين، لأنه قد صار من أهل الغين.

والغيون جمع غين، وقد عرفتها، وقد تُطلق الغيون ويُراد بها تجلّيات الذات الأقدس، المشارُ إليها بقوله عليه السلام: «إني ليُغانّ على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم مئة مرة»[2] فكان الذي يُغطّي قلبه ﷺ ويغشاه إنّما هو تجلّيات ذاتية مُتظاهرة تكادُ لقوّة حقيقتها، وغلبة أحديّتها تمحو حكم بشريّته، وتمحو أثر خلقيته بحيث لا تبقي أثرًا ولا اسمًا، بل تذهبُ الغينُ

---

(١) في المطبوع (٢٦٥): طي كل مقام.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٩٤).

في العين بالكلّية، فلهذا يستغفرُ عليه السلام أي يطلبُ الغفر والسترَ خوفًا من غلبة أحكامها عليه، وتظاهر آثارها، لئلا يهمل حكم نبوّته وكمالَ وسطيته، ولئلا يظهرَ أثرُ ذلك للخلائق، فيُعبد، أو يُقال فيه كما يُقال في عيسى وعُزير عليهم السلام.

والران[1]: هو الحجابُ الحائل بين القلب وبين تجلّي الحقائق فيه عندما يستوعبُ صورَ الأكوان وجه القلب، فينطبع ويرسخ.

والحجابُ[2]: يُقال له الرّان، والمراد بذلك انطباعُ الصور الكونية في القلب على سبيل الاستيعاب له والرسوخ فيه، بحيث لا يبقى مع ذلك مطمعٌ لتجلّي الحقائق فيه، لعدم نوريته بتراكم ظُلم الحُجُب المختلفة عليه، فلهذا يُسمّى عموم حصول صور الأكوان في القلب ورسوخها فيه حجابًا له ورينًا عليه.

وقد يُطلق الحجاب ويُراد به رؤيةُ الأغيار بأيِّ صفةٍ كانت من صفات الأغيار.

والعمى: أشدُّ الحجاب لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] [٤٥١/ب] ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

والصدأ: يعبّرُ به عمّا يحصلُ من رسوخِ صورِ الأكوان في القلب، فيحولُ بينه وبين تجلّي الحقائق فيه وبين شهود الحقِّ عزّ وجل؛ لكن من غير أن يكون ذلك الحصولُ على وجهِ الاستيعاب لجميع وجه القلب، لأنَّ حصولَه على وجهِ الاستيعاب يُسمّى رينًا وحجابًا كما عرفت.

والكنُّ: السترةُ، والجمع أكنان، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا﴾ [النحل: ٨١] والأكنّةُ الأغطية، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥] وقيل: الختمُ والطبع، والأكنة والأقفال: ألفاظٌ مترادفة بمعنىً واحد، لكن يقتضي بينها تفاوت وتفاضل على وجهِ الترتيب.

ومراتبها أي مراتب الغين والران والعمى والصدأ والكن والقفل.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٤٧٧.

(٢) لطائف الإعلام: ١/ ٤٠٥.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «التدبيرات الإلهية»[1] في الحُجُب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت: قد قدّمنا أنّ الأنوارَ ثلاثةٌ: نور الحياة، ونور العقل، ونور اليقين.

فأما نور الحياة: الذي هو انعكاسُ شعاع النفس الحيوانية فعلّتُهُ ثلاثٌ: الران، والحجاب، والقفل. وكلُّها مذكورةٌ في القرآن وموادها من الصفات البشرية الظاهرة في عالم الشهادة، فهذه الأمراضُ التي حصلتْ للقلب في هذا المقام إنّما ذلك من جهة النفس الأمّارة [بالسوء] البهيمة.

وأمّا النُّور الذي يحصل في القلب بانعكاس شعاعه من جوهر العقل فعلّته النفسُ الغضبية، لها نارٌ تطبخُ القلب وتحرقه، فيصعدُ منه دخانٌ على القلب يحولُ بين العقل والقلب، فتنقطع المادة، فيُظلمُ القلب، وذلك الدُّخانُ هو الغطاء والكنّ والغشاوة، فإنْ تكاثفَ أدّى إلى العَمَى ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وأما نورُ اليقين: الذي هو [الأمد] الأقصى فالعلَّةُ التي تحولُ بينه وبين عين اليقين من القلب عدمُ الإخلاص، والقبضُ بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمذمومة، فلو أعرضَ لزالَ الحجابُ، ووقعَ الانشراحُ، واتّصلتِ الأنوار، وظهرتِ الآيات والعجائب، وتحقيقُ هذا الفصل فيمن نظرَ من قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلى قوله ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٥-٤٠] هنالك تبدوُ لك الحُجُبُ في مقابلة الأنوار آيات بيّنات لقوم يعقلون.

وأضربنا عن الكلام في أسباب الزفرات والوجبات وغير ذلك.

الزفيرُ: أول صوتُ الحمار، والشهيقُ آخرُهُ؛ لأنَّ الزفيرَ إدخالُ النفس، والشهيقُ إخراجُهُ، وقد زفر يزفِرُ بالكسر زفيرًا، والاسم الزفرةُ، والجمع زَفَرات بفتح الفاء، لأنّه اسمٌ لا نعت.

والوجبة: بوزن الضربة: السَّقطةُ مع الهدّة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦] ووجبتِ الشمسُ: غابت، ووجب القلبُ وجيبًا: اضطربَ، ووجب الحائطُ وغيره وجبة: إذا سقط.

---

(١) التدبيرات الإلهية: ٢٢١.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «التدبيرات الإلهية»(١) في أسباب الزفرات والوجبات والتحرّك عند السماع:

السماعُ: سرٌّ من أسرار الله تعالى في الوجود العلية، واحدٌ في نفسه.

والسامعون شخصان: شخصٌ يسمعُ بنفسه، وشخصٌ يسمع بعقله، وليس ثمة سامعٌ آخرُ. ومن قالَ: إنه يسمعُ بربّه فهو نهايةُ درج سمع العقل، لكن للعقل سمعان: سمعٌ من حيث فطرته، وسمعٌ من حيث الوضع. فالذي له من حيث الوضع [هو الذي] قيل عنه: يسمعُ بربّه وقوفًا عند قوله [٤٥٢] عليه السلام عن ربّه: «كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به»(٢) فالذي يسمعُ في كلّ شيءٍ وعلى كلّ شيءٍ لا يتقيّدُ، وعلامته في ذلك البهتُ وخمودُ البشرية، والذي يسمعُ بنفسه لا بعقله لا يسمعُ إلاّ في النغمات والأصوات العذبة الشهية، وعلامتُهُ أن يتحرّكَ عند السماعِ بحالة فناءٍ عن الإحساس، ومهما أحسَّ المتحرّكُ في السماع فإنّه مَسْخَرةٌ للشيطان، وإن لم يحسَّ، وفني عن كلّ شيءٍ فهو صاحبُ نفسٍ، وتحت سلطانها، وحالهُ صحيحٌ، صحيحُه الفناء، ولا يأتي بعلم [أبدًا] عقيب هذا الفناء، والحركةُ في السماع، فإنِ ادّعى أنّه أتى بعلمٍ، فلم يكن فانيًا، ولم يكن سمعَ بعقله، فإنَّه قد تحرَّكَ، فلم يبقَ له إلاّ أن يكونَ كاذبًا، فإنَّ سماعَ النفس لا يأتي بعلمِ البتة، وسماعُ العقل لا تكونُ معه حركةٌ، فمن جمع بين الحركةِ والعلمِ فهو كاذبٌ جاهل الحقائق.

واعلمْ أنّه إذا أرادَ الله أن تنزّلَ المعارف على قلب عبد بضربٍ من ضروب الوجد، أرسلَ بَرْدَ القُرب على القلب المعقول، فتبرد سماء القلب، فتأخذ سُفلاً، فتجدُ الحرارةَ الغريزية صاعدًا إلى الدماغ، فتعتمدُ عليها، فتنعكسُ الحرارة، فتأخذ سفلاً حتى تحكَّ بساحة(٣) القلب، فيتولّدُ عند ذلك الحكِّ نارٌ، فتصعدُ، فإنْ وجدتَ في سحاب بَرْدِ اليقين والقُرب خللاً، صعدتْ، فكان ذلك التأوّه الذي يُسمّى الزفرة، وإن لم تجدْ خللاً حلّلتْ رطوبات السحاب الأعلى من جمده، فمن ذلك هو البكاءُ(٤) الذي يطرأُ على صاحب الحال في حاله، فإنْ كان ذلك النارُ قد أنضجَ الكبدَ، يُشمُّ في ذلك التأوّهِ رائحةُ الحرقِ، ويصعدُ ذلك النار في

---

(١) التدبيرات الإلهية: ٢٢٣.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة: (١/ ٣٣).

(٣) في التدبيرات الإلهية ٢٢٤: حتى تحلّ.

(٤) في التدبيرات الإلهية ٢٢٤: فمن ذلك البكاء.

تجويف القلب بالانضغاط الذي هو فيه، فيُسمعُ له في ذلك الوقتِ أزيزٌ يُسمّى الوجبة والصيحة والرجفة، وفي ذلك الوقت تقعُ الصيحةُ من صاحب الحال، فمن كان في قلبه جلاءٌ من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة، وهي صلصلةُ النار الطبيعي بالقلب، وتنصدعُ لها القلوب إذا قويتْ عليها، ومن كثرتِ الريونُ على قلبه من الحاضرين أخذته لتلك الصيحةِ رعدةٌ وفزعٌ، ووقعَ الإنكارُ منه على صاحب الحال، وقال: هذا ما سمعنا أنّه كان في السَّلف، وقد كانتِ المواردُ تردُ على النبيِّ ﷺ، وما سمعنا أنّه صاحَ ولا صعق، فلا يُلتفتُ إلى قوله، فإنَّ قلبَه مطبوعٌ، وقد فرّقنا بين سماع العقل وسماع النفس، وكلٌّ في بابه صحيح.

وفي خروجِ تلك الزفرات تكون حياةُ العارف، فإنْ أرادتِ النارُ الخروج من خلل السحاب الذي ذكرناه، ووجدته متراكمًا في خللٍ[1] انعكستْ وطبختِ القلبَ والكبد في الحين، وأحرقتهما، فمات صاحب الحال من فوره، وعند زجِّ ذلك النار من القلب إلى الدماغ تكونُ الحركةُ والشطح من صاحب الحال، وأكثرُ خروجها ملتويةً متداخلةً، فتكون حركاتُ صاحب الحال غيرَ موازنة[2] ولا مربوطة بطريقة، وأكثرُ ما يظهر منهم الدوران، لأنَّ شكلَ الإنسان في الحقيقة مستديرٌ، والنارُ تجري على شكله، فإن كان ذلك السحابُ رقيقًا واسعَ الخلال، فإنَّ الحرارةَ تنفّس فيه[3]، فلا يظهر من صاحبه زفرة، ولا يُسمعُ لقلبه وجبة؛ ولكن يغلبُ عليه الضحكُ ما دام في ذلك الحال؛ لاتّساع[4] الذي يجده، فلا تغالطْ نفسَك أيُّها المريد، فقد أبنتُ لك صورةَ الأمر [٤٥٢/ب] فإن شئتَ أن تكونَ صاحبَ عقلٍ، وإن شئت أن تكون صاحب نفسٍ، والله تعالى يُصلحنا وإيّاك وجميعَ المسلمين. انتهى.

وهذه المقامات والأسرار كلُّها إذا أرادتَ أن تقفَ عليها على المقامات والأسرار فطالعْ كتابَنا الموسوم بـ: «مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء المخدرات بختمات اللقاء» وهو على ثلاثمئة باب، وثلاثةِ آلاف مقام، لكلِّ باب عشر مقامات كلُّها أسرار، بعضُها فوق بعض أو كتابنا المسمى «عقلة المستوفز». يقال: لفلان عقلةٌ يعتقلُ بها الناس إذا صارع، ويقال: به عقلةٌ من السحر، وقد علمتْ له النشرة أي الرقية. والعقلة في اصطلاح: حساب الرمل.

---

(١) في التدبيرات الإلهية: متراكمًا ما فيه خللٌ.

(٢) في التدبيرات الإلهية: غير موزونة.

(٣) في التدبيرات الإلهية: الحرارة تنفش فيه.

(٤) في التدبيرات الإلهية: للاتساع.

واستوفزَ في قعدته إذا قعدَ قعودًا منتصبًا غيرَ مطمئنٍ، فهو مستوفز.

واللهُ يحملُنا وإيّاك على منهجٍ أي الطريق الواضح الاستقامة، فإنّها أي الاستقامة في حدود الله تعالى أكبرُ كرامة.

الحمدُ لله الذي أذهب عنّا الحزن، وأعقبنا بعدَ السُّهادِ أي الأرقِ يعني السهر لذيذَ الوسن. الوسن والسِّنة: النُّعاس ولم يحجبْنا عن آياتِه الطيبة المحتد بخضراء الدِّمن يُقال: حتدَ بالمكان يحتد: أقام، وعين حُتُدٌ بضمتين: لا ينقطعُ ماؤها، وليس من عيون الأرض، والمحتدُ: الأصل والطبع. والدِّمن بالكسر السرقين. وفي الحديث: «إيّاكم وخضراءَ الدِّمن»[1] يعني المرأةُ الحسناءُ في منبتِ السوء، يعني: ظاهرُها أحسنُ ما يكون، وباطنُها ضدُّ ذلك.

إنه الجوادُ المنعم ذو الآلاء والمنن، وصلّى الله على من أرشد إليها إلى الآيات والنِّعم والمنن في السرِّ والعلن في الباطن والظاهر.

* * *



(١) الحديث أخرجه الشهاب في المسند ٢/ ٩٦ (٦٢٢)، وذكره الغزالي في الإحياء ٢/ ٤١ و٤/ ١٠٥، قال الحافظ العراقي: رواه الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري، قال الدارقطني: تفرّد به الواقدي، وهو ضعيف.

[١٥٣] المرتبة الثالثة من المراتب الثلاث

الفلك الثامن الإيماني
المطلع الثالث الخلقي

الخلق: هو ما يرجعُ إليه المكلّفُ من نعته، يعني أنَّ خلقَ كلِّ مخلوقٍ هو ما اشتملتْ عليه نعوتُه وصفاته، فكان المراد بالخلق صفاتِ النفس، فإن كانتْ محمودةً فهو على خلق محمود، وإن كانتْ مذمومةً فهو على خلقٍ مذموم.

الخلقُ الحسنُ: مع الحقِّ كلُّ ما يأتي من العبد يُوجبُ عذرًا، وكلُّ ما يأتي من الحقِّ يُوجب شكرًا.

الحسن الخلق: مع الخلق هو بذلُ المعروف، واحتمالُ الأذى، وكفُّ الأذى.

الخلقُ الكامل: وهو العلمُ والجود والصبرُ.

الخلقُ العظيم: هو أكملُ ما يمكنُ أن يتَّصفَ به من مكارم الأخلاق. وقد مرّ تفصيلُها اصطلح وترجم ذلك المطلع الثالث الخلقي.

هلال محاق الذي يُرى في آخر الشهر **طلعَ** ذلك الهلال بنفسِ **الإمام المدبرّ في عالم الجبروت والملكوت**. مرّ تفصيلها فهنّا.

التهنئة ضدُّ التعزية، يعني الدُّعاء بالتبرّيك **ليتَ شعري** [معناه ليتني][١] **أشعر** فـ(أشعر) هو الخبرُ، ناب (شعري) عن (أشعر)، والياء المضافُ إليها شعري عن اسم ليت. وليت تتعلّق بالمستحيل غالبًا وبالممكن قليلاً، وقد تنزلُ منزلةَ وجدت.

هل سمعَ السيدُ الفاضل فاعل (سمع) **الحكيمُ القائل** مفعوله. الحكيمُ: هو الإنسان الذي رزقَه اللهُ الضبطَ والتمييز، فهو تميزٌ بين الحقِّ والباطل، والحسنِ والقبح، ويضبطُ نفسه على ما ينبغي من اعتقادِ الحقِ، وفعلِ الحميد فلا يرسلُها فيما لا ينبغي من الباطل علمًا وعملاً، ولا يفعل قبيحًا إذا قال القائل الحكيم، ومقوله:

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من الكليات ٤/ ١٦٦.

١ـ نحن حزبُ اللهِ مَنْ يلحقُنا جدُّنا جدٌّ وجدٌّ هزلُنا

حزب الرجلِ: أصحابهُ، والحزبُ أيضًا الورد، والحزب أيضًا الطائفة، وتحزّبوا: تجمّعوا، والأحزابُ: الطوائف التي تجتمعُ على محاربةِ الأنبياء عليهم السلام، وهم قومُ نوح، وعاد، وثمود، ومَنْ أهلكهم مِنْ بعدهم، قال تعالى حكايةً عن نبيِّه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [غافر: ٣٠].

وحزبُ الرجل: جندُه. وأصحابه الذين على رأيه.

وحزب الله: هم الذين امتثلوا لأوامرِ الله، واجتنبوا عن نواهيه، وهم أصحابُ النجاة والفلاح، كما قال تعالى في حقِّهم: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

لحِقَه بالكسر، ولحقَ به لحاقًا وبالفتح: أي أدركه، وألحقه به: غيره، ولحق: كسمع لُحوقًا ضم. الجَدُّ، وهو أن يُرادَ باللفظ معناه الحقيقي أو المجازي، وهو ضدُّ الهزلِ، والهزلُ وهو ألاّ يرادَ باللفظ معناه لا الحقيقي ولا المجازي، وهو ضدُّ الجَدّ، قال عليه السلام: «ثلاثٌ جَدُّهنَّ جدٌّ وهزلهنَّ جدٌّ: النكاح، والطلاق، واليمين»[1].

يعني كلُّ كلامٍ صدر منّا إنّما هو حقيقةٌ ونصيحةٌ وإرشاد، ولو كان في صورة الهزل والمزاح ليس عبثًا من غيرِ فائدةٍ، بل فيه عبرةٌ ونصيحة وإرشاد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧] و(من) في (من يلحقنا) شرطيةٌ و(يلحقنا) فعلُ الشرط، وقوله: (جدُّنا جدٌّ وجدٌّ هزلنا) جملتان مُعترضتان بين الشرط والجواب، وجوابُ الشرط ما بعده، يعني: من يلحقنا أي يُدركنا:

٢ـ أُشهدَ الأسرارَ من أحبابه مَنْ يشاءُ ولها أشهدنا

أشهد بمعنى أُحضر، يعني: من يُدركنا عاين الأَسرار من أحبابه من أمثالنا. و(من يشاء) بيانٌ من جملة (أحبابه) يعني من يشاء [٤٥٣/ب] واحدًا من أحبابه من أمثالنا، والضميرُ في (لها) عائد إلى (الأسرار) يعني: وأشهدنا لمشاهدة تلك الأسرار يعني بلحوقه في طريقتنا يشاهدُ لأسرار الإلهية بإمدادِ روحانيتنا به.

---

١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٨٠).

٣ـ فمتى أدرككم[١] فينا عمًى ... سائلوا عنّا الذي يَعرفُنا

العمى: ذهاب البصر، ويجيء بمعنى الالتباس، كما يُقال عَمِي عليه الأمر: أي التبس، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ [القصص: ٦٦] المرادُ ههنا المعنى الثاني، وسأله كذا، وعن كذا، وبكذا: بمعنى عنه، ويقال: سأل يسأل: كخاف يخاف، وأمّا قولُ بلال بن جرير[٢]:

إذا ضفتهم أو سايلتهم ... وجدتَ بهم علّةً حاضره

فجمع بين اللغتين: الهمزة التي في سألته، والياء التي في سايلته جمع بينهما، ووزنه فعايلتهم. وهذا مثالٌ لا نظيرَ له، فقوله: (سائلوا) أمرٌ للجمع المذكر، من باب المفاعلة، على تبديل الهمزة بالياء، يعني: من سائل، والأمر سائل، وجمعه سائلوا عنّا العارفَ الذي يعرفنا، يعني: متى ما أدرككم التباسُ: اشتباه في أمثالنا، فاسألوا عن أمثالنا العارفَ الذي يعرفنا، حتى يعرّفكم أمثالَنا، فتستفيدون من روحانيتنا، وتشاهدون الأسرارَ الإلهية بإفادتنا.

٤ـ ذاكمُ اللهُ عظيمٌ جدُّه ... يَمنحُ الأسرارَ من شاءَ بنا

الجَدّ: يجيء لمعانٍ: أبو الأب، وأبو الأم، والبختُ والحظُّ، والحظوةُ والرِّزق، والغنى والعظمة. يعني: المعطي على الإطلاق إنّما هو الله الذي عظيمٌ فيضُه وغناه، يُعطي الأسرارَ من شاءَ من عباده بنا، أي بواسطتنا. هكذا جرت سُنَّةُ اللهِ في عباده، ولا تجد لسنة الله تبديلاً.

٥ـ طالما كنّا رجالاً هتفتْ ... بهم الوَرْقُ بدوحاتِ مِنى

و(ما) ههنا زائدة كافّةٌ عن عملِ الرفع، وهي تتّصل بقل و(طال) و(كثر) نحو: قلما كان كذا، وطالما كان كذا، وكثر ما كان كذا. فكُفّ الفعلُ عن عمل الرفع، أي الفاعل. الهتفُ: الصوت، يقال: هتفتِ الحمامة، من باب شرب. وهتفَ به: صاحَ به، يهتِفُ بالكسر: هِتافًا بكسر الهاء، ويُقال للحمامة: ورقاء، لأنّ في لونها بياضًا إلى سواد، وجمعها وُرق، كحمراء وحُمر، والدوحةُ: الشجرة العظيمة من أيِّ شجرٍ كان، والجمعُ دوحٌ ودوحات، ومنى مقصور موضعٌ بمكة، وهو مذكّرٌ مصروف، قال يونس: امتنى القوم أتوا منى. وقال ابنُ الأعرابي:

---

(١) في المطبوع (٢٦٦): فمتى أدركك.

(٢) البيت في الشعر والشعراء ٤٦٤، وفي الخصائص لابن جني ٣/ ١٤٦، وسر صناعة الإعراب ١/ ٤٢٠، والبيت في اللسان (سأل).

أمنى القوم يعني: كنّا رجالاً طال إقامتُنا بمكّة المكرمة. وصاحتْ بنا الحماماتُ بأشجار منى. أي طال إقامتنا في زيارة بيت الله المحرم وصاحتْ بنا حماماتُ المعارفِ الإلهية بأشجارِ مقاصدنا.

٦ـ فرمينا جمرةَ الكَونِ بها　　　فرُمينا بمريشاتِ القنا

الجمرة: من النار، والجمرةُ أيضًا: واحدُ جمرات المناسك، والجمرةُ: الحصاةُ، رأسُ السهم أُلزق عليه الريش، فهو مريش.

وفي «القاموس»: راش السّهمَ يريشه: ألزقَ عليه الريش، فهو مَرِيشٌ، ومُرَيَّشٌ، ورمح راش خوّارٌ شُبّه بالريش [ضعفًا].

والقنا جمع قناة: وهي الرمح. وقد مرّ تفصيلُ الجمرات عبارةً وإشارةً في بيان أعمال الحج. والمراد ههنا [٤٥٤] برمي الجمرة: الكون في مكة: هو تركُ الدنيا، يعني ألقى محبّةَ الدنيا عن قلبه، الذي هو بيتُ الله، وقوله: فرمينا بمريشات القنا: كنايةٌ عن مجاهدةِ النفس، يعني: جاهدنا في الله لله بالله مع الهوى والنفس، حتى لا يدخلَ ما سوى الحقِّ في بيت قدسه، لنهتدي بطريق الوصول إليه سبحانه، كما قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٧ـ وازْدلفنا زلفةَ الجمعِ فهلْ　　　أسمعَ القوم مُناجاةَ المُنى

الزلفة والزلفى: القربة والمنزلة، وازدلفَ: من باب الافتعال، قُلبت تاؤه دالاً لوقوعها بعد الزاي المعجمة، مثل ازدجر، وعلى هذا معنى الازدلاف يكونُ بمعنى الاقتراب، ومزدلفة: موضعٌ بمكة شرّفها الله بين عرفات ومنى، لأنّه يُتقرَّبُ فيها إلى الله، أو لاقترابِ الناس إلى منًى بعد الإفاضة، أو لمجيء الناسِ إليها في زلفٍ من الليل، لأن الزلفةَ أيضًا طائفةٌ من أول الليل، والجمع زلف. يعني: اقتربنا قربةَ الجمعِ لا قربة الفرق.

والجمعُ يُطلق في اصطلاح القوم على عدَّة معان، منها:

أنهم يُشيرون بالجمع إلى حقٍّ بلا خلق، وبالتفرقة إلى العكس، ويقولون: الفرقُ رؤيةُ خلقٍ بلا حقٍّ.

وقالوا: الجمعُ هو الاشتغال بالحقِّ، بحيث يُجمعُ الهمُّ ويتفرَّغُ الخاطرُ للتوجّه إلى حضرة قدسه تعالى، وإنَّ الفرقَ هو تفرقةُ الخاطر عن ذلك.

وقد يُطلقون الجمعَ ويُريدون به شهودَ ما سوى الله قائمًا بالله.

وتارةً يعبّرون بالجمعِ عن حالِ من أثبتَ نفسه، وأثبت الحقّ، ولكن شاهدَ الكلَّ قائمًا به سبحانه وتعالى، وهو المرادُ ههنا، وقد سبق تفصيلُ الجمع والفرق مرّةً بعد أُخرى.

وأسمعه الحديثَ: يتعدّى إلى مفعولين. وأسمع القوم على البناء للفاعل، يعني هل أسمع القوم مناجاة المنى لغيرهم، أو على البناء للمفعول، يعني: هل أَسمع اللهُ القومَ مناجاة المنى. والنجو: السر بين اثنين، يقال: نجوتُه نجوًا، أي: ساررته، وكذا ناجيتُه مناجاةً، والمُنى بضم الميم وقصر الألف جمع مُنْية: بضم الميم وسكون النون، بمعنى المقصود والمتمنى. يعني اقتربنا قربةَ الجمع، فهل أسمع القوم مناجاةَ المقاصدِ من الحقّ وهي:

٨ ـ يا عبادي هل ترون ما أرَى ‏ ‏ ‏ ‏ يا عبادي هل بنا أنتم أنا

هذا خطاب الحقّ سبحانه سرًّا لقلوبِ المقرّبين الموحّدين، من مقام الجمع عند شهودهم ما سوى الله قائمًا بالله تعالى، أعني: وجودات الأشياء قائمةٌ بوجوده تعالى، وحياتُها بحياته تعالى، وسائرُ الصفات بصفاته تعالى، أعني: وجوداتهم المفاضة الحادثة مستمدّة ومستفيضة من مددِ فيضِ الوجود المُطلق القديم، وحياتُهم من حياته المطلق القديم، وعلومهم من فيضِ العلم الأزلي، وسائر صفاتهم الحادثة من فيض صفاته القديمة المطلقة، وللفرق بين الحادث والقديم، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [الزمر: ٥٣] وإن كان وجودُكم مفاضًا من وجودي، وصفاتُكم من صفاتي، ولكن ليس وجودُكم عينَ وجودي، ولا صفاتُكم عينَ صفاتي، أنبؤوني هل ترون ما أرى؟ وهل تعلمونَ ما أعلم؟ وهل تقدرون على ما أقدر؟ وبإفاضتي إليكم الوجود والصفات هل أنتم أنا؟ استفهام إنكار، يعني لستمُ عيني، ولا صفاتكم [٤٥٤/ب] عين صفاتي، فإنكم باعتباري حدوثُكم وبقيتُكم وتقيدكم اكتسبتم الغيرية.

٩ـ خرسَ القومُ وقالوا ربَّنا ‏ ‏ ‏ ‏ أنتَ مولانا ونحنُ القُرنا

خرس من باب طرب، فهو أخرس بيّنُ الخرس، أي منعقدُ اللسان عن الكلام، وأخرسه الله. والمولى: المالكُ والعبد، والمعتِق والمعتَق، والصاحبُ والقريب، كابنِ العم ونحوه، والابن، والعمّ، وابن العم، وابن الأخت، والولي، والربّ، والناصر، والمنعِم والمنعَم عليه، والمحب، والتابع، والصهر. كذا في «القاموس».

وقال في «الكليات»[١] المولى: هو لفظٌ مشتركٌ لمعانٍ هو في كلٍّ منها حقيقة: كالمعتِق والمعتَق، والمتصرِّف في الأمور، والناصرُ والمحبوب ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] أي لا ناصرَ لهم فيدفع عنهم العذاب ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] أي مالكهم ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥] أي هي أولى بكم، أو مكانكم عمّا قريب، أو ناصركم أو متوليكم. والموالي جمع مولى مخفّف مولى، كما قالوا في المعنى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥] والمراد ابن العم. ومعنى حديث: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»[٢] أي من كنت ناصرَه على دينه، وحاميًا له بباطني فعليٌّ ناصره وحاميه بباطنه وظاهره.

وقرنَ الشيءَ بالشيءِ: وصله به، وبابه ضرب ونصر. والقرينُ: المُصاحب، والجمع قرناء، كالأمين والأمناء، يعني: من خطابَ الحقِّ لهم: هل ترون ما أرى؟ هل بنا أنتم أنا؟ انعقد لسانُهم عن الكلام، وقالوا معترفين بربوبيّتِهِ تعالى: أنت مولانا ونحنُ العبيد القرناء، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

١٠ـ يا عبادَ اللهِ سمعًا إنَّني روحُ مولاكم أمينُ الأُمنا

وهذا الخطاب من مرتبة الروحانية المحمدية الفردية: يا عبادَ الله، اسمعوا سمعًا وطاعةً، إنني روحُ مولاكم، لأنّه أولُ ما خلقَ الله روحي، وهو الروحُ المضافُ إليه تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ـ ٧٢] وإنني أمينُ الأمناء لكنزِ الأسرار الإلهية. والأمينُ يجيء بمعنى القويّ والمؤتمن، ويجيء بمعنى الأمن والمأمون.

١١ـ أنا ماحي الكونَ من أسرارِكُم أنا سرُّ الكنزِ ما الكنزُ أنا

الأسرار: جمع سرّ، وهو عبارةٌ عن حصّة كلِّ موجودٍ من الحقِّ بالتوجّه الإيجادي المنبّه عليه بقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] يعني: أنا ماحي الكون من أسراركم، لأنّي سرُّ الكنز المخفي.

والكنزُ المخفيُّ: ليس أنا من حيث هو هو، والكنزُ المخفيّ يشيرون به إلى كنه الغيبِ، إطلاق الذات الأقدس، وباطن الهوية الأزلية، كما جاء في الكلمات القدسية التي أخبر بها

---

١) الكليات ٤/ ٣٠٠.

٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٦٨ و٣٧٠، والترمذي (٣٧١٣).

رسولُ الله ﷺ عن ربِّه عزّ وجل أنه تعالى يقول: «كنتُ كنزًا مخفيًا، فأحببتُ أن أُعرف، فخلقتُ الخلقَ لأُعرف»[١] فكان الكنزُ عبارةً عن غيبٍ مغيّبٍ مكنون، وسرٌّ مستترٍ مصون مضنون مخزون، مشتملٍ على جواهرَ عظيمةِ الجدوى هي أسماء الذات، التي هي أنفس نفائس حقائق الأسماء، التي منها ما يَستأثرُ به في مكنونِ الغيب عنده، فلا يعلمُها إلاّ هو، ومنها ما يسمحُ بتعريفه لمن أنعم عليه بتشريفه، ومشتملٍ أيضًا على درر أسماء الصفات التي [٤٥٥] بتعريفها يكملُ من يصلح لتشريفها، ومشتملٌ أيضًا على لآلىء أسماء الأفعال العام نفعها وأثرها والمستفيض حكمها وخيرها في جميع المراتب الكونية.

١٢ـ أنـا جبـريـلُ وهـذي حكمتي فـاقـرؤوهـا تكشفـوا مـا كَمَنـا

والمراد ههنا من جبريل هو مظهرُ العقل الأول، كما قال عبدُ الكريم الجيلي قُدّس سره في «الإنسان الكامل»[٢] في العقل الأول: إنه محتد[٣] جبريل عليه السلام من محمّدٍ ﷺ: فإن [علم] العقل الأول والقلم الأعلى نورٌ واحد، فبنسبته إلى العبد يُسمّى بالنور والعقل الأول، وبنسبتِهِ إلى الحقِّ يُسمّى القلم الأعلى، ثم إنَّ العقلَ الأول المنسوبَ إلى محمد ﷺ خلقَ اللهُ جبريلَ منه في الأزل، وكان محمدٌ ﷺ أبًا لجبريل وأصلاً لجميع العالم، فاعلمْ إن كنتَ ممّن يعلم فديت من يفهم، فديت من يعقل، ولهذا وقفَ جبريلُ في إسرائه، وتقدَّمَ وحدَه، وسُمّي العقل بالروح الأمين لأنّه خزانةُ علم الله وأمينُهُ، وسُمّي بهذا جبريل من تسميةِ الفرعِ بأصله. وقد مرَّ تفصيلُه في الفرقِ بين العقل الأول والعقل الكل، وعقل المعاش.

وكمن: اختفى، وبابه دخل، ومنه الكمينُ في الحرب. وحزنٌ مكتمنٌ في القلب: أي مختفٍ. وفي «القاموس»: كمنَ له كنصر وسمع كمونًا: استخفى، وأكمنَهُ. والكَمينُ كأمير: القومُ يكمنون في الحرب. واكتمنَ اختفى.

يعني: أنا مظهرُ العقل الأول، وهذِي حكمتي، والمشار إليه مضمون القصيدة، فاقرؤوها أي تلك الحكمة إن تقرؤوها تكشفوا ما خفيَ من الأسرار الإلهية.

والحكمة: هي الاطلاعُ على أسرار الأشياء، ومعرفةُ ارتباط الأسباب بمسبباتها، ومعرفةُ

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١١٤).

(٢) الإنسان الكامل ٢/ ١٩.

(٣) في هامش الأصل: المحتد: الأصل، والطبع، وككتف: الخالص الأصل من كل شيء. من «القاموس».

ما ينبغي على ما ينبغي بالشروط التي تنبغي، فمن عرفَ الحكمةَ ويُسّر العمل بها فذلك الحكيمُ الذي آتاه الله الحكمة، فأحكم وضع الأشياء في مواضعها، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقد سبق تفصيلُ الحكمةِ الجامعة، والحكمة المنطوق بها، والحكمة المسكوت عنها، والحكمة المجهولة.

والكشفُ في اللغة: رفعُ الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاعُ، وهو الإطلاق على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا.

١٣ـ جئتُ بالتوحيدِ كي أرشدَكُم ... فـاقتلـوا أنفسَكُـمْ مـن أجلنـا

التوحيد: اعتقادُ الوحدانية لله تعالى، وهو على مراتب:

توحيد العامة: وهو أن يشهدَ أن لا إله إلا الله.

توحيد الخاصة: ألاّ يرى مع الحقِّ سواه.

توحيد خاصة الخاصة: ألا يرى سوى ذات واحدة.

توحيد الأفعال: هو تجريدُ الأفعال عمّا سوى الواحد الحق، بحيث لا يرى في الوجودِ فعلاً ولا أثرًا إلاّ الله الواحد الحق.

توحيد الصفات: هو تجريدُ الصفات، يعني تجريدُ القوى والمدارك وما يُنسب إليها من الصفات عمّا سوى الحقّ عزّ وجل.

توحيد الذات: هو تجريدُ الذات عمّا سواها بحيث لا ترى في الوجود إلاّ ذاتًا واحدة بتعيناتها. وقد سبقَ تفصيلُها.

والمرادُ من قتل النفوس عبارة عن قوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تَموتوا»[1] قال جعفرُ الصَّادق رضي الله عنه: الموتُ هو التوبة، قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فمن تابَ فقد قتلَ نفسه.

والموتُ الأبيض: يعنون به الجوع، فإذا كان [٤٥٥/ب] السالكُ ممّن لا يعرف الشبع، بل لا يزالُ جائعًا، فقد ماتَ الموتَ الأبيض، وحينئذ تحيا فطنتُه إذ كانتِ الفطنةُ تُميت البطنة، إذا ماتتْ بطنتُه حييت فطنتُه.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه (١/ ١٧٢).

والموتُ الأخضر: هو لبس المرقع، وهو أن يقتصرَ على ما يسترُ العورة ممّا لا قيمة له، ولمّا لم يكنْ كذلك إلاّ الخرق الملقاة على المزابل، اقتصرَ صاحبُ هذا المقام من لباسه على ما يجمعه منها ويغسله، لتصحَّ صلاتُه فيه، فمن اقتصرَ في لباسه على هذا القدر فقد ماتَ الموتَ الأخضر، وحينئذ يحيا بجماله الذاتي المستغني عن التجمّل العرضي.

والموتُ الأسود: هو احتمالُ أذى الخلق، فإذا تحقَّقَ بالمقام الذي يصيرُ فيه بحيث لا يجدُ في نفسِه حرجًا ممّا يناله من أذى الناس وسبِّهم وغير ذلك، فقد مات الموت الأسود. وحينئذٍ يحيا بالإمداد من حضرة الجواد، لأنّه يكونُ ممّن لا يرى صدور الكلِّ إلاّ من محبوبه.

والموت الأحمر: هو مخالفة الهوى، وهذا هو الموتُ الجامع لباقي الموتات كلها، وإليه الإشارةُ بقوله عليه السلام لما كان يرجعُ من قتال الكفار: «رجعنا من الجهادِ الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: يا رسولَ الله، وما جهادُ الأكبر؟ قال: «مخالفة النفس»[1] وفي حديث آخر: «والمجاهدُ من جاهدَ نفسه»[1] قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فمن ماتَ عن هواه فقد حييا بهداه من موت الضلالة، وبمعرفته من موتِ الجهل، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ من قتل النفوس فناء الذوات في ذات الحقِّ، وحينئذ يبقى ببقاء الحق.

حاصلُ الكلام معنى التوحيد إنّما هو الفناءُ في الله، والبقاء لله.

١٤ـ فخذوا عنّي فيكم عجبًا   تجدوا السرَّ لديه عَلَنا

العَجَبُ بفتحتين روعةٌ تعتري الإنسان عند استعظام الشيء، وهو من الله إمّا على سبيل الفرض والتخيّل، أو على معنى الاستعظام اللازم للعجب، إذ هو علاّمُ الغيوب لا يخفى عليه خافية. وفي «القاموس»: العجب من الله الرضا منه.

العلانيةُ: ضدُّ السر، يُقال: عَلَنَ الأمرُ من باب دخل وطرب. وفي «القاموس»: علنَ الأمرُ كنصر وضرب وكرُمَ وفرح عَلَنًا وعَلانيةً، واعْتَلَنَ: ظهر، وأَعْلَنْتُهُ وبه عَلَّنْتُهُ أظهرته، والإعْلان المُجاهرة، يعني: خذوا عنّي في أنفسكم سرًّا عجيبًا من الأسرار الإلهية، أن تأخذوا تجدوا ذلك السرَّ العجيب الخفيَّ أي التوحيد الحقيقي لدى الأخذ عنّي عَلَنًا ظاهرًا بالعلم والحال.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٨٩).

١٥ـ ميِّزوا الأحوالَ في أنفسِكُم لا تكـونـوا كـدعـيٍّ فُتنـا

الأحوال: يُشيرون بها إلى الواردات التي يحصلُ بعضها من ثمرات الأعمال الصالحة الخالصة من الأكدار، وبعضُها من المواهب الإلهية الخارجة عن التعمّل والاكتساب، والدعي من تَبَنّيتَهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤] ويقال: فلانٌ دعيٌّ، أي: بيّنُ الدعوى في النسب، وادّعى عليه كذا، والاسم الدَّعوى.

والفتنة: الاختبار والامتحان، تقول: فتن الذهب يفتِنُه بالكسر فتنةً ومَفتونًا أيضًا إذا أدخلَهُ النار، لينظر ما جودتُهُ، يعني: إن تجدوا سرَّ التوحيد في أنفسكم بالعلم والحال، لا بمجرَّدِ المقال، فميّزوا أحوالَكم في أنفسِكم، ولا تكونوا كالمدَّعي المفتون بنار الإلحاد والخسران.

١٦ـ إنَّ صحوَ العبدِ سكرٌ إن بدا عـالـمُ الأمـرِ لـه فـافتتنـا

[٤٥٦] الصحو: رجوعٌ إلى الإحساس بعد غيبةٍ حصلت من واردٍ قويٍّ.

وصحو الجمع: ويقال: مقامُ صحو الجمع، ويعني به الإفاقة من سكرِ التفرقة والغيرية بالتحقّق بأحدية الجمع التي تنفي الأغيار والمغايرة، وقد يُعبَّرُ بصحو الجمع عن الفرق الثاني، وهو المُسمّى بجمع الجمع بأحد معانيه، وهو شهودُ الوحدةِ في الكثرة، وشهودُ الكثرة في الوحدة.

وصحو المفيق: ويقال: مقامُ صحو المفيق، ويعني بالمفيق من بلغ إلى أعلى المقامات الذي هو مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وهو مقام أحدية الجمع، ولهذا اختصّ مقامُ صحو المفيق بأنّه هو مقامُ نبيِّنا ﷺ لأنّ مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ هو مقام الخاص به ﷺ.

والسكر: غيبةٌ بواردٍ قوي، والمراد بالغيبةِ هدمُ الإحساس، فمن غابَ بوارد قويٍّ يُسمّى سكران، وذلك أنَّ العبدَ إذا كوشف بنعتِ الجمال الذي عرفته في باب تجلّي الأفعال، حصل له السكرُ وطربُ الروح، وهامَ القلبُ، فإذا عاد من سُكره يُسمّى صاحيًا، والصحو مختصٌّ بأهلِ السماع، فإنّ السكرانَ لا يسمعُ ولا يفهم، كما أن السكر حالُ صاحب الرؤية عندما ينقهر تحت سلطان الجمال وما يخفى أن الصحو، والسكر بعد الذوق والشرب، وقد يعني بالسُّكر رؤية الغير والغيرية، ويقابلُهُ صحو الجمع، وقد يُفسّرُ السكر بأنه حالةٌ للنفس تردُ عليها من عالم القدس، يؤدّي بها إلى ما هي بصددِهِ من النظام المتعلّق بعالم الأجساد، بحيث يوجبُ الاختلالُ في الحركات والسكنات، ويقال الصحو، ويُراد به الرجوعُ عن تلك الحالة

بحيث يزولُ ذلك الاختلالُ الواقع في النظام، والعود إلى ما كان عليه بالتمام. انتهى. من الفرغاني[١].

هذا البيتُ بيانٌ لتمييز الأحوال، يعني صحو العبد يعني حالة صحوه حالة سكران، بدا له عالمُ الأمر، فافتتن[٢] وإلا حالة صحو، وعالمُ الأمر هو ما صدر عن الله بلا واسطةٍ إلاّ بمشافهةِ الأمر، وهو عالم الملكوت باعتبارٍ، وعالم الجبروت باعتبارٍ، وعالم الخلق هو ما صدرَ عن الله بواسطةِ سببٍ، وهو عالم الجسماني، يعني إن ظهر للعبد كيفية عالم الأمر، فحالُه سكرُه، وإلاّ حاله صحوٌ، فميزّ حالك.

١٧ـ مثل أنَّ المحوَ دعوى إن بدَتْ ... في محيّاه علاماتُ الونا

المحو[٣]: رفعُ أوصاف العادة، ويقابلُه الإثبات الذي هو إقامةُ أحكام العادة.

محو أرباب الظواهر: هو أن تمحوَ عن نفسك ما قد اعتدته من الخصال الذميمة، ثم تستعوض عنها الخصالَ الحميدة، فإن حصلتَ ذلك فأنتَ صاحبُ المحو والإثبات الذي يقتصرُ عليه نظرُ أهل الظواهر.

محو الجمع: عبارة عن فناءِ الكثرة في الوحدة.

المحو الحقيقي: هو المحو بشرطِ العبودية. وقد مرّ تفصيلُ محو أرباب السرائر، ومحو العبودية، ومحو عين العبد، ومحو أهل الخصوص، ومحو التشتُّت، ومحو المحو الذي هو البقاءُ بعد الفناء.

والمحيا: بمعنى الوجه.

والونا: الضعفُ والفتور والكلال والإعياء، يقال: ونى في الأمرِ يَنِي بالكسر، ونًى ونيًا أي ضعف، فهو وانٍ، يعني: إن ظهرتْ في وجه العبدِ علاماتُ الضعف والفتور والكلال فهو صاحبُ الدعوى لا صاحب الحال، فإنِ ادّعى حالَ المحو، فهو كاذبٌ في دعواه، لأن صاحبَ حال المحو لا تظهرُ في وجهه آثارُ الانفعال من العوارضات.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٥٥ (تعريف الصحو).

(٢) جاء في هامش الأصل: افتتن الرجل، وفُتن، فهو مفتون: إذا أصابته فتنة، فذهب ماله وعقله.

(٣) مادة (المحو) من لطائف الإعلام ٢/ ٢٧٧.

١٨ـ قال لي المثبتُ في أحوالِهِ طبتَ بالحقِّ فكنتَ المأمنا

[٤٥٦/ب] وقد عرفت تفاصيل المحو والإثبات والأحوال.

وطاب يطيبُ طابًا، وطِيبًا، وطيبةً، وتطيابًا لذَّ وزكا، والطيب والطُّوبى بمعنًى، وجمع الطيبة، وتأنيثُ الأطيب، والحُسنى والخيرُ والخِيرةُ، وشجرةٌ في الجنة بالهندية، كطيبي وطوبى. والطيب معروف، والحِلُّ كالطيبة، والأفضلُ من كلِّ شيءٍ، وطبتُ به نفسًا: طابتْ به نفسي. والمأمنُ: محلُّ الأمن بمعنى الأمين.

يعني: قل للمثبتِ الذي محا عن نفسه الخصال الذميمة، وأثبتَ فيها الخصالَ الحميدة في أفعاله وأحواله: طبت بالحقّ، فكنت أمينًا لأسرار الحقّ.

١٩ـ ليستِ الهيبةُ خوفًا إنَّها أدبٌ يَعْرِفُهُ العذبُ الجنى

الهيبة[1]: هي أثرُ مشاهدة جلال الله سبحانه في القلب، وقد تكون الهيبةُ عن الجمال الذي هو جمالُ الجلال. وحقُّ الهيبة الغيبة إذ كلُّ هائبٍ غائب، ثم تتفاوت الغيبةُ على حسب تفاوت الهيبة.

وقيل: الهيبةُ والأنس حالتان شبيهتان بالقبض والبسط تعرضان للنفس باعتبار ما يعتريها عند ملاحظتها للجنبة العالية، فإن لها حينئذ نسبتين:

أحدهما: نسبتها بحسب قياس اشتغالها بعلوِّ تلك الجنبة، فإنه حينئذ لا ترى نفسها أهلاً للحظوة بتلك الجنبة، لعلمها بأنَّ العالي لا يستأهله إلاّ من يكون كذلك، وحينئذ تعرض لها الحالةُ المسماة بالهيبة، فإنّه مَنْ لا يرى نفسَه أهلاً للقرب منه ولا للانتساب إليه فإنّه يهابُهُ لا محالة.

وثانيهما: حالةُ النفس بحسبِ ما يعرض لها عند ملاحظتها للإمداد الواصل إليها من حضرة الجواد بصنوف النعم والهبات الموجبة للأنس بالمنعم، كيف وهو المنعمُ بالوجود بعد العدم، وبالعلم بعد الجهل، وبالإيمان بعد الكفر، وبالأمن بعد الخوف.

والخوف[2]: ما يحذرُ من المكروه في المستأنف، والخائفون من الله سبحانه منهم من

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٧٤، وقد تقدمت قبل صفحة (٣٤٨/ب).
(٢) لطائف الإعلام ١/ ٤٥٦، وقد تقدمت قبل صفحة (٣٤٦/ب).

يبلغ به الخوفُ إلى حدِّ الانخلاع عن طمأنينته للأمن خوفًا من العقوبة، أو من المكر، أو من الهيبة.

خوف العامة: من العقوبة تصديقًا للوعيد.

وخوف أرباب المراقبة: من المكر في جريان الأنفاس.

وخوف الخاصة: إجلالٌ وهيبة، إذ ليس في مقامِ الخصوص وحشة الخوف، كما عرفتَ في باب الحزن. كما قيل:

كـأنّمـا الطيـرُ فـوق أرؤسِهـم　　　لا خوفَ حزنٍ ولكن خوفَ إجلال[1]

فالهيبةُ والإجلال هو أقصى درجة يُشار إليها في غاية الخوف، كما قال عليه السلام: «أنا أتقاكم لله، وأشدُّكم منه خوفًا»[2] فإنَّ الخوف من الإعراض إنّما يكون على قدر الإقبال، وحيث ما كان الإقبال أتمَّ كان الخوفُ من الإعراض أشدَّ، وحيث لا أتمّ من الإقبال من الله عليه ﷺ، فكذا لا خوفَ أشدّ من خوفه عليه السلام.

والأدب[3]: هو حفظُ الحدِّ بين الغلوِّ والجفاء، أي بين الإفراط والتفريط، وذلك أن يؤمَّ السالكُ طريقًا متوسّطًا بينهما. وقد سبق تفصيلُ الأدب مع الحق، ومع الخلق، وأدب الشريعة، والخدمة، والحقيقة.

والعذبُ من الطعام والشراب: كلُّ مُستساغٍ أي سهل المدخل، كما يقال: ساغَ الشرابُ سوغًا وسواغًا، سهل مدخلُه، والعذب شجرٌ.

والجنى: ما يُجتنى من الشجر، يقال: أتانا بجناة طيبة، وكلُّ ما يُجنى فهو جنى وجناة، والمرادُ بالعذب الجنى [٤٥٧] هو العارف الذي اجتنى ثمرةَ المعارف من شجرةِ الحقائق على طريق الاعتدال، سائغة هاضمة، وهو عينُ الأدب، ولذلك قال: أدب يعرفه العذب الجنى.

وحاصلُ الكلام: ليست الهيبةُ خوفَ حزنٍ، بل هي خوفُ إجلالٍ، لأنَّ الهيبةَ أدبٌ يعرفه العارفُ الأديب الذي اجتنى ثمرَ المعرفة من شجرِ الحقيقة بين الجلال والجمال، لأنَّ الهيبةَ والأُنس مقتضى الجلال والجمال، فيكون العارفُ الأديب بين الخوف والرجاء.

---

(١) تقدم البيت وتخريجه صفحة (١/ ٤٦٥).

(٢) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٤٦٥).

(٣) لطائف الإعلام ١/ ١٨٢.

٢٠ـ حالُها الإطراقُ من غيرِ البكا ووجـودُ الجهـدِ مـن غيـرِ عنـا

يقال: أطرقَ، إذا سكتَ، ولم يتكلّم، وأرخى عينيه ينظرُ إلى الأرض.

والجُهد: بالضم والفتح: الطاقةُ، وبالفتح الهاء من أسماء الجماع، وجهدُ البلاء: هي الحالةُ التي يُختارُ عليها الموت، أو كثرةُ القتال والفقر.

وعنا: خضعَ وذلَّ، وبابه سما، ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١] وعنِي بالكسر عناءً أي تعبَ ونصب، وعناه غيره تعنيةً. يعني حال الهيبة الإطراق من غير البكاء، لأنَّ البكاءَ تقتضي من الحزن، وهذا الإطراقُ من خوفِ إجلالٍ، ووجود الجهد في حال الهيبة يكون من غير تعب.

٢١ـ وخليـف الأُنـس طلـقٌ وجهُـهُ إنْ تـدلّـي لحبيـبٍ ودنـا

الخليف بفتح الخاء وكسر اللام والمدّ الطريق بين الجبلين، ومنه قولهم: ذِيخُ الخليف كما يقال ذنب غضا. وفي «القاموس»: كأمير: الطريقُ بين الجبلين، أو الوادي بينهما، ومنه ذِيخُ الخليف أو مدفع الماء، والطريق في الجبل أيّا كان، أو الطريق فقط.

وطلق: ككرم، وهو طلقُ الوجه مثلّثة، وككتف وأمير: أي ضاحكة مشرقة.

والتدلّي: نزول المقرّبين إلى من يأنس به، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ... ﴾ الآية [النجم: ٨] ويطلقُ أيضًا على نزول الحقِّ إلى العبد عند التداني.

والأنس: حالةٌ جمالية تشابه البسط، لكنها أتمُّ من البسيط، لأنَّ أثرَ الجمال واللطف فيها أكثر، ولذا قيل: الأُنس أَثرُ المشاهدة في القلب من حيث الكمال لصفات الجمال. وتستعمل في مقابلةِ الهيبة والوحشة، وهما من آثارِ الجلال.

وفي «الفتوحات»[1]: وأكثرُ الطبقة يرون الأنسَ والبسط من الجمال، وليس من الجمال كذلك.

ثم قال: والأنسُ أثرُ مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جلالُ الجمال.

والدنوُّ: مقام القرب والوصول وعلمهما. والتداني يكنى به معراج المقرّبين، وذلك

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٣.

عندهم سيرٌ للعبد إلى العالم العلوية: إمّا بالروح كالأولياء، أو بالجسم المكتسب كسائر الأنبياء، أو بنفسِ البدن كمعراج نبيّنا ﷺ وعليهم أجمعين، ومعراجُهم إمّا بالأصالة، أو بدون الوراثة ينتهي إلى حضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وبحكم الوراثة المحمدية ينتهي إلى حضرة ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وخليف الأنس عطفٌ على (العذب الجنا) وهو كنايةٌ عن العارف الأديب الذي يكون ما بين الهيبة والأنس، ففي حالةِ الهيبة تكونُ حالةُ الإطراق، وفي حالةِ الأُنس إن تدلّي لحبيبٍ ودنا يكون طلقَ الوجه ضاحكًا.

٢٢ـ يرشدُ الخلقَ ويبدي رسمَهُ شاكرًا فاستمعوا إنْ أَذنا

الرشد: الاستقامة على طريق [٤٥٧/ب] الحقِّ مع تصلّبٍ فيه.

والرشيدُ: من صفات الله تعالى، بمعنى الهادي إلى سواء الصراط، وقيل: الرشيدُ أعمُّ من الرَّشَد محرّكةً، فإنه يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشَدُ محرَّكةً في الأمور الأخروية، والإرشاد أعمُّ من التوفيق، لأنَّ الله تعالى أرشدَ الكافرين بالكتابِ والرَّسولِ، ولم يوفِّقْهم. والرشادُ: هو العمل بموجبِ العقل.

ويُبدي: بمعنى يظهر، والضميرُ في رسمه عائدٌ إلى الإرشاد. ورسمُ الإرشاد كنايةٌ عن حدِّه وتعريفه، وأذنه لأمرٍ وبه أي أعلمه.

يعني: خليف الأُنس يرشدُ الخلقَ إلى طريقِ الوصولِ إلى الله، ويظهرُ رسمَ الإرشاد شاكرًا، فاستمعوه إن أعلمكم.

٢٣ـ صاحبُ القبضِ غريبٌ مُفرد إن رأى البسطَ لديه حَزِنا

القبض: يُطلق على معانٍ: فمنها: أنّهم عنوا بالقبضِ واردًا يردُ على القلب أوجبه إشارةٌ إلى عتابٍ، أو تأديبٍ، فيحصل في القلبِ لا محالةَ قبضٌ لذلك.

وقيل: القبضُ أخذُ واردِ القلب، مثل أن يكونَ الواردُ ممّا يوجب إشارة إلى تقريبٍ أو إقبالٍ بنوعِ لطف وترحيب، فإذا حصلَ للقلبِ انبساطٌ بسبب ذلك، أعقبه واردٌ بخلافه، فيسلب ذلك الواردَ، ويبدّلُ الإرشاد إلى التقريب بضدّه من التبعيد، والإقبالَ بضدّه من الإدبار، وحينئذ يحصلُ القبضُ لا محالة.

والبسط، قال في «الفتوحات»[١]: هو عندنا حالٌ من يسعُ الأشياء ولا يسعُهُ شيءٌ. وقيل: حالُ الرجاء، وقيل: هو واردٌ موجبه إشارةٌ إلى قبولٍ ورحمةٍ وأنسٍ. والقبضُ ضدُّ البسط. وقد مرّ تفصيلُهما.

والحزنُ: توجّع القلب لفائتٍ، أو تأسّفه على ممتنعٍ، وهو في هذا الطريق تأسّفٌ على ما يفوت العبد من الكمالات وأسبابها، ويتضمّن ذلك الخوف والحزن والإشفاق والخشوع والإخبات. وقد سبقَ تفصيلُها. والحزنُ: ضدُّ السرور، وبابه طرب، وحزنًا أيضًا فهو حَزِن وحزين، وأَحزنَهُ غيرُه، وحزنه أيضًا.

الغربة: تُطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المقصودِ، وذلك عند انفصال النفس عن مقارِّها الحيوانية، ومألوفاتها الطبعية، ومراداتها الشهوانية، وعن ظهورها في مواطن صور كثرتها وانحرافاتها الجسمانية والشيطانية إلى انفصالها بحضرة باطنها، وأحكام عدالته ووجده من الأوصاف[٢] والأخلاق الملكية الروحانية، ومن حيث إن العلاقةَ بين النفس والروح والسرّ قوية جدًا، ما دامتِ النفسُ ظاهرةً في هذه النشأة الدنيوية مع أنَّ لكلٍّ واحدٍ من هذه الثلاثة نشأةٌ تخصُّه، فإنَّ نشأةَ النفس حسّيةٌ شهادية، ونشأة الروح غيبية إضافية كونية، ونشأة السرُّ غيبية خفية إلهية، صارتْ نسبةُ كلٍّ واحدٍ غربةً بالنسبة إلى الآخر، فإذا شرعَ الروحُ في السير إلى السر استتبعَ النفس، فصارت النفسُ في غربةٍ، فلهذا سُمّيت هذه المرتبة الطالبة للحقِّ غربة، قال عليه السلام: «طلبُ الحقِّ غربة»[٣] ويُشيرون بالغربةِ إلى كلِّ وصفٍ شريف ينفردُ به الموصوف دون أفراد جنسه، وذلك الشخصُ يُسمّى في اصطلاحهم غريبًا.

والغربة [٤٥٨] أحدُ منازل الولايات، وصاحبُها صاحبُ غربةٍ عن الخلق، لكونه بائنًا عنهم بمعناه وسريرته، فإن كان كائنًا معهم بجسدِهِ وصورته فهو راحلٌ عنهم إلى أوطانه، قاطنٌ

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٣.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ١٧٨: والشيطانية إلى اتصال بحضرة باطنها وأحكام عدالتها ووحدتها من الأوصاف.

(٣) حديث رواه الأنصاري في منازل السائرين، وابن عساكر في تاريخه ١٥/ ٢٣٨، والقزويني في التدوين في أخبار قزوين ٤/ ١٤٧، وهو حديث مسلسل بالصوفية. قال ابن حجر في لسان الميزان: لعل علان بن زيد الصوفي واضع هذا الحديث.

معهم في مقرّ حدثانه. انتهى من الفرغاني[١] قدس سره.

يعني صاحب القبض غريبٌ مفرد إن رأى البسطَ عنده حزن.

٢٤ـ وخليلُ البسط يخفي غيْرةً ضُرَّ باديه ويُبدي المِننا

يعني صاحب البسط يُخفي من باب الأفعال ضرّ باديه مفعوله غير مفعول له، ويبدي من باب الأفعال أي يظهرُ المننا، جمع المنّة، يُقال: مَنَّ عليه، أي امتنَّ، وبابُه رد ومنّةً أيضًا. والضرُّ ضدُّ النفع، وبابه ردّ، والاسم الضرر، والضرُّ: الهزالُ وسوءُ الحال. والمضرَّةُ ضدُّ المنفعة.

٢٥ـ لا تَراه الدَّهرَ[٢] إلاّ ضاحكًا تُبصرُ الحُسْنَ به قد قُرِنا

يعني: لا يَرى الدَّهرُ صاحبَ البسط إلاّ ضاحكًا، ويبصرُ الدَّهر الحسنَ الذي قد قُرِنَ به، أي صاحب البسط حال كونه صاحب البسط.

٢٦ـ صاحبُ الهمّةِ في إسرائه سائرٌ قد ذبَّ[٣] عنه الوَسَنا

الهمّة: تُطلق بإزاء تجريد القلب للمنى بإزاء أول صدقِ المريد. وتُطلق بإزاءِ جمع الهمم لصفاءِ الإلهام. وتُطلق بإزاء تعلّق القلب بطلب الحقّ تعلّقًا صِرفًا أي خالصًا من رغبةٍ في ثوابٍ، أو رهبةٍ في عقاب، ولهذا قالوا: الهمّةُ ما تُثير شدَّةَ الانتهاض إلى معالي الأمور. ويُقال: الهمَّةُ طلب الحقّ بالإعراض عمّا سواه من غير فتورٍ ولا توانٍ. ويعبَّرُ بالهمّة عن نهاية شدّة الطلب وقد سبق [ذكر] همّة الإفاقة، وهمّة الأنفة، وهمّة أرباب الهمم العالية.

والإسراءُ السير ليلاً، وههنا كنايةٌ عن المعراج الروحاني.

ودبَّ يَدِبُّ بالكسر دبيبًا مشى على هيئته، وهو خفيُّ الدِبّة كالجلسة، ودبَّ الشرابُ والسقم في الجسم، والبِلى في الثوب سرى، و[دبَّ] عقاربُهُ سرتْ نمائمُهُ وأذاه، وهو دَبُوب ودَيْبُوب، والدَّيْبُوب: الجامع بين الرجال والنساء، والدابة: ما دبّ من الحيوان وغلب على ما يركب، وقولهم: أكذبُ مَنْ دبَّ ودَرَجَ: أي أكذبُ الأحياء والأموات.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ١٧٨.

(٢) كذا الوجه أي لا تراه طول الدهر. وفي الشرح جعل الدهر فاعلاً.

(٣) كذا الوجه، وفي الشرح هي بالذال المعجمة.

والوَسَنُ: محرَّكةً وبهاء والوسنة والسنة: ثقلةُ النوم، أو أوله، والنعاسُ. وَسَنَ كفرح فهو وسنٌ ووسنان، وميسان كميزان كثر نعاسُه.

يعني صاحبُ الهمّة في إسرائه سائر حال كون الوسن قد مشى عنه يعني سائر عند النومة الخفيفة لا في النوم الثقيلة.

٢٧ـ صاحبُ التوحيدِ أعمى أَخرسُ   لا أنا قال ولا أيضًا أنا

والمراد من صاحب التوحيد صاحبُ التوحيد اللفظي النعتي لا التوحيد الحقيقي، كما قال شيخُ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري قُدّس سره:

مـا وحَّـدَ الـواحـدَ مـن واحـدٍ   إذ كـلُّ مـن وحَّـدَهُ جـاحـدُ
تـوحيـدُ مَـنْ يَنطـقُ عـن نعتِـهِ   عـاريـةٌ أبطلَهـا الـواحـدُ
تـوحيـدُهُ إيّـاه تَـوحيـدُهُ   ونعـتُ مـن ينعتُـهُ لاحِـدُ

يعني صاحب هذا التوحيد أعمى لا يُبصر الأشياء كما هي، وأخرس أي منعقد [١٥٨/ب] اللسان عن الكلام الحقّ. وهذا لا قلتُ أنا، بل قالَ المحقّقون من قبلي، وأنا قلتُ أيضًا. وقد سبق تفصيلُ التوحيد مرةً بعد أُخرى.

٢٨ـ يا عبيدَ النَّفسِ ما هذا العمى   لـم تـزالـوا تَعبـدونَ الـوثَنـا

العبدُ: ضدُّ الحر، وجمعه عبيد، مثل كلب وكليب، وهو جمعٌ عزيز، يعني: عبيد هوى النفس، لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] والوثنُ: الصنم، يعني: يا عبيد النَّفس ما هذا العمى في بصيرتكم حتّى لا تُبصروا الحقَّ لتعبدوه، ولم تزالوا تعبدون الوثنَ، أي هوى النفس، فكنتم عبيدَ النفس.

٢٩ـ سقتمُ الظَّاهر من أحوالِكُم   مـا لنـا مِنكـم سِـوى مـا بطنـا

يعني سُقتم العلم الظاهر من بيان أحوالكم، فأنا مثلُكم في سوق العلم الظاهر، وما أنا أزيدُ منكم في الظاهر سوى ما بطنَ عنكم من العلوم الإلهية والأسرار الباطنة، فاسعوا إلى الأعمال الصالحة لتفوزوا بالفتوح الغيبية، لقوله عليه السلام: «من عملَ بما علمَ ورّثَهُ اللهُ علمَ ما لم يعلم»[١] واجعلوا المعرفة الإلهية قوتًا لأرواحكم.

---

١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٢٨).

٣٠ـ فأقيتوا العلمَ من أعمالِكم علمَ فتحٍ وأشربوه لبنا

أقيتوا أمرٌ من باب الأفعال. والقوتُ والقِيْتُ والقِيتَة، والقائتُ والقُواتُ المُسكة من الرزق، وقاتَهُم قَوتًا وقُوتًا وقِياتةً فاقْتَاتوا، والمُقِيْتُ الحافظُ للشيء، والشاهدُ له، والمقتدرُ كالذي يُعطي كلَّ واحدٍ قوتَه، واستقاتَهُ سألَهُ القوتَ، وأَقاتَه وأقاتَ عليه: أطاقه.

واللبن: كنايةٌ عن لبّ علمِ الشريعة، كما قال عليه السلام: «أوتيتُ قدحًا من اللبن، فشربتُ منه حتى خرجَ الريُّ من أظافيري، وأعطيتُ فضلَهُ عمر» فقيل: ما أَوَّلْتَهُ يا رسول الله؟ فقال: «أَوَّلْتُهُ بالعلم»[١].

يعني اجعلوا قوتًا لأرواحكم العلمَ الذي ينتجُ من أعمالكم الصالحة، لأنَّ العلمَ الظاهرَ يستلزم العمل الصالح، والعملُ يستلزم العلمَ الباطن اللدني، وهو علمُ فتحٍ وإلهام من الله تعالى.

وأشربوا روحكم لبنًا: أي لبّ علم الشريعة، وهو الحقيقةُ، لأنَّ الشريعة لبُّ العقل، والحقيقةُ لبّ الشريعة.

٣١ـ واخرُجُوا بالموتِ عن أنفسِكُم تُبصروا الحقَّ بكم مُقترنا

لقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»[٢] وقد سبق أقسامُ الموت الإرادي مفصّلاً.

يعني: واخرجوا بالموت الإرادي عن أنفسكم بقلعِ هوى النفس وقمعها، إن تخرجُوا بالموتِ عنها تُبصروا الحقَّ بكم أي معكم مقترنًا لقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

٣٢ـ وانظروا ما لاح في غيرِكُمْ تجدوه فيكُمْ قد ضُمِّنا

لاحَ الشيءُ لمحَ: أي لمع، وبابه قال، ولاح البرق وألاحَ أومض.

وضمِنَ الشيءَ بالكسر ضمانًا كفل به، فهو ضامن وضمين، وكلُّ شيءٍ جعلته في وعاءٍ فقد

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٦٨١) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، و(٧٠٠٦) و(٣٠٢٧) ومسلم (٢٣٩١) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، والترمذي (٢٢٨٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم أُتيت بقدح لبنٍ، فشربت منه، حتى إني لأرى الريَّ يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب» قال من حوله: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم».

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٧٢).

ضمنته إيّاه، وضمنُ الكتاب بالكسر: طيّة، وضمنه اشتمل عليه.

يعني: انظروا ما لمع من أنوار الصفات الإلهية في غيركم، إن تنظروه تجدوه أي ذلك اللمعان من أنوارِ الصفات الإلهية قد ضمنَ فيكم أي اشتملَ عليكم. ومن هذا الاشتمالِ تفوزون طريقَ الوصال بطريقِ التوحيد الأفعال والصفات والذات ذي الكمال.

حقيقةُ تقييد ظهرتْ من مطلق الوجود [٤٥٩] **أولاً هي فردية الذات متّحدة الصفات وهي مرتبة الروحُ المحمدي ﷺ.**

وقد قال في «الفصوص» فصّ حكمة فردية في كلمة محمدية[1]. وفي بعض النسخ: [فص] حكمة كلّية: إنّما كانتْ حكمتُه فرديةً لانفرادِهِ بمقام الجمعية الإلهية، الذي ما فوقَهُ إلاّ مرتبة الذات الأحدية، لأنه مظهر الاسم (الله)، وهو الاسم الأعظم الجامعُ للأسماء والنعوت كلّها، ويؤيّده تسمية الشيخ لهذه الحكمة بالحكمة الكلية، لأنّه جامعٌ لجميع الكليات والجزئيات، لا كمالَ للأسماء إلاّ وذلك تحت كماله، ولا مظهرَ إلاّ وهو ظاهرٌ بكلمته.

وأيضًا أوّلُ ما حصل به الفردية إنّما هو بعينه الثابتة، لأنّ أولَ ما فاضَ بالفيض الأقدس من الأعيان هو عينُهُ الثابتةُ، وأول ما وجد بالفيض المقدس في الخارجِ من الأكوان روحهُ المقدّسُ... فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية والروحانية المحمّدية الفردية الأولى، ولذلك قال رضي الله عنه: (إنّما كانت حكمتُه فرديةً، لأنّه أكملُ موجودٍ في هذا النوع الإنساني، ولهذا بدىء به الأمر وخُتم به، وكان نبيًّا وآدم بين الماءِ والطين[2]، ثم كان بنشأته العنصرية خاتمَ النبيين.

وأولَ الأفراد ثلاثة، وما زاد على هذه الفردية الأولية من الأفراد فإنّه عنها) أي صادرٌ من الفردية الأولى، فظهرتْ من مُطلق الوجود حقيقةُ تقييد، وهي فردية الذاتِ بالمرتبة الإلهية والروحانية المحمدية متّحدةُ الصفات.

الاتحاد[3] **يُطلقُ ويُراد به معانٍ:**

منها: تصييرُ الذاتين ذاتًا واحدة، وذلك محالٌ.

---

(١) شرح فصوص الحكم: ١١٥٣. وقد تقدّم قبل مرتين.

(٢) انظر الحديث صفحة (١/ ١٣٧).

(٣) مادة (الاتحاد) من لطائف الإعلام ١/ ١٥٩.

ومنها: أن يُرادَ بالاتحاد ظهور الواحدِ في مراتب العدد، فظهر الواحدُ كثيرًا بحسب المراتب.

ومنها: أن يُراد بالاتحاد اتحادُ جميعِ الموجودات في الوجود الواحد من غير أن يلزم من ذلك ما يظنُّ من انقلاب الحقائق أو حلول شيءٍ في شيء، بل المرادُ من ذلك أن كلَّ ما سوى الحق لا حقيقةَ له إلاّ بالحق سبحانه، بمعنى أنَّ وجودَ الحقِّ الذي به صارَ كلُّ موجودٍ موجودًا إنّما هو الوجود الواجبي، وهو غيرُ متكثّر عند أرباب القلوب المنوَّرة بنورِ وجهه المقدس، المشاهدين له في كلِّ شيءٍ بخلاف أرباب العقول المحجوبة بظلمة الأكوان، فإنهم لا يشاهدون وجهَهُ تعالى في الأشياء.

ومنها: أنّهم يُطلقون الاتحاد على رؤية الأشياء بعين التوحيد.

ومنها: أنّ هذه الطائفة تعبّرُ بالاتحاد عن حصولِ العبد في مقام الانفعال عنه بهمّتِهِ وتوجّه إرادةٍ لا بمباشرة ولا معالجة، وظهورُه بصفةٍ هي للحقِّ حقيقةٌ يُسمّى اتحادًا لظهور حقٍّ في صورة عبد، ولظهورِ عبدٍ في صورةِ حقٍّ.

ومنها: أنّهم يُطلقون الاتحاد ويُريدون به حالةَ من كان الحقُّ سمعَهُ وبصرَهُ.

ومنها: أنهم يُطلقون الاتحاد ويُريدون به حالةَ العبدِ عند انمحاقِ خلقيته في نور حقّيته بحيث تزولُ عنه أحكامُ الكثرة، ويتحقّقُ بالوحدة المشار إلى المتحقّق بذلك بكونه مظهرية أحدية الجمع، ومنصّة التجلّي الأول.

ومنها: أنهم يُطلقون الاتحاد على من كان مرآةً للحقِّ، وهو المظهرُ الذي لا يكسب وصفًا قادحًا في نزاهته، وهذا هو المتحقّق بالأصول إلى كمال القبول، إذ لا أكملَ من قبوله.

واتحاد الذات بالأسماء والصفات. ويُقال توحيدُ الذات ويُسمّى اتحادُ الذات والوحدانية بمعنى أنّ تحقّق أعيان مفاتح الغيب التي عرفتها أنها هي المعاني الباطنة لأصول الأسماء [٤٥٩/ب] والصفات تتَّحدُ في البطن السابع، وقد سبق تفصيلُه.

هي أي فردية الذات، أعني مرتبة الروحانية المحمدية **ظلُّه الممدود**، **ومقامُهُ المحمود** لقوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] **ولواؤه السعيد**.

والظلُّ: يعنون به وجودَ الراحة خلف الحجاب، ويُشيرون به إلى كلِّ ما سوى الله عز وجل من أعيانِ الممكنات، والظلُّ الأول هو التعيّن الثاني، وهو الحقيقة المحمدية، لأنّه أولُ

قابلٍ للكثرة التي هي نورٌ وظلال لشؤون الوحدة كما عرفت، وظل الإلهِ هو الإنسانُ المتحقق بمظهرية هذا التعين الثاني. وقد مرّ تفصيلُه.

هي أي المرتبة الروحانية المحمدية المعبّر عنها بفردية الذات **ركن الكائنات**[1]. ركنُ الشيء جانبُهُ الأقوى لغةً قال: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] وفي الاصطلاح: ركنُ الشيء[2] ما يقومُ به ذلك الشيء من التقوّم، إذ قيام الشيء بركنه لا من القيام، وإلا يلزمُ أن يكونَ الفاعلُ ركنًا للفعل، والجسم للعرض، والموصوفُ للصفة[3]، وهذا باطلٌ بالاتفاق، ويُطلق على جزءٍ من الماهية، كقولنا: القيامُ ركنُ الصلاة. ويطلق على جميعها. انتهى من «الكليات»[4].

وعنها أي عن تلك الفردية الأولى **صدرت الموجودات** كما عرفتَ آنفًا **فلم تزل** تلك الفرديةُ **منوّرةَ الجهات الست من غير جهات**. يعني: حال كونها منزّهةً عن الجهات **معتدلة الالتفات من غير التفات** مقتضية للحركة والسكون اللذين هما من العوارض الجسمانية **حتّى قابلها** أي الفردية الأولى **الحكيمُ** المطلق بذاته تعالى، والمقابلةُ المواجهة، والتقابلُ مثله، وقابله: واجهه، والكتابَ عارضَه، وتقابلا تواجها، يعني: قابل الحكيمُ الفردية الأولى بذاته **عندما تعلّقت إرادته تعالى بإيجاد كائناته، فأتاها** أي أتى الحكيم الفردية **من جهة الظهر**. الظهرُ خلاف البطن، يعني: أتاها من جهة غيبها لكونه ظهيرًا لها **فامتدّ لها** أي للفردية الأولى **ظلُّ النهر**[5] أي ظل الفيض المقدّس **فكان ذلك الظلُّ لها** للفردية الأول **حقيقةً لطيفةَ المثال، محكمةَ الاعتدال**.

العدلُ: ويُقال الحقّ المخلوق به، وهو عبارةٌ عن أوّل مخلوقٍ خلقه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] وقد عرفتَ في باب الحقِّ المخلوق به، فإنّه هو العدلُ المخلوق به، وإنه هو الإنسانُ الكامل، وعرفتَ أنَّ ذاك باعتبارين: أحدُهما كونه العلّةَ الغايةَ في كلِّ ما خلق الله تعالى. وثانيهما: كونُ المراد

---

(١) في المطبوع (٢٦٧): كنّ الكائنات.

(٢) في الكليات ٢/ ٣٩٦: ركن الشيء ما لا وجود لذلك الشيء إلاّ به، من التقوم، إذ.

(٣) في الأصل: والجسم لا عرضًا، والموصوف لا صفة. والمثبت من الكليات.

(٤) الكليات ٢/ ٣٩٥.

(٥) في المطبوع (٢٦٨): ظلٌّ كالنهر.

بالإنسان الإنسان الحقيقي المعنوي، لا الظلّ الصُّوريّ الذي هو الجسمُ العنصري، وعرفتَ أيضًا أنّ الإنسانيةَ الحقيقية هي الحقيقةُ المحمّدية، وأنها هي حقيقةُ الحقائق، وحضرةُ أحدية الجمع، وقد سبق تفصيلُ العدل والعدالة المنسوبة إلى هذا العدل الأكمل والمظهر الأطهر.

ارتقم فيه أي انتقش في ذلك الظلِّ وجودها أي وجود الفردية الأولى على وجه التشبيه. التشبيهَ في اللغة الدِّلالةُ على مشاركة أمرٍ لآخر [٤٦٠] في معنًى، فالأمرُ الأول هو المشبّه، والثاني هو المشبهُ به، وذلك المعنى هو وجه التشبيه، ولا بدّ فيه من آلة التشبيه. وفي اصطلاحِ علماءِ البيان هو الدِّلالةُ على اشتراك شيئين في وصفٍ من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنُّور في الشمس، وهو إمّا تشبيه مفرق، كقوله عليه السلام: «إنّ مثلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصابَ أرضًا...»[1] الحديث، حيث شبّه العلمَ بالغيث، ومن ينتفع به بالأرضِ الطيبة، ومن لا ينتفعُ به بالقيعان.

فهي تشبيهاتٌ مفترقة. أو تشبيهٌ مركّبٌ كقوله عليه السلام: «انّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثلِ رجلٍ بنى بنيانًا، فأحسنه وأجمله إلاّ موضعَ لبنةٍ...»[2] الحديث، فهذا هو تشبيهُ المجموع بالمجموع، لأن وجه الشبه عقليٌّ مُنتزعٌ من عدّة أمور، فيكون أمرُ النبوة في مقابلة البنيان كارتقام المطلق فيها أي كانتقاشِ الوجود المطلق في الفردية الأولى على وجه التنزيه. التنزيهُ هو تعالي الحقِّ عمّا لا يليقُ بجلال قدسه الأقدس.

التنزيه الشرعي: هو المفهوم في العموم من تعاليه تعالى عن المشاركِ في الألوهية.

والتنزيه العقلي: هو المفهومُ في الخصوص من تعاليه تعالى أنْ يُوصفَ بالإمكان.

والتنزيه الكشفي: هو المشاهدةُ لحضرةِ إطلاق الذات المثبت للجمعية للحق، فإنَّ من شاهدَ إطلاق الذاتِ صارتْ تنزيه في نظره إنّما هو إثباتُ جمعيته تعالى لكلِّ شيءٍ، وإنه لا يصحُّ التنزيهُ حقيقةً إن لم يشاهده تعالى كذلك. وقد مرّ ثمراتُ التنزيهات.

فهي أي الفردية الأولى المثل الغربي أي المنسوب إلى الغرب، لاستتارِ الحقيقة بملبسها،

---

(١) حديث أخرجه البخاري (٧٩) في العلم، باب فضل من علم وعلّم، ومسلم (٢٢٨٢) في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي من الهدى.

(٢) حديث رواه البخاري (٣٥٣٥) في الأنبياء، باب خاتم النبيين، ومسلم (٢٢٨٦) في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

وبطونها في مظهرها. وفي بعض النسخ: (المثل القربي) أي المنسوب إلى القربة وظلُّها أي الظلُّ الممتد للفردية الأولى المثلُ العقلي؛ لأنّه منسوب إلى العقل، لكونه في مرتبة العقل الأول فكان ذلك الظلُّ الممتدُ للفردية الأولى هيولى كلِّ كائنٍ مُتّصلٍ وبائن[١]. أي متفرّقٌ بالاعتبارين، لأنّه هو سرُّ الهوية التي في كلِّ شيءٍ سارية، وعن كلِّ شيءٍ مجرَّدة وعارية.

والمُراد بالهيولى: هيولى الهيوليات. والهيولى عند الطائفة اسمٌ للشيءِ باعتبار نسبته إلى ما هو ظاهر فيه بحيث يكونُ كلُّ باطنٍ هيولى الظاهر الذي هو صورةٌ فيه، ثم إنّه لما كانتِ الصورة الجسمية هي أظهرُ الصور للمدارك، صارتِ الهيولى إنّما تُطلق في الأكثر ويُراد بها محلُّ الصورة الجسمية.

وهيولى الهيوليات: يُشيرون بها إلى حقيقة الحقائق لأنّه لمّا كان المرادُ بها باطن كلِّ حقيقة إلهية وكونية، صارت حقيقة الحقائق هي هيولى الهيوليات، ولأجل بطونها في كلِّ باطنٍ وبطون كانت هي هيولى الكلِّ، والهويةَ الكبرى الجامعة لكلِّ شيءٍ، وهي الهيولى الخامسة، لأنَّ الجسمَ صورةٌ في الطبيعة. والطبيعةُ صورةٌ في النَّفْس، والنفسُ صورةٌ في العقل، والعقلُ صورةٌ في العلم، والعلمُ صورةٌ ظهرت من باطن الوحدة.

كما قال الشيخ رضي الله عنه في وصفه ﷺ في «الصلوات الشريفة»[٢] المنسوبة إليه: القلمُ النوراني الجاري بمدادِ الحروف العاليات، والنّفسُ الرحماني الساري بموادّ الكلمات التامّات، الفيضُ الأقدس [٤٦٠/ب] الذاتي الذي تعيَّنتْ به الأعيان واستعداداتها، والفيضُ المقدّس الصفاتي الذي تكوّنت به الأكوان واستمداداتها، مطلعُ شمس الذات في سماء الأسماء والصفات، ومنبعُ نورُ الإفاضات في رياض النسب والإفاضات، خطّ الوحدة بين قوسين: الأحدية والواحدية، وواسطةُ التنزل من سماء الأزلية إلى الأرض الأبدية، النسخةُ الصغرى التي تفرّعتْ عنها الكبرى، والدرّةُ البيضاء التي تنزّلت إلى الياقوتة الحمراء، جوهرُ الحوادث الإمكانية التي لا تخلو عن الحركة والسكون، ومادةُ الكلمةِ الفهوانية الطالعة من

---

(١) في المطبوع (٢٦٨): أو بائن.

(٢) مجموعة تشتمل على ست صلوات على النبي ﷺ. مؤلفات ابن عربي ٤٠٤. وفي كتاب الشيخ الأكبر لمحمد رياض المالح صفحة ٣١٤: الصلاة الشريفة: صلاة على النبي ﷺ ووصفه بأنه الإنسان الكامل.

(كن) كن إلى شهادة (فيكون) هيولى الصور التي لا تتجلّى بأحدٍ إلاّ مرّةً لا ثنتين، ولا بصورةٍ منها لأحدٍ مرتين.

تكوّنَ منه من ذلك الظلّ الذي هو هُيولى الهيوليات عالم الدنيا والآخرة على حكم ائتلاف الطبائع الأربع، وهي: الحرارة، واليبوسة، والرطوبة، والبرودة **المتنافرة المتضادّة**.

فمنهم: أي بعض أهل عالم الدنيا والآخرة **من قاربَهَا** أي قاربَ الفردانية الأولى كالأفرادِ والأقطاب **بلطافته**.

ومنهم: من غابَ عنها عن الفردية الأولى كالمحجوبين.

بكثافته اللطافةُ: يطلق بالاشتراك على معانٍ: رقةِ القوام، وقبولِ الانقسام إلى أجزاء صغيرة جدًا، وسرعةِ التأثير عن الملاقي، والشفافية.

واللطفُ: ما يقعُ عنده صلاحُ العبد آخر عمره بطاعةٍ وإيمانٍ دون فسادٍ بكفر وعصيان، هذا مذهب أهل السنة.

واللطيفُ من الأسماء الحُسنى، معناه البرُّ بعباده المحسنُ إلى الخلقة بإيصال المنافعِ إليهم برفقٍ ولطف، فيكون من صفات الأفعال، فالصفاتُ الجميلة للعباد بخلقِ الله تعالى وإقدارِهِ إيّاهم على كسبها، أو بإقداره إيّاهم على خلقها، فتكون من أنوارِ ذاته وآثار صفاته، أو اللطيف معناه: العالمُ بخفايا الأمور ودقائقها، فيكونُ من صفات الذات.

واللطيفُ من الكلام ما غمضَ معناه وخفي ولطف كنصر لطفًا رفقَ ودنا. و[لطف] اللهُ لكَ أي أوصل إليك مُرادَك، وككرم صغر ودقّ لطفًا ولطافةً، والكثافةُ الغلظُ، وبابه ظرف ضدُّ اللطافة.

فهم في الوصول إليها أي إلى الفرديةِ الأولى **فِرَقٌ**. جمع فرقة: بمعنى الطائفة من الناس، يعني من قاربَهَا بلطافته كالأفراد فهم في الوصولِ إليها فِرَقٌ مختلفة باختلافِ المشارب.

قال ابن كمال باشا في «رسالته» في الروح: فهو ﷺ من حيث إنّه نبيٌّ مُرسل، له رتبةٌ، ومن حيث إنه في مقامِ الفردية مِنْ تجلّي الاسمِ الفرد، له رتبةٌ أُخرى أعلى من الرُّتبة الأولى، ثم إنه ﷺ من حيث رتبة الفردية المذكورة يظهرُ في كلِّ وقتٍ إلى يوم القيامة في الصور المختلفة التي هي مخلوقة منه ﷺ أي من نوره الأصلي الذي هو أولُ ما خلقه تعالى من غيرِ واسطةٍ، ولا يظهرُ ﷺ في كلِّ وقتٍ من حيث إنه نبيٌّ مرسل، أعني من هذه الرتبة، فإذا ظهرَ

في صورة إنسان، وعرفَ الإنسانُ نفسه، وانكشفَ له أنه مخلوقٌ من ذلك النور المحمّدي كان هو ذلك الفرد المحمدي، كما أنَّ تلك الصورة الإنسانية التي كان ظاهرًا بها ﷺ في مكة، وهاجر بها [٤٦١] إلى المدينة هي صورةُ رتبةِ النبيِّ ﷺ المرسلِ لا يكون مثلها صورة أخرى يظهر بها بعد ذلك، إلاّ إنها يُقال لها بأنّها في مقامِ الفردية، ويشير إلى مقام الفردية العامّ في جميعِ الأمّة الخاصَّةِ به ﷺ قوله ﷺ في الحديثِ الصحيح الذي رواه مسلمٌ وغيرُه عن عبد الله بنِ عمرِو بن العاص رضي الله عنه، عليه الصلاة والسلام: «إذا سمعتم المؤذّنَ، فقولوا مثلَ ما يقول ثم صلّوا عليَّ؛ فإنّه من صلّى عليَّ صلاةً صلّى اللهُ عليه بها عشرًا، ثم سلوا اللهَ لي الوسيلةَ؛ فإنّها منزلةٌ في الجنة لا ينبغي إلاّ لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سألَ لي الوسيلةَ حلّتْ له شفاعتي»[1].

فإنّ تلك المنزلة التي في الجنة المسمّاة بالوسيلة هي رتبةُ الفردية، وهي حاصلةٌ لرتبة النبيِّ المرسلِ ﷺ إلى أفرادِ أمّته الذين هم رتبُ ظهوراته إلى يوم القيامة، وليس ذلك الفردُ غيرَ الحقيقة المحمدية الظاهرة في تلك الصورة الكونية المخلوقة منها، ولا بدَّ لك من المعونة الإلهية حتى تعرفَ هذا الكلامَ، وقد سبق تفصيلُها.

وكلٌّ ممّن وصلَ إليها، أي إلى الفردية من الأفراد **ساعٍ إلى لهيب حرِّها**، مُستبق إلى اشتعال نارِ حرّ الفردية، متسابق، يُقال: استبقا في العدو، أي تسابقا.

واللَّهْبُ واللهَبُ واللهيب واللهَاب واللهَبان اشتعالُ النار إذا خلصَ من الدخان، ولهبُها لسانُها، ولهيبها حرُّها، وقد يُطلقون النارَ ويُريدون بها ظهور الحق عزّ وجل في صورِ اللبس التي عرفتها، فإنّه تعالى لمّا كان هو الظاهرُ في كلِّ مفهوم الباطن عن كلِّ فهمٍ صارَ تلبيس على الناظر فيه تعالى عندما يراه في كلِّ شيءٍ بحيث ينحجبُ بمجاليه عن تجليه، فيحجب عن رؤية وجوده عند ظهوره في الموجودات التي هي أشعةُ نورِه الوجودي، وعن حياته كذلك، وعن علمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره، فإنَّ جميعَ هذه الحقائق والمدارك إنّما هي أشعةُ نوره، فكان الانحجابُ بها عنه تعالى هو المجوسية التي هي رؤية الثنوية، وهي تشبيه النورية الحقّية بالنار الخلقية، كما قال شيخ العارفين[2]:

---

(١) حديث رواه مسلم (٣٨٤) في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، وأبو داود (٥٢٣) والنسائي ٢/ ٢٥ (٦٧٨).

(٢) ديوان ابن الفارض ١١٥.

رأَوْا ضــوءَ نَــوري مــرَّةً فتــوهّمــو ه نــارًا فضلّــوا بــالهُــدى بــالأشعَــةِ

فأين تسابقوا؟ ولا أين يتصوّر حيث انتهوا! أي الأفراد الواصلوان إلى مقام الفردية وكيف تسابقوا؟ والحال كلٌّ واحدٍ منهم كافر أي سائر بمقامه بشبه محترق[1] يعني محترق بإيقادِه النار، كما يقال شبَّ النارَ والحربَ أوقدها، وبابه ردّ، وشُبوبًا أيضًا بضمّ الشين وبالفتح ما تُوقدُ به النار.

يعني كلُّ واحدٍ من الأفراد سائرٌ بمقامه، ومحترقٌ بإيقاده نار الجلال.

وكان الظلُّ الممتدُّ عنها عن الفردية ليلاً غاربًا، وكان انبساطُ نورها أي نور الفردية نهارًا متعاقبًا، وهي أي فرديةُ الذات شمسُ حقيقة بينهما بين الليل الغارب والنهارِ المتعاقب تدورُ دون ورودٍ ولا صُدورٍ كما هو دوران شمس الآفاق، والمرادُ بالليل الغاربِ ظلمه الإمكان، وبالنهار المتعاقب نور الوجوب، لأن الظلَّ في اصطلاحهم إشارةٌ إلى كلِّ ما سوى الله من أعيان الممكنات، وذلك من وجهين:

أحدُهما: هو أنّه لمّا لم [٤٦١/ب] يكن لشيءٍ من الكائنات استقلالٌ بنفسه لاستحالة وجودِ ما سوى الحقِّ بذاته، صارتِ الكائنات ظلاً من حيث أنّ الظلَّ لا تحرُّكَ له إلاّ بحركة صاحبه، ولا حقيقةَ له، ولا صورة، ولا ذات إلاّ بحسب ما ينبعثُ عن الشيءِ الذي هو ظلٌّ له، فهكذا من شهد الحقيقة، فإنه يرى الكائنات ظلاً لا تستطيعُ لأنفسها ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

الوجه الثاني: هو أنّه لما كانتْ حقيقة الظلِّ إنّما هي عدمُ النور الشمسي أو غيره في بقعة ما لساتر صارتِ الكائنات ظلاً بهذا المعنى، لأنّ حقيقة الظلِّ لا ترجعُ إلى شيءٍ في نفسه، بل إنّما تتعيّنُ بالنور، فكذلك كلُّ ما سوى الله ليس هو شيئًا بنفسه، إنما هو شيءٌ بربّه.

فهو أعني الظلّ المشار به إلى ما سوى الله ما يحصلُ في انبساطِ النور الإلهي على عينٍ من أعيان الممكنات التي ليست نورًا في نفسها، وحينئذٍ يظهرُ[2] الظلُّ الذي ليس هو ظلمة محضة، لأنّه ليس يظهرُ إلاّ بانبساط النور، ولا هو نورٌ محضٌ، وذلك ظاهر، وإليه الإشارةُ

---

(١) في المطبوع (٢٦٨): وكل كاف تشبيه تحترق.

(٢) في لطائف الإعلام ٢/ ٩٣: وقد يظهر.

بقوله عليه السلام: «إنّ الله خلق الخلقَ في ظلمةٍ، ثم رشَّ عليهم من نوره»[١] والخلقُ هنا بمعنى التقدير، وتلك المقدّرات هي الأعيان الثابتة في حضرة علمه، والنورُ المرشوش عليهم هو النورُ المفاض عليها.

فالظلمةُ هي حقيقةُ كلٍّ ما سوى الله عند قطع النظر عن توجّه الإرادة بإفاضة النور عليها. فإذا أفاضَ النورُ على ظلمة القوابل ظهر الظلالُ لا محالة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] إشارة إلى ما ذكرنا من أنَّ ظهورَ الظلال إنّما هو بإمدادِ الحقِّ تعالى بنوره المشرق عليها، ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] فالظلُّ مذهب من زعم أنه تعالى لا فعل له عن اختيارٍ منه، وقدرة له وإرادة. وكذا هو رأي من قال: إنه تعالى موجب بالذات. تعالى علوًّا كبيرًا. وفي قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥] إشارةٌ إلى ما عرفتَ من كون الظلِّ لا يظهرُ إلاّ بالنور.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦] إشارةٌ إلى أنّه لا وجود لشيءٍ إلاّ بنوره الظاهر، ولا فناء إلاّ باستتار نوره تعالى وتقدّس. والمفهوم على قاعدة الكشف من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ أنّه تعالى مختارٌ في فعله؛ لأنَّ من لا اختيارَ له لا يكون قابضًا، بل مَقبوضًا، وأنّه لا تحقق للظلّ، إنما هو اعتبارٌ عدمي يتخيّل وجوده بما استترَ من النورِ به، وكان الوجودُ له وحده، إذ لا وجودَ لشيءٍ من الظلال أنفسها، إنما هي اعتباراتٌ وتعيّنات حاصلةٌ عن النور باعتبار تلك الحُجُب الساترة لمحاضة النور.

ومن تحقّق بهذه المشاهدة فهو الذي يفهمُ معنى قوله تعالى: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ...﴾ الآية [النور: ٣٥] وذلك لأنه لا يرى النورَ أو الوجود، أو الذات، أو الشيءَ، أو ما شئتَ فقل ممّا يُطلق على ماله حقيقة في ذاته [ذاتًا إلا] ذات الإله تعالى وتقدس، فلم يبق ما يظنّ أنه غير له أو سواه إلاّ تعينات هذه الحقيقة، فهي أعني تلك التعينات إذا اعتبرت مع قطع النظر عن كونه تعالى هو الهوية التي انبعثتْ عنها تلك التعينات لم يبق لها تعيّنٌ في نفسها، وكانت ظلمةً وعدمًا، ومن حيث التعينات فهي ظلالٌ كما عرفت. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[٢].

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٤٠٩).

(٢) لطائف الإعلام: ٢/ ٩٢-٩٤.

فلمّا لاحَ أي لمعَ لها للفردية الأولى من نفسٍ وجودها الرِّياسةُ، قَذَفَ أي رمى الحقُّ في ذاتها أي ذات الفردية الأولى نورَ[٤٦٢] أي علم التدبير والسياسة.

التدبيرُ: في الأمر النظرُ إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبُّر عبارةٌ عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكّر، إلاّ أن التفكّرَ تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصرُّفه بالنظر في العواقب.

والسياسة(١): هو استصلاحُ الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصّة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كلٍّ منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثةِ الأنبياء على الخاصّة في باطنهم لا غير.
والسياسة المدينة(٢): تدبيرُ المعاش مع العموم على سنن العدلِ والاستقامةُ.

يقال: سستُ الرعيةَ سياسةً، أمرتُها ونهيتها قد ساس وسيس عليه، أدَّبَ وأُدِّب.

فوجهت فردية الذات رسول التكليف من الأنبياء والرسل، يعني: أرسلت، يقال: وجَّهه توجيهًا: أرسله وشرّفه إلى اللطيف والكثيف أي الأرواح والأشباه.

والتكليفُ: هو مصدر كلّفتُ الرجل إذا أَلزمتَه ما يشقُّ، مأخوذ من الكلف الذي يكون في الوجه، وإنّما سُمّي الأمرُ تكليفًا لأنّه يؤثّر في المأمور تغيير الوجه إلى العبوسة، وهو الانقباضُ لكراهة المشقّة.

وهو في الاصطلاح كما قال إمامُ الحرمين: إلزامُ ما فيه كلفة، فالمندوبُ ليس مكلّفًا به لعدم الإلزام فيه، أو طلب ما فيه كلفة، كما قال الباقلاّني، فالمندوبُ عنده مكلّفٌ به لوجودِ الطلب.

والتكليف متعلّقٌ بالأفراد دون المفهومات الكلّية التي هي أمورٌ عقلية. وقد سبق تفصيله.

كلٌّ يعملُ على شاكلته أي على طريقته التي تُشاكلُ حالَه في الهدى والضلالة. والشاكلةُ: الشكلُ والناحيةُ والنية والطريقة والمذهب وسبح(٣) أي عام، سبح بالنهر وفيه، كمنع سبحًا وسِباحةً بالكسر عام، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات: ٣] هي السفنُ أو أرواح

(١) الكليات: ٣/ ٣١.
(٢) كذا، وفي الكليات السياسة البدنية.
(٣) في المطبوع (٢٦٩): وسجن.

المؤمنين، أو النجوم. يعني: سبحَ كلُّ بدر من الأنبياء والرسل في دارة هالته أي دائرة هالته، والضميرُ عائدٌ إلى كلِّ بدرٍ. والهالةُ: الدارةُ حول القمر.

وطلعتْ نجوم الأعمال في سماء الاعتدال بإرشاد كلِّ رسول أمته إلى الهدى، ونهيهم عن طريق الضلال **وتوجّه الشهاب على الظلال** أي الروح الحيواني على الأشباح ينفرها يغلب الظلال، يقال: أنفره عليه **وتوجّه الكوكب على الأنوار يطردها**[1] أي الروح الروحاني على الأرواح يُبعدها **وكلٌّ واحدٍ** من الشهاب والكوكب يعني من النفس والروح **لا يعرفُ سوى نفسه مدبِّرًا وناهيًا في المملكة الإنسانية وآمرًا، ولما تعاقبَ الغدو والآصال** أي الصباح والمساء، يعني لما تعاقبَ نورُ التجلّي وظلمة الاستتار. **والحالُ قد طالَ كلَّ واحد منهما بحقيقة وصال** قبل ذلك الحال بحيث لم يعرفها ما التجلّي ولا الاستتار. والتجلّي: ما ينكشفُ للقلوب من أنوار الغيوب. وقد سبقَ تفصيلُه.

والستر: هي الوقوفُ مع العادات والعبادات، وما يترتَّبُ عليها من الكشوفات، ويُطلق أيضًا على كلِّ ما يحجبُكَ عمّا يفنيك، ويُطلق ويُراد به غطاء الكون، وأكثرُ استعمال الستر في مقابلة التجلّي، يُقال: أُستر عليه: إذا أُزيل التجلي عنه [٤٦٢/ب].

جعلت بداية كلِّ واحدٍ منهما نهايةَ صاحبه جوابُ (لما) يعني: لمّا تعاقب الغد والآصال بعد أن طالَ كلُّ واحد منهما بحقيقة وصال جعلت بداية كلِّ واحدٍ منهما نهاية صاحبه، كتعاقب المَلَوان[2] وقع بينهما الافتراق والانفصال من جهة **فأعرض ونأى بجانبه** يعني كلُّ واحدٍ منهما أي من النفس والروح أعرضَ عن صاحبه، ونأى بجانبه، أي بعدَ عن صاحبه.

فقال الكوكب أي الروح: **ما هذهٰ المماس؟ وما هذه الحواس؟** المماسيةُ كنايةٌ عن المباضعة أي المجامعة، والحواسُّ جمع حاسّة وهي السمع والبصر والذوق والشم واللمس، يعني قال الكوكب للشهاب: ما هذه المطاعمُ والمشارب والملابس والمناكح التي تشتغلُ بها وتغفل عن معرفتك إيّاك؟

وقال الشهاب أي النفس للروح: **ما هذا المقياس؟ وما هذا النبراس؟** المقياس بمعنى المقدار، وآلةُ القياس. يُقال: قاسه بغيره وعليه يقيسه قيسًا وقياسًا، واقتاسه قدَّره على مثاله

(١) في المطبوع (٢٦٩): الأنوار بطورها.

(٢) الملوان: الليل والنهار.

فانقاس، والنِّبراسُ بالكسر: المصباح والسنان والنباريس شباكٌ لبني كلب، وهي الآبار المتقاربة، وههنا كنايةٌ عن نورِ العقل.

يعني-قال الشهاب للكوكب: ما هذه المتخيلات والمتفكّرات والمعقولات والموهومات بالعقل والقياس التي تشتغلُ بها وتحرم عن اللذائذ والإيناس؟

فاختصما أي الشهاب والكوكب يعني النفس والروح **دهرًا زمانًا طويلاً، وما وجدا إلى الانفصال من جهةٍ سبيلاً، فارتفعا** أي الشهاب والكوكب **إلى شمس الوجود** أي فردية الذات، يعني شمس الحقيقة المحمدية إلى حضرة التوحيد، **وشكا كلٌّ واحدٍ منهما** من الشهاب والكوكب **ضيق العَطَن**. العَطن: محرَّكَةً: وطنُ الإبل، مبركها حول الحوض، ومربضُ الغنم حول الماء. يعني: شكا كلٌّ واحدٍ منهما عن ضيق مقامه من مخالفة صاحبه.

فقالت الشمس لهما: ما منكما عاقلٌ فطن الفِطنة بالكسر: الحذقُ والفهم، فطِنَ به وإليه وله، كفرح ونصر وكرم فطنًا مثلثة، وبالتَّحريك، وبضمّتين فُطُونة وفَطَانة مفتوحتين فهو فاطنٌ وفطين وفَطِن. وفطُن كندس وفطَن كعدل والجمع فُطُن بالضم. والتفطين التفهيم **هلاّ آنس كلُّ واحد منكما بصاحبه طبعًا**[1]. هلاّ من حروف التحضيص، أي الترغيب، والتحريض وهي: لولا، ولوما، وألا، وهلا. ودخولها على الفعل لفظًا، نحو: هلا ضربت زيدًا، وهلاّ تضرب زيدًا، أو تقديرًا نحو: هلاّ زيدًا ضربته، وهلاّ زيدًا تضربه، وهي تفيد معنى الترغيب والتحريض في المضارع، والتنديم في الماضي، لأنّها تُفيد معنى التوبيخ على الترك في الماضي.

والإيناس: ضدُّ الإيحاش.

والطبعُ: هو ما يكون مبدأ الحركة مُطلقًا، سواء كان له شعور كحركة الحيوان، أو لا كحركة الفلك عند من لم يجعله شاعرًا، وهو الصورة النوعية أو النفس. والطبيعةُ ما يكون مبدأ الحركة من غير شعورٍ، والنسبة بينهما بالعموم والخصوص مُطلقًا، فالعامُ هو الطبعُ، والطبيعةُ تُطلق على النفس باعتبار تدبيرها للبدن على التسخير لا الاختيار، وقد تُطلق على الصورة النوعية للبسائط، والطبعُ قوةٌ للنفس في إدراك الدقائق.

ونظرتما عطفٌ على ما قبله، يعني: هلاّ نظرتما **خفضا**: ضدُّ الرفع **يقوم بالقسط** [٤٦٢/ب]

(١) في المطبوع (٢٦٩): كل واحد منكما بسائر العبر بصاحبه طبعًا.

أي العدل، ورفعًا ضدُّ الخفض، أي هلاّ نظرتما خفضًا ورفعًا يقومان بالعدل.

وهلاّ علمتما أنّ كلَّ واحدٍ منكما أصلٌ في سعادة أخيه، لأنه لا تحصلُ سعادة النفس إلاّ بالروح، وكذلك لا تحصلُ سعادة الروح إلاّ بالنفس الزاكية، فإنها مطيةُ الروح. والسعادةُ: هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيلِ الخير.

وهلاّ علمتما أنّ حكمةَ هذا الوجود فيكما، فتنظران فيه أي تتفكّران في حكمة الوجود أليس أَحدُكما أنثى وهي النفس والآخرُ ذكر وهو الروح، وذكورةُ الروح باعتبار الفعل والتأثير، وأنوثة النفس باعتبار الانفعال والتأثر.

وأنتما أصلٌ لسرائر العبر. والسرائرُ يعنون بها انمحاقُ السيّار بالاتصال بنور الأنوار، وحينئذ لا يطّلعُ عليه وعلى حاله غير البتة، وإلى هذه الحالة هي الإشارة بقوله عليه السلام: «لي مع ربّي وقتٌ لا يسعني فيه غيرُ ربّي»[١] ويُروى «لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه مَلَكٌ مقرّبٌ، ولا نبيٌّ مرسل»[١] وإليه الإشارة بقوله تعالى: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفُهم غيري»[١].

والعبرُ: جمع العبرة مشتقّةٌ من العبور، أي من الظاهر إلى الباطن، فيعبر فيما يتعلّق بالدنيا إلى ما يتعلّق بالآخرة فيما يراه ويسمعه ويقوله ويفعله ويعقله، قال عليه السلام: «أُمرتُ أن يكونَ نطقي ذِكْرًا، وصمتي فكرًا ونظري عبرة»[٢] وذلك بحيث لا يكونُ نظرُ الإنسان ونطقُه وسماعه وفعله وعقله مقصورًا على ما يتعلّق بأمر الدنيا غير متعدٍّ إلى أمرٍ آخروي هو المقصود منها.

فالحاصلُ أنَّ أهلَ الاعتبار هم الذين عبروا من رؤية ظاهرِ الأمور إلى رؤيةِ باطنها. وعبرة أولي الأبصار، يقال بصائر الاعتبار، وعبرة أهلِ السرِّ العبورُ من ظاهر الوجود إلى باطنه، فيشاهدون الحقَّ في كلِّ شيء.

فتناكحا أي الروح والنفس بحضرة المثال النكاح، وهو في اللغة: الضُّم والجمعُ، وفي الشرع: عقدٌ يرد على تملّك متعة البضع قصدًا، وفي «القيد الأخير»: احترازٌ عن البيع ونحوه، لأنَّ المقصودَ فيه تملك الرقبة، وملكُ المتعةِ داخلٌ فيه ضمنًا، ونكاحُ السرِّ وهو أن

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٥٧).
(٢) تقدّم الحديث وتخريجه ص (٣/ ٦١).

يكون بلا تشهير، ونكاحُ المتعة وهو أن يقولَ الرجلُ لامرأةٍ: خذي هذه العشرة أُمَتَّعُ بك مدّةً معلومة، فقبلته.

والنكاح الساري في جميع الذراري: يعني به التوجّه الحبّي المُشار إليه بقوله تعالى: «كنتُ كنزًا مخفيًا فأحببتُ أَنْ أُعرف، فخلقتُ الخلقَ لأُعرف»[1] فأول النكاح الساري هو الوصلة الحاصلةُ بين الغيب والظهور، فإن قوله: «كنت كنزًا مخفيًا» يخبرُ عن غيبٍ وخفاء، وحيث كان الخفاء في قوله: «كنت كنزًا مخفيًا» خبرًا (لكنت)، عرف من سبق الخفاء والغيبة والإطلاق أنه ليس عند الله صباحٌ ولا مساء، وقوله: «أحببت» يخبرُ عن ميلٍ أصلي هو الوصلة بين الخفاء والظهور، فتلك الوصلةُ هي أصلُ النكاح الساري في جميع الذراري، وحيث إن الوحدة هي أول التعينات، إذ لا يعقلُ وراءها إلاّ الغيب المطلق، كانت الوحدةُ أولَ النكاح الساري في جميع الذراري الذي هو تعيناتها وشؤونها، فإنّ الوحدةَ بكلّيتها ساريةٌ في جميع شؤونها التي هي اعتباراتها واصلةٌ بين فصولها، جامعةٌ لتفرقتها وشتات شملها، فهي أوّلُ نكاحٍ ووصلةٍ [٤٦٣/ب] سرت في التعينات وآخره، إذ لا يخلو عنها واحدٌ ولا كثير، ولا قديمٌ ولا حادث، فلهذا صار النّكاحُ الساري في جميع الذراري هو حقيقتَها، إلا أنّها لمّا كانت مظهرَ الارتسام، ومرتبةَ العلم الأزلي، ومحلَّ الاقتدار كما عرفتَ كلّ ذلك ظهرتِ الوحدةُ بصورة جمعية تلك الحقائق، وتلك الجمعية إنّما تكون بالوجود[2] الساري في جميع الذراري كما عرفت في باب التجلّي بأنه هو صورةٌ جمعية ما تشتملُ الوحدة عليه من الشؤون التي يصيّرُ حقائق في المرتبة الثانية، ثم ينضافُ إليها الوجود المفاض عليها، ثم لا تزالُ تلك الوصلةُ الظاهرةُ بالوحدة، ثم بالوجود ظاهرةً في كلِّ شيءٍ بحسبه حتّى في الغذاء والمغتذي، والعالم والمتعلّم. وحدود القياس بنتيجته، وفي الذكر والأنثى، وغير ذلك. وقد صنّف الشيخُ رضي الله عنه كتابًا في النكاحِ على حدّة، وسمّاه كتاب «النكاح الساري في جميع الذراري» الذي البصيرُ فيه أعمى، فكيف بمن حلَّ به العمى. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[3] قدس سره.

وكان الوالي عند ذلك التناكح الكبير المتعال، والسامعان الشاهدان الجلال والجمال

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١١٤).

(٢) في اللطائف: إنما تكون بالنكاح.

(٣) لطائف الإعلام ٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

ليصحَّ عقدُ النكاح وانصرفا أي الروح والنفس انصرفا بعد التناكح إلى الملك[1] أي عالم الملك بالإنزال، فادعيا أي الروح والنفس كمالَ الاسترسال أي الانبساط والاستئناس، كما يُقال: استرسلَ إليه، أي انبسطَ واستأنس.

وقال الواحد منهما أي الروح: أنا سُلطان الأيام أي مالكُ أنوار معارفِ الحقائق الإلهية، لأنَّ الأنوارَ إنّما تشرق من مطالع الأرواح. وقال الآخر منهما أي النفس: أنا سلطان الليال أي: مالكُ أسرار معارف الحقائق الكونية، لأنَّ الأسرارَ إنّما تنشأُ من الأحوال، والحال هو ما يردُ على القلب من غير تأمّلٍ ولا اجتلاب ولا اكتساب.

والقلبُ: لطيفةٌ ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبريِّ الشكلِ، المودعِ في الجانب الأيسر من الصدر تعلّق، وتلك الحقيقة هي حقيقة الإنسان، ويُسمّيها الحكيم النفس الناطقة، والروح باطنة، والنفس الحيوانية مركبة.

فرماهما الكبرياءُ بسهام الآجال لسوءِ أدبهما بالدعوى عند ذي العظمة والكبرياء، والأَجَل محرّكةً: غايةُ الوقت في الموت، وحلول الدَّين، ومدّةُ الشيء، والجمع آجال، وأجله يأجله حبسه ومنعه، يعني رمى الكبرياء الروح والنفس بسهام الحبس والمنع وأذاقهما طعمَ الهجران بعد الوصالِ، فانعدما أي النفس والروح انعدام الإقبال دون الإدبار، لأنّ المُحْدَثَ إذا قُرن بالقديم لا يبقى منه أثرٌ حتى بقي من له الأفضال أي الإحسان، وهو ذو الفضلِ العظيم، والموحّد القديم، فرديُّ الكمال يعني الكمال على إطلاق منسوب إلى فرديته تعالى، لأنّ الكمالات بأسرها راجعةٌ إليه تعالى أوحديُّ الجمال الأوحد والمتوحّد ذو الوجدانية، يعني: الجمال المطلق الأزلي الأبدي، منسوبٌ إلى وحدانيته تعالى.

ثم بعد حينٍ ترامتْ أي دخلت شمس الحقيقة الفردية المحمدية في بساطِ التمكين.

التمكين: عند الشيخ رضي الله عنه: عبارةٌ عن التمكين في تلوين. وغيرِ الشيخ يعبّر عنه عن حال أهلِ الوصول، فمراتبُ التمكين ثلاثةٌ [٤٦٤] كما كانت مراتب التلوين أيضًا:

التمكين في تلوينات التجلي الظاهرة: هو أول مقام التمكين في التلوين، ويعني به التمكين عند غلبات التلوين الحاصلة من تعاقب التجليات الظاهرية الأسمائية التي عرفت أن التلوين فيها إنّما يحصلُ عن تعاقب آثارها الموجب للحجاب بعضها عن البعض، وإنّما

---

(١) في المطبوع (٢٦٩ـ ٢٧٠): وانصرفا إلى الملك والسامعين بالإنزال.

يتمكّن السائر ههنا أن يبدو له بارق جمعية الاسم الظاهر حتى يتحقّق بنقطة حاق قطبيته التي نسبة جميع الأسماء إليه على السواء، فإذا تحقَّقَ بتلك النقطة فقد تمكّن من مقام التمكين في الثبات على تعاقب التلوينات الحاصلة عند ظهور كلِّ واحدٍ من الأسماء، بحيث لا يَنحجبُ شيءٌ منها عن الآخر، فيسمى ذلك التمكين بمقام التمكين في المرتبة الأولى.

والتمكين في تلوينات التجليات الباطنية: هو ثاني مقامِ التمكين في التلوين، ويعني به التمكين عند غلبات التلوين الحاصلة من تعاقب التجلّيات الباطنية، فإذا تحقّق السائر بنقطة الجمعية التي هي حاق الوسطية التي نسبتها إلى جميع التجلّيات على السواء، فتلك النقطةُ هي مقامُ التمكين في التلوين الحاصل من التجلّيات الباطنية، لأنَّ صاحبها يتمكّن حينئذٍ من الثباتِ على كلِّ حالٍ من تلك التجليات، من غير انحجابٍ بأحدها عن الآخر.

والتمكين في تلوينات التجليات الجمعية: هو ثالثُ مقامِ التمكين في التلوين، وهو مقام التمكين عند غلبات التلوين الحاصلة من تعاقب التجلّيات الكائنة في البرزخية الجامعة بين الظاهر والباطن، فعند حصولُ السائر في حاق البرزخِ بينهما، فذلك هو مقامُ التمكين، لأنه حينئذٍ يتمكّن من الجمع بين أحكامها، ويفرّقُ بينهما، فلا يحجبُهُ شأنٌ عن شأن، وهذا المقامُ الثالث من مقام التمكين هو المسمّى بمقام التمكين في التلوين، سُمّي بذلك لاستجماعِهِ التمكينَ في جميعِ التلوينات بخلافِ التمكين الأول والثاني، ولهذا سُمّي كلُّ واحدٍ منهما بالتمكين الربي والنسبي، ويُسمّى هذا الثالث بالتمكين الجمعي الحقيقي. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

وشفعتْ شمسُ الحقيقة الفردية المحمدية **فيهما** أي في الكوكب والشهاب، يعني في الروح والنفس **شفاعةَ مطاعٍ عند ذي العرش مكين، فرُدَّا** على البناء للمفعول، يعني ردَّ اللهُ الشهاب والكوكب أي النفس والروح **إلى وجودهما بعد المحو** محو الجمع عبارة عن فناء الكثرة في الوحدة **وأُذيقا** على البناء للمفعول، يعني: أذاق الله الشهاب والكوكب **بعد السُّكرِ حلاوة الصحو**.

السُّكر: غيبةٌ بواردٍ قويٍّ، والمرادُ بالغيبة عدمُ الإحساس، فمن غابَ بوارد قويٍّ سُمّي سكران، وذلك أنَّ العبدَ إذا كوشف بنعتِ الجمال ـ الذي عرفتَهُ في باب تجلّي الأفعال ـ

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣٤٨ـ ٣٥٠.

حصلَ له السُّكر وطربُ الروح، وهامَ القلبُ، فإذا عاد من سكره سُمّي صاحيًا. والصحو مختصٌ بأهل السماع، فإنّ السكرانَ لا يسمعُ ولا يفهم، كما أنَّ السُّكرَ حالُ صاحب الرؤية عندما ينقهرُ تحت سلطنة الجمال. وقد مرّ تفصيلُهما.

فاستوى أي استقرَّ **شهاب الأشباح** أي النفس [٤٦٤/ب] **على عرشه الكريم** أي على سرير الجسم **مُعترفًا للكوكبِ بالفضل، واستوى كوكبُ الأرواح** أي الروح **على عرشِهِ المجيد** أي على سريرِ القلب **مُعترفًا للشهاب بالبذل**.

قال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: العرشُ أعظمُ الأجسام، ويوصف بالعظيم وبالمجيد وبالكريم، فهو من حيث الإحاطة عظيمٌ، ومن حيث أعطى بحركته ما في قوّته لمن هو في حيطته وقبضته، فهو كريمٌ، ومن حيث نزاهته أنْ يُحيطَ به غيرُه من الأجسام كان له الشرفُ، فشرفَ على سائر الأجسام، فهو مجيدٌ.

وصحَّ منهما من الروح والنفس **الافتقارُ** الاحتياج **وعليه كان المدار** يعني مدار كلِّ واحدٍ من الروح والنفس **على الاحتياج** أي احتياج كلِّ واحدٍ منهما على الآخر **وجعل المقيتُ**[2] **الرزّاق قوتَ كلِّ واحدٍ منهما** من النفس والروح **على يدي صاحبه، ما تراخت الأعمار** أي أبطأت، كما يُقال: تراخى السماء، أي أبطأ المطرُ. والعمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياةُ، والجمع أعمار **فهما** أي الشهاب والكوكب، أعني الروح والنفس **يتناجيان يتقاولان سرًا بالرحمة**.

الرحمة: هي حالةٌ وجدانية تعرضُ غالبًا لمن به رقَّةُ القلب، ويكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأُ الإحسان، ولمّا لم يصحَّ وصفه تعالى بالرحمة لكونها من الكيفيات حُمل على المجاز عن نفس الأنعام، كما أنَّ غضبَه مجازٌ عن إرادة الانتقام.

ويصطبحان واصطبحَ أي أسرجَ وشرب الصبوح، فهو مُصطبح، والصبوح الشربُ بالغداة، وهو ضد الغَبوق **بالحرمة** والحرمة ما لا يحل انتهاكه **واستوسقت**[3] أي اجتمعت **المملكة الإنسانية لهما** للنفس والروح **إلى يوم الجمع**. الجمع: يُطلق في اصطلاحات القوم

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ٤٣٦ بتصرّف.
(٢) في المطبوع (٢٧٠): وجعل القوت.
(٣) في المطبوع (٢٧٠): ويصطحبان بالجرمة، واستوثقت.

على عدّةِ معانٍ، منها: أنهم يُشيرون بالجمع إلى حقٍّ بلا خلق، وبالتفرقة إلى العكس، وهو المراد ههنا، وقد سبق تفصيلُه. **وهنالك** أي عند مقام الجمع **يبقى العطاء، وينعدمُ المنع لارتفاعِ التكليف** أي المشقة هنالك، وتحقق مقام الجمع إنما هو بالتجلّي، والحال لا بالعلم والقال كما يرتفعُ التكليف عن المصروع عند صرعه، وإذا أفاقَ عاد مع التكليف، وعلى هذا لا يرتفعُ التكليف عن المكلف أبدًا، فإذا فني المكلّف من شعوره، ويستغرق ويضمحل ذاته لا يبقى محلُّ التكليف، وإذا صحا وعادَ من المحو وجد مع التكليف، وليس مرادُ الشيخ رضي الله عنه من هذا الكلام ارتفاعَ التكليف أصلاً، بل مرادُهُ بيانُ حال المقام.

كما قال رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: الذي أقول به: إن الإنسانَ إذا رُفع عنه التكليف لغلبة حالٍ أو جنون أو صبي، لم يَزُلْ عنه خطابُ الشرع، خلافًا للفقهاء، لأنّه ما ثمَّ حالٌ ولا صفة في مكلف يخرجُ عن حكم الشرع، فإنَّ الشارعَ قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرّف فيما يخطرُ له، ولا حرجَ عليه، فكيف يقال: زال عنه حكم الشرع، وهو قد حكم له بالإباحة، كما حكمَ على المكلّف بالإجماع بالإباحة فيما أبيح له، فإنَّ الحكمَ للشرع لا للعقل، فما خرجَ حيوان كبير أو صغير، ذكر أو أنثى عن حكمِ الشرع، ومعلومٌ أنَّ أحكامَ الشرع مبنيَّةٌ على الأحوال لا على الأعيان، فحالُ الطفولةِ والإغماء والجنون، وغلبةِ الحال والفناء والسُّكر للشرعِ فيها أحكامٌ، كالحال للرجولية واليقظة [٤٦٥] والصحة والصحو والبقاء وغيرِ ذلك أحكامٍ مشروعة. انتهى

يعني عند مقام الجمع والفناء يبقى العطاءُ، وينعدمُ المنعُ لارتفاع التكليف هنالك **ويتّصل الكثيف باللطيف** أي المُحْدَث بالقديم، وإذا قرن المُحْدَث بالقديم لا يبقى من المحدَث أثر **ونكون المادةُ على السواء في حضرة الاستواء.**

والمراد من المادة هي الوحدة الجامعة بين الأحدية والواحدية، وهي البرزخُ الأول، والبرزخ الأكبر، والبرزخ الأعظم، وهو أصلٌ لجميع البرازخ والساري فيها.

والمراد بذلك الوحدة وهو البرزخية الأولى، سُمّيت بذلك لانتشاءِ الأحدية والواحدية عنها، فصارت مميزةً لأحدِهما عن الآخر، فسُمّيت برزخًا لهما لذلك، ولأجل اشتقاقهما

---

(١) مرّ قبل، ولم أجده في المطبوع من الفتوحات المكية، وكل الظن أن القول منقول بالمعنى مع شرحٍ من المؤلف كعادته.

عنهما، وسمّيت بالجمعية الأولى، لكونها جامعةً بينهما، وواقعةً بينهما عن البينونة، وموحّدةً إياهما، بل كلٌّ منهما هو عينُ الآخر بحكم اقتضاء الباطن الحقيقي، وإنّما كانتِ الوحدةُ هي باطنُ جميع الحقائق الإلهية والكونية، وأصلاً لانتشاء الجميع عنها، لكون حقيقة الوحدة سابقةً على جميع الحقائق، وساريةً بكلّيتها في جميع الحقائق بحيث لا يكونُ[1] في الإلهية خارجة منها إلهية، وفي الكونية كونية، ولهذا صارتِ الوحدة هي المسمّاة بالتعيّن الأول، وهي أيضًا البرزخية الأولى باعتبار النسبة السوائية التي للوحدة الحقيقية إلى الأحدية والواحدية؛ فإنَّ الوحدة الحقيقية لمّا كانت هي أولُ ما تعيّن من الغيب الحقيقي، وكانت نسبةُ الأحدية المسقطة للاعتبارات، ونسبة الواحدية المثبتة لجميعها إليها ـ أعني إلى الوحدة على السواء ـ سُمّيت بحقيقةِ الحقائق لما عرفتَ من كونها أصلاً ومنشأً للكلِّ، والساري في جميع الحقائق، فإنَّ الوحدةَ لا يخلو عنها شيءٌ، واحدًا كانَ أو كثيرًا، ثم إنّه لمّا لم يصحَّ أن يكونَ وحدة الحقِّ وصفًا زائدًا عليه لكون الزيادة لا تعقل بدون الكثرةِ التي لا يتعقّل[2] اتّصاف الواحد الحقِّ بها، صحَّ أن يكون الباري تعالى معنا في كثرتنا بوحدانيته من غير أن يتكثّر بنا، فهو القريبُ البعيد، الظاهر الباطن، الأول الآخر، لاستحالة اعتبار أمرٍ خارج عن حقيقة الواحد تعالى وتقدّس.

والبرزخية الكبرى: هي البرزخية الأولى، وهي النسبةُ السوائية بين الأحدية والواحدية المثبتة، فإنّ نسبة الأحدية المسقطة للاعتبارات، ونسبة الواحدية المثبتة لجميعها إليها على السواء، فلهذا سُمّيت بالنسبة السوائية، وهي أولُ النسبِ، وسمّيت بالأولى وبالكبرى إذْ لا نسبةَ تعلوها. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[3] قدس سره.

وهذه النسبة هي حضرة الاستواء.

١ـ صحتُ بالكوكبِ المُنيرِ عشاءً ... يــا نظيــرًا لنــورِ بــدرِ الصَّبــاحِ

الصَّيحُ والصيحة والصِّياح بالكسر والضم، والصَّيَحان محرَّكةً: الصوت بأقصى الطاقة، يُريد بالكوكب: الروحَ، كما يُريد بالشهاب النفس، والمرادُ من العشاء الغيب.

---

(١) في لطائف الإعلام ١/ ٢٧٩: بحيث تكون.
(٢) في لطائف الإعلام ١/ ٢٧٩: لا يعقل.
(٣) لطائف الإعلام ١/ ٢٧٨ـ ٢٨٠.

يعني: صحتُ بالروح المنوّر بنور الحقّ عند ظُلمة الحجاب: يا نظيرًا لنور بدر الصباح المقابل للشمس الحقيقية، يعني أنتَ نظيرٌ لنورِ القلب الواسع للحقّ حالَ كونه بدرًا، أي مُمتلئًا بنور الحقّ سبحانه وتعالى.

٢ـ يـا حبيبـي وهـل علـيَّ إذا مـا   جئتكُم عـن حقيقـةٍ مـن جنـاحِ

يعني: يا روحي، إذا جئتكم هل عليّ من جناحٍ عن حقيقةٍ حتَّى أطيرَ به إلى مُنتهى الآمال الذي هو مقام الوصال إلى حضرة الكبير [٤٦٥/ب] المتعال؟.

٣ـ أين سرُّ الوصالِ بالله قلْ لي   منكما في الطَّلاقِ أو في النِّكاحِ

الوصلُ: يعني به التعيّن الأول، تارةً لكونه هو الوحدة الحقيقية، وهي الواصلةُ بين الخفاء والظهور، وقد يعنون بالوصل سبقُ الرحمة المعبّر عنه بالمحبّة المشار إليه في الحديث الإلهي بقوله تعالى: «فأحببتُ أنْ أُعرفَ»[1].

وقد يعنون بالوصل: قيُّوميّة الحقّ تعالى للأشياء، وبالفصل تنزّهه عن حدثِها.

وقد يعنونُ بالوصل فناء العبد عن أوصافه، وظهوره بأوصاف ربّه على الوجه اللائق بالإنسان، وهو المُشار إليه بإحصاء الأسماء الإلهية في قوله عليه السلام: «من أحصاها دخلَ الجنة»[2] وقد عرفتَ كيفية الإحصاء تعلّقًا وتخلّقًا، وهو المراد ههنا، وقد سبقَ تفصيلُ الوصل، ووصل الفصل، ووصل الوصل، والوصول إلى كمال القبول.

والضميرُ المخاطب في (منكما) عائدٌ إلى الكوكب وصاحبه الشهاب، يعني إلى الروح والنفس، يعني: يا كوكب الأرواح ويا شهاب الأشباح، قلْ لي أين سرُّ الوصال بالله، أفِي الطّلاق مُنكما أو في النكاح؟.

٤ـ عمـلٌ هـل يصـحُّ فيـه ازدواجٌ   أي من بهامي[3] بالوجود الملاح

البهامي جمع البهيم، بمعنى الأسود، كاليتيم واليتامى.

والمِلاح بالكسر جمع مليح، يقال: ملحَ الشيءُ من طرف وسهل أي حسنَ، فهو مليحٌ، وجمعهِ ملاح بالكسر، وأملاح أيضًا.

---

(١) تقدَّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١١٤).
(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).
(٣) في المطبوع (٢٧١): أي وتهيامي بالوجوه.

يعني: هل يصحُّ في العملِ من ازدواجِ القبيح بالمليح أي الأسود بالأبيض، والمرادُ من الأسود الشهابِ الذي أَعني به النفس، ومن الأبيض الكوكب الذي أعني به الروح، استفهام تقرير معناه: بل إنّما يصحُّ العمل الصالح بازدواج الروح القدسي بالنفس الزكية.

٥ـ نكَحَ المغربُ الصباحَ فأبدى ربُّنا عند ذاكَ نورَ الصَّباحِ

والمراد من المغرب النفس، ومن الصباح الروح، ومن نور الصباح مقدّمة التجلّي الأفعالي، كما يؤيّده خاتمةُ النظم.

يعني: نكح النفس الروح، فأظهرَ ربُّنا تبارك وتعالى عند ذاك النِّكاحِ نورَ التجلّي الأفعالي، يعنون به تجريدَ فعل الله الوحداني الساري في جميع الأشياء، وذلك بأن يتجلّى الحقُّ من حيث فعله الوحداني الساري في جميع الأسباب الظاهرة أثره على جميع الكائنات في مرآةِ الصُّورة المنظورة، وقد مرّ تفصيلُ التجلّيات.

٦ـ فأَنارَتْ أرضُ الوجودِ وأبدتْ كلَّ شيءٍ مخبّأً في البِطاحِ

بطحه كمنعه: ألقاه على وجهه، فانبطحَ، والبَطح ككتف، والبطيحة والبطحاء والأبطح: مسيلٌ واسعٌ فيه دقاقُ الحصى، والجمع أباطح وبطاح وبطائح.

يعني: عند التجلّي الأفعالي أشرقتْ وأضاءت أرضُ الوجود بنور التجلّي الصفاتي لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وأظهرتْ كلّ شيءٍ مخفيةٍ في البطاح من كنوزِ الحقائق الإلهية، ورموزِ الدقائق الكونية.

٧ـ ثم غَابا عن الوجودِ زَمانًا حين حلّتْ عساكرُ الاقتراحِ[١]

اقترحَ عليه شيئًا: سأله إيّاه من غير رويّةٍ، واقتراحُ الكلام: ارتجاله، واقترحتُ الجملَ إذا ركبتُهُ قبل أن يُركب.

يعني بعد التجلّي الصفاتي عند ظهور [٤٦٦] التجلّي الذاتي الروحُ والنفسُ غابا عن وجودِهما زمانًا حين نزلتْ عساكرُ الطلبِ على سبيل التكليف والتحكم، لأنّه إذا طلعتِ الشمسُ أفلتِ الكواكب.

---

(١) في المطبوع (٢٧١): عساكر الأقداح.

٨ ـ وأقاما بربوة المحوِ حتّى ما أهلّتْ أهلّةُ الافتتاحِ

الرابية: ما ارتفعَ من الأرض، والربوة مثلّثة الراء، والرباوة أيضًا. ومحو الجمع عبارةٌ عن فناء الكثرةِ في الوحدة.

والأهلةُ جمع الهلال، وهو في أوّل الليلة والثانية والثالثة، ثم قمر، وأهلَّ الهلال واستُهِلَّ على ما لم يُسمّ فاعله أي قيل: الهلالُ الهلالُ عند رؤيته، يعني الروح والنفس أقاما بمقامِ المحو مدّةً حتى أَهلّتْ أهلةُ الافتتاح بفتوح الصحو والإثبات.

٩ـ قيل يا كوكبان هُبّا بخيرِ كهبوبِ الجنوبِ بين الرِّياحِ

هُبّا أمرٌ من هبَّ يهبُّ للكوكبان، والهبوب ثوران الريح كالهبيب، والانتباه من النوم، ونشاطُ كلِّ سائر وشرعته كالهِباب بالكسر. والجنوبُ ريحٌ تخالفُ الشمال مهبُّه من مطلع سُهيل إلى مطلع الثُّريا، والشَّمال بالفتح ويكسر: الريحُ التي تهبُّ من قبل الحجر، أو ما استقبَلَكَ عن يمينك وأنت مستقبل، والصحيح أن تهبّ ما بين مطلعِ الشمس وبنات النعش، أو من مطلع النعش إلى مسقطِ النّسر الطائر. والرياحُ جمع ريح، وهي أربعٌ: الجنوب ويقابله الشمال، والصَّبا ويقابله الدبور، فالصَّبا مهبُّها من مطلعِ الثريا إلى بنات النعش، والدبور وهي ريحٌ تقابل الصَّبا، يقال: دبرَ الرِّيحُ أي تحوّلَتْ دبورًا، والجنوب ههنا كنايةٌ عن نفحات القُرب بشرط العبودية.

وقال الفرغاني[1] قدس سره: الصَّبا ما يأتي من الريح من جهة المشرق، ويقال لها القبول كما يُقال للريح الآتية من جهة المغرب الدَّبُور، وهي في إشاراتِ القوم ما يأتي من جهة الجسمانيات، والصَّبا ما يأتي من جهة الروحانيات، ويُكنى بالصَّبا عن نفحات القرب المشار إليها بقوله عليه السلام: «إنّ لله في أيامِ دهركم نفحات ألاَ فتعرَّضوا لها»[2] وقوله عليه السلام: «نُصرت بالصَّبا، وأُهلكتْ عادٌ بالدبور»[3] إشارة إلى كون الصبا ريح القبول، والدبور ريح الإدبار. وقالوا:

أيا جَبَلَيْ نعمانَ باللهِ خلّيا نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إليَّ هبوبُها

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٥٤.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٦٧).

(٣) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٦٧).

فـإنَّ الصَّبـا ريـحٌ إذا مـا تنسَّمـتْ   على قلبِ محرورٍ تجلَّتْ كروبُها[١]

فعنوا بجَبَلَيْ نُعمان حجابي الشهوة والغضب، فهما الحاجزان بين النفس وبين تعرّضها لنفحاتِ القُرب من جانب الربِّ عزَّ شانه.

وتعرض له: بمعنى استشرفه ناظرًا إليه، يعني عندما أهلَّتْ أهلّةُ الافتتاح بفتوح الصحو والإثبات، قيل للروح والنفس: يا كوكبان، هُبّا بخيرٍ أي بنفحاتِ القرب كهبوب الجنوب بين الرياح، كما عرفته من الإشارة.

١٠- وانعما بالشُّهود حالاً وعلمًا   واسعيـا للصَّـلاةِ عنـدَ الـرَّواحِ

وانعما عطف على (هبا) أمرٌ من نعم ينعم، والنعمة والنُّعمى بالضم: الخفضُ والدعة والمال. والدعة: الخفضُ وسعةُ العيش. والشهودُ: هو الحضور مع المشهود، ويطلق أيضًا بمعنى الإدراك الذي تجتمع فيه الحواس الظاهرة والباطنة [٤٦٦/ب] وتتّحدُ في إدراكها والموجب لاتحادها نورٌ من جانب المشهود، يمحو ظلمةَ حجابيّتِها، ويقوم مقامها، فيرى الحقّ بنوره، ويُفني كلّ ما سواه بظهوره. وقد مرّ تفصيله.

والحالُ: ما يردُ على القلبِ من غير تأمّلٍ ولا اجتلابٍ ولا اكتسابٍ. وقد سبق.

واسعيا: عطفٌ على (انعما) أمرٌ من سعى يسعى سعيًا، كرعي: قصدَ، وعمل، ومشى، وعدا، وكسب.

والرواحُ ضدُّ الصباح، وهو اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل، وهو مصدرٌ أيضًا من راح يروح، ضدّ غدا يغدو، كما قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ صلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها، وما يجب فيها في مواقيتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ صلاةُ العصر خاصّة: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ صلوا لله قائمين بالركوع والسجود، ويُقال: مطيعين له في الصلاة، غيرَ عاصين بالكلام.

وقال بعضُ المفسّرين: المراد من (الصلاة الوسطى) صلاة الظهر، لأنَّ الرواح مساعد

(١) تقدم تخريج البيتين صفحة (٣/ ٦٧).

لهما، لأنَّ الظهرَ والعصر بعد الزوال، وهو وقتُ الرواح، وفي معنى الإشارة على خطِّ الصوفي هو الأمر بالصلاة عقيب تجلّي الحق.

وقال الشيخ رضي الله عنه في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها[1]: اعلمْ أنّ الحقَّ تعالى هو نورُ الشمس، والصلاةُ المناجاة، فإذا تجلّى الحقُّ تعالى كان البهتُ والفناء، فلم يصحَّ الكلامُ ولا المناجاة، فإنّه تعالى إذا أشهدَكَ لم يكلّمْك، وإذا كلَّمَكَ لم يشهدْك، إلاّ إن كان التجلّي صوريًا، فعند ذلك يجتمعُ الكلام والمشاهدة، وإذا غابَ لم تصحَّ المناجاة، قال ﷺ: «اعبدِ الله كأنّك تراه، إذ هو يراك»[2] وقد فرضْتَهُ غائبًا، فلا مناجاة، وفي وقتِ الاستواء يغيبُ عنك ظلُّكَ فيك، وتحفُّ بك الأنوارُ من جميع الجهات، فلا يتعيّن لك أمرٌ تسجد له إلاّ ومثله من خلفك تجذبك، لأنك نورٌ من جميع جهاتك، والصلاةُ نورٌ، فالصلاةُ لا تُصلّى، وأمّا اعتبارُ منع الصلاة بعد الصبح إلى الطلوع فهو وقتُ خروجك من البرزخِ إلى عالم الشهادة، والصلاةُ لم تفرضْ إلاّ في الحسِّ لا في البرزخ، وكذلك بعد صلاة العصر، فإنَّ الاشتغالَ بضمِّ الحبيب يغني عن مخاطبته؛ لسريان اللذة في ذلك. انتهى

وقد عرفتَ أنّ حضرةَ الاستواء عبارةٌ عن مرتبة الوحدة، وهي تجلّي الحقّ بأحدية الجمع، ولذلك خُصَّتِ الصلاة الوسطى بعد التعميم في قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ عمومًا ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] خصوصًا، وهي الصلاةُ التي وقعتْ عقيب التجلّي، لأنّ الرواحَ إنّما تدخلُ بعد استواءِ الشمس، فيصدق على صلاة الظهر، وعلى صلاة العصر.

١١ـ ثمّ لمّا منَّ الكريمُ عليهم بـاتّصـالِ الـذواتِ بعـد انـتـزاحِ

مَنَّ عليه بمعنى أنعمَ، من باب ردّ.

قال في «رصد المعارف»: الاتصالُ مشاهدةُ استفاضة الوجود، واستفادته من الوجود الأحدي بنَفَسٍ رحماني على الدوام، ويُطلق على الحضور مع الله تعالى بسلامة الفطرة، والاعتصام بالله بتصحيح القصد، وعلى تصحيح التوجّه وقوة المراقبة وعلى الاتصاف [٤٦٧] بالأخلاق الإلهية، واللهُ تعالى منزَّهٌ عن اتصالِ المخلوق به، وعن حلوله في شيءٍ، أو حلول شيءٍ فيه، وعن جميع النقائص، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) الفتوحات المكية: ١/ ٣٩٧.

(٢) انظر الحديث الذي تقدم صفحة (١/ ٢٠١).

وقال الفرغاني[1] قدس سره: الاتصالُ أحدُ المنازل العشرة التي يشتملُ عليها قسمُ الحقائق، فإنَّ السائر إلى الله تعالى إذا انتهى إلى مقام البسطِ الذي يُوجب السكر، فإن ارتقى عنه إلى مقام الصحو نزل بعده في منزل الاتصال، ثم ينفصلُ عن رؤية الاتصال المنبىءُ عن نوعٍ من الانفصال.

واتصال الاعتصام: ويقال الاعتصامُ بالاتصال: وهو من اعتصام الخاصة الذين هم أهل الوصول إلى الحضرة، والمرادُ بالاتِّصال الاعتصامُ بشهود الحق تفريدًا، أي منفردًا ولا شيء معه، وذلك بعد الاستجلاءِ له تعظيمًا.

واتصالُ الشهود: معناه سقوط الحجاب بالكلّية.

اتصال الوجود: معناه وجودُ الحقِّ وجود عين، أي وجود معاينة، وذلك بالانتهاء إلى حضرة الجمع.

واتصال الانفصال: معناه رؤيةُ وصل الوحدة لفصل الكثرة، وذلك حالُ من يشاهد الوحدة في الأشياء، ويُطلق اتصالُ الانفصال على زوالِ خصوص العبد الموجب لاتصاله بالحق. انتهى

ونزح: كمنع وضرب نزحًا ونزوحًا بعُدَ، والبئرُ استقى ماءها حتى ينفدَ أو يقلَّ كأنزحها.

يعني: لمّا أنعم الكريمُ على الروح والنفس، لأنّ أقلَّ الجمع اثنان، أو على الروح والعقل والنفس باتّصال الذوات أي بشهود فناء الذوات في ذات الحقِّ بعد البُعدِ عنها بحُجُب الكثرة.

١٢ـ قلتُ ليتَ الإلهَ يشرحُ صدري   بعلـــومٍ تنـــال دون تـــلاحِ

لحا العصا: قشرها، وبابه عدا، ولحاها يلحاها لحيًا أيضًا مثله، ولحاه يلحاه لحيًا: لامه، فهو ملحي، ولاحاه مُلاحاةً ولحاءً: نازعه، وفي المثل: من لاحاكَ فقد عاداك. وتلاحوا: تنازعوا. وقولهم: لحاه الله: أي قبّحه ولعنه، ونزعَ الشيءَ من مكانه قلعه.

ونال خيرًا ينال نيلاً: أصابَ.

يعني: قلت: ليت الإلهَ يشرحُ صدري بعلومٍ تصيبُ خيرًا غير تلاح: أي تنازعٍ فيها.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ١٦٤. وقد تقدّم الكلام قبل (٤٣٩/أ).

١٣ـ جاءني الكوكبُ العليُّ رسولاً   من حكيم مُهيمنٍ فتّاحِ

والمراد من الكوكب العلّي المُرسل من حكيم مهيمن فتّاح: أما الروح أو العقل، وتنكير الحكيم والمهيمن والفتاح للتعظيم، وهو الحكيمُ على الإطلاق بإنزال كلِّ شيءٍ منزلته، وجعله في مرتبته ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقد قال عن نفسه: إن بيده الخير. وقال ﷺ «الخيرُ كلُّه بيديك» فلم يُبقِ منه شيئًا. «والشرُّ ليس إليك»[١] وهو المهيمنُ على عباده بما هم فيه من جميع أحوالهم ممّا لهم وعليهم، وهو الفتّاح بما فتح من أبواب النعم والعقاب والعذاب. وقد سبق تفصيل الحكمة والحكيم غير مرة.

١٤ـ قال يا سائلَ الحكيمِ علومًا   ما على عالمٍ بها من جَناحِ

أي: قال لي الكوكب العلي الرسول من حكيم مهيمن فتاح: يا سائلَ الحكيمِ علومًا كائنةً على عالمٍ بتلك العلوم من جناح يطيرُ به إلى أوج القدس.

١٥ـ إن تكنْ تُحسنُ استماعَ خطابي   خذْ حَبَاكَ الإلهُ بالانشراحِ

قال الرسولُ من الحكيم: قال الحكيم الفتّاح: إن تستمعْ خطابي أي كلامي بأحسنِ الاستماع فخذْ ما أعطاك اللهُ تعالى بالانشراحِ أي بانشراح [٤٦٧/ب] الصدر بانكشافه، والذي أعطاه فهو:

١٦ـ فعلُ أشباحِنا على الرُّوح يبدو   وكذا فعلُه على الأشباحِ

الشبح: الشخص، والجمع أشباح، يعني فعل أشخاصنا يظهرُ على الروح، وكذا فعل الروح، يظهرُ على الأشخاص، يعني ما صدرَ عن الشخصِ هو فعل الروح.

١٧ـ حكمةٌ مهّدَ الكريمُ تراها   وبنى سقفَها لأمرٍ مُناحِ[٢]

تمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها، وسقفُ البيت: سماؤها، لأنَّ السماء كلُّ ما علاك فأظلَّكَ، ومنه قيل لسقف البيت: سماء. والناح: المقابل، والتناوح: التقابل، يعني كون ظهورِ فعل الأشباح على الأرواح، وفعل الأرواح على الأشباح حكمةٌ سوّاها الكريم، تراها

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٧٧).

(٢) في المطبوع (٢٧): لأمر متاح.

أي تلك الحكمة، وبنى الكريمُ سقف تلك الحكمة لأمرٍ مقابل، يعني قابلِ الأشباح للأرواح، والأرواح للأشباح.

١٨ـ يا أخي قمْ تر حبيبَكَ عينًا فاعلاً في الجسومِ والأرواحِ

يعني: كلُّ فعلٍ صدر عن الشخصِ إنّما هو صادرٌ من الروح، وكلُّ فعلٍ صدر عن الروح إنّما هو صادرٌ من الحق تعالى وتقدس بخلقه إيّاه.

* * *



المرتبة الثالثة الفلك التاسع الإحساني.

المطلع الثالث الآلي الإلهي في الفلك التاسع الإحساني

الذي هو في المرتبة الثالثة من المراتب [٤٦٨] الثلاث.

والآل: جمع الآلة، وآل الرجل: أهلُه وعياله وأتباعه، والآل: الشخصُ، والآلُ الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب.

وفي «القاموس»: والآل ما أشرفَ من البعير والسَّرابُ أو خاصٌ بما في أول النهار، ويؤنَّثُ، والخشبُ، والشخص، وعَمَدُ الخيمة، كالآلة، والجمع آلات، وجبلٌ، وأطراف الجبل ونواحيه، وأهلُ الرجل وأتباعُهُ وأولياؤه، ولا يستعملُ إلاَّ فيما فيه شرفٌ غالبًا، فلا يقالُ آل الإسكافِ كما يقال: أهله. وأصلُه أهلٌ، أُبدلتِ الهاءُ همزةً، والهمزةُ ألفًا فصار آلاً وتصغيرُه أُوَيْل وأُهَيْل، والآلة: الحالة. انتهى

والآلة: هي الواسطة بين الفاعل والمنفعل في وصول أثره إليه كالمنشار للنجار، والقيد الأخير لإخراج العلّة المتوسطة كالأب بين الجدّ والابن، فإنّها واسطةٌ بين فاعلها ومنفعلها، إلاّ إنها ليستْ بواسطةٍ بينهما في وصول أثر العلّة البعيدة إلى المعلول، لأنّ أثرَ العلّة البعيدة لا يصل إلى المعلول فضلاً عن أن يتوسّطَ في ذلك شيء آخر، وإنّما الوصول إليه أثرُ المتوسطة، لأنّه الصادرُ منها، وهي من البعيدة.

والآلة: قال في «القاموس»: أَلَهَ إلاهةً وألوهةً وألوهية: عَبَدَ عبادةً، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولاً، وأصله إله بمعنى مَألُوه، وكلُّ ما اتُّخذ معبودًا إلهٌ عند متخذة بيّنُ الإلاهة، وأَلِه كفرح تحيّر، وعلى فلانٍ اشتدَّ جزعُهُ عليه.

وقال في «التعريفات»[1]: اللهُ: علمٌ دالٌّ على الإله الحق دلالةً جامعة بمعاني الأسماء الحُسنى كلها.

---

(١) التعريفات: ٥١.

والإلهية[1]: وهي أحدية الجمع، أي جمعَ جميع الحقائق الوجودية، كما أنَّ آدمَ عليه السلام أَحديةٌ [لجمع] جميع الصور البشرية، وللأحدية الجمعية الكمالية مرتبتان: أحدُهما: قبل التفصيل، لكونِ كلِّ كثرةٍ مسبوقة بواحدٍ هي فيه بالقوة هو، وتذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فإنّه لسانٌ من ألسنة شهودِ المفصّل في المجمل مجملاً مفصلاً ليس كشهود العالم من الخلق في النواة الواحدة النخيل الكائنة فيه بالقوة، فإنه شهودُ المفصّل [في] المجمل مجملاً مفصلاً، وهي شهودُ المفصّل في المجمل مفصلاً يختصُّ بالحق، وبمن شاء الحقُّ أن يشهدَهُ من الكمّل، وهو خاتمُ الأنبياء، وخاتمُ الأولياء. انتهى

وقال الفرغاني[2] قدس سره: مرتبة الألوهية هي المرتبةُ الثانية التي عرفت أنها هي التعيّن الثاني، وعرفته هناك أنه مرتبة الألوهية من أجل أن التجلّي الثاني الظاهر به وفيه هو أصل جميعِ الأسماء الإلهية التي يجمعها الاسمُ الجامع، وهو الاسم (الله) تعالى وتقدس.

والتعين الثاني[3]: هو ثاني رتب الذات، وهي الرُّتبةُ التي تظهر فيها الأشياء وتتميّز ظهورًا وتميّزًا علميًا، ولهذا تُسمّى هذه الحضرة بحضرة المعاني، وبعالم المعاني، وهذا التعيّن الثاني هو صورةُ التعيّن الأول، وذلك لأنّه لمّا وجب انتفاء الكثرة في التعيّن الأول، وكذا التميّز والغيرية لكون التعيّن الأول هو حقيقةُ الوحدة الحقيقية النافية لجميع ذلك مع أنها ـ أعني الوحدة ـ لكونها متضمّنة لنسبة [٤٦٨/ب] الواحدية، ولاعتباراتها التي لا تتناهى تعينات أبديّتها لزم من ذلك أن يكونَ التعيّنُ القابلُ للكثرة التي هي صورٌ وظلالات للاعتبارات المندرجة في الوحدة تعيّنًا تاليًا لها، فذلك هو التعيّن الثاني لا محالة.

فجميعُ الأسماء الإلهية المنتمي إليها التأثير والفعل وجميع الشؤون والاعتبارات المندرجة في الواحدية مجملة وحدانية، فإنها تصير مفصّلة متميّزة في هذا التعيّن الثاني الذي يُسمّى بالمرتبة الثانية ومرتبة الألوهية وبالنفس الرحماني، وبعالم المعاني، وبحضرة الارتسام، وبحضرة العلم الأزلي، وبالحضرة العمائية، وبالحقيقة الإنسانية الكمالية،

---

(١) التعريفات: ٥٣.

(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢٨٨.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٣٢٧.

وبحضرة الإمكان، كلُّ ذلك أسماء هذا التعيّن الثاني بحسب اعتبارات ثابتة فيه مع توحّد عينه. انتهى.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»[1]: إنّما كان اللهُ غنيًا عن العالمين لأنّه الأول والآخر، والظاهر والباطن، فلا يدخله التنكيرُ بخلاف غيرِهِ من الأسماء، وذلك لأنّها تطلبُ العالم، والربّ يطلبُ المربوب، والإله يطلب المألوه، ولذلك كثرت الآلهة في العالم لقبول الأسماء التنكير، فيقال: إله، ربّ، خالق، بخلاف الله، فإنّه واحدٌ معروف لا يجهل، كما اقترن به عبدة الأوثان ما قالوا من قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] إلاّ وهم عارفون بالفرق، فاجعل بالك لما نبّهتُك عليه، لتعلمَ الفرقان بين قولك (الله) وبين قولك (إله) وإن لم تكن عبدةُ الأوثان عارفين بالفرق كانوا يقولون: إلاّ ليقربّونا إلى إله كبيرٍ، هو أكبر منها، ولهذا أنكروا ما جاءَ به الكتابُ والسنة من أنّه (إله) وما أنكروا (الله) ولو أنكروه ما كانوا مشركين فيمن يشركون إذا أنكروه فما أشركوا إلاّ بإله لا بالله فافهم، فلذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وما قالوا: أجعلَ الآلهةَ اللهَ، فإن (الله) ليس هو عند المشركين بالجعْل، وعصم اللهُ هذا اللفظ أن يُطلقَ على أحدٍ، وما عصم إطلاق (الإله) ومن هذا الباب قول السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] ولم يقل: هذا الله الذي يدعو إليه موسى. انتهى.

والآلي: منسوب إلى الآله أو إلى الآل الذي هو بمعنى الشخص والسَّراب، وعلى كلِّ التقادير كنايةٌ عن الحقائق الكونية من إشارة قوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩] ولذلك عطف (الإلهي) عليه، وهو كنايةٌ عن الحقائق الإلهية، لأنّ الحقائقَ الكونية بمنزلة الآله، أو بمنزلةِ الشخص والسراب للحقائق الإلهية، يعني المرتبة الثالثة من المراتب الثلاث التي فيها الفلك التاسع الإحساني من الأفلاك التسعة الذي فيه المطلع الثالث الآلي والإلهي الذي ترجمه.

هلال ارتقاب طلعَ ذلك الهلال بروحِ الإمام القطب المدبّر في برزخ الرحموت والرهبوت وطلوعُهُ عبارةٌ عن تجلّي الحقائق الكونية والإلهية بالروح. وقد قلنا: إن القطبَ بمنزلة القلب، والإمامان بمنزلة الفؤاد والصدر، لأنّ القلبَ عندهم عبارةٌ عن صورة العدالة الحاصلة

---

(١) الفتوحات المكية: ٣/ ١٧٨ بتصّرفٍ.

للروح الروحاني في أخلاقه بحيث يصير فيها على حافَةِ الوسط بلا ميلٍ إلى الأطراف. وتفصيل هلال ارتقاب [٤٦٩] والبرزخ والرحموت والرهبوت قد سبق غير مرَّة فأفقرَ القطب بالرهبوت، وأغنى القطبُ بالرحموت.

والفقرُ: البراءةُ من الملك، يعني: الخلوّ التامّ عن جميع أحكام الغير والغيرية، حتى عن رؤية ذلك الخلو، وعن نفي تلك الرؤية أيضًا، فإنَّ اشتقاقَ الفقر من أرض قفر، وهي التي لا نباتَ فيها، ولا شيءَ أصلاً فهو من المقلوب. وقد عرفتَ فيما تقدّم[1] من معنى قولهم: (الفقرُ سوادُ الوجهِ في الدارين) أنّ الفقرَ هو الاحتباسُ في بيداء التجريد لفقد الأنانية في وجود حقيقة الحقائق، فإذا وصلَ السَّالكُ إلى هذا المقام تخلّصَ الروحُ من جميع قيود الانحرافات والالتفاتات، فظهرتْ أحكام وحدتها، وآثارُ بساطتها، فينتقلُ العبدُ من مقامِ الكون والبون إلى حضرة الصون والعون لتحقّقه بحقيقة الفقر الذي هو الرجوعُ إلى الحقيقة.

والغنى: اسمٌ للملكِ التام، وهو لا يصحُّ إلاّ في حقِّ الحقِّ تعالى، إذ كان له ذاتُ كلِّ شيءٍ، وليستْ ذاتُه لشيءٍ.

والغنيُّ من العباد: من استغنى بالحقِّ عمّا سواه، وذلك حين قام بوجوده، وغنيتْ نفسُه بموجده حين استقامتْ على المرغوب، وحيي قلبُه بوعوده عند مطالعة موعوده، فلم يحتجْ لغناه إلى الأسباب، واستراحتْ روحُه بروح مطالعة أوّلية الحق، واستسرَّ سرّه باستتاره عن رؤية الخلق عند تنعّمه بمشاهدة الحق. انتهى من الفرغاني[2].

ليت شعري أشعر هل سمعَ الإمامُ الزكيُّ أي الطاهر الحكيمُ هو الإنسان الذي رزقَهُ اللهُ تعالى الضبطَ والتميز فهو يميِّزُ بين الحقِّ والباطل، والحسن والقبح، ويضبط نفسَه على ما ينبغي من اعتقادِ الحقِّ، وفعلِ الحميد، فلا يُرسلُها فيما لا ينبغي من الباطل علمًا وعملاً، ولا يفعلُ قبيحًا دعائي للابن الطاهر وهو البدر الحبشي عند المشهد الكامل الظاهر وهو مشهدُ المناجاة وتنزّهي عطف على (دعائي) وهما مفعولا (سمع) عن كل كون، وتنعّمي عطف على (تنزّهي) بملاحظة العين. اللحظُ: لمح مسترق، أي: نظرٌ مستبعد للناظر عند ملاحظته لفضل سيده بغناه عمَّن أنعمَ عليه، وعمّا أنعمَ به، فيكشف عن سؤاله بما يراه من عميمِ أفضاله،

---

(١) أي فيما تقدم من كتاب لطائف الإعلام. وهو ينقل النص بقضه وقضيضه.
(٢) لطائف الإعلام ٢/ ٢١١ تعريف الفقر.

فلهذا لا يسأل إلاّ لإظهار ذلّة العبودية بين يدي الربوبية، وحينئذٍ يصيرُ من أهلِ القُرب الذين استوى عندهم العطاءُ والمنع، لاستغراقهم في عينِ الجمع.

والعينُ: هو ما له قيامٌ بذاته، وقد يُراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقومُ مقام العيان، يعني: تنعّمي بملاحظة الحقيقة الواحدة المطلقة.

فأنشدتُ عندما رُددْتُ من ذلك المشهد بما شاهدتُ فيه من الكرامات والمعارف الإلهية

١ـ اختلسنا من كراما ... تِ الكيانِ الأبدي
٢ـ وحُبينا بمقاما ... تِ العيانِ الأزلي

الاختلاس والتخلّس بمعنىَ الاستلاب، تقول: اختلستُه وتخلّسته إذا استلبتَهُ.

والكيانُ: في عرفهم يُطلق على الأصلِ، فيقال: الحقائقُ الكيانية بمعنى الأصلية.

وحباه يحبوه حَبوةً بالفتح: أعطاه. والحباءُ: العطاء.

والعيان: المعاينة [٤٦٩/ب]. والمعاينة: ظهور عين العين، وهو أعلى من المشاهدة والمكاشفة كما سبق.

والأزل: نعتٌ مخصوص بالله تعالى بمعنى عدمُ البداية له تعالى، والأبدُ: استمرارُ الوجود في أزمنة مقدّرةٍ غير متناهية في جانبِ المستقبل، كما أن الأزل استمرارُ الوجود في أزمنةٍ مقدّرة غير متناهية في جانب الماضي. والأبديُّ: ما لا يكونُ منعدمًا، والأزليُّ ما لا يكون مسبوقًا بالعدم.

يعني: استُلبنا من كرامات الحقائق الأصلية الأبدية، وأُعطينا بمقامات المعاينة الأزلية، وأُخبرنا عن هذه المقامات:

٣ـ ورُفعْنا عن تكاليـ ... ـفِ الوجودِ العملي
٤ـ بمضاهاةِ استواءٍ ... فوق عرشٍ فلكي

مراده رضي الله عنه برفعِ التكليف إنمّا هو بيانُ حالِ المقام، لا ارتفاع التكليف أصلاً كما مرّ تفصيله قُبيل هذا أنّ الإنسان إذا رُفع عنه التكليف لغلبةِ حالٍ أو جنونٍ لم يزلْ عنه خطابُ الشرع، ومعلومٌ أن أحكامَ الشرع مبنيّةٌ على الأحوال لا على الأعيان، فحالُ الطفولة والإغماء والجنون وغلبة الحال والفناء والسُّكر للشرع فيها أحكام كحال الرجولية، واليقظة، والصحة، والصحو، والبقاء وغيرِ ذلك [من] أحكام مشروعة.

يعني: رُفع عنّا تكاليفُ الوجود العملي بسبب مضاهاة استواء.

والمضاهاة بين الحضرات والأكوان: هي انتسابُ الأكوان إلى الحضرات الثلاث، أعني: حضرة الوجوب، وحضرة الإمكان، وحضرة الجمع بينهما، فكلُّما كان من الأكوان نسبته إلى الوجوبِ أَقوى كان أشرفَ وأعلى، فكان حقيقةً علوية روحيةً، أو ملكية، أو بسيطة فلكية، وكلّما كان نسبتُهُ إلى الإمكانِ أَقوى كان أخسَّ وأدنى، فكان حقيقةً سفليةً عنصرية بسيطة أو مركبة، وكلّما كان نسبتُه إلى الجمع أشدَّ كان حقيقةً إنسانية، فكلُّ إنسان كان إلى الإمكان أميل، وكانت أحكامُ الكثرة فيه أَغلب كان من الكفّار، وكلّما كان إلى الوجوبِ أميلَ، وأحكام الوجوب فيه أغلب كان من السابقين الأنبياء والأولياء، وكلَّما تساوي فيه الجهتان كان مقتصدًا من المؤمنين، وبحسب اختلاف الميل إلى إحدى الجهتين اختلف المؤمنون في قوّة الإيمان وضعفه.

والمضاهاة بين الشؤون والحقائق[1]: معناه ترتبُ الأسماء الإلهية، والحقائق الكونية بإزاء الشؤون الذاتية من حيث كونها ظلالاً وصورًا لها، إذْ كانتْ جميعُ الحقائق الإلهية شؤونًا ذاتيه هي اعتبار الواحدية المندرجة فيها في المرتبة الأولى على نحو ما بانت وتصورت في المرتبة الثانية مندرجة بعضها في بعض، ومنتشئة بعضها من بعض بصور هذه الحقائق الكلّية والجزئية الأصلية منها والفرعية، وقد سبق تفصيل المضاهاة في «إنشاء الدوائر».

والمراد من الاستواء هو النسبة السوائية التي هي البرزخية الأولى، وهي النسبةُ السوائية بين الأحدية والواحدية، فإنَّ نسبةَ الأحدية المسقطة للاعتبارات، ونسبة الواحدية المثبتة لجميعها على السواء، فلهذا سُمّيت النسبة السوائية، وهي أولُ النسبِ.

يعني: رفعنا عن تكاليف الوجود العمل بسبب مضاهاة الحقائق الإلهية الجمعية في مقام الجمع والفناء، لا بمجرّد مضاهاة الحقائق الكونية، ولذلك قال فوق [٤٧٠] عرش فلكي:

٥- فـرأينـا مَـنْ تعـالـى بـالـوجـود الخلقـي
٦- فـي لطيـفٍ مَلَكـي وكثيـف بشـري

يعني: رأينا الوجود الحقَّ المطلق الذي أَحاط بجميع الوجودات المفروضةِ المقدرة اللطيفة الملكية والكثيفة البشرية، وهو منزَّهٌ متعالٍ عن الوجود الخلقي.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣١١.

٧ـ وسألناه بأسرا ... رِ المقامِ القُدُسي

٨ ـ نيلَ ما نلناه منه ... لبُدبِرِ الحبشي

يعني سألناه تعالى وتقدّس نيلَ ما نلناه من الأسرار والمقام القدسي للابن الطاهر الزكي يعني البدر الحبشي.

أو ليتَ شعري ليتَ تتعلّق بالمستحيل غالبًا، وبالممكن قليلاً، وقد تتنزَّلُ منزلةَ وجدت، فيقال: ليت زيدًا شاخصًا، وقولهم: ليتَ شعري أشعر، فأشعرُ هو الخبر، وناب شعري عن أشعر، والياء المضاف إليها شعري عن اسم ليت عطفٌ على قوله ليت شعري هل سمع الإمام الزكي الحكيم دعائي للابن الطاهر هل بدتْ أي ظهرت لعين الإمام الزكي الطاهر الرَّضيِّ حقيقتان متماثلتان أي الحقيقة الإلهية والحقيقة الكونية.

قال الشيخ رضي الله عنه في «إنشاء الدوائر»[١]: اعلمْ أنَّ الأشياء على ثلاث مراتب لا رابع لها، والعلمُ لا يتعلّق بسواها، وما عداها فعدمٌ محضٌ، لا يُعلم ولا يُجهل، ولا هو متعلّقٌ بشيء، فإذا فهمتَ فنقول: هذه الأشياء الثلاثة:

منها: ما يتّصفُ بالوجود لذاته، فهو موجودٌ بذاته في عينه، لا يصحُّ أن يكونَ وجوده عن عدمٍ، بل هو مُطلقُ الوجود لا عن شيءٍ، فكان أنْ أقامَ عليه ذلك[٢] الشيءُ [بل هو الموجدُ لجميع الأشياء وخالقُها ومقدّرها ومُفصّلُها ومدبّرها]، وهو الموجودُ المطلق الذي لا يتقيّد سبحانه، وهو الله الحيُّ القيوم العليم المريد القدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومنها: موجودٌ بالله، وهو الموجود المقيّد المعبّر بالعالم العرش، والكرسي، والسموات العُلى وما فيها من العوالم، والجو، والأرض وما فيها من الدوابّ والحشرات والنبات، وغير ذلك من العالم، فإنه لم يكن موجودًا في عينه، ثم كان من غيرِ أن يكونَ بينه وبين موجده زمانٌ يتقدّم به عليه، فتأخّر هذا[٣] عنه، فيقال: بعد أو قبل، وهذا محالٌ، وإنما هو متقدّمٌ بالوجود كتقدّم أمس على اليوم، فإنه من غير زمانٍ، لأنه نفس الزمان، فعدم العالم لم يكن

(١) إنشاء الدوائر: ١٥.

(٢) في إنشاء الدوائر: فكان يتقدّم عليه ذلك شيء.

(٣) في إنشاء الدوائر: فيتأخرّ هذا.

في وقتٍ، لكنّ الوهم يتخيّل أن بين وجود الحق ووجود الخلق امتدادًا، وذلك راجعٌ إلى عهده في الحسّ من التقدّم الزماني بين المحدثات وتأخّره.

وأمّا الشيءُ الثالث: فما لا يتّصفُ بالوجود ولا بالعدم، ولا بالحُدوث ولا بالقدم، وهو مقارنٌ بالأزل في الحق أزلاً[1]، فيستحيلُ عليه أيضًا التقدّم الزماني على العالم، أو التأخر، كما استحالَ على الحق وزيادة، لأنه ليس بموجودٍ، فإنّ الحدوثَ والقِدَم أمرٌ إضافي يُوصل إلى العقل حقيقة [ما]، وذلك أنّه لو زال العالمُ لم يُطلق على واجب الوجود قديمًا، وإن كان الشرعُ لم يجىء بهذا الاسم ـ أعني القديم ـ وإنمّا جاء باسمه الأول والآخر، فإذا زلتَ أنتَ لم يقلْ أولاً ولا آخرًا، إذ الوسطُ العاقد للأولية والآخرية ليس ثمّة، فلا أول ولا آخر، وهكذا الظاهر والباطن، وأسماء الإضافات كلها، فيكون موجودًا مُطلقًا من غير تقييد بأولية وآخرية.

وهذا الشيءُ الثالث الذي لا يتّصفُ بالوجود ولا بالعدم مثله تعالى في نفي [٤٧٠] الأولية والآخرية بانتفاء العالم، كما كان واجب الوجود سبحانه، وكذلك لا يتّصفُ بالكلّ ولا بالبعض، ولا يقبلُ الزيادةَ والنقص.

وأمّا قولنا فيه: كما استحال على الحق وزيادة، فتلك الزيادةُ كونه لا موجودًا ولا معدومًا، فلا يُقال فيه أول وآخر، وكذلك ليعلمَ أيضًا أنَّ هذا الشيء الثالث ليس العالم يتأخَّرُ عنه أو يُحاذيه بالمكان، إذِ المكانُ من العالم، وهذا أصلُ العالم، وأصلُ الجوهر الفرد وفلك الحياة، والحِقَ المخلوقُ به، وكلُّ ما هو من العالم [من الموجود المطلق]، وعن هذا الشيء الثالث والوجود المطلق ظهرَ العالمُ، فهذا الشيءُ حقيقةُ حقائق العالم الكلّية المعقولة في الذهن الذي يظهر في القديم قديمًا، وفي المُحْدث حادثًا، فإنْ قلتَ: إن هذا الشيءَ هو العالم صدقتَ، وإن قلتَ: إنه الحقُّ القديم سبحانه صدقتَ، وإن قلتَ: إنه ليس العالم ولا الحق تعالى وإنه أمرٌ زائد صدقتَ. كلُّ هذا يصحُّ عليه، وهو الكلّي الأعمُّ الجامع للحدوث والقِدَم، وهو يتعدَّد بتعدّد الموجودات [ولا ينقسم بانقسام الموجودات]، وينقسمُ بانقسام المعلومات، وهو لا موجود ولا معدوم، ولا هو العالم وهو العالم، وهو غير ولا هو غير. وتفصيله هناك.

والحاصل: أنَّ المراد بالحقيقتين المتماثلتين حقيقةِ واجب الوجود، والحقيقة المحمدية

(١) في إنشاء الدوائر: مقارن للأزلي الحق أزلاً.

التي هي حقيقة الحقائق، كما مرّ في الحقّ المخلوق به حقيقتان مختلفتان بدل من(الحقيتان المتماثلتان) لأنهمّا مختلفتان بالوجوب والإمكان، كما أنّهما متماثلتان بنفي الأولية والأخرية بانتفاء العالم. كما مرّ آنفًا.

ما اجتمع كثيفان حتى اجتمع لطيفان والمرادُ من الاجتماعِ النكاحُ الذي مرَّ بيانه مفصّلاً في الفلك الفرجي، وهو إذا أحصنتَ فرجَك، وتعفّفْتَ نقلك من افتضاض أبكارِ الحواس إلى افتضاضِ أبكار المعاني على سرير المعاملات في جنّة التخلّق بالأسماء، ثم ترتقي من هذه المنزلة إلى نكاحِ الحقيقة الكلّية على سريرِ التوحيد في جنّة التنزيه، فينتجُ لك أيضًا هذا المنزلُ منزلاً آخرَ، تُشاهد فيه الحقيقة المجردة عن الوجود المطلق المختارة ينكحُها من يشاءُ الله على سريرِ الفناء في جنّة الأدب، وهذه الحقيقةُ المعبّرُ عنها بالحرفين، يعني كلمة (كن) التي هي سببٌ في الموجودات، وعلّةٌ للكائنات، إذا قضى اللهُ سبحانه أمرًا سلّطها عليه فكان، فإذا حصلَ العالمُ في هذه المنزلة، واستوى على عرش الكائنات، لم يشاهدْ شيئًا في الوجود موصوفًا كان أو صفةً، حسّاسًا أو غيرَ حسّاسٍ إلاّ بنتيجةٍ عن مقدمتين تنكحُ أحدُهما أخرى، وهي عبارةٌ عن الرابط الذي بينهما، فيتولّد بينهما أمرٌ زائد عليهما، فالمولداتُ تنبعث بينهما علوًّا وسفلاً، فإن ذُكّرا بكونهما فاعلين مؤثرين أعقلا[1] كالعقول وإن أُنّثا بكونهما منفعلين متأثرين انسفلا كالنفوس، غيرَ أنّ العبارات اختلف بحسب أصناف المولدات، فقيل: هذا طفلٌ بين رجلٍ وامرأة، وهذه نتيجة عن مقدّمتيْنِ، وهذا فرعٌ عن أصلين، ورسالة عن مرسل ورسول، وهذا موجودٌ عن قادرٍ وقدرة، وهكذا جميع العالم بأسره نتيجة ازدواجٍ، ليصحَّ على كلِّ جزءٍ من العالم [٤٧١] الفاقة والاضطرار في وجوده إلى موجده.

والمراد من (الطيفين) هما: حقيقةُ واجب الوجود، والحقيقة المحمدية التي هي حقيقة الحقائق، وإن شئتَ فقلْ: حقيقة الأحدية، وحقيقة الواحدية باعتبار المراتب.

ومن (الكثيفين) هما: النفس والجسم، ومن اجتماعِ الطيفين ظهرت الدرّةُ البيضاء التي هي عبارةٌ عن العقل الأول، أي الروح المجرّد المحمّدي.

وهذه حكمةُ رحمان أي النفس الرحماني، وهو حضرة المعاني وهو التعيين الثاني، وهو الحقيقة المحمدية المعبّرُ عنها بحقيقة الحقائق ومن اجتماع الحقيقة المحمدية والعقل الأول

---

(١) في الأصل: أعقليا.

برزت للعيان أي ظهرت درةُ كيان والمُراد من الدُّرّة العقل الكل، والنفس الكلّية، لأنّ الكيان في عرفهم يُطلق على الأصل، فيُقال: الحقائق الكيانية بمعنى الأصلية، أو العقول المجرّدة والنفوس المجرّدة التي كانت في أذهان لا في الخارج، والذهنُ القابلية، والفهمُ، والإدراك، وقد يُطلق ويُراد به قوّتنا المدركة، وهو السابع، وقد يُطلق ويُراد به القوة المدركة مطلقًا سواء كانتِ النفسُ الناطقة الإنسانية، أو آلة من آلات إدراكها، أو مجرّد آخر، وهذا المعنى هو المرادُ في الوجود الذهني.

والحكماءُ نازعوا في الوجود الذهني. واختلفَ في تعيين محلّ النزاع، والذي يظهر في تعيين المحلّ هو أنَّ للنار مثلاً وجودًا به تظهر عنها أحكامُها، وتصدر عنها آثارها من الإضاءة والإحراق وغيرهما، وهذا الوجود يُسمّى عينًا، وخارجيًا وأصليًا، وهذا ممّا لا نزاعَ فيه بين أرباب النظر، إنّما النزاعُ في أنّ لها سوى الوجود المذكور وجودًا آخر لا يترتّب به عليها تلك الأحكام والآثار. فالحكماءُ أثبتوه، وعامّةُ المتكلّمين أنكروه، ثم الموجود في الذهن عند المثبتين للوجود الذهني هو نفس الماهيات التي تُوصف بالوجود الخارجي، والاختلافُ بينهما بالوجود دون الماهية.

وفي «شرحِ الإشارات» أنّ استعدادَ النفس لاكتساب العلوم يُسمّى ذهنًا، وجودة ذلك الاستعداد يُسمّى فطنةً، وقد تُستعمل الفطنةُ كثيرًا في الرموز.

والذّكاءُ: شدَّةُ قوّة النفس معدّة لاكتساب الآراء بحسب اللغة. وفي الاصطلاح قد تُستعمل في الفطانة، يقال: رجلٌ ذكي، وفلانٌ من الأذكياء، ويريدون به المبالغة في فطانته، كقوله فلان شعلة نار. انتهى من «الكليات»[1].

لا يحويها: أي لا يجمع تلك الدرة زمانٌ.

الزمان: هو مقدارُ حركةِ الفلك الأطلس عند الحكماء، وعند المتكلّمين عبارةٌ عن متجدّدٍ معلوم يقدّرُ به متجدّدٌ آخرُ موهوم، كما يُقال: أتيتك عند طلوع الشمس، فإنَّ طلوعَ الشمس معلومٌ، ومجيئهُ موهوم، فإذا قُرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زالَ الإبهام. وقد سبق تفصيلُه.

والحاصل لا يحوي الدرةَ زمانٌ، لأنّها وجدت قبل الزمان **ولا تعاقب الدرة ملوان الليل**

---

(١) الكليات ٢/ ٣٥٠ (الذكاء).

والنهار، لأنهما بعد وجود الفلك، والدّرةُ وجدَتْ قبله إلاّ بتصوّر برهان.

البرهان: الحجّةُ والدليلُ، والبرهانُ هو الذي يقتضي الصدق أبدًا لا محالة. وفي عرفِ الأُصوليين ما فصل الحقَّ عن الباطل، وميّزَ الصحيحَ عن الفاسد [٤٧١/ب] بالبيان الذي فيه. وعند أهل الميزان هو قياسٌ مؤلّفٌ من مقدّماتٍ قطعية، منتجٌ لنتيجةٍ قطعية، والحدُّ الأوسط فيه لا بدَّ أن يكون علّةً لنسبةِ الأكبر إلى الأصغر، فإنْ كان مع ذلك علّةً لوجود النسبة في الخارج فهو برهانٌ لمي، لأنه يفيدُ اللمّية في الذهن، وهو معنى إعطاء السبب في التصديق، وفي الخارج أيضًا وهو إعطاء الحكم في الوجود الخارجي، وإن لم يكن كذلك بألاّ يكون علّةً للنسبة إلا في الذهن فهو برهانٌ إنّيٌّ لأنه يفيد نيّةَ الحكم في الخارج دون لمّيتِهِ، وإن أفاد لميّةَ التصديق وبرهان الموازاة يُستعمل في إثبات تناهي الأبعاد، وبرهان السلبي مشهورٌ في منع عدم تناهي الأجسام. انتهى من «الكليات»[١].

يعني من اجتماع اللطيفين ظهرتْ الدرّةُ البيضاء، وهي العقلُ الأول، أي الروح المحمدي، ومن اجتماعِ الحقيقة المحمّدية والروح المحمدي ﷺ برزتْ من العلم إلى العين العقل الكلّ والنفس الكلّية، ومن اجتماعِ العقلِ والنفس ظهرتِ الطبيعة الكلية. ومن اجتماعِ الكثيفين أي النفس والطبيعة ظهرَ الجسمُ الكلّي، وهو العرش، ومن اجتماع النفسِ الكلّيِّ بواسطة الطبيعة الكلية والجسم الكلّي ظهرتِ الأفلاكُ والعناصر والمولدات على مراتبها على الترتيب.

وعند ظهور السمواتِ والأرض أُزلفتْ أي قرّبت ووجدت جنان جمع جنّة في الكرسيِّ وسُعِّرتْ أي أُوقدت نيرانُ جمع نار في السجّين وكر الجديدان الليل والنهار بغروب الشمس وطلوعها وجِدَ ضدّان أي الظلمة والنور، أو اللطيف والكثيف، أو العناصر؛ لأنَّ الماءَ ضدُّ النار، والهواءُ ضدُّ التراب. أو الثقلان، أو أصحاب الجنان، وأصحاب النيران أُبدعَ على البناء للمفعول أي اختُرع مثلان لا على مثال، أي الذكر والأنثى تناسل فريقان أي فرقة الأنس والجن برزتْ من غير امتنان أضْربٌ أنواع النائي أي البعيد، والدانِ[٢] أي القريب، والمراد من البعيد الكافر، ومن القريب المؤمن. وفي بعض النسخ (برزتْ من غيوب امتنان) أُنكرتِ

---

(١) الكليات ١/ ٤٣٢.

(٢) في المطبوع (٢٧٤): من غيب امتنان. أبصرت النائي والداني أمينان.

الأوثان على البناء للمفعول، يعني أنكر المؤمنون الأصنامَ **رُوِّعتْ** على البناء للمفعول، أي فزعت **شبّان**[1] جمع شاب، **لجأت** أي الشبان التجأت **إلى ملجأ الإحسان** وهو النبيُّ في كلِّ عصرٍ، والوليُّ بعد انقطاع النبوة.

قال الفرغاني[2] قدس سره: الإحسانُ: اسمٌ جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو أن تعبدَ الله كأنّك تراه. وإنما كان الإحسانُ اسمًا جامعًا لجميع الحقائق، لأنّه هو مقام التحقيق بمعرفة الربوبية والعبودية معًا، لأنك لا ترى شيئًا إلاّ به وفيه وله، وإذا استحالَ أن ترى شيئًا سواه غير قائم به فالكلُّ تعيناته، فلا شيءَ يُوصف ممّا سواه بأنّه عينه أو غيره، فإذا ذقتَ هذا تحقّقتَ بأنّكَ لستَ ناظرًا إليه، بل كأنك ناظرٌ إليه، لتعالي الذات الأقدس أن يُرى في إطلاقه لغير ذاته. وقد سبق غير مرة.

أُعطيتْ أي الشبانِ **مجَنٌّ** بالكسر بمعنى الترس **إيمان** تسترّتْ به **وتحصّنت بدرع أمان** أي تحفظّت الشبان. ودرع أمان استعارة من الدرع [٤٧٢] الذي معمولٌ من الحديد، تلبس في وقت الحرب **ما اجتمع اثنان إلاّ ظهر النكران** يعني: ما اجتمع من الفريقين اثنان إلاّ ظهر بينهما المنكران، يعني: أنكرَ أحدُهما على الآخر، لأن النُكر بالضم وبضمتين المُنكر، كالنكر والأمر الشديد **أنزل قرآن** للفصل بينهما. أنكره أي أنكر القرآن فرقان.

والقرآن: هو المنزلُ على الرسول ﷺ المكتوبُ في المصاحف، المنقولُ عنه نقلاً متواترًا بلا شبهةٍ. والقرآن: عند أهل الحق هو العلم الأزلي الإجمالي الجامع للحقائق كلِّها.

والفرقان: كما يُطلق على كلام الله تعالى يُطلق على العلم التفصيلي بالله تعالى من حيث آثار أفعاله وأسمائه وصفاته، وكذلك يُعبّرُ به بعضُهم عن نفس الآثار.

وأمّا القرآن: فهو أيضًا كما يُطلق على الكلام النفسي يُطلق في عرفهم على العلم الإجمالي للحقائق كلها، وكذلك على مقام الجمع، ومقام الواحدية.

وقيل: القرآنُ رؤيةُ التفرقة بعين الجمع، وكانت هذه الرؤية أكملَ مقامات المعرفة والعارفين، وغيره كانت رؤية التفرقة بغير عين الجمع كحال المحجوبين عن الحقِّ بالخلق، كما هو حال العوام.

---

(١) في المطبوع (٢٧٤): روعت بسنان.

(٢) لطائف الإعلام ١/١٧٧.

والحاصلُ: الفرقانُ عبارة عن رؤية الفرق بين الحقّ والخلق. والقرآنُ بالعكس. وقد سبق تفصيلهما.

والحاصل: ما اجتمع اثنان إلاّ ظهرَ النكران بينهما حتّى أُنزل قرآن أنكره فرقان وكذا قرآن أنكر فرقانًا لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما على عكسِ الآخر كما عرفت لظهر الآن لآلىء(١) جمع لؤلؤ ولدان جمع وليد، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩] والوليد: بمعنى الصبي ومنعّمات حسان في مقاصر ورد وريحان كما قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٠ـ ٧٢] وقال ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۞ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾ [الرحمن: ١١ـ١٢].

والتنعيم: من النعومة، والنَّعمة بالفتح التنعيم، يقال نعّمَه الله تنعيمًا، وناعمه فتنعّم، وامرأةٌ منعمة ومناعمة بمعنًى، والمراد من منعمات حسان، وهي خيرات حسان، وهي حورٌ مقصورات في الخيام.

والمقاصر جمع مقصورة، والمقصورةُ: الدارُ الواسعة المحصّنة، أو هي أصغر من الدار كالقُصارة بالضم، ولا يدخلُها إلاّ صاحبُها.

والحجلة وامرأةٌ مقصورة وقصورة: محبوسة في البيت لا تُترك أن تخرجَ. والحِسانُ: جمع الحسنة، يقال: امرأةٌ حسنةٌ وحسناء وحسّانة كرمّانة، والجمع: حِسان وحسانات.

والعَصْف: بقلُ الزرع، والريحان: نبتٌ طيب الرائحة، أو كلُّ نبتٍ كذلك، أو أطرافه، أو ورقه. والولد، والرزق. والوردُ من كلِّ شجرة نوها، وغلب على الحَوْجَم، وهو الورد الأحمر.

والحاصلُ: كما وجدت حقيقتان متماثلتان مختلفتان من اللطيفتين والكثيفتين من الحقيقة الأحدية والواحدية والعقل والنفس والطبيعة والجسم والجنة والنار والمثلين والفريقين والقرآن والفرقان كما مر تفصيله آنفًا في الآفاق كذلك وجدنا في الأنفس، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ولذلك قال: لظهرَ الآن لآلىءُ ولدان، ومنعّمات حسان في مقاصر [٤٧٢/ب] ورد وريحان. والمرادُ من لآلىء

---

(١) في المطبوع (٢٧٤): فرقان: أظهر المكان لآلىء.

ولدان: المعارف الإلهية التي وردتْ بواسطة العقلِ الغير المشوب بالوهم، المستفيضِ من العقل الأول.

والمرادُ من منعّمات حسان: هي أبكار المعاني التي وردت بواسطة النفس الزكية المستفيضة من النفس الكلّية.

والمرادُ من مقاصر: هي مقاماتُ القلب المقابل بالبيت المعمور، لأنها في فلك الكرسي الذي هو محلُّ الجنة.

والمراد من ورد وريحان هي النفحات الإلهية، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «إنّ لربّكم في أيام دهركم نفحات من رحمته، ألاَ فتعرَّضوا لها»[1] أي استشرفوها ناظرين إليها. وقد مرّ تفصيلُه في شرح الحديث لصدر الدين قدس سره.

نفخ بفمه أخرج منه الريح، ومنه نفخَ في الصور، وبالحاء المُهملة نفحَ الطيب: فاح، وله نفحةٌ طيبة، ونفحت الريح هبّت، لأنَّ في النفخة الإلهية نفحة طيبة، فتُستعار روائحُ الطيبات للنفحات الإلهية.

ما أي الشيء الذي **حجبها** أي ستر الحقيقة الإنسانية ومنعها عن الظهور إنما هو **هذان الكثيفان** أي الطبيعة والجسم **سُجنتْ** تلك الحقيقة **في أبدان** جمع بدن، وبدنُ الإنسان جسدُه، حُبست في أجساد الإنسان **تاهت** تلك الحقيقة تحيّرت **في بلدان** جمع بلد وبلدة **ضُمّها** على البناء للمفعول أي ضَمَّ لتلك الحقيقة **عصران** أي الليل والنهار، أو الظلمة والنور **هيَّمَها** أي جعل تلك الحقيقة هائمة متحيّرة **أحمران** أي اللحم والخمر. والأحمرُ يجيءُ بمعنى الذهب والزعفران **تيّمها أبيضان**[2] اللبن والماء.

وفي «القاموس» الأبيضان: الماء واللبن، أو الشحم واللبن، أو الشحم والشباب، أو الخبز والماء، أو الحنطة والماء. وما رأيتُه مذ أبيضان: شهران، أو يومان.

وتيّمه الحبُّ أي عبّده وذلله، فهو متيّم **تنعّمت** تلك الحقيقة **بالمثان** والمثاني من القرآن ما كان أقلَّ من المئين، وتُسمّى فاتحة الكتاب؛ لأنّها تُثنى كلّ ركعة. ويُسمّى جميع القرآن مثاني أيضًا؛ لاقتران آية الرحمة بآية العذاب، وهي جمع المثنى بمعنى اثنان اثنان، والمراد

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٦٧) بلفظ: «إن لله في أيام...».

(٢) في المطبوع (٢٧٤): أبيضان. تعشّقت بالبان. تنعّمت.

ههنا من المثانِ بحذف الياء اكتفاءً بالكسرة، رعايةً للسجع: وهي العصران والأحمران والأبيضان، فتنعّمت بالمثاني المذكورة بعد أن كانت منزّهةً عن الكلّ، وعند ذلك التنعّم نُوديَتْ أي نودي لتلك الحقيقة: يا إنسان، التحق بخسران أي بضررٍ في البيع والشراء قالتِ الحقيقة تسميتي بالرحمان وبالإنسان أو بالحقّ وبالخلق علمان لحقيقةٍ واحدة فاقدُهما أي من عدم العلمين المذكورين فهو ذو حرمان حرمَه الشيءَ كضربه وعلمه حريمًا وحِرمانًا بالكسر، وحِرمًا وحِرمةً بكسرهما، وحَرِمًا وحرِمة وحريمةً بكسر رائهن: منعه. والمحرومُ: الممنوعُ عن الخير؛ لأنَّ الإنسان الكاملَ هو المظهرُ الأتمُّ الجامع بين العبودية والربوبية، والمنشأ الأعمّ الشامل لنشأة الإمكانية والوجوبية، وهو خطُّ الوحدة بين قوسين الأحدية والواحدية.

أُطبقتْ أجفان على البناء للفاعل، أو المفعول. والطَّبَقُ محرَّكَةً غطاءُ كلِّ شيء، والجمعُ: أطباق. وأَطبقَ الشيءَ غطّاه، وجعله مطبقًا [٤٧٣] فتطبّق، والجفنُ: غطاء العين من أعلى وأسفل، والجمع أَجفن، وأجفان، وجفون. يعني: أطبقت أجفان عن ملاحظة غيران[1] على الحكاية بمعنى غيرين، أو على لغةٍ من جعل ألف التثنية علامةً للنصبِ والجرّ رعايةً للسجع رمياها في بحران يعني ذلك العلمان رميا الحقيقةَ الإنسانية في بحران على التثنية، بمعنى بحرين، كما سبق في (غيران) والمُراد من البحرين: بحرُ الوجوب والإمكان، لأنَّ الممكنَ ليس له وجودٌ مستقلٌّ في حدّ ذاته معدوم، إنّما ظهرَ بوجودِ الواجب، فجمع بين الربوبية والعبودية، لأنَّ الوجودَ المفاضَ عليه ليس غيرَ الوجود المطلق، إلاّ أنّه بحدوثِهِ وتعيّنه وتقييده اكتسب الغيرية فيتوجّه على تلك الغيرية التكليف والعبودية، فيكون المنشأ الأعم الشامل لنشأةِ الإمكانية والوجوبية. وبحران اسمُ موضعٍ، فعلى هذا يكون معناه: رميا الحقيقة الإنسانية في مقامِ الوحدة وعلى كلا التقديرين فتلت إنسان.

الإنسان: هو عامٌّ بالنظر إلى الأفراد، خاصٌّ بالنظر إلى نفسِ المعنى، وقطع النظر عن الأفراد وهو عند علماء الشريعة: جنس، والمرأة: نوعٌ، وهو من نسي أو أَنِس كعلم، وآنسَ بالمد. والإنسان: هو القائم بهذا البدن، ولا مدخل في البدن في مسماه، وليس الاختلاف في أنّ ما عبّر به بـ(أنا) أي شيء هو، بل في أنَّ الشيءَ الذي يكون به هذا البدن حيًّا ناطقًا أي شيء، وهي الإنسانية التي هي صورتها النوعية الحالّة في مادّتها المحصّلة لنوع البدن الإنساني

(١) في المطبوع (٢٧٤): غيران، تملكها غيران، رمياها.

التي هي كالآلة للنفس الناطقة في التصرّف في البدن في أجزائه.

وقال بعض الفضلاء: الإنسان لمّا كان النموذجَ لجميع ما في العالم، وجامعها لحقائقه، وصورة لكلٍّ منها بحسب مرتبته الجامعة للمراتب كلِّها، كان روحًا مجرّدًا باعتبار مرتبته، وروحًا مثاليًا باعتبارات أُخرى، وجسمًا بسيطًا ومركبًا معدنيًا ونباتيًا وحيوانيًا كذلك إلى أن صار إنسانًا باعتبار مرتبته الجامعة للمراتب السابقة، فله خواصُّ كلِّ مرتبةٍ باعتبارها، ولجمعية هذه المراتب صار مقدمًا على جميع أنواع المخلوقات ومفضّلاً وحاكمًا عليها، إذا عصمه الله عن الانحرافات عن عدلِ السلطنة، فرأى من آياته الكبرى لما اتّصف بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] انتهى من «الكليات»[١].

يعني عند ذلك المقام قتلت أي فنيت إنسانية إنسان، وبقيتْ حقانيتُهُ، وعند ذلك الفناء أشارتْ حقيقةُ حقانيته بأجفانٍ طاف بها بالحقيقة غزلان. الغزال: السادنُ حين يتحرّك، وجمعه غزلة وغزلان، مثل غلمه وغلمان، والسادنُ خادمُ الكعبة فُرِشَ على البناء للمفعول يعني: فرش الخدام لها أي لتلك الحقيقة سريران نائب الفاعل بين الوجوب والإمكان نكحَها تلك الحقيقة فيه في ذلك الفراش سرُّ الوجود المطلق فاعل نكح نكاحَ عجلان العجلُ والعجلة ضدُّ البطيء، ورجلٌ عجِلٌ بكسر الجيم وضمها وعجولٌ وعجلان، وامرأة عجلى. والمراد من النكاحِ أمر سرِّ الوجود المطلق بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] والمراد من نكاح عجلان كمالُ سرعة التأثير، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ * وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

أثقلها طفلان اليبوسة والحرارة، أو التراب والنار وضعتهما أي وضعت الحقيقة [٤٧٣/ب] الإنسانية الكمالية هذين الطفلين في الآن من غير تأخير نشأ منهما نشأ كمنع وكرم، ونَشْءًا ونُشوءًا ونشاءً ونشأةً ونشاءةً: حييَ وربا وشبَّ، يعني: نشأ من التراب والنار أنسٌ وجان في الآفاق، لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥] ومن اليبوسة والحرارة العقل والوهم، أو النفس والقلب في الأنفس انقسما أي الأنس والجان في الآفاق والعقل والوهم في الأنفس بين طاعةٍ وعصيان كما هو ظاهر من صاحب البرهان. البرهان الحجّة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] وهو صاحب

---

(١) الكليات ١/ ٣٣٣ مع زيادة هنا.

البرهان إلى محمّدٍ ﷺ المنسوبِ إلى عدنان، ظهرتِ الحكم المذكورة آنفًا كلُّها في الإنسان الحقيقي ﷺ.

وعدنان من أجدادهِ عليه السلام، يعني: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم ذي الكلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. وهذا النسبُ هو الصحيح المُجمعُ عليه إلى عدنان، وما فوق ذلك فمختلفٌ فيه، ولا خلاف أنَّ عدنان من ولدِ إسماعيل بن إبراهيم خليلِ الله، وإنّما الخلاف في عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء، فمقلٌّ ومكثر، وكذلك من إبراهيمَ إلى آدم عليهما السلام وما فوقها، فعدنان بن أدّ بن أُدَد بن اليسع بن الهميسع بن يعرب بن يشجب بن سلامان بن النبت بن جمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام بن تارح بن ناحور بن شاروح بن راغو بن فالع بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهما السلام بن لمك بن متوشلح بن أخنوح وهو إدريس عليهما السلام بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليهما السلام بن آدم عليهما السلام. انتهى

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: بين إسماعيل وعدنان ثلاثون أبًا لا يعرفون.

وفي «المنتقى»: وعدّ بعضُهم بين معدّ وإسماعيل أربعين أبًا، وفي روايةٍ: ثلاثون قرنًا لا يعلمهم إلاّ الله.

وفي «مورد اللطافة»: قيل: بين عدنان وبين إسماعيل تسعةُ آباء، وقيل: سبعة، وكذلك الاختلاف من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام.

١ـ سرُّ سرِّ الوجودِ فردٌ بعيد ... عن نظيرٍ له بدارِ أمانِ

يعني سرُّ سرِّ الوجود فردٌ، وقد سبق أنَّ المرادَ بالفردية هي مرتبة الروح المحمّدي، لأنَّ أولَ الأفراد ثلاثة، وهي: المرتبة الأحدية، والمرتبة الإلهية، والمرتبة الروحانية المحمدية، وما زاد على هذه الفردية الأولية من الأفراد فإنه عنها أي صادر عن الفردية الأولى.

والحاصل سرُّ سرِّ الوجودِ المطلق هو فردٌ يعني روح محمد ﷺ بعيدٌ عن نظيرٍ له، أي لا نظيرَ له في المخلوقات بدارِ الأمان، وهو مقامُ الفردية.

٢ـ هـو علـمٌ في أوّلِ الحـالِ عـارٍ وكذا كان في الوجودِ الثاني

هو أي ذلك الفرد علمٌ في أول الحال، أي أوّل مراتب الوجود، وهو مرتبة الوحدة [٤٧٤] عارٍ عن الوجود، وكذا كان في الوجود الثاني، أي في المرتبة الثانية من الوجود، وهي مرتبة الواحدية.

والوحدة عبارةٌ عن التعيّن الأول[1]، لأنَّ الوحدة هي التي انتشت عنها الأحدية والواحدية، وهي أولُ رتبِ الذات، وأولُ اعتباراتها، وهي القابلية الأولى لكونِ نسبة الظهور والبطون إليها على السواء، ويعبّر بالتعيّن الأول عن النسبة العلمية الذاتية باعتبار تميّزها عن الذات الامتياز النسبي لا الحقيقي، فأمّا أن الوحدة هي أولُ التعينات للذات من جهة أنّه لا يصحُ أن يعقلَ وراءها إلا الغيب والإطلاق عن التعيّن الذي لا يصحُ معه أن يحكمَ على الذات من جهة هذا الغيب والإطلاق عن التعيّن بشيء، فاستحال في كنه حضرةِ الذات الأقدس. وفي غيب الهوية الإلهية المندرجِ فيها حكم الأزلية [والأبدية] أن يكونَ مُدركًا أو معلومًا أو مشهودًا لغيره تعالى، إذ لا ذاتَ لغيره؛ بل لمّا جاد بالوجود على من أوجده صار ذلك الجودُ فيه وصلةً بين خفاء إطلاق الذات وغيبها، وبين ظهورِها بجودها المظهر لأعيان من توجّه بالجود على إيجاده.

ولمّا كانتْ هذه الوصلة تستدعي تعيّنًا، وكان أيُّ تعيّنٍ يفرض[2]، لا بدّ وأن تتقدّم الوحدةُ عليه ضرورةً. إنَّ كلَّ كثرةٍ وكثير لا بدّ وأن تتقدّم الوحدة عليها تقدّمًا رُتبيًا، كانت الوحدة هي أولُ التعيّنات لكونها هي أول اعتبارٍ وتعينٍ من الغيب لا محالة.

والتعيّنُ الثاني: هو ثاني رتبِ الذات، وهي الرتبةُ التي تظهرُ فيها الأشياءُ وتتميّز ظهورًا وتميّزًا علميًا، ولهذا تُسمّى هذه الحضرة بحضرة المعاني، وبعالم المعاني.

وهذا التعيّن الثاني هو صورةُ التعيّن الأول، وذلك لأنّه لما وجب انتفاء الكثرة في التعيّن الأول، وكذا التميّز الأول، وكذا التميز والغيرية لكون التعيّن الأول هو حقيقةُ الوحدة الحقيقية النافية لجميع ذلك، مع إنها أعني الوحدة لكونها متضمّنة لنسبِ الواحدية ولاعتباراتها التي لا تتناهى تعيّنات أبديتها لزمَ من ذلك أن يكونَ التعيّن القابل للكثرة، التي

---

(١) المادة (التعين الأول) من لطائف الإعلام ١/ ٣٢٦.

(٢) في لطائف الإعلام: تعين يعرض.

هي صورٌ وظلالات للاعتبارات المندرجة في الوحدة تعيّنًا تاليًا لها، فذلك هو التعيّن الثاني لا محالة.

فجميعُ الأسماء الإلهية المنتمي إليها التأثير والفعل، وجميع الشؤون والاعتبارات المندرجة في الواحدية مجملة وحدانية فإنّها تصيرُ مفصّلةً متميّزة في هذه التعين الثاني الذي يُسمّى بالمرتبة الثانية، و[تُسمّى هذه المرتبة] بمرتبة الألوهية، وبالنفس الرحماني، وبعالم المعاني، وبحضرة الارتسام، وبحضرة العلم الأزلي، وبالحضرة العمائية، وبالحقيقة الإنسانية الكمالية، وبحضرة الإمكان. كلّ ذلك أسماءُ هذا التعين الثاني بحسب اعتباراتٍ ثابتةٍ فيه مع توحّد عينه. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[(١)].

يعني: الحقيقة الإنسانية الكمالية المحمدية في رتبة الوحدة التي هي أولُ رتبِ الذات، علمٌ عارٍ عن الوجود الكوني، وكذا في ثاني رتبِ الذات المعبّر عنها بالتعيّن الثاني كما عرفته الآن.

٣ـ فانظروا في الكتاب سرًّا علاه ثــم تنقيضُــه بــآي المثــانــي

[٤٧٤/ب] يعني: فانظروا في الكتاب العزيز سرًّا علاه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] ولقوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] ثم انظروا في الكتاب ـ تنقيضه أي نقيض ما قد سبقَ من العلوّ بآي المثاني: بآيات القرآن، كما سبق في علوّه، ولقوله تعالى في نقيضه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [فصلت: ٦] ولقوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣] فعلوّه ﷺ باعتبار حقيقته التي لا يحويهما زمانٌ، ولا تعاقبُ الملوان، ونقيضه باعتبار سجنه في البدن، فضمّهُ عصران، وهيّمه أحمران، وتيمه أبيضان، فتنعّم بالمثانِ، نودي بالإنسان التحقُ بخسران. كما مرّ تفصيلُهما آنفًا.

٤ـ يطلبُ الرُّشدَ والرَّشادَ سناه هــو أَصــلٌ للكــائنــاتِ الحِســانِ

الرشد: الاستقامة على طريقِ الحق مع تصلّبٍ فيه، وغالبُ استعماله للاستقامة بطريق العقل، ويستعملُ للاستقامة في الشرعيات أيضًا، ويُستعملُ استعمالَ الهداية.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣٢٦ـ٣٢٨.

والرشيد من صفات الله تعالى بمعنى الهادي إلى سواءِ الصراط، والإرشاد أعمُّ من التوفيق، لأنَّ اللهَ تعالى أرشدَ الكافرين بالكتاب والرسول ولم يوفّقهم، والرشادُ هو العمل بموجبِ العقل.

والسنا مقصور: ضوءُ البرق، يعني يطلب الرُّشدَ والرَّشادَ سناه ﷺ أي نوره، وهو أصلُ الكائنات الحسان، لقوله ﷺ: «أولُ ما خلقَ الله نوري»[1]، ونور محمد ﷺ هو أحدُ وجوه الروح الأعظم.

والنُّورُ الأحمدي: هو التجلّي الواحد الأحد، وهو التجلّي الذي عرفتَ بأنّه عبارةٌ عن ظهورِ الذات لذاتها في عين واحديّتِها، فلكونه أولَ التعينات، قال عليه السلام: «أول ما خلقَ الله نوري» أي أولُ ما قدّر على أصل الوضع اللغوي، وهو أعني هذا التجلّي الأول لمّا كان هو أَصلُ جميع الأسماء الإلهية، كان عليه السلام أبا الأرواح، وأمَّ الأشياء، أي أصلَ الكائنات الحسان. قد سبق تفصيله.

٥ـ إنَّ هـذا لهـو العجـابُ فمهّـدْ   عقلَكَ القاضي لانقلابِ العيانِ

العجيب والعجاب مخففًا ومشدَّدًا: الأمرُ الذي يُتعجّب منه، ومَهَده كمَنَعه بسطه، كمهّده، وكسب وعمل كامتهد والعين ماله قيام بذاته، وقد يُراد بها حقيقةُ الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقومُ مقام العيان.

والعينُ الثابتة: هي حقيقةُ العلوم الثابت في المرتبة الثانية المسمّاة بحضرة العلم، كما مرَّ، وسُمّيت هذه المعلومات أعيانًا ثابتةً لثبوتها في المرتبة الثانية، لم تبرحْ منها، ولم يظهرْ بالوجود العيني إلا لوازمها وأحكامها وعوارضها المتعلّقة بمراتب الكون، فإنَّ حقيقةَ كلُ موجودٍ إنّما هو عبارةٌ عن نسبةِ تعيّنه في علم ربّه أزلاً، ويُسمّى حقائق، وعند الحكماء ماهيّةٌ، وعند الأصوليين المعلوم المعدوم، والشيء الثابت، ونحو ذلك. وبالجملةُ فالأعيان الثابتة والماهيات والأشياء [٤٧٥] إنما هي عبارةٌ عن تعيّنات الحق الكلّية التفصيلية.

والحاصلُ: أنَّ هذا المذكور من كونه ﷺ أصلَ الكائنات، لهو الأمر العجاب فمهّد أي تصوّر عقلك القاضي الحاكم بانقلاب الحقائق، وهو محال، بلِ الأعيانُ والأشياء إنّما هي

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ١٣٧).

عبارةٌ عن تعيّنات الحقّ، فلا يقتضي انقلاب حقيقة الواجب إلى حقيقة الممكن بظهور الظاهر من المظاهر.

٦- لو توالى أصلُ الوجود على ما   كانَ في الأَصلِ ما التقى زوجانِ

يعني: لو تتابع أصل الوجود الفرد على ما كانَ عليه في الأصل مُنفردًا ما اجتمعَ زوجان.

٧- ثم لما شاء الحكيمُ أمورًا   أيّدَتْها حقائقُ البُرهانِ

يعني: لما شاء الحكيمُ العلاّم إيجادَ أمورٍ تقتضي حقائق الإلهية والكونية بالاستعدادت الأزلية إيجادها بالبُرهان أي بالمقدّمات القطعية للنتائج القطعية وتطلب بلسان الاستعدادات من الحكيم الجواد الوهّاب.

٨ - أظهرَ الضدَّ والنظيرَ جميعًا   بالعُلى والثّرى فلاح اثنانِ

الضِّدُّ بالكسر، والضَّديد: المِثْلُ والمخالف ضِدٌّ، ويكون جمعًا، ومنه ﴿ويكونون علي ضدًا﴾ [مريم: ٨٢]. والنظير المناظر والمثل، كالنِّظرة بالكسر، والجمع نظراء. والعُلى: بالضم والقصر الرفعةُ والشرف. والثَّرى بالفتح والقصر التُّراب الندي. ولاحَ الشيءُ: لمح أي لمع.

يعني: أظهرَ الحكيمُ الضدَّ والمثل جميعًا كالنور والظُلمة، والأفلاك والعرش والفرش، والذكر والأنثى، والمؤمن والكافر، وغير ذلك.

٩- فأمدّ العلوُّ للسفلِ سرًّا   وكذا السّفلُ للعلوِّ الدّانِ

لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما غذاءُ الآخر، فتغذّى العلو بالسفل، وكذا السفل بالعلو. وقد سبق تفصيلُ الأغذية في الفلك البطني، فليطلب هناك.

١٠- حكمة شاءَها الحكيمُ فأبدتْ   كلَّ سرٍّ بواضحاتِ البيانِ

الحكمة: هي العلمُ بحقائق الأشياء وأوصافها وخواصّها وأحكامها على ما هي عليه، وارتباط الأسباب بالمسبّبات، وأسرار انضباط الموجودات، والعمل بمقتضاها ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

يعني: إيجاد الكثرة، وإظهار الأضداد، وإبداع الكائنات، وارتباط العلوّ بالسفل، وانضباط الموجودات: حكمة شاءها: أي أرادَ تلك الحكمةَ الحكيمُ العليم الجواد، فأبدت أي أظهرت الحكمةُ كلَّ سرٍّ بواضحات البيان للحكيم الذي رزقه الله الضبطَ والتمييز، فهو

تميّزٌ بين الحقِّ والباطل، والحسنِ والقبح، ويضبطُ نفسَه على ما ينبغي من اعتقادِ الحقِّ وفعلِ الحميد، فلا يُرسلُها فيما لا ينبغي من الباطل علمًا وعملاً، ولا يفعلُ قبيحًا.

والبيانُ في الأصل مصدر، بانَ الشيءُ بمعنى تبيّن وظهرَ، أو اسمٌ من بيّنَ كالسّلام والكلام من كلّم وسلّم، ثم نقلَهُ العرفُ إلى ما يتبيّنُ به من الدلالة وغيرها، ونقله الاصطلاح إلى الفصاحةِ، وإلى مَلَكةٍ أو أصول يعرف إيراد المعنى الواحد في صورٍ مختلفة.

وقيل: البيانُ يُطلق على تبيينٍ وعلى دليلٍ يحصلُ به الإعلام، وعلى علمٍ يحصلُ من الدليل.

والبيان أيضًا هو التعبيرُ عمّا في الضميرِ وإفهام الغير.

وقيل: هو الكشفُ عن شيءٍ، وهو أعمُّ من النطق [٤٧٥/ب] وقد يُطلق على نفس التبليغ.

والبيان قد يكون بالفعل كما يكون بالقول، وهو على خمسةِ أوجهٍ، لأنّ البيانَ لا يخلو: إمّا أن يكونَ المبين مفهوم المعنى بدون البيان، أو لا.

الثاني بيانُ التقرير، والأول لا يخلو إما أن يكونَ بيانًا لمعنى الكلام، أو للازمِ له كالمدة الثاني بيان التبديل، والأول إما أن يكون بلا تغييرٍ أو معه الثاني بيان التغيير والأول بيان التفسير. وقد سبق تفصيله.

١١ـ فاشكرِ الله يا أخي على ما أَودعتْـهُ حقيقـةُ الإنسـانِ

الوديعة: واحدة الودائع، والوديع العهد، والجمع ودائع، يقال: أودعَهُ مالاً، أي دفعه إليه يكون وديعةً عنده، وأودعَه مالاً أيضًا قبله منه وديعةً، وهو من الأضداد، واستودعه وديعةً: استحفظه إيّاها. وحقيقة الإنسان الكامل بالأصالة كنايةٌ عن الحقيقة المحمدية ﷺ، والذي أودعته الحقيقة المحمدية هي الحقائق الإلهية بالهوية السارية.

معقل أنيسه[1] أي ملجأُ أنس الروح القطبي في الفلك التاسع الإحساني في المطلع الثالث الآلي والإلهي.

قال الحكيم أيّده الله تعالى: نكاحٌ بغيرِ صداق سِفاح. والصَّداق بفتح الصاد وكسرها: مهرُ المرأة، وكذا الصدقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤] ونحل المرأةَ

---

(١) في المطبوع من المواقع (٢٧٥): معقل إنسه.

مهرَها ينحلها نِحلةً بالكسر: أعطاها عن طيبِ نفسٍ من غير مُطالبةٍ. وقيل: من غير أن تأخذَ عوضًا. وقيل: النِّحلة التسمية، والسِّفاحُ بالكسر الزِّنا. وفي «القاموس»: السفاح والمُسافحة والتَّسافحُ الفجور.

فهات أي أعط المثقال. مثقالُ الشيء: ميزانُه من مثله، وواحد مثاقيل الذهب أو انظر في الانفصال يُريد به النكاح المعنوي، كما قال في الفَلَك الفرجي: إذا أحصنتَ فرجَك، وتعفَّفتَ نقلَكَ من افتضاضِ أبكارِ الحواس إلى افتضاضِ أبكار المعاني على سريرِ المعاملات في جنّة التخلّق بالأسماء، ثم ترتقي من هذه المنزلة إلى نِكاح الحقيقة الكلّية على سريرِ التوحيد في جنّة التنزيه، فينتج لك أيضًا هذا المنزلُ منزلاً آخرُ تُشاهد فيه الحقيقةَ المجرّدة عن الوجود المُطلق المختارة ينكحها من شاء اللهُ على سريرِ الفناء في جنّة الأدب، وهذه الحقيقةُ المعبّرُ عنها بالحرفين (كن) التي هي سببٌ في الموجودات، وعلّةٌ للكائنات، إذا قضى اللهُ سبحانه أمرًا سلّطها عليه، وأوجدَ الشيءَ عند تسلّطها عليه وتعلّقها به، فكان ذلك الشيء، فإذا حصلَ العالم في هذه المنزلة، واستوى على عرش الكائنات، لم يشاهدْ شيئًا في الوجود موصوفًا كان أو صفةً حسَّاسًا أو غيرَ حساس إلاّ نتيجةً عن مقدّمتين تنكحُ أحدُهما الأخرى، وهو عبارةٌ عن الرابط الذي بينهما، فيتولّدُ بينهما أمرٌ زائد عليهما. كما مرّ تفصيلُه هناك.

يعني: إذا ترتقي من نكاحِ أبكارِ المعاني على سريرِ المعاملات في جنّة التخلّق بالأسماء إلى نكاحِ الحقيقةِ الكلّية على سرير التوحيد في جنّة التنزيه، فأعطِ المثقالَ صداقَها. والمرادُ من المثقال ذاتك، كنايةً عن فناءِ الذات في ذاته تعالى بعد فناءِ الصفاتِ والأفعال في صفاته وأفعاله، والحقيقة المجردة المختارة المعبّرُ عنها بالحرفين أي (كن) ينكحها من شاء اللهُ[٤٧٦] على سرير الفناء في جنّة الأدب، فإذا يقول لشيءٍ أراده (كن) فيكون ذلك الشيءُ، وإن لم يعطِ المثقالَ، فانظرْ في الانفصال، أي في الفرق لا تدع حال الجمع.

١ـ قلتُ يا بيضةَ الفَلَكْ هذه النَّفْسُ هيتَ لكْ

البيضة: واحدةُ بيضِ الطائر، والحديد، والخصية، وجوزةُ كلِّ شيءٍ، وبيضةُ النهار بياضه، وبيضةُ القوم: ساحتُهم. وهيت لك: بمعنى هلمَّ، أي تعالَ، والمُراد من البيضة هو النور الأحمدي المعبّر عنه بفرديّة الذات التي هي ركنُ الكائنات، وعنها صدرتِ الموجودات، فلم تزل منورّةَ الجهات من غيرِ جهاتٍ، معتدلةَ الالتفات من غير التفات، كما مرّ تفصيلُه في الفلك الثامن الإيماني.

والمراد من الفلك: هو الأفلاك، أي العرش الذي هو الجسمُ الكلّي.

والمرادُ من النفس: هو نفسُه المطمئنة التي صارتْ مطمئنةً على المداومة على الطاعات، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ [الفجر: ٢٧ـ ٢٩] أي في زمرةِ الأرواح المؤمنين المكرمين، الذين لا يعصونَ اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٣٠] أي في باطنِ الجنة الذي هو سترُ غيب الذات بستورِ سورِ الصفات، يعني دعي الفردية الأولى، ليكون مظهرًا لها، ويؤيده قوله:

٢ـ أنا عرشٌ مُهيّأٌ فاستوي أيُّها المِلكْ

وقوله: (أنا) كنايةٌ عن قلبه، يعني قلبي عرشٌ أي سريرٌ مهيّأٌ: مصلحٌ، أصلحتُهُ لك. واستوي على معنى الأمر، بمعنى أقبلْ عليه، يا أيها الملك: والمَلِك بفتح الميم وكسر اللام أدلُّ على تعظيمٍ بالنسبة إلى المالك بمعنى يا مالِكَ قلبي، لأنّه بيتُه وعرشُه كما ورد في الحديث القدسي: «ما وسعني أَرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن التقي النقي»[1] كما سبقَ تفصيله في البيتِ المحرّم، والبيتِ المقدس، والبيت العزة.

٣ـ أنت بدرٌ مُكمَّلٌ وأنا درّةُ الفلَكْ

خطابٌ للبيضة المُسمَّاة بفردية الذات، لأنه المظهر التام المكمّل للذات بجميع الصفات، يعني لمقابلتها بشمسِ الذات بجميعِ الأسماء والصفات كانت بدرًا مكمّلاً، والمراد من درّة فلك هو الكوكبُ الدرّي، وهو عبارةٌ عن النفسِ الكلّية، شبّه بها زجاجةَ قلبِ المؤمن التي هي روحُهُ الحيوانية، فقال تعالى: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور: ٣٥] ومعنى الدرّي أي منسوب إلى الدرّةِ البيضاء المكنّى بها عن العقل الأول، كما عرفتَ، فكانتِ النفسُ كوكبًا درّيًا لمشابهتها للدرة المعروف، فإنَّ الكوكبَ يزيدُ ضياءً عليه زيادةً كثير لا محالة، وكوكبُ صُبح يُرادُ به أول ما يبدو من التجلّيات، ويُطلق على الشخصِ المتحقّق بمظهرية النفسِ الكلية.

وهذه الأبياتُ الثلاث تتضمّنُ معنى قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ . . .﴾ الآية [النور: ٣٥].

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٣).

٤- إن أتى النوعُ[١] من هنا جاءَهُ من هنا المَلَكْ

النوعُ: كلُّ ضربٍ من الشيءِ، وكلُّ صنفٍ من كلِّ شيء، وهو أخصُّ من الجنس، و(هنا) و(هاهنا) للقريب إذا أشرتَ إلى مكان، و(هناك) و(هنالك) للبعيد، واللامُ زائدة، والكافُ للخطاب، وفيها دليلٌ على التبعيد، تُفتح للمذكر، وتُكسر للمؤنث.

وفي «القاموس»: هنا وههنا إذا أردتَ [٤٧٦/ب] القُرْب، وهَنَّا، وههنَّا، وهنَّاكَ وههَنَّاك مفتوحات مشددات إذ أردتَ البعد، وجاء من هَنِي بكسر النون ساكنةَ الياء، أي من هُنا. ويقال للحبيب: ههُنا وهَنَّا: أي تقرَّبْ وادنُ، وللبغيض ههَنا وهَنَّا: أي تنحَّ بعيدًا.

وفي «الكليات»[٢]: كلُّ ضربٍ من الشيء، وكلُّ صنفٍ من كلِّ شيءٍ فهو النوع. وكلُّ نسبةٍ إضافية إذا كانت من خواصِّ الجنس، فإنها تفيد جنسية المضاف، كما أنَّ كلَّ نسبةٍ وصفية إذا كانت كذلك تُفيد جنسية الموصوف. وكلٌّ من الإنسان والفَرَس، فإنه نوعٌ من الحيوان، وإذا قيّد بالرُّومي أو العربي أو غيرِ ذلك من العوارض التي لم تشخص بها كان صنفًا، وتسميةُ الإنسان جنسًا، والرّجل نوعًا على لسان أهل الشرع. واصطلاحهم لأنّهم لا يعتبرون التفاوتَ بين الذاتي والعرضي الذي اعتبره الفلاسفة. انتهى

يعني إن أتى النوع إنّما يأتي من مرتبة النفس الكلّية المشار إليها بقوله: (من هنا) كما أنَّ المِلك جاءَ النوع من هنا، أي من مرتبةِ النفس الكلّية، لأنَّ كلَّ ما فوق العقل يُسمّى روحًا، وكلُّ ما تحت العقل يُسمّى ملكًا، ولا شكَّ أن النفس الكلية مرتبتُها تحت العقل الأول، فيقتضي أن يتنوّع الملك من تلك الرتبة.

٥- عشتَ في برزخِ المُنى كلُّ ما شئتَ قِيْلَ لَكْ

العيشُ: الحياة، عاش يعيش عيشًا ومعاشًا ومعيشًا ومعيشةً وعِيشةً بالكسر وعيشوشة. والمُنى بالضم والقصر جمعُ المُنْية بضم الميم وسكون النون وفتح الياء بمعنى: القصد الخطاب لفرديةِ الذات.

يعني: عشت في برزخِ المقاصد من الجنس والنوع والصنف، كلُّ ما شئتَ فقيل لك ما قيل من الأجناس والأنواع والأصناف بهويةٍ ساريةٍ، وكنتَ من الكلِّ مجرّدة وعارية، كما

---

(١) في المطبوع (٢٧٥): إن أتى النزع.
(٢) الكليات ٤/ ٣٣١.

عرفتَ بأنّه ركنُ الكائنات، وعنها صدرت الموجودات، وهي لم تزلْ منورّةَ الجهات من غير جهات **المال حقيقة الكمال مقامه الانفعال**.

يعني: المال الذي يُعتدُّ به عند أهلِ الحقيقة، هو حقيقةُ الكمال. والكمالُ ما يكملُ به النوعُ في ذاته أو صفاته، والأول أعني ما يكملُ به النوعُ في ذاته هو الكمالُ الأول لتقدّمه على النوع، والثاني أعني ما يكملُ به النوع في صفاته، وهو ما يتبع النوع من العوارض هو الكمال الثالث لتأخّره عن النوع.

وقال في «رصد المعارف»: الكمالُ هو مقابلٌ للنقص، فيُستعملُ في مواضعَ كثيرةٍ.

وفي «الفتوحات»[1]: الكمالُ التنزّه عن الصفات وآثارها، ولعلّه أشار إلى ما نُقل عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: كمالُ المعرفة نفيُ الصفات، ومقامُ الكمال الانفعال. والانفعالُ عبارةٌ عن ائتمار الأوامر الإلهية في الظاهر، وقبول أحكام التجلّيات في الباطن.

زكاته الأحوال يعني زكاةُ المال الذي هو حقيقةُ الكمال الأحوال جمع حال، وهو ما يردُ على القلبِ بمحضِ الموهبة من غير تعمّلٍ واجتلابٍ كحزنٍ أو خوفٍ، أو بسطٍ أو قبض، أو شوقٍ أو ذوقٍ، ويزولُ بظهور صفاتِ النفس سواءً يعقبُه المثلُ أو لا، فإذا دام وصار ملكًا [٤٧٧] سمي مقامًا، فالأحوال مواهب والمقاماتُ مكاسب، والأحوال تتأتّى من عين الجود، والمقامات تحصلُ ببذل المجهود.

معدنه أي معدن المال الذي هو حقيقةُ الكمال **الرجال** أي رجال الله، يعني أهل الله في عرفهم عبارة عن الفانين في الله، **سلطانه** أي سلطان المال الذي هو حقيقةُ الكمال **الوصال**، كلُّ سلطانٍ في القرآن فهو حجّةٌ، وأصلُ السلطنة القوةُ وقدرةُ الملك.

والوصل يعني به التعيّن الأول تارةً لكونه هو الوحدة الحقيقية، وهي الواصلةُ بين الخفاء والظهور، وقد يعنون به سبقُ الرحمة المعبّر عنه بالمحبّة، المشار إليه بقوله تعالى: «فأحببتُ أن أُعرف»[2] وقد يعنونَ بالوصل قيُّوميةَ الحقِّ تعالى للأشياء، وبالفصل تنزُّهَهَ عن حدِّثها، وقد يعنون بالوصل فناءَ العبدِ عن أوصافه، وظهوره بأوصاف ربّه على الوجه اللائق بالإنسان،

---

١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٢٩.

٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).

وهو المشارُ إليه بإحصاء الأسماء الإلهية في قوله عليه السلام: «إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا مَنْ أحصاها دخل الجنة»[١] وقد سبق تفصيلُه.

يهيمُ أي يتحيّر معدنُ المال الذي هو حقيقةُ الكمال في **الجمال**.

الجمالُ من الصفات ما يتعلّقُ بالرضا واللُّطف، وجمالُ الذات عندهم عبارةٌ عن طلوعِ وجه الباقي، وغروب الفاني، ومشاهدةُ التوحيد، وقد يُرادُ بالجمال جلال الجمال، وهو عبارةٌ عن علوِّ الجمال وعزّته عنّا، إذا تجلّى لنا تعالى في جماله، وإن تجلّى لنا جمالُه، فإنّ عزّةَ جماله تمنعنا عن إدراكه تعالى ومعرفته على ما هو عليه، فسُمّيت تلك العزّةُ والمَنَعَة التي يقتضيها الجمال جلالة، وقد سبق تفصيلُه.

صال بمعنى سطا واستطال ووثب، جعل فاعله بمعنى الخلق والتقدير، وهو عبارةٌ عن الإرادة والقدرة المُطلقة الكلّية الإلهية، والمرادُ من الصولة تعلّق الإرادة والقدرة يعني تعلّقتِ الإرادة والقدرة الإلهية لإيجاد الخلائق **ببدر الرئال**.

والرئالُ بمعنى الكواكب المخصوصة، أي الكواكبُ المخصوصة المعيّنة بها أُصول الأسماء المسمّاة بأمّهات الأسماء، وأئمة الأسماء، والحقائق السبعة الكلّية، وهي: الحيُّ، والعالم، والمريد، والقائل، والقادر، والجواد، والمقسط، وسائر الأسماء الإلهية بأسرها.

وقد عرفتَ بأنَّ المراد من البدر هو فردية الذات، أعني النور الأحمدي، والروح المحمّدي.

يعني: تعلّقتِ الإرادة والقدرة الإلهية لإيجاد الخلائق بواسطةِ بدرِ الكواكب أي الأسماء الإلهية، لأنّه ﷺ واسطةُ التنزل من سماء الأزلية إلى الأرض الأبدية، وهو النسخةُ الصُّغرى التي تفرَّعتْ عنها النسخةُ الكبرى، أي العالم، وهو الدُّرّةُ البيضاءُ أي العقل الأول، التي تنزّلت إلى الياقوتة الحمراء، أي النفس الكلية.

صاحبُ الرمال صفةُ البدر، والرمال بمعنى المراملة بمعنى السرعة والمسابقة، لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ـ ١١] ولقوله عليه السلام: «نحن الآخرون السابقون»[٢] ولا شكَّ أنّه ﷺ أسبقُ السابقين، وأقربُ المقرّبين.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٨٣).

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٤٢).

سترته أي سترت البدر **غزالةُ الزوال** فاعله، يعني شمس الذات، الزوال: الذهاب، وزال النهارُ ارتفعَ، وزالتِ الشمس زوالاً [٤٧٧/ب] مالتْ عن كبد السماء، لأنّه إذا طلعتِ الشمسُ أفلتِ النجومُ والبدر، فسُترَ البدرُ عند زوال الشمس بضياءِ الشمس، **وأظهرته** أي أظهرتِ البدر **الليال** فاعله عند غروب الشمس أي بطون الذات، والليال كنايةٌ عن الغيوب أخذ البدر أي شرع **في الرّحال** مصدرٌ من بابِ المفاعلة بمعنى الارتحال من منزلٍ إلى منزل، ومن برجٍ إلى برج، وعند ذلك الارتحال **بِيعَ** على البناء للمفعول ـ يعني البدر ـ **بثمنٍ غال**.

ثمنُ الشيء ما استحقّ به ذلك الشيء، يعني قيمتُه، والغالي ضدُّ الرخيص، وباع الشيءَ يبيعه بيعًا ومبيعًا شراه، وباعه أيضًا اشتراه، فهو من الأضداد، وههنا بمعنى الشراء، وعلى البناء للمفعول يكونُ بمعنى الاشتراء، والمرادُ من البيع نقصان البدرِ عند قطع المنازل والبروج.

صيغ منه من البدر **حجال** جمعُ حجلٍ بمعنى الخلخال وخلقتي القيد تشبيهٌ بليغ، لأنه إذا نقصَ البدرُ يكون كهيئة الخلخال وخلقتي القيد، وصيغ من البدر أيضًا **تيجان** جمع تاج **الأقيال** جمع قيل بمعنى الملك، أو هو دون الملك الأعلى، وأصله قيّل كفَيْعل، سُمّي به لأنه يقولُ ما شاء، فينفذ، وجمعه أَقوال وإقيال، لأنّه إذا زادَ نورُ البدر يكونُ كهيئة التاج، والمراد من كونه ﷺ حجالاً ظهوره في الأسافل بسرِّ الهوية التي في كلِّ شيءٍ ساريةٌ، وعن كلِّ شيءٍ مجرّدةٌ وعارية، ومن كونه تيجانًا ظهوره في الأعال كالأنبياء والرسل والأولياء والمؤمنين.

ولذلك اختلفَ الأشكالُ بين هلالٍ وبدرِ كمال لأنه ﷺ مطلعُ شمس الذات في سماء لأسماء والصفات، ومنبعُ نور الإفاضات في رياضِ النسب والإضافات **ففيئات الظلال**[1] لفيء ما بعد الزوال من الظلّ، يُسمّى فيئًا لرجوعِهِ من جانبٍ إلى جانب. وقال ابنُ السكّيت: لظلُّ ما نسخته الشمسُ، والفيءُ ما نسخ الشمس. وقال: رؤيةُ كلِّ ما كانت عليه الشمسُ زال عنه فهي فيءٌ وظلّ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلٌّ.

والظلُّ عندهم عبارةٌ عن وجود الراحة خلف الحجاب، ويُشيرون به إلى كلِّ ما سوى الله ن أعيان الممكنات، وظلُّ الإله هو الإنسان المتحقّق بمظهرية التعيّن الثاني. وقد سبق فصيلُه.

---

١) في المطبوع (٢٧٥): تفيأت الظلال.

والمراد من الفيئات هم الذين نزلوا من مقامِ الجمع إلى مقام الفرق الثاني بالوجود الحقّاني حنّ البدر لها لفيئات الظلال ومالَ البدرُ إليها كأنه غصنٌ ميّال. والحنينُ الشوقُ وشدّةُ البكاء، والطربُ عن حزنٍ أو فرحٍ، حنَّ يحنُّ حنينًا استطرب، فهو حانّ. وقد عرفتَ غير مرة بأنَّ المرادَ من البدر هو رسول الله ﷺ كما ورد في حديث أبي ذرٍّ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال. يا أبا ذر، أتدري ما غمّي وفكري، وإلى أيِّ شيءٍ اشتياقي؟» فقال أصحابه: أخبرنا يا رسول الله بغمِّكَ وفكرك. ثم قال: «آه، واشوقاه إلى لقاءِ إخواني، يكون من بعدي، شأنُهم شانُ الأنبياء، وهم عند الله بمنزلةِ الشُّهداء، يفرُّونَ من الآباء والأمهات، والأُخوةِ والأخوات ابتغاءَ لمرضاةِ الله تعالى، وهم يتركون المالَ لله، ويذلّون أنفسَهم بالتواضع، لا يرغبون في الشهوات [٤٧٨] وفضول الدنيا، يجتمعون في بيتٍ من بيوت الله تعالى مغمومين محزونين من حبِّ الله، قلوبُهم إلى الله، وروحُهم من الله، وعملُهم إذا مرضَ واحدٌ منهم هو أفضلُ من عبادة سنة، وإن شئتَ أزيدُك يا أبا ذر؟» قال: قلتُ: بلى يا رسول اللهِ قال: «الواحدُ يموت منهم فهو كمن ماتَ في السماء لكرامتهم على الله...» الحديثُ بطوله، وبعد الزيادة غير مرة قال: «يا أبا ذرٍّ، إنّي إليهم مشتاق» ثم أطرقَ رأسَه مليًا، ثم رفع رأسه وبكى حتى دمعتْ عيناه، فقال: «آه، واشوقاه إلى لقاء إخواني» ويقول عليه السلام: «اللهم احفظْهم وانصرْهم على من خالفهم، وأقرَّ عيني بهم يوم القيامة» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وقد مرّ تمامُ الحديث[١].

يميس أي يتبختر البدرُ في الاعتدال. والاعتدال توسّطُ حالٍ بين حالين، في كمٍّ أو كيفٍ، وكلُّ ما ناسبَ فقد اعتدل. وقد مرَّ تفضيلُ العدل والاعتدال.

داخلة الإنسال داخلةُ الشيء باطنُه، داخلة الإزار: طرفُه الذي يلي الجسد ويلي الجانب الأيمن، وداخلةُ الرجلِ سرُّه. وإنسال جمع نسل، وهو بمعنى الخلق والولد.

يعني: سرُّ الخلائق أو الأولاد متعلّق بقوله (يميس) مفعول فيه، يعني البدرُ يتبختر بالاعتدال في داخلة إنسال أي في سرِّ الخلائق رقّ المثال[٢] الرقيقُ ضدُّ الغليظ، والمثالُ: المقدار، والقصاص، وصفةُ الشيء، والفراش. والمثالُ يُطلق على عالمِ المثال، وهو محلُّ

---

(١) تقدّم صفحة (٣/ ٢٠٣).

(٢) في المطبوع (٢٧٥): رق المنال.

النفوس المجرّدة، يعني لأجلِ تبخترِ البدر بالاعتدال في سرّ الخلائق والأولاد المعنوية رقّ نفوسهم، **ولطف الخيال**[1] اللطيف ضدُّ الكثيف. والخيال هو قوّةٌ تحفظُ ما يُدرك الحسُّ المشترك من صورِ المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يُشاهدها الحسُّ المشترك، ومحلُّه مؤخّر البطن الأول من الدِّماغ.

وقال رضي الله عنه في «الفتوحات»[2]: حازَ الخيالُ درجةَ الحسِّ والمعنى، فلطف المحسوسُ، وكثفَ المعنى، فكان له الاقتدارُ التامُّ، ولذلك قالَ يعقوب لابنه:

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] لما علمَ من علمهم بتأويل ما مثلَّ الحقُّ له في رؤياه، إذ ما كان ما رآه ومُثّل له إلاّ عين إخوته وأبويه، فأنشأ الخيالُ صورةَ الإخوة كواكب، وصورة الأبوين شمسًا وقمرًا، وكلُّهم لحمٌ ودمٌ وعروق وأعصاب[3]. فانظرْ هذه النقلةَ من عالمِ السفل إلى عالم الأفلاك، ومن ظُلمة هذه الهياكل إلى نورِ هذه الكواكب. فقد لطف الكثيفُ، ثم عمدَ إلى مرتبة التقدّم وعلوّ المنزلة والمعاني المجرَّدة، فكساها صورةَ السُّجود المحسوس، فكثفَ لطيفُها. والرُّؤيا واحدة، فلولا قوّةُ هذه الحضرة ما جرى ما جرى، ولولا أنّها في الوسط ما حكمتْ على الطرفين؛ فإنَّ الوسطَ حاكمُ [على] الطرفين، لأنه حدٌّ لهما، كما أنَّ الإنسان الكامل جعل اللهُ رتبته وسطًا بين كينونته مستويًا على عرشه، وبين كينونته في قلبه الذي وَسِعَهَ، فله نظر إليه في قلبه، فيرى أنّه نقطةُ الدائرة، وله نظر إليه في استوائه على عرشِهِ، فيرى أنّه محيطُ الدائرة، فهو بكلِّ شيءٍ محيط، فلا يظهرُ خطٌّ من النقطة إلاّ ونهايتُهُ إلى المحيط، ولا يظهر خطٌّ من المحيط من داخله إلاّ ونهايتُهُ إلى النقطة، وليستِ الخطوطُ سوى العالم، فإنّه بكلِّ شيءٍ محيط، والكلُّ [٤٧٨/ب] في قبضته، وإليه يرجعُ الأمر كلُّه، فالخلاءُ ما فرض بين النقطة والمحيط، وهو [الذي] عمرُ العالم بعينه وكونه. انتهى

وجه الإرسال وجه الرجل من الباب الخامس، إذا صار وجيهًا ذا جاهٍ وقدرٍ ومنزلةٍ، وجَّهه توجيهًا أرسله وشرّفه كأوجهه، والرّسلُ محرَّكةً: القطيعُ من كلِّ شيءٍ، والجمعُ رسال، وبالكسر الرفق والتُّؤدة، والإرسال التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه.

---

١) في المطبوع (٢٧٥): لطف في الخيال.
٢) الفتوحات المكية: ٣/ ٤٥١.
٣) في الأصل: وعروق وعضلات. والمثبت من الفتوحات.

يعني: لأجل تبختر البدرِ بالاعتدال في باطن الإنسال، رقّ نفوسهم، ولطف الخيال، وصارتِ الطوائفُ ذا قدرٍ وجاه ومنزلةٍ باختلاف المشارب.

ولذلك رمتهم أي بعضها بعضًا، يعني رمتْ طائفةٌ طائفة بالنبال النبلُ السّهام بلا واحدٍ، والجمع أنبال، ونبال لاطفها أي لاطفَ البدرُ الطوائفَ في السؤال لطفَ كنصر لُطفًا بالضم، رفقَ ودنا. والله لك: أوصلَ إليك مرادَك بلطفٍ. والملاطفةُ المباراة، يعني لاطفها في السؤال، فقال: يا ذا الأنس[1] والإدلال.

الأُنس: يعبّرون به عن القُرب، وتارةً عن أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب. وقد مرّ تفصيلُه.

والإدلال: دلُّ المرأة ودلالها: تدلُّلها على زوجها تُريه جراءةً [عليه في تغنّجٍ] وتشكُّلٍ كأنّها تُخالفه وما بها خلاف[2]. وأدلَّ عليه إدلالاً انبسطَ، كتدلَّل، وأوثق بمحبّته فأفرطَ عليه وعلى أقرانه، فأخذهم من فوق ويا ذات الحجل والدلال الحجل جمع الحجلة، وهي بيتٌ يُزيّنُ بالثياب والأسرَّةِ والسُّتور للعروس. يعني مقام الأنس والانبساط صُبَّ قتال[3] على البناء للمفعول. صَبَّ الماءَ أراقه، يعني أريق دم القتال، أي المقاتلة التي تنبعثُ من تقابلِ الأسماء الإلهية، لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتقابلَيْنِ يطلبُ أحكامَهُ بدفع أحكامِ مقابلة، فيقعُ الحروب والقتال بين مظاهرِهما في الآفاق، ومثل ذلك بين العقلِ والهوى في الأنفس.

كما قال الشيخ رضي الله عنه في «التدبيرات الإلهية»[4] في ذكر السببِ الذي لأجلِهِ وقعَ الحربُ بين العقل والهوى: اعلمْ أنَّ السببَ الذي [لأجله] نشأتِ الفتنُ و[وقعت] الحروب حتى كشفتْ عن ساقِها، وعمّتِ الوقائعُ جميع أقطار المملكة وآفاقها هو طلبُ الرياسة على هذا الملك الإنساني، ليخلّصه من حصلَ بيده إلى النجاة، إذ لا يصحُّ عقلاً وشرعًا تدبيرُ ملكٍ بين أميرَيْنِ متناقضين في أحكامها ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. . لأنَّ الرُّوحَ حقيقتُهُ نورٌ، والهوى حقيقتُهُ نارٌ، وكلُّ واحدٍ منهما يتنعَّمُ من وجوهٍ في وجوده[5]، إذ هي

---

(١) في المطبوع (٢٧٥): يا ذات الأنس.
(٢) القاموس، وما بين معقوفين مستدرك فيه.
(٣) في المطبوع (٢٧٥): صبٌّ مفتال.
(٤) التدبيرات الإلهية: الباب الرابع (١٣٨).
(٥) في التدبيرات الإلهية (١٤٢): يتنعم بوجوده في وجوده.

صفتُهُ النفسية، وإلاّ فلو تيقَّنَ مَنْ حقيقتُهُ نارٌ أنّه يُعذّب بها، وأنَّ الفاعلَ قادرٌ على ذلك لطلبَ الفِرارَ إلى محلِّ وجودِ النور لو تحقّق فيه النجاة؛ لكنْ جهلَ ذلك، فكلٌّ دعا إلى مقامه؛ بل النارُ تتعذّبُ بالنور.

كما تضرُّ رياحُ الورد بالجعل[1]

فإذا كان يتعذَّبُ بالنور يتخيّل أنَّ هذا الملك الإنساني يتعذَّب أيضًا بالنور، فهو أبدًا يطلبُ أن يُخرجَه من النور، ويحجبَهُ عنه بالأفعال التي تؤدّيه إلى الخروج عنه، وهي الشهوات التي حُفَّتِ النارُ بها، فمن وردَ فقد وردَ النارَ، ويطلب أيضًا الروح الذي هو نورٌ مثل ذلك، فكلُّ واحدٍ منهما ينظرُ في الأسباب الموصلة هذا [٤٧٩] الملك الإنساني إلى حزبه، فيعرضها عليه، ويحلّيه بها، وقد صحَّ عندهما أنّه متى تحلّى أو اتَّصفَ بوصفٍ ما كان ملكًا لصاحب ذلك الوصف، وكان المستولي عليه، فوقفت الفتن[2] والحروب، ولو تركَ كلُّ واحدٍ منهما النظرَ من نفسه، ونظر إلى هذا الداعي من خارجٍ الذي هو الشارعُ، وقال: وجدت داعيًا من خارجٍ، ثبت صدقُه وعصمته. فما قال فيه [النجاة فهو ذلك، وما قال فيه الهلاك فهو ذلك لوقع التسليم والانقياد، وارتفعتِ الفتنُ، وحصل الملك في حزب] النجاة، لكن هذا لا يصحُّ أبدًا، إذا كانت تزولُ حقيقةُ الهوى، فإنه عينُ المخالفة، فلو عدمت انعدم وذهب، لكنْ لله تعالى في هذا تدبيرٌ عجيبٌ يحجب عمّن شاء، ويكشف لمن شاء. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وله ﴿ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ـ ١١٩] وهم أهلُ الجمع ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] ليظهر أسماءه في الوجود ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]. انتهى.

يشكو المطال المطل: التسويف أي التأخير بالعدةِ والدَّين، كالامطتال والمماطلة، والمطال يعني كلُّ واحدٍ من المقاتلين يشكو عن امتداد القتال لأنه عذابٌ قد طال، **ودمعٌ هطّال** جمع **الهطل**: المطرُ الضعيف الدائم، وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر. **زفرة وخبال** زفرَ يزفر زفرًا وزفيرًا أخرجَ نَفَسَه بعد مدِّهِ إياه، والشيء زفيرًا حملَهُ كازدفره، والماء استقى،

---

١) عجز بيت للمتنبي الديوان ٣/ ١٦٨. صدره:

بذي الغباوة من إنشادها ضرر

٢) في التدبيرات الإلهية (١٤٣): فوقعت الفتن.

والنار سُمِعَ لتوقدها صوتٌ، والخبل فسادُ الأعضاء، والفالج، وقطع الأيدي والأرجل، والخبال أيضًا الفساد لم يُسْمَعْ له أي للبدر مقال اختبال يُقال اختبله إذا أفسدَ عقلَه، أو عضوه. وفي بعض النسخ (اختيال) بالنقطتين يُقال اختال الرجل فهو ذو خيلاء، وذو خال، وذو مخيلة، أي: ذو كِبْر، وفي بعض النسخ (احتيال) بالحاء المهملة من الحيلة.

لوّح البدر لها لفيئات الظلال بالمال الذي هو حقيقةُ الكمال كما عرفته. التلويحُ يجيء بمعنى اللمع، وبمعنى التغيير، وبمعنى الإحماء، يُقال: لوَّحَتْه الشمس: إذا غيَّرَتْهُ وسفعتْ وجهه، ولوّح بثوبه: إذا لمع به، ولوّحتُ الشيءَ بالنار. إذا أحميته. التلويحُ هو نوعٌ خاصٌ من الإشارة، والإيماءُ نوعٌ خاصٌ من الكناية، وقيل: التلويحُ إشارةٌ إلى القريب، والإيماءُ إلى البعيد.

رثتْ فيئات الظلال له للبدر في الحال رثيتُ الميتَ من باب رمى، ومرثية أيضًا، ورثوته من باب عدا إذا بكيتَهُ، وعددْتَ محاسنَه، ورثى له: رحمه ورقَّ له، يعني رقّت فئاتُ الظلال للبدر في ذلك الحال واشتملتْ فيئات الظلال عليه على البدر أيَّ اشتمال أي كمال الاشتمال، يقال: اشتملَ بالثوب: أدارَهُ على جسدهِ كلِّه حتى لا يخرج منه يده، واشتملَ عليه الأمرُ: أحاطَ به. قالتْ فيأتُ الظلال له للبدر: هل يستوي الواجب والمحال؟ أي الوجود والعدم حتى تمكّن الاتصال بينهما، يقال: تمكّن منه: إذا قدرَ عليه، يعني: اتصالُ الوجود مع العدم، هل يكونُ ممكنًا؟ وعند ذلك أصدقَها ألفَ مثقال يقال: أصدقَ المرأةَ سمّى لها صداقًا، والصَّداقُ بفتح الصاد وكسرها: مهرُ المرأة، يعني سمّى البدرُ صداقَ فيئات الظلال ألف مثقال، أي: ألف منزلٍ، وهي منازلُ التجلّي الصمداني كما مرَّ في الفلك القلبي أنَّ للتجلّي الصمداني الوتري ثلاثةٌ وثمانون مقامًا وثُلُثُ مقام، بضرب عددِ منازل [٤٧٩/ب] القمر في التجلّي الأفعالي والصفاتي والذاتي، يصيرُ المجموعُ أربعةً وثمانين مقامًا، والتجلّي الذاتي عبارةٌ من إسقاطِ الإضافات والأسماء والصفات أول النسب والإضافات، فإذا خرجَ الثُّلثان للأفعال والصفات، لأنّ الصمدَ يدلُّ على الذات والأسماء والصفات، فبقي المجموع ثلاثةً وثمانين مقامًا وثُلثَ مقامٍ، ولهذا التجلّي الصمداني الوتري من المنازل ألفُ منزلٍ؛ بضربِ ثلاثة وثمانين مقامًا وثُلث مقام في اثني عشر، وهي عددُ بروج الفلك، فيصيرُ المجموعُ ألفَ منزلٍ، لكلِّ مقامٍ اثنا عشر منزلاً.

اصطحب[1] البدر معها مع فيئات الظلال وقال البدر: كانت فيئات الظلال له أي للبدر **أكرمَ أهلٍ يُنال** يقال: اصطحبوا بمعنى صحبَ بعضُهم بعضًا، وأهلُ الرجل عشيرتُهُ، وأهلُ الرجل عند أبي حنيفة زوجتُهُ خاصَّةً، ويُنال على البناء للمفعول جملة صفة لأهل بمعنى أكرم أهل يصاب.

حمدًا لله[2] **على الأفضال** أي على الإحسان من الله تعالى ثم أنشد البدر وقال:

١ـ بالمالِ ينقادُ كلُّ صعبٍ ... من عالمِ الأرضِ والسَّماءِ

يعني: بالمال الذي هو حقيقة الكمال، ينقادُ: أي يخضعُ كلُّ صعبٍ أي عسيرٍ من عالم الأرض أي أهل الأرض وأهل السماء.

٢ـ يحسبُهُ عالمٌ حِجابًا ... لم يعرفوا لذَّةَ العَطاءِ

حَسَبَه حَسْبًا وحُسْبانًا بالضم، وحِسْبانًا وحِسَابًا، وحِسْبةً، وحِسابةً: بكسرهن: عَدَّه، والمعدودُ مَحْسُوبٌ، وحَسَبٌ محرّكةً، ومنه: هذا بحَسَب ذا، أي بعددِهِ وقَدْرِهِ. وحَسِبَهُ كذا: كنَعِمَ مَحْسَبةً ومَحْسِبَةً وحِسْبانًا بالكسر ظنَّه.

الحجابُ: كلُّ ما سترَ مطلوبَك، وهو عند أهلِ الحقّ انطباعُ الصُّور الكونية في القلب المانعة لقبولِ تجلّي الحق. واللذَّةُ إدراكُ الملائم من حيث إنه ملائم، كطعم الحلوة عند حاسّة الذوق، والنورِ عند البصرِ، وحضور المرجوِ عند القوّة الوهمية، والأمورِ الماضية عند القوة الحافظة، تتلذَّذُ بذكرها، وقيد الحيثية للاحتراز عن إدراك الملائم لا من حيث ملائمته، فإنه ليس بلذّةٍ، كدواء النافع المرّ، فإنّه ملائمٌ من حيث أنه نافع، فيكون لذّةً لا من حيث أنه مر، والعطاء وقد يُمدُّ: نَوْلُكَ السَّمحَ، وما يُعطى كالعطية، جمعه أعطية، وجمعُ الجمع أُعطيات.

٣ـ لولا الذي في النُّفوسِ منه ... لم يجبِ اللهُ في الدُّعاء

يعني: لولا الذي كائنٌ في النفوس من لذّةِ العطاء لم يجبِ اللهُ الدُّعاء، أي دعاء الداعين؛ بل بلذّةِ العطاء الذي كان في النفوس يجيب دعاء الداعين.

---

(١) في المطبوع (٢٧٦): اصطبح.
(٢) في المطبوع (٢٧٦): حَمَدَ الله.

٤ـ لا تحسبِ المالَ ما تَراه　　مِن عسجدٍ مُشرقِ الرُّؤاء

العسجدُ: الذهب والجوهر كُلُّه، كالدُّرِّ والياقوت، والبعير الضخم، والعسجد: فرسٌ من نتاج الدّيناري وكبارِ الفصلان، والإبلُ تحملُ الذهب، وركابُ الملوك. والمشرقُ بمعنى المضيء، والرُّواء بالضم: حسنُ المنظر. وفي «القاموس»[١] الرُّؤيُّ: كصُلِيٍّ، والرُّوَاءُ بالضَّم، والمَرْآة بالفتح: المنظرُ، أو الأوَّلان: حُسْنُ [٤٨٠] المنظرِ، والثالثُ مُطلقًا.

٥ـ بل هو ما كنتَ يا بُنيَّ　　به غنيًّا عن السَّواءِ

الغِنى التزويج، وضدُّ الفقر، وإذا فُتح مُدَّ، غَنِيَ غِنىً، واسْتَغْنَى وتَغانى وتَغَنَّى واسْتَغْنَى الله تعالى: سأله أن يُغنيه، وغناه الله تعالى، وأَغْناه، والاسم الغُنْيَةِ بالضم، والغُنْوةِ. والسّواء العدل، والوسط، والغير، كالسّوى بالكسر، والضم في الكلّ. قال الأخفش: سوى إذا كان بمعنى (غير) أو بمعنى (العدل) يكونُ فيه ثلاثُ لغات: إن ضممتَ السينَ، أو كسرتَ قصرتَ، وإنْ فتحتَ مَددْتَ، يقول: مكان سِوي، وسُوى وسَواء: أي عدلٌ، وسطٌ فيما بين الفريقين، وتقول: مررتُ برجلٍ سِواك وسُواك وسَوائك: أي غيرك، يعني المال الذي هو حقيقة الكمال هو ما كنتَ يا بُنيَّ غنيًّا به عمّا سوى الله تعالى.

٦ـ فكنْ بربِّ العُلا غنيًّا　　وعامِلِ الحقَّ بالوفاءِ

العملُ محرَّكَةً: المهنةُ والفعل. والوفاء ضدُّ الغدر، يقال: وفى بعهده وفاءً، وأوفى بمعنىً، ووفّى الشيءَ يفِي بالكسر وفيًا على فعول: أي تمَّ وكثر، والوفي الوافي، وأوفى على الشيءِ: أشرفَ، وأوفاه حقَّه ووفاه توفيةً بمعنى: أعطاه وافيًا. يعني: إذا عرفتَ ما قررت، فكن غنيًّا بربِّ العُلا، وكن عاملاً للحقِّ بالوفاء، أي لحقوقِ الله تعالى، ولحقوقِ العباد، لا تكنْ غادرًا للحقِّ.

٧ـ فذاك مال[٢] الغَنيِّ صدقًا　　يزيلُ في الحالِ كلَّ داءِ

يعني ما قررتُه لك فذاك مال الغني صدقًا لا كذبًا، يزيلُ كلَّ داءٍ أي مرضٍ من الأدواء، أي الأمراضِ الصُّورية والمعنوية. رزقنا اللهُ وإياكم.

* * *

(١) القاموس (رأي).
(٢) في هامش الأصل: وفي بعض النسخ: فذاك أصل.

خاتمة الكتاب

١- ستكونُ خاتمةُ الكتاب لطيفةً　　　　من حضرة التَّوحيدِ في علوائها

العلواء: بمعنى القصة العالية، واللطافة: هو يُطلق بالاشتراك على معانٍ: دقّةُ القوامِ، وقبولُ الانقسام إلى أجزاءٍ صغيرة جدًّا، وسرعة التأثير عن الملاقي والشفافية.

واللطف: ما يقعُ عنده صلاحُ العبد آخر عمره بطاعةٍ وإيمان دونَ فسادٍ بكفرٍ وعصيان. واللطيفُ من الأسماء الحسنى، معناه: البرُّ بعباده، المُحسن إلى خلقه بإيصال المنافعِ إليهم برفقٍ ولطف. واللطيف: من الكلام ما غمض معناه وخفي. ولطف كنصر لطفًا رفقَ ودنا.

والمرادُ من حضرةِ التوحيد هو مقامُ التوحيد الأعلى وهو التجلّي الذاتي، وهو التعيّن الأوّل، وهو الوحدة الحقيقية، وهو أصلُ أصول المعارف الإلهية، هو معرفة غيب الهوية، ومعرفة الوحدة الحقيقية، ومعرفة أنها هي التجلّي الذاتي، وأنها هي أوسعُ التعيّنات، وأنها هي مقام التوحيد الأعلى، ومعرفة النسب التي باعتبارها يُطلق على الحقِّ عزّ شأنه بأنه هو المبدأُ لجميع الأشياء، ومعرفة أنَّ اعتبار كونه تعالى مبدأ هو الاعتبارُ الذي يلي تعيّنه الأول بحيث يُعرفُ من ذلك أنَّ الوحدةَ أول تعيّناته، وأن المبدئية تليها. وقد مرّ تفصيلُ التوحيد غير مرَّة.

والحاصل [٤٨٠]: ستكون خاتمةُ الكتاب يعني آخره لطيفة من لطائفِ حضرة التوحيد في القصة العالية لتلذّ الحضرة.

٢- تحوي وصايا العارفينَ وقطبهم　　　　فهي المنارُ لسالكي سيسانها

المنار: موضع النور، والأصل المنوّر، كالمنار والمسرجة والمأذنة، والجمعُ مناور، ومنائر، والسِّيساء بالكسر: منتظمُ فِقار الظهر، ومن الفَرَسِ حارِكُهُ، ومن الحمار ظهره. والجمع سَياسي، والسَّيساة: المنقادة من الأرض المستدقّة. وحَمَلَهُ على سِيساء الحقِّ: على حَدّه.

يعني: خاتمة الكتاب لطيفةٌ تجمعُ وصايا، جمع وصية العارفين ووصايا قطب العارفين،

فهي أي الخاتمةُ اللطيفة منارٌ للسّالكين المُنقادين للعارفين وقطبهم.

٣ـ من كلِّ نجمٍ واقعٍ لحقيقةٍ وأَهلَّةٍ طلعتْ بأفقِ سمائها

من كل نجم: بيانٌ للوصايا. أوصاه، ووصّاه توصيةً: عهدَ إليه، والاسم الوصيةُ و(واقع) صفةٌ (لنجم) و(لحقيقة) متعلّق بواقعٍ، و(أهلة) جمع هلال: عطف على (كل نجم) و(طلعت) جملته صفةٌ (لأهلة بأفق) متعلّق بطلّعت و(سمائها) مضاف إليه. والضميرُ عائدٌ إلى الأهلّة، والأُفُقُ بضمة وبضمتين: الناحيةُ، والجمعُ آفاق، وما ظهر من نواحي الفلك، أو هي مهبُّ الجنوب والشّمال والدَّبُور والصَّبا.

يعني: وصايا العارفين من كلِّ نجمٍ واقعٍ لحقيقة مخصوصة، ومن كلِّ هلالٍ طلع بأفق سمائه، فوقعتِ النجوم في مواقعها، وطلعتِ الأهلّة في مطالعها.

٤ـ وأتى بها عُرسًا فرانق ظبي من متنزّل الملكوتِ في ظلمائها

العروس: الرجل والمرأة ما داما في أعراسِهما، وهم: عُرس، وهنَّ عرائس. والعِرس بالكسر: امرأةُ الرجل، والجمع أعراس. رَنِقَ الماءُ كفرِح ونَصَر، رَنْقًا ورَنَقًا كَدِر، كَتَرَنَّقَ فهو رَنْقٌ كعدل وكتف. وأَرْنَقَ الماءَ: كدّره: كَرَنَّقَهُ. ورَنَّقَهُ أيضًا صفّاه: ضدٌّ. والتَّرْنِيقُ الضعفُ في البصر والبدن والأمرِ، وإدامةُ النظر، وراقه الشيءُ: أعجبه، وراقَ الشرابُ صفا. وبابهما قال. وإراقةُ الماء ونحوه صبّه. وغِلْمان رُوْقَة بالضم حسان، جمع رائقٍ والروقَةُ: الشيءُ اليسير، والجميلُ جدًا، وبالفتح: الجمالُ الرائق، والظبي والعرس كنايةٌ عن المحبوب المتنزّل من عالم الملكوت. في ظلمائها أي في غيب الملكوت.

يعني: أتى كلُّ واحدٍ من النجوم والأهلّة بها، أي بسببِ حقيقةٍ مخصوصة لكلِّ واحدٍ منها عرسًا أي محبوبًا جميلاً كنايةٌ عن معرفة الله تعالى، فرانق أي أدام النظر ظبيُ من هو متنزل الملكوت في ظلمائها أي غيب عالم الملكوت.

٥ـ ليُعَرِّفَ النِّحْرِيرَ قطبَ وجودِه وينيبُهُ بدرًا بنورِ سنائها

النِّحر والنِّحرير بكسرهما: الحاذقُ الماهر العاقلُ المجرّب المتقن الفطنُ البصيرُ بكلِّ شيءٍ، لأنّه ينحرُ العلمَ نحرًا. والمرادُ من قطب الوجود هو القلبُ، ونابَ عنه ينوب منابًا: قامَ مقامَه، وأنابَ إلى الله تعالى أَقْبلَ ونابَ. والنوبةُ والنِّيابة بمعنًى، تقول: جاءتْ نوبتُكَ

ونِيابتك، وهم يتناوبون النَّوبةَ في الماء وغيره، والسناءُ من الرفعة ممدودٌ، والضميرُ عائدٌ للملكوت.

يعني: كلٌّ واحدٍ من النجوم والأهلّة أتى بسببِ حقيقةٍ مخصوصةٍ عرسًا، أي معرفة إلهية، ليعرّف العالم النحرير قطب وجوده، وينيبه أي ليجعلَ قطب وجوده نائبًا عن بدر، كناية عن فرديةِ الذات بنور [٤٨١] سنائها أي رفعتها، وإرجاعُ الضمير إلى فردية الذات أَنسبُ للمقام بواسطةِ البدر، لأنَّ البدرَ عبارة عنها كما سبق غير مرة.

٦ـ فمنِ اقتفى أَثَرَ الوَصيّةِ إنّه بالحالِ واحدُ عصرِه في بائها

اقتفى أثرَهَ وتقفّا اتّبَعَهُ، والباءُ يُشيرون بها إلى أوّل الموجودات الممكنة، وهو في المرتبة الثانية من الوجود، وبه قامت السموات والأرض وما بينهما.

وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: ما رأيتُ شيئًا وإلاّ ورأيت الباءَ عليه مكتوبةً. يعني: بي قامَ كلُّ شيءٍ.

وقال الشبلي: أنا النقطةُ التي تحتَ الباء. يعني كما تدلُّ النقطة على الباء وتميّزها عن التاء والثاء وغير ذلك كذلك أنا على السببِ الذي عنه وجدَتْ وعنه ولدتْ، وعنه ظهرتْ، وبه بطنت.

وهي كنايةٌ عن الحقيقة المحمدية، والضميرُ في بائها عائد إلى فرديةِ الذات، لأنّها متقدّمة على الفردية باعتبار.

يعني: من اتّبعَ أثرَ كلِّ وصيةِ العارفين بالله، فإنّه بالحال ـ أي من جهة الحال ـ واحدُ عصره، ووحيدُ دهره في مرتبةِ فردية الذات، يعني في مظهرية الحقيقة المحمدية، يعني: إنه يكون من أفراد الزمان.

٧ـ ويكونُ عند فطامِهِ من ثدْيها وطلابه الترشيح من أُمرائها

فطام الصبي: فصالُه عن أمه، ويقال: فطمتِ الأمُ ولدَها تفطِمُه بالكسر: فطامًا، فهو فطيم. وفطمت الرجل عن عادته. والطلاب: بمعنى المطالبة. والترشيح: التربية وحسن القيام على المال، ولحسُ الظبيةِ ولدها من النُّدُوّة ساعةَ تلدُه. والأمراءُ جمع أمير، أي صاحبُ أمرٍ.

يعني: عند فطامه من ثدي أُمّه، أي طبيعته وعادته، ومن مطالبة التزيّنِ وحسنِ القيام على المال يكونُ من أمرائها، أي من أمراء الفردية المحمدية، يعني يكون من الأقطابِ، لأنَّ القطبَ صاحبُ أمرٍ، أو من الأفراد.

٨ ـ هـذي الطـريقـةُ أعلنـتْ بعـلائهـا فمـنِ السعيـدُ يكـونُ مـن أبنـائهـا

العلانيةُ: ضدُّ السرِّ، والإعلان: الإظهارُ، والعلاة جمع عال كقاضٍ وقضاة، يعني بمقاماته العاليات، فمن كانَ السعيد يكونُ من أبنائها أي من أبناء الطريقة، هم السالكون إلى الله تعالى، يُقال لكلِّ ما حصل من جهته شيء، أو تربيته، أو كثرة خدمته أو قيامه بأمره، أو توجّهه إليه، وإقامته عليه، هو ابنه، كما يُقال أبناء العلم، وأبناء السبيل، وأبناء الدنيا. ومن هنا سُمّي عيسى النبي عليه السلام ابنًا، وذلك لتوجّهه في أكثرِ أحواله شطرَ الحقِّ، واستغراقِ أغلب أوقاته في جانب القدس.

١ـ موقع نجم الطمأنينة

النجم: كنايةٌ عن نور التجلّي العرفاني في القلب، كما يكنى بكوكبِ الصبح أوّل ما يبدو من التجلّيات. والطَّمْنُ: الساكن كالمُطمئن، والجمع طُمونٌ، واطْمأَنَّ إلى كذا اطْمئنانًا، وطُمأنينةً، وهو مُطْمَئِنٌ، وطَمْأَن ظَهرَهُ وطامنه بمعنىً، ومن الأمر سَكَنَ، والاطمئنان لغةً: السكون. وشرعًا القرارُ مقدارُ تسبيحةٍ في أركان، وقد شدّد صدرُ الإسلام تشديدًا بليغًا، فقال: إنها واجبةٌ عند الطرفين، فيلزم السهو بتركها، ويكرهُ أشدّ الكراهة عمدًا، ويلزمه الإعادة. وفي اصطلاح القوم: **الطمأنينة: سكون القلبِ بالمطلوب عند اتّصاله، أي اتصال القلب بالمحبوب**، أي الحقِّ.

اتّصال الاعتصام: وهو من اعتصام الخاصة الذين هم أهلُ الوصولِ إلى الحضرة، والمراد بالاتصال الاعتصام بشهود الحق تفريدًا، أي منفردًا، ولا شيء معه، وذلك بعد [٤٨١/ب] الاستجلاء له تعظيمًا.

واتصال الشهود: معناه سقوطُ الحجاب بالكلّية.

واتصال الوجود: معناه وجود الحقِّ وجود عين، أي وجود معاينة، وذلك بالانتهاء إلى حضرة الجمع.

واتصال الانفصال: معناه رؤية وصل الوحدة لفصل الكثرة، وذلك حال من يشاهد الوحدة في الأشياء، ويطلق اتصال الانفصال على زوال خصوص العبدِ الموجب لاتصاله بالحقّ. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[١].

وعند تقضّي أي عند فناء وانصراف لبانات أي حاجات الهمم جمع همة. وقد سبق غير مرة تفصيلُ الهمة، وهمة الإفاقة، وهمة الأنفة، وهمة أرباب الهمم العالية.

وعند ملكِ ما كان القلبُ به[٢] متعلقًا في القِدَم مُتَّصفًا بالعدم القديم: هو عبارةٌ عمّا ليس قبله زمانًا[٣] لشيء، وقد يُقال على ما مرّ عليه حولٌ. ولهذا قالوا: لو قالَ: كلُّ عبدٍ قديمٍ لي فهو حرٌّ، يُحملُ على من مضى عليه عنده سنة.

وقد يُطلقُ على الوجود الذي لا يكونُ وجودُهُ من الغير.

وقد يُطلق أيضًا على الوجودِ الذي ليس وجودُهُ مسبوقًا بالعدم.

والأولُ هو القديمُ بالذات، ويُقابلُهُ الحادثُ بالذات، والثاني هو القديمُ بالزمان، ويقابله المُحْدَثُ بالزمان، وما ذهب الفلاسفةُ وبعضُ قدماء أصحابنا إلى أنَّ القديمَ هو الموصوف الذي لا أوّلَ لوجوده مدخولٌ من وجهين:

الأولُ أنَّ القديمَ قد يُطلق حقيقةً على الوجود والعدم، فإنَّ الحوادثَ الموجودة في وقتنا هذا معدومةٌ في الأزل، وعدمُها قديمٌ أزلي، فلا يكونُ قولهم جامعًا.

والثاني القديم وإنْ كان مختصًا بالوجود إلاّ أنه أيضًا غيرُ جامعٍ، فإنَّ القديمَ قد يُطلق أيضًا على ما عتق وطالتْ مُدّتُهُ بطريق المبالغة، فالأولى أن يُقال: القديمُ هو الموصوفُ بالقدم في حقيقة شرطِ المبالغة، فإنّه يعمُّ الوجود، والعدم، وما لا أوّلَ له، وما له أول، والأصحُّ أنَّ القِدَمَ صفةٌ سلبية أي ليست بمعنى أنها موجودة في نفسها كالعلم مثلاً، وإنّما هي عبارةٌ عن سلبِ العدم السابق للوجود، أو عدم الأزلية، أو عدم افتتاح الوجود أو استمرار الوجود في الماضي، والكلُّ بمعنىً واحد، توصف به ذاتُ الله تعالى اتّفاقًا. وقد سبق تفصيلُه.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ١٦٥ـ١٦٦.

(٢) في المطبوع (٢٧٨): ما كان الخاطر.

(٣) كذا.

مطلع هلالة

أي هلال نجم الطمأنينة، وقد عرفتَ بأنَّ: هلال ارتقاب: عبارةٌ عن هلال ينتظرُ في أول الشهر خلف الشمس عند غروبها.

وهلالُ محاق: عبارةٌ عن هلالٍ يدخل تحت الشمس، ويمحق في آخر الشهر عند طلوعها.

وهلال ارتقاب: ههنا كنايةٌ عن ابتداءِ ظهور الوجود الكوني، وازداد نورًا حتى بلغَ حدَّ البدر بمقابلة شمسِ الوجود المطلق القديم، ثم نقصَ نورُه أي وجوده لقربه إلى شمس الوجود المطلق القديم، حتى بلغَ إلى حدِّ المحقِ، أي المحو، كما قالوا: المُحْدَثُ إذا قرن بالقديم لا يبقى منه أثرٌ، فهو هلالُ محاق، يعني هلالُ ارتقاب، يعتبر في الفرقِ الأول، وهلال محاق في الجمع.

قل كيفَ يسكنُ قلبٌ لا يُحيطُ به ... وقدْ تيقَّنَ هذا في تقلُّبِهِ
مَنْ يطمئنُّ إلى تحصيلِ فائِتِهِ ... فإنّما فاتَهُ أعلى لمنتبِه[1]

يعني في موقع نجم الطمأنينة وقعَ في القلبِ معرفةٌ أنها أي الطمأنينة عبارةٌ عن سكون القلب بالمطلوب عند اتّصاله بالمحبوب، وتقضّي لبانات الهمم [٤٨٢] وملك ما كان القلبُ به متعلّقًا في القِدَم، فطلع في مطلع هلاله بعدم الطمأنينة، فقال: قل كيف يسكنُ ـ أي يطمئن ـ قلبٌ لا يحيط به تعالى؟ وقد تيقَّنَ القلبُ هذا أي عدم الإحاطة به، لأنّه تعالى بكلِّ شيءٍ محيط، ولا يُحيط به شيء، يعني: تيقّن القلبُ هذا في تقلّبه بين الأسماء الإلهية، والمعارفِ الغيرِ المتناهية، فمن يطمئنُّ ـ أي يسكن ـ إلى تحصيلِ فائتة أي ما فاتَ منه، فإنّما فاته أعلى لمنتبه.

والانتباهُ: زجرُ الحقِّ للعبد بإلقاءات مزعجةٍ منشّطةٍ إيّاه من عقال الفترة على طريقِ العناية به، وقيل: الانتباهُ طور مبادىء اليقظان بطريقِ زجر الحقِّ للعبد تفضلاً وعنايةً. واليقظةُ: الفهم عن الله ما هو المقصود في زجره، إذ كان معناه الانتباه من سِنة الغفلة، والنهوض عن ورطة الفترة اعتبارًا بأهل البلاء، وتفرّغًا للشُّكر على النعماء.

---

(١) في المطبوع (٢٧٨): تحصيل غايته فإن ما فاته أعلى لمنتبه.

٢ـ موقع نجم خشية الفؤاد[1]

الخوفُ: وهو عمّن يلحقُ لتوقع المكروه، وكذا الهمُّ، وأما الحُزن فهو عمّن يلحق من فواتِ نافعٍ، أو حصول خسار.

وفي «الأنوار»: الخوفُ علّة المتوقع، والحزنُ علّة الواقع، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٣] قصد أن تذهبوا به، والقصدُ حاصلٌ في الحال.

والخشيةُ: أشدُّ من الخوف، لأنها مأخوذةٌ من قولهم: شجرةٌ خاشية أي يابسة، وهو فواتٌ بالكلّية، والخوفُ: النقصُ. من ناقةٍ خوفاء: أي بها داء، وليس بفوات. ولذلك خُصّتِ الخشية بالله تعالى في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الرعد: ٢١].

والخشية تكون من عظمِ المخشيّ، وإنْ كان الخاشي قويًا، والخوفُ يكون من ضعفِ الخائف وإن كان المخوفُ أمرًا يسيرًا. وأصلُ الخشية خوفٌ مع تعظيم، خُصَّ بها العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وعند أهل الحق: ما يحذرُ من المكروه في المستأنف[2].

والخائفون من الله تعالى منهم من يبلغُ به الخوفُ إلى حدّ الانخلاع عن طمأنينته الأمن خوفًا من العقوبة، أو من المكر، أو من الهيبة.

خوفُ العامة: من العقوبة تصديقًا للوعيد.

خوفُ أرباب المراقبة: من المكرِ في جريان الأنفاس.

خوف الخاصة: إجلالٌ وهيبة، إذ ليس في مقامِ الخصوص وحشة الخوف[3].

والحزنُ: توجّعُ القلب لفائت، أو تأسّفٌ على ممتنع، ويتضمّن ذلك أمورًا خمسة هي: الخوفُ، والحزن، والإشفاق، والخشوع، والإخبات. وقد سبق تفصيلها غير مرة.

والحاصلُ: خشيةُ القلب كائنةٌ من قلّة الزاد. والزادُ طعامٌ يُتّخذ للسفر، زوّده فتزوّد.

---

(١) في المطبوع (٢٧٨): الفؤاد من قلة الزاد.

(٢) الكليات: ٢/ ٣٠١.

(٣) لطائف الإعلام ١/ ٤٥٦.

والمرادُ ههنا من الزاد: التقوى لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهول المعاد يعني: خشيةُ الفؤاد من قلّة الزاد، ومن هولِ المعاد. والهولُ: المخافةُ من الأمرِ لا يدري ما هجم عليه منه، والجمعُ أهوال. والمَعَادُ بالفتح: المرجعُ والمصير، والآخرةُ معاد الخلق، بل هو أي خوف الفؤاد من سوء المعاملة والمعاملةُ عندهم عبارةٌ عن توجّه النفس الإنساني إلى باطنها الذي هو الروح الروحاني والسرُّ الرباني، واستمدادُها منهما ما تزيلُ به الحجب عنها، ليحصل لها قبولُ المدد في مقابلة إزالة كلِّ حجاب مع طلب المواصلة؛ بل هو أي خوف الفؤاد من قلّة الزاد وهولِ المعاد من الدَّعوى مع التعرّي عن التقوى الدعوى مُشتقةٌ من الدعاء، وهو الطلب، وفي الشرع [٤٨٢/ب] قولٌ يطلبُ به الإنسانُ إثباتَ حقٍّ على الغير. وعِري من ثيابه بالكسر عُريًا بالضم، فهو عارٍ وعُريان، وأعراه وعرّاه تعريةً فتعرّى.

والتقوى: المحافظةُ على الحدود والوفاء بالعهود.

تقوى العوام: وهي طاعةُ العبدِ لربّه فيما أَمَرَ ونهى.

تقوى الخواص: هو موافقةُ العبد لربّه فيما قدَّرَ وقضى.

وتقوى خاصّة الخاصة: أن تعرفَ مالَكَ وماله، فلا تصفُ ما بك من نعمةٍ إلاّ إليه، وإن وجدتَ غير ذلك فلا تلومنَّ إلاّ نفسك.

والتقوى من التقوّي: هو أن تنخلعَ إضافةُ التقوى إليك لمشاهدتك قيُّومية الحقِّ للأشياء.

وتقوى المنتهين: هو طهارةُ قلوبهم عن أن يلمَّ بها شيءٌ غير الحق، وهذا القلبُ هو البيتُ المحرّم.

وتقوى المحقّقين: هو التقوى منه به، أي تقواك من مقتضيات اسم المُنتقِم والضارِّ بالالتجاء إلى اسمه النافع والغفّار.

وتقوى الحقيقة: هو أن تتّقي اللهَ أن تضيف إليه ما لا ينبغي لقدسه من الحَدَث وتوابعه، أو أن تُضيف إلى خلقِهِ ما لا ينبغي إلاّ له، مما استأثرَ به لنفسه.

مطلع هلاله: أي هلال نجم خشية الفؤاد:

كيف يَخشى فؤادُ مَنْ ليس يَخْشى غيرَ محبوبِه القديمِ ويرجو
كلُّ قلبٍ قد داخلَتْهُ حظوظٌ من كيانِ العُلا فذا القلبُ ينجو

يعني: كيف يخشى قلبُ مَنْ لا يخشى غيرَ محبوبه القديم عزَّ شأنه من قلّة الزاد وهول المعاد، ولا يرجو غير محبوبه، أو يرجو محبوبه القديم كلُّ قلبٍ قد داخلته حظوظ أي أنصباء من كيان العلا فذلك القلب ينجو من خشية قلّة الزاد، ومن خشية غير محبوبه القديم. والكيانُ يُطلبُ على الأصل، فيقال الحقائق الكيانية يعني الأصلية، وجمع (كي) وهو الملكُ عند العجم، والمرادُ من كيان العُلا الحقائقُ الإلهية الأصلية، ومظاهرها المرشدون الذين هم أصحابُ المقامات العُلا.

٣ـ موقع نجم التوبة

التوبةُ: هي الرجوعُ إلى الله، قالوا: التوبةُ مستجمِعَةٌ لأمورٍ ثلاثة، وهي: الندم على الذنب، وتركه في الحال، والعزم على تركه في المآل.

وقال الشيخُ رضي الله عنه في «الفتوحات»[١]: المشترطُ تركَ العزم على العودِ إلى الذنب، لا العزم على الترك. ومقصوده بذلك أنّه لو كان التائبُ ممّن قد سبق في علم الله عوده إلى الذنب لكانَ إذا عادَ إلى الذنب ذا ذنبيْنِ، أحدهما: الاقترافُ للذنب. وثانيهما: النقضُ للعهد الذي هو عزمه على التركِ، بخلاف من لم يعزمْ على التركِ، فإنّه إذا عادَ كان ذا ذنبٍ واحد. وقد سبق تفصيلُه غير مرة.

والحاصلُ موقع نجم التوبة **قرين الحوبة**. الحُوبُ: بالضم والحاب: الإثم، وقد حابَ بكذا أي أثِمَ، وبابه قال وكتب. وحَوبة أيضًا بفتح الحاء.

يعني موقع نجم التوبة عقيب الحوبة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٧ـ١٨].

علامتها أي علامةُ التوبةِ. والفرقُ بين العلامة والأمارة: العلامةُ ما لا ينفكُّ عن الشيءِ

---

(١) تقدّم، ولم أجده في الفتوحات المكية المطبوع. ولعلّ إعادة تركيب الكلام من المؤلف كما هي عادته.

كدخول الألف واللام على الاسم، والأمارة ما ينفكُّ عن الشيء كالغيم بالنسبة إلى المطر. والعلامةُ في اللغة الأَمارة بالفتح كالمنارة للمسجد، والعلامةُ تتخلَّفُ عن ذي العلامة كالسحابِ مثلاً، فإنه علامةُ المطر، والدليلُ لا يتخلّف [٤٨٣] عن المدلول كالدُّخان والنار. هكذا في «الكليات»[١].

والحاصل علامة التوبة الندم عقيب الحوبة ممّا جرى به القلم بيان للحوبة، أي علامة التوبة الندمُ عقيب الحوبة من الإثم الذي جرى به القلم ومما تعلّق به العلم في القدم ثم أقلع أي كف التاب ورجع عن الحوبة إلى الله تعالى.

الإقلاع عن الأمر: الكف عنه، يقال: أقلع عما كان عليه أي كف عندما سمع قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] الفلاح[٢]: الفوز والنجاة والبقاء في الخير والظفر وإدراك البغية. [وهو ضربان: دنيوي وأُخروي. فالأول هو] الظفر بما تطيب به الحياة الدنيا والآخر هو ما يفوز به المرء في الدار الآخرة من بقاءٍ بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزٍّ بلا ذلٍّ، وعلمٍ بلا جهل.

مطلع هلاله: أي هلال نجم التوبة.

مـا فـازَ بـالتـوبـةِ إلاّ الـذي ... قـد تـابَ منهـا والـورَى نُـوَّمُ

فمـن يتـبْ أدركَ مطلـوبَـهُ ... مِـنْ تـوبـةِ النـاسِ ولا يعلـمُ

الفوز: النجاة والظفر بالخير. والورى: الخلق. النوم معروف، وقد نامَ ينام، فهو نائمٌ وجمعه نِيام، وجمع النائمة، نوّم على الأصل ونيم.

والتوبة من التوبة، يُشيرون به إلى ما قاله رُويم حين سُئل عن التوبة، فقال: تتوبُ من التوبة. وهذا الكلام يحتملُ وجوهًا:

منها: أنّه لمّا كان العبدُ قد يتوبُ من الذنب ثم يرجعُ إليه، ثم يتوبُ بعد ذلك، صار معنى التوبة من التوبة وهو أن يتوبَ من أَنْ يرجعَ إلى ذنبٍ يجب عليه أن يتوبَ منه.

ومنها: أنّهم يعنون بالتوبةِ من التوبة أي من ذكر الجفاء الذي يصحبُ التوبة، لأنَّ ذكرَ الجفاء في وقت الصفاء جفاء أيضًا.

---

(١) الكليات: ٣/ ٢٧٧.

(٢) الكليات: ٣/ ٣٥٦.

ومنها: أنَّ العبدَ متى رأى لنفسه قدرًا لتوبتِهِ، فقد يداخله العجبُ الذي هو في الحقيقة ذنب، فوجب عليه أن يتوبَ من مثل هذه التوبة.

ومنها: لمّا كان مفهوم التوبة في المشهور إنّما هو الإقلاعُ عن الذنب في الحالِ مع العزمِ على تركه في زمنِ الاستقبال، وكان ذلك سوءَ أدبٍ عند أهل التحقيق من جهةِ أنَّ العبدَ قد يكون ممّن سبقَ له في علمِ الله تعالى بأنّه سيعود إلى الذنب، فيصيرُ بالعزمِ متحكّمًا على الله تعالى لا مُتذلّلاً. وقد سبق تفصيلُ التوبة، والتوبة من التوبة، وتوبة التحقيق، وتوبة الكُمّل، وتوبة الانتهاء، والتوبة المحمدية، والتوبة من الزهد، والتوبةُ من التوكّل، والتوبة من الطاعة، والتوبة بمقتضى الطريقة، وبمقتضى الحقيقة في أوائل الكتاب[1].

٤ـ موقع نجم الإنابة

الإنابة: الرجوعُ إلى الله.

إنابة العامة: الرجوعُ من مخالفة الأمر إلى موافقتِهِ، فلا يجدُكَ حيثُ نهاك، ولا يَفقدُكَ حيث أمرك.

وإنابة الخاصة: الرجوعُ من مخالفة الإرادة إلى موافقتها، بحيث لا يختلجُ في قلبك إرادةُ شيءٍ؛ لعلمِكَ بأنه لا يقعُ إلاّ ما أراد اللهُ وقوعَه، وهذا أحدُ الوجوه التي في قولِ أبي يزيد: أنا المُرادُ وأنت المُريد، إذ لا مُريدَ سواه، فالكلُّ مرادٌ له تعالى، فإنه ما شاءَ الله كان، وما لم يشأ لم يكنْ. والمتحقّقُ بهذه الإنابة هو صاحبُ مقام الرضا.

وإنابة خاصة الخاصة: ألاّ يرى معه سواه.

وإنابة خلاصة خاصة الخاصة: تمكُّنك عند إنابتك إليه بحيث لا تقهر تحت سلطنة التجلّي عن رؤية [٤٨٣/ب] المجلي باستهلاكِ في نور المتجلّي تستهلك أحكام المراتب، فيفوتك الخيرُ الكثير الذي هو معرفةُ الحكمة في أحكام موقع تلك التجلّيات التي هي تجليات، والقيام بحقوقها.

والحاصلُ موقع نجم الإنابة خلعُ تعبّد الناس لذاتك[2] الخلعُ كالمنع: النزعُ. التعبّد اتخاذ

---

(١) انظر الصفحة (١/ ٤٥٥ و٢/ ٥٧٦).

(٢) في المطبوع: (٢٧٩): تعبد النفس.

الشخص عبدًا، يقال: تعبّده أي اتّخذه عبدًا، والتعبُّدُ النسك، يعني ألاّ تجعلَ نفسَك عبدًا للناس.

وخروجُكَ عن رقِّ شهواتك. الرِّق بالكسر الملك، وهو العبودية. والشهواتُ جمع شهوة، وهي حركةُ النفس طلبًا للملائم.

وتجرُّدُكَ عن ملك صفاتك وهو التجريد الصفاتي، وهو تجريدُ القوى والصفات عن نسبتها إلى الخلقِ، بإضافتها إلى الحقِّ، وذلك لأنَّ العبدَ عندما يتحقّق بالفقر الحقيقي الذي هو عبارةٌ عن انتفاءِ الملك شهودًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٩١] فإنَّ قلبه حينئذٍ يصيرُ قبلة. الصفات وقد مرّ تفصيلُه في التجلّي الصفاتي.

واستهلاكُكَ في الحقِّ استهلاكُ مَحْوٍ من صاحبِ عشقٍ. استهلاكُ الكثرة في الوحدة: عبارةٌ عن استهلاك كثرةِ الماهيات في وحدة الوجود الحقّ تعالى، وهو تعقّل المفصّل في المجمل، كمشاهدة العالم العاقل بعين بصيرته ما في النواة الواحدة بالقوة من الأغصان والأوراق، والتمر الذي في كلِّ فردٍ مثلٌ في النواة الأولى، هكذا إلى غيرِ النهاية.

واستهلاكُ الوحدة في الكثرة: هو عكسُ ما تقدّم، وهو عبارةٌ عن استهلاك الوحدة في كثرة الماهيات، وهو تعقّلُ المجمل في المفصّل بحيث تعقلُ أحكام الوحدة جملةً بعد جملة، فتعقل كلَّ جملةٍ بما اشتملتْ عليه من الماهيات التي هي صورُ تلك المتعقّلات المكثرة للوجود الواحد، المعدّدة له، وذلك كما يشاهدُ العاقلُ بعين البصيرة النواةَ الواحدة بجملةِ ما تشتملُ عليه بالقوة في كلِّ ما ظهرَ عنها من أجزاء الشجرة خشبًا وورقًا وورداً، أو غير ذلك ممّا يشتملُ عليه جملةً وتفصيلاً.

ومن كان أهلاً لمشاهدةِ استهلاك كلِّ واحدٍ من الوحدة والكثرة في صاحبه شاهدَ كلَّ شيءٍ في كلِّ شيءٍ، لأنّه يشاهدُ الوحدةَ في كلِّ شيءٍ، ويشاهدُ اشتماله على كلِّ شيءٍ. والمحقُ: عبارةٌ عن فناء الذات، والاستهلاك في الحقِّ كنايةٌ عن فناءِ الذوات في ذات الحق، وهو التجلّي الذاتي، ويقال التجلّي الأول: هو عبارةٌ عن ظهور الذات نفسها لنفسها في عينِ التعين والقابلية الأولى الذي هو الوحدة كما عرفتَ أنّها أولُ تعيّنات الذات ورتبها. وقد مرّ تفصيلُه في التجلّيات.

مطلع هلاله: أي هلال الإنابة:

لا ينيبُ الفؤادُ إلاّ إذا ما كانَ مُستهزئًا[1] بذكرِ سواهُ
فإذا شاهدَ العجائبَ فيه لم يكنْ ذا إنابةٍ في هواهُ

يعني: لا يرجعُ القلبُ إلى الله تعالى بالرّجوع المذكور آنفًا إلاّ إذا كان القلبُ مستهزئًا بذكر سواه تعالى. هزأ منه وبه كمنعَ وسمع: سخر كَتَهَزَّأَ واستهزأ. فإذا شاهد المنيبُ إلى الله تعالى العجائبَ فيه، أي في رجوعه إلى الله تعالى لم يكنْ ذلك الشهود إنابةً في هواه، أي في هوى نفسِ المنيب.

٥ـ موقع نجم الأوبة

آب رجعَ، وبابه قال، وأوبةً[2] وإيابةً وإيابًا أيضًا، والأوابُ التائب، والمآبُ: المرجع، وآبتِ الشمسُ غابت و﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ [سبأ: ١٠] أي سبّحي معه.

وفي «القاموس»: الأَوْبُ والإيابُ وتُشدّد، والأَوْبَةُ [٤٨٤] والأَيْبَة، والإيبة، والتَّأْويبُ، والتَّأْييب، والتَّأَوُّب الرجوع، وأَوِبَ كفرح: غضِبَ، والمآبُ المرجعُ والمنقلب.

وفي «الكليات»[3]: الأوبُ: لا يُقال هذا إلاّ في الحيوان الذي له إرادة، والرجوعُ: أعمُّ. وتاب إلى الله: رجع إليه، وتابَ اللهُ عليه: وفّقه للتوبة، أو رجعَ به من التشديد إلى التخفيف، أو رجعَ عليه بفضله وقبوله، وهو التواب على عباده.

والمراد ههنا من نجم الأوبة: هو السفرُ الرابع عند الرجوع عن الحقّ إلى الخلق، وهو أحديةُ الجمع، والفرق بشهود اندراج الحقّ في الخلق، واضمحلال الخلقِ في الحقّ حتى يرى العينَ الواحدةَ في صورة الكثرة في عين الوحدة، وهو السَّيرُ بالله عن الله للتكميل، وهو مقامُ البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع، ولذلك قال: موقع نجم الأوبة.

نبوية المحتد، رسالية المشهد يعني محتدُ الأوبة أي أصلُه نبوية منسوب إلى النبوة، ومشهده رسالية أي منسوبٌ إلى الرسالة، لأنَّ النبوةَ والرسالة إنّما يتحقَّقُ بعد السفر الرابع عند

---

(١) في المطبوع (٢٧٩): كان مستهترًا.
(٢) جاء في هامش الأصل: مطلب موقع نجم التوحيد.
(٣) الكليات ١/ ٣٥٣.

الرجوعِ عن الحقِّ إلى الخلق لدعوة الخلق إلى الحق نالها أي الأوبة التي هي نبوبة المحتد رسالية المشهد من ظنَّ أي علم كرامتَهُ فتنةً أي اختبارًا وامتحانًا والتذَّ بها أي الأوبة من شاهد عذابه منَّةً أي إنعامًا، وهذا كنايةٌ عن رضا العبدِ عن الربِّ، وهو ألاّ يبقى للعبدِ تعلّقٌ بغير ما أراده الحقُّ تعالى له، وذلك بألاّ يجدَ في نفسه حرجًا ممّا قدّره الحقُّ تعالى وقضاه، ولو في قطعِ يده، وموت ولده، فإنَّ المحبّةَ الحقيقيةَ لا تصحُّ إلاّ مع محبّةِ ما هو مراد للمحبوب.

ولهذا قيل: الرضا خلقٌ إذا تحقّقَ العبدُ به لم يبق فيه خوفٌ من هجوم شيءٍ، ولا حزنٌ على فوتِ شيءٍ، بل ولا إنكارٌ لشيءٍ، لأنّه إنّما يُنكر بعبديَّتِهِ المحقَّقة لامتثال أمرِ مولاه في الإنكار لا في حظِّ النفس.

فقالوا: الرضا مَلَكَةُ تلقّي النفس لما يأتي به القدرُ على وجهٍ لا تتألَّمُ به، بل تأنسُ إليه وتبتهجُ به؛ لاشتغالها بالالتذاذِ الحاصلِ من رؤية من بيده التقديرُ عن إدراك ما يؤلم من القدر.

مطلع هلاله: أي هلال موقع نجم الأوبة التي هي نبوبة المحتد.

آبَ قلبٌ[1] إلى الذي آبَ عنه	فهو فَردٌ وما سِواه مثنَّى
كلُّ قلبٍ يراكَ يا مَنْ تعالى	فحقيقٌ عليه أن يَتَحَنَّى
فإذا ما دنا إليه تعزّى	وإذا ما دنوتُ منه تهنّى

يعني: رجعَ قلبٌ إلى المرجعِ الذي رجعَ عنه، فهو ذلك القلبُ فردٌ وما سواه مثنّى، يعني: ما سوى ذلك القلب يكون في المرتبة الإثنينية لا في المرتبة الفردية، كلُّ قلب يراك ببصيرته يا مَنْ تعالى عن إدراكه الأبصار فحقيقٌ: خليقٌ جديرٌ عليه أن يتحنّى أن يتعطّف، فإذا ما دنا القلبُ إليك تعزّى، والعزاءُ: الصبر، يقال: عزّاه تعزيةً فتعزّى. وإذا ما دنوتَ أنت يا ربُّ منه، من القلب، تهنّى كلُّ أمرٍ أتى بلا تعبٍ فهو هنيء، والتهنئةُ ضدُّ التعزية. يقال: هنّأه تَهْنِئةً فتهنّى.

---

(١) في المطبوع (٢٧٩): آب قلبي.

٦ـ موقع نجم التوحيد

التوحيد اعتقاد الوحدانية لله تعالى، وهو على مراتب:

توحيد العامة: وهو أن يشهدَ أن لا إلهَ إلا الله.

وتوحيد الخاصة: ألاّ يرى مع الحقِّ سواه.

وتوحيد خاصّة الخاصة: ألاّ يرى سوى ذاتٍ واحدةٍ قائمة بذاتها التي لا كثرة فيها بوجهٍ مقيمةٍ لتعيّناتها التي لا يتناهى حصرها ولا يُحصى عددُها [٤٨٤/ب] وألاّ يرى أن تلك التعينات هي عينُ العين المعيّنة لها الغير المتعيّنة بها ولا غيرها، فمن كان هذا شهودَهُ، فهو المتحقّق بالوحدانية الحقيقية، لأنه يشاهدُ الحقَّ والخلقَ، ولا يرى مع الحقِّ غيرًا، وهذا هو الذي لم ينحجبْ بالغيرِ عن رؤية العين. وقد سبق تفصيلُه غير مرة.

ولذلك قال: موقع نجم التوحيد أصل الأشياء وإليه ترجع الأشياء، وهو البرزخُ الأول، والأكبر، والأعظم، وهو الأصلُ لجميع البرازخ، والساري فيها، فالمرادُ بذلك كلِّه الوحدةُ التي هي البرزخية الأولى، سُمّيتْ بذلك لانتشاءِ الأحدية والواحدية عنها، فصارتْ مميّزةً لأحدهما عن الآخر، فسُمّيتْ برزخًا لهما لذلك، ولأجل اشتقاقهما عنها، وسمّيت بالجمعية الأولى لكونها جامعةً بينهما، واقعةً بينهما عن البينونة، وموحّدة إيّاهما، بل كلٌّ منهما عينُ الآخر بحكم اقتضاء الباطن الحقيقي، وإنّما كانتِ الوحدة هي باطن جميع الحقائق الكونية، وأصلاً لانتشاء الجميع عنها، لكون حقيقة الوحدة سابقًا على جميع الحقائق، وساريًا بكلّيتها في جميع الحقائق بحيث لا تكونُ في الحقائق الإلهية إلهية، ولا في الحقائق الكونية كونية إلاّ وهي ساريةٌ فيها، ولهذا صارتِ الوحدةُ هي المسمّاة بالتعيّن الأول، وهي أصلُ الأشياء، منه بدأتْ وإليه.

فكلٌّ صاحبِ مقام. المقام: عبارةٌ عن استيفاء حقوق المراسم على التمام، ولهذا صارَ من شروطهم أنّه لا يصحُّ للسالك ارتقاءٌ من مقامٍ إلى مقام فوقه ما لم يستوفِ أحكامَ ذلك المقام، فإنَّ من لا قناعةَ له لا يصحُّ منه أن يكون متوكّلاً، ومَنْ لا توكُّلَ له لا يصحُّ له مقامُ التسليم، وهكذا في من لا توبةَ له، فإنه لا يصحُّ أن يكونَ من أهل الإنابة، ومن لا تورّعَ له لا يصحُّ منه الزهد، وسُمّيت هذه وما سواها بالمقامات، لإقامةِ النفسِ في كلِّ واحدٍ منها لتحقّق ما هو

تحت حيطتها المتناوب ظهورها على النفس المسماة أحوالاً لتحوّلها. وقد مرّ تفصيلُ المقامات.

أو صاحب صفة. الصفةُ: هي الاسم الدالُّ على بعضِ أحوال الذات نحو: طويل وقصير وعاقل وأحمق وغيرها، أو صاحب نعت والفرقُ بين الصفة والنعت في ذاته تعالى أنَّ الصفةَ ما يدلُّ على معنىً في الذات كالحياةِ والعلم، والإرادة والقدرة، والسمع والبصر والكلام، وغير ذلك. والنعتُ: ما لا يدلُّ على معنىً في الذات كالأزل والأبد والقِدَم والبقاء والأول والآخر والباطن.

أو صاحب رسم. الرسمُ: نعتٌ يجري في الأبد بما جرى في الأزل، وقد يُطلقون الرسمَ ويُريدون به كلَّ ما سوى الله عزّ وجل، لأنَّ كلَّ ما سواه آثارٌ عنه، فإنَّ الرسمَ في الديار هي الآثار التي تحصلُ عن سكانها، فاصطلح أهلُ الطريق على تسمية كلِّ ما سوى الله تعالى من الأغيار، وعالم الخلق بالرسوم، إذِ الكلُّ آثارُ قدرته تعالى، فإذا أطلقتِ الطائفةُ الرسومَ أرادوا بها صورَ الخلقية.

والحاصلُ: كلُّ صاحبِ مقامٍ وصفةٍ ونعتٍ ورسمٍ لا يقفُ على توحيده تعالى في ذلك المعنى[1] القائم به من المقامِ والصفة والنعت والرسم فهو مخدوعٌ في مقامه وصفته ونعته ورسمه. خدعَهُ: ختلَهُ، وأرادَ به المكروهَ من حيث لا يعلم فمنه أي من التوحيد المبدأُ وليس له التوحيد.

المبدئية

مبدأ المبدئية: هي محتدُ الاعتبارات، ومنبعُ النسب [٤٨٥] والإضافات الظاهرة في الوجود، والباطنةِ في عرصة التعقّلات والأذهان، فهذا المحتدُ هو مبدئية الحقِّ للأشياء، وهو يلي التعيّن الأول.

المبدأ: إنّما سُمّي به الحقّ تعالى عند المحقّقين باعتبار كونه تعالى وجودًا محضًا مُطلقًا واجبًا لذاته، والحقُّ من حيث هذه النسبة يُسمّى بالمبدأ عند المحقّق لا من حيث نسبة غيرها.

---

(١) في المطبوع (٢٧٩): في فلك المعنى.

مبدأ جميع التعينات: يعني به الأحدية وذلك لأنّه لما لم يمكنْ أن ينسبَ إلى الحقِّ سبحانه من حيث إطلاقه صفة ولا اسم، أو يحكم عليه بحكم سلبيًا كان الحكمُ أو إيجابيًا علمَ أنَّ الصفاتِ والأسماءَ والأحكام لا تُطلق عليه، ولا يُنسب إليه إلاّ من حيث التعيّنات، ولمّا استبانَ أنَّ كلَّ كثرةٍ وجودية عينية أو نسبيةٍ عقليةٍ فإنّه يجبُ أن تكونَ مسبوقةً بوحدة، لزم أن تكون التعينات التي من حيثها تنضافُ إلى الذاتِ والأسماء والأحكام والصفات مسبوقةً بتعيّنٍ هو مبدأُ جميع التعينات ومحتدها، بمعنى أنّه ليس وراءه إلاّ الإطلاق الصرف، وأنّه أمرٌ سلبي يستلزمُ سلبَ الأوصاف والأحكام والتعينات والاعتبارات عن كُنْهِ ذاته سبحانه، وعدم التقيد والحصرِ في وصفٍ أو اسمٍ أو تعيّنٍ أو غير ذلك ممّا عدَّدْنا أو أَجملنا ذكره، ويُسمّى هذا التَّعين بالأحدية، وأنه مبدأ جميع التعينات كما عرفت.

تكملة وإيضاح:

لمَّا وجبَ في كلِّ كثرةٍ أن تكونَ مسبوقةً بوحْدةٍ حقيقة، لزمَ من ذلك أن يصيرَ للوحدة اعتباران أَصليان:

أحدُهما: اعتبارها من حيث سلبِ جميعِ الأوصاف والأحكام والتعيّنات عنها، وذلك الاعتبارُ هو المُسمّى بالأحدية.

وثانيهما: اعتبارها من حيث ثبوت جميع الاعتبارات الغير المتناهية لها، واندراجها فيها، وانتشاؤها عنها، وهذا الاعتبارُ يُسمّى بالواحدية. فالأحديةُ هي مبدأُ التعيّنات، والواحدية منشؤوها. فافهم ذلك.

واعلمْ أنّهم خصّوا الأحدية بالمبدئية والواحدية بالمنشئية لأنَّ الابتداء والانتهاء لمّا كانا طرفيْنِ بحيث لا يصحُّ للمبدأ أن يسبقَه شيءٌ، ولا في المنتهى أن يتلوه شيءٌ، ولا أن يكونَ فيهما تركيب، وكان أبسط الأجزاء هو المبدأ والمنتهى، صار نسبتهما إلى السلبِ أحقَّ من الإيجاب، فلهذا جعلوا الأحديةَ اسمًا للمبدئية والواحدية اسمًا للمنشئية، وذلك لكون نسبة الأحديةِ إلى السلب أحقَّ من نسبتها إلى الإيجاب، والواحديةُ بالعكس، فالأحديةُ اعتبارُ سلب التعينات عن الذات بالكلية، والواحدية اعتبار ثبوت التعينات الغيرِ المتناهية، فكانتْ هي المنشأَ لها، والأحدية هي مبدؤها.

ومبدأ الفرق: يعنون به الوحدة والكثرة، فإنَّ تفرقةَ جمع الذات إنما ابتدأت بها، ثم ما سواهما من التفرقة إنما انتشأ عنها.

ومبدأ انتشاء الأسماء: هو اعتبارُ واحدية الذات، فإنَّ الأَسماء نسبٌ متفرّقةٌ عن ذاتٍ واحدة بالحقيقة.

ومبادىء النهايات: هي فروضُ العبادات التي هي الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، وإنّما سُميّت هذه العبادات بمبادىء النهايات لكونِ نهاية ما يُوصل إليه الصلاة إنّما هو كمالُ القرب والمواصلة اللذين هما روحُ الصلاة، وكانت هذه الصلاةُ المشروعة مبدأً لحصول ذلك صارتْ هي مبدأَ النهايات المخصوصة بها، وهكذا لمّا كان نهايةُ ما توصّل إليه [٤٨٥/ب] الزكاة إنّما هو بذل ما سوى الله في حبّه تعالى، وكانتْ هذه الزكاةُ المفروضةُ مبدأً محصول ذلك كانت هي مبدأَ النهاية الحاصلة عنها، وهكذا لما كان نهايةُ ما يوصل إليه الصوم إنّما هو صونُ النفس ممّا يشوبُ قدسها ويشينُ زينها، وكان الصومُ المفروض مبدأً لحصول ذلك كان هو مبدأَ النهاية الحاصلة عنه، وهكذا لما كان نهاية ما يوصل إليه الحجُّ إنّما هو هجرُ كلّ ما يشتّتُ عن الأوطان والإخوان لجمعية القلبِ على الربّ، وكان الحجُّ المفروضُ مبدأً لحصول ذلك، كان هو مبدأَ النهاية الحاصلة عنه. كذا في «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

والحاصل: المبدأ من التوحيد لأنّه أصلُ الأشياء، وليس له من مبدأ، وله للتوحيد في كلّ صفةٍ ومعنًى بدايةٌ وتوسّطٌ وغاية، فبدايتُهُ علمُهُ رسمًا. العلم الرسمي: هو العلمُ النظري، وهو الذي يتوقَّفُ حصولُه على نظرٍ وكسب، كتصوّرِ العقل والنفس، وكالتَّصديقِ بأن العالم حادثٌ، وصانعُهُ واحد، وهو ما يتعلّقُ بإصلاح العقائد، وعلوم الخبر، وهي عبارةٌ عن الكتابِ والسُّنة، والإجماع، وهو ما يتعلَّقُ بكَ من الأحكام الشرعية.

وتوسُّطه أي توسُّط التوحيد في كلّ صفةٍ ومعنىً علمُه علم التوحيد حالاً وهو ما يردُ على القلب من غيرِ تأمُّلٍ ولا اجتلابٍ ولا اكتسابٍ من طربٍ أو حزنٍ أو غمٍّ أو فرحٍ أ وبسطٍ أو قبض أو شوق أو ذوق أو انزعاجٍ أو هيبة أو أنس أو غير ذلك، فلهذا قيل: الأحوالُ مواهبُ، والمقاماتُ مكاسبُ، وإن الأحوالَ تأتي من عين الجود، والمقاماتِ تحصلُ ببذلِ المجهود.

وغايتُهُ أي غايةُ التوحيد ألاّ يعلمَ أصلاً بالكلّية، لأن إدراكَ كُنْهِ الذات محال.

مطلع هلاله: أي هلال نجم التوحيد.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٢٦٥. وقد تقدم تعريف المبدئية (١٥٨) و(٣٨٤/ب).

الـربُّ حـقٌّ والعبـدُ حـقٌّ يـا ليـتِ شعـري مـن المُكلَّـفْ
إنْ قلـتُ عبـدٌ فـذاك ميـتٌ أو قلـتُ ربٌّ فمـا يُكلَّـفْ[1]

يعني: إذا كان الربُّ حقًّا والعبدُ حقًّا فمن يكون مُكلَّفًا إن قلت المكلف عبد، فذاك ميْتٌ، فإنه هالكٌ معدوم، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] فكيف يكونُ العبدُ الفاني المعدومُ مكلَّفًا، وإن قلتُ المكلّف ربٌّ فكيفَ يتصوَّرُ التكليف على الربِّ تعالى وتقدّس، وذلك إنّما يقتضي من بدايةِ تجلّي التوحيد الذاتي، ولذلك قال: مطلعُ هلاله، ولم يقل مطلعُ قمره أو بدره أو شمسه، وهو ظهورُ سرِّ الربوبية.

وسرُّ سرِّها كما قال سهل رضي الله عنه: إنَّ للربوبية سرًّا لو ظهرَ لبطلت الربوبية، وتقريرُ ما ذكر: هو أنَّ المربوبَ لما كان هو الذي يبقى على الربِّ ربوبيته، لكون الربوبية نسبةً بين الربِّ والممكن كما عرفتَ تفصيلَه في باب أغمض المسائل[2] من أنَّ الأعيان معدومةٌ في نفسها، فلو ظهرَ هذا السرُّ للخلق لبطلَ عندهم ما تترتَّبُ عليه الربوبية. فلما كان سرُّ الربوبية هو أنَّ تحقُّقَ الرُّبوبية يتوقَّف على العين المعدومة، فلو ظهرَ هذا السرُّ لبطلتِ الربوبية لبطلان ما يترتَّبُ عليه، إلا أنه لمّا كان قيامُ الربوبية والمربوبية كلاهما بذات الحقِّ، لم يصحَّ بطلان الربوبية، فظهورُ سرِّ الربوبية يوجبُ بطلانها عند من لم يظهر هذا السرُّ الثاني المستتر في الأول، ولهذا كان الثاني المُسمّى بسرِّ سرِّ المفهوم عن الربوبية [٤٨٦] فكان سرُّ سرِّها موجبًا لإثبات الربوبية، وقد بيّن الشيخُ رضي الله عنه هذين السرَّيْنِ بهاتين البيتين وهما:

الـربُّ حـقٌّ والعبـدُ حـقٌّ يـا ليـتَ شِعـري مـن المُكلّـفْ
إنْ قلـتَ عبـدٌ فـذاك ميـتٌ أو قلـتَ ربٌّ أنَّـى يكلّـفْ

فيفهم من هاتين البيتين أنّك إذا نظرتَ الربَّ وحدَهُ أو العبدَ وحده بطلتِ الربوبيةُ، لبطلانِ المربوب بقوله: (إن قلتَ عبدٌ فذاك ميتٌ) أمّا إذا نظرتَ إلى قيامه بربّه، وإلى كونه مَظهرًا له صحَّ تكليفُه، لأنّ المكلّف حينئذ عبدٌ هو مظهرٌ لربّه، فثبتتِ الربوبية بظهور سرِّ سرِّها، فافهم ذلك وتدبّر أيضًا معنى قول الشيخ رضي الله تعالى عنه:

العبـدُ عيـنُ الحـقِّ ليـسَ سِـواه والحـقُّ عيـنُ العبـدِ لسـتَ تـراه

(١) في لطائف الإعلام ٢/ ٢١: أنّى يكلّف.
(٢) أي في لطائف الإعلام ١/ ٢٢٦. وهو ينقل الكلام منه ٢/ ٢١ برمّته.

فـانظـرْ إليـه بـه علـى مجمـوعـه | لا تُفـرِدَنْـهُ فتستبيـحَ حمـاه

لأنّه لمّا لم يكنِ الموجودُ الظاهر حقًّا فقط لاستحالة إحاطة الحدود به واكتنافها لكُنْهِهِ، ولا خلقًا فقط لاستحالة قيامِ ما سوى الحقِّ بدونه تعالى وتقدس، صار الموجودُ حقًّا خلقًا كما هو المفهوم من قوله:

مظـاهـرُ الحـقِّ لا تعـدُّ | والحـقُّ فيهـا فـلا يُحَـدُّ
أن بَطُـنَ العبـدُ فهـو حـقٌّ | أو ظهـر الحـقُّ فهـو عبـدُ

فعنى ببطون العبد الخلوَّ التامَّ عن جميع آثار الكثرة والإمكان بزوال تقييدات الخلقية، وكمال اتّصافه بالصفات الحقّية، فإنّه حينئذٍ لم يبق من موجوديته شيءٌ سوى الحقّ وحده، كما مرَّ تفصيلُه في بيان قولهم: إذا تمَّ الفقرُ فهو الله.

وأمّا قوله: (أو ظهر الحق فهو عبد) يعني بالحق ظهورَ تعيّناته، وذلك هو العبد.

وقال الشيخُ رضي الله عنه في «إنشاء الدوائر»[1]: الإنسان له نسختان نسخةٌ ظاهرةٌ ونسخةٌ باطنة، فنسختُهُ الظاهرةُ مضاهيةٌ للعالم بأسره، ونسخته الباطنة مضاهية للحضرة الإلهية، فالإنسانُ هو الكلّي على الإطلاق، والحقيقة إذ هو القابلُ لجميع الموجودات قديمها وحديثها، وما سواه [من الموجودات] لا يقبلُ ذلك، فإنَّ كلَّ جزءٍ من العالم لا يقبل الألوهية، والإلهُ لا يقبلُ العبودية؛ بل العالمُ كلُّه عبدٌ، والحقُّ سبحانه وتعالى وحده إلهٌ واحد صمد، لا يجوزُ عليه الاتصافُ بما يناقض الأوصاف الإلهية، كما لا يجوزُ على العالم الاتّصافُ بما يناقضُ الأوصافُ الحادثة العبادية، والإنسانُ ذو نسبتين كاملتين، نسبةٌ يدخلُ بها إلى الحضرةِ الإلهية الحقيّة، ونسبة يدخل بها إلى الحضرةِ الكيانية الخلقية، فيقال فيه: عبد من أنّه مكلّف [ولم يكن، ثم] كان كالعالم، ويقال فيه: ربٌّ من حيث إنه خليفة، ومن حيثُ الصورة، ومن حيث أَحسن تقويم، فكأنّه برزخٌ بين العالم والحق، وجامعٌ لخلقٍ وحق، وهو الخطُّ الفاصل بين الحضرةِ الإلهية والكونية، كالخطِّ الفاصل بين الظلِّ والشمس، وهذه حقيقة[2]، وله الكمال المطلق في الحدوثِ والقدم، وللحقِّ تعالى الكمالُ المطلقُ في القِدم، وليس له في الحدوثِ مدخلٌ، والعالم له الكمالُ المطلق في الحدوث، وليس له في القِدَمِ

(١) إنشاء الدوائر: ٢١.
(٢) في إنشاء الدوائر: وهذه حقيقته.

مدخلٌ، فصارَ الإنسانُ جامعًا. لله الحمد على ذلك، فما أشرفها من حقيقة! وما أطهره من موجود! وما أخسّها وأدنسها أرضًا في الوجود! وإذ قد كان منها محمد ﷺ، وأبو جهل، وموسى عليه السلام، وفرعون. فتحقّق أحسنَ تقويم، واجعله مركز الطائعين المقرّبين، وتحقّق أسفلَ سافلين، واجعله مركز الكافرين [٤٨٦/ب] الجاحدين، فسبحان من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] انتهى.

وذلك فإن وجوداتِ الممكنات إنّما كانت باستنادها إلى واجب الوجود الذي له الفيضُ والجود بحيث لو اعتبر انفكاك تلك الوجودات عنه لكانتْ هالكةً معدومة في حدِّ ذاتها، ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: الأعيانُ ما شمّت رائحةَ الوجود، وإنّما تلبّستْ بوجودِ الحق.

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]: أي كلُّ ما يطلق عليه اسمُ شيءٍ فهو هالكٌ، وإن كان مظهرًا، فهو فيه حال كونه في شيئيته عينه، أي الظاهر عين المظهر، وهي ـ أي الشيئية ـ هالكةٌ، وهو ـ أي المظهر ـ هالك في حالِ اتصافه بالوجود، كما هو هالكٌ في حال اتصافه بالهلاك الذي هو العدم، فإنَّ العدمَ للممكن الذاتي أي من حقيقة ذاته أن يكونَ معدومًا، والأشياءُ إذا اقتضتْ أمورًا لذاتها فمن المحال زوالها، ومن المحال زوالُ حكم العدم عن هذه العين الممكنة سواءً اتَّصفَ بالوجود أو لم تتَّصفْ، فلمّا استحقَّ الحقُّ الوجود لذاته استحالَ عليه العدمُ، كذلك إذا استحقَّ الممكنُ العدمَ لذاته استحالَ وجوده، ولهذا جعلناه مظهرًا. انتهى

والحاصلُ كون ذلك الفيض الفائض من بحر الوجود عين الأثر بمعنى كون الأثر مظهرًا له حسب استعداده، والمظهرُ ليس غيرَ الظاهر، لأنَّ للمظهر جهتين:

أحدهما جهةُ الوجود المطلق الذي به قيام الموجودات، ومن هذه الجهة لا تُعتبر فهي لغيرية.

والأخرى: جهةُ تعيّنه الشخصي الذي يعتبرُ فيه الغيرية لتعيّنه وتقيّده وحدوثه.

فالظاهرُ عينُ المظهر باعتبار تعيّنه منه لا غيره، فيكون ذلك الفيضُ الوجودي مؤثّرًا في لمظهر كالنواة في الشجر، ومن ذلك ـ أي من كون فيض الوجود عين الأثر ـ لا يلزمُ أن تكونَ لأشياءُ عينَ الحقِّ، لأنَّ فيضَ الوجود المفاض من وجودِ المطلق ليس عينَ الوجود المطلق

من حيث هو هو ولا غيره، وكذا مظهر الفيض ليس عينَ الفيض من حيث هو هو ولا غيره، فالمظهرُ إذا لم يكن عينَ الفيض الظاهر منه، فكيف يكونُ عين الوجود المطلق من حيث هو هو؟ فتدبّر، فإذا فهمتَ ما قرّرناه بأن للمظهر جهتين حقيقيتين، ونسبتين كاملتين، وأنَّ من جهة حدوثه وتعيّنه وتقيّده تعتبر فهي الغيرية، عرفتَ أن التكليفَ يتوجّه إلى تلك الجهة الغيرية، فيصير عبدًا مكلّفًا بحيث لا يرتفع عنه التكليف إلاّ بعذرٍ ضروريٍّ بطريق الرخصة[١] الشرعية، لأنَّ الضروراتِ تُبيح المحظورات، كما سبق الكلامُ في ارتفاع التكليف.

كما قال رضي الله عنه: إذا رُفع عنه التكليفُ لغلبةِ حالٍ أو جنونٍ أو إغماء أو سكرٍ لم يزل عنه خطاب الشرع، فإنَّ الحكمَ للشرع لا للعقل، ومعلومٌ أن أحكامَ الشرع مبنيّةٌ على الأحوال لا على الأعيان. كما مرّ تفصيلُه هناك.

٧ـ موقع نجم الأعمال

جمع عمل، والعملُ المهنةُ[٢] والفعل، وقد يعمُّ أفعال القلوب والجوارح، وعمل: لما كان مع امتدادِ زمانٍ نحو: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: ١٣] وفعل: بخلافه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] لأنه إهلاكٌ وقعَ من غير بطءٍ. والعملُ لا يقال إلاّ فيما كان عن فكرٍ ورويّةٍ، ولهذا قُرن بالعلم حتى قال بعضهم: قُلبَ لفظُ العمل عن لفظ العلم [٤٨٧] تنبيهًا على أنه مقتضاه.

قال الصغاني: تركيبُ الفعل يدلُّ على إحداث شيءٍ من العمل وغيره، فهذا يدلُّ على أنَّ الفعلَ أعمُّ من العمل.

ولها أي للأعمال **درجاتٌ** جمع درجة، هي نحو المنزلةِ إلاّ أنه يُقال: إذا اعتبرتَ بالصعود كما في الجنان دون الامتداد البسيط، والدركُ للسّافل كما في النيران، يعني للأعمال درجاتٍ ظاهرة وباطنة، **فالظاهرةُ لأصحابِ الرسوم** أي لأهل الظاهر وهم أهلُ الجنان **والدرجات الباطنة لأصحاب الهمم** أي لأرباب الهمم العالية، هي همّةُ من لا يريد بما يقصدُ بعمله شيئًا

---

(١) جاء في الهامش: الرخصة هي لغةً: عبارة عن التوسعة واليُسر والسهولة. وشريعةً: اسم لما يغيّرُ من الأمر الأصلي لعارض أمرٍ إلى يُسرٍ وتخفيف كصلاة السفر.

(٢) جاء في الهامش: المهنة: أي الخدمة. والماهن: الخادم.

سوى الحقِّ، فلمّا تعالتْ همتُهُ عمّا سوى الله أن يجعلَه مقصودًا له، كانت همته أعلى الهمم لتعلّقها بالحق الذي لا يعلوه شيءٌ، وسمّيت همته لذلك بالهمم العالية، كما مرّ بيانها.

وهم أي أصحاب الهمم العالية **أهل الرحمن**. أهل الرجل: من يجمعُهُ وإيّاهم مسكنٌ واحد، ثم سُمّيت به من يجمعه وإيّاهم نسبٌ أو دينٌ أو صفة أو نحو ذلك، وأهل الرجل عند أبي حنيفة رضي الله عنه زوجتُه، وعندهما كلُّ من يعولهم وتضمّهم نفقته، باعتبار العرف من امرأته وولده وأخته وعمته وصبيٍّ أجنبي يعولُه في منزله، وأهل الرحمن وأهل الله عبارة عن الفانين في الله هم الذين يرزقُهم الله بالرزق الصوري والمعنوي.

فمن فُتِحَ على البناء للمفعول أي من فتح الله له فتوحًا **من أصحاب الرسوم كانت غايته** أي نهاية الفتح. **الهمة** أي همةُ الإفاقة، أو همةُ الأَنَفَة، أو همة أرباب المطالب العالية، كما سبق تفصيلُها.

والفتوح: هو ما فُتح على العبد من ربّه عزّ وجل بعدما كان مغلقًا عنه. وقد مرّ تفصيلُه. وفتوحُ العبارة، وفتوح الحلاوة، وفتوح المكاشفة، وفتح المضيق، وفتح الفهم، وفتح الإسلام، وفتح العقل، وفتح النفس، وفتح الروح، وفتح القلب، والفتح المبين.

ومَنْ فُتح له من الله تعالى فتحًا **من أصحاب الهمم كانت غايته اللقاء والإلقاء له ومنه**. لقيه كرضيه: رآه، واللقاء مصدرٌ من باب المفاعلة، يُقال لاقاه ملاقاةً ولقاءً لمشاركةٍ بين الاثنين، وألقاه بمعنى طرحه، وصاحبُ اللقاء: هو صاحب الرؤية والمواصلة، وصاحب الإلقاء من ألقى اللهُ تعالى في قلبه الإلهامَ، وضمير (له) و(منه) عائدٌ إلى صاحب الفتح من أصحابِ الهمم، يعني إلقاء الحق له ومنه لغيره.

فصاحبُ الهمّة سالك. السلوك: في اصطلاح الطائفة عبارةٌ عن الترقّي في مقامات القرب إلى حضرات الربِّ فعلاً وحالاً، وذلك بأن يتّحدَ باطنُ الإنسان وظاهرُهُ فيما هو بصدده ممّا يتكلّفه من فنون المجاهدات، وما يقاسيه من مشاق المكابدات بحيث لا يجدُ في نفسه حرجًا من ذلك.

وصاحب الإلقاء مالك أي صاحب ملك، والمِلكُ بالكسر أعمُّ من المال، والمَلِك بفتح الميم وكسر اللام أدلُّ على التعظيم بالنسبة إلى المالك، وقيل: المالك اسمُ فاعل من المِلكِ بالكسر، واسم الفاعل ما اشتقّ ممّا حدث منه الفعل في الحال، والملك من له السلطنة

والتصرف بالأمر والنهي في جماعةِ العقلاء، فهو صفةٌ مشبّهة من المُلك بالضم بمعنى الإمارة والسلطنة، والصفةُ المشبهّة ما اشتقّ مما ثبت فيه الفعل واستمر، وقد سبقَ تفصيله.

وفتح كل واحد [٤٨٧/ب] منهما إنّما كان بإمدادِ الله تعالى، كما قال عزّ وجل: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

والرِّياءُ: سبب الدعوى، فمن لا دعوى له لا رياء له. الرياء: تركُ الإخلاص في العمل بملاحظةِ غيرِ الله فيه، وإنّما الأعمال بخلق الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فكيف يلاحظُ العاقل في عمله غيره تعالى مع تجريدِ الفعل الذي هو أدنى مراتب التجريد كما عرفت بأنّه التجلّي الفعلي الذي معناه تجريدُ الأفعال عمّا سوى الحقّ بحيث لا ترى في الكونِ فعلاً ولا تأثيرًا إلاّ لله وحده.

مطلع هلاله: أي هلال نجم الأعمال.

١ـ عمـلُ الهمّـةِ اعتلـى   فـوقَ رسـمِ المـدبّـرهْ

على بناء اسم المفعول، والتدبيرُ النظر في عاقبة الأمر كالتّدبر صفةٌ لموصوف محذوف يعني رسم القوم المدبرة، وهم أهلُ النظر وأصحاب الرسوم التي تقدّمت تفاصيلُها، يعني: عملُ الهمة اعتلى أي ارتفع، فوق رسم المدبّرة لأنَّ الهمّةَ غايةُ الرسم.

٢ـ وكـذا الـرسـمُ غـايـةٌ   للبـرود المـدنّـره

البرود: جمع برد، بمعنى النوم، يعني به النيام الغافلين في نومِ الغفلة، والمدنّر: فرسٌ فيه نكت فوق البرش، ودنّرَ وجهَه تدنيرًا تلألأ، ودينارٌ مدنرٌ: مضروبٌ، ودُنّر بالضم فهو مدنّر: كثر دنانيره، يعني كما كانتِ الهمّة غايةَ الرسم، وكذا الرَّسمُ صار غايةً للغافلين المدنرة أي الممسكين المستكثرين متاع الدنيا الفانية.

٣ـ غـايـةُ الـرَّسـم همّـةٌ   مُصطفـاةٌ مُطهّـرهْ

صفوةُ الشيء خالصُة، يقال: محمد ﷺ صفوةُ الله من خلقه ومصطفاه، والاصطفاء بمعنى الاختيار، يعني: الهمّة مختارة مطهّرةٌ عن شوب الأغراض الدنيوية الدنية.

٤ـ ولهـا غـايـةٌ علـتْ   بـالـوجـوه المنضّـرهْ

النضرة بوزن البصرة: الحُسْنُ والرونق، وقد نضر وجهه ينضُر بالضم نضرة أي حَسُن،

ونضّر الله وجهه أيضًا يتعدّى ويلزم، ونضره الله وجهه تنضيرًا، وأنضره: بمعنًى.

يعني: وللهمة غايةٌ علت، أي ارتفعتْ بالوجوه المنضّرة، أي بأصحاب الوجوه الناضرة، التي هي إلى ربِّها ناظرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

٨ ـ موقع نجم وصولِ العبيد إلى الحقِّ في توحيدهم

وصل الشيءَ بالشيء وصلاً وصِلةً بالكسر والضم، ووصلَكَ اللهُ بالكسر لغة، والشيءُ وإليه وصولاً ووُصْلَةً [وصِلَةً] بَلَغَه وانتهى إليه، والوُصلةُ بالضم: الاتصالُ، يعني بلوغ العبيد إلى الحقِّ في توحيدهم يكونُ على حسب أي قدرِ ظنونهم.

قال في «الكليات»[1]: الظنُّ هو يكون يقينًا ويكون شكًّا، كالرجاء من الأضداد يكون أمنًا وخوفًا والظنُّ في حديث: «أنا عند ظنّ عبدي بي»[2] بمعنى اليقين والاعتقاد لا بمعنى الشكّ.

والظنُّ التردُّد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم. وعند الفقهاء: هو من قبيل الشكّ، لأنّهم يريدون به التردُّد بين وجودِ الشيءِ وعدمه سواءً استويا أو ترجَّح أحدهما.

وفي شرح «الإشارات»: قد يُطلقُ الظنُّ بإزاء اليقين على الحكم الجازم المطابق غير المستند إلى علّته، وعلى الجازم غير المطابق، وعلى غير الجازم.

والعملُ بالظنِّ في موضع الاشتباه صحيحٌ شرعًا كما في «التحرّي» وغالبُ الظنِّ عندهم يلحقُ باليقين، وهو الذي تُبتنى عليه [٤٨٨] الأحكام، وقد صرّحوا في نواقض الوضوء بأنَّ الغالبَ كالمتحقق، وصرّحوا في الطلاق إذا ظنَّ الوقوع لم يقع، وإذا غلبَ على ظنّه وقع. وقد صرّحوا أيضًا بأن الظنَّ الغالبَ الذي لا يخطرُ معه احتمال [مع احتمال] النقيض يكفي في الإيمان، ومتى لاقى الظنُّ فضلاً مجتهدًا فيه أو شبهة حكمية وقع معتبرًا.

وقد يُطلقُ الظنُّ بإزاء العلم على كلِّ رأي واعتقادٍ من غير قاطع، وإن جزم به صاحبُه كاعتقاد المقلّد والزائغ عن الحقِّ لشبهة. وقد يجيء بمعنى التوقّع على سبيل الاستعارة لتبعية، وتختلف الظنون قوةً وضعفًا دون اليقين.

---

١) الكليات ٣/ ١٧٤.

٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ١٩١). وانظر الحاشية التالية.

فمن اعتنى به أي اهتم بالتوحيد حتى صيرَّ ظَنَّه علمًا، فهو الرسولُ والنبيُّ وبعضُ الأولياء، ومن تركَ التوحيدَ مع ظنِّهِ ولم يعتنِ به بلغه حيث ظنَّ لقوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي خيرًا، وأنا مع عبدي إذا ذكرني».

قال عبد الرحمن الجامي قدس سره السامي في «تفسيره»: اعلمْ أنّ للحقِّ في كلِّ شيءٍ ظهورًا خاصًا بحسب ذلك المظهر لكون التجلّي يحكم بحكم المتجلّي له، والظنُّ أيضًا مظهرٌ من مظاهره، والتجلّي بحسب المظهر إن كان المظهرُ خوفيًا يظهر الظاهرُ فيه بصورة الخوف، وإن كان رجائيًا يظهرُ الظاهرُ فيه بصورة الرجاء، وإن حبّيًا يظهر فيه بالحب، وإن كان عشقيًا يظهر فيه بالعشق، وهو معنى قولِ الجُنيد قدس الله سره: لونُ الماءِ لونُ إنائه. فهو عينُ كلِّ معلومٍ، وعينُ كلّ مظنون، وعين كلِّ مفهوم؛ بل عينُ كلِّ علمٍ وظنٍّ في كلِّ معتقدٍ لا يظهر إلاّ بصورة معتقدة، والكلُّ صورُ تجلّياته، وتنوّع ظهوراته، ومجالي ذاته، ومرايا أسمائه وصفاته، فهو عينُ كلِّ معتقِدٍ، وعينُ كلِّ معتقَدٍ، وقوله: «أنا مع عبدي إذا ذكرني»[1] أي أنا مع عبدي بحسبِ ذكره إيّاي، إن ذكرني بحيث الأسماء الجلالية، فأنا متجلٍّ له بالأسماء الجلالية، وإن ذكرني بحيث الأسماء الجمالية، فأنا متجلٍّ له بالأسماء الجمالية.

تلخيصُ معنى الحديث: أنا الوجودُ المطلق، المتعيّنُ بكلِّ تعيّنٍ، فأكملُ الظانين من يشهدني في مشهد الجمع والوحدة المطلقة عن الإضافات والنسب، وأن يشهدني في مشهد الفرقِ والكثرة، فأنا معه بحسب كونه معي موافقًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]. انتهى.

مطلع هلاله: أي هلال نجم وصول العبيد إلى الحق:

١ـ دعِ الظنَّ واعلمْ أنَّ للظنِّ آفةً وقوفك حيث الظّنّ والظانُّ متّهمْ

الآفة: العاهة، أو عرضٌ مفسدٌ لما أصابه. والوهم: من خطراتِ القلب، أو مرجوحُ طرفي المتردِّد، والجمعُ أوهام، واتّهمه بكذا اتِّهامًا فهو متَّهمٌ، وأوهمه: أدخلَ عليه التهمة كهُمَزَة أي ما يُتَّهمُ عليه.

يعني: اتركِ الظنَّ، واعلمْ أن للظنِّ آفةً، والوقوف حيث الظنِّ تهمةٌ، والظانُّ متهم.

---

(١) حديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢/ ٣١٩ (١٤١٧) والشهاب في مسنده (١٤٤٨) ٢/ ٣٢٢.

٢ـ فشرِّدْ وساويسَ الظُّنونِ بلمحةٍ من الكوكبِ العلميّ إنْ كنتَ تحترمْ

شرد شرودًا وشرادًا نَفَرَ، فهو شاردٌ وشرود، والجمعُ شَرَدٌ وشُرُودٌ كخدم وزبر. والتشريدُ: الطردُ والتفريق. والوساويسُ جمع الوسوسة، وهي حديثُ النفس والشيطان بما لا نفعَ فيه. ولمحَ إليه كمنع: اختلسَ النظر كاللمح والبرق والنجم لمعًا. والحرمة [٤٨٨/ب] ما لا يحلُّ انتهاكه، وانتهاكُ الحرمة تناولها بما لا يحلُّ.

يعني: فاطردْ وساويس الظنون بلمعةٍ من لمعانِ الكوكبِ العلمي اليقيني، إن كنت ذا حرمة.

٣ـ فلا ظنَّ إلاّ ما يقال بقطعِهِ وإلاّ فنارٌ للجهالةِ تضطرمْ

يعني: ليس الظنُّ إلاّ ما يقال بقطعه، وهو ما يُطلق الظنُّ بإزاء اليقين على حكم الجازم المطابق الغير المستند إلى علّته، وإلاّ أي: وإنْ لم يكن الظنُّ كذلك، فهو نارُ الجهالة التي تضطرم أي تلتهب وتشتعل.

٩ـ موقع نجم المشيئة

قال في «التعريفات»[١]: مشيئةُ اللهِ عبارةٌ عن تجلّيه الذاتي بالعناية السابقة لإيجادِ المعدومِ، أو إعدام الموجود. وإرادتُهُ عبارةٌ عن تجلّيه لإيجاد المعدومِ. فالمشيئةُ أعمُّ من وجهٍ من الإرادة، ومن تتبُّع مواضع استعمالات المشيئة والإرادةُ في القرآن يعلم ذلك، وإن كانَ بحسب اللغة يُستعملُ كلٌّ منهما مقامَ الآخر.

يعني المشيئةُ إرادةُ الحقِّ سبحانه وتعالى وهي أي المشيئةُ أو الإرادة صفةٌ قديمةٌ اتَّصفتْ بها أي بالمشيئة ذاتُه تعالى، وهي كعلمِهِ وقدرتِهِ وكلامه وسائر أي جميع صفاته، ويُسمّى مُتعلَّقها أي متعلق الإرادة المراد، فمن تعلّقتْ بهدايته إرادة الحقِّ أزلاً يُسِّرتْ أي سُهّلت أسبابه أي أسباب المتعلق وطُوي له أي قُصر لمن تعلّقت بهدايته إرادته تعالى الطريقُ، وحُمل على الجادة والمحجّة البيضاء الجادّةُ معظمُ الطريق، والمَحَجَّة بفتحتين: جادَّةُ الطريق، والبيضاء صفةُ المحجة، يعني: الطريق الواضح المستقيم ووَهَبَ الحقُّ له سرَّ تدبير نفسه أي تزكية نفسه

---

(١) التعريفات: ٢٧٧.

وحُبِّبَ إليه كلُّ شيء، ونُعِّمَ به كلُّ شيء، من النُّعومة بمعنى الطراوة والملائمة ولا يمقتُ أي لا يغضبُ من تعلّقتْ بهدايته إرادةُ الحق إلاّ ما مقته الله تعالى من المنهيات المحرمات أدبًا شرعيًا فهذه المذكورة حالةُ المراد، وهو المعبرُ عنها عن المشيئة بالعنايةِ السابقة الأزلية، وهو من الذين بشّرَ الحقُّ في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢].

القدمُ: هي السابقةُ التي حكمَ الحقُّ بها للعبيد أزلاً، ويخصّ بما يكمل ويتمُّ به الاستعدادُ من الموهبة الأخيرة بالنسبة إلى العبد.

وأمّا قدمُ الصدق: فهي السابقةُ الجميلة والموهبة الجزيلة التي حكمَ بها الحق لعباده الصالحين المخلصين، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢].

والصدق عندهم هو الخيارُ من كلّ شيء.

وقال الفرغاني[1] قدس سره: القدمُ: يُشيرون به إلى ما ثبت للعبد في علم الحق، ويكنى به عن آخر صورةٍ من تعيّناته سبحانه الكاملة، وتنوّعات ظهوراته الكلية الشاملة تعالى وتقدس بملابسة أنَّ القدمَ آخرُ شيءٍ من الصورة، وهو المشار إليه بقوله عليه السلام: «حتّى يضعَ الجبّارُ فيها قدمه»[2] وذلك بحكم تحلّة قَسَم ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١].

وقدمُ الصدق: هو المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢] ومعنى هذا القدم هو أنّه لمّا كان جميعُ ما يظهر من الإنسان من أقواله وأفعاله وأوصافه وأخلاقه وأغراضه ومقاصده إلى جميع ما سوى ذلك سواءً كانت جميلةً أو قبيحةً [٤٨٩] معتدلةً أو منحرفة، عاليةً أو سافلة، حميدةً أو ذميمة، فإنما ذلك من مقتضات حقيقية ولوازم صورة معلومية في العلم القديم والذكر الحكيم، فكلُّ من كان جميع ما يجري من أفعاله وأقواله سديدًا معتدلاً، وما يظهرُ من أوصافه وأحواله جميلاً، وكما يبدو مَنْ همَّتُهُ عاليًا مُستقيمًا، فإن هذا الإنسانَ لم يكن بمقتضى ما كان عليه من الحقيقة في العلم مخالفًا لما تقتضيه علومُ الطريقة، فضلاً عن علوم الشريعة، وهذا هو الإنسانُ الذي له قدمَ صدقٍ عند ربه. رزقنا اللهُ وإيّاكم التحقّق بقدم الصدق.

---

(١) لطائف الإعلام: ٢/ ٢٢٨.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٤).

مطلع هلاله: أي المشيئة.

١ـ أنا إنْ شئتُ شئتُ منك وإلاّ   أنا إن شئتُ شاءَ من لا يشاءُ

(أنا) كنايةٌ عن الذات الأحدية المعرّاة عن الأسماء والصفات، المعلاّة عن النسب والإضافات، و(منك) عن الأعيان الثابتة.

يعني: أنا إن شئتُ شيئًا شئتُ منك ومن أمثالك من الأعيان الثابتة لأنّها مظاهرُ الأسماء والصفات (وإلاّ) أي وإنْ لم أشأ منك ما أشاء، وأنا إن شئت بأحدية ذاتي فقد شاءَ من لا يشاء، لأنَّ المشيئةَ صفةٌ، وفي مرتبة الأحدية لا يلاحظُ الاسم والرسم والنعت والصفة، وإنّما يشاء في مرتبة الواحدية من مظاهر الأعيان الثابتة كما مرّ تفصيلُ الأحدية والواحدية، لأنَّ الأحديةَ عبارةٌ عن سقوط اعتبار الذات من حيث لا نسبةَ بينها وبين شيءٍ أصلاً، ومن هذا الوجه المُسمّى بالأحدية لا تدركُ ولا يُحاطُ بها بوجهٍ من الوجوه لسقوطِ الاعتبارات عنها بالكلّية.

والواحديةُ هي مقامُ الجمع الذي هو اعتبارُ الذات بحسب واحديتها المحيطة بجميعِ الأسماء والحقائق، وهذا المقامُ هو المسمّى بمرتبة الجمع والوجود، وهو التعيّنُ الأول. وقد سبق تفصيلُهما غير مرة.

٢ـ عجبًا شئتُ والمشيئةُ غيري   ثم إنْ لم أشأْ فلستَ تشاءُ

العَجَبُ بفتحتين ردعةٌ تعتري الإنسان عند استعظام الشيء، وهو من اللهِ إمّا على سبيل الفرض والتخيّل، أو على معنى الاستعظام اللازم للعجب، إذ هو علاَّمُ الغيوب لا يَخفى عليه خافيةٌ. وفي «القاموس»: العَجَبُ من الله الرضا منه.

يعني: الأمر العظيم الذي يستلزمُ العجب، وهو إني شئت شيئًا، والشيءُ والمشيئةُ غيري باعتبار حدوث الشيءِ وتعيّنه وتقيّده، وباعتبار كونه من تعيّناتي ومظاهري ليس غيري، ثم إن لم أشأْ أنا شيئًا فلستَ أنتَ تشاؤه، فكيف تكون غيري؟

٣ـ بل أنا صاحبُ المشيئةِ فاعلم   ومشيئـي بهـا وذات المشـاءُ

بل أنا صاحبُ المشيئة، أي الشائي منك. فاعلم، وأنا مشيءٌ بها بتلك المشيئة، وأنا ذات المشاء.

قال في «القاموس»: شِئْتُه أَشاؤُهُ شيئًا ومَشيئةً ومَشَاءَةً ومَشَائِيَةً أردتُهُ، والاسم الشِّيئةُ كشيعةٍ، وإشاءَه إليه: ألجأه، والمُشاء بضم الميم: الملجأ.

وفي «الكليات»[1]: الشيء: هو لغةً ما يصحُّ أن يُعلم ويُخبر عنه، فيشمل الموجودَ والمعدوم ممكنًا أو محالاً. [واصطلاحًا]: هو خاصٌّ بالموجود خارجيًا كان أو ذهنيًا. ولم يُجعلِ اسمًا من أسمائه تعالى لئلا يتوهّمَ الدخول في جملة الأشياء المخلوقة، وهو مذكر يُطلقَ على المذكر والمؤنث، ويقعُ على الواجب والممكن والممتنع، وهو في الأصل مصدرُ شاء أُطلق تارةً بمعنى شائي اسم فاعل، وحينئذ يتناول الباري تعالى لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . . .﴾ الآية [الأنعام: ١٩] وبمعنى اسم مفعول تارةً أخرى [أي] مشيء وجوده [٤٨٩/ب] ولا شكَّ أنَّ ما شاءَ الله وجوده فهو موجود في الجملة. فالشيء في حقِّ الباري بمعنى الشائي، وفي حقِّ المخلوق بمعنى المشيء.

واعلمْ أنَّ الشيئية على نوعين:

١ـ شيئيةٌ ثبوتية: وهي ثبوتُ المعلومات في علم الله تعالى متميّزًا بعضها عن بعض، وهي على أقسام:

أحدُها: ما يجبُ وجوده في العين كذات الواجب سبحانه.

وثانيها: ما يمكن بروزه من العلمِ إلى العين، وهو الممكنات.

وثالثها: ما لا يمكنُ، وهو الممتنعاتُ ومتعلّقُ الإرادة والقدرة، هو القسم الثاني دون الأول والثالث. . .

٢ـ والنوع الثاني شيئية وجودية: وهي وجودها خارج العلم. والموجوداتُ الخارجية من حيث تعلّق القدرةِ بإخراجها من العلم إلى العين لا يتعلّق بها قدرةٌ أخرى، لاستحالة تحصيل الحاصل، فإن تعلّقَ قدرةٍ وإرادةٍ بها فباعتبار إعدامها وإيجادها بعد الإعدام في كلِّ آنٍ على القول بالخلق الجديد مع الأنفاس، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] كما هو مذهب المحقّقين من الصوفية. انتهى

وحاصل البيت: أنا المريدُ والإرادة والمرادُ، وأنا المبدىء والمبدأ والمعاد.

---

(١) الكليات: ٣/ ٥٧ـ ٦٠.

٤ـ كيف شاءتْ مشيئةُ المتلاشي ولها الحكمُ إن تشا والقضاءُ
٥ـ بمشيءِ المُشيءِ شاءتْ فأبدَتْ كلَّ شيءٍ يصحُّ فيه المشاءُ

المتلاشي: المتفرّق البسيط، يعني: كيف أرادت إرادةُ البسيط، والحالُ أنَّ الحكمَ والقضاء للإرادة، بل إن تردْ مشيئة المُتلاشي أرادتْ الإرادةُ بمُراد المراد، فأبدتِ الإرادة أي أظهرت كلَّ شيءٍ يصحُّ فيه المشاء أي الإسناد، لأنَّ (ألجأ) يجيءُ بمعنى أَسندَ، كما يقال: ألجأ أمرَه إلى الله: أي أسندَه، لأن المشاء اسم مفعول من أشاء إليه أي ألجأه.

وحاصل البيتين تفصيلُ البيت المتقدمة وهي:

أنا إن شئتُ شئتُ منك وإلاّ أنا إن شئتَ شاءَ من لا يشاء

وقد سبق تفصيلُ البيت آنفًا، فليطلب هنا.

[٦ـ عدمٌ شاء والوجودُ بصيرةٌ عميتْ عينُ كلِّ من لا يشاءُ][1]
٧ـ كلٌّ من شاءَ بالوجودِ يشاءُ وله المجدُ في العُلا والثناءُ

يعني: كلُّ من شاءَ إنّما يشاءُ بالوجود المُفاضِ عليه من الوجود المُطلق، وله أي للوجود المُطلق المجدُ والثناء في العُلا، أي: في المراتبِ العُلا، تفسيرٌ لقوله:

ثم إنْ لم أشأ فلستَ تشاءُ

والمجدُ الكرم والرفعة مجد بالضم مَجدًا فهو مجيد وماجد، أي كريم رفيع عال وشريف الفعال والثناء، هو الإتيانُ بما يُشعر بالتعظيم مُطلقًا سواءً كان باللسان، أو بالجَنان، أو بالأركان، وسواءً كان في مقابلةِ شيءٍ أو لا، فيشملُ الحمدَ والشكر والمدح، وهو المشهور بين الجمهور. والعُلا: جمع العليا، مؤنث أعلى.

١٠ـ موقع نجم المراد والمريد

والمرادُ: عبارةٌ عن المجذوب عن إرادة المحبوب، ومن خصائص المحبوب ألاّ يبتلى بالشدائد والمشاق في أحواله، فإن ابتلي فذلك يكونُ محبًّا لا غير.

والمُريد: هو المجرَّدُ عن إرادة.

---

(١) البيت السادس مستدرك من المطبوع (٢٨٢).

قال الشيخ رضي الله عنه «الفتوحات»[١]: المريدُ من انقطع إلى الله عن نظرٍ واستبصارٍ وتجرّدٍ عن إرادته، إذ علمَ أنّه ما يقعُ في الوجود إلاّ ما يريدُه الله لا ما يُريدُ غيرُه، فيمحو إرادتَهُ في إرادتِهِ، فلا يُريدُ إلاّ ما يريدهُ الحقُّ.

وقيل: المريدُ والمرادُ اختلفوا في تفسير هذين اللفظين، وفيما صدقهما. والظاهرُ أنَّ المريد هو المراد، والمراد هو المريد.

وقال الفرغاني[٢] قدس سره: والمرادُ عبارةٌ عن المجذوب عن إرادته مع تهيّئِ الأمور له، فجاوز الرسومَ كلَّها والمقامات من غير مكابدة، وهذا هو مُراد الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري بقوله: إن المرادَ هو المُختطفُ من وادي التفرّق إلى ربوةِ الجمع.

وهذا [هو] الإنسانُ الذي اجتباه الحقُّ واستخلصَهُ لخالصه كما ابتدأ [٤٩٠] موسى، وقد خرجَ ليقتبسَ نارًا، فاصطنعه لنفسه حتى لم يبقَ منه إلاّ رسمًا معارًا[٣]. وهو المراد لعينه، وأما المرادُ بالتبعية هو ما سوى الإنسان الكامل، لأنَّ كلَّ ما سواه كان المراد لأجله، وهو المراد لغيره.

والمريدُ: من عزفتْ[٤] نفسُه عن طيّبات الدنيا، وأعرضَ عن لذّاتها لتلذُّذه بوظائف العبادات.

وقال شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري رحمه الله: المريدُ رجلٌ يعمل بين الخوفِ والرجاء شاخصًا إلى الحِبِّ ـ بكسر الحاء أوضمها ـ مع صحبته الحياء.

وقال أبو عثمان المكي: المريدُ من مات قلبه عن كلِّ شيءٍ دون الله، فيريدُ اللهَ وحده، ويريدُ قربه، ويشتاقُ إلى لقائه حتى تذهب شهواتُ الدنيا عن قلبه لشدَّة شوقه إلى ربّه.

وقال الإمام أبو حامد: المريدُ هو الذي صحَّ له التحقّق بالأسماء، فصحَّ له أن يكونَ من جملة المُنقطعين إلى الله.

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ٥٢٦.

(٢) لطائف الإعلام: ٢/ ٢٨٧).

(٣) كذا الأصل.

(٤) في الهامش: عزفت نفسه عن الشيء: زهدت فيه، وانصرفت عنه. المختار.

وعند شيخنا[(١)]: المريدُ هو المتجرّدُ عن إرادته. هو أعلى مقامات الإرادة؛ بل المريدُ لله تعالى حقيقةً إنّما هو من كان كذلك، فإنْ لم يتجرَّدْ عن إرادته لا يُعدُّ مُريدًا لله تعالى حقيقةً، بل مُريدًا لذلك المراد الذي لم يتجرَّدْ عنه.

والحاصل: المراد والمريد شيئان على[(٢)] **الحقيقة في تعلّق إرادة الحقّ بهدايتها** أي هداية المراد والمريد **غير أنّ المرادَ سالكُ الطريق**. السلوك: عبارةٌ عن الترقّي في مقامات القرب إلى حضرات الربِّ فعلاً وحالاً، وذلك بأنْ يتّحدَ باطنُ الإنسان وظاهرُه فيما هو بصدده ممّا يتكلّفُهُ من فنون المجاهدات، وما يقاسيه من مشاقِّ المكابدات، بحيث لا يجدُ في نفسه حرجًا.

والطريقُ: عبارةٌ عن مراسم الله تعالى المشروعة التي لا رخصةَ فيها، يعني المراد سالك الطريق **بالتنعُّم والمشاهدة، متلذِّذٌ بأفعاله، نشيطُ النفس بالقيامِ بحدود سيِّدِه، يتنعَّم المرادُ بالبلاءِ تنعُّمَ الأجانبِ بالنعماء**. نشطَ كسمع نَشاطًا بالفتح، فهو ناشطٌ ونشيط: طابتْ نفسُه للعمل. والبلاءُ الغمُّ كأنّه يُبلي الجسم. والتكليفُ بلاءٌ، لأنّه شاقٌّ على البدن، ولأنه اختبارٌ، والبلاءُ يكون منحةً، ويكون محنةً، والنَّعيم والنُّعمى بالضم والنَّعماء بالفتح الخفضُ والدّعةُ والمال كالنِّعمة بالكسر، والتنعيمُ الترفّه، هذا شأنُ المراد.

والمريدُ يسلكُ الطريقَ بالمجاهدة الشاقة على النفس. والمجاهدة: هي حملُ النفس على المشاقِّ البدنية، ومخالفةُ الهوى على كلِّ حالٍ، ولكن لا يمكنُ له مخالفةُ الهوى إلاّ بعد الرياضة، وهي تهذيبُ الأخلاق النفيسة والمكابدة كابدَهُ مكابدةً وكبادًا: قاساه، من قسا قلبُه قسوًا وقسوةً وقساوةً صلبَ وغلظَ، وقاساه كابده.

والتنغيصُ أي التكدير، يقال: أنغَصَ اللهُ عليه العيشَ، ونغّصه كدَّره فتنغّصتْ عليه معيشتُه كدرتْ، **يحملُ المريدُ على نفسِه القيامَ بحدوده تعالى ويصبرُ المريدُ على البلاء رجاءَ حصول النعماء، فكم من فرقٍ بين نفسٍ تحملُك على الطاعة لا لتذاذِها بجذبِ الحقِّ لها**[(٣)] إليه كما هو حال المراد **وبين نفسٍ تحملُها على الطاعةِ بغاية الجهد والكد**. الجهدُ: الطاقة ويُضمُّ: والمشقّة، واجهدْ جهدَكَ ابلغ غايتك، وجهد كمنع جدَّ كاجتهد. والكدُّ: الشدّةُ والإلحاح في الطلب.

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٣٤.

(٢) في المطبوع (٢٨٢): سيّان على الحقيقة.

(٣) في المطبوع (٢٨٢): الحق لها في غيبة وبين نفس.

وقال في «الكليات»[(١)]: كم: اسمٌ مفرد، موضوعٌ للكثرة، يعبّر به عن كلِّ معدود كثيرًا كان أو قليلاً، وسواء في ذلك المذكر والمؤنث، فقد صار لها معنى ولفظ وجرت مجرى (كل) و(أي) و(من) و(ما) [٤٩٠/ب] في أنَّ لكلِّ واحدٍ منها لفظًا ومعنى، فلفظه مذكّر مفرد، وفي المعنى يقعُ على المؤنث والتثنية والجمع، واستعمالها في المقادير إما لاستفهامها فتكون استفهاميةً، وهي حينئذٍ مثل (كيف) لاستبانة الأحوال و(أي) لاستبانة الأفراد، و(ما) لاستبانة الحقائق، وأما لبيانها إجمالاً فتكون خبريةً. وإن كانت اسمَ استفهامٍ كان بناؤها لتضمُّنها معنَى حرف الاستفهام. وإن كانت خبريةً كان بناؤها حملاً على (رُبَّ) وذلك لأنّها إذ ذاك للمباهاة والافتخار، كما أنّ (ربَّ) كذلك. والخبرية نقيضُه (ربَّ) لأنها للتكثير و(ربّ) للتقليل. والنقيض يجري مجرى ما يناقضه، ولا يعمل في (كم) ما قبلها خبريةً كانت أو استفهامية لحفظ صدارتها، إذ الاستفهامُ بمنزلة عددٍ منوّنٍ، وكم الخبرية بمنزلة عددٍ حذف عنه التنوين. ومميّزُ الاستفهامية منصوبٌ ومميّز الخبرية مجرور، ويحسن حذفُ مميّز الاستفهامية، ولا يحسنُ حذفُ مميز الخبرية، وإذا فُصل بين كم الخبرية ومميّزها نُصب مميزها نحو: كم في الدارِ رجلاً. وإذا فُصل بالمتعدّي وجب زيادة (من) للفصل من المفعول نحو: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [القصص: ٥٨] وقد كثر زيادة بلا فصلٍ نحو: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: ٤] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ [النجم: ٢٦] وجازَ أن يقعَ بعد الخبرية الواحدُ والجمع، كما يقال: ثلاثة عبيد، وألف عبد. وبعد الاستفهامية لزم أن يقع الواحدُ كما يقع بعد أحد عشر إلى تسعةٍ وتسعين، وامتنع أن يقعَ بعدها الجمع، لأنَّ العددَ منصوب على التمييز، والمميّزُ بعد المقادير لا يكون جمعًا. انتهى

وهي أي نفس المريد **تروغُ عنها** أي عن الطاعة **روغانَ الثعلب**. راغَ الرَّجلُ والثعلبُ روغًا وروغانًا مالَ وحادَ عن الشيءِ **فصاحبُها في مجاهدةٍ لا يفترُ** فترَ يفتُر ويفتِر فُتورًا وفتارًا سكنَ حرُّه، فهو فاترٌ وفاتور، والفَترُ محرّكةً الضعف.

مطلع هلاله: أي هلال نجم المراد والمريد.

إنَّ المرادَ مع المريدِ مُطالبٌ	بدلائلِ التحقيقِ في دَعواهما
فإذا جهلتَ الأمرَ في حاليهما	فدليلُ ما لاقاه في تقواهما

(١) الكليات: ٤/٨٩ ـ ٩٠.

يعني: إنّ المراد والمريد مطلوبانِ للحقِّ تبارك، يعني مراديةُ المراد ومريديةُ المريد كلاهما مرادُ الحقِّ بدلائل التحقيق في دعواهما، فإذا جهلتَ الأمر في حالِ المراد والمريد فدليل ما لاقاه كلٌّ واحدٍ منهما في تقواهما.

والتقوى: المحافظةُ على الحدود، والوفاء بالعهود.

تقوى العوام: وهي طاعةُ العبد لربِّه فيما أَمَرَ ونهى.

وتقوى الخواص: هو موافقةُ العبدِ لربِّه فيما قدّرَ وقضى.

وتقوى خاصة الخاصة: أن تعرفَ ما لَكَ وما لَهُ، فلا تضف ما بك من نعمةٍ إلاّ إليه، وإن وجدتَ غير ذلك فلا تلومنَّ إلاّ نفسَك، وقد سبقَ تفصيلُه غير مرة.

١١ـ موقع نجم التقوى

والتقوى: المحافظةُ على الحدود والوفاء بالعهود، وذلك على أقسام:

تقوى العوام: وهي طاعةُ العبدِ لربِّه فيما أمر ونهى.

وتقوى الخواص: هو موافقةُ العبد لربِّه فيما قدَّرَ وقضى.

وتقوى خاصة الخاصة: أن تعرفَ ما لك وما له، فلا تضفْ ما بكَ من نعمةٍ إلاّ إليه، وإن وجدتَ غيرَ ذلك فلا تلومنَّ إلاّ نفسك فيما قد اقترفته من سوء ظنِّك بربك.

والتقوى من التقوى [٤٩١] هو أن تنخلعَ من إضافة التقوى إليك، لمشاهدتك قيُّوميّةَ الحقِّ تعالى للأشياء.

وتقوى المنتهين: هو طهارةُ قلوبهم عن أن يلمَّ بها شيءٌ غير الحق، وهذا القلبُ هو البيت المحرم.

وتقوى المحققين: هو التقوى منه به، أي تقواك من مقتضيات اسم المنتقم والضارِّ بالالتجاء إلى اسمه النافع الغفار. قال النبي عليه السلام: «أعوذ بك منك»[1].

وتقوى الحقيقة: هو أن تتّقي اللهَ أن تضيف إليه ما لا ينبغي لقُدسِهِ من الحَدَثِ وتوابعه وأن

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ٣٠٧).

تُضيف إلى خلقِهِ ما لا ينبغي إلاّ له مما استأثرَ به لنفسه.

كلّ عملٍ صالح يقيك أي يحفظك من النار، وإذا وقاك أي إذا حفظك العمل الصالح من النار وقاك من الحجاب، وإذا وقاك العملُ الصالح من الحجاب شاهدتَ العزيز الوهاب.

والمشاهدة: هي رؤيةُ الحقِّ من غير تهمةٍ، وتُطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتُطلق بإزاءِ رؤية الحقِّ في الأشياء، وتُطلق بإزاء حقيقة اليقين. وقد مرّ تفصيلُها.

مطلع هلاله: أي هلال التقوى.

١ـ من اتقى الكونَ فذاك الذي قد ساءَ ظنًا بالذي أوجده

أي أعطاه الوجود

٢ـ فمن يشاهدْ ما رمزنا له [فليتقِ اللهَ الذي أشهده]

بأن عملَ صالحٍ يقيك من النار، وإذا وقاكَ من النار وقاك من الحجاب، وإذا وقاك من الحجاب شاهدتَ العزيز الوهاب.

فليتق الله الذي أشهده

أي جعله من أهل المشاهدة. انتهى

١٢ـ موقع نجم الموحد

توحيدُ خاصة الخاصة: وهو ألاّ يرى سوى ذاتٍ واحدةٍ **إذا اعترض الموحّد لذلك التوحيد برعاية الأدب أهلكتهُ الموحد المعترض الحقيقةُ** وهي مشاهدة الربوبية، بمعنى أنّه تعالى هو الفاعلُ في كلِّ شيءٍ، والمقيمُ له، لأنّ هويته قائمة بنفسها مقيمةٌ لكلِّ شيءٍ سواه **وإذا سلّم الموحد لذلك التوحيد بتركِ الأدب أهلكَهُ الأدبُ** وهو حفظ الحدِّ بين الغلوِّ والجفاء، أي بين الإفراط والتفريط، وذلك أنْ يؤمَّ السالكُ طريقًا متوسّطًا بينهما، وأدبُ الشريعة هو الوقوف عند مرسومها. وقد مرَّ تفصيلُ الآداب غير مرة.

فلا يزالُ الموحد هالكًا ما دامَ الموحّد في العالم، ولكن إذ لا بدّ من أن يكونَ له أحد الهلاكين، و(إذ) حرفٌ مؤكد، أي زائد **فهلاكُ الحقيقة نجاةٌ، وهلاكُ الأدب هلاك.** النجاة: بمعنى الخلاص، يقال نجا نجوًا ونجاءً ونجاةً: خلصَ. والهلاكُ بمعنى الموت، يقال: هلك

الشيءُ أي مات يهلِكُ بالكسر هلاكًا وهُلوكًا ومَهلكًا بفتح اللام وكسرها وضمها، وتهلُكةً بضم اللام، والاسم الهُلك بالضم.

يعني: إذا عرفتَ بأنَّ هلاكَ الحقيقة نجاةٌ، وهلاك الأدب هلاك فكن ذا أدبٍ، تفزْ بالسعادات[1]. الفوز: النجاة والظفر بالخير. والسعادةُ: هي معاونةُ الأمور الإلهية للإنسان على نيلِ الخير، ويضاد الشقاوة.

مطلع هلاله: هلال نجم الموحد.

١ـ لا تعترضْ فعلَه إنْ كنتَ ذا أَدَبٍ   واضممْ إليكَ جناحيكَ من الرَّهبِ[2]

الاعتراض: المنعُ، والأصل فيه أنَّ الطريقَ إذا اعترضَ فيه بناءٌ أو غيرُه منعَ السابلةَ من سلوكه، واعترضَ الشيء أي صار عارضًا كالخشبةِ المعترضة في النهر.

يعني: لا تعترضْ فعلَه تعالى إن كنتَ ذا أدبٍ، واضممْ إليك جناحيك أي يديك من الرهب أي الخوف، كناية عن الرضا والتسليم.

٢ـ وسلِّمِ الأمرُ ما لم تبدُ فاحشةٌ   فإنْ بدتَ فاحذرِ التدريج[3] في الهربِ

الفحشاء: الفاحشة، وكلُّ شيءٍ سوء جاوز حدَّه [٤٩١/ب] فهو فاحش، ويسمّى الزِّنا فاحشة. ودرجَ من باب دخلَ، واندرجَ أي مات. ودرَّجَه إلى كذا تدريجًا، واستدرجه بمعنى: أي أدناه منه على التدريج فتدرَّجَ، والاستدراجُ: هو أن يُعطي اللهُ العبدَ كلَّ ما يُريده في الدنيا، ليزدادَ غيُّه وضلالُه وجهله وعناده، فيزداد كلَّ يومٍ بعدًا من الله تعالى.

يعني: وسلِّم الأمرَ له تعالى ما لم تبدُ أي تظهر فعلةٌ فاحشة، وإن بدتَ أي ظهرتْ فعلةٌ فاحشة فاحذرْ من الفعلةِ الفاحشة، ومن إسنادها إليه تعالى، فتكون من قبيلِ التدريج والاستدراج في الهرب[4]، وفي بعض النسخ (في الأدب) والهربُ: الفرار، وقد هربَ يهرب هربًا مثل طلب يطلب طلبًا، واهتربَ جدَّ في الفرار.

---

(١) في المطبوع (٢٨٣): تفز بالسعادتين.
(٢) في الهامش: اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢].
(٣) في المطبوع (٢٨٣): فاحذر التدريب.
(٤) بل معناه اهرب هربًا مباشرًا ناجزًا، ولا تتدرج تتمهل بالهرب.

٣ـ ولا تغرنّكَ أرواحٌ مخيّرةٌ[1] مِنْ عندِ ربكَ إنَّ السلمَ كالحربِ

الغرور: هو تزيين الخطأ بما يُوهم أنَّه صواب، وقيل: هو ما يكونُ مجهول العاقبة، لا يُدرى أيكونُ أم لا. والمرادُ من الأرواح المخيّرة: المقدّسة المطهّرة، هي الأرواح الملقاة إلى القلبِ من الغيبِ، لأنَّ روحَ الإلقاء يعنون به الروحَ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] فلهذا يُطلقون الروحَ في اصطلاحهم بإزاءِ الملقى إلى القلب من علم الغيبِ على وجهٍ مخصوصٍ. وقد مرّ تفصيلُها مرة بعد أخرى.

والسّلم بفتح السين وكسرها: الصلح يذكّرُ ويؤنّث، والحربُ مؤنثة، وقد تُذكّر، والحَرَبُ بفتحتين: شدَّةُ الغضب، يقال: حرب الرجل، من الباب الرابع، إذا اشتدَّ غضبُه، ويقال حَرَبه يحرُبُه حَرَبًا مثل طلبه يطلبه طلبًا إذا أخذَ ماله، وتركَهُ بلا شيءٍ.

والحاصل: ولا تغرَّنْكَ أرواحُ الإلقاء والإلهام من عند ربك، لأن السّلم أي الصلح عنده كالحرب، أي كشدّة الغضب.

٤ـ إنّ الذي قالَ إنَّ الفعلَ مَصدرُهُ مِنْ قدرتي ذمّهُ[2] كالشّركِ والكذبِ

يعني: من قال إنّ مصدر الفعل من قدرتي، يعني: صدورُ الفعل من قدرتي ذمٌّ له كالشّرك والكذب، لأنّه يدّعي الشركةَ بقدرةِ القادر المُطلق المؤثّرة في المقدور، والحالُ قد كَذَبَ في دعواه، وكَذَب يكْذِبُ بالكسر كَذِبًا، كعلم وكَذِبًا ككتف[3]. وكَذْبَة وكِذابًا ككتاب وكِذّابًا كجنّان، فهو كاذِبٌ وكذّاب وتِكِذّاب وكَذوب وكَذوبَةٌ وكُذْبان وكَيْذَبان وكَيْذُبان.

٥ـ فاهربْ إلى فعِلِه من فعِلِه فإذا ما غبتَ عن فعِلِه فاحذرْ من السّلَبِ

يعني: ففرَّ من فعله سبحانه إلى فعِلِه تعالى، يعني العبد وفعل العبد كان فعله سبحانه وتعالى باعتبار الخلقة لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] يعني فاهربْ من فعلِك الذي هو وأنت فعله تعالى إلى فعلِ الحقّ، فإذا غبتَ أي كنت غائبًا عن فعلِهِ، فاحذرْ من السلب.

---

(١) في المطبوع (٢٨٣): أرواح مخبرة.
(٢) في المطبوع (٢٨٣): دمه. بالمهملة.
(٣) كذا في الأصل، وفي المطبوع من القاموس: كَذِبًا وكِذْبًا وليس فيه (كعلم) ولا (ككتف).

والسلبُ هو رفع النسبة الإيجابية المتصور بين بين، فحيثُ لا يتصوّر ثمة نسبة لم يتصوّر هناك ولا سلب، والسلبُ لا يقابل النسبة الحكمية، وإنّما يقابل الإيجاب بمعنى الإيقاع.

وسلبُ العموم: هو نفيُ الشيء عن جملة الأفراد لا عن كلِّ فردٍ وعموم السلب بالعكس.

والسلوب العائدة إلى الذات كقولنا: اللهُ تعالى ليس كذا وكذا، والسلوب العائدة إلى الصفات تنزيهُ الصفات عن النقائصِ، والسلوبُ العائدة إلى الأفعال كقولنا: إنَّ الله تعالى لا يفعل [٤٩٢] كذا وكذا، وبحسب هذه السلوب الغير المتناهية تحصل الأسماء الغير المتناهية، يعني: إذا غبتَ عن فعله تعالى فأحذرْ من سلبِ الأفعال من الله الفعال المطلق.

١٣ـ موقع نجم الخلاف

بين أهل الحقائق وبين الكشف وبين أهل الوصول غير جائز عليهم.

والمراد من أهل الحقائق: هي الحقائقُ العشرة، أولها المكاشفة، ثم المشاهدة، ثم المعاينة، ثم الحيرة، ثم القبض، ثم البسط، ثم السكر، ثم الصحو، ثم الاتصال، ثم الانفصال.

ويُسمّى هذا القسم من منازل السائرين بالحقائق، لأنَّ المنازلَ التي يشتمل عليها هذا هي منازل التحقيق من جهةِ كون السائرين فيها إلى الله سبحانه عند نزولهم فيها، وتحقّقهم بها، يظهرُ لهم حقيقةُ كلِّ شيءٍ وسرُّه عند إتمامها واستكمالها، فتظهر لهم الحقائقُ كما هي عليه في حضرةِ العلم.

والمرادُ من أهل الكشف وهو أهل السرائر، وهم قومٌ كشفَ اللهُ عنهم أغطيةَ البصائر، فشاهدوا ما خلفَ الستائر التي حجبت أهل الظواهر عن شهود المعارف الحقيقية والعلوم اللدنية بما حصلَ في أوهامهم من الصور الوهمية الناتجة عن ظنونهم وخيالاتهم، فلكون تلك الصور المتوهّمة خموشًا في وجهِ مرايا بصائرهم حالتْ بينهم وبين انتقاش ما حظي به أهل العناية من العلوم الإلهية والمشاهدات القدسية التي وهبها اللهُ الأعلام من حضرات الملك العلام، وانسدلَ عنها أهل الحجاب بغلبات الظنون والأوهام.

والمرادُ من أهل الوصول: هم أهل الوصول إلى كمالِ القبول. يعني به الحصول في مقام المرآتية الكاملة، وهو أن يكونَ العبدُ مرآةً للذات والألوهية كما مر في باب الاتحاد.

وهو أي الخلاف جائز على السالكين.

والسلوكُ: عبارةٌ عن الترقّي في مقامات القُرب إلى حضرات الربِّ فعلاً وحالاً، وذلك بأن يتَّحد باطنُ الإنسان وظاهره فيما هو بصدده ممّا يتكلّف من فنون المجاهدات، وما يُقاسيه من مشاقِّ المكابدات بحيثُ لا يجدُ في نفسه حرجًا.

والمخالفة إنّما تقعُ من الأدنى فالأدنى، ومثاله في السّالكين أنّهم يسلكون على طريقٍ واحدٍ غيبي، فيفتقرون فيه في الطريق الغيبي إلى نورٍ يسعى بين أيديهم، ليروا حيث يجعلون أقدامهم، وما يبدو أي يظهر لهم في طريقهم، وذلك النُّورُ هو التخلّقُ.

التخلق بالأسماء الإلهية: قيامُ العبدِ بها على نحو ما يليقُ بعبوديَّتِهِ، بحيث يوفّي العبودية حقَّها، وكذا الربوبية أيضًا، فتكون نسبتُها إلى الحقِّ على الوجهِ اللائق بقدسه تعالى، وإلى العبدِ على الوجهِ اللائق بعبوديته. والتحقُّقُ بها معرفةُ معانيها بالنسبة إلى الحقِّ سبحانه وتعالى وبالنسبة إلى العبد.

وقال الشيخ رضي الله عنه فيما سبق في أسرار المواقف: تحقيقُ التخلّق والتحقّق يُعطي الحقُّ القلب في كلِّ موقفٍ من الأسرار الإلهية ما قدّره الله تعالى له في شربه، وهذه الأسرارُ من خزائن الغيرة، فهي مكتَّمةٌ عند القوم، لا سبيلَ بأن يبوحَ بها، ولا يعلمها أحدٌ سواهم، وقد أُخذَ عليهم فيها ميثاقٌ عظيم، ولكنّه عندما تحصلُ للسالك الواقفِ هذه الأسرارُ ـ كما ذكرتُ لك ـ يتحقّق السالكُ بها، أي بتلك الأسرار في باطنه.

والتحقُّقُ في الباطن نظيرُ التخلّق [٤٩٢/ب] في الظاهر، فعملُ الباطن تحقّقٌ، وعملُ الظاهر تخلّقٌ. والتحقّق تحقُّقان: تحققُ كشفٍ يكونُ عينَه التخلّق، وتحقّقٌ يحصل عن التخلّق، ولك ذلك التحقق. الثاني إذا حقَّقتَهُ وجدتَهُ ينتجُ تخلّقًا آخرَ لتحقّقٍ، فكلُّ تحقّقٍ مُشترك بين تخلقين بين تخلّق نتيجة، وبين تخلّقٍ يكون التحقُّقُ نتيجةً عينه، وهكذا هو السلوك حتَّى يصلَ إلى تحقّقٍ ليس وراءه تخلّق، فذلك التحقُّق هو التحقُّق الذاتي. انتهى

والحاصلُ ذلك النور الذي بين أيديهم هو التخلّقُ على طبقاته كما فهمت، فمنهم أي بعض السالكين صاحبُ فتيلةٍ، ومنهم صاحبُ شمعة، ومنهم صاحب كوكب، ومنهم صاحب قمرٍ، ومنهم صاحب بدرٍ، ومنهم صاحب شمسٍ، فعلى قدرِ نورِ كلِّ واحدٍ يكون كشفه لما يكون في طريقه، فقد يقول مَنْ سلكَ لنور القمر: رأيت في طريق كذا وكذا، على قدرِ

ما كَشَفَ له نورُهُ، فيقول له أي لصاحب القمر صاحبُ السراج: قد دخلتُ ذلك الطريق، وما رأيتُ شيئًا ممّا ذكرتَ إلاّ بعضَه، فلو تناصفَ صاحب السراج معه أي مع صاحب القمر لقال صاحب السراج له لصاحب القمر: بمَ دخلْتَهَ؟ أي الطريق فإذا قال صاحب القمر: دخلت الطريق بالقمرِ، اعترفَ صاحب السراج بكماله أي كمال صاحب القمر عليه أي على صاحب السراج وقال: أنا صاحبُ سراجٍ فكشفتُ على قدر نوري. والشيوخُ رضي الله عنهم مكمّلون في مقاماتهم الذوقية، ومكمّلون[1] في مكاشفاتهم الغيبية، فهم يُسلّمون لمن فوقهم على الكشف في دعواه، فإذا سمعتَ بينهم خلافًا، فابحثْ عليه تجدْهُ في اللفظِ، والمعاني متحققةٌ ليس فيها خلافٌ بينهم والبحث: لغةً هو التفحُص والتفتيش. واصطلاحًا: هو إثباتُ النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريقِ الاستدلال.

مثالُ ذلك الخلاف مسألةٌ تداولتْ أي تدارت بينهم، فظهرَ فيها في المسألة خلافٌ عنهم كثير، وليس بخلافٍ في الحقيقة وهي أي المسألة التي ظهرَ فيها الخلاف لفظ العلم والمعرفة، فقال بعضُهم: العالِمُ فوق العارفِ. وقال بعضهم: العارفُ فوق العالِم، واترك هذا اللفظ أي العلم والمعرفة وانظرْ إلى المعاني التي إذا قامت بشخصٍ سمّاه هذا عارفًا تجدْها أي تلك المعاني بعينها هي التي سمّاها هذا الآخر علمًا، والمتّصفُ بها عالمًا فاختلفا أي العالم والعارف، أو العلم والمعرفة في التسمية لا في المعاني، وكذلك مسألة الحال، منهم من قال بدوامها، ومنهم من منعَ ذلك، وهكذا رضي الله عنهم جميع ما يُنسب إليهم من الخلاف على هذا الحدِّ المذكور وذلك أنَّ مقامَهم يُعطي ذلك، إذ هم أهلُ الجمعِ والوجود.

الجمع: يُطلق على عدّة معانٍ، يُشيرون بالجمع إلى حقٍّ بلا خلقٍ، وبالتفرقة إلى العكس، وقد مرّ تفصيلُه غير مرة.

والوجود: هو وجدان الشيءِ نفسه في نفسه، أو غيره في نفسه، أو في غيره في محلٍّ ومرتبةٍ ونحوهما، وقد سبق مراتبُ الوجود.

ومقامُ الجمع: هو اعتبارُ الذات بحسب واحديتها المحيطة بجميع الأسماء والحقائق، وهذا المقام هو المُسمّى بمرتبة الجمع والوجود، وهو التعيّن الأول الذي هو اعتبارُ الذات بحسب وحدتها وإحاطتها وجمعها [٤٩٣] للأسماء والحقائق.

---

(١) في المطبوع (٢٨٤): يتكلّمون.

يعني: مكمّلون هم أهلُ الجمع والوجود وأهلُ الرحمةِ الاختصاصية وهي الرحمةُ الوجوبية، يعني به الرحمة المختصة به أهل التقوى والإحسان، فإنَّ اللهَ تعالى أوجبَ لهم من نفسِهِ أن يرحمَهُم اللهُ كرمًا منه ومنَّةً لا وجوبًا عليه، فقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إشارةٌ إلى الرحمةِ الواسعة الامتنانية، وقوله تعالى: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إشارة إلى الوجوبية، وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال الله تعالى في الأجانب: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [ثم] استثنى بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨ـ١١٩].

ثم هذه العصبة أي الجماعة من الرجالِ ما بين العشرةِ إلى الأربعين الكريمة، يعني كلُّ واحد منهما أي من أهل الجمع والأجانب ميسَّرٌ لما خُلق له في الاتفاق والاختلاف.

مطلع هلاله: أي هلال نجم الخلاف:

١ـ كيفَ يكونُ الخلافُ في بشرٍ   تميَّزوا في العُلى عن البشرِ

الخلافُ قال في «الكليات»(١): خالف إليه: مالَ، وعنه: بعد، يقال: خالفني زيدٌ إلى كذا إذا قصده وأنت مولٍّ عنه، وخالفني عنه إذا كان الأمر بالعكس، والخلافُ بمعنى المخالفة أعمُّ من الضدِّ، لأنَّ كلَّ ضدّين مختلفان، واختلفَ: ضدُّ اتفق.

والبشر: هو الإنسان، والإنسانُ الحقيقيُّ يعني به الإنسان الكامل بالفعل، والإنسان الحيواني يعني به الإنسان الغير الكامل، فإنّه لمّا كان الغالبُ عليه أحكامَ الحيوانية من مقتضيات الشهوة والغضب وتوابعهما حين استهلكت روحانيتُهُ في جسمانيته، وانطفأ نورُ عقله في ظُلمة حسّه سُمّي بالإنسان الحيواني لأجل ذلك. والعالم الكبير يُراد به جملة الممكنات، والعالم الصغير يُراد به الإنسان عند الأكثرين.

وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتوحات»(٢): إن العالمَ الكبيرَ هو الإنسان الكامل، وإن الإنسانَ الصغير هو العالم، وذلك لكون الإنسان الكامل قد جمعَ كلَّ ما في العالم من الحقائق

---

(١) الكليات ٢/ ٢٩٩.

(٢) تقدّم (١/ ٥٠٢ و٢/ ٢٦٧ و٣/ ٥٣) ولم أجده في الفتوحات المكية.

الكونية، وليس في العالم عند قطعِ النظر عن الإنسان الكامل كلّ ما فيه أي ما في الإنسان الكامل من الحقائق الإلهية، كما عرفتَ في تفصيل المضاهاة.

والتمييزُ مصدرٌ بمعنى المميز بفتح الياء على معنى أن المتكلّمَ يُميّزُ هذا الجنس من سائر الأجناس التي ترفع الإبهام، أو بكسرها على معنى أنَّ هذا الاسم يميّز مرادَ المتكلّم من غير مراده، والتمييزُ في المشبّهات كقوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال: ٣٧] وفي المختلطات كقوله تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩] وقد يُقال للقوة التي في الدماغ وبها تستنبط المعاني، ومنه فلان لا تمييزَ له، وسنُّ التمييز عند الفقهاء وقتُ عرفان المضارُ من المنافع، وقد سبق تفصيلُه.

يعني: كيف الخلاف في زمرةِ إنسانٍ كامل تميّزَ كلُّ واحدٍ منهم في المراتب العلى عن الإنسان الحيواني بالخلاصِ من الصفات البهيمية الخلقية.

٢ـ فهم ذوو رحمةٍ على نظرٍ مسدَّدٍ في تخالفِ الصُّورِ

نظر إليه: رآه، وله: رحمه. وعليه: غضب، ونظرَهُ: انتظره، ونظر فيه: تفكّر. واستعمالُ النظر في البصر أكثرُ عند العامّة، وفي البصيرة أكثرُ عند الخاصّة.

والنظرُ عبارةٌ عن تقليب الحدقةِ نحو المرئي التماسًا لرؤيته.

وقيل: [٤٩٣/ب] النظرُ عبارةٌ عن حركةِ القلب لطلبِ علمٍ عن علمٍ.

وقيل: هو ترتيبُ أمورٍ معلومةٍ على وجهٍ يؤدّي إلى استعلام ما ليس بمعلوم. مرّ تفصيلُه.

وسد تسديدًا قوّمه ووفّقه للسداد أي الصواب من القول والعمل.

يعني: الكاملون المكمّلون ذوو ـ أي أصحاب ـ رحمة اختصاصية على نظر أي تفكّر مُسدّد أي كلُّ واحدٍ منهم مقوّم وموفّق للسداد أي الصواب في تخالفِ الصُّور، يعني: إن اختلفوا في بعض صور الألفاظ اتّفقوا في معانيها.

٣ـ ونعمةٍ لا تزالُ تصحبُهم ليسوا ذوي مريةٍ ولا ضررٍ[1]

عطفٌ على (رحمةٍ) أي هم ذوو نعمةٍ حقيقيةٍ يقينية لا تزالُ أنت تصحبهم تكونُ صاحبًا مصاحبًا لهم ليسوا ذوي مريةٍ أصحاب شكٍّ ولا ضررٍ.

---

(١) في المطبوع (٢٨٤): ذوي مرية ولا نظر.

المرية بالضم والكسر: الشكُّ والجدل، وماراه مماراةً، ومراء، وامترى فيه، وتمارى: شكَّ.

الضرُّ بالفتح والضم ضدُّ النفع، وبابه ردّ، وضارَّهُ بالتشديد بمعنى ضرَّه، والاسم الضرر والضُّر بالضم الهُزال وسوءُ الحال، والمضرَّةُ: ضد المنفعة، ورجل ذو ضارورة وضرورة أي ذو حاجةٍ.

١٤ـ موقع نجم ترجيح الشيوخ

بعضهم على بعض حرام على التلامذة الترجيحُ: بيانُ القوّة لأحد المتعارضين على الآخر، من رجح الميزانُ يرجحُ مثلّثة رُجوحًا ورُجْحانًا: مالَ، وأرجح له ورجح: أعطاه راجحًا.

والتلامذةُ: جمع تلميذ بمعنى المريدين السالكين.

والذي يؤدّي أي يوصل **إلى هذا الفضول** أي ترجيح الشيوخ بعضهم على بعض **قلةُ الشُّغلِ بما يعني** الشُّغلِ بالضم وبضمتين، وبالفتح: ضدُّ الفراغ، والجمع أشغال، وشُغول. وعناه الأمر يعنيه ويعنوه عِنايةً وعَناية، وعنيًا: أهمّه، واعتنى به: اهتمَّ، ومنه في الحديث: «من حُسنِ إسلام المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه»[1] أي ما لا يهمه.

يعني: والذي يوصلُ إلى الترجيح هو قلّة الشغل بما يهمُّهُ.

وتضييع الوقت عطف على (قلة الشُّغل) **فلو وقفَ عند قوله** ﷺ: **«من حُسنِ إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيه»** أي ما لا يهمُّه ما يرجح الشيوخ بعضهم على بعض **فالمريد**[2] **إذا لم يشتغلْ بنفسه عن غيرِه فهو في إرادته مخدوع** خَدَعَهُ كمنعه: ختله، وأرادَ به المكروهَ من حيث لا يعلم، كاختدعته فانخدعَ، والاسمُ الخديعة. و«الحرب خدعة»[3] مثلثة، وكهُمَزة، وروي بهنَّ جميعًا. أي تنقضي[4] مخدعة.

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٩).

(٢) في المطبوع (٢٨٥): فالمراد.

(٣) الحرب خدعة: حديث رواه البخاري (٣٠٣٠) في الجهاد، باب الحرب خدعة، ومسلم (١٧٣٩) في الجهاد، باب جواز الخداع في الحرب، والترمذي (١٦٧٥) وأبو داود (٢٦٣٦).

(٤) كذا، ولعلّها: تقتضي.

والمريدُ من عزفَتْ أي زهدتْ نفسُه عن طيّبات الدنيا، وأعرضَ عن لذّاتها لتلذُّذِهِ بوظائف العبادات. وقد مرّ تفصيلُه مرة بعد أخرى.

والعارفُ إذا لم يعرف[1] بمناسبة نفسه مع ربّه فهو في معرفتِهِ مخدوع.

العارفُ: من أشهدهُ اللهُ نفسَه، وظهرت عليه الأحوالُ، والمعرفة حاله.

وقد يعني بالعارف مَنْ عرفَ نفسَه، فعرف ربَّه، لقوله عليه السلام: «من عرفَ نفسَه فقد عرف ربه»[2].

وسئل الجُنيد عن المعرفة والعارف، فقال: أن تعرف ما لك.

والمناسبةُ الكائنةُ بين الحقِّ وعبده، يعني به أنَّ بين الإنسان الكامل وبين الحقِّ مناسبةً من وجهين:

أحدُهما: ضعفُ تأثير مراتبه في التجلّي المتعيّن لربّه فيه بحيث لا يكسبه وصفًا [٤٩٤] قادحًا في تقديسه سوى قيد التعيّن الغير القادح في عظمةِ الحقِّ وجلاله ووحدانيتِهِ، وخلوّه عن أكثر أحكام الإمكان، وخواص الوسائط، ومن هذا الوجه تتفاوتُ درجاتِ المقرّبين والأفراد عند الحقِّ عزّ وجل.

وأما الوجه الثاني من المناسبة: فذلك بحسب حظِّ العبد من صورة الحضرة الإلهية، وذلك الحظُّ يتفاوتُ بحسب تفاوت الجمعيّة، فتضعفُ المناسبُ وتقوى بحسبِ ضيق فَلَكِ جمعية ذلك الإنسان من حيث قابليّته وسعتها، فتنقصُ الحظوظ بذلك، فمن جمعَ بين المناسبتين ـ أعني ضعف مراتبه، وكونه مستوعبًا لما تشتملُ عليه حضرةُ الوجوب والإمكان ـ فهو محبوبُ الحقِّ، والمقصودُ لعينه. ومن كان مناسبتُهُ مقصورةً على ضعف المراتب فقط بحيث لا يكونُ مستوعبًا لحكم الحضرتين فهو المحبوبُ المقرَّب فقط.

والمناسبة المرآتية: قد عرفت ما يعنون بها، وهو كونُ العبد ظاهر المرآة من أحكام الكثرة الموجبة لتأثير المظهرِ في التجلّي الذي يظهرُ فيه حتّى تصيرَ الصفاتُ الظاهرة فيه منصبغةً بأحكامه.

---

(١) في المطبوع (٢٨٥): إذا لم يشتغل.

(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٦).

والمناسبةُ الجمعية: قد عرفتَ أنَّ المراد بذلك أن تكون مرآتيةُ العبدِ مستوعبةً لما تحتوي عليه الحضرتان، أعني: حضرة الوجوب والإمكان. انتهى من «تعريفات الفرغاني»[1] قدس سره.

والعالمُ إذا لم ينعدم فهو في علمه مخدوع والعالم من أشهدَهُ اللهُ ألوهيَّتَهُ وذاته، ولم يظهرْ عليه حال والعلم حاله، وقد سبقَ تفصيلُ العارف والعالم والمعرفة والعلم.

والحكيمُ إذا لم يرتّبْ فهو في حكمته مخدوع الحكمةُ: هي الاطلاعُ على أسرارِ الأشياء، ومعرفةُ ارتباطِ الأسباب بمسبَّباتها، ومعرفةُ ما ينبغي على ما ينبغي بالشروطِ التي ينبغي، فمن عرفَ الحكمةَ ويُسِّرَ للعمل بها[2]، فذلك الحكيمُ الذي آتاه اللهُ الحكمةَ، فأحكمَ وضعَ الأشياءِ في مواضعها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] والحكيمُ هو الإنسانُ الذي رزقَهُ اللهُ الضبطَ والتمييز، فهو يميِّزُ بين الحقِّ والباطل، والحسنِ والقبيح، ويضبطُ نفسَه على ما ينبغي من اعتقاد الحقِّ وفعلِ الحميد، فلا يُرسلُها فيما لا ينبغي من الباطل علمًا وعملاً، ولا يفعل قبيحًا.

مطلع هلاله: أي هلال نجم الترجيح.

١ـ مَنْ يشتغلْ بالذي قد ألزمَهُ في وقتِهِ ربُّه[3] فليسَ هناكْ

يعني: من يشتغلْ بالذي قد ألزمه ربُّه إيّاه في وقته، فليس هناك أي في ترجيح الشيوخ بعضهم على بعض، لأنه لو وجد هناك يكون مدّعيًا بحاله، كما قال:

٢ـ لأنّــه مُـدّعٍ بحــالتــه يمقتُ أضدادَهُ وليس بذاكْ

أي المشتغلُ بالذي قد ألزمه ربّه لو وجد في ترجيحِ بعض الشيوخ على بعضٍ فهو مدَّعٍ بحالته، يمقتُ أي: يُبغض أضداده، وليس بذلك فيما أُمر به وأُلزمه في وقته من العبادات والطاعات.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٣٩ـ ٣٤٠.
(٢) في الأصل: ويستر العمل بها. والمثبت من لطائف الإعلام ١/ ٤٣٢.
(٣) في المطبوع (٢٨٥): وقته وبه.

١٥ـ موقع نجم الحزن

الحزن: توجّعُ القلب لفائتٍ أو تأسُّفه على ممتنعٍ، وهو في هذا الطريق تأسُّفٌ على ما يفوت العبد من الكمالات وأسبابها ومهيّئاتها، ويتضمّن ذلك أمورًا خمسة، هي: الخوف، والحزن، والإشفاق، والخضوع والإخبات. كما مرّ تفصيلُها.

والحاصل: **الحزنُ حليةُ الأدباء** جمع أديب، يعنون به العارفَ الربّانيّ، وهو من أهلِ البساط [٤٩٤/ب] أي الحضرة الإلهية، وحليةُ الرجل صفتُهُ، وحليةُ المرأة: ما تزيَّنَتْ به.

فرضي اللهُ عن المحزون، فليتني أَرى مَنْ رأى محزونًا، يا أيُّها المحزون، طُوبى لك، ثم طُوبى.

الطُّوبى: الطيب، وجمع الطيبة، وتأنيث الأطيب، والحسنى، والخير، والخيرة، وشجرةٌ في الجنة، قلبوا الياءَ واوًا للضمَّة قبلها، يُقال: طُوبى لك، وطوباك أيضًا.

واللهِ السعيدُ أنت[1] **يا أيُّها المحزون، واللهِ صاحب التحقيق أنت يا أيُّها المحزون.**

والسعيد: بمعنى المسعود، من السعادة، وهي معاونةُ الأمور الإلهية للإنسان على نيلِ الخيرِ، وتقديمُ الخبرِ للتأكيدِ والاهتمام.

والتحقيقُ تلخيصُ ما للحقِّ للحقِّ وما للخلقِ للخلق، ويستعملُ في تحقيق كون الحكم والأمر لله، وفي تحقيقِ كون الحول والقوّة لله، وفي «النهاية»: إنَّ التحقيقَ والحقيقة لله حالاً، ثم يستقرُّ هذا المعنى فيصيرُ مقامًا، ولا ينحجبُ المتحقّقُ بالخلقِ عن الحقِّ، ولا بالحقِّ عن الخلق، ويقال له: المرتبةُ الجامعة بين ذي العين وذي العقل.

واللهِ خليلُ الصدّيق أنت يا أيُّها المحزون ليتَ اللهَ يمنُّ أي ينعم **عليَّ به** أي بالحزن **من خزائن جوده للحزن مخازن** جمع مخزن، وهو ما يُخزنُ فيه الشيءُ، والخزانةُ: واحدةُ الخزائن، والخزائنُ جمع خزينة، يعني: للحزنِ مخازنُ الأسرار والمعارف **لا يُعطي منها من تلك المخازن شيئًا إلاّ لصدّيقٍ مُجتبى** والصدّيق: الكثيرُ الصدق، والصدّيقُ من الناس من كان كاملاً في تصديقه لما جاءتْ به رسلُ الله علمًا وعملاً، وقولاً وفعلاً، وليس يعلو على مقام

---

(١) في المطبوع (٢٨٥): أنت والله السعيد.

الصدّيقية إلاّ مقام النبوة، وقد سبق تفصيلُه، وتفصيلُ الصدّيقية، والصدق، وصدق الأقوال، وصدق الأفعال، وصدق الأحوال، وصدق الهمّة، وصدق النور.

والمجتبى بمعنى: المختار، كما يقال: اجتباه، أي اختاره. والاختيارُ: الاصطفاء، وصفة الشيءِ خالصه، يُقال: محمدٌ ﷺ صفوةُ الله من خلقه ومصطفاه.

والحزينُ أي المحزون عارف بقدره، الحزينُ هو العارفُ الحزين، هو الوارث أي وارثُ علم النبي ﷺ لقوله عليه السلام: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء»[1] ولقوله عليه السلام: «مَنْ عملَ بما علم ورّثه اللهُ علمَ ما لم يعلم»[2] الحزين سرُّ الله في أرضه، الحزنُ إذا فُقِدَ من القلب خَرِبَ القلبُ، لأنَّ الحزنَ موجبُ الانكسار، وقد قال تعالى: «أنا عند منكسرة القلوب»[3] يعني: إذا فُقِدَ الحزن عن القلب فُقِدَ الانكسارُ، وإذا فُقِدَ الانكسار فُقِدَ تجلّي الحقِّ للقلب، وإذا فُقِدَ التجلّي من القلب خَرِبَ القلبُ كما ورد في الحديث القدسي: «أنا عند المُنكسرةِ قلوبُهم لأجلي».

قال عبد الرحمن الجامي قُدّس سرُّه السامي: معنى هذا الحديث «أنا» بالذات والأسماءِ والصفات، المتجلّي لمن انكسرَ وفني عن ذاتِهِ وأفعاله وصفاته مطالعًا ومشاهدًا تحقُّقَهُ ببقائي، إذِ الفاني إذا اندرجَ في الفناء شيئًا فشيئًا، ولم يطّلعْ إلى مقامِ البقاء يُستغرقُ في بحر الفناء، ويُستهلكَ فيه بحيث لا يرجعُ إلى الساحل لضعفِ استعداده، فيكون من المجذوبين غيرَ مردودين إلى البقاء، وإليه الإشارة بقوله «لأجلي» أي: يفنى عن نفسه لأجلِ البقاء بي بعد الفناء غير مطلوب بالذات، بل المطلوب الذاتي [٤٩٥] هو البقاء، ولكن لا يتحقّقُ البقاءُ ولا يمكنُ إلاّ بالفناء.

يا مخدوع خطابٌ لغيرِ المحزون، وهو المريدُ الذي لم يشتغلْ بنفسه عن غيره، والعارف الذي لم يعرف بمناسبة نفسه مع ربّه، والعالِمِ الذي لم ينعدمْ، والحكيم الذي لم يرتب تظنُّ أنّك في الحاصل بفقدِ الحزن والحالُ أنت في الفائت عن الخيرِ الكثير يا مسكين مثلي قوله (مثلي) هضمًا لنفسِهِ وتعليمًا للسالكين، حاشاه أن يكونَ مثلَ المخدوعِ المسكين، بل مثليته

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٣٧٨).
(٢) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٢٨).
(٣) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٢٢٨).

إنّما هي بالصورةِ البشرية، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الكهف: ١١٠] ألستَ تعلمُ أنّ الذي فاتَكَ بفقدِ الحزن أكثرُ ممّا حصلَ لك في غير الحزن فبأيِّ شيءٍ تفرح؟ أي تُسرُّ، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦].

صاحبُ الأمنِ والبُشرى ﷺ في هذه الدارِ يحزنُ على التقصيرِ في شُكر هذه النعمة أي نعمة الأمن والإبشارة، كما قالتْ عائشةُ رضي الله عنها عند تورُّمِ قدميه ﷺ من طولِ قيامِ الليل: أتتكلَّفُ هذا، وقد غفرَ لكَ اللهُ ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال عليه السلام: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[1] مع أنّه ﷺ يرى تولّي الحقِّ في نفسِه ﷺ شكره تعالى وهو ﷺ عريٌّ أي مجرّدٌ عن ذلك الشكر ناظرٌ بعين التوحيد، وهو ألاّ يرى مع الحقِّ سواه، وألا يرى سوى ذاتٍ واحدة والأدبُ وهو حفظُ الحدِّ بين الإفراط والتفريط بأن يقصدَ السالكُ طريقًا متوسطًا بينهما، والوقوف عند مرسومِ الشريعة أنت أنت، وهو هو في مقامِ الأدبِ والفرق الثاني إذ أنتَ أنتَ بتعيّنك وتقيّدك وحدوثك، ولست أنتَ هو؛ بل أنتَ مقيَّدٌ بالعبودية، وهو مُطلقٌ بالربوبية، وهو هو في إطلاقه ليس هو أنتَ لتنزُّهِهِ عن التعيّن الخاص والتقيّد والحدوث، وليس هو أنتَ، بل هو ربٌّ وأنتَ عبدٌ، لأنّ الهويةَ في كلِّ شيءٍ ساريةٌ، وعن كلِّ شيءٍ مجرّدةٌ وعارية، فافهمْ ترشدْ إن شاء الله.

وإذا كان صاحبُ الأمن والبشرى بهذه الحالة أي يحزنُ على التقصيرِ في الشكر فما ظنُّكَ بالخائف الذي لا يعرفُ على ما يقدم؟ طُوبى لمن كان شعارُه. الشِّعارُ بالكسر: ما ولي الجسد من الثياب، وشعارُ القوم في الحرب: علامتُهم ليَعْرِفَ بعضُهم بعضًا الحزن. طوبى لمن كان دثارُهُ الحزن والدِّثار بالكسر: كل ما كانَ من الثيابِ فوق الشِّعار، وقد تدثَّرَ أي تلفف في الدثار، وطوبى لمن كان بيتُهُ الحزن، وطوبى لمن كان طعامُهُ الحزن، وشرابُهُ الحزن، به بالحزن يلتذُّ الصدّيقون والنبيّون، الحزنُ جماعُ الخيرِ كلِّه جِماعُ الشيء: بالكسر جمعه، يُقال: جماع الخبأ الأخبية، أي جمعُها، ويقال: الخمرُ جماع الإثم؛ لأنَّ الجِماع ما جُمع عددًا.

إذا أحبَّ اللهُ عبدًا ألقى له نائحةً في قلبه. التناوح التقابل، وناحتِ المرأةُ زوجَها، وعليه

---

(١) حديث أخرجه البخاري (٤٨٣٧) في تفسير سورة الفتح، باب قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ومسلم (٢٨٢٠) في صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد.

نَوحًا ونُواحًا ونِياحًا ونِياحةً ومَناحًا، والاسم النياحة، فهي نائحةٌ، أي باكيةٌ للميت بتعدادِ محاسنِ الميت وفضائله وما يفتخرُ به من الحسب والنسب والمال والحال، ونساءٌ نوَّحٌ وأنواحٌ ونُوح ونوائح ونائحات [٤٩٥/ب] والنائحةُ ههنا كنايةٌ عن الحالةِ التي توجبُ رقّة القلب وحزنه، مَنْ لم يذقْ طعمَ الحزنِ لم يذقْ لذّة العبادة على أنواعها.

فلا يغرَّنَّكَ يا بُنيّ ما تسمعُ من قول صدّيقٍ متمكّنٍ: إن الحزنَ مقامٌ نازل أي سافل، فليس يريدُ صدّيقٌ متمكّن رضي الله عنه صاحبُ التحقيق ما يتخيَّلُه بعضُ المتطفّلين أي المقلّدين، والطفيليُّ: الذي يدخل وليمةً لم يُدْعَ عليها، وقد طفلَ وتطفّل، فهو متطفّل على الطريقة، فإنَّ الحزنَ تابعٌ للمحزونِ، مثل العلمِ تابع للمعلوم، فيتَّضع أي ينخفض الحزن باتّضاعه بانخفاض المحزون ويرتفعُ الحزن بارتفاعه بارتفاع المحزون هبْكَ هَبْ بوزن دَعْ بمعنى احسبْ، يقال: هبْ زيدًا مُنطلقًا، أي احسبه منطلقًا، ولا يستعملُ فيه ماضٍ ولا مستقبل، يعني: احسب واعددْ نفسَك أنّك أقامَكَ الحقُّ تعالى في أعلى المقامات التي ينتهي إليها أعلى الموجودات، هل فاتَكَ شيءٌ أم لا؟ أمّا من جهة احترامها أي احترام المقامات لعلوّها، أو من جهةٍ أخرى فوق هذا، ألستَ تجدُ الحزنَ إن كنت مكمّلاً غيرَ محجوبٍ بمشاهدتك؟ وإن حجبكَ ذلك المقام فأنت ذو نقصٍ، فليتَ أتمنى اللهَ يمنُّ أي أن ينعم على قلبي بلطيفِ الحزن، ورقيقِ الشجو. والشجو: الهمُّ والحزن، وبابه عدا، وأشجاه: أغصه.

مطلع هلاله: أي هلال نجم الحزن:

١ـ حــزنُ الفــؤادِ أدبُــهْ	ودينُــهُ ومــذهبُــهْ
٢ـ إنْ جئتَــهُ وجــدتَــهُ	أمــرًا عسيــرًا مــركبُــهْ
٣ـ وكــلُّ مــن يشغلُــهُ	مقــامُــهُ لا يطلبُــهْ

يعني: حزنُ القلب أدبُ القلب، ودينُ القلب، ومذهبُ القلب، إن جئت الحزنَ وجدتَ الحزن أمرًا عسيرًا مركبه، والمركبُ واحدُ مراكب البر والبحر، وفي «القاموس»: ركبَه كسمعه ركوبًا ومركبًا علاه.

* * *

فصول الوصية السنية

١ـ فصل الصحبة

الصحبةُ نتيجةُ البسط، صحبَه كسمعه صحابةً ويُكسر، وصحبَه عاشره، وهم أصحاب وأصاحيب، وصحبان، وصحاب، وصحابة، وصحب واستصحبه: دعاه إلى الصُّحبة.

وفي «الكليات»[1] الصاحبُ: الملازمُ إنسانًا كان أو حيوانًا، أو مكانًا أو زمانًا، ولا يفرّق بين أن تكون مصاحبته بالبدن، وهو الأصلُ والأكثر، أو بالعناية والهمّة. ويقال للمالك [للشيء] هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرّف. والصاحبُ مشتقٌّ من الصحبة، وهي، وإن كانت تعمُّ القليلَ والكثير، لكنّ العرفَ خصصها لمن كثرتْ ملازمته، وطالتْ صحبته.

والبسطُ في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس، وهو واردٌ تقتضيه الإشارة إلى قبول، ولطف، ورحمة، وأُنس، ويقابله القبضُ كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس، والبسطُ في مقام الخفي هو أن يبسطَ اللهُ العبدَ مع الخلق ظاهرًا ويقبضُه إليه باطنًا رحمةً للخلق، فهو يسعُ الأشياء ولا يسعُهُ شيءٌ، ويؤثّر في كلِّ شيء، ولا يؤثِّرُ فيه شيء.

ولا يقوى عليها أي لا يقدرُ على الصحبة **إلاّ الأقوياء** جمع قوي **من الرِّجال** أي رجالِ الله، وهم أهلُ الله، وهم فانون في الله، وأهلُ القلب عبارةٌ عن طائفةٍ كشفَ اللهُ عليهم الحُجُبَ الظُّلمانية، لكنهم واقفون في الحُجُب النُّورانية **الذين لا تغيّرُهم الأحوالُ**.

وحدُّها أي حدُّ الصحبة، والحدُّ: قولٌ دالٌّ على ماهية الشيء، وعند أهلِ الله: **الفصل بينك** [٤٩٦] **وبين مولاك**، كتعبّدك وانحصارك في الزمان والمكان المحدودَيْن.

ألاّ يقبلَ الصاحب من صاحبه إلاّ ما يقبلُ منه ربُّهُ تعالى، فإن لم يفعلْ أي لم يقبل من صاحبه ما قبل منه ربُّه **فقد خانه** أي صاحبه. والخيانةُ: تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، وخيانةُ الأعين ما تسارق من النظر إلى ما لا يحلُّ **في الصحبة؛ فإنَّ شرطَها** أي شرط الصحبة **النّصيحةُ** وهي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، ونهيٌ عمّا فيه الفساد **وأدبُها** أي أدب الصحبة **كفُّ جفاءك عن**

---

(١) الكليات: ٣/ ١١٢.

خليلك، وتحمّل جفاه أي جفاء خليلك، وجفا جفاءً وتجافى لم يلزمْ مكانَهُ، وجفا عليه كذا: ثقل، والجفاءُ: نقيضُ الصلة، ويُقصر.

ولها أي للصحبة مراتبُ جمع مرتبة بحسب الأحوال، فإنْ كان صاحبُك فوقَكَ، فاصحبْه بالحُرمة. والحرمة: ما لا يحلُّ انتهاكُه وفي «القاموس»: الحرمةُ بالضم وبضمتين، وكهُمَزَة: ما لا يحلُّ انتهاكه، والذّمة، والمهابة، والنصيب ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] أي ما وجب القيام به. والانتهاكُ: نقض الحرمة بما لا يحلُّ.

وإن كان صاحبُك كفأك أي نظيرَك وقرنك فاصحبْه بالوفاء. الوفاء: ملازمةُ طريقِ المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء، أي الصواحب.

وإن كان صاحبُك دونك بكونك فوقه فاصحبْه بالرحمة وهي إرادةُ إيصال الخير.

وإن كان صاحبك عالمًا، فاصحبْه بالخدمة والتعظيم.

وإن كان صاحبك جاهلاً فاصحبْه بالسياسة. والسياسة: هو استصلاحُ الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل والآجل. وقد مرّ تفصيله.

وإن كان صاحبك غنيًّا فاصحبه بالزُّهد وهو إسقاطُ الرغبة في الشيءِ بالكلّية، وقد سبق تفصيله غير مرة.

وإن كان صاحبك فقيرًا فاصحبْهُ بالجود. الجود: عطاؤك ابتداءً قبل السؤال، وقد مرّ تفصيل الجود، والكرم، والسخاء، والإيثار.

وإن كان صاحبك صوفيًّا فاصحبه بالتسليم. التسليم: هو أن يكلَ العبدُ نفسَه في جميع أحواله، لكنْ مع بقاء مزاحمةٍ من العقل والوهم، وبهذا يفرق بينه وبين التفويض، وتسليمُ الحق: هو أن تجدَ نفسَك مسلّمة إلى الحقِّ.

وهذه هي مراتب الصحبة، يعني: مرتبة الحرمة، ومرتبة الوفاء، ومرتبة الرحمة، ومرتبة الخدمة، ومرتبة السياسة، ومرتبة الزهد، ومرتبة الجود، ومرتبة التسليم.

واعلمْ أنَّ صحبةَ الجليل سبحانه وتعالى أوْلى من صحبه الخليل، فإنَّ الجليلَ يحفظك، والخليلُ أنت تحفظه. الجليلُ يُعطيك، والخليل أنت تُعطيه، الجليلُ يحملك، والخليلُ أنت تحملُه يقال: حمل به حَمالةً بالفتح كفل، وحمله على الأمر يحمله فانحمل: أغراه به، وأحمله الحمل: أعانه عليه، وحمل الغضب: أظهره.

الجليل يتولاّك، والخليلُ أنت تتولاّه وتولّى العملَ: تقلّد. وفي «القاموس»: تولاّه: اتّخذه وليًّا، والأمرَ تقلّده، وعنه أعرض، أو نأى.

الجليل يكون لك حيثُ تريد أنت والخليلُ يُريد أن تكون أنت له حيثُ يريد الخليل.

وعلامةُ من آثر أي اختار صحبةَ مولاه ألاّ يأنسَ بسواه تعالى وأن يقفَ عند ما أمرَهُ ونهاه، وأن يُعاملَ خلقه الخلق برحماه. الرحمة: [٤٩٦/ب] الرقة، والمغفرة، والتعطف كالمرحمة، والرُّحم بالضم وبضمتين، والفعل كعلم، ورحم ترحيمًا، وترحّم، والاسمُ الرُّحْمى.

وأن يوالي من والاه تعالى ويعادي من عاداه تعالى ولو كان المعادي ابنه وأباه والموالاة ضد المعاداة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] منَّةً.

وددِتُ الرجلَ بالكسر وُدًّا بالضم: أحببتُه، والوُدُّ بضم الواو وفتحها وكسرها: المودّة، والوداد: الحبُّ، وادَّ يُوادُّ موادَّةً ووِدادًا. وحاده: غاضبه وخالفه وآدَ يئيدُ: اشتدَّ وقَويَ، وأيّدتُه تأييدًا قوَّيته.

والرُّوح: بالضم ما به حياة النفس، ويؤنث، والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى عليهما السلام، وروح الإلقاء يعنون به الروح المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] فلهذا يطلقون الرُّوح في اصطلاحهم بإزاء الملقي إلى القلب من عالم الغيب على وجه.

مَنْ صاحبَ الحقَّ لا يُبالي ... من ذلَّةِ المنعِ والسؤال
من طعم الهجر في هواه ... أذاقَهُ لذّةَ الوصال[1]

وما أباليه بالةً وبِلاءً ومُبالاة، أي: ما أكترث، وكرثه الغمُّ يكرُثه ويكرِثه اشتدَّ عليه، ما اكترثُ له: ما أبالي. والذلُّ ضدُّ العز، وقد ذل يذِلُّ بالكسر ذُلاً، وذِلة ومذَلّة، فهو ذليل. المنعُ ضدُّ الإعطاء، وسأله الشيء وسأله عن الشيء سؤالاً ومسألةً، والسؤال هو استدعاءُ رفةٍ، أو ما يؤدّي إلى معرفةٍ، أو ما يؤدّي إلى المال، فجوابُ استدعاءِ المعرفة على

(١) ما بين معقوفين مستدرك من المطبوع.

اللسان، واليدُ خليفةٌ له بالكتابة أو الإشارة، وجواب استدعاء المال [جوابه] على اليد، واللسانُ خليفة لها إمّا بوعدٍ، أو بردٍّ، والسؤال إذا كان بمعنى الطلب والالتماس يتعدّى إلى مفعولين بنفسه، وإذ كان بمعنى الاستفسار يتعدّى إلى الأوّلِ بنفسه وإلى الثاني بعن[1].

٢ـ فصل من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير

الوَقار بالفتح: الحلمُ والرزانة، والتوقيرُ: التعظيم، والترزين. والرحمة: الرأفة والمغفرة والتعطّف كالمرحمة.

ومخاطبةُ الناس باللين، وهو ضدُّ الخشونة، لأنَّ الشيءَ يلين لينًا، وشيء ليِّنٌ وليْنٌ مخفف منه. **وإذا لقيتَ أحدًا من الناس فالقه بالبشاشةِ** أي بطلاقة الوجه **وإن لم تقدرْ عليها على البشاشة فالقه بما تدومُ عليه من الخير.** لقيه كرضيه رآه، **ولا تطوّل المجالسة لئلا تتغيّرَ أحوالُك في التقصير بطولِ المجالسة** وتغيّرَ عن حاله تحوّل، وغيّره جعله غيرَ ما كان، وحوّله وبدّله، فتغيَّر أي تحوّل **فيتغير جليسك عليك، فربّما يؤذيك فاحذرْ.** أذِي به بالكسر أذًا وتأذّى، والاسم الأذية والأذاة، وهي المكروه اليسير.

٣ـ فصل أنصتْ لحديثِ الجليس ما لم يكن هُجرًا

والإنصاتُ: السكوت والاستماع، والهَجر بالفتح الهذيان، وقد هجر المريض من باب نصر، فهو هاجر، والكلامُ مهجور، وبه فسّر المجاهد وغيرُه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠] أي باطلاً، والهُجر بالضم الاسم [٤٩٧] من الأهجار، وهو الخنا والإفحاش في المنطق، والخنا: الفحش، وقد خنى عليه من باب صدى، وأخنى عليه في منطقه: أي أفحشَ.

فإن كان حديثُ الجليس **هجرًا، فانصحه في الله تعالى إن علمتَ منه القبول بألطفِ النصح، وإلاّ** أي وإنْ لم تعلمْ منه قبول النصح **فاعتذرْ في الانفصال عن محدّث الهجر،** والاعتذارُ طلب العذر. يُقال: اعتذرَ من الذنب، واعتذرَ أيضًا بمعنى صارَ ذا عذر، والاعتذار أيضًا الافتضاض.

---

(١) الكليات ٣/ ١٦.

وإن كان ما أي الحديث الذي جاء الجليس به حسنًا فحسّنِ الاستماعَ أي فزيّن استماع الحديث الحسن ولا تقطعْ عليه على الجليس حديثَه الحسن، وأَشْخصْ أي افتح عينيك، ولا تلتفت الأطراف بالنظرِ إليه إلى الجليس المحدّث الحديثَ الحسن ما دامَ مُحدِّثًا لك الحديثَ الحسن، يُقال شخصَ بصرَه من باب خضع، فهو شاخص إذا فتح عينيه، وجعل لا يطرف.

وإن كان ما أي الحديث الذي يأتي به ليس بعظيمِ الفائدة أي النفع فإنَّ لكلِّ أحدٍ عند نفسه قدرًا. قدرُ الشيء: مبلغُه، وهو في الأصل مصدر، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] أي ما عظّموه حقَّ تعظيمه خرّجْ أي علّم وأدّب عقلَكَ بأدبِ كلِّ زمان. يقال: خرّجه في الأدب فتخرّجَ فهو خرّيج كعنّين بمعنى مفعول، والأدب: حفظُ الحدِّ بين الغلو والجفاء، أي بين الإفراط والتفريط. وقيل: الأدبُ عبارةٌ عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ.

[فصل في التواضع]

(٤) فصل عليك أي الزم بالتواضع:

قال الفرغاني[1] قدس سره: التواضع: أن يتَّضعَ العبدُ لصولة الحق، وهو على أقسام:

التواضعُ للدين: وهو ألاّ تعارض بمعقولٍ منقولاً، أي لا تعارض المنقول من الكتاب والسنة بالمعقول لك، بحيث تطلب صحته بالاستدلال على ذلك ببحثك ونظرك، بل تكونُ مُطيعًا للأمر تقليدًا، والخبر إيمانًا من غير طلبِ تعقّل أمرٍ وراء المفهوم ممّا أخبرت به وراء المعرفة لكيفيةِ التعبّد بما أُمرتَ به، كما ورد في «المواقف النفرية»[2] أنه قال: أوقفني تعالى، وقال: إذا أمرتُكَ بأمرٍ، فامضِ لما أمرتُك به، ولا تنتظر بأمري علم أمري. وقال لي: إذا لم تمضِ أمري إلاّ بعد أن يبدو لك علمُ أمري، فعلمَ الأمرِ أطعتَ لا لأمري.

والتواضع للإرادة: هو أن يَتركَ العبدُ جميعَ المرادات والمطالب، بحيث لا يُريد من الحقِّ إلاّ ما أراده، فينزل من مراده، ويتركُ الحقَّ يتصرّف فيها على مراده عزّ وجل.

---

(١) لطائف الإعلام ١/ ٣٦٢.

(٢) المواقف النفرية: ٢٨ (موقف الأمر: ١٤).

والتواضع للحقيقة: هو أن تنزلَ عن رسمك الذي هو نفسك لتفنيه للحقيقة، وهذا النزولُ، وإن كان غيرَ مكتسبٍ لأنَّ الفناءَ إنّما يكونُ وقتَ اضمحلال ظُلمة الرسوم في نور التجلّي، لكنَّ مداومةَ العبد على رياضة نفسه بملازمة الذكر، ومنع العادة، وتحمّله لمشاقِّ المجاهدات هو الذي يعدّد أن يصيرَ من أهل المقامات.

والتواضع مع الخلق: هو أن ينتفي عنك الخضوعُ لأحدٍ من الخلق عند حاجتك إليه، كما ينتفي عنك الجفاءُ وقتَ الغنى عنه، وذلك أنَّ الخضوعَ عند الحاجة ليس هو من باب التواضع، إنّما هو من بابِ الضعة والمسكنة [٤٩٧/ب] والخديعة، فالمتواضعُ بالحقيقة من كان قصدُه في قربه من الناس الرحمة بهم واللين بهم، وفي بُعدِهِ عنهم الزهدَ فيما في أيديهم، والنزاهة عمّا لا يحلُّ له منهم عند المخالطة لهم، فمثل هذا لا يكون قربه ممّن قربَ منه مكرًا وخديعة، ولا بعده عمّن تباعدَ عنه كبرًا وعظمةً، وهذا هو المتحقّق بالتواضع مع الخلق لأجل تعظيمه للحقِّ، وذلك هو أكملُ أوصافَ العبد عند ملابسته للخلق.

واعلم أنّه أي التواضع سرٌّ من أسرار الله تعالى المخزونة عنده تعالى، وذلك السرُّ هو الذي لا يهبُهُ تعالى على الكمال إلاّ لنبيٍّ أو صدّيق، فليس كلُّ نواضعٍ تواضعًا، وهو أي التواضع مر أعلى مقامات الطريق، وآخرُ مقامٍ ينتهي إليه رجالُ الله أي أهلِ الطريق وحقيقةُ العلمِ بعبوديه النفس ولا تصحُّ مع العبودية رياسةٌ؛ لأنّها أي الرياسة ضدُّ العبودية، ولهذا قالَ المشايخُ رضي الله عنهم: آخرُ ما يخرجُ من قلوب الصدّيقين حبُّ الرياسة، ولا تكونُ الرياسة إلاّ مع الجهلِ.

وقال عيسى عليه السلام لأصحابه: أين تنبتُ الحبّةُ؟ قالوا: في الأرض. فقال عليه السلام: كذلك الحكمة لا تنبتُ إلاّ في قلبٍ مثلِ الأرض. يُشير إلى التواضعِ، وإلى هذه الإشارة أشارَ سيّدُ البشر ﷺ: «ظهرتْ ينابيعُ الحكمةِ من قلبه على لسانه» في قوله ﷺ: «من أخلصَ لله أربعين صباحًا ظهرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه»[1].

والينابيع جمع ينبوع لا تكونُ إلاّ في الأرض، وهو موضعُ نبع الماء، ولا تظنَّ أنَّ هذا التواضع الظاهر على أكثرِ الناس، وعلى بعض الصالحين تواضع، فليس بتواضعٍ، وإنّما هو تملّقٌ لسببٍ غاب عنك ملقَهُ: محاه، وجاريتَهُ جامعها، والثوبَ غسلها، وأمه رَضَعَها،

---

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ١٨٩).

وبالعصا ضربَه، وفلانًا صارَ شديدًا، وتملّقه، وله تملّقًا وتِملاقًا تودّدَ إليه، وتلطّف له. والمَلَقُ محرَّكَةً: الودُّ واللطف، وأن تعطي باللسان ما ليسَ في القلب، والفعل كفرح.

وكلٌّ واحدٍ من أكثر الناس وبعض الصالحين **متملّق**[١] **على قدرِ مطلوبه، والمطلوب منه** يعني الضعة والمسكنة للمطلوب من التملّق دون التواضع **والتواضعُ شريفٌ علي لا يتصور عليه**[٢] **كلُّ أحدٍ،** فإنّه أي التواضع **موقوفٌ على صاحب التمكين في العلم بالله وعلى صاحب التحقّق والتخلّق**[٣] مر غير مرة.

[فصل في الزهد]

(٥) فصل وعليك الزمْ بالزهد:

والزهد: هو إسقاطُ الرغبة في الشيء بالكلّية.

وقيل: الزُّهد إمساكُ النفس عن اشتغالها بملاذِّ البدن وقواه إلاّ بحسب ضرورةٍ تامّة.

وقيل: الزهدُ الإعراضُ عن متاع الدنيا وطيِّباتها.

والإعراضُ على قسمين: فإنَّ بعض المعرضين إنّما أعرضَ معاملةً ما كأنه يشتري بمتاعِ الدنيا متاعَ الآخرة، وهو زهدُ غير العارف.

وأما القسم الثاني: فهو زهدُ العارفين، فإنَّ إعراضَهم عن متاع الدنيا لغرضين آخرين: أحدهما: في حالةِ التوجّه إلى ربّه. وثانيهما: عند رجوعه من عنده.

أما ما هو له عندما يتوجَّهُ إلى الحقّ، فإنه حينئذٍ يُعرضُ عن كلِّ ما سواه. وأمّا ما هو عندما يرجعُ من الحقّ إلى الخلق فهو أنّه يُعرض عمّا سوى الحق من جهة أنّه مشغولٌ بالحقِّ عن الباطل.

وزهد خاصّة الخاصة: هو إعراضُهم عن كلِّ [٤٩٨] ما سوى الله من الأغراض والأعواض الظاهرة أولاً، والباطنة ثانيًا، وعن كلِّ ما هو غير ثالثًا. وقد مرّ تفصيلُ زهد العامة، وزهد أهل الإرادة، والزهد في الزهد.

---

(١) في المطبوع (٢٩١): وكلٌّ يتملّق.
(٢) في المطبوع (٢٩١): على ما يتسور عليه.
(٣) في المطبوع (٢٩١): والتحقق في التخلق.

فإنّه أي الزهد **صفةٌ شريفة عليّةٌ إذا قامت** تلك الصفة **بشخصٍ على الكمال حالتْ** أي تلك الصفة **حجزت** بينه **بين ذلك** الشخص الذي قامتْ به صفةُ الزهد على الكمال **وبين رؤية الأكوان** جمع كون، وهو عند أهل الحق: عبارةٌ عن وجودِ العالم من حيث هو عالم **وشرطه** أي شرط الزهد **ألاّ يحنّ إلى ما زهدَ فيه**.

الحنين: الشوقُ، وتوقانُ النفس، وقد حنَّ إليه يَحِنُّ بالكسر حنينًا **وأدبُهُ** أي أدب الزهد **ألاّ يذمَّ المزهودَ فيه، لكونه** أي المزهود فيه **من جملة أفعال الله تعالى، وليشغلْ الزاهد نفسه بمن زهدَ من أجله** وهو الحقُّ سبحانه وتعالى **فإنّه** أي الزاهد **إذا اشتغلَ بذلك** أي بمن زهد من أجله **تولاّه الحقُّ بالحضور معه في بساطِ الأُنس به**.

تولاّه: بمعنى اتّخذه وليًّا. والحضور: تمتُّعُ القلب بالحقّ عند غيبته عن الخلق، وبساطُ الأنس مقامه، والأنس يُعبّرون به عن روح القرب، وتارةً عن أثر مشاهدةِ جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمالُ الجلال، ويُعبّرون أيضًا بالأُنس إلى حضرةِ الصحو بالحقّ، وقد سبق تفصيلُه غير مرة.

في كلِّ ما يطرأ من تفاصيلِ الكون متعلّق (بتولاه) طرأ عليه طلعَ من بلد آخر، وطرأ عليهم كمنع، طَرْءًا وطروءًا أتاهم من مكانٍ، أو خرجَ عليهم منه فجأةً.

قد يختبر الحق الزاهد يومًا ما ليعرّفَ الحقُّ بمنَّةِ اللهِ عليه على الزاهد في تولّيه إيّاه بأخذه تعالى ممّا يأنسُ فيه وفي بعض النسخ (مما يتنافس أو ينافس) يقال شيءٌ نفيس: **أي يُتنافس فيه** ويُرغب، ونافسَ في الشيءِ منافسةً ونِفاسًا بالكسر: إذا رغبَ فيه على وجهِ المباراة في الكرم، وتنافسوا فيه أي رغبوا.

يعني: يعاملُ الحقُّ للزاهد معاملةَ الاختبار أي الامتحان، ليعرّف الحقّ بمنّةِ الله على الزاهد في تولّيه إيّاه بأخذ ممّا يأنس أو ينافس أو يتنافس.

فيه القلب المحجوب، فإذا لم يلتفتِ الزاهد لذلك الأمر العارضِ بالأخذ مما يأنس فيه القلب عرف الزاهد حينئذ منّةَ الله[1] تعالى عليه، وعنايته به، فيزيد شكرًا ورغبة ممّا زهد فيه.

منَّ عليه أي امتنَّ، وبابه ردّ ومنَّةً أيضًا، ورغب فيه كسمع رغبًا ويضم، ورغبه: أراده كارتقب، وعنه لم يرد.

---

(١) في المطبوع (٢٩١): عرف حسن منّةِ الله.

٦ـ فصل لا تلقَ أحدًا إلاّ ما ينشطه إليك

لقيه: بمعنى رآه، ونشطَ كسمع نَشاطًا بالفتح، فهو ناشطٌ ونشيط: طابتْ نفسُه للعمل وغيره، وأنشطه ونشّطه تنشيطًا ووازنْه أي عادله وقابله يعني: قابلْ كلَّ من تلقاه في عقله لا في عقلك أن توازنه في عقلِه تأمنْه الأمنُ والآمن كصاحب ضدُّ الخوف، أَمِنَ كفرح أَمْنًا وأَمانًا بفتحهما، وأَمَنًا وأَمَنةً محركتين، وإمنًا بالكسر، فهو آمن، وآمن كفرح، وأمين كأمير قال بعضُ الحكماء: عاشروا الناسَ معاشرةً إن متّم بكوا عليكم، وإن غبتُمْ حنّوا إليكم. العشرةُ والمعاشرة بمعنى المخالطة، يقال: عاشره معاشرة [٤٩٨/ب] أي خالطَه مخالطةً، وتعاشروا: تخالطوا، ومات يموت ويَمات ويميت، فهو ميّت وميْت. والحنينُ: الشوق، وشدَّةُ البكاء، والطرب، أو صوت الطرب عن حزن، أو فرحٍ، حن يحِنُّ حنينًا استطرب فهو حان.

٧ـ [فصل في المذهب]

فصل ليس في المذاهب أشرفُ من مذهبك يا بدرَ الحبشي لتعلّقك بالله تعالى.

والمذهبُ: المعتقد الذي يُذهبُ إليه، والطريقةُ، والأصل، والمتوضأ، والحقُّ بما نحن عليه في الاعتقاد، والباطلُ ما عليه مُخالفنا فلا تنتم أي لا تنتسبْ لمذهبِ أحدٍ سواه أي غير مذهبك فإنّه أي مذهبك أشرفُ المذاهب، واستمرَّ أي كنْ مُستمرًا على حالتك، والزمِ الاعتدالَ ولا تنفك عنه فإنه أي الاعتدال هو طريقُ الرجال أي رجال الله تعالى وتقدّس.

والاستمرارُ: ما لا ينقطعُ ولا يفوتُ ولا ينتهي، كزمان المستقبلِ، لأنَّ أوّلَه هو الحال، ولا يُعلمُ آخرُه لكونه مستمرًا دائمًا إلى يوم القيامة، بخلافِ زمان الماضي، فإنه ينقطعُ ويفوت، فلا استمرارَ فيه، لأنّه ينتهي وينقطع في الحال.

والاستمرار على نوعين: الاستمرار الدوامي، والاستمرار التجدّدي.

والثاني على نوعين: استمرارُ الثبوت، واستمرارُ النفي. والأول في الاسم الموجب، والثاني في الفعل منه.

٨ ـ فصل الوقت هدية الله إليك فخذ فائدته

أي فائدة الوقت. والفائدةُ هي من الفيد بالياء لا بالهمزة، وهي لغةً: ما استفيدُ من علمٍ أو مالٍ. وعرفًا: ما يكون الشيءُ به أحسنَ حالاً منه بغيره. واصطلاحًا: ما يترتَّبُ على الشيءِ ويحصل منه، من حيث إنها حاصلٌ منه.

والوقت عبارةٌ عن حالك، وهو ما يقتضيه استعدادُك الغير المجعول.

وقال الفرغاني[1] قدس سره: الوقتُ: عبارةٌ عن حالٍ في زمان الحال، لا تعلّقَ لك فيه بالماضي ولا الاستقبال، فيقال: وقته كذا أي حاله كذا، ولهذا قالوا: الوقتُ ما كنتَ فيه، إن كنتَ بالدنيا فوقتُكَ الدنيا، وإن كنتَ بالعُقبى فوقتُك العقبى، وإن كنتَ بالسرور فوقتُك السرور، وإن كنتَ بالحزن فوقتُكَ الحزن، فعنوا بذلك أنّ وقتَ الإنسان هو حالُه الغالبةُ عليه. ولهذا قالوا: الصوفيُّ ابنُ وقته، لا يهمُّه ماضي وقته ولا آتيه، بل إنّما يهمُّه الوقت الذي هو فيه. فهو لذلك إنّما يشتغل بما هو أولى به في الحال، ومطالب فيه، فإنَّ الاشتغالَ بفواتِ وقتٍ ماض تضييعٌ للوقت الحاضر والآتي:

أَمسٌ مضى ولن يعودَ ما مضى ... والغَدُ لا يُعرفُ ما فيه القضا
فزيِّنِ الوقتَ بأسبابِ الرِّضا ... فإنّما وقتُكَ سيفٌ مُنتضى

وقد سبق تفصيله. وهو أي الوقت راجعٌ إليه تعالى، راحل عنك فزيّنْه أي الوقت بالتقوى والعملِ الصالح، وإلاّ لكان الوقت حسرةً عليك. الحسرة: أشدُّ التلهّف على الشيءِ الفائت، يقال: حسرَ على الشيء من باب طرب، وحسرة أيضًا، فهو حسير، وحسرَّهُ غيره تحسيرًا، والتَّحسّر التلهّف. إذا فاز أي ظفر غيرُكَ به أي بالوقت. فاسمعْ وفي بعض النسخ (فاستمع) يعني ما قلتُ لك لا يحجبنَّكَ مدحُ المادحين لك عن معرفتك بنفسك.

يعني: لا يحجبنَّكَ قولُ المادحين لك: إنك صاحبُ الوقت، وأنت تعرفَ بنفسك أنّك لستَ صاحبَ الوقت، بل أنتَ مضيّعُ الوقت.

---

(١) لطائف الإعلام ٢/ ٣٩٤.

السياسةُ رأس الحكمة فالزمها [٤٩٩] أي لا تفارقْ عن السياسة، وهو استصلاحُ النفس بإرشادها إلى الطريق المنجّي في العاجلِ والآجل.

٩ـ فصل لا تصاحبْ أحدًا إلاّ من ترى معه الزيادة في دينك

الدين وضعٌ إلهيٌّ يدعو أصحابَ العقول إلى قبولِ ما هو عند الرسول ﷺ.

والدِّينُ يجيء بمعنى التوحيد، وبمعنى الحساب، وبمعنى الطاعة، وبمعنى الجد، وبمعنى الشريعة، وبمعنى الدعاء، وبمعنى العيد، وبمعنى العادة، وبمعنى الخضوع، وبمعنى القهر والغلبة، وبمعنى الجزاء. وقد مرَّ تفصيلُه.

فإن نقص المصاحبُ في دينك فاهربْ منه هروبكَ من الأسد يعني: فرَّ من ذلك المصاحب الناقص في دينك مثل فرارك من الأسد بل أشدّ من فرار الأسد **فإنّ الأسد يهدمُ بناءك**[1] أي جسدك **ويعطيك** أي لروحك الدرجاتِ في الآخرة **والقرينُ السُّوء** أي المصاحبُ الناقص في الدين **يحرمُكَ الدُّنيا والآخرة**: أي: يجعلك محرومًا في الدنيا والآخرة.

[الورع في المنطق]

الورع في المنطق أي في الكلام **من الحكمة**.

والورع: هو الاحترازُ عن كلِّ ما فيه شوبُ انحرافٍ شرعي، أو شبهةٌ مضرَّةٌ معنوية في كلُ ما تقوم به صورةُ الإنسان الحسّية والمعنوية بحكم النشأة الدنيوية.

وورعُ الخاصَّة: الاحترازُ عن كلِّ داعيةٍ تدعو إلى شتاتِ الوقت والتعلّق بالتفرّق، وعارض يعارض حال الجمع.

والحاصلُ: الورعُ في الكلام من الحكمة: هي الاطلاع على أسرارِ الأشياء، ومعرفةِ ارتباط الأسباب بمسبَّباتها، ومعرفة ما ينبغي على ما ينبغي، بالشروط التي تنبغي، فمن عرفَ الحكمةَ، ويسّر العملَ بها فذلك الحكيمُ الذي آتاه الله الحكمةَ، فأَحْكَمَ وضعَ الأشياء في مواضعها، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) في المطبوع (٢٩٢): يهدم دنياك.

«وهل يكبُّ الناسَ على مناحرهم في النّار إلاّ حصائد ألسنتهم»[1] كما ورد في الأثر. كبّه قَلَبَه وصرعه، يقال: كبّه بوجهه، من باب ردّ، أي صرعَهَ، فأكبَّ هو على وجهه. وهو من النوادر أن يكونَ فعلٌ متعديًا، وأفعل لازمًا. والمناحرُ جمع المنحر، والمَنْحَرُ بوزن المذهب: موضعُ القلادة من الصدر، والمنحرُ أيضًا: موضعُ نحر الهدي وغيره، والنحرُ في اللبّة كالذبح في الحلق. والحصائدُ جمع الحصيد، وحصائدُ الألسنة التي في الحديث هو ما قيل في الناس باللسان، وقطع به عليهم.

١٠ـ فصل: لا تجلسْ في طريق المسلمين

فإن اضطررت أي احتجتَ، يعني: إن كنتَ مضطرًا محتاجًا إلى الجلوسِ في طريق المسلمين، وغلبتك النفسُ في الجلوس اجلس فغضَّ البصرَ أي اخفض بصرك، يقال: غضَّ طرفَه خفضه، والأمر منه في لغة الحجاز اغضضْ من صوتك وفي لغة أهل نجد غضَّ طرفَك بالإدغام.

وأرشد الضالّ. الإرشادُ: السوقُ إلى الطريق المستقيم، بمعنى الهداية. الضالُّ بمعنى الضائع والهالك، يقال: ضلَّ الشيءُ ضاعَ وهلك، وهو كنايةٌ عمّن لم يهتدِ الطريقَ. وأعِنِ الضعيفَ الإعانة والمعونة من العونِ. والضعيفُ: ضدُّ القوي.

وأمِطِ الأذى عن الطريق، لأنّه من شُعب الإيمان. والإماطةُ الإبعادُ والإزالة. والأذى بمعنى المكروه.

وردّ السلام [٤٩٩/ب] ولا تقعدْ في موضعٍ وأنت تقابلُ دار أخيك حتى لا يراك في مقابلة حرمه، وتنظرَ إلى جانب حرمه.

وتورّع في مشيك على الطريق وفي قعودك، وذلك التورّعُ ألاّ تمسكَ من الطريق في مشيك وقعودك إلاّ قدرَ ذاتك، ووسّع على الناس في طريقهم، فإنه أي الإمساك من الطريق قدر ذاتك

---

(١) كذا في الأصل، وتابعه في الشرح، ولم أجد الحديث بهذا اللفظ، وإنما هو «مناخرهم» بالخاء المعجمة من فوق. والحديث رواه الترمذي (٢٦١٦) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وأحمد في المسند ٥/ ٢٣١. عن معاذ بن جبل. وقد تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٢/ ٥٤٥).

ليس لك إلاّ موضع قدميك، إن كنت واقفًا وموضع قعودك، إن كنت قاعدًا، ولقد حدّثني أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم أنَّ بعض المتورّعين أتى بقلّتين كبحرين، قرية باليمامة، واليمامةُ القصد، كاليمام، وجاريةٌ زرقاءُ كانت تُبصر الراكبَ من مسيرة ثلاثة أيام، وبلاد الجوُّ فسُمّيت باسم هذه الجارية، لكثرة ما أُضيف إليها، وقال: جوّ اليمامة فأوقفه أي التورّع بعض الناس في كلامٍ طويل، فأقعد القلّتين على وجه رجلين. وفي بعض النسخ: (على وجوه رجليه) أي قدميه.

١١ـ فصل احترام الشيوخ واجب

الاحترام: بمعنى الحُرمة بالضم وبضمتين، وكهُمَزة ما لا يحلُّ انتهاكه، والذمّة، والمهابة، والنصيب.

والحاصل: احترامُ الشيوخ عبارةً عن تعظيمهم، ولذلك قال: ومن احترامهم لا يلبسُ المريدُ ثيابَهم، ولا يقعدُ المريدُ في مكانهم، ولا ينكحُ المريد امرأةَ شيخه إن طلّقها الشيخُ أو مات عنها، ولا يردُّ المريدُ [في] وجوههم كلامًا، ويبادر أي يسرع لامتثالِ ما يقولونه، أي يأمرون المريد، ومن احترامهم تعظيمُ من عظّموه، أي من عظّم الشيوخُ فعظّمْ أنتَ من عظّمَه شيخُك، ومن تلمذ له إن قدّمه الشيخُ عليك، وإن كنتَ أعلمَ منه، فإنّ الشيخَ أعلمُ بالمصالح لك منك. والمصالح جُمع المصلحة، والمصلحةُ ضدُّ المفسدة، ولا يحجبنّكَ ما ترى من نقصه أي نقص من قدّمه الشيخُ عليك، عن تقديم الشيخ له وتقريبه.

١٢ ـ [فصل في المساجد]

فصل إذا رأيتَ[1]، المساجد فلا تأتها إلاّ طاهرًا بنيّة احترامها.

أي تعظيم المساجد ورفعها، وقدّم الرِّجلَ اليمنى في الدخول، وأخّرْها أي أخّرِ الرِّجل اليمنى في الخروج، واركعْ عند دخولك في المسجد ركعتين، وإن استطعتَ أن تكونَ أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ فافعل ذلك، وإذا سلّمتْ فسلّم على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض من ذلك المقام، يردُّ عليك منهم السلام، ولا تقلْ في ذلك المقام هُجرًا أي الهذيان، يعني قولاً

(١) في المطبوع (٢٩٣): إذا أتيت المساجد.

باطلاً، ولا تقلْ فيه فحشًا أي قولاً سوء، ولا تدخلْها أي المساجد للنومِ ولا للراحة، إنْ كان لك عوضٌ منه في مقابلتها للراحة، فإن اتّخذتَه بيتَك يعني إن لم يكن لك عوضٌ منه مقامًا للراحة واتّخذتَ المسجدَ بيتك، لا بأس[1]، أي: لا شدَّةَ ولا خوفَ ولا حرجَ عليك في النوم والاستراحة في المسجد.

١٣ـ فصل حرمة التوجه لغير القبلة

كما يحرمُ عليك في صلاتك التوجّهُ لغيرِ القبلة إذا عرفتها

أي القبلة، فإنْ فعلتَ أي توجّهتَ لغيرِ القبلة مع علمك بها بطلتْ صلاتك، كذلك يحرمُ عليك التوجُّهُ بقلبك لغيرِ الله من دارٍ وأهلٍ ودكّانٍ ومالٍ، وكما يحرمُ عليك في صلاتك أن تتلوَ أي تقرأ غيرَ كلامه تعالى، كذلك يحرمُ عليك أن تُناجي في قلبك غيرَه تعالى [٥٠٠] أو أن تشاهده أي أن تشاهدَ في قلبك غيره تعالى إلى أمثال هذا، فالزمِ الأدبَ، فإنه لا يقبلُ لك من صلاتك إلاّ ما عقلتَ.

١٤ـ فصل العاقلُ كلامُه وراء قلبه

الوراء: بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى قدّام، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] أي أمامهم، فإذا أرادَ العاقلُ أن يتكلَّمَ به أمرَه على قلبه، فينظر فيه، أي في كلامه، فإن كان ذلك الكلامُ له أي يدلُّ لنفعه أمضاه ذلك الكلام، وإن كان ذلك الكلام عليه، أي يدلُّ على ضره أمسكَ العاقلُ عن ذلك الكلام المضر عليه، كما يقال: أمسكَ عن الكلام: سكتَ.

والأحمقُ كلامُه على طرفِ لسانه وعقله في حجره: الحجر مثلثةُ المنعُ، كالحُجْران بالضم والكسر، وحضنُ الإنسان بالكسر: وهو ما دونَ الإبط إلى الكشح، أو الصدر والعضدان، وما بينهما، وجانبُ الشيء وناحيته، والإبطُ: ما تحتَ الجناح، والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والخاصرةُ الشاكلة، وما بين الحرقفة والقصيرى.

---

(١) في المطبوع (٢٩٣): فإن اتخذته بيتك، وليس لك سواه فلا بأس.

والحاصلُ: عقلُ الأحمقِ في حجره على فخذه، إذا قامَ الأحمقُ سقطَ عقلُه. روي عن أنس بن مالك[1] رضي الله عنه قال: مَنْ عَدَّ كلامَه من عمله قلَّ كلامُه.

يا بُني، التزمْ أربعةً:

أحدَها الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، أي حالَ كونك غائبًا عنهم.

والثاني: سلامة الصدر عمّا لا يليقُ به من الأفكار الفاسدة، والخيالات الباطلة.

والثالث: خدمة الفقراء مالاً أو بدنًا.

والرابع: كنْ مع كلِّ أحدٍ على نفسك. يعني: كنْ مع كلِّ أحدٍ على حمايته كما تكون على حماية نفسك، و(على) يجيء بمعنى (مع) للمصاحبة، لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧] فعلى هذا يكون معنى الكلام: كنْ مع كلِّ أحدٍ كما تكون مع نفسك في الخير.

١٥ـ فصل الورع رأس الدين

الورع: هو الاحترازُ عن كلِّ ما فيه شوبُ انحرافٍ شرعي، أو شبهةٌ مضرّةٌ معنوية في كلِّ ما تقوم به صورةُ الإنسان الحسّية والمعنوية بحكم النشأة الدنيوية. والورع يتضمّن القناعةَ التي هي صورةُ التقوى.

وورع الخاصة: الاحترازُ عن كلِّ داعيةٍ تدعو إلى شتاتِ الوقت والتعلّق بالتفرّق، وعارض يعارضُ حالَ الجمع.

وهو ـ أي الورع ـ من صفات المحققّين.

قال بعضُ الصوفية: ما رأيت عليَّ أسهلَ من الورع، كل ما حاكَ له ـ للورع ـ في نفسي شيءٌ تركته. إشارة إلى الزهد. حاكَ الثوب نسجَهَ، وحاك الشيءَ في صدره رسخ. قال في «القاموس»: حاك يَحيكُ حَيْكًا وحَيَكانًا محرّكَةً فهو حائِك وحَيَّاك، وهي حيَّاكة وحَيَكَى كجَمَزَى وحَيْكَانة بالفتح وبالكسر وبضم الحاء وفتح الياء تبخترَ واختال، أو حرّك مَنْكِبَيْه وجسدَه في مشيه، ويقال: حاك الرجلُ: إذا حرك منكبيه في المشي، وحاك القولُ في القلب:

---

(١) كذا، وفي المطبوع (٢٩٤): عن مالك بن أنس. والقول لعمر بن عبد العزيز ذكره الدارمي في سننه ١/ ٤٩ (٣١٣) وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٣ (١٩٧٩٥).

أخذ. والسيفُ أثّرَ، والشّفرةُ قطعتْ كأحاك فيهما.

يعني: كلُّ شيءٍ عارض للورع في نفسي تركتُ ذلك الشيءَ، وهو إشارةٌ إلى الزهد. وقد عرفتَ أنَّ الزهدَ عبارةٌ عن إسقاط الرغبة في الشيءِ بالكلّية. كما مرّ غير مرة.

الإرادة: تركُ الإرادة يعني إرادةُ المريد تجريدُهُ عن الإرادة، كما قال الشيخُ رضي الله عنه في تعريف المريد: المريدُ هو المتجرّدُ عن إرادته، وهو أعلى مقامات الإرادة، بل المريدُ لله تعالى حقيقةً إنّما هو من تجرّدَ عن إرادته [٥٠٠/ب] فإنْ لم يتجرَّدْ عن إرادته لا يُعدُّ مريدًا لله تعالى، بل مُريدًا لذلك المراد الذي لم يتجرَّدْ عنه، وقد سبق تفصيلُ الإرادات.

رؤيةُ التوكّل نقصُ التسليم. التوكّل: كلةُ الأمرِ كلّه إلى مالكه، والتعويل على وكالته، وهو من أصعب منازل العامة عليهم؛ لأنَّ حبَّهم لأنفسهم، وعدمَ خروجهم عن حظوظها وعن مطالبهم الدنيوية يمنعُهم من ترك الأسباب بالاعتماد على المسبِّبِ الحقّ، وهو ـ أعني التوكل ـ أوهى السبل عند الخاصة لعلمهم بأنَّ ملكةَ الحقِّ للأشياء ملكة عزّةٍ لا يشاركُهُ فيها مشارك ليكل شركتَهُ إليه، فإن من ضرورة العبودية أن يعلمَ بأنّ الله هو مالك الأشياء وحده ففيم يوكله عبده.

والتسليمُ: هو أن يكلَ العبدُ نفسَه إلى ربّه في جميع أحواله، لكن مع بقاء مزاحمةٍ من العقل والوهم، وبهذا يفرقُ بينه وبين التفويض، لأنّ التفويضَ هو كِلَةُ الأمور كلِّها قبل الوقوع وبعده إلى مُجريها، علمًا بأنه أعلم بمصالحنا وأرحمُ وأشفقُ علينا منَّا، وتلك الكِلَةُ إن كانتْ في مقابلةِ مزاحمةِ العقل والوهم فهي التسليمُ.

والحاصل: رؤيةُ التوكّل في نفسه نقصٌ لتسليمه، فيقتضي تركُ رؤية التوكّل حتّى يكملَ التسليم لأنّ التسليم غذاء التوحيد يعني بقاءُ التوحيد في القلب إنّما هو بالتسليمِ التامِّ، فإذا نقصَ التسليم بنقصِ التوكل لا يبقى التوحيدُ الحقيقيُّ في القلب. وقد عرفت مرارًا تفصيلَ التوحيد الآثاري، والأفعالي، والصفاتي، والذاتي.

السخيُّ من تسخّى بنفسِه على العلم السخيُّ صاحبُ السخاء، والسخاءُ عطاؤك قدر الحاجة للمُعطى إليه لا غير، وذلك في المال، فالسخاوةُ كنايةٌ عن بذل المال والنفس، فالسخيُّ حقيقةً هو الذي بذلَ نفسه لعلمِ العلاّم. وقد ورد في الأثر: من عرفَ نفسَه فقد عرفَ ربَّه[١].

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (١/ ٥٦).

والنفس هدية العبد إلى الله تعالى. الهدي ما يُهدى إلى الحرم من النَّعم، لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦] قرىء مخففًا ومشدَّدًا الوحدة هديَة وهديَّة مخففًا ومشدَّدًا، ويقال: ما أحسن هِديته بكسر الهاء وفتحها: أي سريرته، يعني: نفسُ العبد هديته إلى الله تعالى بإفنائها في ذاته تبارك وتعالى.

١٦ـ فصل [حال القوم]

١ـ من ظنَّ أنَّ طريقَ أربابِ العُلا قولٌ، فجهلٌ حائلٌ وتعذّرُ

يعني: من ظنَّ أنَّ طريقَ أرباب المقامات قولٌ مجرّدٌ عن الحال، فهذا الظنُّ هو جهل حائل، أي: حاجزٌ مانعٌ بينه وبين الطريق، وتعذّر، تعذّرَ عليه الأمرُ: تعسّر. وتعذّر أيضًا اعتذر، واحتجَّ لنفسه. وفي «القاموس»: تعذَّرَ تأخّر، وتعذَّرَ الأمرُ: لم يستقم. والرَّسْمُ دَرَسَ كاعتَذَرَ، وتلطَّخَ بالعَذِرةَ. واحتجَّ لنفسه وفرَّ. والمعنى ظاهر.

٢ـ إنَّ السبيل إلى الإله عنايةٌ منه بمن قد شاءه، وتعزّز

السبيلُ: هو أغلبُ وقوعًا في الخير. والسبيلُ من الطرق ما هو معتاد السلوك، والصراطُ من السبيل ما لا التواءَ فيه ولا اعوجاج، بل يكونُ على سبيل القصد فهو أخصُّ منها، والسبيلُ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] اسم جنسٍ لقوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩] ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أي الجهاد، وكلُّ ما أمرَ اللهُ به من الخير، واستعماله في الجهاد أكثر، والسبيلُ أيضًا الحجّة: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] [٥٠١] والمحجَّةُ: الطريقةُ الواضحة، وهي الجادَّةُ، لكونها غالبة على السابلة، ولهذا سُمّي صراطًا ولقمًا؛ فإنّها تسرطُ السابلة وتلتقمها. والسابلةُ أبناء السبيل المختلفة في الطرقات. كذا في «الكليات»[1].

والعناية: إرادةُ الحقِّ سبحانه، ويُسمّى متعلّقُها المراد، فمن تعلّقت بهدايته إرادةُ الحق أزلاً يسّرتْ أسبابه، وطُوي له الطريقُ، وحُمل على الجادَّةِ والمحجّة البيضاء، ووهبَ سرّ تدبير نفسه، وحُبِّبَ إليه كلُّ شيءٍ، ونعّم به، ولا يمقتُ إلاّ ما مقته الله تعالى أدبًا شرعيًا،

(١) الكليات ٣/ ٣٦.

فهذه حالة المراد، وهو المراد بالعناية، والتعزير: التوقير والتعظيم، وهو أيضًا التأديب، ومنه التعزير الذي هو الضرب دون الحدِّ، والتعزّر التعظم.

يعني: أنَّ طريقَ أرباب العلا ليس قولاً مجرّدًا عن الحال كما ذهبَ الجهّال، بل الطريقُ الموصلُ إلى الله تعالى هو عنايةٌ منه تعالى بمنْ شاءَ من عباده، وتأديبٌ وتعظيم به منه تعالى.

٣ـ لا يَـرتضـي بحقيقـةٍ ذو غـرَّةٍ إلاّ إذا ضـمَّ السنـابـلَ بيـدرُ

رضي به، وعليه، وعنه، بمعنىً، وهي كمالُ إرادة وجود شيءٍ، والمحبّةُ: إفراطه. والرضا أخصُّ من الإرادة، لأن رضا الله تعالى تركُ الاعتراض لا الإرادة كما قالت المعتزلة، والرضا قسمان:

قسمٌ يكون لكلِّ مكلّفٍ، وهو ما لا بدَّ منه في الإيمان، وحقيقتهُ قبولُ ما يردُ من قِبَلِ الله من غيرِ اعتراضٍ على حكمه وتقديره.

وقسمٌ لا يكونُ إلاّ لأرباب المقامات، وحقيقتهُ ابتهاجُ القلب وسرورُه بالمقضي، والرضا فوق التوكّل لأنّه المحبّةُ في الجملة. وقد سبق رضا العامة، والخاصة، والمحبة، ورضا الحق عن العبد، ورضا العبد عن الحق.

غرّ يغِرُّ بالكسر غَرارة بالفتح، والاسم الغِرّةُ بالكسر، والغِرة أيضًا الغفلة، والغارُّ بالتشديد الغافلُ، ورجل غِرٌّ بالكسر وغرير أي غير مجرِبٍ، وجاريةٌ غرّةٌ وغريرة وغرٌّ أيضًا بيّنَةُ الغَرارة بالفتح، وغرّه غرًّا وغرورًا وغِرَّةً بالكسر، فهو مغرور وغرير كأمير خدعَه وأطمعه بالباطل، فاغترّ هو.

والسُّنبلة واحد سنابل الزرع، وبرجٌ في السماء. والبيدر: بوزن خيبر: الموضعُ الذي يُداسُ فيه الطعام. وفي «القاموس» البيدرُ الكدس، وبيدرُ الطعامَ كومه، والبيدر موضعُه الذي يُداس فيه.

يعني: الغافلُ الذي هو صاحبُ غفلةٍ عن الحقيقة، لا يرتضي بحقيقةٍ إلاّ إذا ضمَّ السنابلَ بيدرُ، كنايةٌ عن الآخرة، لأنَّ الدُّنيا مزرعةُ الآخرة، كلُّ ما زرعَ في الدنيا من الأعمال يُداسُ في الآخرة، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر، فإذا رأى الحقيقة هناك يرتضيها، أي يُريدها، لكن لا تنفعه إرادتُه هناك؛ لأنّه ليس محلَّ تحصيل وتكميل.

٤ـ الحالُ يطلبُهُ بسرِّ مقامِهِ فمنِ ادّعاه فحالُهُ لكَ يشهرُ

وقد عرفتَ أنَّ الحالَ: عبارةٌ عمّا يردُ على القلبِ بمحضِ الموهبة من غير تعمُّلٍ واجتلاب، فإذا دام وصارَ ملكًا يُسمّى مقامًا.

وسرُّ الحال: ما يعرف من مراد الله تعالى فيها. وقيل: سرُّ الحالِ يُطلق بإزاء الحال، وهو ما تقعُ به الإشارة من الأشياء التي تكونُ مصونةً مكنونةً بين العبد وبين الحق.

والحاصلُ: الحالُ يطلبُه أي يقتضي لصاحبه أن يتحقَّقَ بسرِّ مقامه، فمن ادعاه أي ادعى [٥٠١/ب] المقام بغير تحقّق سرِّه، فحالُه أي حال ذلك المدعي لك يشهرُ أي يظهرُ لك ويوضح، لأنَّ الشهرةَ وضوحُ الأمر، تقول: شهرتُ الأمر من باب قطع، وشهره أيضًا فاشتهر، وشهرتُه أيضًا تشهيرًا، ولفلان فضيلةٌ[1] اشتهرها الناس.

٥ـ يتخيَّلُ المسكينُ أنَّ علومَها ما بينَ أوراقِ الكتابِ تُسطَّرُ

خالَ الشيءَ ظنَّه، وخُيِّلَ إليه أنه كذا على ما لم يُسمَّ فاعلُه من التخيّل والوهم، وتخيّل له أنّه كذا، وتخايل أي: تشبّه، يقال: تخيّله فتخيّلَ له، كما يقال: تصوّره فتصوّر له، وبيّنَهُ فتبيَّنَ له، وتحققَّهَ فتحقّق له.

يعني: يتخيل أي يتصور الظانُّ المسكين في خياله أنّ علومَ طريقِ أرباب المقامات العلا تُسطّرُ ما بين أوراق الكتاب، وهذا الظنُّ إنّما هو من خياله الباطل، والمسكين ويفتح ميمه: من لا شيءَ له، أو ما له ما يكفيه، وأسكنه الفقرُ: قلَّلَ حركتَه، والذليل الضعيف، والجمع مساكين ومسكينون، وعلى هذا يكون بمعنى الفقيرِ الضعيفِ.

٦ـ هيهات بل ما أَودعوا في كُتبِهِمْ إلاّ يسيرًا من أُمورٍ تعسرُ

هيهات: اسم فعل، وتستعمل مكررًا، وأصلُها هيهيه من المضاعف، يقال: هيهات ما قلت، ولما قلت، ولك وأنت، وهي موضوعةٌ لاستبعاد الشيءِ واليأس منه، والمتكلّمُ بها يخبرُ عن اعتقادِ استبعاد ذلك الشيء الذي يخبر عن بعده، فكان بمنزلة قوله: بَعُدَ جدًّا، وما أبعده! لا على أن يعلم المخاطب ذلك الشيء في البعد، وكان فيه زيادة، وإن كان تفسيره به.

---

(١) في الأصل: قضية اشتهر الناس. والمثبت من مختار الصحاح.

والوديعةُ: واحدةُ الودائع، يقال أودعَهُ مالاً، أي دفعه إليه يكون وديعةً عنده، وأودعه أيضًا قبلَه منه وديعةً. واليسير: القليلُ. وتعسّر عليَّ الأمرُ، وتَعاسر واستعسرَ اشتدَّ والتوى.

يعني: تخيّل الظانّ المسكين أنَّ علومَ أهل الطريق تسطّرَ ما بين أوراق الكتب، هذا أمرٌ بعيدٌ، بل ما أودعوا ـ أي أرباب الطريق ـ في كتبهم من الأسرار إلاّ يسيرًا، أي قليلاً من أمورٍ تعسّر، أي: اشتدّ الحاجة في تسطيرها، فكيفَ تتحقّق الأسرار من كتبهم؟!.

٧ـ لا تقرأُ الأقوامُ غيرَ نفوسهم في حالِهِمْ مع ربِّهم هل تُحصرُ

يعني: لا تقرأُ الأقوامُ أربابُ المقامات العُلا غيرَ كتب نفوسهم في أحوالهم مع ربّهم، هل تُحصُر؟ أي: لا تُحصر، ولا يُحاط بتلك الأحوال والأسرار. كما مرّ في الفلك القلبي، والفلك اليميني، في باب الجزئي، فهو بابُ حكم التجلّي وأسرار التجليات، وما أبدع في ظنيها من المعارف القدسية، والمعالم الربانية المتعلّقة بالحضرة الإلهية، وهي التي لا تتناهى لكونها غيرَ حاصلةٍ في الوجود، لأنَّ ذلك الحكمَ للأسرار والمعارف والمعالم راجعٌ إلى فهمك، وإلى ما يوجده الحقُّ فيك عند مشاهدتك إيَّاها، أي الأسرار والمعارف والمعالم لا يرجع إلى ذواتها، أي: ذوات الأسرار والمعارف، فغايتُها أي غاية الأسرار والمعارفِ والمعالم المشهودة السببيةُ في تحصيل الأسرار التي تدلُّ عليه أي على الحكم عندك، فهي أي الأسرار حروفٌ وألفاظٌ جاءتْ لمعانٍ يُوجدها ـ أي تلك المعاني ـ الحقُّ فيك، أي في فهمك مقترنةً بشهودها أي الحروف والألفاظ، ولا يكون فتحُ ذلك الباب إلاّ على قدرِ ما يُريدُهُ الوهاب أن يُفتحَ منها على ما يشاء من عباده، لكنّه في المزيد على الدوام، فمقاماتُ العوالم محصورةٌ، ومعالمها وأسرارها غيرُ [٥٠٢] محصورةٍ، لا يُحاط بها، فكيف يُمكن درجُها في الكتب؟.

٨ ـ فترى الدخيلَ يقيس فيه برأيه ليُقالَ هـذا منهُـمْ فيكبَّـرُ

قال في «القاموس»: الدَّخَلُ محرَّكَةً ما داخلَكَ من فسدٍ في عقلٍ وجسم، وقد دخل كفرح وعنى، دَخْلاً ودَخَلاً، والمكرُ والخديعةُ والعيب، ودخل أمرُه كفرح فسدَ داخله، وهو دخيلٌ فيهم أي من غيرهم، ويدخلُ فيهم، والدَّخيلُ كلُّ كلمةٍ أُدخلتْ في كلام العرب، وليست منه.

والقياس: عبارةٌ عن التقدير، ويُستعمل في التشبيه، والحدُّ المعتمد هو إبانةُ مثل حكم

أحد المذكورين بمثل علّةٍ[1] في الآخر، وهو عمل بغالب الرأي وأكبر الظن.

والرأيُ اعتقادُ النفس أحدَ النّقيضيْنِ من غلبةِ الظنّ. وقيل: الرأيُ إجالةُ الخاطر في المقدّمات التي يُرجى منها إنتاجُ المطلوب. وقد يقال للقضية المُستنتجة من الرأي: رأي، ويُقال لكلِّ قضيةٍ فرَضَها فارضٌ: رأي أيضًا.

يعني: ترى المُفسدَ المقلّد الدخيلَ فيهم، وليس منهم، أنّه يقيس في حال أرباب الطريقة برأيه ليُقال هذا الدَّخيلُ منهم، أي من أهل الطريق، فيكبّر أي يعظّم بين الناس.

٩ـ وتناقضَتْ أقوالُهُ إذ لم تكُنْ عن حالِهِ فيما تقدّم يخبرُ

يعني: تناقضتْ أقوالُ الدخيل، والتناقضُ: هو اختلافُ الجملتَيْنِ بالنفي والإثبات اختلافًا يلزمُ منه لذاته كون أَحدهما صادقةً والأخرى كاذبة، كقولنا زيد إنسان زيد ليس بإنسان.

والحاصلُ: تناقضتْ أقوالُ الدخيل إذ لم تكنْ أقوالُه من حاله فيما تقدّم من أقوالِ القوم يخبر.

١٠ـ علمُ الطريقةِ لا يُنالُ براحةٍ ومقايسٍ فاجهدْ لعلّكَ تظفرُ

نال خيرًا ينالُ نيلاً: أصابَ، والرَّوح بالفتح من الاستراحة، وكذا الرَّاحة. ومقايس: جمع مقيس ومقياس، وهو آلةُ القياس. والجهد بفتح الجيم وضمها: الطاقةُ. والجَهد بالفتح المشقّة، يقال: جَهدَ دابّتَهُ وأجهدَها: إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهدَ الرجلُ في كذا: أي جهدَ فيه وبالغَ، وبابُهما: قطع. والظفرُ: الفوز، وهو النجاةُ، يعني: علمُ الطريقة لا يصيب لأحدٍ باستراحةِ النفس، وقياس الرأي أن تريدَه فاجهدْ أي بالغ في مجاهدة النفس بحملها على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كلِّ حالٍ، لعلّك تظفر أي تفوز، فتكون من الفائزين.

١١ـ عزَّتْ علومُ القومِ عن إدراك من لا تَعتريه صَبابَةٌ وتَحيُّرُ

عزّت: أي غلبت وتَعالت. علومُ القوم أي أهل الطريقة عن إدراك أي إحاطة من لا تعتريه: لا تحيط به، كما تقول: عراني هذا الأمر، واعتراني، إذ غشيَكَ صبابة، وهي رقّةُ

---

(١) في الأصل: علية، والمثبت من الكليات ٤/ ٢٤.

الشوق وحرارته، وتحيّر: عطفٌ على (صبابة) والتحيُّرُ والحيرة: هي حالةٌ تردُ على القلب بعد الغموص في التأمّل، فيحجبه عن التفكر والتأمل، وقد تردُ بعد تواصلِ الفيوض في التوجّه إلى الفائضات من الحقائق والمعارف. وقد سبقَ تفصيلُهما غير مرة.

١٢ـ وتنفّسٌ مما يحنُّ وأنّةٌ   وهوىً يزيدُ وعبرةٌ لا تفترُ

التنفّس: يجيء بمعنى التبلّج والتصدّع والتموّج، كما يقال: تنفَّسَ الصُّبح إذا تبلّج، وتنفّس القوسُ إذا تصدّعت، وتنفّس البحر تموّج. والحنينُ: الشوق، وشدَّةُ البكاء، والطربُ عن حزنٍ أو فرح، يقال: حنَّ يحنُّ حنينًا، بمعنى استطرب. والأنينُ: التأوُّه، يقال: أَنَّ يئنُّ أنًّا وأنينًا. وهوى: بمعنى المحبة، يقال: هوى من باب صدى، هوىً [٥٠٢/ب] أي أحبَّ. والعِبْرةُ بالكسر: الاسمُ من الاعتبار، وبالفتح تحلّبُ الدمع عبر الرجلِ والمرأة والعين، من باب طرب، أي جرى دمعُهُ. والفترة: الانكسارُ والضعف، وقد فتر الحرُّ وغيرُه من باب دخل، عطفٌ على ما قبله.

يعني: غلبتْ وتعالتْ علومُ القوم عن إدراكِ من لا تعتريه صبابةٌ وتحيّرٌ وتنفُّسٌ وأنّةٌ وهوى وعبرة لا تفتر.

١٣ـ وتَـدَلُّـهٌ وتـولُّـهٌ فـي غيبـةٍ   وتلـذُّذٌ بمشـاهـدٍ لا تظهـرُ

عطفٌ على ما قبله. التدلّية: ذهابُ العقلُ من الهوى، يُقال: دلهه الحبُّ تدليهًا أي حيّره وأدهشه، ودله من باب طرب، والتدلُّهُ تكلُّف التدلية، والوله: ذهابُ العقل والتحيُّرُ من شدّةِ الوجد، وقَدْ ولِهَ بالكسر يوله ولهًا وولَهانًا أيضًا بفتح اللام، وتولّه وأَتْلَه بمعنىً. واللذَّةُ: إدراكُ الملائم من حيث أنّه ملائمٌ، كطعم الحلوة عند خاصة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجوّ عند القوة الوهمية، والأمور الماضية عند القوة الحافظة تتلذَّذُ بذكرِها. والمشاهدُ: جمع مشهد، لا تظهرُ صفتُها: يعني لا يُدركُ علومَ القوم من لا يعتريه صبابةٌ وتحيّرٌ وتدلّه وتولّه في غيبة، وتلذّذ بمشاهد لا تظهر.

١٤ـ وتقبُّضٌ عند الشهود وغيرةٌ   إنْ قامَ شخصٌ بالشَّريعةِ يَسخرُ

عطفٌ على ما قبله، والمتقبّضُ: الأسدُ المستعدُّ للوثوب، وتقبّض عنه اشمأَزَّ، وإليه وثبَ. والغيرةُ في الخلق: هي الغيرةُ التي تكون لتعدّي الحدود، وهو المشارُ إليها بقوله عليه

السلام: «إنَّ سعدًا لغيور، وإنَّ محمّدًا لأغير من سعد، وإنَّ ربَّ محمّدٍ لأغير من محمد ﷺ»[١] . وسخر منه، وبه كفرح سَخرًا وسُخرًا وسُخرةً ومَسْخرًا وسَخرًا وسُخرًا، هزىء كاستسخر، والاسم السُّخرية والسُّخري.

يعني: تقبّض غيرةً عند شهودِ من قامَ يسخرُ بالشريعة المطهَّرةِ، فيثبُ ويحملُ عليه ويقهره.

١٥ـ وتخشُّــعٌ وتفجُّــعٌ وتســرُّعٌ بتشـــــرُّعٍ للهِ لا يتغيَّـــــرُ

الخشوع: الخضوعُ، أو قريبٌ من الخضوع، أو هو في البدن، والخشوعُ في الصوتِ والبصرِ، والسكون والتذلُّل. وتخشّعَ: تضرَّع، وفجعه كمنعه أوجعه كفجعه، والفجعُ أن يُوجعَ الإنسانُ بشيءٍ يُكرم عليه، فيعدمه، وتفجَّع توجَّع للمصيبة. وتسرّع إلى الشيءِ: عجلَ، والشريعةُ: ما شرع الله تعالى لعباده، والظاهر المستقيمُ من المذاهب، والتشرُّعُ: التكلّفُ في إجراء أحكام الشريعة.

يعني: تخشّع وتفجّع وتعجّل بتشرّع شرعِ الله تعالى، لا يتغيّرُ أبدًا.

١٦ـ هذا مقامُ القومِ أو حالاتُهم ليسوا كَمَنْ قالَ الشريعةُ مزجرُ

يعني اعتراء الصبابة والتحيُّرُ والتنفّس والأنَّةُ والمحبة والعبرةُ والتدلّهُ والتولّه والتلذُّذ بمشاهد، والتقبّضُ والغيرة عند شهوده من قام يسخرُ بالشريعة، والتخشّع والتفجّع والتسرّع بتشرّع شرع الله تعالى: هذا مقامُ القومِ ـ أي أهل الطريق ـ أو حالاتهم، ليسوا مثل من قال: الشريعة مزجر، نعوذُ بالله من ذلك. زجرَهُ مَنَعَهُ ونهاه، والزجرُ العيافةُ والتكهُّنُ، عاف الطعامَ والشرابَ وغيرَهما يَعافه ويعيفه عيفًا وعيفانًا محرّكَةً، وعِيافة وعِيافًا بكسرهما: كرهه، وعفتُ الطيرَ عيافةً: زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها[٢]، فتسعد أو تتشأَمَ، أو العائفُ المتكهّنُ، وكَهَنَ له [٥٠٣] كجعل ونصر وكرم كَهانةً بالفتح، وتكهَّنَ تكهُّنًا وتكهينًا: قضى له بالغيب، فهو كاهن.

١٧ـ ثم ادّعى أنَّ الحقيقةَ خالفتْ ما الشرعُ جاءَ به ولكنْ يستُرُ

يعني: من قال: إن الشريعة مزجرٌ ادّعى أنَّ الحقيقةَ مخالفةٌ لما جاء به الشرع، ولكن

(١) تقدّم الحديث وتخريجه صفحة (٣/ ٢٣٤).

(٢) قال شارح القاموس: كذا في النسخ (أنوائها). والصواب: وأصواتها.

يستر، نعوذُ بالله من ذلك، بل الحقيقةُ والشريعةُ كالروح والبدن، فمن ليس له الشريعة لا يتصوّر له الحقيقة، لاستحالة ظهور الروح بلا بدن.

١٨ـ تبًّا لها من قالةٍ مِنْ جاحِدٍ ويلٌ لـه يـومَ الجحيـم تسعَّـرُ

التبابُ: الخسران والهلاك، وتبًّا له منصوبٌ على المصدر بإضمار فعلٍ، أي ألزمَهُ اللهُ هلاكًا وخسرانًا، والضميرُ في (لها) عائدٌ إلى الحقيقة التي تخالفُ الشرع (من قالةٍ) أي من قال: إنّ الحقيقة خالفتْ ما جاء به الشرع (من جاحدٍ) بيانٌ لـ: (من قالةٍ) من منكر، وويل له لذلك المنكر يوم تسعّر الجحيم، أي توقد نارُ الجحيم، كما يقال: سعر النار والحرب: كمنع، أوقدَها، كسعر وأسعر، والويلُ حلولُ الشرِّ، وبهاءِ الفضيحةُ، أو هو تفجيع، يقال: ويله، وويلك وويلي، وفي الندبة: ويلاه، وويله، وويلٌ له أكثر من ذكر الويل، وويلاً له منوَّنةً مثلَّثةً، وويلٌ: كلمةُ عذاب، ووادٍ في جهنم، أو بئرٌ، أو باب لها.

مضمون البيت: إيعادٌ لمن قال: إنَّ الحقيقةَ مخالفةٌ للشريعة.

١٩ـ أوَ مَنْ يُشَاهَدُ في المساجِدِ مُطرقًا ليُقَـالَ هـذا عـابـدٌ يتفكَّـرُ

عطف على (من قالةٍ) أي تبًّا لمن يُشاهد ـ على البناء للمفعول ـ في المساجد مُطرقًا، يُقال: أطرقَ: سكتَ، ولم يتكلّمْ، وأرخى عينيه ينظرُ إلى الأرض، ليُقالَ في حقِّه: هذا المطرقُ عابدٌ متفكّر في آلاء الله تعالى وكمال قدرته، وهو مراءٍ.

٢٠ـ هـذا امـرؤٌ لا يستلـذُّ بـراحـةٍ فـي نفسِـه إلاّ سـويعـةَ يُنْظَـرُ

المشار إليه مَنْ يُشاهدَ في المساجد مُطرقًا مرائيًا هذا امرؤٌ: أي رجلٌ لا يستلذُّ براحةٍ في نفسه إلاّ سُويعة ـ تصغير ساعة ـ يُنظر إليه على البناء للمفعول.

٢١ـ لكنّـه مـن ذاك أَسعـدُ حـالـةً ولـه النَّعيـمُ إذا الجهـولُ يقطّـرُ

أي: لكنَّ هذا المطرقَ المرائي أَسعدُ حالةً من ذاك المدّعي أنَّ الحقيقةَ خالفتْ ما جاء به الشرع، لأنَّه أَهلُ النار، وله أي لذلك المطرق المرائي النعيم، إذا الجهولُ أي الجاهلُ المدّعي أنّ الحقيقةَ مخالفةٌ للشريعة يقطر. قطر الماء وغيره من باب نصر، وقطره غيره، يتعدّى ويلزم، وقطَرانُ الماء بفتح الطاء، وقطِران بكسرها الذي هو الهِياء بكسر الهاء، وقطرَ

البعيرَ طلاه بالقَطران، والقِطر بوزن الفطر: النحاس، ومنه قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

يعني: إذا الجهولُ المدّعي أنّ الحقيقةَ مخالفةٌ للشريعة، وتسربل بسربال بقميص من قطران.

مواقع النجوم الفرقانية

ختمنا بها الكتابَ الموسوم بـ: «مواقع النجوم» تبرّكًا وتيمُّنًا. تبرّكَ به أي تيمّنَ به، وتيمَّنَ تنسّب إلى اليُمن، واليُمن: البركة، وتيمَّنَ به: أي تبرّك بكلامِ الحقِّ جلَّ جلاله وصيةً لعباده تعالى في مُحكم تنزيله.

الوصية: تمليكٌ مضافٌ إلى ما بعد الموت. وقال في «القاموس»: أوْصاه ووصَّاه توصيةً عهد إليه، والاسمُ الوَصاةُ والوصايةُ، والوصيّةُ، وهو المُوْصَى به أيضًا، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١١] أي يفرضُ عليكم، وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ [الذاريات: ٥٣] أي أوصى به أوّلُهم آخرَهم [٥٠٣/ب].

فاسعَ يا بُنيّ جهدَكِ. الجهد بالضم والفتح: الطاقةُ، وبالفتح المشقّةُ.

يعني: يا بُنيّ، اسعَ مقدارَ طاقتك ووسعك في الوقوفِ عندما أوصاك بها الحقُّ سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن تقفَ عندما أوصاك بها الحقُّ سبحانه في كتابه تكنْ من السُّعداء جمع سعيد في الدَّارَيْنِ أي الدنيا والآخرة.

كما قال الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء [٢٣-٢٤]: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي أمَرَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ألاّ تُوحّدوا إلاّ بالله ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ برًّا بهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ أحد الأبوين ﴿أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ كلامًا رديًا ولا بعدًا لهما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ولا تغلظ لهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ليّنًا حسنًا ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ ليّن جنانك لهما ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ كن رحيمًا عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ إن كانا مسلمين ﴿كَمَا رَبَّيَانِى﴾ عالجاني ﴿صَغِيرًا﴾ في الصغر.

وقال فيها [الإسراء: ٢٦]: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذي القربة ﴿حَقَّهُۥ﴾ يقول: أمر بصلة القرابة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ أمرٌ بالإحسان إلى المساكين ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أمرٌ بإكرام الضيف النازل بك،

حقُّه ثلاثةُ أيام ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ لا تنفقْ مالَكَ في غير حقّ الله ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾.

وقال فيها [الإسراء: ٢٩]: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يقول: لا تمسكْ يدَكَ عن النفقةِ والعطية بمنزلةِ المغلولةِ يده إلى عنقه ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في النفقة والعطية ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ في السرف. يقول: لا تعطِ جميعَ ما هو لك لمسكينٍ واحد، وقرابةٍ واحدة، وتتركُ الآخرين ﴿فَتَقْعُدَ﴾ فتبقى ﴿مَلُومًا﴾ يلومك الناس. يعني: الفقراء والقرابة ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعًا عن القرابة والمساكين، ذاهبًا الذي لك من المنال.

ويُقال: نزلت هذه الآية في امرأةٍ استكستْ قميصَ النبيِّ عليه السلام، فأعطاها النبيُّ عليه السلام قميصَه، وجلس عاريًا، فنهاه اللهُ عن ذلك.

وقال فيها [الإسراء: ٣١]: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في خزاعة، كانوا يدفنون بناتهم أحياءً، فنهاهم اللهُ عن ذلك ﴿خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ﴾ مخافةَ الذلّ والفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ يعني أولادهم ﴿وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ ذنبًا عظيمًا في العقوبة.

وقال فيها [الإسراء: ٣٢]: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ﴾ سرًّا وعلانية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ معصية ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ بئس مسلكًا.

وقال فيها [الإسراء: ٣٣]: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾ المؤمنة ﴿ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ بالرجم والقود والارتداد ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بالتعمّد ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ تولى المقتول سلطانًا عذرًا وحجة على القاتل، إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذه بالدية.

وقال فيها [الإسراء: ٣٤]: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالأرباح والحفظ ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ﴾ خمس عشرة سنة.

وقال فيها [الإسراء: ٣٤ـ ٣٥]: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ﴾ أتموا العهد بالله فيما بينكم وبين الله ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ﴾ ناقض العهد ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ عن نقضه يوم القيامة ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموا الكيل ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ﴾ بميزان العدل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوفاء بالكيل والوزن والعهد ﴿خَيْرٌ﴾ من النقض والبخس ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة.

وقال فيها [الإسراء: ٣٦ـ ٣٩]: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تقل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ فتقول: علمتُ ولم تعلم [٥٠٤] ورأيت ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع. ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ﴾ ما تسمعون ﴿وَٱلْبَصَرَ﴾

ما تبصرون ﴿وَٱلْفُؤَادَ﴾ ما تتمنون ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ عن ذلك ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ بالتكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن تجاوز الأرض بخيلائك ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ ولا تحاذي الجبال ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ كل ما نهيتك ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ سيء ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَٰلِكَ﴾ الذي أمرتك ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أمرك ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ في القرآن ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ ولا تقل ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ﴾ فتطرح ﴿فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلومك نفسك ﴿مَّدْحُورًا﴾ مفضيًا من كلِّ خير.

وقال تعالى في سورة الصاد [٢٦]: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نبيًا ملكًا على بني إسرائيل ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن طاعة الله.

وقال تعالى في سورة القصص [٧٦ـ ٧٧]: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر بالمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ البطرين بالمال ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعني الجنة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ لا تترك نصيبك من الآخرة بنصيبك من الدنيا، ويقال: لا تنقصْ نصيبَكَ من الدنيا بما أنفقتَ وأعطيتَ للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى الفقراء والمساكين ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بالمال ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا تعمل بالمعاصي، وخلافِ أمرِ الرسول موسى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ البطرين المفسدين بالمعاصي.

وقال تعالى في سورة هود [٨٥]: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتموا الكيل والوزن ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تعملوا في الأرض بالفساد بعبادة الأوثان، ودعاء الناس إليها، ويخس الكيل والوزن.

وقال تعالى في سورة لقمان [١٨ـ ١٩]: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تعرض وجهَكَ عن الناس تكبُّرًا وتعظيمًا عليهم، ويقال: لا تحقرْ فقراء المسلمين ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ بالتكبر والخيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ بنعم الله ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ تواضع في مشيك ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ اخفض صوتك، ولا تكنْ سليطًا ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ يقول: أقبحُ وأشرُّ الأصوات ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

وقال تعالى في سورة الأنعام [١٥٣]: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ يعني الإسلام ﴿صِرَٰطِى﴾ ديني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ قائمًا أرضاه ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني: اليهودية والنصرانية والمجوسية

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عن دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم به في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا السبل.

وقال تعالى في سورة العنكبوت [٤٦]: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لا تخاصموا اليهود والنصارى ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ يعني بالقرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ من وفد بني نجران بالملاعنة ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون له بالعبادة والتوحيد مقرّون به.

وقال تعالى في سورة البقرة [٨٣]: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ﴾ في شأن محمد ﷺ ﴿حُسْنًا﴾ صدقًا ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتموا الصلوات [٥٠٤/ب] الخمس ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوا زكاة أموالكم.

وقال تعالى في سورة لقمان [١٧]: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقال الصبر ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ من حزم الأمور وخير الأمور.

وقال تعالى في سورة النساء [١٠٧]: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ﴾ لا تخاصم ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالسرقة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ خائنًا بالسرقة ﴿أَثِيمًا﴾ فاجرًا بالحلفِ الكذب، والبُهتان على البريء.

وقال تعالى في سورة الكهف [٢٨ـ ٢٩]: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسْ نفسَك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ غدوةً وعشيةَ سلمان وأصحابه ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يريدون وجهَ الله ورضاه ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجاوز عيناك عنهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تريد زينة الدنيا ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ عن توحيدنا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في عبادة الأصنام ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ قوله ﴿فُرُطًا﴾ ضائعًا ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ﴾ لا إله إلا الله ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وهذا وعيدٌ من الله، ويقال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ يقول: من شاء اللهُ له الإيمان آمن ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ من شاء الله له الكفر كفر.

وقال تعالى في سورة الزمر [١٤]: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ مخلصًا له بالعبادة والتوحيد.

وقال تعالى في سورة الصاد [٨٦]: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد والقرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ من جعلٍ ورزقٍ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المختلفين من تلقاء نفسي.

.وقال تعالى في سورة الأعراف [١٩٩]: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ يقال: خذِ العفوَ: اعف عمن ظلمك، وأعطِ من حرمك، وصلْ من قطعك ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ بالمعروف والإحسان ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ عن أبي جهل وأصحابه المستهزئين، ثم نُسِخَ الإعراض.

وقال تعالى في سورة الزمر [٥٤]: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ ﴾ أقبلوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ بالتوبة من الكفر ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ آمنوا بالله ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذاب الله، واعبدوا الله واتقوه.

وقال تعالى في سورة الحج [٧٨]: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ اعملوا لله حق عمله.

وقال تعالى في سورة آل عمران [١٠٣]: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ تمسكوا بدين الله وكتابه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ في الدين ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ منّةَ الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ في الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ بدينه الإسلام ﴿إِخْوَٰنًا﴾ في الدين ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ على طرف هوة من النار، يعني: الشطّ ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ فأنجاكم منها بالإيمان ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ هكذا ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أمره ونهيه ومنّته ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقال تعالى فيها [آل عمران: ١٣٣]: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وبادروا بالتوبة من الرِّبا وسائر الذنوب إلى تجاوزٍ من ربكم ﴿ وَجَنَّةٍ ﴾ وإلى جنةٍ بعملٍ صالحٍ، وترك الربا ﴿ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لو وصِلَ بعضُها إلى بعض ﴿ أُعِدَّتْ﴾ خُلقتْ ﴿ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الذين لم يقربوا][1] الكفر والشرك والفواحش وأكل الربا.

وقال تعالى فيها [آل عمران: ١٣٠]: ﴿ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا ﴾ [٥٠٥] على الدرهم ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ في الأجل ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اخشوا الله في أكل الربا ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تنجو من السخطة والعذاب.

وقال تعالى في سورة الأنعام [١٤٢]: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بتحريم الحرث والأنعام ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة يأمرُكم بتحريم الحرثِ والأنعام.

---

(١) زيادة يقتضيها النص.

وقال تعالى في سورة الحشر [١٩]: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ يا معشر المؤمنين في المعصية ﴿كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعة الله في السرّ والعلانية، وهم اليهود ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ خذلهم الله حتى تركوا أن يعملوا لله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكافرون بالله في السرّ، يعني المنافقين، وإن فسّرتَ على اليهود تقول: هم الكافرون في السرّ والعلانية.

وقال تعالى في سورة بني إسرائيل [الإسراء: ٧٢]: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ﴾ النعيم ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الشكر ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ﴾ في نعيم الجنة ﴿أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ طريقًا.

ويقال: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الحجّة والبيان، فهو في الآخرة أشدُّ عمىً، وأضلُّ سبيلاً عن الحجة.

وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمًى عن رؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً.

وقال تعالى في سورة النجم [٣٢]: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تبرِّئوا أنفسكم من الذنوب ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ من المعصية وأصلح.

وقال تعالى في سورة النساء [٣٦]: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحّدوا الله ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ من الأوثان ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًّا بهما ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أمرٌ بصلة القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أمرٌ بالإحسان إلى اليتامى وحفظ أموالهم وغير ذلك ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ حثٌّ على صدقة المساكين ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ جارٌ بينك وبينه قرابة له ثلاثة حقوق: حقُّ القرابة، وحقُّ الإسلام، وحقُّ الجوار ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الجار الأجنبي من قومٍ آخرين له حقان: حقُّ الإسلام، وحقُّ الجوار ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ المرأة في البيت أمرٌ بالإحسان إليها ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أمرٌ بإكرام الضيف، وللضيف ثلاثةُ أيام حقٌّ، وما فوق ذلك فهو صدقةٌ ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أمرٌ بالإحسان إلى الخدم من العبيد والإماء.

وقال تعالى فيها [النساء: ١٣٥]: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ يقول: كونوا قوّالين لله بالعدل في الشهادة ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ في الرحم.

وقال تعالى في سورة الأنفال [٤٧]: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في المعصية ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ مكة ﴿بَطَرًا﴾ أشرًا ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ سمعةَ الناس ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الخروج على النبيّ ﷺ والحرب ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم.

وقال تعالى في سورة النساء [٥]: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ لا تعطوا الجهّال بموضع الحقّ من النساء والأولاد ﴿أموالكم ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ معاشًا ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾ وكونوا أنتم القوّامَ على ذلك، فإنكم أعلم منهم في الصدقة.

وقال تبارك وتعالى فيها [النساء: ١٣١]: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ أعطوا ﴿ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [٥٠٥/ب] يعني أهل التوراة في التوراة، وأهل الإنجيل في الإنجيل، وأهل كلِّ كتابٍ في كتابهم ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أمّةَ محمّدٍ عليه السلام في كتابكم ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أطيعوا الله.

إلى أمثال هذه الآيات الواقعة في القرآن التي أوصى الله تعالى بها عباده، وأوضحَ لهم بها السبيل الموصل إليه.

* * *

[الخاتمة]

قال العبد الفقير إلى رحمة ربه [القدير] أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ابن العربي الحاتمي الطائي رضي الله عنه انتهى الإلقاء الإلهي، والإلهام الرباني الروحاني. وقد سبق تفصيلُ الإلقاء والإلهام غير مرة وقد علمَ كلُّ قلبٍ مشربَهُ، وأخذَ كلُّ سرٍّ مطلبَهُ من تلك الإلقاءات والإلهامات ووصلتِ الأعضاءُ الثمانية المذكورة مفصّلة بالإنضاء يقال: أنضاه هزلَهُ، وأعطاه نضوًا أي مهزولاً، والثوبَ أبلاه كانتضاه إلى حضرة التقرّبِ والارتضاء من غير تناه ولا انقضاء أي ولا انتهاء وصلّى اللهُ على السيّدِ الطاهرِ المعصوم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الدرة البيضاء وهو العقلُ الأول مُوصلنا إلى نيلِ هذه المقامات العلية القدسية المذكورة في الكتاب وغيرها بالتسليمِ والتفويض لموارد القضاء. وقد سبق تفصيلُ التسليم والتفويض.

والحمدُ لله ربِّ العالمين ولا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

* * *

وقال رضي الله عنه في «الفتوحات المكية»(١): إنَّ هذا الكتاب الموسوم بـ: «مواقع النجوم» قيّده في أحد عشر يومًا في رمضان بالمرية لسنةِ خمسٍ وتسعين وخمسمئة. يُغني عن الأستاذ، بل الأستاذُ محتاجٌ إليه؛ فإنَّ الأستاذين فيهم العالي والأعلى، وهذا الكتابُ على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه، وليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبّدنا فيها، فمن حصلَ لديه فليعتمدْ بتوفيق الله عليه؛ فإنّه عظيمُ المنفعة، وما جعلني أن أُعرِّفَكَ بمنزلته إلاّ أني رأيتُ الحقَّ تعالى في النوم مرّتين، وهو يقول لي: انصح عبادي. وهذا من أكبرِ نصيحةٍ نصحتك فيها، واللهُ الموفّقُ، وبيده الهداية، وليس لنا من الأمرِ شيءٌ، وصلّى الله على سيّدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

تمت

* * *

(١) الفتوحات المكية: ١/ ٣٣٤.

١ـ أحمـــدُ اللهَ علـــى تـــوفيقـــه   تـــم تـــسـويـدُ طَـوالـعِ العلـومْ
٢ـ طـالعًـا قـد أَشـرقَـتْ أنـوارُهُ   مِـنْ مطـالـعِ مـواقـعِ النجـومْ
٣ـ لـم أكـن أهـلاً لشـرحٍ إنّمـا   نلـتُ بـالعـونِ لمـا كنـتُ أرومْ
٤ـ إذا مـدّنـي مـؤلـفُ الكتـابِ   من لساني قد جرى الفيضُ اللزومْ
٥ـ وكـلُّ مـا قلـتُ بـإلهـامِ العليـم   فيضُ علمٍ في الخصوص والعُمومْ
٦ـ وهـو فـي كـلِّ مقـامٍ منتهـى   بـل لأنـوارٍ وأسـرارٍ تخـومْ[(١)]
٧ـ إنّهـا أصـلٌ لأحكـامِ الطـريـق   واردًا حـالاً مقـامًـا مـن يقـومْ
٨ ـ وهو يُغني[(٢)] السالكين مُرشدًا   بـالفنـاء والبقـاءِ إذ تـدومْ
٩ـ بـالـغٌ فـي حـدِّ إعجـازِ الكـلام   هل تداني حولها يا مَنْ يَحومْ[(٣)]
١٠ـ لا أظـنُّ حلَّهـا فـي العصـرِ مـن   غيـرِ إمـدادِ بـأسـرارِ العلـومْ
١١ـ قلـتُ مـا قلـتُ بـإمـدادِ الحكيـم   فيـه قـد عجـزتْ عنـه الفهـومْ
١٢ـ إنْ سهوتُ فيه عن بعضِ الرُّموز   فهـو مـن تغليـطِ ذهنـي بـالـرُّقـومْ
١٣ـ مـن رأى سهـوًا وتقصيـري هنـا   فليصحِّـحْ مـن قـوانيـن الـرُّسـومْ
١٤ـ منَّـةً لطفًـا لعبـدٍ عـاجـزٍ   ليسَ فـي استعـدادِهِ هـذا الهُجـومْ
١٥ـ فليكـنْ نظمي المفيدُ المختصر   جـاءَ لـلإنشـاد أَوَانَ البُجـومْ[(٤)]
١٦ـ قـل صـلاحُ الـدِّيـن فـي تـاريخـه   قـرّ شـرحٌ لمـواقـعِ النجـومْ

لصلاحي عبدي أفندي

---

(١) جاء في الهامش: التخم بالفتح: منتهى كل قرية، أو أرض، وجمعه تخوم، وقيل: تخوم الأرض حدودها. من المختار.
(٢) وتقرأ: وهو يُفني.
(٣) جاء في الهامش: حام الطائر وغيرُهُ حول الشيء دار، وبابه قال. حوَمان بفتح الواو.
(٤) جاء في الهامش: بَجَمَ يَبْجِمُ بَجمًا وبُجومًا: سكتَ عن عِيٍّ أو فزعٍ [أو هيبة] وأبطأ وانقبض. من القاموس.

[وقع الألف من الألفين، في أول الاثنين، من آخر الجيمين، من جملة القافين إلا خمس عشر من عبرة الألفين، من هجرة سيد الكونين، ورسوم الثقلين، عليه أفضل الصلاة والسلام المتلازمين، ما دارت الشمس والقمر بين الخافقين.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

آل عمران

النساء

الأعراف

يونس

هود

يوسف

الرعد

إبراهيم

الكهف

الأنبياء

الفرقان

الشعراء

النمل

القصص

العنكبوت

سبأ

فاطر

يس

الصافات

ص

الزمر

غافر

فصلت

القمر

الرحمن

الواقعة

الحديد

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ـ ب ـ

- ع -

- ف -

- ق -

- م -

ـ ن ـ

- ي -

* * *

فهرس الأعلام

فهرس الأمم والجماعات والقبائل والشعوب

فهرس الكتب

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأمثال والأقوال

* * *

فهرس الأشعار

الصدر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
		ـ الهمزة والألف ـ			
لمع المبرق علينا عشاء	المساءَ	الرمل	ابن عربي	٣	٢/ ٢٥٣
خاط لي عمرو قباء	سواءُ	مجزوء الرمل	ـ	١	٢/ ٢٨٦
أنا إن شئت شئت منك وإلا	يشاءُ	الخفيف	ابن عربي	٦	٣/ ٤٥٨
شهدت ذاتك فينا وهي واحدة	أسماءِ	البسيط	ـ	٢	١/ ٤٠٤
بالمال ينقاد كل صعب	السماءِ	مخلع البسيط	ابن عربي	٧	٣/ ٤٢٨
وإذا أردت تمتعاً بوجوده	الغرماءِ	الكامل	ابن عربي	٢	١/ ٦١
ستكون خاتمة الكتاب لطيفة	علوائها	الكامل	ابن عربي	٨	٣/ ٤٣٠
انظر إلى العرش على مائه	بأسمائه	السريع	ـ	١٠	١/ ٥٧١
لا تدعني إلا بيا عبدي	أسمائي	السريع	ـ	١	١/ ٤٣٣
سرج العلم أسرجت بالهواء	الإسراءِ	الخفيف	ابن عربي	٥	٢/ ٢٤٩
تعجّبت من تكليف ما هو خالق	فأراه	الطويل	ابن عربي	٢	١/ ٦١
العبد عين الحق ليس سواه	تراه	الكامل	ابن عربي	٢	٢/ ٥٧٨، ٣/ ٢٢٩، ٤٤٨
الرجل إن جاريته في علمه	المستوى	الكامل	ابن عربي	٣	٣/ ١٦٧
لا ينيبُ الفؤاد إلاّ إذا ما	سواه	الخفيف	ابن عربي	٢	٣/ ٤٤٢
آب قلب إلى الذي آب عنه	مثنى	الخفيف	ابن عربي	٣	٣/ ٤٤٣
		ـ ب ـ			
توب الورى واجب عليهم	أوجبْ	الهزج	علي بن أبي طالب	١	١/ ٤٥٩
مدعي الصنعة من غير سبب	كذبْ	الرمل	ابن عربي	٧	٣/ ٨٩
أيا جبلي نعمان بالله خليا	هبوبُها	الطويل	المجنون	٢	٣/ ٦٧، ٣٨٩
شمس الهدى في النفوس لاحت	القلوبُ	مخلع البسيط	ابن عربي	٤	٢/ ١٧٤
وإنك سوف تحلم أو تناهى	الغرابُ	الوافر	النابغة	١	١/ ٣٠٩

الصدر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
حزن الفؤاد أدبه	مذهبه	مجزوء الرجز	ابن عربي	٣	٣/ ٤٧٩
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	الكتائبِ	الطويل	النابغة	١	١/ ٥٩٠
لا تعترض فعله إن كنت ذا أدب	الرهبِ	البسيط	ابن عربي	٥	٣/ ٤٦٦
قل كيف يسكن قلب لا يحيط به	تقلبِهِ	البسيط	ابن عربي	٢	٣/ ٤٣٥
أريدك لا أريدك للثواب	للعقابِ	الوافر	الحلاج	٢	١/ ١٦٣
عرفت الربَّ بالربِّ	ربِ	مجزوء الوافر	ـ	٨	٢/ ٥٨
ـ ت ـ					
ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه	كنتُهُ	الطويل	ـ	١	١/ ٢٢١
إن الخليفة قد أبى	أبيتُهُ	مجزوء الكامل	بشار	١	١/ ١٠٦
ومطلع أنوار بطلعتك التي	استترتِ	الطويل	ابن الفارض	٧	١/ ٣٥٨
تحققت أنّا في الحقيقة واحد	التشتتِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٢٦
شهودي بعين الجمع كل مخالف	كالمودةِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٤٠
فكلّي لسان ناظرٌ مسمعٌ يد	وبطشةِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٤٧
ومنّي على إفرادها كل ذرة	أحصتِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٤٧
وما فيّ عضو خص من دون غيره	بصيرةِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٤٩
هي النفس إن ألفت هواها تضاعفت	ذرةِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٤٩
وأتلو علوم العالمين بلفظة	بلحظةِ	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ٤٥٣، ٢/ ٥٨٠، ٣/ ٤٢.
رأوا ضوء نوري مدة فتوهموا	بالأشعةِ	الطويل	ابن الفارض	١	٢/ ١٠١، ٣/ ٣٧٥
فنفسي كانت قبل لوامة متى	مطيعتي	الطويل	ابن الفارض	٢	٢/ ٤١٦
وكل الليالي ليلة القدر إن دنت	جمعة	الطويل	ابن الفارض	١	٣/ ٧١، ٣٢١
وأما صفات الذات نور كمالها	محيطةِ	الطويل	ـ	٢	١/ ٢٥١
وكنت كذي رجْلين رجل صحيحة	فشلّتِ	الطويل	كثير	١	٢/ ٣٩٣
فلا أين يحويني ولا كيف حاصري	صورتي	الطويل	ـ	١	١/ ٤٣٠
أحطت خبراً جملة ومفصلا	صفاتِهِ	الكامل	ـ	٣	٢/ ٦٩
ـ ث ـ					
ترى المحبين صرعى في ديارهم	لبثوا	البسيط	الحلاج	١	٣/ ٢٣٢

الصدر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
قد كنت في وصل قديم لم يزل	الأزلْ	الكامل	ـ	١	١/ ٤٧٢
كنا حروفاً عاليات لم نظل	القللْ	الكامل	ابن عربي	٢	١/ ٥٧٤
كان لي قلب فلمّا أن رحل	للعللْ	الرمل	ابن عربي	١٤	٣/ ٣٠٢
من كان يبطش بالرحمن فهو فتى	فعلا	البسيط	ابن عربي	٢	٣/ ٥
لو لم تحل ما سميتَ حالا	زالا	السريع	ـ	١	١/ ٣١٧
قد تخللت مسلك الروح مني	خليلا	الخفيف	ـ	٢	٣/ ٣٩، ١٢٨
فقالوا لنا ثنتان لا بدّ منهما	سلاسلُ	الطويل	ـ	١	١/ ١٤٥
مها الوحوش إلا أن هاتا أوانس	ذوابلُ	الطويل	أبو تمام	١	٢/ ٩
جواباً به تنجو اعتمد فوربنا	تسألُ	الطويل	ـ	١	٢/ ٣٢٦
من كان يعبدُ للجنان فإنني	عاملُ	الكامل	ـ	٢	١/ ٢٨٢، ٢/ ٢٧٣
ففي الخلق عين الحق إن كنت ذا عين عقلِ		الطويل	ابن عربي	٢	١/ ٢٠٧، ٣/ ٦٤، ١٢٨
لنا موازين عند الدهر قد نُصبت	مللِ	البسيط	الكفوي	٢	١/ ١٤٨
لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت قالِ		البسيط	ـ	١	٢/ ٣٢٦
كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم	إجلالِ	البسيط	ـ	١	١/ ٤٦٥، ٣/ ٢١، ٣٦١
من صاحب الحقّ لا يبالي	السؤالِ	مجزوء البسيط	ابن عربي	١	٣/ ٤٨٢
فتعذيبي من الهجران عندي	الوصالِ	الوافر	ـ	٢	١/ ١٦٣
يا من أراد منازل الأبدال	للإعمالِ	الكامل	ابن عربي	٦	٢/ ٤٣٣

- م -

الصدر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
دع الظن واعلم أن للظن آفة	متّهمْ	الطويل	ابن عربي	٣	٣/ ٤٥٥
إن ترد علماً بنظم ضابطاً	للقسمْ	الرمل	الكفوي	٢	١/ ٩٤
تكرّم لتعتاد الجميل فلن ترى	يتكرّما	الطويل	ـ	١	٣/ ٥
إن المراد مع المريد مطالب	دعواهما	الكامل	ابن عربي	٢	٣/ ٤٦٣
السرُّ منسدل والباب منغلق	مبهومُ	البسيط	المؤلف	٢	١/ ١٥٠، ٣/ ٦٩
قف بالديار التي لم يعفها القدم	الديمُ	البسيط	زهير	١	٢/ ٨٨

الصدر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
عزت مداركه غابت عوالمه	صوارمُهُ	البسيط	ـ	٢٩	٧٠/٢
ما فاز بالتوبة إلا الذي	نوّمُ	السريع	ابن عربي	٢	٤٥٩/١، ٤٣٩/٣
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متقدّمُ		الكامل	أبو الشيص	٤	٤٤٠/١
رمت الرجوع عن الأمداح أنظمها محترمِ		البسيط	ـ	١	٨٨/٢
وما لنا من رجوع عن حماه	الحشمِ	البسيط	ابن حجة	١	٨٨/٢
وأحيت السنة الشهباء دعوته	الدهمِ	البسيط	البوصيري	١	٢٦٥/٢
الفرج يحمل في الأنثى وفي الذكر القلمِ		البسيط	ابن عربي	٣	١٤٥/٣
الزوج أصل لكل خلق	الحكيمِ	مجزوء البسيط	ابن عربي	٥	١٦٤/٣
قمر الكواكب السعيد إمامي	أمامي	الخفيف	ابن عربي	١٠	٢٦٨/٢
أهل الهلال بشهر الصيام	القيامِ	المتقارب	ابن عربي	٤	١٨٢/٢، ٢٢٢، ٢٢٣

ـ ن ـ

الصدر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وغنّى لي من قلبي	غنّى	الهزج	الجنيد	٢	٣٣/١
نحن حزب الله من يلحقنا	هزلنا	الرمل	ابن عربي	٣٢	٣٥٠/٣
تاب من الذنب أناس وما	أنا	السريع	ابن عربي	١	٤٥٨/١، ٤٥٩، ٤٦٢
وفي كل شيء له آية	عينُه	المتقارب	ابن عربي	١	٤٠٤/١، ٤٨٣
سترت عن دهري بظلّ جناحه	يراني	الطويل	ـ	٢	٢٢٢/١
من كل معنى لطيف أستقي قدحاً تطربني		البسيط	ـ	١	٢٧٧/١، ٥٣٠/٢
من أمَّ بابك لم تبرح جوارحه	منن	البسيط	علي بن المظفر	٢	٢٨٧/٢
أيأخذ وعد موسى مرتين	تينِ	الوافر	ابن عربي	٣	١٥٧/٣
أنا أنت بلاشك	سبحاني	الهزج	الحلاج	١	٤٥٠/١
يا ساكناً قلبي المعنى	ثانِ	مجزوء الرجز	ابن عربي	٢	١٢٩/٣
شاهد الغيب عند ذاك عياناً	قينِ	خفيف	ابن عربي	٣	٢٢٨/٢
سر سر الوجود فرد بعيد	أمانِ	الخفيف	ابن عربي	١١	٤١١/٣

* * *

فهرس أنصاف الأبيات

الشطر	القائل	الصفحة
أف لهذا الدهر لا بل لأهله	-	٢/ ٨٧
ألا كل شيء ما خلا الله باطل	لبيد	٢/ ٢٩١
أنا للكل في الحقيقة كل	-	١/ ٤٣١، ٤٤٨، ٣/ ٢١٠
أنا من أهوى ومن أهوى أنا	ابن الفارض	١/ ٣٣، ٤٢٦، ٢/ ١٤٣
تحققت أنّا في الحقيقة واحد	-	١/ ٤٥٠
تحققت أني عين من أنا عبده	-	١/ ٤٢٦
دناهم كما دانوا الفند الزماني	-	٣/ ١١٦
العجز عن درك الإدراك إدراك	أبو بكر الصديق	١/ ٣٨٤، ٢/ ٢٩٨، ٥٢٢
فلم يستجبه عند ذاك مجيب	-	١/ ٤٧٦، ٢/ ١٦٢
قرقر قمر الوادي بالشاهق	-	١/ ٣١٢
كما تضر رياح الورد بالجعل	-	٣/ ٤٢٦
لم يستحبه عند ذاك مجيب		٢/ ١٦٢
ما في سمعه كذب	ذو الرمة	٢/ ٢٣٦
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	المتنبي	٢/ ١٥٨
نحن سر الأزلي	ابن عربي	٢/ ٢١٩
والبحث عن سرِّ ذات الله إشراك	-	١/ ٣٨٩
والعين باكية لم تشبع النظر	-	٣/ ٢٨٧
وليس وراء الله للمرء مطلب	النابغة	٢/ ١٣
وهل كلٌّ مودته تدوم	-	٢/ ١٥٨

أشعار خارج الدائرة العروضية

فعلمنا بلا حرف وصوت	ابن عربي	١/ ٢٨٨

* * *

فهرس المصطلحات

ـ ب ـ

المحتوى

مقدمة

الأستاذ محمود إيرول قليج

الشيخ محيي الدين ابن عربي هو مؤلف أصل الكتاب «مواقع النجوم»، وهو أحد أكبر أئمة العرفاء في الإسلام، المعروف بالشيخ الأكبر.

ولد في بلدة مرسية بالأندلس في العام (٥٦٠ هـ ـ ١١٦٥م). ألف ابن عربي أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابًا ورسالة شملت التصوف الإسلامي والفقه والفلسفة والأدب واللغة.

ومن أبرز مؤلفاته (فصوص الحكم) وفيه شرح للمعاني العرفانية للحكمة النبوية. ومنها أيضًا (الفتوحات المكية) وهو أهم كتبه ويتألف من سبعة وثلاثين مجلدة من القطع المتوسط بخط المؤلف ونشر في القاهرة بأربعة مجلدات كبار في القرن التاسع عشر ويعمل المؤلف فيه على توحيد المفاهيم والمعارف انطلاقًا من ثلاثة أسس هي الموروث النقلي والعقل والمشاهدة.

ومن مؤلفاته كذلك (الديوان) و(ترجمان الأشواق). وقد نظم ابن عربي قصائد تعتبر مز عيون الشعر العربي قدم فيها شروحات رائعة لمفهومه لـ «وحدة الوجود» وللحقائق الوجودية: الله، الكون، الإنسان، وعلاقة الإنسان مع الكون ومع خالق الكون.

ومن المعروف أن ابن عربي كان يؤلف بعض كتبه استجابة لطلب من أصدقائه. فعلى سبيل المثال فقد كتب سفره الضخم (الفتوحات المكية) نزولاً على طلب صديقه الشيخ عبدالعزيز المهدوي التونسي. أما (مواقع النجوم) فقد كتبه بطلب من عبد الله بدر الحبشي الذي كان يلازمه ويرافقه في كافة أسفاره إلى أن توفي ببلدة ملاطيا الواقعة في تركيا. ويقال بأن كتاب (مواقع النجوم) يتضمن في جوانبه كل ما هو مطلوب من المرشد أو الشيخ تعليمه لتلاميذه وأتباعه في الطريق الصوفي. والكتاب يتناول بالشرح أسس الإسلام والإيمان والإحسان. ويشمل أيضًا شرحًا تفصيليًا لجميع أعضاء الجسد والقدرات البشرية المشمولة بالرحمة الإلهية.

وكتاب (مواقع النجوم) من أكثر كتب محيي الدين بن عربي التي تم استنساخها. وهناك

أربع مخطوطات لها قيمة تاريخية هامة ومنها المخطوطة رقم ٥٠٠١ الموجودة في مكتبة يوسف أغا في قونيا وقد كتبها صدرالدين القونوي في حياة ابن عربي (بالرغم من تضررها كثيرًا بسبب تعرضها للماء). ومهرها ابن عربي بتوقيعه بعد أن استمع إليها من صدر الدين. والمخطوطة الهامة الأخرى تحمل الرقم ٥٩٤ وتوجد في مكتبة (المجلس) بطهران وكتبت في العام ٦٥٢ هـ.

شارح كتاب (مواقع النجوم) الشيخ عبد الله صلاح الدين العشاقي

ولد الشيخ عبد الله صلاح الدين العشاقي في كسريا (كستوريا) التي كانت تقع ضمن أراضي الامبراطورية العثمانية ـ حاليًا في اليونان ـ في العام ١١١٧ هـ، الموافق ١٧٠٥ م. ولقبه في الشعر هي «صلاحي».

ألف الشيخ حسين وصاف كتابًا عن الصلاحي سماه (الرسالة الصلاحية) قال فيه: إن والد الشيخ عبد الله هو محمد عبد العزيز وكان من كتاب الدولة العثمانية وقد ولد في موستار في البوسنة ثم هاجر إلى كسريا حيث ولد ابنه عبد الله.

بدأ الشيخ عبد الله صلاحي تعليمه في كسريا، ثم انتقل بعد إتمام دراسته إلى مدينة إسطنبول ـ دار الخلافة ـ لتلقي المزيد من العلم وتأهيل نفسه ليكون مثل والده من كتاب الدولة. والتحق بخدمة الباب العالي في قسم «تحرير قلمي». ثم أصبح بعد ذلك مستشارًا لحكيم أوغلو علي باشا. وسافر إلى كثير من أقطار الدولة مع علي باشا ومن بينها البوسنة. واشترك مع علي باشا في حرب بانيالوكا ضد قوات النمسا في العام (١١٥٠ هـ ـ ١٧٣٧ م).

وبعد تعيين علي باشا واليًا على مصر في العام (١١٥٣ هـ ـ ١٧٤٠م) رافقه صلاحي حيث بقي هناك في القاهرة لمدة عام ونيف. وفي هذا الأثناء التقى صلاحي مع الشيخ شمس الدين محمد الحفني، شيخ الطريقة الخلوتية، وأخذ عنه الطريقة. ثم التقى بالشيخ حسن الدمنهوري، شيخ الطريقة النقشبندية الذي علمه «علم الخواص»، مثل الجفر والأوفاق والحروف.

وبعد انتهاء ولاية علي باشا عاد إلى اسطنبول وعاد معه الصلاحي. وفي أثناء رحلة قام بها علي باشا إلى أدرنة التقى بالشيخ محمد جمال الدين أفندي من الطريقة الخلوتية، وهي فرع من العشاقية. وأخذ الصلاحي البيعة من الشيخ محمد جمال الدين ثم تزوج ابنته، وكان ذلك في العام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م). وكان من ثمرة هذا الزواج ولدان هما محيي الدين وضياء الدين.

ثم ترك الشيخ عبد الله صلاح الدين العمل الرسمي في الدولة وسلك طريق العلم والمعرفة متفرغًا لها نزولا على توصية الطاهر أغا، باني التكية المعروفة باسمه، وبموافقة شيخ الاسلام دريزادة مصطفى أفندي. وأصبح الصلاحي شيخا لهذه التكية بالرغم من أنه كان من أتباع الطريقة الخلوتية العشاقية، إلا أنه لبى شروط الطريقة النقشبندية بعد أن حصل على إجازة من هذه الطريقة على يد الشيخ سيد محمد أمين الكركوكي. وكان الصلاحي يستمر في هذه التكية بتعليم أصول النقشبندية والعشاقية.

و في ٢١ أغسطس ١٧٨٢م، الموافق ١٢ رمضان ١١٩٦ هـ التهمت النيران هذه التكية ضمن الحريق الهائل الذي اندلع في مدينة إسطنبول وقضى على كثير من الأماكن فيها. ثم انتقل الشيخ صلاحي إلى تكية الشيخ محمد جمال الدين أفندي في أغريكابو.

توفي الشيخ صلاحي في ٢٩ محرم ١١٩٧ هـ، الموافق ٥ يناير ١٧٨٣م. وبعد إقامة صلاة الجنازة عليه دفن الشيخ في مقبرة تكيته الأولى، تكية الطاهر أغا. وأوصى الشيخ صلاحي بعدم بناء قبة على قبره ثم تولى ابنه محمد ضياء الدين بعد ذلك مشيخة التكية الطاهرية.

كان الشيخ عبد الله صلاح الدين العشاقي يوصف بـ (جامع الطرق) حيث أنه حصل على الاجازة في سلك الصوفية في العديد من الطرق.

فقد أخذ الطريقة النقشبندية أول الأمر من الشيخ حسن الدمنهوري ثم من الشيخ سي محمد أمين الكركوكي. وسلك الطريقة المولوية على يد الشيخ نائي عثمان دده ومن مولوي خاني غالاتا، أما الخلوتية والبيرمية فقد أجازه فيها الشيخ هاشم بابا، والطريقة الكلشنية فقد كانت على يد الشيخ حسن سزائي أفندي، وتلقى الطريقة الشعبانية النصوحية من الشيخ سيد علاء الدين أفندي، كما تلقى الشعبانية البكرية من الشيخ محمد حفني في مصر.

وبالرغم كونه جامعًا للطرق إلا أن الطريقة الأصلية للشيخ الصلاحي في مجال التربية والإرشاد فقد كانت العشاقية الخلوتية.

أسس الطريقة العشاقية الخلوتية الشيخ حسام الدين البخاري العشاقي الذي توفي في العام ١٠٠١ هـ ويوجد ضريحه في تكيته بمدينة إسطنبول.

يعتبر الشيخ الصلاحي المرشد الثالث في الطريقة العشاقية حيث إنه أرسى أسس الأصول العشاقية المؤلفة من الأصول الخلوتية والأكبرية.

ألف الشيخ الصلاحي أكثر من ثلاثين كتابًا تركزت رؤيته فيها على أفكار الشيخ محيي الدين ابن عربي حتى قيل له «محيي الدين العربي العثماني». وفي مواجهة أي مسألة من مسائل المعرفة كان يبحث لإدراك كنهها من روحانية محيي الدين ابن عربي. وفي شرحه لكتاب (مواقع النجوم) كان يقول ويكرر إنك إذا قرأته بمنظور المنطق والقياس فلسوف لن تفهمه بدون معرفة روحانية لتصوف ابن العربي.

وكان الشيخ الصلاحي يستخدم في مؤلفاته إحدى لغات التخاطب السائدة في المجتمع العثماني آنذاك وهي إما العربية أو العثمانية أو الفارسية. وقد كتب بهذه اللغات الثلاث.

ومن أهم مؤلفات الشيخ الصلاحي يمكن أن نذكر:

ـ (مفتاح الوجود الأشهر في توجيه كلام الشيخ الأكبر).

ـ (رسالة المعمى للأسماء الحسنى).

ـ (التمثل بأسماء النبي).

ـ (مناجاة الأسماء الحسنى).

ويركز في الكتب الثلاثة الأخيرة على أسماء الله جل جلاله وأسماء النبي الكريم.

ويسمى الشيخ الصلاحي في طريقة كتابته «ملما» أي ملمًا بالكتابة باللغتين العربية والتركية.

ومن مؤلفاته أيضًا:

ـ (مرآة الأعلام ومشكاة الأحلام)، ويفسر فيه مسألة «العبادلة» بالحروف الأبجدية.

ـ (مرآة الاسماء) وهي الأسماء السبعة الإلهية.

ـ (جواهر تاج الخلافة) وفيه يشرح آداب الطريقة وأركانها، ومعنى رمز الملابس الصوفية.

ـ (أصول الأوراد العشاقية).

ـ (مدار المبدأ والمعاد).

ـ (مجمع ثنى ظرافت)، يتناول فيه قواعد نحو اللغة الفارسية.

ـ (إظهار أسرار نهام أز أنوار ختم خاجقان).

ـ (التحفة العشاقية)، وكان قد ألفه أولا باللغة العربية ثم ترجمه بنفسه إلى اللغة التركية.

ـ (حلية حسنين الأحسنين) ويتكون من أربعمائة وخمسة عشر بيتًا من الشعر على طريقة المثنوي يتناول فيه سيرة الحسن والحسين، سبطي النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ (الرسالة الرغائبية).

ـ (الرسالة المعراجية).

ـ (شرح الشافية) وهو من تأليف ابن العجيب حول قواعد نحو اللغة العربية. ترجمه الشيخ الصلاحي إلى اللغة التركية وقام بشرحه.

ـ (ترجمى عشق).

وللصلاحي ديوانان من الشعر. الأول بعنوان (نعوت النبي) والثاني ديوان أغلبية الأشعار فيه باللغة التركية وقليل منها باللغتين العربية والفارسية.

وقدم الشيخ الصلاحي شروحًا لبعض الأشعار من تأليف العرفاء مثل شرح القصيدة الخمرية لأبن الفارض و(البردة) للإمام البوصيري. كما قام بشرح إحدى قصائد حسان بن ثابت. وشرح أيضا (قصيدة المنفرجة) لابن النحوي، بالإضافة إلى شرح بعض أشعار حضرة الإمام علي والششتري ومولانا جلال الدين الرومي، وأبو سعيد أبو الخير، وأمير خسروي دهلوي وشوكت بخاري وأنوري وخاقاني... الخ، و في ما سبق أوردنا بعضًا من مؤلفاته وليس حصرًا لها.

* * *

أما (شرح مواقع النجوم) لمحيي الدين بن عربي فإنه يسمى **(طوالع منافع العلوم من مطالب مواقع النجوم)**. ومنهجه في هذا الشرح هو عدم شرح الكلمة بالكلمة، بل كان تعليقه على المعاني حرًا تطرق فيه إلى مختلف الموضوعات.

توجد مخطوطة الكتاب بخط المؤلف نفسه في مكتبة راشد أفندي في القيسرية بتركيا وتحمل الرقم ١١٠٣ وهي مخطوطة لا تحمل تاريخًا ومكتوبة باللغة العربية وعدد صفحاتها خمسمائة وخمس صفحات. وقد اعتمدنا على هذه النسخة في عمل هذا التحقيق. أما المخطوطة الثانية فهي موجودة في مكتبة اقسكي بمدينة انطاليا وتحمل الرقم ١٧٧ والمخطوطة الثالثة توجد في مكتبة جامعة اسطنبول ورقمها ٣٣٤٤.



مقبرة الشيخ عبد الله صلاح الدين العشاقي في تكية طاهر أغا في مدينة اسطنبول

Sheikh AbdullâhSalahaddîn al-Ushshâqî

(1705 – 1783)

Tawâli' manâfi' al-'ulûm min matâlibMawâqi' al-Nujûm

(Commentary on the Book of *Mawâqi' al-Nujûm* of Ibn Arabî)

Edited by

Prof. Dr. Mahmud Erol KILIC / Muhammad Adib al-Jader

Istanbul Damascus

Published by

....

Damascus 2015

Introduction

Sheikh Muhyiddin Ibn Arabi, one of the eminent Gnostics in Islam, known as Sheikh al-Akbar (Grand Master) was born in Murcia, in Andalus- present day Spain- in 560 H, corresponding to 1165 AD. Ibn Arabi authored more than 350 books and treatises covering Gnosis, Sufism, philosophy, literature and poetry.One of the most outstanding of his books is **Fusûs al-Hikam** (The Gems of Wisdom), in which he expounded the esoteric meanings of the wisdom of prophethood. Another tome penned by Ibn Arabi is **al-Futûhât al-Makkiya** (The Meccan Revelations). This elaborate multi-volume book (37 volumes) seeks to systematize concepts and ma'arif (gnosis) pursuant to three bases, namely traditions,intellect and contemplative witnessing. Among his other prominent works we find Divan (collection of poems) and **Turjumân Al-Ashwâq**. Ibn Arabi wrote poems deemed as among the most poignant of its kind in Arabic poetry. In these he introduced fantastic interpretations of his conception of Wahdat al-Wujûd (Unity of Being), as well as the realities of Existence: God, Universe, Man; and the relationship between Man and the universe and the creator of the universe.It is well known that Ibn Arabi used to write some books in response to requests of his friends. For example, he authored his great book **al-Futûhât al-Makkiya**in fulfillment of the request of his friend Sheikh Abdul Aziz al-Mahdawi from Tunisia.

He also wrote ***Mawâqi' al-Nujûm***(Positions of stars) as per the request of Abdullah Badr Al-Habashi who was his close companion in all his travels until his passing away in Malatya in Turkey. This bookwhich will be more specifically studied in this commentary at your hand, is understood to contain all the themes requested to be taught by Master to his students. It is an elucidation of the essentials of **Islam, Imanand Ihsan**. The book also gives a detailed explanation of all the organs and capabilities emanating from the divine mercy.

Mawâqi' al-Nujûm was one of the most copied of Ibn Arabi's books. There exist four manuscripts of significant historical value. These include manuscript which is found in Yusuf Aga Library in Konya (No.5001). Although the book has been greatly damaged by water,it was handwritten by SadruddinQonawi when Ibn Arabi was still alive. Having listened to the reading of the text he signed it. The other important manuscript, written in 652H, bears the number 594 and is found in Majlis Library in Tehran.

Commentator of*Mawâqi' al-Nujûm* Sheikh Abdullah Salahuddîn Al-Ushshâqî

Sheikh Abdullah Salahuddin Al-Ushshâqî was born in 117 H (1705 AD), in Kasriya (Kastoria), which was part of the Ottoman Empire territory – Greece at present. He was nicknamed "Salâhî".HuseyinWassaf wrote a book onSalahi titled ***Risâle-iSalâhiya*** in which he stated that his father was Muhammad Abdul Aziz who was born in Mostar in Bosnia. He joined the service of the Ottoman state as a scribe and then moved to Kasriya where his son Abdallah was born. Young Abdallah received his primary education in Kasriya and then went to Istanbul, seat of the Caliphate, for further study and to qualify himself in order to join the government service as a scribe like his father. He was employed in "TahrirKalemi". Then he became adviser to Hekimoglu Ali Pasha. He accompanied Ali Pasha to several places in the State, including Bosnia.

When Ali Pasha was appointed in 1153H(1740 AD) as Wali(Governor) of Egypt, Salahi accompanied him and lived in Cairo for more than one year. While there he met with Sheikh Shamsuddin Muhammad al- Hifni, Sheikh of the KhalwatiTariqaand took the **ijaza**from him. Then he met with Sheikh Hasan al-Damanhouri, Sheikh of the NaqshbandiyaTariqa who taught him some branches of "Ilm al-Khawas" such as **Jaffr**, **Wafq** and **Hurûf**. At the conclusion of his mission, Ali Pasha returned to Istanbhul, and Salahi returned with him. Then accompanying Ali Pasha on a mission to Edirne, Salahimet with Sheikh Muhammad JamaluddinEfendi, Sheikh of the Khalwatiya Order, Ushshâqîyya Branch, to whom he gave the **bay'a** (oath of allegiance). Afterwards Salahi married the daughter of this Sheikh Muhammad Jamaluddin in 1157H (1744 AD). Two sons, Muhyiddin and Ziyauddin, were born to him.

Then Sheikh Abdullah Salahuddin gave up his official job in the government and spend all his time in learning, teaching, writing in the path of gnosis. In response to the recommendation on Tahir Agha, (builder of the adarwish lodge **(Takiyya)** which was named after him), and with the approval of Sheikhul Islam Durrizade Mustafa Efendi. Salahi became Sheikh of the Tahir Agha Takiyya. Although he was a follower of the KhalwatiyaUshshâqîya Order he had fulfilled the conditions of the Naqshbandiya Order also and obtained the **ijaza**of this order from Sheikh Sayed Muhammad Amin al-Karkouki. Because of the obligation in the Waqfname of that Takiyya he had to tought the **Usul**of the Naqshbandiya along with al-Ushshâqîyya.

On 21 August 1782 AD, corresponding to 12 Ramadan 1196H, the **Takiyya** was burned down during the great fire wich erupted in Istanbul and devastated several places. Then Sheikh Salahihad to move to the Takiyya of his master Sheikh Muhammad Jamaluddin Effendi in Egrikapi.

On 29 Muharam 1197H (5 January 1783 AD) Sheikh Salahi passed away and was buried, after the Prayer for the dead, in his first Takiyya i.e. Tahir Agha Takiyya. The Sheikh requested that no dome be built on his grave. After him his son Ziyauddin took over as sheikh of the Tahir AghaTakiyya.

Sheikh Abdullah Salahuddin Al-Ushshâqî is characterized as **Jâmi' al-Turûq**because he was authorisedby several Orders.At first he obtained the **ijaza** of Naqhabandiya Order from Sheikh Hassan al-Damanhouri then from Sheikh Sayed Muhammad Amin al-Karkûki. He followed the Mawlavi Order from Sheikh Naî OsmanDede and from Mawlavi-khane-iGalata. In Khalwatiyaand Bayramiya he obtained the certificate from Sheikh Hashim Baba; theGulshaniyaTariqa from Sheikh Hassan Sezaei Effendi. He received the certificate of the Shabaniya al-Nasuhiya from Sheikh SeyyedAlauddin Effendi; and the Shabaniya Al-Bakriya from Sheikh Mohammad al-Hifni in Egypt.

Even though Sheikh Salahi was a **Jâmi' al-Turûq**(Master of multi orders) person yet his essential way in the field of guidance was based on the Khalwatiya-Ushshâqîyya. It is worthwile to mention that this Tariqa was established by Sheikh SeyyedHasan Husamuddin al-Bukhari al-Ushshâqî(d. in 1001H). His tomb is within his Takiyya in Istanbul. Sheikh Salahi is considered the number third **Pîr**of the UshshâqîyyaTariqa because he was the one who laid down the foundations of the fundamentals of the order drawn from Khalwatiya and Akbari.

Sheikh Salahi authored more than thirty books in which his vision focused on the thought of Sheikh Muhyiddin Ibn Arabi to the extent that he was called the "OttomanMuhyiddin-iArabi". In his books, Sheikh Salahi used the lingua franca in the Ottoman Empire i.e. Arabic, Turkish,Persian. He authored books in those three languages. The methodology of the writing of Sheikh Salahi is called "mulemma" i.e. writing in both the Arabic and Turkish languages in same book.

We may mention some of the books written by Sheikh Salahi:

- *Risalat al-MuamalilAsma al-Husna;*

- *Munajat al-Asma al-Husna.*

- *Al –Tamathul bi Asma al-Nabi;* In this three books mentioned above Sheikh Salahi focused on the Names of Allah the Almighty and the names of Prophet Muhammad (Pbuh).
- *Mi'rat al-Asma.* These are the seven divine names.
- *Madar al-Mabdawa al-Ma'ad.*
- *Miftah al-Wujud al-Ashhar fi TawjihKalam al-Sheik al-Akbar;*
- *Mir'at al-A'lamwaMishkat al-Ahlam.* In this Salahi explains the Abadila issue with the science of the Alphabet.
- *JawahirTaj al Khilafa.* In this book Sheikh Salahi expounds the pillars of the Tariqa and the symbolism of wearing darwishclothes.
- *Usulul al-Awrad al-Ushshâqîyya.*
- *Tuhfat al-Ushshâqiyya.* This book was written in Arabic and then Sheikh Salahi translated it into Turkish.
- *AtharAsrarNihanez Anwar KhatmKhajaghan.*Naqshbandiyya practice.
- *Hilyatal-Hasanein al-Ahsanein.* These are 415 verses of poetry composed in the manner of the Masnawi in which he addresses the qualifications of Hassan and Hussain, grandsons of Prophet Mohammad(Pbuh).
- *RisalatRagaibiya.*
- *Risalat al Mi'rajiya.*
- *Sharh al-Shafiya.* This is authored by Ibn Ajib on Arabic grammer. Sheikh Salahi translated the book into Turkish with commentaries.
- MajamaaFanniDharafat. About the grammer of Persian language.
- Tarjume-ilshq.

Sheikh Salahi has two collections of his poetry. One is titled Praise to the Prophet *(Nu'out al-Nabi).* The other contains poems mostly in Turkish with some in Arabic and Persian.Besides his own poems Sheikh Salahi also wrote commentaries on some poems composed by other sufi masters. For examples, the "Wine Poem" of Ibn al-Farid; "the Burda" by Imam Busiri, one of the poems of Hassan Ibn Thabit; "al-

Munfarigapoem" by Ibn al-Nahwi; as well as commentaries on poems by Hazrat Imam Ali, al-Shabustri, MevlanaJalaleddin al-Rumi, Abu Said Abu al-Kheir, Amir KhusrewDehlawi, ShawkatBukhari, Anwari, Khaqani...etc.

His huge commentary on "Mawaqi al-Nujum" is called "**Tawâli' manâfi' al-'ulûm min matâlibMawâqi' al-Nujûm**"(طوالع منافع العلوم من مطالب مواقع النجوم) The methodology of the book is to refrain from interpretation of word for word. He followed a free commentary and addressed various themes.In his elucidation of **Mawâqi' al-Nujûm** he used to say and repeat that if you read the book from the perspective of logic and analogy you will not comprehend the meanings of the book. In addressing any issue in order to comprehend its true meaning he would look for the spirituality of Muhyiddin Ibn Arabi as a measure for it.

It may be mentioned that there exists a manuscript in the handwriting of the author himself in the library of Rashid Efendi in Kayseri in Turkey. This manuscript No. 1103 has no date, is written in Arabic with a total of 505 pages. For our edition-critique we basically have depended on this version. The second manuscript exists in Akseki Public Library in Antalya with No. 177. The third one is in the Library of Istanbul University with No. 3344.



The tomb of Sheikh Abdullah SalahaddinAl-Ushshâqî in Tahir Agha Takiyya– Istanbul.